الدكتور محمد علي البار

المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي الذي علّمني القرآن

وحبّ المؤمنين أينما كانوا والاهتمام بأمورهم

اعترافاً ببعض فضله وجميل إحسانه .

محمد علي الكبار

شكر وتقدير

أود أن أتقدم بالشكر الى جميع الأخوة الكرام الذين أمدوني بكثير من المراجع الهامة. أذكر منهم الدكتور محمد يعقوب التركستاني محرر صفحة التراث في جريدة المدينة الذي نشر بعض فصول هذا الكتاب في صفحته والذي أمدني بكثير من المراجع الهامة. وكذلك الاستاذ رحمة الله عناية الله التركستاني الذي يعمل في رابطة العالم الاسلامي الذي فتح لي مكتبته التي تكاد تكون متخصصة في التركستان الشرقية والغربية. وأتقدم بالشكر ايضا الى الأخ الكريم العلامة السيد عمر حامد الجيلاني على ملاحظاته القيمة وعلى المراجع التي أمدني بها. كما أشكر الاستاذ السيد محسن أحمد باروم صاحب دار الشروق على المراجع القيمة التي أعارني إياها وعلى اهتمامه بطبع الكتاب ونشره. كذلك أشكر الأخ الدكتور أحمد سقاف البار والشيخ عبدالوهاب الديلمي والشيخ حسن باسندوه والاستاذ محمد الوزير والعلامة السيد محمد أحمد الشاطري على إمدادهم لي ببعض المراجع.

وأخص بالشكر استاذي وشيخي الحبيب العلامة الداعية الى الله السيد أحمد مشهور الحداد الذي لم يبخل عليّ بتوجيهه وملاحظاته ودعواته.

الى هؤلاء جميعاً أتقدم بالشكر وأرجو أن يجزيهم الله عني خير الجزاء.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لك ربي انت المعز المذل الخافض الرافع مالك الملك.. يا من «تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير». فكم من أمم قد رفعت وكم من امم قد خفضت.. ذلك بما قدمت ايديهم وما ربك بظلام للعبيد وانما هي سنن كونية وقوانين طبيعية اذا اخذت بها أمة ارتقت وعزت واذا خالفتها ذلت وهانت.. » سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

بالأمس كان المسلمون أعزة يحكمون العالم ويسيطرون على الدنيا فخالفوا أوامر ربهم وتناسوا تعاليم نبيهم فتباغضوا وتحاسدوا وتدابروا وتقاطعوا وتنازعوا (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) واضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات وغرقوا في الملذات فصدق فيهم وعد ربهم ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾.

وصدق فيهم وعيد نبيهم تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها فقالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله.. قال لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل لأنهم قد أصيبوا بالوهن وحب الدنيا وكراهة الموت.

بالأمس ضاعت الاندلس ثم ضاعت تلك الأراضي الشاسعة الواسعة الممتدة التي حكمها المسلمون على طول ضفاف نهر الفولجا من قازان

حتى استراخان، ثم ضاعت بعدها جبال الاورال وسهوبها وتبعتها جبال القفقاس ووديانها وضاعت القرم.. وتوالت الهزائم وتوسع الروس (الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن رسته والمسعودي وابن بطوطة بأنهم أمة همجية شقر الشعور زرق العيون قباح الوجوه أهل غدر وأقذر الأمم) في اراضي المسلمين واحتلوا سهوب قازاخستان.. وزحفوا شرقاً وغرباً وجنوباً حتى احتلوا جميع مناطق التركستان التي تزيد مساحتها على أربعة ملايين كيلو متر مربع.. في حملات متتابعة بدأها ايفان الرابع المشهور بإيفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) عندما احتل خانية قازان الاسلامية التترية، وفي بضع سنوات توالى سقوط تلك الخانيات (الدويلات) التي فرقتها الخلافات فسقطت خانية استراخان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وسقط نهر الفولجا بأكمله في يد إيفان.. وفي غضون ثلاثين سنة كانت القوات الروسية قد اخترقت جبال الاورال واحتلت مناطق البشكير ووصلت الى شواطىء بحر قزوين (بحر الخزر) الشمالية. كما اتجهت شرقاً حتى احتلت سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م).

وتوالت هزائم المسلمين في تلك الاصقاع وواجهوا حرباً صليبية شرسة قادها ايفان الرهيب بتوجية من البابا.. وتبعها خلفاؤه.. ولم يكن غريباً أن تسقط قازان بعد سقوط غرناطة بأيدي الاسبان بستين عاماً فقط[1]...

وليس غريباً أن يقوم إيفان الثالث جد ايفان الرهيب سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) بإنهاء سيطرة تتار قازان المسلمين على موسكو التي دامت ٢٤٠ عاماً.. وإنما الغريب أن ينام هؤلاء عن الخطر المحدق بهم وهم يسمعون نداءات البابا المتكررة الى فاسيلي الثالث والد إيفان الرهيب لكي يقتلع المسلمين من وطنهم ويقوم بحرب صليبية مقدسة ضد المحمديين (كما كان يدعوهم) واعداً أياه بملكوت السماء وبالقسطنطينية

(١) سقطت غرناطة سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

التي كان قد احتلها محمد الفاتح السلطان العثماني المجاهد سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)...

واستمرت الخلافات بين خان قازان وأولاد عمومته خانات استراخان والقرم وإمارة قاسموف التترية وخانية سيبيريا.. وهم غافلون عما يدبره لهم البابا وإيفان الرهيب...

وما هي إلا سنوات حتى اجتاحتهم قوات إيفان الرهيب وامتلكت تلك المساحات الشاسعة من أراضيهم وواجهوا حرب إبادة حقيقية.. وكانت سياسة ايفان تجاه تتار الفولجا تتلخص فيما يلي[١]..

« بالنسبة للاشراف المسلمين والامراء اما أن يرتدوا الى المسيحية أو الطرد من وطنهم والخراب الاقتصادي الكامل أو التصفية الجسدية لمن يبدي أقل مقاومة.

« أما الجماهير المسلمة فقد اخضعت للصهر الديني فمنذ عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) اعتمدت سياسة رده بالقوة.. وكان المرتدون (ستاروكرياشين) يتمتعون بوضع شرعي تجاه القانون مماثل لرعايا القيصر...

« وعومل الدين الاسلامي بكل قسوة وهدمت الجوامع وطرد رجال الملا (علماء الدين) من المدن وصودرت الاوقاف الاسلامية »..

واستمرت سياسة إيفان في عهد خلفائه وخاصة من أسرة رومانوف التي امتد حكمها من سنة ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م) حتى سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).. ثم استمرت تلك السياسة بصورة أشد وأعتى في عهد القياصرة الحمر إبتداء من لينين ومروراً بستالين وحتى عهد خروتشوف وبريجينيف..

---

(١) نقلا عن كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي)

لقد بدأ بطرس الملقب بـ العظيم ١٠٩٢ - ١١٣٨ هـ (١٦٨٢ - ١٧٢٥ م) سياسة الوصول الى المياه الدافئة..... واتجه جنوباً صوب أزوف (شمال البحر الاسود) واحتلها سنة ١١٠٨ هـ (١٦٩٦ م) ولكن الدولة العثمانية استعادتها منه سنة ١١١٢ هـ (١٧٠٠ م).

وبدأ بطرس محاولة الاستيلاء على القوقاس سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) ولكنه واجه هو وخلفاؤه حرباً شرسة من أهالي القوقاس الاشداء الذين كان يقودهم رجال الطريقة النقشبندية الصوفية من أمثال الإمام الملا محمد الملقب بالغازي محمد ثم تلميذه الإمام الشيخ محمد شامل.. ودامت تلك المقاومة الباسلة ١٣٧ عاماً انتهت بسقوطه أسيراً سنة ١٢٧٦ ه (١٨٥٩ م).. ومغادرته ارض الداغستان الى تركيا ومنها الى المدينة المنورة حيث دفن في بقيعها سنة ١٢٨٩ ه (١٨٧١ م)..

وشهد عهد كاثرين ١١٧٦ - ١٢١١ هـ (١٧٦٢ - ١٧٩٦ م) ونيقولا الأول ١٢٤١ - ١٢٧٢ هـ (١٨٢٥ - ١٨٥٥ م) واسكندر الثاني ١٢٧٢ - ١٢٩٩ هـ (١٨٥٥ - ١٨٨١ م) أضخم التوسعات على حساب أرض المسلمين...

وتقول المصادر الرسمية الروسية [١] (لقد قامت الحكومات القيصرية بمصادرة أخصب أراضي المسلمين في قازان وعلى طول نهر الفولجا والقوقاس والقرم والتركستان والاورال وقازاخستان.. **وفي خلال القرنين السابقين لثورة اكتوبر صادرت حكومات القياصرة المتعاقبة ٤١,٦٧٥,٠٠٠ دياستين (١ دياستين = ٢,٧ فدان) أي أكثر من مائة مليون فدان من الأراضي الزراعية الخصبة).**

وفي عهد كاثرين الثانية التي يعتبر عهدها من أكثر العهود تسامحاً

(١) نقلا عن كتاب The Soviet Union and The Muslim World.

مع المسلمين قامت بمصادرة مئات الآلاف من أخصب الأراضي في القرم وأعطتها لعشاقها المفضلين بوتمكين وبولجاكوف وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني[1]..

ولم تكتف الحكومات الروسية المتعاقبة بمصادرة أراضي المسلمين وطردهم منها بل قامت أيضاً بمصادرة جميع أملاك الاوقاف الاسلامية التي كانت كبيرة جداً والتي كان ينفق منها على المساجد والمدارس الاسلامية وأعمال الخير[2]...

ورغم التنافس بين الدول الأوروبية على اقتسام العالم الإسلامي ووجود صراعات حادة بلغت حد الحرب السافرة إلا أنهم كثيراً ما كانوا يجتمعون في مؤتمرات باريس ولندن وبرلين وسان استفانيو للاتفاق على تقسيم الغنائم التي لم تكن سوى أرض المسلمين...

وكانت عهودهم مع الدول الاسلامية وخاصة مع دولة الخلافة العثمانية لا تساوي قيمة الورق التي كانت تكتب عليه تلك المعاهدات عندما تحين أول بادرة للغدر وأول فرصة للخيانة..

ومن ذلك عهود بريطانيا مع شاه ايران لمحاربة نيقولا الأول فلما دخلت إيران الحرب ضد روسيا تخلت عنها بريطانيا فجأة وتركتها لقوات روسيا الأكثر عدداً والأحسن عدة.. ثم اتفقوا مع روسيا لاقتسام الغنائم.. وسقطت بذلك المناطق الواقعة شمال نهر الرس (أراكس) في يد روسيا.. وبذلك تمت سيطرة روسيا على كرجستان وأرمينية وأريفان واقليم أرّان (جمهورية أذربيجان السوفيتية الحالية) وذلك سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م). ليس ذلك فحسب بل كان على إيران أن تدفع أيضاً لروسيا تعويضاً مقداره ٣٦ مليون روبل وأن تتنازل عن أي مطالبة

---

(١) نقلا عن كتاب .The Soviet Union and The Muslim World.

(٢) المصدرين السابقين.

بالقوقاس[١]...

وقامت الدول الأوروبية وعلى رأسهم روسيا بتحريض اليونان للثورة ضد الدولة العثمانية[٢] وكانت الدولة العثمانية قد أعادت للإسلام شيئاً من مجده القديم لكن سرعان ما اعتراها الضعف وانغمس كثير من حكامها في الترف وتوالت بين سلاطينها المؤامرات يكيدونها بعضهم لبعض ويقتل الأخ منهم أخاه ويغتال الابن أباه في سبيل الوصول الى سدة الحكم وكرسي الخلافة فتناوشتهم الأحقاد وحقت عليهم كلمة العذاب وتكاثرت عليهم أمم أوروبا تتقاسم أراضيهم وتستلب ممالكهم واحدة إثر الأخرى..

واجتمعت اساطيل أوروبا الصليبية لتدك الاسطول العثماني المصري في معركة نافارين سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م).. وفي العام التالي وصلت جيوش نيقولا الأول أمبراطور روسيا الى أبواب القسطنطينية (اسطمبول) عاصمة الخلافة الاسلامية.. والخلافة مشغولة بحربها مع محمد علي باشا الذي امتدت أطماعه ليستقل بمصر والشام وبلاد العرب في حرب شرسة ضد الخلافة وتمده فرنسا كي يشغل الدولة العثمانية ويساهم في تقويضها حتى يسهل على الدول الغربية بعد ذلك ابتلاعها فتسقط دول المغرب العربي واحدة اثر الأخرى في يد فرنسا وتمتلك بريطانيا مصر وتمد نفوذها الى السودان.... وتتطلع هذه الدول الى الشام تثير فيه الحروب والقلاقل وتصطاد كل دولة منها ما تستطيع اصطياده في ذلك الماء العكر الذي لوثته الخلافات والحزازات والنعرات..

وضاعت اليونان من دولة الخلافة سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م).. واستولت روسيا على مصب نهر الدانوب وامتلكت الشواطىء الشمالية

(١) عن المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق

والشرقية والغربية للبحر الاسود[1].

وفي مؤتمر لندن سنة ١٢٥٦هـ(١٨٤٠م) اجتمعت روسيا وبريطانيا والنمسا وبزوسيا (المانيا) واتفقوا على تقسيم أراضي الدولة العثمانية التي اطلق عليها نيقولا الأول لقب (رجل أوروبا المريض) واحتجت فرنسا على نسيانها في هذه القسمة فأشركوها معهم في الغنيمة في عام ١٢٥٧ هـ (١٨٤١ م)[2]. وامتازت أطماع نيقولا الأول بأنها لا يمكن اشباعها.. وكان نهمه لامتلاك القسطنطينية لا حد له مما اثار مخاوف منافسيه من الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا اللتان اتفقتا على وضع حد لهذه المطامع التوسعية الرهيبة. وقامت حرب القرم المشهورة من سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) الى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) ووقف الانجليز والفرنسيون يحاربون مع الاتراك للحد من مطامع الدب الزوسي.. وما أن انتهت الحرب بانتصار تركيا وفرنسا وانجلترا حتى وقعت معاهدة باريس التي كان الخاسر الوحيد فيها دولة الخلافة.. نعم لقد اتفق الصليبيون مرة أخرى واقتطعت كل دولة منها جزءاً من أرض الخلافة اذ لم يكن غرض الحرب هو مساعدة الاتراك بل ايقاف نيقولا عند حده الذي اراد ان يفوز بالغنائم وحده.. فجاء هؤلاء الانجليز والفرنسيون يحاربونه ليشاركوه في الغنائم.. ويالها من مهزلة مضحكة مبكية.. تخرج فيها الدولة المنتصرة وهي تركيا وقد فقدت أراضيها للدولة المنهزمة وهي روسيا.. وكل ذلك بسبب اخلاص حلفائها (الانجليز والفرنسيين) لها .. ويا له من اخلاص وصداقة لا نزال نعاني منها الى اليوم حيث تقف الدول الغربية الصديقة في كل موقف وقرار مع اسرائيل وضد اصدقائها العرب!! فما أشبه الليلة بالبارحة!!.

واتجهت روسيا بعد هذه الحرب الى آسيا الوسطى بموافقة الدول

---

(١) و(٢) المصدر السابق .The Soviet Union and The Muslim World

الاوروبية الاستعمارية وتم تقسيم الغنائم.. وسمح للدب الروسي أن يحتل ارض البخارى والترمذي والخوارزمي والفارابي وابن سيناء.. وفي عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) احتلت جيوش نيقولا الاول طشقند عاصمة اقليم الشاش الذي أخرج الإمام ابي بكر محمد بن علي القفال الشاشي وفخر الاسلام محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي واحتلت سمرقند عاصمة تيمورلنك التي وصفها ياقوت الحموي بقوله (ليس في الأرض مدينة .. ولا أطيب ولا أحسن مستشرفا من سمرقند)، وذلك في سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م).. وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) تحولت خانية بخاري الى محمية روسية وفي العام التالي لاقت خيوه (خوارزم) نفس المصير.

أما مدينة خوقند (فرغانة) فقد واجهت حملات جنكيز خان الذي بعث من جديد.. وبعد مقاومة شعبية استمرت عاما كاملا قامت قوات القياصرة بدك المدينة بكاملها وابادة سكانها عن بكرة أبيهم الا من استطاع منهم الفرار.. واغتصبت الفتيات المسلمات وامتهنت المقدسات وديست الكرامات.. وسويت مدينة خوقند الباسلة بالتراب..

وسقطت مرو عاصمة اقليم خراسان والتي أخرجت عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل والفضيل بن عياض والآف العلماء - سقطت مرو ونسا وسرخس وبيهق بيد القوات الروسية في الحرب التركمانية التي امتدت من سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) حتى ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م)..

وهكذا سقطت المناطق التي أخرجت لنا الآف العلماء ومئات الأئمة مثل النسائي والسرخسي والبيهقي وغيرهم.. وواجهت ابادة واذابة وتغيرت اسماء المدن واندثرت أخرى تحت الانقاض..

وفرض الروس لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربي وحولوه الى الحرف الكيريلي الروسي.. ومرة أخرى حانت الفرصة للدب الروسي لتوسيع ممتلكاته في اتجاه الغرب عندما حدثت فتنة البوسنة والهرسك

(التي تقع في يوغسلافيا حاليا) والتي كانت خاضعة للخلافة العثمانية فقامت روسيا بإعلان الحرب ضد تركيا في عام ١٢٩٤هـ ٢٤ ابريل (١٨٧٧م) وانتهت الحرب بهزيمة تركيا ومعاهدة سان استيفانو المهينة سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م). والتي بموجبها انفصلت رومانيا عن أملاك الدولة العثمانية وأعلن استقلال الصرب واستولت روسيا على مصب نهر الدانوب وضمته لأراضيها كما استولت على ميناء باطوم الهام على البحر الاسود.. وأصبح بذلك البحر الاسود بحيرة شبه روسية والغريب ان بريطانيا رغم أنها لم تدخل الحرب الا أنها احتجت على تقسيم الغنائم دونها فكان نصيبها جزيرة قبرص التي كانت تابعة للدولة العثمانية حتى ذلك الوقت[١]. والتي خضعت للحكم الاسلامي منذ ان فتحتها القوات الاسلامية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما أرسل معاوية بن ابي سفيان أول غزوة بحرية شارك فيها الصحابي الجليل أبو أيوب الانصاري وبنت ملحان (أم حرام) التي بشرها رسول الله ﷺ بأنها ستركب البحر كالملوك على الأسرة في سبيل الله.. والتي جمحت بها دابتها فماتت في قبرص ودفنت فيها رضي الله عنها[٢] سنة ٢٨هـ. وبموجب اتفاقية سان استيفانو هيمنت روسيا على دول البلقان واعتبرت حامية الارثوذكس..

وعندما أحست روسيا بغيرة الدول الغربية وخاصة بريطانيا والنمسا وألمانيا عقدت معهم مؤتمر برلين واضطرت للتنازل عن بعض غنائمها لرفقائها الاوروبيين..

ولكي تعوض هذه الخسارة قامت بغزو أفغانستان واستولت على

(١) المصدر السابق

(٢) كتاب الجهاد صحيح مسلم شرح النووي وفتح الباري شرح صحيح البخاري أخرجه أيضاً الترمذي وابو داود.

مقاطعتي مرف وبندة عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م[١]))..

وليس الغزو الروسي الحالي لافغانستان هو أول غزو من نوعه.. كلا بل أن سياسة التوسع والغزو سياسة قديمة تمتد الى عدة قرون من الزمان.

وها هم الروس يعيدون بعد مضي قرابة قرن من الزمان احتلال أفغانستان بكاملها بدلا من احتلال مقاطعتين صغيرتين في شمال أفغانستان..

وشاهدت المناطق الاسلامية الواسعة التي احتلتها روسيا القيصرية الثورات المتتالية التي أخمدتها القوات الروسية بكل وحشية.. وقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن هذه الثورات في صلب الكتاب فلا نعيده هنا..

وعندما انهزمت روسيا لأول مرة أمام دولة آسيوية هي اليابان عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) انتعشت آمال المسلمين وظهرت حركة قوية بدأت لدى تتار الفولجا والبشكير والقرم ثم عمت كل روسيا مطالبة بإيجاد دولة اسلامية مستقلة ذاتياً تدير شؤون المسلمين في روسيا[٢]..

وانزعجت دول أوربا لهزيمة روسيا، وبدأ لأول مرة تحالف حقيقي بين روسيا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى..

واتفق قيصر روسيا نيقولا الثاني مع بريطانيا على عدم مد نفوذه من آسيا الوسطى عبر أفغانستان الى الهند التي كانت درة التاج البريطاني بينما تم اقتسام النفوذ في ايران حيث هيمنت روسيا على شمال ايران واذربيجان وأعطيت نفط باكو بينما سيطرت بريطانيا على جنوب ايران ونفط عبدان ومسجد سليمان والكركوك والسليمانية..

---

(١) عن كتاب The Soviet Union and The Muslim World

(٢) عن كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي «تأليف بنجنبسن ولومرسييه.

والكويت والبحرين.

وانزعجت المانيا لقيام الحلف الثلاثي بين روسيا وفرنسا وانجلترا وحاولت أن تكسر هذا التحالف بالاتفاق مع روسيا وهو ما تم فعلا سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) حيث عقدت اتفاقية سرية مع روسيا تسمح بأن تقوم المانيا بانشاء خط حديدي يمتد من اسطمبول حتى بغداد ومن بغداد حتى خانقين وتقوم روسيا بايصال هذا الخط الحديدي من خانقين الى طهران..

ولكن ما لبث الروس أن فضلوا التعامل مع بريطانيا وفرنسا وانضموا إليها في الحرب العالمية الاولى التي اشتعلت في نوفمبر سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م).. واتفق الحلفاء على اقتسام ما بقي من دولة الخلافة العثمانية وتصفيتها تصفية نهائية[(١)]..

ووقعوا في سبيل ذلك اتفاقية سرية في ١٠ ابريل سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) حيث تم فيها توزيع غنائم الحرب مسبقا وأعيد تأكيد هذه الاتفاقية باتفاقية سايكس بيكو التي عقدت في بتروجراد في مايو سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) والتي أعطيت روسيا بموجبها السيطرة على مضايق البوسفور والدردنيل وبحر مرمرة كما وافقت فرنسا وبريطانيا لأول مرة على أن تستولي روسيا على اسطمبول (القسطنطينية) وتعيدها عاصمة للكنيسة الارثوذكسية وأن تحول مسجد أيا صوفيا الى كنيسة كما كان قبل أن يحتلها محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ[(٢)] (١٤٥٣ م).

وللأسف عندما أعلنت الحرب العالمية الاولى كان في جيوش القيصر نيقولا الثاني مليون وخمسمائة الف جندي مسلم أجبروا على قتال اخوانهم المسلمين الأتراك.. وليساهموا في ازالة دولة الخلافة من الأرض وإعادة

---

(١) و(٢) عن كتاب: The Soviet Union and The Muslim World

اسطمبول (اسلامبول) الى اسمها القديم القسطنطينية كي تتردد في جنباتها النواقيس بدلا من النداء الذي يتكرر خمس مرات كل يوم الله أكبر الله أكبر..

وكذلك كان في جيوش بريطانيا وفرنسا مئات الآلاف من المجندين المسلمين المجبرين على قتال أخوانهم.. ومما يدل على ذلك نداء جورج الخامس ملك بريطانيا وامبراطور الهند الذي صدر في ١٣ شباط (فبراير) ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) والذي جاء فيه[١]:

الى أصدقائنا سكان بلاد العرب:

قد علمتم أننا معشر الانجليز لم نخض غمار هذه الحرب الطاحنة ضد ألمانيا الا لأنها اعتدت على الممالك الصغيرة المتاخمة لها وهاجمتها لغير ما ذنب مع انّ ألمانيا نفسها كفلت ضمان استقلال تلك الممالك بالعهود والمواثيق الاكيدة. ولا يغيب عن بالكم ان ألمانيا لما اكتنفتها الاخطار وأحاطت بها الأزمات احتالت بدهائها على الحكومة التركية لتأخذ بناصرها وتشد أزرها. وقد استطاعت أن تصل الى مآربها بفضل المبالغ الطائلة من المال والأماني الكاذبة وكانت ترمي بذلك الى الحصول على أمر بالجهاد من سلطان تركيا ضدنا وضد حلفائنا لأن رايتنا تظل الملايين العديدة من المسلمين الذين انضم الى جيوشنا الآلاف المؤلفة منهم وأصبحوا يحاربون معنا الألمان جنبا الى جنب.. وهي ترجو من وراء ذلك أن ينقلب المسلمون ويكونوا علينا لالنا..

ولا شك أن كل مسلم صميم ملأت العقيدة الاسلامية قلبه يربأ بنفسه من أن يستخف بعقيدته ويكون العوبة في يد دولة أجنبية تجعله قربانا على مذابح مطامعها الأشعبية..

---

(١) حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان

وليس جميع المسلمين من رعايا بريطانيا العظمى وفرنسا والروسية وحليفاتها وحدهم قد أظهروا آيات الاخلاص والولاء بارسال زهرة شبانهم لمساعدتنا في ميدان القتال ضد تركيا وغيرها.. بل ان الطبقة الرشيدة من الأتراك سخطت على سوء سلوك تركيا الى هذا الحد..

ولعل بينكم من يتساءل عن نوايانا بعد أن تطفأ جذوة هذه الحرب فلدفع الالتباس نصرح بما يأتي:

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند قررت انه عند انتهاء الحرب ستجعل من شرائط الصلح ومواده الرئيسية ان تكون شبه جزيرة العرب ترفل في ثياب الحرية وتستعيد رقيها القديم ونضرتها الاولى.. بربكم أفلم يكفكم ذلك؟.

لقد صرح لنا بعض مشايخ العربان برغبتهم في التخلص من يد الاتراك وبعضهم اليوم يشد أزر جيوشنا بجد سيفه.. أما الذين يرغبون فينا منكم ويخافون المجاهرة بما في نفوسهم فإليهم نسوق هذا الحديث..

لا يداخلكم ريب من جانبنا وترقبوا سنوح الفرصة المناسبة فهي آتية لا ريب فيها وعندها تخلعون عنكم رداء الظلم وتنفضون عنكم غبار الاستبداد..وأنا لا نألو جهدا في مد يد المساعدة إليكم. كما انا نعدكم وعدا صادقا بانكم ستصيرون بحول الله وقوته أمة متمتعة بكل معاني الاستقلال..

انتم على شوق الى معرفة نوايانا من جهة دينكم الكريم الا فاعلموا ان الديانة الاسلامية قد احترمها الانكليز أجل احترام وأكبرتها كل الاكبار والتاريخ أكبر شاهد على صدق ما نقول.

ملك بريطانيا وامبراطور الهند (جورج الخامس)

وفي عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) نتيجة الاضطهاد والقهر والتجنيد الاجباري قامت ثورة عارمة في قازاخستان وامتدت الى جميع اراضي

التركستان.. ولكن قوات القيصر واجهتها بكل قسوة وأبادت قرى بكاملها وقبائل بجميع أفرادها حتى تجعلهم عبرة.. ورغم كل أساليب البطش والتنكيل الا أن توالي الأحداث جعل هذه الثورة الشرارة للثورة الأعظم التي شملت كل التركستان والتي امتدت من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) حتى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) والتي عرفت باسم ثورة البسمشتية[١]..

وفي مارس ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) قام الدوما (البرلمان) الرابع بالثورة ضد استبداد القيصر وانهى بذلك حكم القياصرة.. ولكن حكومة كرينسكي لم تغير شيئا من سياسة القيصر بالنسبة لمعاهداتها مع بريطانيا وفرنسا لاقتسام العالم الاسلامي.. ووقفت بصراحة ضد آمال المسلمين في روسيا في ايجاد نوع من الاستقلال الذاتي لهم..

فلما جاء لينين في ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وانقلب على حكومة كرينسكي واجه حربا شرسة من قوات روسيا البيضاء بقيادة كولشاك ودينكين واركينجل الذين ساندتهم بريطانيا والحلفاء بقوة.. ولم يجد لينين أمامه الا الاستعانة بالمسلمين الذين يشكلون اكبر اقلية في الامبراطورية الروسية (٢٥ مليون حسب ما ذكره كتاب الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي و٣٥ مليون حسب ما ذكره شكيب أرسلان في حاضر العالم الاسلامي. وذلك عند بداية الثورة البلشفية).

وعندئذ توجه لينين بالنداءات المتكررة الى المسلمين داخل روسيا يعدهم فيها بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم كما وجه النداءات الى المسلمين خارج روسيا يحثهم فيها على الثورة على بريطانيا خاصة والحلفاء عامة الذين استعمروا العالم الاسلامي وامتهنوا كرامته ونهبوا خيراته وحاربوا دينه.. والغوا شريعته..

(١) عن كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

وكان مما جاء في أول بيان أصدره لينين الى المسلمين[١] (في نوفمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أي بعد شهر فقط من ثورته) يا مسلمي روسيا يا مسلمي الشرق. ايها الرفاق ايها الأخوة:

(ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة.. اننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم.. وان عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها.. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات.. ولكم الحق في ذلك.. واعلموا ان جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة).

واعلن لينين ان الاتفاقيات السرية المعقودة بين روسيا وبريطانيا وفرنسا لاقتسام العالم الاسلامي باطلة ولاغية.. وأن روسيا الثورة لا ترغب في احتلال القسطنطينية بل ستظل القسطنطينية عاصمة للخلافة الاسلامية.. وكذلك أعلن ان اتفاق بريطانيا وروسيا لاقتسام ايران اتفاق باطل ولاغي..

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان رضي الله عنه الذي كان في حوزة القياصرة الى ممثلي مسلمي روسيا في مؤتمر بتروجراد.. وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية والآثار ويبدو أن سياسة لينين الدعائية بلغت حدا من النجاح جعل بعض المسلمين يعتقدون ان ثورة اكتوبر البلشفية هي منحة من السماء لانقاذ المسلمين من الاستعمار الاوربي.. بل وصلت دعاية لينين الى درجة الزعم بأن نظام لينين البلشفي انما يقوم على مبادىء القرآن وشريعة الاسلام[٢]!! لذلك وقف كثير من مسلمي روسيا في صف لينين منذ اللحظة الاولى.. وتبعهم الآخرون مثل زكي فيلدي طوقان قائد البشكير ورئيس أول دولة فيها عندما وجد أن روسيا البيضاء وقائدها كولشاك يرفضون أن يعترفوا

---

(١) و(٢) عن كتاب The Soviet Union And The Muslim World.

للمسلمين بأي حق في الاستقلال الذاتي.. وكذلك فعل حزب (الاش أوردا) في قازاخستان الذي قاتل في صف كولشاك ضد لينين في اول الامر الا انه حول جميع رجاله الى خندق لينين عندما رفض كولشاك الاعتراف لهم بحقهم في تكوين دولة اسلامية ذات استقلال ذاتي.

والوحيدون الذين ارتابوا في وعود لينين هم رجال الملا (علماء الدين) ومريدو الطرق الصوفية الذين كانوا يعتبرون الجميع كفارا تجب محاربتهم وأن الطريق الصحيح هو ايجاد حكومة اسلامية مستقلة غير مرتبطة لا بالبيض ولا بالحمر.. فالكل أعداء الله واعداء المؤمنين.

وهكذا قامت دولة القوقاس المستقلة بقيادة الامام الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو الذي لقبه الروس غوتسنسكي وذلك في صيف ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).. وكان يحارب قوات لينين بنفس القوة التي حارب بها قوات كولشاك .. وقد اشتهرت بطولاته وبطولات رفيقه الشيخ الصوفي اوزن حجي..

ورغم قواته الضئيلة وسلاحه البسيط الا أن هذا الشيخ الصوفي استطاع ان يواجه قوات البلاشفة حتى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) عندما انهزمت قواته امام قوات لينين واستشهد هذا الشيخ المجاهد ورفيقه وكثير من رجال الطريقة النقشبندية..

وفي التركستان قام العلماء وشيوخ الطرق الصوفية بالدعوة الى اقامة الدولة الاسلامية المستقلة في التركستان وبالفعل تكونت هذه الدولة في خوقند وامتدت لتشمل معظم اراضي التركستان ما عدا طشقند التي كانت فيها حامية روسية قوية انضمت بكاملها الى صف لينين وتبعها جميع المستوطنين الروس.. ورغم ان انتماءات هؤلاء المستوطنين كانت اقطاعية وبورجوازية واستعمارية الا انهم وجدوا ان الروس الحمر خير لهم من المسلمين، وهكذا اتفقت الاقطاعية والبورجوازية والنظام

الاستعماري القيصري مع لينين للوقوف في وجه المسلمين في التركستان[١]!!

وقامت قوات لينين والمستوطنون الروس بالهجوم على خوقند في ٥ فبراير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وللمرة الثانية يقوم الروس بدك هذه المدينة الباسلة وإبادة سكانها واغتصاب فتياتها.. وفعلوا من اعمال الوحشية والهمجية ما تتضاءل معه أعمال جنكيزخان وهولاكو[٢]!!.

وامتدت روح المقاومة وارتفعت راية الجهاد يذكيها علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية واستطاعت القوات الاسلامية الضئيلة العَدد القليلة العُدد أن تصد الهجوم البلشفي على بخارى في مارس ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م[٣])..

وانضم الى هذه الثورة انور باشا ناظر الحربية في تركيا (اثناء الحرب العالمية الاولى) فنظم امورها العسكرية أحسن تنظيم بامكانياته البسيطة.. وبنى مصنعا لصنع الرصاص وقاتل حتى استشهد على صهوة جواده مقبلا غير مدبر في يوم عيد الاضحى عام ١٣٤١ هـ (أغسطس ١٩٢٢ م[٤])...

كما انضم الى هذه الثورة زكي فيلدي (والدي) طوقان قائد البشكير ورئيس أول دولة مستقلة في بشكيريا.. والتي قضى عليها لينين بمكره وخداعه[٥]..

وظهرت حقائق لينين واتضحت للمسلمين أكاذيبه ودعاواه وتبدت صورته الحقيقية البشعة حيث قام بحرب ابادة للمسلمين أشد عتوا وجبروتا وعنفا من سياسة القياصرة. ففي عهده الاسود اقام مذبحة القرم ونشر المجاعة في ربوعها حتى أكل المسلمون الكلاب والقطط ثم اكلوا موتاهم.

(١ - ٣) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..
(٤) حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان.
(٥) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

وفي قرغيزيا قام بنفس حرب الابادة ونشر المجاعات.. وفي كازاخستان أباد ثلث السكان فيما يسمى بسياسة التحضير التي فرضها ما بين سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الى سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) وكما يقول بنجيسن ولومرسييه (لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن اختفاء ثلث شعب القازاخ[١]).

واستمرت سياسة لينين في عهد ستالين بصورة أشد بطشا واكثر دموية ففي عهده تم إخلاء جزيرة القرم من جميع سكانها المسلمين ونفي شعب بأكمله الى مجاهل سيبيريا بعد ان قتل منهم مئات الآلاف...

اما بالنسبة للدين الاسلامي فقد واجه حربا شرسة مثلما واجهها في عهد ايفان الرهيب الذي فرض التنصير على المسلمين بالقوة أو الفرار من اراضيهم وأوطانهم... واستمرت تلك السياسة في عهد خلفائه وعلى الاخص في عهد بطرس الملقب بالعظيم وفي عهد نيقولا الأول.. ثم استمرت بصورة أشد وأعتى منذ مجيء الثورة البلشفية التي تظاهرت في اول الامر بأنها ستعطي المسلمين جميع حرياتهم الدينية والسياسية وتحترم دينهم وقرآنهم وشريعتهم ولكن ما أن استتب الامر للينين حتى بدأ سياسة الابادة لكل ما هو اسلامي، ففي العهود البلشفية تم اغلاق وتهديم وتحويل ٦٦٨٢ مسجدا و٧٠٥٢ مدرسة اسلامية في التركستان فقط.. وفي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) تم اغلاق خمسة عشر الف مدرسة إسلامية وستة وعشرين الف مسجد[٢].

ولا يوجد في كل الاتحاد السوفيتي البالغة مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلو متر مربع والذي يبلغ عدد المسلمين فيه حسب آخر احصاء رسمي سوفيتي سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٤٣ مليوناً، لا يوجد

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

(٢) المصدر السابق.

سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن والدين الاسلامي واحدة في بخارى والأخرى في طشقند[1]..

ورغم كل هذه الحرب المريعة المهولة ضد المسلمين في الاتحاد السوفيتي وتعاون الصليبيين واليهود مع الشيوعيين لابادة الاسلام واجتثاث جذوره الا ان الله قد تكفل بحفظ دينه وقرآنه.. فقد أدت سياسة الابادة والاذابة الى ان يتجذر الاسلام اكثر فأكثر وتدرك هذه الشعوب أن هويتها وبقاءها مرتبطان بالاسلام.. ولذا أصبحت كلمة الملة (بمعنى القومية عند الاتراك والفرس) مرتبطة بمفهوم الدين ارتباطا وثيقا، بحيث اصبح الحفاظ على الامة هو الحفاظ على الملة[2] (بمفهومها اللغوي العربي)..

* * * *

وأخيرا لقد بذلت في هذا الكتاب جهدا أرجو المثوبة عليه من الله.. ذلك لانني تصديت لموضوع صعب وشائك ولا يزال يحيط كثيرا من جوانبه الغموض...

ولقد اخترت الاتحاد السوفيتي بأكمله الذي تبلغ مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كم مربع واندفعت خلف المد الاسلامي الى هذه البلاد منذ أن بدأ فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ هـ (٦٣٨ م) وحتى يومنا هذا.. فكان لا بد ان اواجه مصاعب جمة في تجميع المعلومات عن مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي. واذا علمنا ان موسكو ذاتها كانت تحت حكم التتار المسلمين لمدة ٢٤٠ عاما وانها لم تستطع الخروج من سيطرتهم عليها الا في عهد ايفان الثالث سنة ٨٤٥ هـ (١٤٨٠ م) فاننا ندرك مدى امتداد الحكم الاسلامي الذي شمل كل الأراضي المعروفة باسم الاتحاد السوفيتي حاليا.. لقد بدأ دخول الاسلام الى اذربيجان وأرمينية وكرجستان (جورجيا) في عهد عمر رضي الله

(١) و (٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

عنه سنة ١٨ هـ الى سنة ٢٤ هـ (٦٣٨ م - ٦٤٤ م).. وكذلك بدأ فتح خراسان في عهده وبدأ فتح بلاد ما وراء النهر سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م) في عهد معاوية بن ابي سفيان وتم فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٨ - ٩٦ هـ (٧٠٦ - ٧١٤ م) في عهد الوليد بن عبد الملك.. وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان بلغار الفولجا قد دخلوا في الاسلام بواسطة الدعاة الى الله من الصوفية ومريديهم من التجار.. وكذلك فعل أهل تركستان الشرقية..

وما لبث المغول في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أن تحولوا الى الاسلام بعد أن كانوا أعظم نكبة ومصيبة حلت به. وبظهور الحكم التتاري الاسلامي حكم المسلمون كل الاراضي الواقعة اليوم في الاتحاد السوفيتي ابتداء من موسكو وانتهاء بفرغانة مرورا بسهوب الفولجا وقازاخستان وجبال الاورال وفيافي سيبيريا وجبال القوقاس وشواطىء قزوين (بحر الخزر) وشواطىء البحر الاسود ومصب نهر الدانوب والدنيبر..

وكانت الدوافع للكتابة في هذا الموضوع كثيرة وهامة..

أولها: - ان بلادا اسلامية كثيرة لا تزال تقع تحت براثن الدب الروسي وتخدع بدعاواه حول محاربة الاستعمار والامبريالية وتقع فريسة له ومن بينها وطن الكاتب الأول - الذي أصبح يرزح تحت الاستعمار الروسي..

وثانيها: - اننا نجهل جهلا تاما ان الاتحاد السوفيتي بأكمله كان أرضا خاضعة للاسلام وان اغلب مناطقه كانت ولا تزال آهلة بالمسلمين وان الاسلام قد دخلها منذ القرن الهجري الاول..

وثالثها: - ان كثيرا من اعلام الاسلام ودعاته وعلمائه اخرجتهم تلك البلاد وخاصة فيما يعرف بالتركستان فكان من حقهم علينا ان

نترجم لهم ولو بايجاز وننوه بفضلهم ولو باقتضاب.

ورابعها: - أن علماء الاسلام وشيوخ الطرق الصوفية ضربوا أروع المثل في الجهاد والاستشهاد ولقد تآمرت أجهزة الاعلام على تصوير علماء الاسلام وشيوخ الطرق بأنهم خاضعون للاستعمار بعيدون عن روح الجهاد فأحببنا ان نزيح عنهم هذا الحيف ونكشف عنهم هذا الظلم.. ونوضح بعض مآثرهم وصفحات من جهادهم الرائع الذي جعله الله سببا لحفظ الاسلام بل وانتشاره في تلك الديار رغم ما يواجهه من حرب ابادة واذابة دامت عدة قرون منذ عهد جنكيزخان وهولاكو واستمرت في عهود القياصرة ثم ازدادت قسوة وشدة في عهد البلاشفة.

وخامسها: - ان الاستعمار الغربي الاوربي قد عرفنا عداوته للاسلام والمسلمين واستعباده أرضهم وانتهابه خيراتهم.. ولكن كثيرا منا لا يعلمون شيئا عن الاستعمار الروسي وما فعله بالمسلمين فأحببت ان لا يقع مزيد من اوطاننا تحت براثن هذا الدب الخبيث.

ونحن لا ندعو للتحرر من براثن الاستعمار الصليبي اليهودي لنقع في براثن الاستعمار الشيوعي البلشفي..

فكلاهما شر مستطير.. بل كلاهما يختصم ثم يتفق من اجل ابتلاع المزيد من اراضينا وامتلاك ثرواتنا ومقدراتنا ومحاربة ديننا واسلامنا..

وكم رأينا من مؤتمرات عقدت في الماضي بين الدب الروسي ودول اوربا الاستعمارية وخاصة انجلترا وفرنسا لاقتسام ثروات المسلمين وبلادهم.. وكم من مؤتمرات عقدت في هذا القرن بين ستالين وروزفلت وتشرشل وديجول لتقسيم بلاد المسلمين بينهم.. وما مؤتمر يالطا الذي عقد في القرم بعد الحرب العالمية الثانية ببعيد حيث اقتسمت امريكا وروسيا العالم بأسره وعلى الأخص منه بلاد المسلمين.. وها هي المؤتمرات تلو المؤتمرات تعقد بينهم لتحل اي خلاف ينشأ حول هيمنة هذه الدولة

أو تلك.. ونحن غافلون سادرون..

وفي هذا الجو المظلم المكفهر تبرق بارقة أمل وفي هذا الليل الحالك تبزغ تباشير فجر في الافق يحمل رايته شباب وطدوا العزم على الذود عن حياض هذا الدين وفتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ويقيناً. لا يخيفهم اجتماع الاعداء ولا ترهبهم سطوة الظالمين ولا تنال من عزائمهم سياط الجلادين.. ذلك لانهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم ونصروه فنصرهم..

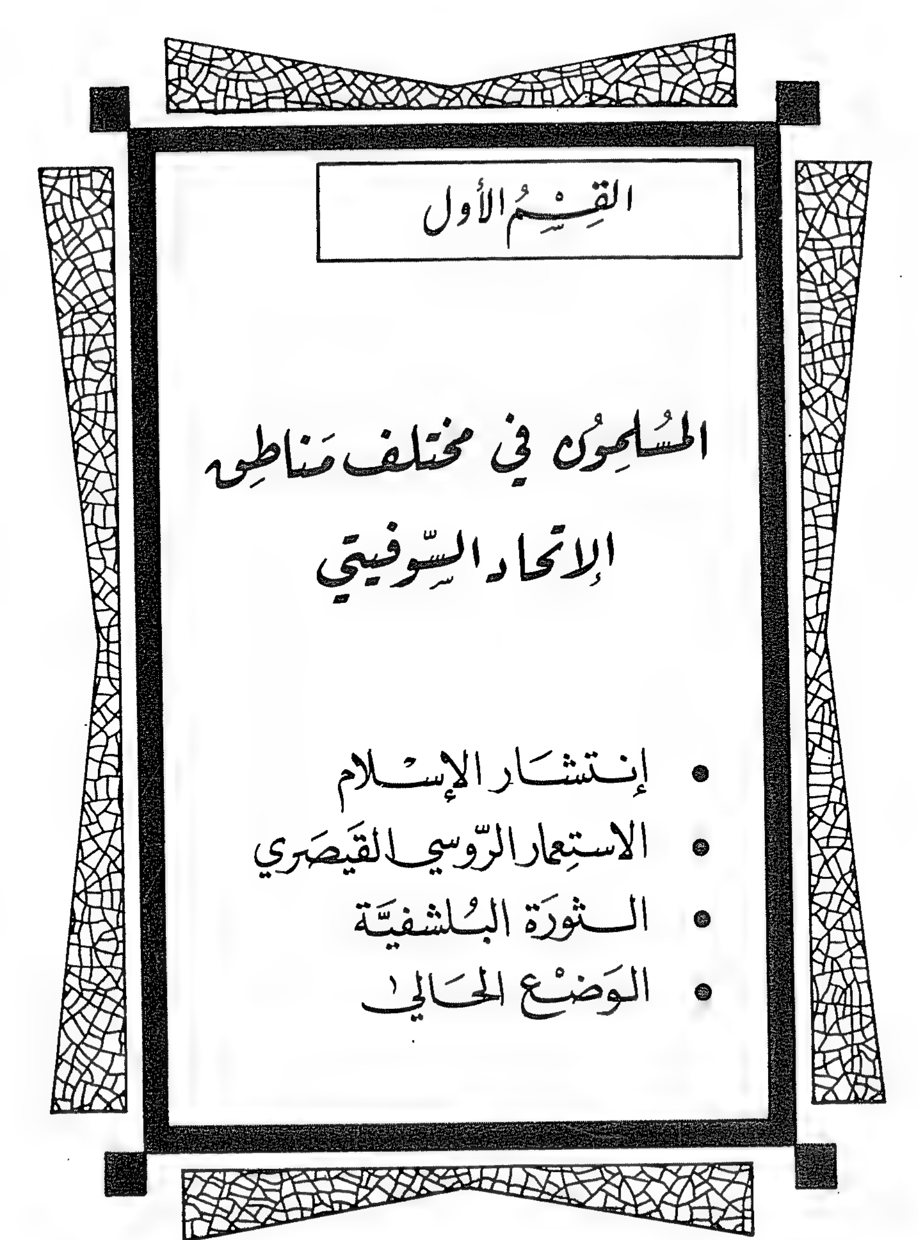
(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)..

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم..

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا.. يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

وان وعد الله صدق وحق.. وان نصر الله لآت ولكن اكثر الناس لا يعلمون...

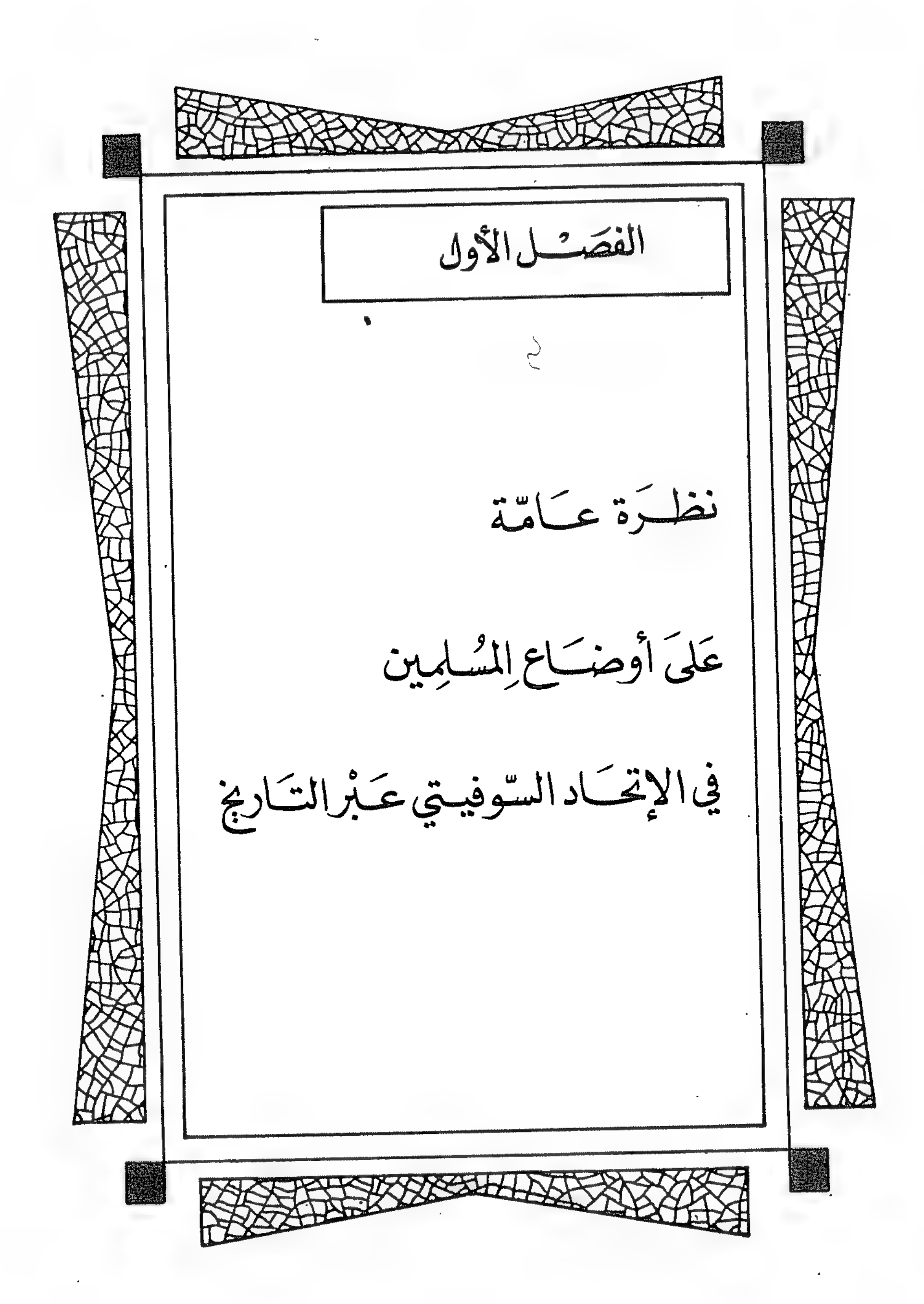
جدة ١٠ رجب ١٤٠٢ هـ



القسم الأول

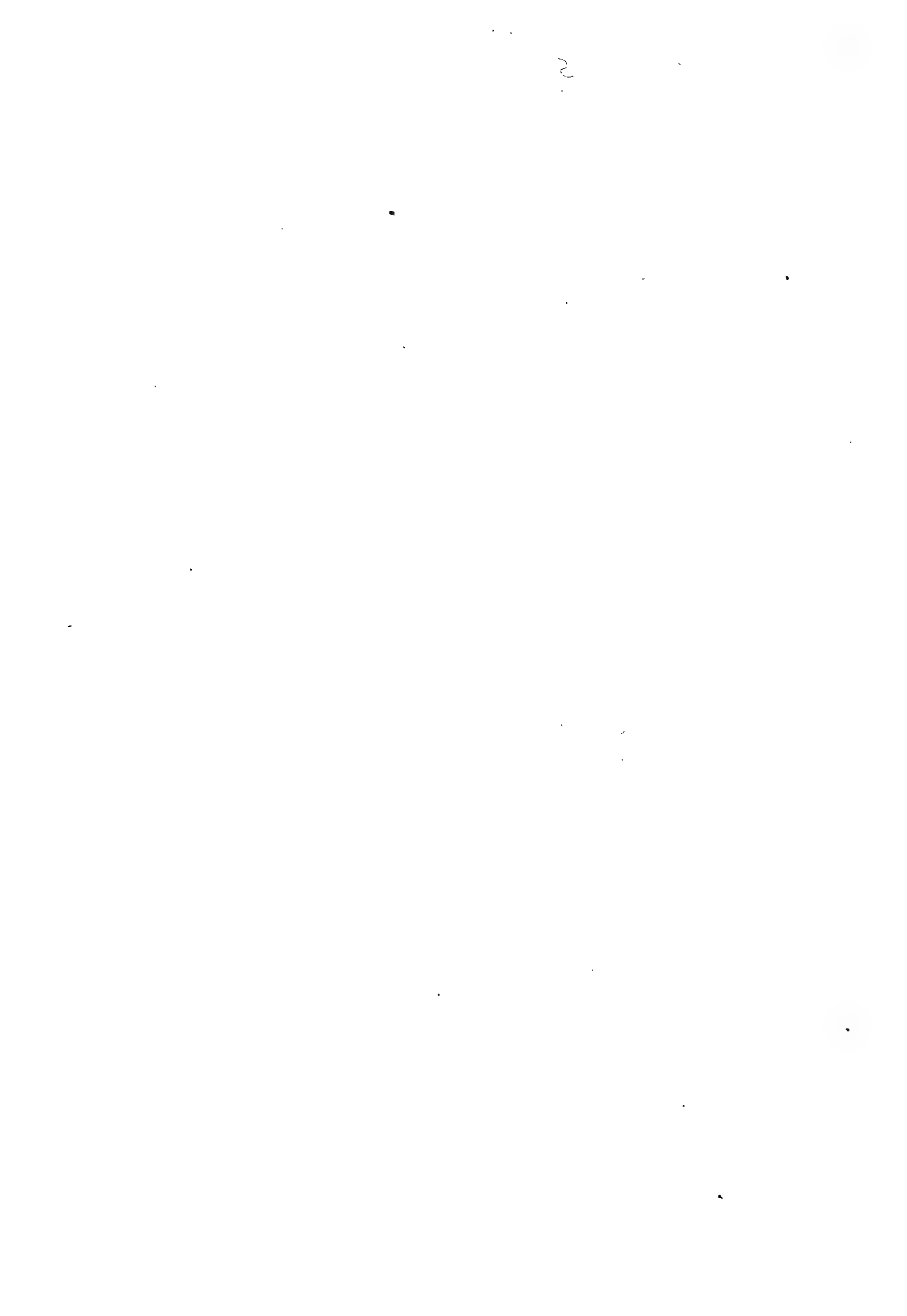
المسلمون في مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي

- إنتشار الإسلام
- الاستعمار الروسي القيصري
- الثورة البلشفية
- الوضع الحالي



الفصل الأول

نظرة عامة
على أوضاع المسلمين
في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ



يعتبر الاتحاد السوفيتي احدى الدولتين العظيمتين في العالم اليوم ومساحة أراضيه أكبر من مساحة أي دولة من دول العالم اذ تبلغ ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كم مربع ويبلغ عدد سكانه ٢٦٢,٠٨٥,٠٠٠ حسب احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) الذين يتزايدون بنسبة واحد في المئة سنويا، (أي أن السكان يقدرون الآن عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) بـ ٢٧٠ مليوناً). ويشكل المسلمون خمس سكانه تقريبا (خمسين مليونا) بينما تشكل الأراضي الاسلامية ما يقرب من ثلث اراضي الاتحاد السوفيتي.. وبذلك يكون الاتحاد السوفيتي خامس دولة من حيث تعداد المسلمين اذ لا يسبقه في ذلك سوى اندونيسيا وبنجلاديش وباكستان والهند..

ويعيش ٧٥٪ من مسلمي الاتحاد السوفيتي في آسيا الوسطى فيما يعرف بالتركستان الغربية (لأن التركستان الشرقية أو سينكيانغ تحتلها الصين الشيوعية).. وقد قسمت التركستان الغربية الى خمس جمهوريات سوفيتية ليس لها من الجمهورية الا اسمها.. والا فهي مقاطعة أو مستعمرة روسية يحكمها مندوبون عن الكرملين ولا يستطيعون ان يتصرفوا حتى في الأمور الداخلية دون الرجوع الى اسيادهم في (الكرملين) وهذه الجمهوريات التركستانية هي: اوزبكستان وقازاقستان (وتكتب ايضا كازاخستان) وتركمنستان وطادجكستان (وتكتب ايضا تادجكستان) وقيرغيزيا (وتكتب ايضا قيرقيزيا)..

دخول الاسلام: وسنتحدث عن هذه الجمهوريات بالتفصيل عند حديثنا عن التركستان عبر التاريخ الاسلامي منذ الفتح الاسلامي الى الغزو الروسي..

وسنذكر جغرافيتها ومناطقها ومدنها ومن ظهر منها من مشاهير

علماء الاسلام بتفصيل واف يشمل معظم فصول الكتاب. ولا يقتصر وجود المسلمين بكثافة على هذه الجمهوريات الخمس وانما يشمل أيضاً جمهورية اذربيجان السوفيتية التي فتحها المسلمون لأول مرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب على يد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان سنة ١٨ هـ - (٦٣٨ م) ثم على يد قائده عتبة بن فرقد السلمي الذي صالحه اهلها فكتب معهم كتاب الصلح الذي يعتبر مثالا لعدل الاسلام وسماحته مع الأمم المغلوبة. وإليك نص العهد الذي أعطاه عتبة بن فرقد السلمي لأهل أذربيجان..

(هذا ما أعطاه عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن (أي شيخ طاعن أو مريض مرضا مزمنا) ليس في يديه من الدنيا.. لهم ذلك ولمن سكن منهم.. ومن حسر منهم في سنة (أي لم يستطع الدفع في ذلك العام) وضع عنه (أي ترفع عنه الجزية تلك السنة)..

ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك. ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ الى (حرزه). كتب سنة ١٨ هـ.. (٦٣٨ م) ولقد ذكرنا هذه المعاهدة ها هنا لنرى الفرق الشاسع والبون الهائل بين ما أبداه المسلمون من تسامح وعدل تجاه الأمم المغلوبة.. وما أبداه الروس بعد ذلك من ضروب الوحشية وقهر المسلمين واذلالهم وفرض النصرانية عليهم وتشريدهم من أوطانهم.. ولننفي ما يدعيه الكتاب الغربيون وآخرهم مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفيتي اللذان يدعيان ان الاسلام انما دخل بواسطة الغزو الحربي أولا وانه فرض على السكان فرضا بحد السيف.

ولا يقتصر وجود المسلمين في الاتحاد السوفيتي على هذه الجمهوريات

الست وان كانت هذه الجمهوريات اكثرها كثافة بالسكان المسلمين..

ويكثر المسلمون في مناطق كثيرة من القفقاس والمجرى الاوسط لنهر الفولجا وجبال الاورال وسيبيريا بل وروسيا الوسطى وروسيا البيضاء وليتوانيا.. ولذا فلا توجد منطقة ما في أراضي الاتحاد السوفيتي ليس فيها مسلمون سواءً قلوا أم كثروا..

لقد دخل الاسلام الى أذربيجان وأرمينية وجورجيا (جنوب جبال القوقاس وغرب بحر قزوين أو بحر الخزر وشمال ايران) في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٨ - ٢٤ هـ) (٦٣٨ - ٦٤٤ م) كما دخل الاسلام الى خراسان وهي مقسمة الآن بين تركمنستان السوفيتية وايران وأفغانستان على يد الأحنف بن قيس في عهد عمر رضي الله عنه.. وكذلك فتحت أراضي الديلم وطبرستان في عهده. (١٨ - ٢٤ هـ) (٦٣٨ - ٦٤٤ م).. وفي عهد عثمان رضي الله عنه توطدت هذه الفتوح ووسعت لتشمل شمال أفغانستان وفي عهد معاوية عبر الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م) نهر جيحون وفتح بلاد الصغانيان (في جمهورية أوزبكستان حاليا) وكان بذلك أول من عبر نهر جيحون (أموداريا) من المسلمين وتوالت الفتوح بعد ذلك ففتح عبيد الله بن زياد بخارى وبيكند سنة ٥٥ هـ (٦٧٤ م) ثم جاء بعده سعيد بن عثمان ففتح سمرقند وفي تلك المعركة استشهد قثم بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ.. وتم كل ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان..

وفتح موسى بن عبد الله بن خازم ترمذ (موطن الامام ابي عيسى الترمذي) سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلي الذي يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر.. ووطد الاسلام في تلك البقاع من ٨٨ هـ (٧٠٦ م) الى ٩٦ هـ (٧١٤ م).. ووصلت جيوشه الى حدود الصين وخضع له امبراطور الصين وبعث له بالجزية وبطشت كبير فيه تراب

الصين ليطأه برجله ويبر قسمه الذي قطعه على نفسه (بأن يطأ أرض الصين بقدمه). وفتح كشغر.. ووطد اركان الدولة الاسلامية فيما يعرف اليوم بتركستان الغربية أي أوزبكستان وتركمنستان وطادجكستان وقيرغيزيا..

وآنتشر الاسلام بعد ذلك فيما يعرف اليوم بتركستان الشرقية على يد الدعاة الى الله من الصوفية.. ودخل ستوق بغراخان ملك الترك الشرقيين في الاسلام وتبعه مليون شخص في القرن الرابع الهجري ٣٢٣ هـ (٩٣٤م) وانتشر الاسلام بواسطتهم وبواسطة التجار على طول نهر الفولجا.. أو ما يعرف بطريق الفراء لأنه كان الطريق الذي تم فيه تجارة الفراء كما انتشر الاسلام ايضا بواسطة هؤلاء الدعاة الى الله من الصوفية واتباعهم من التجار على طول طريق الحرير الذي يمتد من البحر الاسود غربا حتى الصين شرقا..

وقد ترك لنا العالم والمؤرخ المشهور ابن فضلان وثيقة تاريخية هامة تصف رحلته التي قام بها بأمر الخليفة العباسي المقتدر سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١م) الى بلاد البلغار.. عندما جاء وفد من سكان بلغار الفولجا الى الخليفة العباسي وأخبروه باسلامهم واسلام من وراءهم وطلبوا منه أن يرسل لهم مجموعة من العلماء لتعليمهم الدين كما طلبوا منه مجموعة من المهندسين والمستشارين العسكريين ليبنوا لهم الاستحكامات والحصون والقلاع العسكرية لأنهم محاطين بأمة همجية تدعى الروس لا يعرفون دينا ولا ملة وغارقون في الوحشية.. وقد سجل ابن فضلان خط رحلته من بغداد مرورا بإيران ثم بخارى ثم خوارزم ثم كيف عبروا شمالا في اتجاه نهر الفولجا حتى وصلوا الى ملك البلغار المسلم ألمش بن يلطوار.. ووصف في اثناء رحلته التي استغرقت احدى عشر شهرا كلما صادفه من أشياء غريبة أو مهمة.. وذكر لنا أنه اصطحب معه الى جانب الفقهاء والمهندسين والاطباء سوسن الروسي مولى نذير الحرمي وتكين

التركي وبارس الصقلبي ورسول الصقالبة المسلم. وترك لنا وصفا دقيقا عن الأمة الهمجية التي تدعي روسيا أو الروسيا ومعناها الأمة الشقراء والذين لم يكن يتجاوز عددهم مائة الف.. (يبلغ اليوم تعدادهم ١٣٧ مليونـا حسب احصـاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .ووصفهم ابن رستـه والمسعودي وابن فضلان وابن بطوطة بأنهم أشر خلق الله وأنهم شقر الابدان صفر الشعور طوال القامات ضخام الاجسام مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهاراً وربما مات الواحد منهم والقدح في يده، شديدو البأس شجعان لا يعرفون الهزيمة ولا يولي الرجل منهم حتى يقتل أو يُقتَل واذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوهم أو يستبيحوا نساءهم وأولادهم ويسترقونهم.. (وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة).

واذا مرض الواحد منهم ضربوا له خيمة وطرحوه فيها حتى يشفى أو يهلك لا يزوره أحد منهم ولا يتعهده بالرعاية. واذا مات الرجل منهم أحرقوا معه جاريته وخاصة اذا كان من أهل الرياسة.. واذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم انا فاذا قال ذلك وجب عليه.. فيأخذون الجارية ويغنون ويرقصون ويدخل عليها ستة نفر من أهله ينكحونها واحداً بعد الآخر ثم يشدون وثاقها ويذبحونها..

ولهم لغة ودين وشريعة لا يشاركهم فيها احد.. يعبدون اوثانا ونصبا من خشب[1].. ثم تطورت بعد ذلك أحوال الروس ودخلوا في المسيحية الارثوذكسية وصاروا حماتها وسندتها بعد أن سقطت القسطنطينية (اسطمبول) على يد السلطان العثماني العظيم محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ

(١) مقال للاستاذ حسين أحمد أمين في مجلة العربي بعنوان نزهة الافئدة والنفوس في معرفة احوال الروس عدد ٢٧٧ ورسالة ابن فضلان تحقيق د. محمد سامي الدهان.

(١٤٥٣ م) ولكن همجيتهم وشجاعتهم ووحشيتهم وادمانهم الخمر لم تفارقهم الى اليوم..

وانتشر الاسلام على طول نهر الفولجا بواسطة الدعاة الى الله والتجار بين بلغار الفولجا ثم انتشر بعد ذلك انتشارا عظيما على يد القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي ابن جنكيز خان والتي اسلم أميرها بركة خان سنة (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م)..

وأصبح نهر الفولجا بأكمله نهرا اسلاميا وكانت حاضرتهم مدينة السرا التي زارها ابن بطوطة في رحلته المشهورة ٧١٥ هـ (١٣١٤ م) وفي ذلك العهد المبكر كانت قازان واستراخان والكفابل وشبه جزيرة القريم (كريميا) كلها اسلامية.. وعرف سكان هذه المناطق باسم التتار وهم في الواقع من القبيلة الذهبية المغولية ومن بلغار الفولجا المسلمين اختلطوا وتزاوجوا.. ثم ظهر تيمورلنك وخضعت له جميع الأراضي المعروفة اليوم باسم الاتحاد السوفيتي كما خضعت له بولندا ايضا..

وكان سلاطين التتار يحكمون نهر الفولجا بأكمله ابتداء من قازان القريبة من موسكو الى استراخان الواقعة بالقرب من بحر قزوين (بحر الخزر) كما قاموا بنشر الاسلام في بلاد البشكير ويقول الكاتبان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه في كتابهما » (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) « فمنذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) اصطحب التجار والسفراء العرب معهم دين النبي محمد الى مملكة البلغار القائمة على المجرى المتوسط لنهر الفولجا.. ومع انتهاء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كانت هذه المنطقة قد أصبحت في معظمها وقفا على الاسلام الذي انطلق في القرنين التاليين ليعبر جبال الاورال ويمتد في بلاد البشكير.. وبفضل التجار المسلمين عربا كانوا أم فرسا أم اتراكا تسرب الاسلام أيضاً الى سهوب بلاد الكازاخ (كازاخستان) شمال

نهر سرداريا (سيحون) ومنها صعد في جبال قيرغيزيا حتى وصل الى سينكيانغ (تركستان الصينية)»..

«وفي مستهل القرن الثالث عشر الميلادي ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م)حلت بالعالم الاسلامي كارثة عظمى هي كارثة الغزو المغولي التي اتخذت مظهرا صليبيا بتعاون البابا مع جنكيز خان وأولاده لسحق العالم الاسلامي.. وهنا نشطت الفرق الصوفية لانقاذ الاسلام واسبغت عليه طابعا أكثر اتصالا بالجذور الشعبية»..

«وتحول الغازي المغولي من مستأصل للإسلام الى مدافع عنه وناشر له عندما اهتدى سلاطين القبيلة الذهبية في بداية القرن الرابع عشر للاسلام (الواقع في عهد بركة خان في القرن الثالث عشر الميلادي) مما أعطى الاسلام زخما جديدا أوصله الى شبه جزيرة القرم وسهوب روسيا الجنوبية (شمالي البحر الاسود وبحر قزوين) وسيبيريا الغربية.. وامتدت هذه المرحلة من الانتشار الاسلامي حتى القرن السادس عشر الميلادي».

«وقد دخلت قبائل النوغاي في الاسلام في القرن الثاني عشر الميلادي وأدخلته الى منطقة القفقاس الوسطى.. وما انتهى القرن الخامس عشر الميلادي حتى كانت قبائل الكابارد والبلكار والشركس والكراتشاي قد دخلت جميعها في الاسلام».

وبهذا يتضح ان الاسلام لم يكن منتشراً فحسب في آسيا الوسطى (بلاد ما وراء النهر) أو التركستان منذ القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) بل كان منتشراً في أذربيجان وجنوب القوقاس ايضا منذ القرن الهجري الأول..

ولم يأت القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الا وقد صار بلغار الفولجا مسلمين وكذلك كان أيضاً سكان التركستان الشرقية..

المسلمون يحكمون روسيا وموسكو ذاتها لمدة ٢٤٠ عاما: وباسلام المغول في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وخاصة أمراء وأفراد القبيلة الذهبية انتشر الاسلام على طول نهر الفولجا وأصبح هذا النهر من منبعه الى مصبه تقريبا نهرا اسلاميا خالصا.. وكذلك انتشر الاسلام في جبال الاورال وعلى طول نهر الاورال ايضا.. ودخل الاسلام الى بشكيريا وتتاريا والى المناطق التي تسكنها القبائل النورماندية مثل ماري وموردوف وأدمورت وتحولت جميعا الى الاسلام.. وأصبحت شبه جزيرة القريم (كريميـا) جزيرة اسلاميـة.. وظهرت المـدن الاسلاميـة العظيمة المشهورة في بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند وترمذ وخوارزم وفرغانة وطشقند.. كما ظهرت مدن أقل شهرة منها ولكنها ايضا ذات تاريخ مجيد في الاسلام مثل قازان واستراخان والسرا واوفا ومدينة البلغار ومدينة الكفا والقرم وسرادق وباغجة سراي في شبه جزيرة القرم.. ومنذ عهود مبكرة كانت دربند (باب الابواب) وباكو وكنجة وبرذعة وبيلقان في أذربيجان مدنا اسلامية لها دور يذكر في التاريخ الاسلامي.

وأصبحت مدينة سيبير في سيبيريا الغربية والتي منها أخذ اسم سيبيريا عاصمة اسلامية منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)..

وتعتبر مدينة ابركوتسك الصناعية في سيبيريا مدينة اسلامية.. أما منغوليا موطن المغول الاول الذين ظهر منهم جنكيز خان وسلالته فإن ما يقرب من نصف سكانها مسلمون.. ويقع جزؤها الغربي تحت سيطرة روسيا اما جزؤها الشرقي فتسيطر عليه الصين الشعبية. وقد اسلم هؤلاء المغول منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وظهر منهم كثير من الاسر الحاكمة الاسلامية التي سيطرت على جميع اراضي الاتحاد السوفيتي الحالية وأراضي تقع حاليا تحت سيطرة الصين الشعبية.

وتعتبر مدينة اولان باتور في منغوليا السوفيتية من المدن الاسلامية ذات التاريخ العريق. وكانت هذه الامارات التترية (المغولية) تحكم أجزاء واسعة مما يعرف اليوم باسم الاتحاد السوفيتي ولم يكن امير موسكو ينصب الا بعد استئذان سلطان قازان المسلم وقد ظلت موسكو خاضعة لسيطرة التتار المسلمين لمدة ٢٤٠ سنة.

ظهور الامبراطورية الروسية واحتلال مناطق التتار المسلمين

ونتيجة للخلافات بين هذه الامارات التترية وانقسامها ضعف شأنها وبدأ في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي تكون الدولة المسكوبية (نسبة الى موسكو) وقد تكونت هذه الإمارة الروسية في القرن الحادي عشر الميلادي بعد أن تحولوا الى المسيحية الارثوذكسية في عهد فلادمير سلافيتش سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨م) وانتشرت فيهم المسيحية تدريجيا حتى شملت معظم قبائلهم وأصبحوا بعد سقوط القسطنطينية بيد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) ممثلي الكنيسة الشرقية بكاملها ورفعوا لواء الصليبية الحاقد ضد المسلمين.. وبدأ ايفان الثالث جد ايفان الرهيب سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠م) هذه الحرب الصليبية معلنا بذلك انتهاء سيطرة التتار المسلمين على موسكو التي دامت ٢٤٠ عاما، وذلك عندما رفض دفع الجزية لأحمد خان سلطان قازان وقامت الحرب بينهما وانهزم المسلمون وانتصر الروس في تلك المعركة وقام البابا يحث أمير موسكو فاسيلي الثالث (والد ايفان الرهيب) باشعال الحرب المقدسة ضد المسلمين ولكنه ترك هذه المهمة لولده ايفان الرهيب.*

وبظهور إيفان الرهيب الذي تميز بالدهاء والقوة العسكرية وشدة الحقد على المسلمين بدأت تلوح نهايات الامارات الاسلامية التترية.. واستطاع إيفان الرهيب أن يكتسح قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢م) وبعد خمس سنوات استطاع إيفان هذا أن يحتل المركز الثاني للتتار المسلمين

وهي استراخان وذلك سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وبذلك أصبح نهر الفولجا خاضعاً لسيطرة إيفان..وقام إيفان بحرب ابادة للتتار المسلمين وفرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما فعل الاسبان بمسلمي الاندلس ومثلما تفعل اسرائيل بمسلمي فلسطين (بصورة أشد مكراً وأكثر دهاء) وذلك بعد مرور ستين عاماً فقط من احتلال الاسبان لغرناطة..

واتجهت قوات إيفان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) الى بشكيريا التي كانت قد تحولت الى الاسلام منذ قرنين من الزمان واحتل عاصمتها مدينة أوفا الشهيرة..

ومثلما فرض على تتار الفولجا التحول الى المسيحية أو الهجرة كذلك فرض إيفان على البشكير التحول الى النصرانية أو الهجرة من أراضيهم وهكذا تحول بعض تتار الفولجا الى النصرانية وعرفوا منذ ذلك الوقت باسم ستارو كرياشن وكذلك تحول بعض البشكير الى النصرانية ولكن ما أن اتيحت الحريات الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) إلا وظهر هؤلاء التتار والبشكير على حقيقتهم وظهروا كمسلمين حافظوا على اسلامهم في السر مدى ثلاثة قرون شهدوا فيها من الاضطهاد الديني والوحشية والهمجية ما هو جدير بأمة متوحشة همجية هي أمة الروس التي وصفها لنا ابن فضلان قبل أكثر من الف عام في رحلته الى بلاد البلغار، والتي أوردنا نتفاً منها فيما مر معنا. أما التتار الذين اجبروا على التحول الى المسيحية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، فقد عرفوا باسم (نوفوكرياشن) وكان عددهم أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة فقد عادوا الى الاسلام بمجرد السماح بالحريات الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).

واستطاع إيفان الرهيب أيضاً أن يوسع رقعة مملكتة الى أرض الجوفاش المجاورة لتتاريا وذلك سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) كما ضم اليها

أرض الموردوف والادمورت والماري ورغم ان سكان هذه المناطق كانوا من القبائل الفنلندية الوثنية الا أن مجاورتهم للتتار المسلمين جعلت الاسلام ينتشر بينهم.. فلما استولى إيفان الرهيب على أراضيهم فرض عليهم النصرانية بحد السيف فلما انقشعت الغمة قليلا في عهد كاترين في القرن الثامن عشر الميلادي اعلنوا اسلامهم. ومع ما يتسم به عهد كاترين من التسامح الديني النسبي الا انها لم تسمح لهم باقامة المساجد على اعتبار انهم كانوا وثنيين ثم اصبحوا نصارى ولم يكونوا من قبل مسلمين ولم يستطيعوا ان يجاهروا بإسلامهم الا في عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عندما سمح بالحريات الدينية لفترة وجيزة. واستطاع قياصرة روسيا ان يحتلوا سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) واتجهت بعد ذلك القوات الروسية جنوباً صوب القوقاس.. وكانت القوقاس تتبع تارة الدولة الصفوية الشيعية وتارة تتبع الخلافة العثمانية.. وكانت الحرب بين هاتين الدولتين المسلمتين على اشدها مما أضعفهما جميعاً وجعل أراضيهما لقمة سائغة لاطماع روسيا القيصرية. وقد استطاعت القوات الروسية القيصرية ان تحتل القوقاس بعد حرب دامت منذ عام ١١٩١ هـ (١٧٧٥ م) الى ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) واستمرت بعد ذلك المناوشات والمعارك الجانبية حتى عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) عندما اعترف نادر شاه حاكم إيران بسلطة روسيا على القوقاس وعندئذ قام الامراء المحليون بمقاومة الغزو الروسي ولكنهم اضطروا للخضوع بعد أن اكتسحتهم قوات روسيا القيصرية وعندئذ قام قاضي القضاة الملا محمد الكمراوي بإعلان ردة امراء داغستان الذين استسلموا لحكم روسيا القيصرية والف كتاباً سماه (إقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغستان).
وكان القاضي ملا محمد الكمراوي عالماً فقيهاً زاهداً مجاهداً فنشر روح الجهاد وتسمى باسم الغازي محمد واستطاع أن يلحق بالقوات الروسية بعض الهزائم وبقي في ميدان الجهاد من سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) الى

سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) حيث استشهد في ميدان القتال فخلفه تلميذه الامير حمزة الخنزاجي وهو أحد الامراء القليلين الذين تابعوه ورفعوا راية الجهاد حتى استشهد بعد عام.. وجميعهم من قبيلة أوار الداغستانية اللزكية الذين لا يتكلمون ويكتبون الا باللغة العربية.

وتولى الامر بعدهما الإمام العالم الرباني تلميذ القاضي ملا محمد الصوفي الشهير الشيخ محمد شامل.. واستطاع هذا الإمام ان يجاهد القوات الروسية القيصرية ويلحق بها كثيراً من الهزائم في بطولة نادرة رغم أن معظم سلاحه كان مما يغنمه من القوات الروسية وافتتح من القوات الروسية جميع القلاع والحصون المنيعة التي كانوا قد استولوا عليها وذلك في معارك طاحنة خلال عامي ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) و ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) ووقف في وجه روسيا لمدة خمسة وعشرين عاماً بسلاحه القليل وعتاده البسيط حتى نفذت ذخائرة أو كادت.. ولما اضطر الى ترك المدن والحصون والقلاع لاذ بالجبال يناوشهم منها لمدة عشر سنوات أخرى وفي عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) خرج الى تركيا بعد أن سقط جميع رجاله وفقد جميع ما لديه من سلاح بسيط ومؤن.. ومن تركيا توجه الى المدينة المنورة حيث مات ودفن في بقيعها عام ١٢٨٩ هـ (١٨٧١ م)...

والقاضي ملا محمد وتلميذه الشيخ شامل هما من الطريقة النقشبندية التي كان لها أعظم الأثر في اذكاء روح الجهاد والمقاومة ليس في القوقاس فحسب بل في جميع الاراضي الاسلامية التي وقعت تحت سيطرة الروس.. وهكذا نرى روسيا القيصرية تحتاج الى ١٣٧ سنة لإخضاع القوقاس لسيطرتها من سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) الى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م).

الاحتلال الروسي لآسيا الوسطى:

وتوالى زحف القياصرة على المناطق الاسلامية في القرن التاسع عشر.. وكانت أطماع نيقولا الأول في أرض الخلافة العثمانية وخططه للاستيلاء على اسطمبول (القسطنطينية) عاصمة الخلافة وتحويلها الى عاصمة للارثوذكسية المسيحية قد واجهت معارضة فعلية من بريطانيا وفرنسا.. بل أدى الخلاف على تركة (رجل أوروبا المريض) (وهو الاسم الذي أطلقه نيقولا الأول على تركيا) الى قيام حرب القرم المشهورة والتي دامت من سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) الى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م).. فقد قامت بريطانيا بتحريض السلطان العثماني على أن يقف ضد الاطماع الروسية وقدمت له المواثيق والعهود بامداده بالاسلحة والجنود.. ولكن بريطانيا وفرنسا تقاعستا عن وعودهما للسلطان حتى تم لنيقولا الأول (قيصر روسيا) الاستيلاء على مناطق واسعة من أراضي الخلافة العثمانية.. عندئذ تحركت قواتهما لايقاف المزيد من الابتلاع الروسي واعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب ضد روسيا في ٢٧ مارس سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٤ م) وفي سبتمبر من نفس العام دخلت قوات فرنسا وبريطانيا وتركيا الى القرم وسقطت مدينة سيفاستوبول بعد حصار دام سنة الا خمسة عشر يوماً.. وانتهت الحرب بهزيمة روسيا وبعقد معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) حيث أعيد تقسيم الغنائم بين فرنسا وبريطانيا وروسيا.. وكان الخاسر الوحيد في هذه الحرب كما في الحروب التي سبقتها ولحقتها مع الدولة العثمانية هم المسلمين واراضيهم.

وعندما رأت روسيا أن أطماعها في أوروبا (العثمانية) تصطدم باطماع الدول الغربية رفع وزير الخارجية الروسي الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) (أي بعد انتهاء حرب القرم مباشرة) تقريراً يوضح فيه أن مستقبل روسيا التوسعي الاستعماري ليس في أوروبا بل

في آسيا ووافق القيصر على هذه السياسة واتجهت جحافل الجيوش الروسية بعد اخضاع القوقاس واخماد ثورة الشيخ شامل سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) الى آسيا الوسطى..

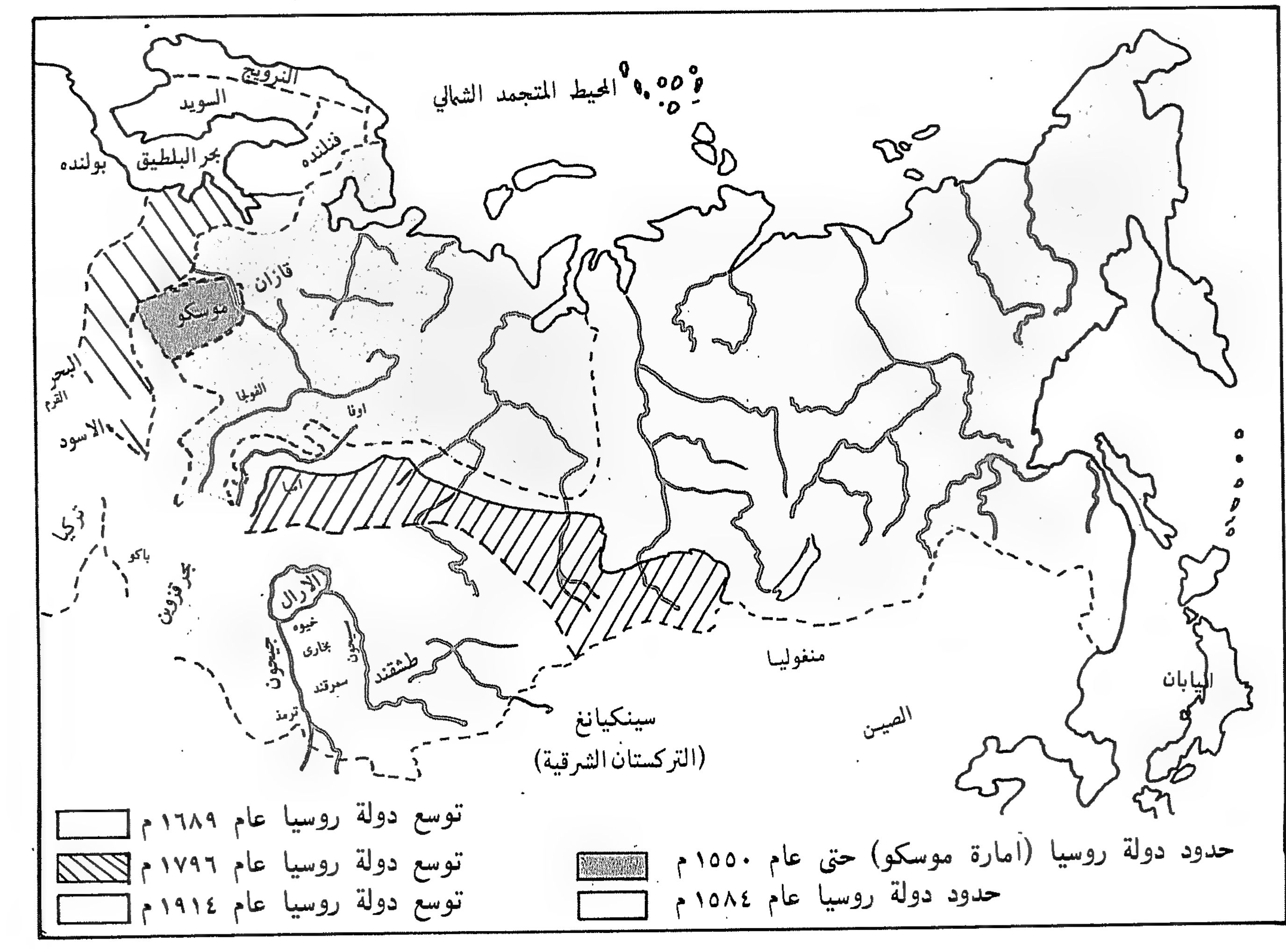
وكان الدافع الثاني لاحتلال اراضي التركستان هو نمو الرأسمالية الروسية وبحثها عن مستعمرات تستورد منها المواد الخام الرخيصة.. واسواق تتقبل المنتجات الروسية وكانت صناعة النسيج الناشئة في روسيا تبحث عن مصدر للقطن الرخيص كما تبحث عن أسواق لتوزيع هذه المنتجات..

وفي آسيا الوسطى (التركستان) وجدت روسيا بغيتها.. فما أن تم لها الاستيلاء عليها حتى قامت بتحويل مناطق شاسعة من التركستان لزراعة القطن الامريكي ولا تزال التركستان حتى يومنا هذا تمثل أكبر بلد لزراعة القطن في العالم بعد الولايات المتحدة الامريكية.

لقد بدأ احتلال آسيا الوسطى باحتلال طشقند عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وتكوين ادارة التركستان العسكرية وتوالى سقوط المدن والخانيات التركستانية ففي عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) سقطت سمرقند وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) فرضت روسيا حمايتها على خانية بخاري وفي السنة التالية أي سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) على خانية خوارزم.. وفي عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) توجهت القوات الروسية الى خانية خوقند.. وواجه الروس مقاومة شعبية مذهلة مما جعلهم يجمعون أكبر قواتهم ويدكون المدينة دكاً ويبيدون أهلها عن بكرة أبيهم عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م).. وهذا يذكرنا بما كان يفعله جنكيزخان عندما كان يجد مقاومة شعبية فكان رده عليها هو ازالتها من الوجود...

وسقطت مرو وعشق آباد ومناطق التركمان في حروب متصلة دامت من سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) الى ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) وأظهرت القبائل

خريطة توضح التوسّع الرّوسي في أراضي المسُلمين على مَدى السّنين



التركمانية مقاومة عنيفة في وجه المحتل الروسي.

واكتمل فتح التركستان بوصول القوات الروسية الى هضبة بامير سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م).. ومنذ ذلك الحين وضعت التركستان تحت ادارة عسكرية روسية بينما احتفظت خانية بخارى وخانية خيوه (خوارزم) باستقلال ذاتي تحت الحماية الروسية التي كانت تتصرف في الشئون السياسية والخارجية والدفاعية للبلاد.

ويقول بنجيسين ولومرسييه في كتابها (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «يمكن تسمية السياسة العامة التي طبقت في التركستان استعمارية صرفة». وحاولت السلطات الروسية أن تعزل التركستان عزلا تاماً عن تأثيرات الحركات الاستقلالية في البلاد الاسلامية وخاصة تتار الفولجا وكتب الجنرال كاوفمان أول حاكم عام روسي على التركستان يقول «على آسيا الوسطى أن تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى الأمر الذي لا بد أن يمنع في هذا الاقليم أي امكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين...»

وكما يقول المرجع السابق «ظل التركستانيون، سليلو تاريخ مجيد ومدنية تعود الى الفي سنة، خاضعين لسياسة تمييز عنصري وديني تذكر بسياسة التمييز الحالية في اتحاد جنوب افريقيا الى أن جاءت الثورة الروسية».

واصبحت التركستان مرتعاً خصباً للاستعمار الروسي الذي لم يعد في حاجة الى وسطاء تتار واصبحت اراضي التركستان الخصبة ملكاً للمستوطنين الروس. الذين حولوها الى مزارع للقطن الذي يمد مصانع النسيج الضخمة التي قامت في روسيا. تماماً مثلما فعل الانجليز عندما حولوا مصر والسودان الى زراعة القطن لتمد مصانع النسيج في لانكشاير ويوركشاير وبرمنجهام.

أما القرم فقد سقطت بيد قوات الامبراطورة كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) وفي عهدها تم الاستيلاء على شمال القوقاس (انظر خريطة التوسع الروسي في الاراضي الاسلامية).

ورغم التوسع الرهيب في أراضي الامبراطورية الروسية على حساب بلاد المسلمين ورغم ما واجهه المسلمون من إرهاب وتعذيب وحملات ابادة وحملات تنصير إلا أن المسلمين استطاعوا أن يصمدوا ضد هذه التيارات القوية. وكان حامل لواء المقاومة في هذه الحركات رجال الطرق الصوفية وعلى الأخص الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية.. ونتيجة نفوذ الدولة العثمانية وارسالها الدعاة فإن الاسلام انتشر بين الشراكسة وفي بلاد الإنجاز ومنهم الاباظة الذين ظهر منهم الكاتب الصحفي فكري أبـاظـة والشاعر عزيز ابـاظـة الـذين توطنوا مصر واشتهروا فيها وقد استطاع هؤلاء الدعاة ان يوقفوا جهود القياصرة في تنصير المسلمين بل واستطاعوا أيضاً أن يكسبوا أنصاراً جدداً عندما دخل الادجاريون والكابارد في شمال القوقاز وسكان انجازيا والاوستين في الاسلام في بداية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

وكما يقول المؤلفـان بنجيسن ولومرسييـه في كتـابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) في هذه الحقبة الطويلة من التاريخ عاشت الشعوب التركية والقفقاسية محنة قاسية وعانت صراعاً مريراً ومستمراً للحفاظ على تراثها الروحي والبقاء كشعوب متميزة ولقد نجحت في كفاحها نجاحاً كاملا.. اذ خرج الفاتح (الروسي) مهزوماً من المجابهة فيما اندمج الاسلام المضطهد بعنف اندماجاً تاماً بثقافة هذه الشعوب وتقاليدها واصبح النواة الأكثر عمقاً لهويتها القومية.. فالشعوب المسلمة في روسيا ظلت وقبل كل شيء ورغم تغير الاحوال السياسية والعسكرية منتمية الى دار الاسلام.

وفي عهد كاترين التي كانت متسامحة مع المسلمين نسبياً والتي سمحت للتتار بالعودة الى قازان (بعد ان شردوا منها في عهد ايفان الرهيب وخلفائه) وذلك في عام ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) ثم منحتهم الحرية الدينية سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) وأعطتهم حق بناء مساجدهم ومدارسهم لأول مرة في تاريخ روسيا القيصرية..

في هذه الفترة كان تتار الفولجا قد انتشروا في اصقاع آسيا الوسطى وسهوب بلاد القازان وفي بلاد البشكير وقاموا بدور التاجر المسلم النشيط الذي لم يكن همه نشر تجارته فقط بل نشر دينه أولاً.. وعلى يد هؤلاء التتار التجار ومشايخهم من اصحاب الطرق الصوفية انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في القرن الثامن عشر. وقام مريدو الطريقة النقشبندية وشيوخها في القوقاس الشمالي بالدعوة الى دين الله في بلاد التشتشان (الشاشان) وبلاد الشركس والاباظة.. وذلك منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي.. وعندما حلت الهزيمة بالشيخ شامل – أشهر شيوخ الطريقة النقشبندية سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) ظهرت أيضاً في القفقاس الشمالي الطريقة القادرية وأخذت تجذر الاسلام في صفوف الفلاحين وعامة الشعب كما أخذت على عاتقها مقاومة المستعمر الروسي وسياسته التنصيرية كما قامت بحملة دعوة في صفوف النصارى أنفسهم وان كان ذلك يؤدي بالداعي الى حبل المشنقة أو الإعدام بالرصاص فور اكتشافه.

وعندما أعلن الدوما (البرلمان الروسي) الحرية الدينية الكاملة سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عاد التتار الذين فرضت عليهم النصرانية في القرن السادس عشر الميلادي في عهد ايفان الرهيب والمعروفون باسم ستارو كرياشين والتتار الذين أجبروا على التنصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والمعروفون باسم نوفوكرياشين – عادوا جميعاً الى الاسلام.. وكان عدد النوفوكرياشين عند عودتهم الى الاسلام أكثر من

ثلاثمائة ألف شخص.. أما الاستارو كرياشين فقد جاوزوا المائة ألف نسمة.

وفي فترة الهدوء النسبي من سنة ١٣٢٣الى ١٣٤٧هـ (١٩٠٥ - ١٩٢٨م) انتشر الاسلام بين الفلنديين الشرقيين الذين يعيشون شمال نهر الفولجا من الموردوف والأدمورت والماري..

طبيعة الحكم الروسي:

ورغم أن قانون سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) أعطى جميع الشعوب الموجودة في روسيا القيصرية الحرية الدينية التامة إلا أن الحكومة الروسية عندما رأت اندفاع الاسلام وهو يعيد جميع المرتدين ويفتح آفاقاً جديدة بقوة وفعالية أذهلت الروس.. أصدر القيصر نيقولا الثاني قرارا بحل الدوما (البرلمان الروسي) وتعديل قانون الانتخاب بحيث يقل عدد الممثلين المسلمين من ٣٥ شخصاً في الدوما الثاني الى ستة وذلك في يونيه سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م).. وأصدر رئيس الوزراء ستوليبنين سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) منشوراً يوضح فيه سياسة روسيا القيصرية تجاه المسلمين في أحسن فترة مرت بالمسلمين والتي تعتبر قمة التسامح الديني الذي حصل عليه مسلمو روسيا ومع هذا فهو يقول:

(أن الصراع القائم بين العالمين المسيحي والاسلامي لم ينشأ لسبب ديني فقط بل علينا أن ندرك أنه صراع له طبيعة سياسية وثقافية دولية. وهنا يكمن بالتأكيد السر في النجاح الذي أحرزته الدعوة الاسلامية في الآونة الأخيرة. وان لنجاح هذه الدعوة في وطننا روسيا لخطورة كبرى.. اذ أن مسلمي روسيا وان كانوا ينقسمون فيما بينهم الى شعوب وقبائل مختلفة تتحدث بلهجات تختلف عن بعضها بعض الاختلاف الا اننا يجب ان لا ننسى اطلاقاً انهم جميعا من أصل تركي واحد يتحدث الجميع نفس لغته).

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) أي بعد عام واحد فقط على منح الحرية الدينية أرسل وزير الداخلية الروسي الى مجلس الوزراء تقريرا يحذر فيه من اعطاء المناطق الاسلامية حرية تكوين جمعيات سياسية ودينية ويأمر بالقاء القبض على دعاة هذه الحركات واعتبارهم خارجين على القانون بتهمة انهم جواسيس وعملاء لدولة الخلافة العثمانية.. وفعلا قامت السلطات بتصفية جميع الأحزاب الاسلامية التي تكونت عامي ١٣٢٣ و١٣٢٤ هـ (١٩٠٥ و١٩٠٦ م) مثل حزب الاتفاق الاسلامي وحزب برك وحزب تانغ تشيلار وحزب ملّي فرقة..

وفي بداية القرن العشرين سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) انهزمت روسيا لأول مرة من دولة آسيوية هي اليابان وأدى ذلك الى زيادة التعاون بين روسيا وفرنسا وبريطانيا.. وتكون لأول مرة التحالف الفرنسي الروسي ثم تبعه التحالف الانجليزي الروسي عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م).. واتفق قيصر روسيا نيقولا الثاني مع بريطانيا على عدم مد نفوذه من آسيا الوسطى الى الهند التي كانت درة التاج البريطاني.. بينما تم الاتفاق على اقتسام النفوذ في ايران حيث هيمنت روسيا على شمال ايران بينما هيمنت انجلترا على جنوب ايران وفي مقابل بترول باكو لروسيا أخذت بريطانيا بترول عبدان ومسجد سليمان على الخليج (العربي[1]).

وانزعجت المانيا لقيام الحلف الثلاثي بين روسيا وفرنسا وانجلترا وفي عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م)، عقدت المانيا اتفاقية سرية مع روسيا تسمح فيه روسيا بمد الخط الحديدي بين بغداد واسطمبول وتسمح بامتداده من بغداد الى خانقين. بينما توافق المانيا على نفوذ روسيا في ايران وتقوم روسيا بمد الخط الحديدي من خانقين على الحدود الايرانية العراقية الى طهران.

(١) نفضل تسميته الخليج الاسلامي بعداً عن المنازعات القومية الفارسية والعربية.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) اضطرت تركيا الى الانحياز الى صف دول المحور (المانيا - ايطاليا) لأنها قد عرفت نية الحلفاء في اقتسام اراضيها والقضاء عليها قضاء مبرماً.

روسيا والحلفاء يقتسمون العالم الاسلامي

وفي ١٠ ابريل ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) أبرمت الاتفاقية السرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا والتي تم فيها اقتسام العالم الاسلامي بين هذه الدول الثلاث.. ولأول مرة توافق فرنسا وبريطانيا على ان تحتل روسيا اسطمبول وأن تسيطر على مضيق البوسفور وبحر مرمرة والدردنيل كما تعطي روسيا حق الهيمنة على جميع أراضي آسيا الصغرى.. والجزر الصغيرة التابعة لبحر مرمرة.

أما اتفاقية سايكس بيكو التي وقعت في بتروجراد في مايو سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) فقد تم بموجبها تقسيم تركة تركيا في آسيا حيث أعطيت بريطانيا العراق وفلسطين وأعطيت فرنسا سوريا ولبنان.. وجعلت لبريطانيا الهيمنة على الدول العربية التي ستقوم في الجزيرة العربية وأعيد تأكيد سيطرة فرنسا على المغرب والجزائر وتونس كما اعيد تأكيد سيطرة بريطانيا على مصر والسودان وعدن والكويت ودول الخليج..

وفي يوليه ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) وقعت روسيا اتفاقية مع اليابان لاقتسام الصين وبقيام الثورة الروسية في اكتوبر سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) فضحت هذه الاتفاقيات السرية وأعلنت على الملأ.. واستطاعت بريطانيا وفرنسا اللتان خرجتا منتصرتين من الحرب ان تحققا المكاسب المتفق عليها بينهما بينما كان الوضع في روسيا قد انقلب رأساً على عقب نتيجة قيام ثورة اكتوبر سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م).

بعض العوامل التي أدت الى مساندة المسلمين لثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م)

عند قيام ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) كان عدد المسلمين ٢٥ مليونا تقريبا حسب ما ذكره كتاب (الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي) لايفار سبكتور بينما ذكر شكيب أرسلان في (حاضر العالم الاسلامي) انهم كانوا ٣٥ مليونا موزعين على ١٦ منطقة وتقول المصادر الرسمية الروسية بأن الحكومات القيصرية قد قامت بمصادرة أخصب أراضي المسلمين في سيبيريا، وقازان وعلى طول مجرى نهر الفولجا والقوقاس وعبر القوقاس والقرم (كريميا) والتركستان وفي خلال القرنين السابقين لثورة اكتوبر صادرت حكومات القياصرة المتعاقبة ٤١،٦٧٥،٠٠٠ دياستين (ادياستين = ٢،٧ فدان)؛ من أخصب أراضي المسلمين أي اكثر من مائة مليون فدان[١].

وواجه تتار القرم على وجه الخصوص حملات التنكيل والمصادرة.. ففي عهد كاترين ١١٧٦ - ١٢١١ هـ (١٧٦٢ - ١٧٩٦ م) قامت كاترين بمصادرة مئات الآلاف من أخصب أراضي تتار القرم واعطتها لعشاقها المفضلين بوتمكين وبولجاكوف وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني.. وفي عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) هاجر من تتار القرم مائة الف الى تركيا بعد ان صودرت أملاكهم وأراضيهم.. وفي عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) بعد حرب القرم كذلك فر الآلاف الى تركيا. وفي عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) اضطر خمسون الف تتاري قرمي الى الهجرة في مواجهة سياسة الترويس التي اتبعتها حكومة نيقولا الثاني لتتار القرم.

ولم تكتف الحكومات القيصرية بمصادرة جميع الممتلكات الخاصة للتتار المسلمين وخاصة في القرم بل قامت كذلك بمصادرة جميع أملاك

---

(١) كتاب الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي تأليف ايفارسبكتور.

وأراضي الأوقاف التي كانت كبيرة جداً وينفق من ريعها على آلاف المساجد والمدارس وأعمال الخير..

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى امتلأت شوارع المدن التركية بالمهاجرين التتار الذين عرفوا باسم المهاجرين الروس.

وعند قيام الحرب العالمية الأولى كان في صفوف جيوش القيصر نيقولا الثاني مليون ونصف المليون من الجنود المسلمين الذين أجبروا على قتال الالمان والأتراك في حرب هدفها إزالة تركيا مركز الخلافة من الوجود والاستيلاء على اسطمبول (القسطنطينية) وتحويلها مرة أخرى الى عاصمة للمسيحية الارثوذكسية وإعادة الصليب الى كنيسة أياصوفيا التي حولها محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) الى مسجد عندما فتح القسطنطينية..

والغريب حقاً انه رغم الاضطهاد القيصري ورغم انهم يحاربون دولة الخلافة إلا أن هؤلاء المسلمين حاربوا دون اظهار أي عصيان في صفوف قوات القيصر على الأقل حتى عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)...

وفي ٢٥ يونيه ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن (١٩ الى ٤٣) من القازاخ والأوزبك واليغور والتتار والتركمان القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية. مما أدى الى ثورة المسلمين في آسيا الوسطى.. وفي سبتمبر ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) قررت الحكومة القيصرية التصدي لهذه الثورة بأشد أنواع البطش والتنكيل.. ورغم كل أساليب البطش البربرية التي اتبعت إلا أن توالي الأحداث جعل هذه الثورة تستمر فعلا حتى قيام ثورة الباسمشتيه. وفي مارس ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) قام الدوما (البرلمان) الرابع بالثورة ضد استبداد القيصر وتكونت الحكومة المؤقتة برئاسة الأمير ليفوف وكرينسكي ونادت بقيام روسيا الليبرالية الديمقراطية.. ومع هذا

فقد أعلنت هذه الحكومة موقفها المعارض لاعطاء أي نوع من الاستقلال لمسلمي الاتحاد السوفيتي كما انهم استمروا في الحرب العالمية ضد تركيا ووافقوا على المقررات السرية التي عقدها القيصر نيقولا مع فرنسا وبريطانيا لاقتسام العالم الاسلامي وابتلاع معظم الأراضي التركية بما فيها اسطمبول (القسطنطينية). أي أنها كانت على نفس خط الدول الاستعمارية الغربية.

ولكن ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) قلبت الموازين.. وعندما اتجه الحلفاء وخاصة بريطانيا لنجدة حليفتها حكومة روسيا (البيضاء) سارع لينين الى فضح الاتفاقيات السرية التي عقدتها بريطانيا مع فرنسا وروسيا لاقتسام أراضي المسلمين..

بيان لينين الأول الى المسلمين

وأصدر لينين أول بيان له الى مسلمي روسيا والشرق بعد شهر من استيلائه على السلطة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م). وحاول فيه أن يتقرب الى المسلمين ويصور لهم أن ثورته البلشفية ليست الا في صالحهم. وانه يقف معهم ضد الاستعمار الغربي. ويعترف بحريتهم واستقلالهم بل ويدافع عن اسلامهم وقرآنهم.. يقول لينين: «يا مسلمي روسيا.. يا مسلمي الشرق أيها الرفاق.. ايها الأخوة:

«ان احداثا عظيمة تحدث الآن في روسيا. ان العهد الدموي (الحرب العالمية الأولية) الذي بدأ بسبب أطماع الاستعماريين والامبرياليين في ارضكم قد قارب النهاية.. وتحت ضربات الثورة الروسية فان النظام الاستعبادي الاستبدادي يتقوض بناؤه الآن. وان حكم الطغاة والمستبدين ومصاصي دماء الشعوب يقترب من أيامه الأخيرة الآن. وان عالما جديداً يولد الآن. عالم العمال والأحرار وعلى رأس ثورة الفلاحين والعمال يقوم مجلس الشعب الممثل بالقوميسار الروسي..

«ان عهد الرأسماليين والامبرياليين يتداعى وان الأرض تميد من تحت ارجلهم وتشتعل الثورة من تحت اقدامهم..

«وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت اليكم يا مسلميّ روسيا والشرق الذين استرقكم الاستعمار واستلب أموالكم وأراضيكم.

«يا مسلمي روسيا، يا تتار الفولجا والقرم يا ايها القرغيز وسكان سيبيريا والتركستان يا سكان القوقاس الأبطال وقبائل الشاشان وسكان الجبال الأشداء.. انتم يا من هدمت مساجدكم وحطمت معابدكم.. ومزق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم.. وابادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم..

«ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة.. اننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم وان عاداتكم وتقاليدكم حزة لا يمكن المساس بها.. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات.. ولكم كل الحق في ذلك.. واعلموا ان جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة.. ورجالها والعمال والفلاحين والجنود وممثليهم.. لهذا نطلب منكم تأييد الثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية.

«يا مسلمي الشرق.. يا مسلمي ايران وتركيا وبلاد العرب والهند.. انتم يا من تاجر مصاصو الدماء الاوربيون المستعمرون بحياتكم واوطانكم وحرياتكم لعدة قرون من الزمان.. انتم يا من يتآمر عليكم هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشعلون نار الحرب لتكونوا اتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم.

«أما نحن فنعلن بأعلى صوتنا أن الاتفاقيات السرية التي ابرمت بين روسيا القيصرية وبين فرنسا وبريطانيا الاستعماريتين والتي بموجبها اقتسموا اراضيكم ايها المسلمون، واستلبوا ثرواتكم ونهبوا

خيراتكم، نعلن انها باطلة.. ونعلن ان خطط القيصر المخلوع وحكومة كرينسكي التي أزاحها الشعب للاستيلاء على القسطنطينية (عاصمة الخلافة الاسلامية) باطلة ولاغية.

«ان حكومة جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون انهم ضد احتلال أراضي الغير بالقوة.. ونعلن ان القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين..

كما نعلن ان الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام ايران بينهما لاغية وباطلة.. ونعلن اننا سنسحب قواتنا من ايران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية.. ونضمن استقلال ايران الكامل. واننا نعلن ايضا اننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينية منها وأن هذه الاتفاقيات السرية باطلة ولاغية.

«ليس من روسيا ايها المسلمون - سيأتي استعبادكم بل من الدول الأوروبية الاستعمارية..من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لا يأتيكم منها إلا الدمار وفي مقابل ذلك كله يقتسمون ما بقي من أرضكم وثرواتكم وكأنكم وبلادكم غنائم الحرب المنتظرة.

«ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة الذين سرقوا ثروات بلادكم واستعبدوا أوطانكم.. نعم ثوروا الآن في هذا الوقت الذي تشتعل فيه الثورة وينهدم فيه بنيان الطغيان والاستبداد ويتقوض فيه نظام الاستعمار..

«ثوروا فان أي شرارة الآن ستكون حريقا يلتهم بنيان الطغيان والاستبداد والاستعمار. ان الهنود المسلمين الذين ذاقوا الذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى. ويرفضون أن يبقوا حول اعناقهم الأغلال التي غلتهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان.

«اليوم لا يمكن السكوت على هذا الظلم وعلى هذا الاستعباد.. انه وقت الثورة ضد المستعمرين الانجليز الغاصبين لأوطانكم المحاربين لدينكم المستبيحين لمقدساتكم الناهبين لثرواتكم..

«الآن يا أيها الرفاق والأخوة هو الوقت المناسب للثورة ولصنع مستقبلكم الحر الباسم بأيديكم.

«تقدموا ايها المسلمون لتحرير أوطانكم وارفعوا اعلام ثورتكم فان اعلامنا وبنودنا قد رفعت من أجل حرية المستعبدين والمظلومين.

«يا مسلمي روسيا ويا مسلمي الشرق هلموا الينا.. الى طريق الحرية والعدالة لنبني هذا العالم من جديد على أسس الحق والخير والعدل.

التوقيع
جوزيف ستالين
فلادمير لينين

من كتاب:

The Soviet Union and the Muslim World.

خداع لينين للمسلمين

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان رضي الله عنه الذي كان في حوزة دولة القياصرة الى ممثلي المسلمين في مؤتمر بتروجراد.. كما قام بتسليم عدد كبير من الوثائق التاريخية والآثار الاسلامية الهامة التي كان قد استولى عليها القياصرة.. وأعادها الى مسلمي القرم والقوقاس والتركستان.. وأعاد مسجد كارافان ساريا في اورنبرغ وبرج سومبكي في قازان الى المسلمين بعد أن كان القياصرة قد صادروهما في السابق..

قام لينين بهذه الخطوات حتى يوهم المسلمين انه في صفهم ومعهم وليؤكد لهم أن ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) ليست على غرار ثورة مارس التي سبقتها والتي اهتمت بتكوين دولة روسية ليبرالية مع احتفاظها بجميع اراضي المسلمين دون اعطائهم سوى الفتات من حقوقهم..

ولقد وصلت دعاية لينين بين المسلمين الى درجة الزعم بأن النظام السوفيتي البلشفي انما يقوم على مبادىء القرآن والشريعة الاسلامية!!

ومن الواضح الجلي عند الدراسة المتأنية لبيانات لينين وستالين الى المسلمين أن ثورة اكتوبر البلشفية كانت ترى انها لكي تنجح لا بد أن تستغل المسلمين وتجعلهم في صفها حتى تنتصر على قوات كولشاك ودينكين واركينجل الذين كانوا يقودون قوات روسيا البيضاء يساندهم في ذلك بقوة قوات انجلترا والحلفاء.. كما ان اثارة القلاقل لبريطانيا في الهند وايران والعراق وتركيا أمر له أهمية بالغة بالنسبة لأمن الثورة في مراحلها الأولى..

ولقد بلغت الدعاية البلشفية مبلغاً كبيراً من النجاح بين المسلمين حتى اعتقد كثير من المسلمين بأن ثورة اكتوبر هي منحة من السماء لانقاذ المسلمين من الاستعمار الأوربي وخاصة الاستعمار الانجليزي.

لقد بلغ من ذكاء لينين ومكره وخداعه أن تحدث في مؤتمر العمال والجنود للبلاد الروسية المنعقد من ٣ - ١٦ يونيه سنة (١٩١٧ م) ١٣٣٦ هـ (أي قبيل ثورة اكتوبر) قائلا: «اذا كان للثورة الديمقراطية في روسيا أن تبقى ديمقراطية بالفعل وليس بالكلام فقط فان عليها ان تتحرك بالثورة الى الأمام لا الى الاتفاق مع الرأسماليين على السلام بدون احتلال أو غرامات على الشعوب المهضومة بل الى أن نعلن بكل صراحة أن احتلال أي أرض ليس الا اجراء بربريا واجراميا وبهذا نحمي آلاف الملايين من الشعوب المنكوبة من نير الدول الامبريالية. واننا نرفض تقسيم القوقاس وايران بين الدول الكبرى».

وهكذا كان لينين يبدو حتى قبيل ثورة اكتوبر كمناد باستقلال الشعوب الواقعة تحت الاستعمار سواء كان ذلك استعماراً انجليزيا أم فرنسيا أم روسيا..

واعتقد المسلمون في روسيا ان لينين واقف معهم من أجل استقلالهم الكامل داخل الأراضي الروسية ذاتها تماماً كما يقف من أجل استقلال جميع الأقطار الاسلامية من ربقة الاستعمار الأوروبي.

واستمر لينين يصدر البيان تلو البيان الى المسلمين في روسيا والعالم لكي يساندوا ثورته ويقوموا في وجه اعدائه وخاصة بريطانيا التي كانت تحتل اجزاء واسعة من العالم الاسلامي.. وكانت باحتلالها ايران ومساندتها للأمير كولشاك ودينكين واركينجيل الذين كانوا يشعلون الحرب داخل روسيا ضد لينين تقف من لينين وثورته موقف العداء الكامل.

ومن آخر هذه البيانات التي وجهها لينين الى المسلمين بيانه الصادر عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) الذي جاء فيه:[١] «يا مسلمي العالم الذاهبين ضحايا الاستعمار استيقظوا استيقظوا!! ان روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية. تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تتمشى عليها حكومتنا السابقة.. ان روسيا اليوم تمد يدها اليكم لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال الاستعباد والاستبداد البريطاني!

ان روسيا تطلق لكم الحرية الدينية وتعترف بحدود بلادكم المعروفة ولن توافق على اعطاء رقعة من البلاد التركية الى الأرمن.. وتبقى مضايق البوسفور والدردنيل في ايديكم.. وتظل القسطنطينية (اسطمبول) عاصمة العالم الاسلامي.. ويمنح المسلمون في روسيا الاستقلال التام!!.

ان ما نطلبه منكم لقاء هذا هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين الذين دأبهم ومبتغاهم استنزاف بلادكم واستلاب ثرواتكم واستعباد اوطانكم ».

بل لقد استمر لينين في دعايته الكاذبة المتملقة للمسلمين حتى بعد ان ظهرت حقائق سياسته وبدأ يحتل كثيراً من المناطق الاسلامية.. وقام الكومنترن بتوجيه الدعوة الى المسلمين في كافة مناطقهم ليحضروا مؤتمر باكو الذي قرر انعقاده في ١ سبتمبر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) والذي تولى رئاسته اليهودي زينوفيف (أحد أقطاب الشيوعية اليهود والذي تولى رئاسة مجلس السوفيت الأعلى فيما بعد). وقد جاء في الدعوة التي وجهت في اغسطس سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) لحضور هذا المؤتمر..

«أيها العمال والفلاحون في ايران. ان رجال الحكومة القاجارية (وهي الأسرة الحاكمة التي سبقت مجيء الضابط رضا بهلوي) في طهران

---

(١) «حاضر العالم الاسلامي» للأمير شكيب أرسلان.

ما برحوا جميعا يستلبون اموالكم واراضيكم طيلة قرون عديدة.. وان الأراضي التي هي ملككم بحق صريح على مقتضى الشريعة الاسلامية قد امتلكها لصوص حكومة طهران.. وها هم يبيعون البلاد لبريطانيا بمبلغ بخس ومقداره مليوني جنيه فقط لكي يقوم البريطانيون بامتصاص دمائكم واهدار كرامتكم ومحاربة دينكم..

« أيها الفلاحون في العراق.. قد أعلنت بريطانيا ان بلادكم مستقلة ولكن هناك ثمانين الف جندي بريطاني يحتلون بلادكم وينهبون ثرواتكم ويلوثون شرفكم ويهتكون حرمات نسائكم ويمسون كرامة دينكم!!

« أيها الفلاحون في الأناضول: ان الحكومات البريطانية والفرنسية والايطالية قد احتلت القسطنطينية وجعلوها تحت افواه المدافع. وطفقوا يمتهنون كرامة السلطان ويعاملونه معاملة الأسير الرقيق وفرضوا عليه ان يسلمهم مالية البلاد لينزفوا ثرواتكم ويمتصوا دماءكم.. وها هم قد استولوا على مناجم هرقلية واحتلوا موانئكم وهم الآن يسوقون الجيوش لاجتياحكم..

« أيها الفلاحون في سوريا وبلاد العرب ان بريطانيا وفرنسا وعدتاكم بالاستقلال التام ولكن ها هي جيوشهما تحتل بلادكم وتدنس أرضكم وتهزأ بعقيدتكم ودينكم.. ويسنون لكم الأنظمة والقوانين التي تتعارض مع شريعتكم!! »

وينتهي البيان بدعوتهم الى الحضور الى باكو قائلا: « استخفوا بمصاعب السفر وجوبوا القيافي والقفار حتى تصلوا الى هذا المكان المقدس!! الذي فيه تستطيعون العمل في سبيل احياء ماضيكم المجيد واقامة شرائع دينكم القويم.. أقدموا علينا لنعمل في سبيل نجاتكم وخلاصكم من رق العبودية ان كنتم تريدون حياة الحرية والعدل والمساواة[١] »

---

(١) مجلة الازفستيا الصادرة ٣٥ يوليو ٩٢٠ م كماينقلها عنها كتاب « الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي ».

المسلمون يصدقون وعود لينين

وصدق المسلمون وعود لينين لهم بالحرية الدينية وبالاستقلال التام وناصروا ثورته وقامت الثورة في كل المناطق الاسلامية فأعلن القوقاز ثورتهم بقيادة الإمام الداغستاني نجم الدين غوتسو الذي عرف عند الروس باسم نجم الدين غوتسنسكي وذلك في نهاية ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وكان هذا الإمام ايضا من شيوخ الطريقة النقشبندية التي اخرجت مئات الألوف بل ملايين المجاهدين وعلى رأسهم الإمام الشيخ محمد شامل وشيخه الإمام القاضي ملا محمد المشهور بالغازي محمد الكمراوي والأمير المجاهد حمزة الخنزاجي الذين قادوا ثورة القوقاس من سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) الى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) وهي التي أخرجت أيضاً الإمام خليفة محمد علي الذي قام بثورته ضد القياصرة سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) في فرغانة (الواقعة على نهر سيحون) (سرداريا) في المنطقة الواقعة اليوم في جمهورية اوزبكستان السوفيتية). كما كانت هذه الطريقة هي التي أخرجت الشيخ منصور أشرمة قائد أول ثورة ضد الغزو الروسي وذلك سنة ١٧٨٥ وقد أسره الروس سنة ١٧٩١ بعد معارك طاحنة وتوفي في سجنه في حصن شلوسلبيرج.

وقد سبقت ثورة الإمام خليفة محمد علي ستة عشر ثورة في التركستان وذلك منذ عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٥ م) كان دعاتها وقادتها من مشايخ الطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية.

واستمرت ثورة الامام نجم الدين غوتسو وأعلن القوقاز استقلاله في مايو سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وتبعته جورجيا بعد بضعة أسابيع.

لينين يقوم بحرب ابادة للمسلمين بعد انتصاره على قوات روسيا البيضاء بمساعدة المسلمين

وبما ان لينين كان لا يزال مشغولا بتوطيد أركان مملكته الحمراء..

فإنه لم يستطـع آنذاك ارسال جحافل جيوشه ولكنه استطاع ارسال مجموعة من الارهابيين الروس الذين أثاروا مخاوف المستعمرين الروس الذين استوطنوا القوقاس منذ القرن التاسع عشر وخاصة في باكو كما انهم اتفقوا مع الحزب الشيوعي المحلي فأقاموا مذبحة مارس سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) التي راح ضحيتها في باكو فقط ١٨,٠٠٠ مسلم..[1]

وقد تمكن المجاهدون بالتعاون مع قوات نوري باشا ناظر الحربية السابق في تركيا أن يخمدوا هذه المجزرة الشيوعية ويعلنوا قيام جمهورية أذربيجان التي اعترف بها الحلفاء كما اعترف بها لينين نفسه ريثما يتمكن من الغدر بها، وفعلا في ٢٧ ابريل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) هجم عليها بجحافله الحمراء بعد أن وطد اركان مملكته الحمراء في روسيا..

ومنذ سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٣٩ م) الى سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) قام شعب القوقاس المسلم المجاهد باثنين وخمسين ثورة أخمدت بكل قسوة وهمجية[2] ووجدت الموافقة الضمنية السرية من الدول الغربية التي لم تتحدث قط عن أي ثورة اسلامية بل دائما تتجاهلها وتسدل عليها حجب التعتيم بينما لا تكف أجهزة الإعلام الغربية عن الحديث عن انتهاك حقوق الانسان في الاتحاد السوفيتي اذا منع يهودي من السفر الى اسرائيل أو امريكا.. وتقيم الدنيا وتقعدها من أجل ان تسافر ابنة ساخاروف لتلحق بزوجها.

ولم تقتصر هذه الثورات على أهل القوقاس الجبليين الاشداء بل امتدت لتشمل تتار القرم وتتار الفولجا وسكان بشكيريا وجبال الاورال وعلى امتداد رقعة التركستان التي تزيد عن أربعة مليون كيلو متر مربع.. والتي قامت فيها مئات الثورات منذ بداية الغزو الروسي القيصري الى الاحتلال الشيوعي البلشفي.. ومن أشهر هذه الثورات ثورة الباسماش التي امتدت من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٣٤٧ هـ

---

(١)و(٢) مجلة الشئون السوفيتية. عدد ٤/١٩٦٠م وعدد ٢٧ و٢٨ سنة ١٩٧٠م.

(١٩١٨ - ١٩٢٨ م) والتي شملت آسيا الوسطى بأكملها.. والتي استطاعت جحافل لينين (بالتعاون مع المستوطنين الروس الذين زرعتهم دولة القياصرة البيض في وسط التركستان) أن تقضي عليها بكل وحشية وهمجية..

وقامت بعدها قوات لينين بالانتقام من الأهالي فقامت بقتل وسحل مئات الآلاف واشترك في هذه المذابح الجماعية المستوطنون الروس كما فعلوا من قبل مع القياصرة عدة مرات ومنها مذبحة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) (أي قبيل ثورة ١٩١٧ م) ونتيجة حملات الابادة الجماعية فر ملايين من أهل التركستان الى المناطق المجاورة في أفغانستان وإيران والصين ومناطق شرق آسيا ووصل كثير منهم الى تركيا ومجموعات أخرى توطنت الحجاز في مكة والمدينة وجدة.

وقد بدأ لينين حملته على المناطق الاسلامية في ابريل ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بعد أن استتب له الحكم في روسيا القيصرية.. وبدأ بمنطقة الاورال التي كانت قد أعلنت استقلالها مع بداية الثورة ثم توغلت قواته في شمال القوقاز.. وخانية خوقند (فرغانة) وتم له اخضاع هذه المناطق قبل نهاية ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وفي عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) قضى لينين على جمهورية الاشي وفي ابريل ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) استولى على أذربيجان.. وفي نفس العام توجهت قواته الى القرم حيث واجهت قواته مقاومة شديدة استمرت عامين فعمدت القوات الروسية الى حصار أهل القرم حصارا تاما ومنعت الاغذية عنهم حتى أن الرفيق كالينين الذي كان مسئولا عن القرم ذكر في تقريره الذي نشرته أزفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز سنة (١٣٤١ هـ) (١٩٢٢ م) أن عدد الذين أصابتهم المجاعة في يناير (١٣٤١ هـ) (١٩٢٢ م) كان ٣٠٢,٠٠٠ شخصا، مات منهم بسبب المجاعة ١٤,٤١٣ وفي مارس أصابت المجاعة ٣٧٩,٠٠٠ مات منهم ١٩٩٠٢ وفي ابريل بلغ عدد الذين عضتهم أنياب المجاعة

٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤.. وجملة من أصابتهم المجاعة الشديدة خلال أشهر الحصار الستة بلغ أكثر من مليون تتاري قرمي مسلم أما الذين لقوا حتفهم نتيجة تلك المجاعة فقد كانوا أكثر من مئة ألف..

وهكـذا ترى - عزيزي القـارىء - أن الفـترة الـتي يعتـبرهـا المؤرخون ذهبية بالنسبة للمسلمين في الاتحاد السوفيتي وهي من سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) الى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م).. قد رأت من الأهوال ما لا يخطر ببال انسان..

أما الفترة التي تلت ذلك فهي فترة المواجهة الحاسمة لإبادة الاسلام والمسلمين والتي امتدت من سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) الى ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)..

وفي هذه الفترة واجه المسلمون حربا صليبية شيوعية حاقدة لم يجد التاريخ لها نظيرا حتى في أشد فترات قتامته ايام جنكيز خان وهولاكو..

ففي القرم مثلا واجه السكان التتار المسلمون حرب ابادة واذابة منذ دخول القوات البلشفية بقيادة كالينين سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).. وانخفض عدد السكان من خمسة ملايين تتاري قرمي مسلم الى أقل من مليون في عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) ثم قام ستالين عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) بقتل وطرد جميع من بقي من سكان القرم المسلمين..

ولأول مرة في التاريخ يباد شعب بأكمله ويطرد كليا من وطنه حتى أنه لا يوجد في القرم تتاري مسلم واحد..

ورغم أن مجلس السوفيت الاعلى برأ التتار القرميين من تهمة التعاون مع النازي (التي ألصقها بهم ستالين) في القرار الصادر ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧/٩/٥ م) الا أن التتار القرميين لا يزالون يمنعون من العودة الى وطنهم الى هذه اللحظة. وقامت السلطات البلشفية منذ دخولها القرم

بتحطيم المساجد وتحويلها الى اصطبلات وصالات ونــواد ومتاحف وقد تم تهديم وتحويل ١٥٥٨ مسجدا في الفترة الواقعة بين عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) وعام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) الى نـواد ومتاجف وصالات للسينما.

أما التركستان بشقيها الشرقي الواقع تحت سيطرة الصين والغربي الواقع تحت سيطرة روسيا فقد شهدت مذابح مروعة من عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) الى عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) وسنذكر نبذا وافية عن المجاعات المروعة التي حلت بالتركستان نتيجة الغزو الروسي البلشفي ومنها المجاعة التي استمرت من عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) الى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) والتي مات فيها أكثر من ثلاثة ملايين تركستاني مسلم حتى أكلت الميتة بل أكل الناس جثث أقاربهم وأطفالهم (عند حديثنا عن التركستان) .كما سنذكر كيف هدمت وأغلقت السلطات الشيوعية الروسية ٦٦٨٢ مسجدا و٧٠٥٢ مدرسة اسلامية عامرة كانت في التركستان.. وشيئا يسيرا من المذابح التي وجهت بصورة خاصة الى علماء المسلمين.. كما حدثت مجاعة مروعة سببها البلاشفة الروس في قازاقستان وقيرغيزيا مات فيها مليون من المسلمين القازاق (الكازاخ) والقرغيز وذلك سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) - ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) وفي عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) مات ايضا مليون آخر من القازاق والقرغيز.

وقد شهدت قازاقستان آخر ثورة عارمة سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) فواجهتها السلطات بالفرقة واحد وعشرين حيث قمعتها بقسوة بالغة ليست غريبة على الروس الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن بطوطة وابن رستة والمسعودي منذ ألف عام بأنها أمة همجية طبعها التوحش وأقذر الأمم قاطبة وشيمتهم الغدر.. وشهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الى يومنا هذا سياسة جديدة ليست أقل هجوما على الاسلام ولكنها أكثر ذكاء من حرب الإبادة تلك التي واجهها المسلمون في الفترات

السابقة وتتمثل هذه السياسة في نشر الكولخوزات والكوميونات ونشر الايدولوجية الالحادية وتجذير الثقافة الشيوعية وتحطيم نظام الأسرة القوي المتماسك لدى المسلمين واطالة اوقات عمل المرأة بين الرفاق.. وبطبيعة الحال منع الدراسة الدينية وتدريس اللغة العربية منعا باتا ومنع الكتابة بالحرف العربي وقد حول الحرف اولا الى اللاتيني ثم حول بعد ذلك الى الحرف الروسي وعند دخول الروس البلاشفة الى المناطق الاسلامية كانت هناك ست لغات تكتب جميعا بالحرف العربي وتدخلها كثير من الكلمات العربية كما كان هناك ما يقرب من أربعين لهجة ليست لها كتابة فعمد الروس للتفريق بين المسلمين الى ايجاد كتابة لجميع هذه اللهجات وجعل كل أهل لهجة يدرسون لهجتهم الخاصة ويكتبونها بالحرف الروسي كما أن عليهم تعلم اللغة الروسية كلغة أم ثانية..

وأوجد الروس النعرة القومية بين مسلمي روسيا مع أن الفكر الشيوعي يصطدم اساسا مع القوميات.. ولكن السياسة الاستعمارية الروسية انتهجت نفس خط السياسات الاستعمارية الغربية التي فتتت جسد الأمة الاسلامية بعشرات بل بمئات النعرات القومية والشنشنات الوطنية ولهذا قسم الروس المناطق الاسلامية الى ست جمهوريات اتحادية سوفيتية والى ثمان جمهوريات ذات استقلال ذاتي.. وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق..

وقد أسلفنا القول ان اسم جمهورية ليس الا مجرد اسم والواقع المر أنها مستعمرات روسية يدير شئونها موظفون من موسكو.. ورغم وجود أحزاب شيوعية في جميع هذه المناطق وجميعها تتبع الحزب الشيوعي الروسي الا أن الروس بعد عدة تجارب سابقة لا يثقون حتى في

الشيوعيين المحليين وقد قاموا مرارا باعدام من يتولى منصب رئاسة الجمهورية وأعضاء وزارته بأكملهم ومن ذلك اعدامهم لرئيس جمهورية القرم ولي ابراهيم وجميع وزرائه سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) ورئيس الجمهورية محمد قوباي مع جميع وزرائه ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) وفي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) تكررت نفس القصة مع رئيس الجمهورية الياس طرخان وجميع اعضاء وزارته..

ولهذا فإن سياسة روسيا تعتمد على ان يكون السكرتير الأول والثاني في كل جمهورية من هذه الجمهوريات الاسلامية هو روسي وليس محليا مهما تظاهر بالشيوعية.

هذه الجمهوريات الاتحادية الست هي: أذربيجان في القوقاس وخمس جمهوريات في التركستان هي: أوزبكستان وقازاقستان وقرغيزيا وتركمنستان وطادجكستان..

أما الجمهوريات التابعة لموسكو مباشرة فهي تتاريا وبشكيريا والجوفاش وماري وموردوف وأدمورت (وجميعها تقع في وسط روسيا على امتداد نهري الفولجا والأورال) وسيبيريا ومنغوليا. ثم جمهورية القرم في شبه جزيرة القرم التي الغيت وأصبحت تابعة لاوكرانيا.. وجمهوريات القوقاس الصغيرة مثل الداغستان والشاشان وأوستينا الشمالية وقابرديار - بلكارديا وجميعها تتبع موسكو مباشرة كما أن هناك جمهوريات صغيرة تتبع أذربيجان وجورجيا.

جدول (١٠): الوحدات ذات قوميات اسلامية في الاتحاد السوفيتي

نقلا عن كتاب (المسلمون في المعسكر الشيوعي) الذي أصدرته رابطة العالم الاسلامي

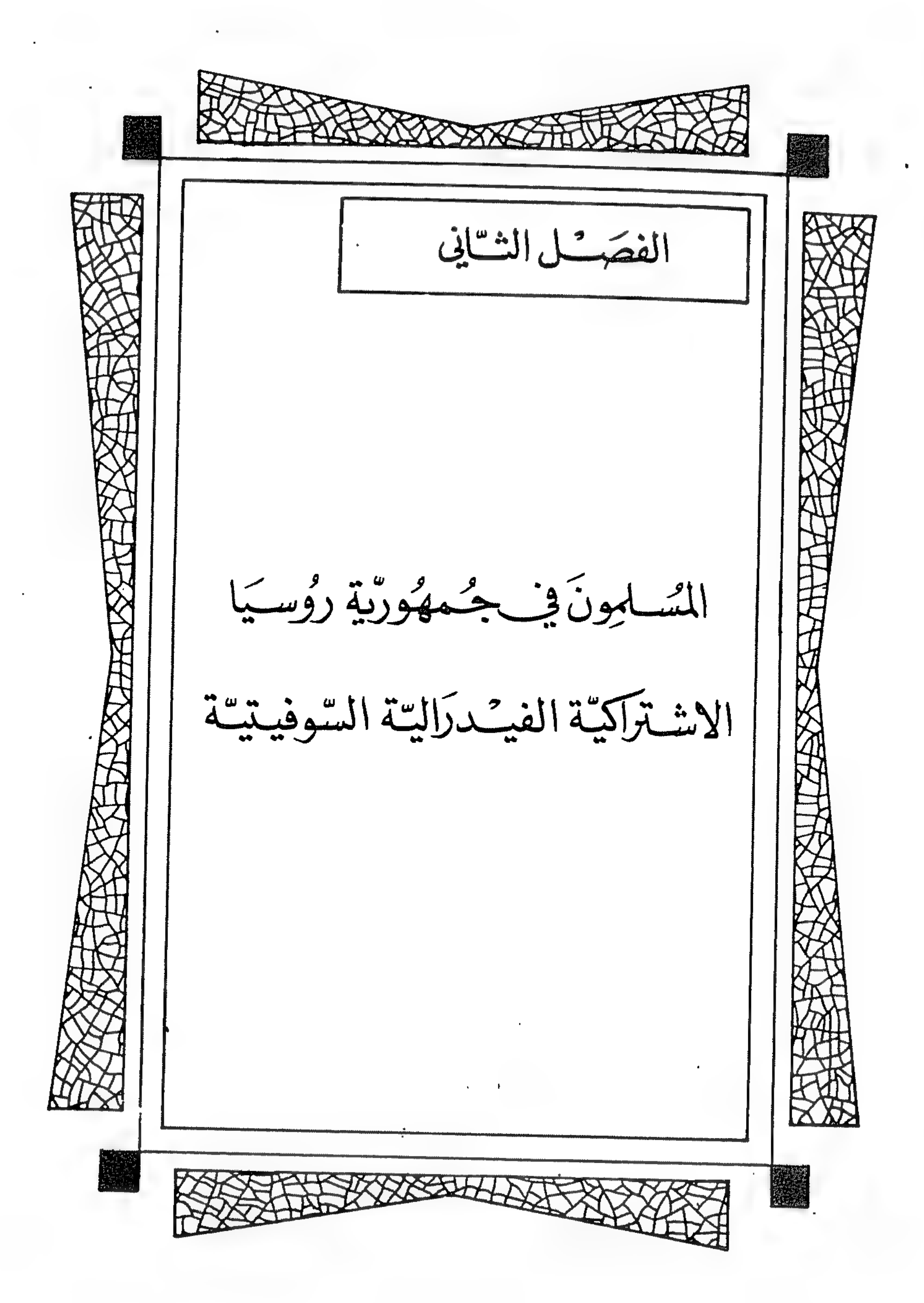
تأليف الدكتور/ علي منتصر الكتاني

نوع الوحدة	الوحدة الادارية	عاصمتها	مساحتها بالكيلو متر مربع	عدد السكان ١٩٧١	تاريخ غزوها	تاريخ تأسيسها
ج ف	كزاخستان	آلما آتا	٢,٧٥٠,٠٠٠	١٣,٠٧٠,٠٠٠	١٨٦٦	١٩٣٦
ج ف	أوزبكستان	طاشقند	٤٥٠,٠٠٠	١٢,٣٠٠,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٤
ج ف	أذربيجان	باكو	٨٧,٠٠٠	٥,٢١٩,٠٠٠	١٩٢٠	١٩٣٦
ج ذ	بشكيريا	اوفا	١٤٣,٦٠٠	٣,٨٣٨,٠٠٠	١٥٥٧	١٩١٩
ج ذ	تتاريا	قازان	٦٨,٠٠٠	٣,١٦٥,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٢٠
ج ف	كرغيزيا	فرونزي	١٩٨,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٨٨٦	١٩٣٦
ج ف	تاجكستان	دوشمية (دوشامي)	١٤٣,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٩
ج ف	تركمنستان	آشخباد (عشق آباد)	٤٨٧,٧٩٠	٢,٢٢٣,٠٠٠	١٨٧٣	١٩٢٥
ج ذ	الداغستان	محج قلعة	٥٠,٣٠٠	١,٤٥٧,٠٠٠	١٧٢٣	١٩٢١
ج ذ	أودمورتيا	ايجفسك	٤٢,١٠٠	١,٤٢٢,٠٠٠	١٥٦٠	١٩٣٤
ج ذ	تشوفاشيا	شبوقساري	١٨,٣٠٠	١,٢٣٧,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٢٥
ج ذ	تشيشين انكوش	غروزني	١٩,٣٠٠	١,٠٨٤,٠٠٠	١٨٥٠	١٩٥٧
ج ذ	ماري	يوشكار - أولاف	٢٣,٨٠٠	٦٨٧,٠٠٠	١٥٥٢	١٩٣٦

ج ذ	القابرد-بلبكار	نلتشيك	١٢,٥٠٠	٦٠٠,٠٠٠	١٥٥٧	١٩٣٦
ج ذ	الاوسيت الشماليون	أردجونيكيدزي	٨,٠٠٠	٥٦٠,٠٠٠	١٧٨٤	١٩٣٦
ج ذ	ابخازيا	سخومي	٨,٦٠٠	٤٨٩,٠٠٠	١٨١٠	١٩٣٠
م ذ	اديغيا	ميقوب	٧,٦٠٠	٣٨٩,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢٢
م ذ	قرتشاي شركس	شركسك	١٤,١٠٠	٣٤٧,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٥٧
ج ذ	اجاريا	باتومي	٣,٠٠٠	٣١٦,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢١
م ذ	الاوسيت الجنوبيون	تسخينوالى	٣,٩٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٨٧٨	١٩٢٢
–	المجموع	–	٤,٥٣٨,٨٩٠	٥٤,٥٠٣,٠٠٠	–	–

ج ف: جمهورية فيدرالية (إتحادية).
ج ذ: جمهورية ذاتية.
م ذ: مقاطعة ذاتية.

ملحوظة: تختلف المصادر في ذكر عدد مسلمي الاتحاد السوفيتي حيث نرى المصادر الغربية تميل الى التقليل من عددهم فمثلا نرى إيفار سبكتور في كتابه «الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي» يذكر ان عدد المسلمين عند قيام ثورة اكتوبر ١٩١٧م كان ٢٥ مليوناً، نرى شكيب أرسلان في حاضر العالم الاسلامي يذكر انهم ٣٥ مليونا.. وبينما يذكر بنجيسن ولومرسييه في كتابها «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» أن عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٩م كان ٤٣ مليونا فقط، نجد الدكتور علي منتصر الكتاني يذكر أنهم ٥٤,٥٠٠,٠٠٠ مليونا عام ١٩٧١م. والواقع من الصعوبة الجزم بتعداد المسلمين في الاتحاد السوفيتي لأن جميع الاحصائيات المتتابعة منذ عام ١٩٢٦م حتى عام ١٩٧٩م لا تذكر الانتماء الديني لمواطني الاتحاد السوفيتي.


الفصل الثاني
المسلمون في جمهورية روسيا
الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية

التقسيم الإداري للمسلمين في الاتحاد السوفيتي

لقد قام الروس البلاشفة بوضع تقسيم اداري للمسلمين في الاتحاد السوفيتي مبني على سياسة ذكية لتفريق المسلمين وتوزيعهم على قوميات مختلفة بحيث يمكن تفتيتهم الى وحدات مختلفة الاحجام وذات نعرات قومية ولغات مختلفة بل وثقافات متباينة ويكون الاتصال فيما بينهم معدوماً أو شبه معدوم بينما هم جميعاً محكومون بواسطة مندوبين من حكومة موسكو اما مباشرة أو بواسطة السكرتير الأول أو السكرتير الثاني للحزب الشيوعي في تلك المنطقة الذي دائماً ما يكون روسياً.

لقد قُسّم الاتحاد السوفيتي الى ١٦ جمهورية اشتراكية اتحادية (فيدرالية) سوفيتية ومجموعة كبيرة من الجمهوريات الاشتراكية المحكومة ذاتياً.. والى مقاطعات لها شبه حكم ذاتي..

وهناك ست جمهوريات اشتراكية اتحادية (فيدرالية) سوفيتية اسلامية (بمعنى أن أغلب سكانها من المسلمين) وهي: اذربيجان، قازاقستان (كازاخستان)، أوزبكستان، طادجكستان، تركمنستان وقرغيزيا، وتشكل الجمهوريات الخمس الاخيرة ما يعرف باسم تركستان الغربية وهناك ايضاً ثمان جمهوريات اشتراكية غير فيدرالية (اسلامية) وهي: تتاريا، وبشكيريا، وداغستان، والشاشان (تششينن)، اينغوشيا، كارباديار، بلكاريا، وناختيشفان، وأدجاريا، وكاراكلبستان ويضاف اليها الخازيا واوستينا الشمالية. كما أن هناك مقاطعات محكومة ذاتياً هي اديجيا وكاراتشاي وكاراباخ وجركيسيا وناغارنو.. وتوجد مجموعات كبيرة نسبياً من المسلمين ليس لهم وحدات ادارية خاصة بهم مثل المجموعات الموجودة في سيبيريا ومنغوليا والقرم (سابقاً) ويبلغ عدد

المسلمين في جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية ١٤,٨ مليون بينما يبلغ عددهم مليون في اوكرانيا وربع مليون في (مولدافيا).

وسنتحدث عن الجمهوريات الاتحادية الاسلامية الست بالتفصيل في فصول قادمة.. وستكون اذربيجان داخلة في الفصول التي تتحدث عن القوقاس.. أما جمهوريات التركستان الخمس فستشكل معظم فصول كتابنا هذا.

أما في هذا الفصل فسنركز الحديث عن المناطق الاسلامية التابعة لجمهورية روسيا ذاتها. كما سنتحدث عن جمهورية القرم التي الغيث بعد الحرب العالمية الثانية واصبحت تابعة لجمهورية أوكرانيا السوفيتية وسنتحدث عن مسلمي سيبيريا ومنغوليا السوفيتية.

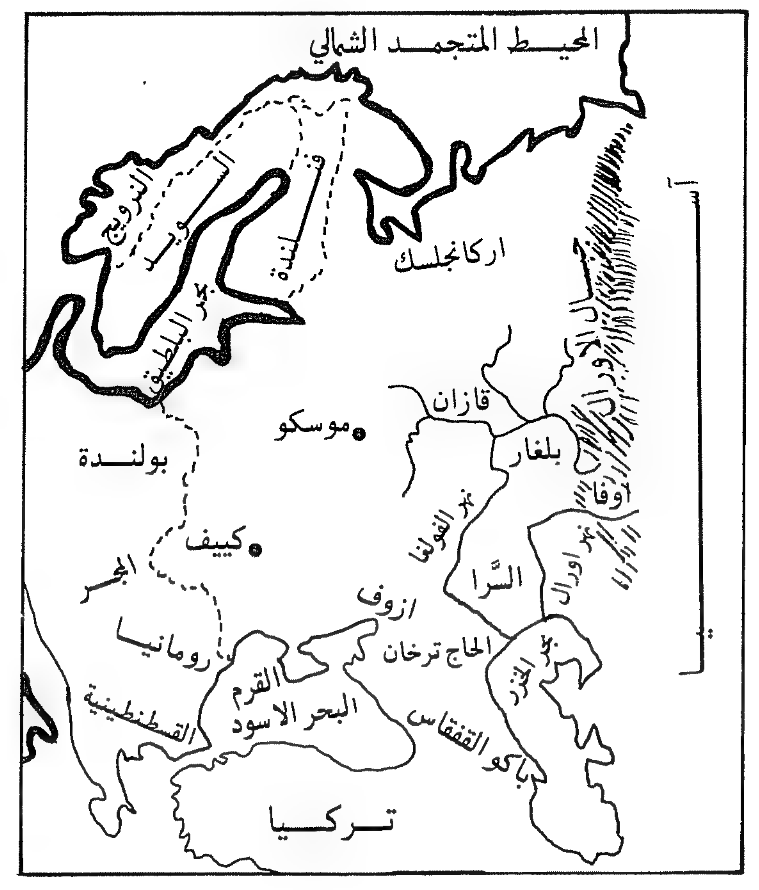
جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية:

تعتبر جمهورية روسيا أكبر الجمهوريات الاتحادية السوفيتية قاطبة اذ أن مساحتها تبلغ ثلاثة ارباع الاتحاد السوفيتي بأكمله ذلك لأنها تضم في جنباتها المساحات الشاسعة في سيبيريا.. كما أن سكانها يشكلون الثقل الرئيسي لسكان الاتحاد السوفيتي اذ يبلغ تعدادهم حسب احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) مائة وخمسة وثلاثون مليوناً.. وهي مقسمة الى اثنتي عشر جمهورية كما ان بها عدداً آخر من المقاطعات من أهمها مقاطعة سيبيريا التي تبلغ مساحتها ١٢ مليون كم مربع أي أكثر من نصف مساحة الاتحاد السوفيتي بأكمله.. والتي أصبحت ذات أهمية بالغة بعد اكتشاف ثروات الغاز الطبيعي الهائلة في باطنها..

تمتد روسيا بهذا التصنيف عبر قارة آسيا وأوروبا.. فأما روسيا الاسيوية فتشكل أساساً من سيبيريا وأما روسيا الأوروبية فتشكل الثقل الحقيقي لأمة الروس الصقالبة..

أما العاصمة موسكو فلا تشكل فقط موطن القياصرة البيض سابقاً

والقياصرة الحمر حالياً بل انها تشكل أيضاً قلب الدولة الروسية التي عرفت في التاريخ باسم الدولة المسكوبية حيث ابتدأت كإمارة صغيرة خاضعة لسلطان قازان منذ أن دخل فلادمير في الارثوذكسية المسيحية في نهاية القرن العاشر الميلادي ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) والتي أخذت شكلها الاستعماري لأول مرة في عهد إيفان الرهيب في القرن السادس عشر الميلادي عندما استولى على قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ثم على استراخان (الحاج طرخان) سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م). ومنذ ذلك العهد أخذ شأن موسكو يتعاظم شيئاً فشيئاً حتى اصبح الكرملين يتحكم في كثير من مصاير الشعوب المسلمة وغير المسلمة.



نهر
الفولغا

التّتار المُسلِمُون في رُوسيَا

المسلمون في حوض نهر الفولجا (نهر اتل)

يعتبر نهر الفولجا أطول أنهار أوروبا حيث يبلغ طوله ٣٥٠٠ كم يليه نهر الدانوب.. ويشكل نهر الفولجا لذلك أهم أنهار روسيا كما أن سهوب الفولجا تجعل من حوض هذا النهر أراضي خصبة اشتهرت بثرواتها الزراعية.. ويقع مصب هذا النهر في شمال بحر قزوين حيث تقع على هذا المصب مدينة الحاج طرخان (استراخان) التي وصفها لنا ابن بطوطة في رحلته التاريخية التي بدأها سنة ٧١٥ هـ (١٣١٤ م) والتي كانت منذ نشأتها مدينة اسلامية ويمتد هذا النهر بروافده المختلفة ليشكل قلب روسيا.. وتقع عليه مدن قازان وجوركي بل وموسكو ذاتها.. كما تقع على أحد روافده وهو نهر كاما مدينة أوفا عاصمة جمهورية بشكيريا.

دخول الاسلام:

لقد دخل الاسلام على امتداد نهر الفولجا بواسطة التجار المسلمين واساتذتهم مشايخ الطرق الصوفية منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ويعرف هذا الطريق التجاري بطريق الفراء لأن التجار المسلمين كانوا يجلبون الفراء من شمال بلاد بلغار الفولجا ويبيعونه بعد ذلك في مختلف مناطق آسيا حتى الصين.. كما كانوا يقومون بتجارة الحرير الممتدة من الصين شرقاً وحتى البحر الاسود غرباً..

ويقول مؤلفا كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «فمنذ القرن (الثالث الهجري) التاسع الميلادي اصطحب التجار والسفراء

المسلمون معهم دين النبي الكريم الى مملكة البلغار القائمة على المجرى المتوسط لنهر الفولجا حيث مناطق التتار حالياً.. ومع انتهاء القرن العاشر الميلادي كانت هذه المنطقة قد أصبحت في معظمها وقفاً على الاسلام الذي انطلق في القرنين التاليين ليعبر جبال الاورال ويمتد في بلاد البشكير.. وبفضل التجار المسلمين عرباً كانوا أم فرساً أم اتراكاً من آسيا الوسطى تسرب الاسلام أيضاً الى بلاد الكازاخ (كازاخستان) شمال نهر سردريا».

وفد بلاد بلغار الفولجا الى الخلافة العباسية

ويشرح لنا ابن فضلان في رسالته التاريخية مجيء وفد من بلاد بلغار الفولجا الى الخليفة العباسي المقتدر حيث شرحوا له اسلامهم وحاجتهم الى علماء ومرشدين كما شرحوا له حاجتهم الى مهندسين وخبراء عسكريين ليبنوا لهم الاستحكامات، العسكرية حيث أنهم محاطون بأمة همجية شديدة البأس والعدوان هي أمة الروس.. وأمر الخليفة العباسي المقتدر بتشكيل وفد كبير برئاسة ابن فضلان وعضوية سوسن الروس مولى نذير الخرمي وتكين التركي و بارس الصقلبي، ورسول الصقالبة المسلم كما ضم هذا الوفد مجموعة من الفقهاء والصيادلة والاطباء والمستشارين العسكريين.

رحلة ابن فضلان الى الفولجا على رأس وفد الخلافة العباسية:

وتحرك هذا الوفد من مدينة بغداد في ١١صفر ٣٠٩ هـ (٢١يونيه ٩٢١ م) متجهاً الى ملك البلغار المسلم ألمش بن يلطوار.. واستمرت هذه الرحلة احدى عشر شهراً حتى وصلوا الى مدينة البلغار الواقعة على نهر الفولجا وعاصمة مملكة المش بن يلطوار المسلم حيث وصل هذا الوفد اليها في ١٢ محرم ٣١٠ هـ (١١مايو ٩٢٢ م).

وترك لنا ابن فضلان وصفاً مفصلاً لرحلته الشاقة المثيرة.. وما يهمنا

منها ها هنا هو كيف أن نهر الفولجا كان في بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نهراً اسلامياً..

ظهور المغول:

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وبالذات سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٠ م) اجتاح المغول مملكة خوازم الاسلامية وسقطت على أثرها الممالك الاسلامية واحدة أثر الاخرى حتى سقطت بغداد على يد هولاكو وبتعاون تام مع بابا روما. وبدا عندئذ أن الاسلام يوشك أن يقع فريسة لحركة كماشة قوية مندفعة من الشرق تمثلها قوة جنكيز خان وهولاكو ومن الغرب تمثلها قوة الدول النصرانية مجتمعة تحت راية البابا في حرب صليبية حاقدة.

ولكن لم تمضِ سنوات قلائل حتى انتهى التحالف الصليبي المغولي المدمر للعالم الاسلامي وتحول المغول انفسهم من أشد أعداء الاسلام الى أمة من أعظم حماته والمدافعين عنه..

دخول المغول في الاسلام:

وكانت بداية هذا التحول عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيز خان الحكم لقبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية وذلك سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) وكان بركة خان قد دخل في الاسلام منذ طفولته حيث عهد والده (حاكم مناطق التركستان جوجي ابن جنكيز خان) بتربيته الى أحد مشايخ خوقند فقرأ القرآن وهو صغير ونشأ منذ طفولته على تعاليم الإسلام.

واستمر حكم بركة خان الذي كان بركة على الاسلام قولاً وفعلاً منذ سنة ٦٥٤ الى ٦٦٥ هـ (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م).. وتحول في اثنائها معظم افراد القبيلة الذهبية الى الاسلام..

وكان سلطان هذه القبيلة المغولية يمتد من التركستان حتى روسيا

وسيبيريا وحكموا موسكو ذاتها.. ولم يكن أمير موسكو ينصّب الا بعد موافقتهم.. وأقاموا مدينة قازان الشهيرة في شمال نهر الفولجا والتي أصبحت بعد ذلك عاصمتهم.. كما اشتهرت من مدنهم مدينة السرا التي كانت العاصمة لفترة طويلة ومدينة البلغار ومدينة الحاج طرخان والتي حرفها الروس والغربيون الى استراخان فأصبحت لا تعرف الا بذاك.

واختلط هؤلاء المغول الذين عرفوا بأسم التتار ببلغار الفولجا المسلمين اختلاطاً شديداً وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون جميعاً بأسم التتار.

وكان من هذه الاسرة السلطان محمد أوزبك خان الذي آل اليه أمرها سنة ٧١٣ هـ (١٣١٢ م) والذي كان يحكم نهر الفولجا بأكمله وشبه جزيرة القرم وسهوب كازاخستان ويمتد سلطانه حتى خوارزم حيث يبدأ حكم قريبه السلطان علاء الدين طرمشيرين حفيد جغتاي ابن جنكيز خان..

ابن بطوطة يصف دولة الاسلام على ضفاف نهر الفولجا (نهر اتل)

وقد ترك لنا الرحالة الاسلامي المشهور ابن بطوطة وصفاً وافياً لمملكة السلطان محمد اوزبك خان كما وصف لنا مدينة السرا والبلغار واستراخان والكفا ووصف شبه جزيرة القريم ومدنها.. وترك لنا أيضاً وصفاً عن بلاد الظلمة الواقعة شمال مدينة البلغار.. كما قام هذا الرحالة بوصف مملكة السلطان علاء الدين طرمشيرين والتي كانت تضم ما يعرف اليوم بالتركستان الشرقية والتركستان الغربية.. ويصف لنا ابن بطوطة مدينة السرا الواقعة على نهر الفولجا بقوله:

«ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية في الكبر في بسيط من الارض تغص بأهلها كثرة حسنة الاسواق متسعة الشوارع. وركبنا يوماً مع بعض كبرائها وغرضنا التطواف عليها ومعرفة مقدارها، وكان منزلنا

في طرف منها فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها الا بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا المنزل إلا عند المغرب ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم، وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة احدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك فكثير جداً..

الإمام العالم الصوفي نعمان الدين الخوارزمي مثال لمعاملة العلماء ورثة الأنبياء لملوك الدنيا

«وقاضي هذه الحضرة (الحاضرة او العاصمة) بدر الدين الأعرج من خيار القضاة وبها من مدرسي الشافعية الفقيه الإمام الفاضل صدر الدين سليمان اللذكي (من الداغستان).. وبها من المالكية شمس الدين المصري.. وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أضافنا بها وأكرمنا.. وبها زاوية الفقيه الإمام العالم نعمان الدين الخوارزمي، رأيته بها، وهو من فضلاء المشايخ حسن الأخلاق كريم النفس، شديد التواضع، شديد السطوة على أهل الدنيا، يأتي اليه السلطان محمد أوزبك زائرا في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه. ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد ذلك. وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان (الذي هو أحد السلاطين السبعة في الدنيا كما وصفه من قبل ابن بطوطة نفسه). فانه يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم وأكرمني جزاه الله خيراً وبعث الي بغلام تركي وشاهدت له بركة».

نعم هكذا كان أصحاب الزوايا من مشايخ الصوفية علماء فقهاء زهاد لا يلتفتون للسلاطين بل السلاطين يجثون على ابوابهم ويسمعون تقريعهم وتأنيبهم بكل أدب وخضوع..

وسنرى في موضع آخر موقف هؤلاء العلماء الأتقياء من الصوفية مع

السلطان العظيم المقدار السلطان طرمشيرين حفيد جنكيزخان وهو يتواضع ويسمع تقريع الامام حسام الدين الياغي.

فللّه در أولئك العلماء الأفذاذ الزهاد من الصوفية.. ولله در أولئك السلاطين احفاد جنكيزخان.. والسلطانان العظيمان علاء الدين طرمشيرين سلطان ما وراء النهر (جميع التركستان الحالية).. ومحمد اوزبك خان سلطان البلغار والكفا واستراخان (أي نهر الفولجا الذي كان يعرف بنهر اتل) وسلطان شبه جزيرة القريم وبلاد الكازاخ حيث يمتد سلطانه الى خوارزم ذاتها - كانا متواضعين للعلماء محبين لهم مستمعين الى توجيهاتهم بل ومتحملين تقريعهم وتوبيخهم.. وقد زاد السلطان طرمشيرين على السلطان اوزبك بزهده واستقامته الشديدة وعدله وسيرته في المسلمين بسيرة ابن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.

الانقسام وظهور الدويلات (الخانيات)

ونتيجة للخلافات انقسمت أملاك القبيلة الذهبية في مجرى نهر الفولجا وما حولها الى عدة دويلات عرفت باسم الخانيات وذلك منذ سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) حيث كانت تلك بداية النهاية: وهذه الخانيات هي:

(١) **استراخان أو الحاج طرخان**: التي تولى أمرها كوجوس سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وبقيت في سلالته وخلفائه حتى عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) عندما احتلها ايفان الرهيب.

(٢) **خانية قازان**: صارت قازان خانية سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وحكمها ألغ محمد الذي قتل سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) ثم تولى بعده ابناؤه وأحفاده حكم قازان الى ان استولى عليها ايفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م).

(٣) خانية القريم (القرم): انتقل حاجي كراي ابن أخ ألغ محمد المتقدم ذكره من قازان الى القريم حيث أسس خانية القريم وصار هو أول خان لها واستمرت سلالته في حكمها حتى عام ١١٩٧ هـ (١٧٨٣ م). عندما استولت الامبراطورة كاترين عليها.

(٤) خانية قاسموف التترية الصغيرة: لقد حكم أمراء من فرع ألغ محمد مؤسس خانية قازان وأفراد من أحفاد حاجي كراي خانية قاسموف من ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) الى سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م) عندما استولى عليها الروس..

(٥) الشيبانيون: وهناك فرع من القبيلة الذهبية يعرفون بالشيبانيين نسبة الى شيبان أصغر أحفاد جوجي ابن جنكيزخان.. وقد أسس هؤلاء الشيبانيون مملكة عظيمة في بخارى وامتد سلطانها لتشمل معظم بلاد ما وراء النهر.. وقد عاشوا جنوب شرق جبال الاورال ثم توجهوا الى سهل القبجاق واحتلوا المنطقة المعروفة الآن باسم اوزبكستان وانتزعوها من سلالة تيمورلنك.. وأسسوا دولتهم القوية التي جعلوا عاصمتها بخارى.

وسيأتي ذكر هؤلاء الشيبانيين عند حديثنا عن تاريخ التركستان. وانما ذكرناهم هنا لنوضح امتداد حكم التتار وخاصة الأسرة الذهبية فيما يعرف اليوم بالاتحاد السوفيتي اذ كانت جميع المناطق المعروفة في الاتحاد السوفيتي خاضعة لهم بما في ذلك امارة موسكو ثم دب فيهم داء الأمم من قبلهم، الترف والخلاف فانتابهم الضعف بينما كانت امارة موسكو تبزغ وتقوى حتى بلغت بداية قوتها وجبروتها في عهد ايفان الرهيب مؤسس دولة القياصرة من أسرة رومانوف..

سياسة ايفان الرهيب تجاه المسلمين الإبادة أو الهجرة أو التنصير

وكانت سياسة ايفان الرهيب الذي احتل قازان واستراخان فيما بين عامي ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) جعل نهر الفولجا لأول مرة خاضعا للدولة المسكوبية.. وفي سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) اجتازت القوات الروسية جبال الاورال وهدموا ثالث دولة تتارية وهي خانية سيبيريا.

ولقد استولى الروس على جميع الأراضي الخصبة المنتشرة على طول نهر الفولجا وروافده ونهر الاورال وروافده وكما يقول كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «لقد طرد المسلمون من المدن المهمة وشيدت قلاع في النقاط الاستراتيجية التي يقطنها الروس.. وهكذا راحت الشعوب الاسلامية الاصلية لتلك المناطق تتحول الى أقلية ريفية محضة يؤطرها المستعمرون الروس».

ولقد دمجت الامارات المسلمة بالمملكة المسكوبية وعومل الشعب كرعايا من الدرجة الثانية ولم تكن للمسلمين الحقوق التي للمسيحيين وكانت سياسة ايفان والقياصرة من بعده تتلخص فيما يلي:

بالنسبة للأشراف المسلمين الخيار بين:

(١) قبول مبدأ التعيين مع الارتداد الى المسيحية.
(٢) الخراب الاقتصادي.
(٣) التصفية الجسدية لمن يبدي أقل مقاومة للسلطة الروسية.

كما عومل الدين الاسلامي بكل قسوة وهدمت الجوامع وطرد رجال الملا (علماء الدين) من المدن وصودرت الاوقاف وصار الاسلام مهددا بأن يتحول الى دين فلاحين.

«اما بالنسبة للجماهير المسلمة فقد أخضعت للصهر الديني فمنذ

عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) اعتمدت سياسة رده بالقوة.. وكان المرتدون (ستاروكرياشين) يتمتعون بوضع شرعي تجاه القانون مماثل لوضع رعايا القيصر الآخرين لكن من دون أن يتروسوا. والغيت الكتابة بالحرف العربي وحولت الى الحرف الروسي».

وهكذا كانت سياسة ايفان وخلفائه من بعده تجاه الاسلام والمسلمين وخاصة تتار الفولجا الذين عوملوا بقسوة بالغة وقتل كل من أبدى أدنى مقاومة لحركة التنصير بالقوة.. كما أن سياسة ايفان وخلفائه من بعده اعتمدت على خطف اولاد المسلمين من آبائهم وتربيتهم في مدارس تبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الارثوذكسية..

ورغم أن اكثر من مائة الف تتاري تحولوا بهذه الطريقة الى النصرانية في عهد ايفان (وعرفوا باسم ستاروكرياشين) ثم تم بنفس هذه الطريقة الهمجية تحويل اكثر من ثلاثمائة الف تتاري في عهد خلفائه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (وعرف هؤلاء باسم نوفوكرياشين أي المتنصرين الجدد) برغم ذلك كله إلا ان هؤلاء التتار استطاعوا في الغالب المحافظة على اسلامهم في السر عبر أربعة قرون من الارهاب الديني المعهود من أمة همجية شديدة الحقد على الاسلام والمسلمين هي أمة الروس التي وصفها لنا المؤرخون المسلمون منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عندما رآهم ابن فضلان في اثناء رحلته، ثم بعد ذلك وصفهم ابن بطوطة وابن رسته والمسعودي. ولم يستطع تتار الفولجا الذين فرض عليهم التنصير بالقوة اعلان اسلامهم الا عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عندما منح البرلمان الروسي (الدوما) الحرية الدينية لجميع رعايا القيصر. ولقد استمرت سياسة ايفان الرهيب تجاه المسلمين في عهد خلفائه ومنهم بطرس الملقب بالعظيم والامبراطورة حنة التي كانت شديدة الإحن والحقد ضد المسلمين وتمثل سياسة ايفان بحذافيرها

(١١٥١ - ١١٦٩ هـ) (١٧٣٨ - ١٧٥٥ م).

الامبراطورة حنة تقتفي اثر ايفان الرهيب في سياسته ضد المسلمين

واذا كان ايفان قد فرض التنصير بالقوة في قازان وما حولها وأغلق المساجد والمدارس الاسلامية وصادر الأوقاف فان حنة (١١٥١ - ١١٦٩ هـ) (١٧٣٨ - ١٧٥٥ م) قامت بالدور نفسه في المجرى الأوسط لنهر الفولجا حيث صادرت الأوقاف وأقفلت جميع المساجد هناك.. وفي عهدها اعفي التتار المرتدون عن الاسلام الى النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية وعوملوا معاملة حسنة حتى يغروا بقية المسلمين أن يحذوا حذوهم.. وفي ذات الوقت ازداد الضغط على المسلمين واثقلوا بالضرائب الفادحة وأجبروا على أخس الوظائف ومنعوا من ممارسة شعائر دينهم وأقفلت جميع مدارسهم ومساجدهم وصودرت جميع الأوقاف الدينية.. واختطف منهم ابناؤهم الصغار بالقوة وأدخلوا المدارس التبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الارثوذكسية وامتدت هذه المدارس من قازان الى استراخان أما المسلم الذي كان يدعو للاسلام حتى بين اخوته المسلمين فقد كان يحكم عليه بالاعدام (انظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي).

ونتيجة لهذه الاضطهادات المستمرة التي عاناها المسلمون تجذر مفهوم الدين لدى هؤلاء التتار وأصبح الاسلام مرادفا للقومية. واصبح الدفاع عن الدين هو الدفاع عن هوية الأمة.

عهد كاترين المتسامح

وفي عهد كاترين استولى الروس على مناطق اسلامية في القوقاس كما استولوا على القرم.. ومع ذلك فيعتبر عهد كاترين العهد الذهبي بالنسبة للمسلمين في تاريخ الامبراطورية الروسية على الرغم مما لاقوه في عهدها

وخاصة في القرم من أهوال.. إلا أن عهدها بالنسبة لمن سبقوها ولمن جاؤوا بعدها كان عهدا مشرقا.. ففي عهدها منع التنصير بالقوة وسمح للمسلمين في جميع مناطقهم بفتح المساجد والمدارس.. ومنع الاجراء الرهيب الذي كان سياسة متبعة من قبل ومن بعد وهو اختطاف الاطفال المسلمين ووضعهم في مدارس كنسية وفصلهم عن أهاليهم بالقوة وتنشئتهم على الارثوذكسية وسمح للمسلمين بتعليم أطفالهم في مدارسهم الخاصة..

وفي عهدها انتشر التتار الذين كانوا قد طردوا من ديارهم وعملوا كتجار وسطاء بين منتجات موسكو وبين سكان آسيا الوسطى ونجحوا في هذه المهمة.. وكانوا بذلك عونا للرأسمالية الروسية التي بدأت تظهر. ولكن التاجر التتري كان يحمل معه اسلامه اينما حل ويفتح المساجد ويدعو للإسلام بكل لباقة وذكاء.. وشهد عهدها تحول كثير من القبائل التي كانت وثنية أو نصرانية سطحية الى الاسلام كما شهد ايضا عودة التتار الذين أجبروا على التنصر في عهد ايفان وخلفائه الى الاسلام. ورغم أن عهدها يتميز بتسامح ديني الا أن أخصب أراضي المسلمين صودرت في عهدها لصالح النبلاء الروس كما أن اموال الاوقاف وأراضيه كثيرا ما كان يعتدى عليها.. وقد شهدت شبه جزيرة القرم الكثير من هذه الاعتداءات. ومع هذا فإن عهد كاترين الثانية هو أفضل العهود التي مرت بالمسلمين في روسيا القيصرية والبلشفية... ما عدا الفترة التي ظهر فيها الدوما (البرلمان الروسي) الى الوجود لأول مرة وذلك سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م).. والذي سمح بالحريات الدينية لجميع رعايا القيصر.. ومن ضمنهم المسلمين كما أعطي الرعايا بما فيهم المسلمين حق تأسيس الجمعيات الدينية والسياسية وان كان هذا البند الأخير قد ألغي فعلا عندما تكونت الجمعيات السياسية الإسلامية بعد عام واحد من صدور القرار.. ولم يسمح لهذه الاحزاب بالعمل الا

بضعة أشهر فقط.. وذلك بناء على توصيات وزير الداخلية الذي أرسل تقريراً في أوائل عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) يحذر فيه مجلس الوزراء من مغبة اعطاء الحريات السياسية للمسلمين.. وبالفعل تم الغاء هذه الجمعيات والأحزاب السياسية كما تم القاء القبض على مؤسسيها وزعمائها...

ظهور الحركة الاسلامية القومية (التتارية) لقد ارتبط مفهوم القومية لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي منذ وقت مبكر بالإسلام.. وأصبح الحفاظ على الإسلام هو الحفاظ على هوية الأمة وذاتيتها وذلك على نقيض ما نراه لدى المسلمين في الاقطار الاخرى التي خضعت للتأثير الغربي ففي تركيا والبلاد العربية وأندونيسيا وايران كانت الحركات القومية بعيدة عن الاسلام في ايدلوجياتها متصادمة معه في أكثر الأوقات.. وان كانت تتظاهر به احيانا كتراث من أجل عدم اثارة غضب الجماهير المسلمة.

أما في الاتحاد السوفيتي فمنذ هجوم ايفان الرهيب على مناطق المسلمين واتخاذه سياسة البطش بالمسلمين ومحاولة تنصيرهم بالقوة.. فإن المحافظة على الاسلام كان معناها المحافظة على هوية الأمة التتارية. وكما يقول مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي «أثناء الاضطهادات التي عاناها المسلمون في القرن الثامن عشر ولا سيما قبائل التتار على نهر الفولجا امتزج لدى هؤلاء التتار مفهوم الدين (الاسلام) بمفهوم القومية (الملة). فمن الآن وصاعدا سيصبح الدفاع عن الدين في نظرهم محافظا لهوية الأمة».

وبما ان تتار الفولجا على وجه الخصوص واجهوا سياسة تنصير قوية لم يواجهها المسلمون في المناطق الاخرى من الامبراطورية القيصرية الروسية. فإن احساس هؤلاء التتار بالخطر الماحق ضد دينهم جعلهم

أول من ربط هويتهم القومية ربطا تاما بالإسلام.. ولذا عندما ظهرت حركة القومية الاسلامية في الامبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي كان زعماؤها ومؤسسوها من تتار الفولجا.. ثم انتشرت بعد ذلك بسرعة الى الأقاليم الاسلامية الأخرى بتأثير تجار التتار الذين كانوا يمثلون الشتات التتاري بعد طردهم من وطنهم على نهر الفولجا..

ويصف بنجيسن ولومرسييه هذه الحركة بقولهما: «لقد كانت حركة مستقلة أصيلة ولدت عفويا من الأوضاع الخاصة التي مر بها الاسلام الروسي».

«وكان لهذه الحركة طابعها الخاص المتميز عن الحركات القومية التي ظهرت في البلاد العربية والاسلامية الأخرى حيث كانت حركة تتار الفولجا قومية اسلامية منذ اللحظة الاولى بينما كانت تلك الحركات القومية ذات مفاهيم غربية ليبرالية واشتراكية بل ومتصادمة مع الاسلام في كثير من الأحيان».

«ولقد كانت أهداف هذه الحركة في الامبراطورية الروسية هي المساواة في الحقوق مع الروس،الحرية الدينية، الاستقلال الثقافي، الحكم الذاتي السياسي، وفي بعض الحالات النادرة الاستقلال الكامل»...

ولقد مرت هذه الحركة القومية بمفهومها الاسلامي عند تتار الفولجا بثلاث مراحل وهي: **الاصلاح الديني، الاصلاح الثقافي، والاصلاح السياسي.**

الاصلاح الديني:

وكان **الاصلاح الديني** معتمدا على فتح باب الاجتهاد لحل المشكلات العصرية والعودة مباشرة الى القرآن الكريم والسنة المطهرة لإيجاد الحلول للمشاكل العصرية.. وكان من رواد هذه الحركة شهاب

الدين مردجاني ١٢٣٤ - ١٣١٧ هـ (١٨١٨ - ١٨٩٩ م) وعبد القيوم ناصري ١٢٤١ - ١٣٢٠ هـ (١٨٢٥ - ١٩٠٢ م) وموسى جار الله بيجي ١٢٩٢ - ١٣٦٩ هـ (١٨٧٥ - ١٩٤٩ م) وجميعهم من التتار.. وقد سيطر هؤلاء المجددون على الساحة في مجرى نهر الفولجا أي في تتاريا وبشكيريا ولكنهم لم يستطيعوا أن ينفذوا الى آسيا الوسطى (تركستان) ولا الى القوقاس حيث كان تأثير علماء الدين المحافظين مع الحركات الصوفية التي لا تقبل أي تفاهم مع الكافر والرافضين لتقليد نمط الحياة لدى الروس الكفار أعداء الإسلام وأهله.

أمّا ما يسمى بالاصلاح الثقافي فقد كان للمستشرقين الروس دور فيه حيث حاولوا منذ البداية الغاء الكتابة بالحرف العربي وابدالها بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي (الكريلي).. ولقد فشلت هذه المحاولات القسرية مثلما فشلت محاولات التنصير الاجبارية رغم دخول مئات الآلاف في النصرانية الا أن هؤلاء جميعا (تقريبا) جافظوا على اسلامهم في السر واستطاعوا أن يحتفظوا به لمدة أربعة قرون.. ولم يستطيعوا اظهار اسلامهم الا عندما أعطيت الحريات الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وكما يقول بنجينسن ولومرسييه. «فحتى منتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون الروس يستخدمون اللغة العربية واللغة الفارسية ولغة علمية مركبة هي مزيج من التشاغاتاي ولغة تتار قازان وكانت جميع هذه اللغات تكتب بالحرف العربي»..

الاصلاح الثقافي:

وكان من أهداف ما يسمى بالحركة الثقافية تعميم اللغات العامية والمحلية وجعلها لغات كتابية وأثيرت ضجة يبدو أنها مفتعلة لتمجيد الاعمال الادبية التتارية والازرية والكازاخية منذ عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) وقد انتبه هؤلاء الادباء الجدد أنفسهم الى خطورة ظهور

اللغات الاقليمية الجديدة لأنها تشكل عامل هدم للوحدة اللغوية القديمة وبالتالي للثقافة الاسلامية الروسية.. ولذا فقد بذلت جهود طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات.. وفي عام ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) قام المفكر والسياسي التتاري القرمي اسماعيل غسبرالي (غسبرينسكي) باطلاق شعار (كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم) وحاول ايجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية في روسيا والعالم.. وكتب بها جريدته اليومية (الترجمان) التي ظل ينشرها في بغتشيساري من سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) حتى عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م)، والتي اعتبرت من أعظم الدوريات الاسلامية في ذلك الوقت.

ونتيجة لتلك النهضة الثقافية انتشرت المدارس والمساجد في المناطق التتارية ففي مدينة اوفا عاصمة بشكيريا كان بها ١٥٥٥ مسجداً و ٦٢٢٠ مدرسة عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة اسلامية تضم سبعة الآف طالب.. ومطبعة اسلامية طبعت ٢٥٠ كتابا في عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) كما كان بها مكتبة يرتادها عشرون الف قارىء في العام.

وكما يقول بنجيسن ولومرسييه «وهكذا فما أن أقبل عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) حتى بلغ المستوى الثقافي لمسلمي روسيا درجة عالية بشكل ملفت للنظر، وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المصلحون وأصبحت مدن قازان واوفا وارنبورغ وترويتسك وبغتشيساري وباكو مراكز ثقافية وفكرية جديرة بأن تكون ندا لدمشق وبيروت والقاهرة واسطمبول».

ومن الملاحظ أن المناطق التي شهدت صحوة اسلامية وثقافية في الامبراطورية الروسية كان مركزها مناطق التتار فيما يعرف الآن بتتاريا وبشكيريا وما حولها وتتار القرم (كريميا).. ولقد ولدت القومية

الاسلامية في الامبراطورية القيصرية من الرغبة في استرجاع الماضي المشرق والحصول على المساواة مع الاوروبيين الروس.. «وكان للملة الاسلامية (والجدير بالملاحظة أن لفظ الملة لدى الاتراك والفرس والأفغان يعني القومية) في روسيا أساس مزدوج: ديني وعرقي (اثني - Ethnic) أو بمعنـــــــــى آخر اسلامي وتركي» كما يقول بنجيسن ولومر سييه..

«ولم يكن يوجد في روسيا صراع بين الروح الدينية والروح الاثنية (أي القومية العرقية) على عكس ما ظهر في تركيا والبلاد العربية، بل كانت القومية العرقية تتحد وتجد ذاتها في الدين الاسلامي الذي أصبح هو الممثل للقومية العرقية في الامبراطورية الروسية».

الاصلاح السياسي:

كان التتار يعرفون ان الاسلام لم يكن قد بلغ من القوة ما يؤهله لفتح صراع مكشوف ضد الامبراطورية القيصرية. ولذا تميز قادة الحركة حتى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) بالاعتدال ومن أشهر هؤلاء الزعماء اسماعيل غسبرالي من القرم وصدري مقصودي ويوسف اتشور أوغلو وعبد الرشيد ابراهيم من تتاريا ومروان توبتسيياش من أذربيجان. وكانت كل طلباتهم تتركز في المساواة في الحقوق الشخصية مع الروس.. بيد أن هزيمة روسيا سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) في حربها ضد اليابان شجع هؤلاء الزعماء في المطالبة بحقوق سياسية أكبر. ففي شهر أغسطس (آب) سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) عقد في نييجني نوفجورد أول مؤتمر سري للمسلمين اشترك فيه قرابة مائة مندوب تتاري وصدرت توصيات بالمطالبة بالحقوق المدنية الشخصية وبالمساواة في المواطنية مع الروس.. وأرفق ذلك بعرض للتعاون مع الاحزاب الليبرالية الروسية..

وفي ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) عقد مؤتمر سري

ثان في مدينة سان بيترسبورغ حضره مئة مندوب تتاري وقرمي وقفقاسي وكازاخي وتركستاني..

وفي أغسطس (آب) من العام نفسه عقد في مدينة نييجني نوفجورد مؤتمر ثالث حضره مئتا مندوب عن مختلف المناطق الاسلامية في الامبراطورية الروسية وكان هذا المؤتمر علنيا على خلاف سابقيه السريين.. وأعلنت مقرراته المطالبة بالحرية الدينية وحرية التعليم وتقرر لأول مرة ظهور حزب سياسي اسلامي لكافة مسلمي الامبراطورية القيصرية..

ورغم أن هذا الحزب ظل متواضعا في طلباته التي قصرها على حرية التدين وحرية التعليم ورغم انه عرض تعاونه مع الليبراليين الروس الذين توقع منهم الموافقة على هذه الطلبات المتواضعة الا ان الليبراليين الروس خيبوا آمال المؤتمرين برفضهم التعاون مما يدل على تجذر الحقد الصليبي ضد المسلمين حتى ولو لم يكونوا ملتزمين بالمسيحية. وحتى لو كانوا ممن ينادون بالحرية ويرفعون شعار العدالة والمساواة.. إذ المقصود بهذه الشعارات ان تكون وقفاً عليهم وحكراً لهم ولا ينبغي أن يتمتع بها معهم المسلمون.

وبعد سنتين من تكوين هذا (الاتفاق الاسلامي) أي في عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) فقد قادته كل أمل في الليبرالية الروسية وهاجر كثير منهم الى تركيا ومنها الى مناطق العالم الاسلامي.. وعندئذ أخذ كثير من شباب المسلمين بشعارات الاشتراكية والماركسية المنادية باسقاط القيصرية والبورجوازية الروسية التي أذاقت المسلمين الويلات.. وكان الماركسيون في دعوتهم للمسلمين حذرين من توضيح حقيقة اتجاهاتهم نحو الاسلام فكانوا يتحدثون لشباب المسلمين عن الاسلام التقدمي والاسلام الاشتراكي، والاسلام التحرري مما تكرر في نداءات لينين وخطاباته

وخطابات الزعماء الشيوعيين الآخرين منذ وقت مبكر سبق قيام ثورة اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) واستمر فيما بعد الى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م). وللأسف لا نزال نسمع هذه النغمة في البلاد العربية والاسلامية بعد مرور أكثر من ستين عاما على استهلاك هذه الاسطوانة الممجوجة في روسيا ذاتها!... وحتى من قبل سقوط حزب (اتفاق المسلمين) نتيجة تعنت الليبراليين الروس تكونت في بلاد التتار ثلاثة أحزاب راديكالية ثورية هي:

(١) حزب (برك) أو الوحدة الذي أسس في قازان سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وكان يقوده علماء الدين المعروفون باسم الملا كما اشترك معهم كثير من رجال الفكر.. وكان هذا الحزب يدعو الى قيام دولة اسلامية مستقلة مع برنامج ديمقراطي اشتراكي في المجال الزراعي والعمالي. واندس في هذا الحزب كثير من التتار الماركسيين مثل حسين يامشيف وغفور كولا حميد نوف وعبد الله أباني.

وقد قامت السلطات القيصرية البوليسية بتصفية هذا الحزب بعد عدة أشهر من تكوينه وزج بالقائمين به في السجون.

(٢) حزب تانغ تشيلار (محاربو نجمة الصباح) تأسس هذا الحزب في ربيع سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) في قازان وتولى قيادته شباب مثقفون تتار منهم: أيازاسخاني وفؤاد توكتار وعبد الله دفلتشين.. وتأثرت ايدولوجية هذا الحزب بأفكار الاشتراكيين الثوريين الروس مع تركيز اهتمامهم على مشاكل الفلاحين المسحوقين.

وقد قام البوليس القيصري بتصفية هذا الحزب ورجاله عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م).

(٣) حزب أورال تشيلار (محاربو الاورال): تأسس هذا الحزب في يناير ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) في مدينة اورنبرغ.. وتبنى هذا الحزب الايديولوجية الماركسية مع تمجيده للدين الاسلامي.. وهو نوع من الوهم اختلط في أذهان بعض مؤسسيه الشباب ونوع من التكتيك في اذهان الماركسيين الروس الذين تعاونوا معهم.. فكان في قيادته حسين ياماشيف وعمر تبريغولوف:.

وقد قضى عليه البوليس في أبريل ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) (أي بعد أربعة أشهر فقط من تكوينة). وهكذا واجهت الحركات السياسية الاصلاحية التي تزعمها تتار الفولجا في روسيا القيصرية مصيرها البائس مع العناصر الليبرالية الروسية.

وأخذت هذه الحركة الاصلاحية السياسية تفقد بريقها منذ سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ولكن ثورة ٨ فبراير ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) التي أطاحت بالقيصر نيقولا الثاني بعثت الأمل الى كافة المسلمين في روسيا.. وأدت الى قيام حركة ثورية اسلامية راديكالية وكما يقول بنجسين ولومرسييه «ظلت متعلقة بالإسلام الأكثر استقامة في الرأي، ومع ذلك فبرنامجها الاجتماعي كان تقريباً اشتراكياً وقياداتها خططت جدياً لامكان التعاون مع البولشفيك» وسبب هذا الانعطاف الجديد نحو اليسار كما يقول المؤلفان الآنفا الذكر كان نتيجة اطروحات لينين التي وضعها في ابريل سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) والمنادية بالحرية الدينية التامة للمسلمين واستقلالهم الثقافي والتعليمي والسياسي.. ونتيجة الموقف المعاكس الذي وقفه الليبراليون الروس من الاسلام وهو موقف يتمثل في عدم اعطاء المسلمين أي استقلالية ثقافية ودينية يمكن أن تؤدي الى نوع من الاستقلال السياسي.

ولذا فقد قوبل سقوط الملكية بحماس بالغ لدى أغلبية مسلمي

الامبراطورية الروسية.. واعتبر بداية عهد جديد تستعيد فيه الأمة الاسلامية في روسيا وحدتها ومقوماتها - وعقد في أول مايو (١٣٣٦هـ) (١٩١٧ م) مؤتمر اسلامي كبير في موسكو حضره تسعمائة مندوب من كل الاقاليم الاسلامية في الامبراطورية القيصرية السابقة والتي ستعرف فيما بعد باسم الاتحاد السوفيتي.. وكان من نتائج هذا المؤتمر محاولة التوفيق بين الاسلام والاشتراكية والتشديد بقوة على الملة الاسلامية (أي القومية الاسلامية) في روسيا.. ورغم الخلاف الذي حدث بين المؤتمرين الذين انقسموا الى فريقين أحدهما ينادي بالاستقلال التام للامة الاسلامية في روسيا وإيجاد دولة مستقلة ذات سيادة كاملة وكان هذا الفريق يناصره التركستانيون والاذربيجانيون (الاذريون) بينما كان الفريق الآخر الذي يناصره التتار ينادي بتكوين اتحاد فيدرالي للمناطق الاسلامية مع روسيا. ومع هذا فقد اتفق الجميع على إنشاء ادارة مركزية انيطت بها مهمة تنسيق شئون الملة الاسلامية في روسيا بالإضافة الى مجلس شوري مركزي (ملي شوري) ولجنة تنفيذية اسلامية وفي يوليه (١٣٣٦ هـ) (١٩١٧ م) عقد في قازان المؤتمر الثقافي لمسلمي روسيا وفي هذه المرة لم يستطع الحضور سوى ممثلي تتار الفولجا والبشكير والقرم.. وأما ممثلو التركستان والقوقاس وأذربيجان فلم يستطيعوا الحضور نتيجة الحرب الأهلية الطاحنة والفوضى العارمة التي كانت تجتاح أنقاض الامبراطورية القيصرية مع استمرار روسيا في الحرب العالمية الأولى.

وفي مؤتمر قازان ظهر الاتجاه الى قيام دولة اسلامية فيدرالية قوياً بصورة أقوى من مؤتمر موسكو وشدد المؤتمرون على وحدة مسلمي روسيا الثقافية والسياسية وعززت الادارة الاسلامية المركزية بإنشاء مجلس حربي (حربي شوري) مركزه قازان. ومنذ يوليه ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) بدأ هذا المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط تتار وبشكير.. كما أنشأ المؤتمرون أيضاً ادارة ملية مركزها مدينة اوفا في بشكيريا وكلفوها

الاعداد لعقد مجلس ملي في اوفا في ٢٠ نوفمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) الذي سيناط به تقرير مستقبل الامة الاسلامية في روسيا..

تكتيك لينين تجاه الدعوة الى قيام دولة إسلامية في روسيا:

ورغم هذه القرارات الاسلامية المتشددة الا أن لينين والبولشفيك عامة أظهروا تأييدهم لها ووقوفهم معها وهو تكتيك رهيب اتسم بالغدر والخسة وجعل معظم العناصر الاسلامية تقف في صف لينين عندما قام بالاستيلاء على نتاج ثورة فبراير ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) التي قادها الليبراليون الروس ضد القيصر نيقولا واستطاع لينين بمساعدة البحرية الروسية وبمساعدة الاقليات (وأكبر هذه الاقليات هم مسلمو روسيا) أن يستولي على روسيا في ثورته التي قادها في ١٧ اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وانضم أكثر المسلمين بما فيهم العلماء الى صفوف لينين بعد أن صدقوا وعوده لهم بالاستقلال نتيجة لهول ما عانوه من القياصرة ولذا كان موقفهم ضد قوات الامير كولشاك الذي كان يحارب من أجل اعادة روسيا البيضاء.. ولهذا لم تعش جمهورية ترانس بولاق في تتاريا الا اسبوعاً واحداً ١٣٣٧ هـ (٢١ - ٢٨ فبراير ١٩١٨ م) لأنها لم تجد تأييداً من التتار المسلمين الذين ضاقوا بالقياصرة الروس وجربوا التعاون مع الليبراليين فوجدوهم شديدي العداء للمسلمين. وكان الأمل الأخير لهم هو وعود لينين الخلابة ولذا وقفوا معه ضد قوات روسيا البيضاء..

وصدق شباب تتار الفولجا امكانية التوافق بين البلشفية والاسلام وكما يقول مؤلفا كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «تعتبر الشيوعية الوطنية الاسلامية في الاتحاد السوفيتي حدثاً فريداً في التاريخ. فقد دامت حوالي عشر سنوات من ١٩١٨ حتى ١٩٢٨، بل أكثر في بعض المناطق.. وقد كانت نتاجاً ايدلوجيا وعلمياً لفريق من

الشباب الوطني المثقف عماده تتار الفولجا ».

« وحـاول الشيوعيون الوطنيون المسلمون ان يكيفوا المـاركسيـة اللينينية الروسية مع الاوضاع التاريخية والاجتماعية والثقافية للاسلام ففشلوا.. وصفي معظمهم تصفية جسدية بأمر من ستالين بين سنتي ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)و١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).

وهكذا استخدمت الشيوعية الروسية هؤلاء الشباب المتحمسين لتوطـد أركانها في وطنهم ثم قامت بعد ذلك بقتلهم وسحلهم. ويقول كاتبا (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «أن كل الذين انخرطوا في صفوف الحزب الشيوعي لم يكونوا عن الماركسية سوى مفاهيم غائمة فالعقيدة الماركسية في وجهها الاجتماعي والاقتصادي والعقائدي لم تكن تثير اهتمامهم.. وإنما كان اندفاعهم نحو البولشفيك لأسباب عملية محضة وهي:

١ - عدم الأهلية السياسية لرؤساء الجيوش الروسية البيضاء وعدم تفهمهم لقضايا مسلمي الامبراطورية الروسية بل وموقفهم العدائي حتى من الذين ناصروهم من البشكير والكازاخ في حزب الاش اوردا مما أدى بهؤلاء الى الارتماء في أحضان البولشفيك رغم قناعاتهم الاساسية بخطر البولشفيك..

٢ - العمل الشخصي الذي قام به ستالين (أيام لينين) فقد نجح في أن يجذب اليـه أهم قـادة الجنـاح الايسر في الحركـات الوطنيـة الاسلامية.

٣ - الوعود التي اطلقها لينين بمنح المسلمين المساواة التامة مع الروس والحرية الدينية بل وحق الاستقلال الكامل.

٤ - الأمل بأن ثورة اكتوبر لم تكن سوى خطوة أولى نحو تحرير العالم الاسلامي بأكمله من نير الاستعمار الأوروبي حسب ما أوحت لهم

بيانات لينين ومؤتمر باكو المنعقد في ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م).

٥ - الاعتقاد الساذج بأن ثورة اكتوبر ستكون في الاقاليم الاسلامية امتداداً لحركة الاصلاح التجديدية ورغم أن أغلبية هؤلاء الذين انخرطوا في صفوف البولشفيك عرفوا الحقيقة المرة وثاروا ضد البولشفيك بثوراتهم المعروفة المشهورة الا أن قلة استمرت في التعاون والاخلاص للحزب الشيوعي الروسي.. ومع هذا لم يشفع لهم اخلاصهم هذا فبمجرد ان تم للروس البلاشفة (المستعمرين الجدد) القضاء على المقاومات الشعبية قاموا بالتصفية الجسدية لرفاق الامس الذين وطدوا لهم اركان حكمهم الاستعماري في المناطق الاسلامية (حالما شعروا انهم لم يعودوا في حاجة الى هذا التعاون المرحلي).. ومن هؤلاء الشيوعيين المسلمين الذين لقوا جزاءهم على يد أسيادهم الروس:

مير سعيد غالياف احد تتار الفولجا والذي أصبح مساعداً لستالين في مفوضية الشعب للقوميات وعضوا في المفوضية المركزية الاسلامية، ورئيساً للمدرسة الحربية الاسلامية وعضوا في اللجنة المركزية لجمهورية تتارستان الاشتراكية السوفيتية.. وناشرا لجريدة (جزن ناتسيونال نوستي) ومع هذا فقد أوقف في مايو ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وطرد من الحزب الشيوعي باعتباره منشقاً قومياً وسجن حتى عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) ثم سجن مرة أخرى مع الاشغال الشاقة لمدة عشر سنوات.. واختفى أثره سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) أي بعد خروجه من السجن... وهي طريقة معروفة لدى الشيوعيين في تصفية خصومهم حيث يبعثونهم الى العالم الآخر ويعلنون اختفاءهم. وأصبح اسمه في الاتحاد السوفيتي مرادفاً لخائن وقومي برجوازي.

ومنهم **طرار ريسكوف** وهو قازاخي راديكالي انتسب الى الحزب

الشيوعي في سبتمبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وأصبح مفوض تركستان للصحة وعضوا في القيادة الجماعية لمفوضية الشعب للقوميات عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) وعضو مكتب آسيا الوسطى في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي ورئيساً للجنة الشعبية السوفيتية لجمهورية تركستان ١٣٤١ - ١٣٤٣ هـ (١٩٢٢ - ١٩٢٤ م) اقيل عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ونفذ فيه حكم الاعدام سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) بصفته منحرفاً ينادي بالوحدة التركية.

ومنهم أحمد بيطرسون القازاخي وأحد مؤسسي حزب (الاش اوردا) ويعتبر من أهم الشخصيات الثقافية في قازاقستان.. صفي جسدياً سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م).

ومنهم علي خان بوكيخانوف زميل أحمد بيطرسون مؤرخ وعالم الانثروبولجي انضم الى الحزب الشيوعي سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وتولى مناصب قيادية وصفي جسدياً سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م).

ومنهم غاليموجان ابراهيموف من تتار الفولجا الذي عينه ستالين سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) رئيساً للمفوضية المركزية للشئون الاسلامية.. وتولى مراكز هامة للشيوعيين ثم سجن عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) لأنه قاوم تحويل الكتابة التترية من الحرف العربي الى الحرف اللاتيني واعدم في السجن سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م). ومنذ سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) بدأ النزاع بين الشيوعيين المسلمين وبين أسيادهم الشيوعيين الروس فقد كان الشيوعيون المسلمون يصرون على وجهة نظرهم القائلة بأن الثورة الشيوعية في الشرق (الاسلامي) يجب أن تظهر بمظهر التحرر الوطني من الاستعمار وأن الثورة الوطنية في الشرق يجب أن تتم دون تدخل الروس فيها.. أما نظرتهم الى الاسلام فهي نظرة احترام لأنه يمثل تراثاً ثقافياً هائلا تجب المحافظة عليه وتنميته كما تجب مقاومة تأثير

المدنية الأوروبية بما فيها الروسية على مسلمي الاتحاد السوفيتي وينبغي حماية لغتهم وآدابهم الخاصة كما ينبغي حماية اراضيهم من المستوطنين الروس بل ويجب طرد جميع المستوطنين الروس الذين احتلوا الاراضي الاسلامية في الاتحاد السوفيتي. ولهذا فقد قامت السلطات الروسية بمداراة هؤلاء الشيوعيين المسلمين عندما كانت في حاجة اليهم من سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) الى سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) فلما ثبت لها الامر واستقر بها المقام قامت بتصفيتهم جسديا واحداً اثر الآخر.. ولم يأت عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) حتى كان معظم الشيوعيين المسلمين الذين ساهموا في تثبيت دعائم الحكم البلشفي قد صفوا جسدياً.. ولاقوا جزاءهم على يد رفاق الامس وخسروا بذلك دنياهم وأخراهم.. وذلك هو الخسران المبين..

وتلخيصا لما سبق فاننا نرى أن تتار الفولجا كانوا هم عماد حركة القومية الاسلامية في روسيا منذ بداية هذا القرن وعلى اكتافهم قامت تلك النهضة القوية التي شهدها مسلمو قازان والتي امتدت الى عاصمة البشكير اوفا ثم الى اورنبرغ في الاورال ومنها الى كافة المناطق الاسلامية..

وللأسف وقع المسلمون في روسيا في شباك لينين وستالين ورفاقهما الذين اعلنوا مراراً وتكراراً عن تأييدهم للمطالب الاسلامية ثم ما لبثوا أن غدروا بها بصورة قذرة بعد أن تمكنوا من تشديد قبضتهم على الامبراطورية الحمراء الجديدة..

والمنطقة الوحيدة التي تعاونت مع قواد روسيا البيضاء كانت في بشكيريا حيث أعلن البشكير في ديسمبر سنة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) استقلالهم الذاتي وشكلوا حكومة في اورنبرغ ووقفوا على الحياد في الصراع بين البولشفيك واعدائهم.. لكن البولشفيك سيطروا في فبراير

١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) على مدينة اورنبرغ واعتقلوا قادة البشكير ومنهم زكي والدي طوقان..

وبعد شهرين فقط أي في ابريل سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) عاد البيض فاستولوا على اورنبرغ والتحق البشكير بالقوات البيضاء فورا وكونوا ثاني حكومة قومية بشكيرية في يونيه سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وبقيادة زكي والدي طوقان أعلن البشكير في سبتمبر من نفس العام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بالتعاون مع البيض قيام حكومة روسيا المؤقتة ومركزها مدينة اوفا.. وفي تلك الأثناء كانت الوحدات البشكيرية تحارب في خندق واحد مع الجيوش البيضاء.. غير ان هذا التحالف لم يدم طويلا فقد قام الأمير كولشاك قائد القوات الروسية البيضاء بحل حكومة اوفا المؤقتة وتصفية الفرق البشكيرية التي كانت تحارب الى صفه خوفا من قيام دولة بشكيرية اسلامية مستقلة.. وذلك لأن الروس البيض كانوا يرون في قيام دولة اسلامية حتى ولو كانت حليفة لهم خطرا يماثل خطر الشيوعيين بل أشد..

وكما يقول مؤلفا كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) «وكان لقصر النظر السياسي الذي يتميز به القادة البيض نتائجه الفورية والمأسوية».. فما أن تأكد زكي والدي طوقان ورفاقه من استحالة التعاون مع كولشاك حتى انتقلوا الى حرب العصابات ضده وفي ١٩ فبراير ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) التقى زكي طوقان سرا برسل لينين ووقع معهم معاهدة تمهيدية أنشئت بموجبها الحكومة المؤقتة لبشكيريا السوفيتية.. وفي ٢٢ فبراير كانت الوحدات البشكيرية تخترق الجبهة وتلتحق بالجيش الأحمر بكامل عدتها.

وعُين زكي طوقان رئيساً للجنة البشكير الثورية التي كانت تقوم مقام الحكومة البشكيرية وكما كان التعاون بين البشكير وقادة روسيا

البيضاء قصير الأمد كذلك كان التعاون بين البشكير وقوات روسيا الحمراء ايضاً قصير الأمد.. لأن كلا المعسكرين الأبيض والأحمر لا يريد قيام دولة اسلامية مستقلة. وسرعان ما ظهرت نواياهم الخبيثة تجاه المسلمين.

ولذا كانت سياسة البشكير في هذه الحرب بعد أن كانوا أول من أدرك خطورة كلا المعسكرين الرأسمالي والشيوعي على المسلمين والاسلام، كانت سياستهم تنحصر في أن ينتزعوا من البولشفيك أكبر قدر ممكن من الحريات السياسية والثقافية والدينية.. أما البولشفيك فكانوا يعتبرون التحالف (المضاد للطبيعة) مع المسلمين البشكير يمثل مرحلة عابرة فقط هدفها بلشفة البشكير والاستيلاء على أرضهم..

وما أن تمكن لينين من توطيد دعائم دولته الحمراء المخضبة بالدماء حتى بدت نواياه الخبيثة تجاه المسلمين تظهر على حقيقتها رغم ما كان يدبّجه من مقالات وخطب رنانة لخطب ود المسلمين وفي تلك الفترة بدأت تتضح أكاذيب لينين لقادة المسلمين في مختلف مناطقهم ومن هؤلاء الذين عرفوا حقيقة لينين البشعة زكي طوقان ورفاقه في لجنة البشكير الثورية.. وعندئذ فرَّ زكي طوقان ورفاقه الى التركستان حيث كانت ثورة الباسماش على أشدها ضد البلاشفة والتحقوا بها وذلك في يونيه ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م).

وعندما استتب الأمر للينين قام بتقسيم تتار الفولجا الى عدة مقاطعات وجمهوريات اسمية تابعة مباشرة لموسكو..

وفي الشمال والشمال الشرقي من المجرى الأوسط لنهر الفولجا أقام لينين عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) جمهورية تتاريا وجمهورية بشكيريا.. أما بقية مجرى الفولجا الأوسط والأسفل بالقرب من استراخان فجعله داخلاً في جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية، دون أن تكون له

أي صفة ادارية مستقلة أو شبه مستقلة.

جمهورية تتاريا[1]: هي إحدى الجمهوريات الستة عشر التابعة لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية.. والمفروض انها تتمتع باستقلال ذاتي في الأمور الداخلية.. وان كانت في الواقع مثل بقية الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي ليست الا مستعمرة روسية يحكمها المندوب السامي الروسي بصفته سكرتيرا اولا أو ثانيا للحزب الشيوعي المحلي التابع للحزب الشيوعي الروسي..

تقع تتاريا غرب جمهورية بشكيريا في شمال المجرى الأوسط لنهر الفولجا حيث تلتقي روافد هذا النهر.. وأهم هذه الروافد نهر كاما الذي يأتي من الشرق حيث يلتقي بنهر الفولجا الآتي من الغرب.. ولذا كانت منطقة تتاريا منطقة زراعية خصبة.. ولا تشتهر تتاريا بثروتها الزراعية فحسب وانما حباها الله أيضاً ثروة بترولية هائلة تنافس باكو الشهيرة مما جعلهم يطلقون عليها اسم باكو الجديدة.

تبلغ مساحة تتاريا ٦٨,٠٠٠ كم مربعاً وسكانها ثلاثة ملايين ونصف أقل من نصفهم من التتار المسلمين (٤٧,٦ بالمئة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م) بينما يشكل المستعمرون الروس ٥١ بالمئة وبينما يذكر كتاب «المسلمون في العالم» للدكتور عادل طه أن المسلمين يشكلون ٦٥ بالمئة من سكان تتاريا).

وهم من أفراد القبيلة الذهبية من نسل جوجي ابن جنكيزخان الذين دخلوا في الاسلام في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) باسلام بركة خان ابن جوجي الذي تولى أمر هذه القبيلة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) والذين حكموا روسيا واستوطنوا مجرى نهر الفولجا وأقاموا فيه المدن العظيمة مثل قازان والسرا والحاج طرخان (استراخان) وغيرها..

---

(١) انظر الخريطة بين الصفحتين ١١٤ - ١١٥.

وقد مر معنا ذكر تاريخهم وكيف استولى ايفان على عاصمتهم قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) ثم كيف سقطت استراخان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وما مر بهم من أهوال وحرب إبادة ومحاولات التنصير بالقوة والشتات التتري (الدياسبورا) ثم كيف استطاعوا أن يصمدوا رغم هذه الأهوال ويربطوا هويتهم القومية بالاسلام.. بحيث اصبح الاسلام يمثل لديهم مفهوم الأمة. وقد ذكرنا ذلك كله في الصفحات الماضية الى بداية عهد ثورة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وموقفهم من لينين ورفيقه ستالين. وقد وضع ستار حديدي حول وضع تتاريا بعد أن احكم البلاشفة قبضتهم عليها.. وليس لدينا سوى اخبار اعدام الرفاق الشيوعيين من تتاريا والذين تعاونوا مع لينين ثم مع ستالين من بعده وذلك لأنهم كانوا أحيانا يتجرأون ويطالبون ببعض الحقوق لمواطنيهم.. ومثال ذلك مير سعيد غالياف (من تتار الفولجا) الذي كان مساعدا لستالين في مفوضية الشعب للقوميات وعضوا في المفوضية المركزية الاسلامية وعضوا في اللجنة المركزية لجمهورية تتاريا الاشتراكية.. ولقد أوقف مير سعيد لأول مرة من جميع مسئولياته في مايو سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وطرد من الحزب سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) ثم اعتقل وحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات وذلك سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وبعد خروجه من السجن سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) اختفى من الوجود سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) بالطريقة الشيوعية المعهودة.. وأصبح اسمه مرادفاً لاسم خائن وبورجوازي قومي.

وكذلك كان مصير غاليموجان ابراهيموف أحد كبار كتاب تتار الفولجا الذي عينه ستالين عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) رئيسا للمفوضية المركزية للشئون الاسلامية.. ولأنه قاوم (ترويس) الثقافة التتارية سجن عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) بتهمة القومية والدعوة للوحدة التركية وأعدم في السجن عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م).. ومن هؤلاء مجموعة من

الكازاخيين والاوزبك وتتار القرم الذين تعاونوا مع البولشفيك فكان مصـيرهم السجن والاعـدام ومنهم أحمد بيطرسون الكـاتـب والمؤرخ الكازاخي الذي أعدم سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وعلي خان بوكي خانوف الكازاخي عالم الانثروبوليجيا الوصفية والمؤرخ الذي ينتسب الى جنكيزخان ورفيق أحمد بيطرسون وأحد الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي.. ومع هذا فقد تم اعدامه سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) بتهمة الميول القومية.. ومن هؤلاء سلطان علي أوغلي المعروف باسم سلطان غلييف الذي طرد من الحزب الشيوعي سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) لانحرافه القومي وسجن في نفس العام وأعدم سنة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م).

وفي خلال عامين فقط هما عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وعام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) صفي جسديـا جميـع رؤساء لجـان نهر الأوب التتـاريـة والبشكيرية في الحزب الشيوعي التتاري وكذلك كل قادة اتحاد الكتاب ومصلحة المنشورات في قازان واوفا..

وواجه تتار القرم الذين انضوا تحت راية الحزب الشيوعي نفس المصير الأسود مثل ولي ابراهيم الذي تولى منصب رئيس جمهورية القرم بعد بالاكون الجري وقام لينين باعدامه واعدام جميع وزرائه سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي عـــــام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) قتلوا رئيس الجمهورية محمد قوباي مع جميع وزرائه وتكررت نفس القصة عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) مع رئيس الجمهورية الياس طرخان مع جميع اعضاء حكومته. فاذا كان هذا هو مصير كل من تعاون من المسلمين مع البولشفيك فكيف يا ترى كان مصير المسلمين الذين قاوموا الطغيان الشيوعي؟!

لقد هدم الشيوعيون الروس عند دخولهم قازان سبعمائة مسجد من مساجدها الشهيرة كما حطموا وحولوا آلاف المدارس الاسلامية في قازان

الى مدارس لتعليم الشيوعية.. كما حطموا المطبعة الاسلامية التي كانت تطبع القرآن الكريم ومئات الكتب الاسلامية وكذلك استولوا على جامعتها الاسلامية التي كان يدرس فيها سبعة آلاف طالب وحولوها الى جامعة شيوعية.

أما مدينة الحاج طرخان (استراخان) فقد فصلت عن تتاريا وأصبحت تابعة مباشرة لروسيا. وحقيقة اسمها أن أحد الحجاج الأتراك الصالحين نزل بموضعها وحرر له سلطان تتار الفولجا رقعة ليسكن فيها بدون مكوس أو ضرائب وهذا معنى لفظ طرخان فكثر فيها نزول الحجاج من تلك المناطق وأصبحت مدينة كبيرة يقيم فيها سلاطين التتار في الشتاء لأنها تقع على بحر قزوين على مصب نهر الفولجا.. وتعتبر دافئة نسبيا..

وتأسست بها خانية تتارية مستقلة سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) عندما انفصل كوجوس عن أقاربه الذين كونوا خانية قازان وخانية القريم.. واستولى عليها ايفان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) وواجهت نفس حرب الابادة التي واجهتها قازان والسرا ومدينة البلغار وكافة المدن الاسلامية التي وقعت في قبضة ايفان وخلفائه كما واجهت نفس الحرب الشرسة ضد الاسلام منذ أن استولى عليها البولشفيك سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م).

ورغم وجود المستعمرين الروس بها الا أن أغلبية السكان هي من التتار المسلمين وتصل إليها أنابيب النفط من باكو عاصمة اذربيجان وذلك لتوزيعه على مناطق مجرى نهر الفولجا ونهر الأورال.. وبلغ مجموع التتار في الاتحاد السوفيتي ٦,٣١٧,٤٠٠ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ربعهم فقط في تتاريا (١,٦٤١,٦٠٠) وأكثر من مليون تتاري في الحوض المتوسط والادنى لنهر الفولجا وقرابة المليون في بشكيريا، ومليون في الاورال وسيبيريا الغربية.

جمهورية بشكيريا[1]:

هي احدى الجمهوريات الستة عشر ذات الاستقلال الذاتي اسميا والتابعة لجمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية (الاتحادية) السوفيتية.. والتي تأسست عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وتقع هذه الجمهورية شرق جمهورية تتاريا ويشكل نهر كاما وهو أهم روافد نهر الفولجا أهم أنهارها.. وتقع مدينة اوفا الشهيرة على ملتقى أنهر اوفا وبيلافا وكاما.

ولقد دخل البشكير في الإسلام منذ وقت مبكر بعد أن دخل الاسلام الى نهر الفولجا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الى بشكيريا ولم يأت القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) الا وقد كان البشكير جميعا قد دخلوا في الاسلام وذلك على يد الدعاة الى الله من الصوفية وعلى يد مريديهم وأتباعهم من التجار المسلمين.

وعندما ظهرت القبيلة الذهبية واستولت على جميع اراضي الفولجا والبشكير في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) كانت هذه القبيلة أيضا قد دخلت في الاسلام.. واختلط هؤلاء التتار من القبيلة الذهبية (أحفاد جنكيز خان) بالسكان البشكير ايما اختلاط كما اختلطوا ايضا ببلغار الفولجا حتى أصبحوا أمة واحدة يجمعها الاسلام والمصاهرة واللغة المشتركة.

وقد احتل ايفان الرهيب منطقتهم بعد أن احتل قازان عاصمة التتار الاولى وفي نفس العام الذي احتل فيه استراخان عاصمة التتار الثانية أي في عام ٩٦٥هـ (١٥٥٧م).

وواجه البشكير نفس حرب الابادة التي واجهها تتار الفولجا وفرض عليهم التنصير أو القتل او التشريد. وشكلوا مع تتار الفولجا الشتات التتري المعروف باسم الدياسبورا والذي امتد على طول الأراضي التي

---

(١) انظر الخريطة بين الصفحتين ١١٤ - ١١٥.

احتلتها روسيا القيصرية.. وقد استطاعت الكنيسة الارثوذكسية أن تفرض التنصير على ١٥ ألفاً من الناغايبك احدى قبائل البشكير. وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي.

وقد قام البشكير بعدة ثورات ضد حكم القياصرة أشهرها ثورة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م).. وقد أخمدت جميع هذه الثورات بقسوة بالغة..

وفي عهد كاترين الثانية التي أعطت المسلمين شيئا من الحرية الدينية نشط البشكير نشاطاً عظيماً في بناء المساجد والمدارس الاسلامية.. ورغم أن عهد التسامح الديني لم يدم بعد وفاة كاترين لأن خلفاءها عادوا الى سياسة الكبت والضغط على المسلمين ورغم أنه لم يسمح ببناء مساجد جديدة في عهودهم الا أن ما بقي من المساجد التي شيدت بكثرة في عهد كاترين بلغ عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ١٥٥٥ مسجداً كما كان يوجد في هذا الوقت ايضا ٦٢٢٠ مدرسة اسلامية..

ولقد شارك البشكير مشاركة فعالة في النهضة العلمية والثقافية التي شهدها تتار الفولجا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل العشرين وظهر منهم كثير من الكتاب والادباء كما ظهر منهم كثير من الزعماء الذين كانوا ينادون أولا بالمساواة في الحقوق مع الروس واعطاء الحريات الدينية والثقافية الكاملة وحق انشاء المدارس الخاصة بهم ووضع مناهجها الاسلامية كما كانوا يطالبون بمحاكمهم الشرعية..

ولقد تطورت هذه الدعوة بعد عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) الى ايجاد دولة اسلامية لجميع مسلمي الامبراطورية الروسية تكون لها ارتباطات بدولة روسيا..

وفي ثورة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وقف البشكير أولا مع قوات روسيا البيضاء وأقاموا دولتهم بزعامة زكي والدي طوقان وحاربوا القوات البلشفية.. ولكن سرعان ما تبين لهم أن الأمير كولشاك يرفض ان

حوض الفولغا



موسكو
ماري
ادمورت
نهر الفولغا
جوفاش
قازان
نهر كاما
تتاريه
موردوف
أوفا
باشكيريه
أورنبورغ
نهر أورال
نهر الفولغا
كازكستان
استراخان
بحر الخزر
كم ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠

يعطي المسلمين أي نوع من الحريات الدينية والسياسية. بينما كان لينين ينادي بالحريات الكاملة للمسلمين وبحقهم في انشاء دولة مستقلة اسلامية..

ولذا تحول زكي طوقان الى صفوف البولشفيك ووقع معاهدة مع لينين يتعهد فيها لينين بتأييد الدولة الاسلامية.. ولكن سرعان ما غدر لينين بالمسلمين. واستطاع زكي والدي طوقان مع أعضاء حكومته أن يفر الى مناطق الثورة ضد لينين في التركستان وأن ينضم الى ثورة الباسماش الشهيرة عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م)..

ولقد شهدت مدينة اوفا عاصمة بشكيريا الشهيرة العديد من المؤتمرات الاسلامية منذ عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وكانت أحد المراكز الهامة للثورة الاسلامية في روسيا في القرن العشرين وهي المركز الديني لروسيا - الاوروبية وسيبيريا.

ومنذ عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) تحولت بشكيريا الى جمهورية سوفيتية.. ومنذ ذلك الحين واجهت بشكيريا حربا سافرة ضد الاسلام مثلما واجهته بقية المناطق التي وقعت في براثن الدب الروسي الأحمر.

ورغم ذلك فقد كان ستالين وخلفاؤه يتظاهرون أحيانا باعطاء بعض الحريات الدينية المحدودة وخاصة عند مجيء رؤساء الدول العربية والاسلامية الى روسيا.. وقد جعلت أوفا مركزا لمفتي روسيا منذ سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م).

تبلغ مساحة بشكيريا ١٤٣,٦٠٠ كم مربع ويبلغ سكانها قرابة أربع ملايين لا يبلغ المسلمون منهم سوى ٥٥٪ وذلك نتيجة لحركة الاستيطان والاستعمار الروسي التي اتبعها ايفان من قبل ولينين وخلفاؤه من بعد. بلغ عدد السكان في تعداد ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٣,٨٤٩,٠٠٠ منهم ٢٤,٣ بالمئة بشكير و٢٤,٤ بالمئة تتار و٤٠ بالمئة روس و٢٪

أوكرانيون.. ويقطن الروس في المـــدن أساساً.. وبيـــدهم الادارات الحكومية والحزبية والصناعات. أما البشكير فأغلبهم مزارعون.

وبشكـيريا غنيـة بمواردهـا الزراعيـة لخصوبـة تربتهـا وكـثرة الميـاه المتدفقة من الجبال مشكلة انهاراً كثيرة يلتقي منها عند مدينة اوفا نهر بيلافا وكاما وأوفا..

وفي جنوب بشكيريا تنبجس ينابيع كثيرة تشكل انهارا ترفد نهر الأورال وأهمها النهر الذي يلتقي بنهر الأورال عند مدينة اورنبرغ.

كما أن بشكيريا غنية بثروتها المعدنية ففي جبال الأورال توجد معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والتنجستين كما يوجد في بشكيريا ايضا حقول للنفط هامة...

جمهورية الجوفاش: تبلغ مساحتها ١٨,٣٠٠ كم مربعاً تقع غرب جمهورية تتاريا بين نهر الفولجا الذي يجري على حدودها الشمالية وبين أحد روافده الذي يجري من الجنوب الى الشمال قريبا من حدودها الغربية وهي تتبع جمهورية روسيا ويسكنها مليون ونصف من الجوفاش المسلمين الذين يتكلمون لغة خاصة بهم. وهي منطقة سهول تتخللها بعض التلال.. وقد احتلها الروس عام ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) في عهد ايفان الرابع المسمي ايفان الرهيب..

وقد ضغط عليهم القياصرة ليتحولوا الى المسيحية فتحولوا ظاهريا إليها كما فعل بعض مسلمي اسبانيا الذين لم يستطيعوا الهجرة منها.

وفي عهد كاترين أعطي المسلمون شيئا من الحرية الدينية فأظهر هؤلاء الجوفاش اسلامهم فاشتد عليهم الضغط عندئذ.. ولكنهم صمدوا وبقوا على اسلامهم رغم التنكيل.. وعندما أعلنت الحرية الدينية عام ١٣٢٣هـ - (١٩٠٥م) اظهروا اسلامهم في صورة جماعية اذهلت المراقبين وفاقت كل تصور اذ تحول أكثر من مليون شخص في وقت

واحد الى الإسلام..

وأنشئت جمهوريتهم عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وأصبحت عاصمتهم شبوقساري التي تقع في شمال البلاد قريبا من نهر الفولجا.

جمهورية موردوف: وهي جمهورية صغيرة تتبع جمهورية روسيا ويسكنها مليون وربع من المسلمين وهي أكثر الجمهوريات الاسلامية امتدادا نحو الغرب في الأرض الروسية.. وتشكل السفوح الشمالية لتلال بينزا. وتبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ كم مربعاً وتقع جنوب غرب جمهورية الجوفاش.

جمهورية أدمورت: وتقع شمال تتاريا.. وتشمل هضاب الاورال الغربية وتنبع منها بعض الانهار التي ترفد نهر الفولجا.. حيث تنحدر مباشرة نحو نهر كاما الرافد الرئيسي لنهر الفولجا ومن الشمال حيث تشكل قوسا ثم تؤوب الى الفولجا.. ويمر نهر كاما ذاته في جنوبها الشرقي. وتبلغ مساحتها ٤٢,١٠٠ كم مربعاً ويقيم على أرضها مليون وهم من القبائل الوثنية اصلا مثل قبيلة الفن وقبيلة الفويتاك وقبيلة الشيريمسي فلما احتكت هذه القبائل بالتتار والبشكير الذين اضطروا للهجرة والتجوال في أراضي الامبراطورية الروسية بعد ان احتل ايفان أرضهم وشردهم وأجبرهم على التنصر وترك الاسلام فاضطروا للهجرة.. وكان من نتائج هذه الهجرة الإحتكاك بكثير من القبائل الوثنية وبعض القبائل البدوية النصرانية فتحول هؤلاء بفعل الإحتكاك الى الاسلام.. وجن جنون القياصرة لاسلام الادمورت ورفضوا ان يعترفوا لهم بذلك حتى في عهد كاترين التي اشتهرت بتسامحها الديني.. ولم يسمح لهم باقامة المساجد فكانوا يصلون في بيوتهم..

ولما كانوا يختتنون كعادة المسلمين في كل الاصقاع فإن الروس اطلقوا عليهم اسم (الكلاب المختونين).

وقد احتل ايفان الرهيب أرضهم سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) وحاول فصلهم عن جيرانهم من التتار والبشكير حتى لا يتأثروا بهم.. فلما أعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) أظهر سكان ادمورت اسلامهم وبنوا مساجدهم ولكن سرعان ما جن جنون الروس لذلك فحاولوا تقليص هذه الحريات الى أقصى ما يمكن..

ولما قامت الثورة البلشفية سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).. سمح بالحرية الدينية لفترة مؤقتة ثم عاد الضغط من جديد.

وفي عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) أقيمت لهم جمهورية خاصة.. وعاصمتها ايجنسك تقع في القسم الجنوبي وتمر بها جملة من الخطوط الحديدية التي تربطها بمختلف المناطق المحيطة بها..

الجمهوريات والاقاليم الواقعة في حوض نهر الفولجا
(من كتاب المسلمون في العالم للدكتور عادل طه)

الجمهورية أو الاقليم	عدد السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
جمهورية بشكيريا	٤ مليون	٢,٥ مليون	٦٠ بالمئة
جمهورية تتاريا	٣,٥ مليون	٢,٣ مليون	٪٦٥
جمهورية جوفاش	١,٥ مليون	٨٧٠ ألف	٪٥٨
جمهورية الموردوف	١,٢ مليون	٦٧٠ ألف	٪٥٥
جمهورية الادمورت	١,٦ مليون	٧٥٠ ألف	٪٥٢
جمهورية ماري	٧٥٠ ألف	٤٠٠ ألف	٪٥٢
اقليم اورنبرغ	٢ مليون	١ مليون	٪٥٠

ويشكل المسلمون في هذه المناطق نسبة ٥٩ بالمئة وعددهم نحو ٨,٦ مليون.

جمهورية ماري: وتقع شمال جمهوريتي تتاريا والجوفاش.. وهي منطقة سهلية يمر نهر الفولجا من جنوبها وترفده فيها بعض الانهار وهي تشغل الجزء الجنوبي من منطقة كيروف.

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٢٢,٨٠٠ كم مربعاً (أي أكثر من ضعف مساحة لبنان) ويسكنها ثلاثة أرباع المليون.. وشعب الماري يتكلم لغة خاصة به لا تمت الى اللغة التركية بصلة وعاصمتهم (يوشكار أولا) وقد احتل إيفان الرهيب ارضهم سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) وواجهوا الاضطهاد الديني.. وأظهروا اسلامهم عندما اعلنت الحريات الدينية ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).. ثم بدأت الضغط عليهم بعد ان استتب الامر للينين.. وقد أقامت لهم السلطات الروسية جمهورية خاصة بهم وذلك سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) والجدير بالذكر أن هذه الجمهوريات ليس لها من سلطات الجمهورية الا الاسم واما الواقع فهي بلديات ومحافظات لتنظيم الشئون الداخلية والبلديات وحتى هذه تخضع خضوعاً تاماً لأوامر الحزب الشيوعي..

القرم: تقع شبه جزيرة القرم شمال البحر الاسود بين أزوف والبحر الاسود.. وتقترب من الجهة الشرقية من البر مكونة شبه جزيرة كرش التي تكون باقترابها من البر مضيق كرش الذي يصل بحر أزوف بالبحر الاسود.

وتشكل الجبال القسم الجنوبي من شبه جزيرة القرم بينما تقوم السهول الواسعة المنبسطة في الشمال.. والتي تضيق في نهاية الشمال بحيث لا تتصل بالبر الأوروبي الا ببرزخ ضيق. تبلغ مساحة القرم ٢٦,١٥٠ كم مربعاً وعاصمتها القديمة المدينة الجميلة باغجة بسرى أما العاصمة الحالية فهي اكمتشك ومن مدنها الشهيرة يالطا التي عقد فيها مؤتمر يالطا في نهاية الحرب العالمية الثانية بين الرئيس الامريكي روزفلت ورجل روسيا

القوي الطاغية ستالين، حيث اقتسم العملاقان مناطق النفوذ في العالم وأهمها البلاد الاسلامية. ومن مدنها الهامة سيباستبول.

وصل الإسلام الى جزيرة القرم بعد أن دخل اولاد جنكيزخان وأحفاده في الاسلام وذلك في أواخر العهد العباسي. وقد أسس أباتو بن جوجي بن جنكيزخان القبيلة الذهبية التي كانت تحكم وسط آسيا وروسيا.. واعتنق بركة خان الاسلام منذ صغره وحفظ القرآن الكريم على يد أحد علماء مدينة خوقند.. ولما تولى أمر هذه القبيلة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) جعل كل جنوده من المسلمين واجتهد في نشر الاسلام في افراد قبيلته..

وكان التنافس شديداً بين النصارى والمسلمين لاكتساب المغول، القوة العالمية الجديدة الى صفهم وفي أول الامر بدا أن بابا روما سيكسب الجولة اذ تزوج هولاكو من نصرانية بل أن جنكيز خان نفسه تزوج نصرانية.. وكذلك فعل اوجتاي بن جنكير خان ثم ابنه كيوك ابن اوجتاي والذي تولى أمر المغول وهو الذي حرض هولاكو على غزو بغداد.. وكذلك فعل ابن هولاكو اباقا الذي دخل النصرانية.. أما تكودار ابن هولاكو الثاني فقد تحول من النصرانية الى الاسلام ولذا قتله ابن اخيه أرغون ابن اباقا الذي كان شديد العداء للاسلام.

وفي عهد بركة خان ٦٥٤ - ٦٦٥ هـ (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في القبيلة الذهبية.. وتعاون هذا السلطان المغولي المسلم ضد ابن عمه هولاكو ووقف مع الظاهر بيبرس في حربه مع طاغية المغول هولاكو. وكانت حاضرة الاسرة الذهبية مدينة السرا على ضفاف نهر الفولجا.. وكان من هذه الاسرة السلطان اوزبك الذي آل اليه امرها عام ٧١٣ - ٧٤١ هـ (١٣١٣- ١٣٤٠ م) وفي عهده كانت كثير من مناطق روسيا قد تحولت الى الاسلام ومنها حوض نهر الفولجا

وشبه جزيرة القرم.

وقد زار الرحالة الاسلامي المشهور ابن بطوطة السلطان محمد أوزبك وقال عنه: «وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكانة قاهر لاعداء الله اهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم.. وبلاده متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وأزاق وسرادق وخوارزم وحاضرته السرا.

«وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم: مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين.. »

ووصف ابن بطوطة المدن الكبيرة التي في حوزة هذا السلطان ومنها مدن شبه جزيرة القرم وهي كفا والقرم وسرادق التي سننقل ما قاله عنها وسنترك المناطق الاخرى التي ذكرها الى محله.

قال يصف مدينة الكفا التي تقع في أضيق نقطة بين البحر الاسود وبحر أزوف: «وهي عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى واكثرهم الجنويون ولهم امير يعرف بالدمدير ونزلنا منها بمسجد المسلمين وطفنا المدينة ورأيناها حسنة».

ويصف مدينة القرم التي تقع غرب مدينة كفا «وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قبله اسمه تلكتمور».

ووصف مدينة سرادق التي تقع جنوب مدينة القرم.. كما وصف المدن الواقعة على بحر أزوف وهي مدينة أزوف.. ووصف مدينة الماجر التي تقع على نهر الدون على البحر الاسود شرق أزوف كما وصف

مدينة السرا على نهر الفولجا.. واستراخـان ومـدينـة البلغـار.. وذكر مساجـدهـا وسعتهـا ومدارسها.. **ووصف الروس بقوله: نصارى شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر.**

وتوالى استقرار التتار المسلمين في شبه جزيرة القرم منذ ذلك الوقت المبكر الذي زارها فيه ابن بطوطة (أوائل القرن الثامن الهجري حيث ابتدأ ابن بطوطة رحلته عام ٧١٥هـ) في عهد السلطان محمد أوزبك ٧١٣هـ الى ٧٤١هـ أي (١٣١٣م الى ١٣٤٠م)..

ولم يكتمل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) الا وكانت جزيرة القرم اسلامية خالصة واصبح للقرم سلطان خاص بها من التتار...

وعندما ضعف أمر التتار في روسيا وحوض نهر الفولجا واستولى إيفان الرهيب على عاصمتهم قازان القريبة من موسكو عام ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) وفي نفس العام استولى إيفان على أرض الشوفاش وبلاد ماري وموردوف.. واستولى على مدينة اوفا عاصمة بلاد البشكير سنة ٩٦٣هـ (١٥٥٥م)، واستراخـان (الحـاج طرخـان) ٩٦٥هـ (١٥٥٧م). وبـلاد الادمورت عام ٩٦٨هـ (١٥٦٠م) وعندما ضعف أمر المسلمين في روسيا ذاتها قام سلطان القرم الذي كان قوي الشوكة بالنسبة لبقية سلاطين التتار (الذين مزقتهم الخلافات وجعلتهم لقمة سائغة لايفان الرهيب بحيث استطاع أن يحتل ٤٤٥,٠٠٠ كم مربعاً من أراضيهم في غضون عشر سنوات) قام سلطان القرم هذا بالهجوم على روسيا ذاتها كرد فعل على اعمال إيفان الرهيب الذي أباد المسلمين في المناطق الشاسعة التي كانوا يحتلونها حول نهر الفولجا والذي شرد الملايين منهم.. واستطاع تتار القرم عام ٩٧٩هـ (١٥٧١م) ان يحتلوا منطقة الدونتز.. وان تصل جيوشهم الى موسكو ذاتها.. ولكن الخلافات مزقت سلاطين التتار فعاد

الروس من جديد وانتزعوا الاراضي التي حررها تتار القرم من روسيا وذلك عام ١٠٩١ هـ (١٦٨٠ م) ليس ذلك فحسب بل اقترب الروس من القرم ذاتها عندما احتلوا منطقة آزوف عام ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م). وعندئذ استنجد تتار القرم بالسلطان العثماني فنزلت القوات العثمانية لحماية القرم ذاتها واستلموا مضيق كرش الهام من تتار القرم للدفاع عنه.. وقامت القوات العثمانية باسترداد آزوف سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وبنوا مدينة باغجة سراي الجميلة ذات المساجد العظيمة وجعلوها عاصمة القرم. الا أن الروس عادوا الى جزيرة القرم مرة أخرى بجحافل قوية سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) واحتلوا آزوف بل واحتلوا القرم ذاتها وأقام الروس مذبحة لتتار القرم وشردوا في ذلك العام نصف مليون تتاري قرمي. وذلك بعد محاولة فاشلة لاحتلالها عام ١١٩٤ هـ (١٧٧٨ م) عندما صدتهم القوات العثمانية.

وظل التتار خاضعين للحكم القيصري الذي كان يشتد في التعصب ضدهم حيناً ويرخي قبضته حيناً آخر.. ولكن الجهود المبذولة لتنصير التتار لم تتوقف قط طوال تلك العهود.. وكانت الحرب الدينية بين روسيا ممثلة الارثوذكسية بعد سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين المسلمين مستمرة بين روسيا والمسلمين ولذا كان الاضطهاد بل والقتل والتشريد والتنصير بالقوة هو السمة المميزة للعهود القيصرية ما عدا فترات قليلة كان يسمح فيها بشيء يسير من الحرية الدينية كما حدث في عهد الامبراطورة كاترين.. الا أنه حتى في تلك الفترات كان ينظر لتتار القرم على انهم خونة مستعدون للتعاون مع ألدّ أعداء روسيا وهي الخلافة العثمانية..

ولذا عندما نشطت الحركة الاصلاحية في روسيا والمطالبة بالحريات الدينية والحريات المدنية وتكون الدوما (البرلمان الروسي سنة ١٣٢٣ هـ

(١٩٠٥ م) نشط المسلمون نشاطاً قوياً في كل منـاطـق روسيـا وعـلى الاخص في القرم مما جعل الحكام الروس يتخوفون من هذه الحرية ويصدرون أوامرهم الى وزير الداخلية بالحد من نشاط المسلمين وتكميم أفواههم.. ومنع فتح مساجد جديدة وتشديد الرقابة على زعمائهم..

ولهذا عندما قامت الثورة البلشفية بقيادة لينين في اكتوبر عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وجدت مساندة من جميع مسلمي روسيا وذلك لأن لينين كرر وعوده في خطبه ومنشوراته بأن المسلمين سيحظون بالحرية الدينية الكاملة بل وبالاستقلال الذاتي في شئون دولتهم.. بل وأيد لينين عندئذ قيام دولة مستقلة للمسلمين فأيد عندئذ قيام دولة القرم الاسلامية التي أعلنت عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) والتي أجريت فيها أنتخابات عامة لأول مرة لاختيار حكومة وطنية وكانت تلك الثورة بقيادة الزعيم التتاري القرمي شلبي وسيطرة حزب (ملي فرقة).. وفي يناير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) احتلت البحرية السوفيتية مدينة سمفروبول القرمية بعد هجوم مفاجيء ولكن الالمان طردوهم منها ثم جاءت قوات دينكين الذي قاومه بشدة أهل القرم.. ولم يحاول لينين في ذلك الوقت اخضاعها مباشرة.. وإنما ابتدأ بمحاربة قوات روسيا البيضاء وطلب مساعدة المسلمين وخاصة مسلمي القوقاز فلما تم له القضاء على قوات دينكين وكولشاك الذي كانت تسانده قوات الحلفاء اصدر لينين في أبريل (نيسان) سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) امراً بالزحف على البلاد الاسلامية التي كانت واقعة تحت سيطرة القياصرة من قبل. فبدأ بشمال القوقاز وجمهورية أوديل اورال وخانية خوقند.. وتم اخضاع هذه المنـاطـق قبـل انتهـاء عـام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وفي عـام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) استولى لينين على جمهورية الاشي.. وفي أبريل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) استولى على اذربيجان وفي نفس العام توجهت بجحافل قواته الى القرم فواجه مقاومة شديدة واعتصم اهلها بالجبال وبدأت حرب

عصابات مروعة. وعندئذ فرضت القوات البلشفية الروسية الحصار الشديد على أهل القرم حتى انتشرت المجاعة. وقد نشرت جريدة ازفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز سنة (١٣٤١ هـ) (١٩٢٢ م) تقريراً للرفيق كالينين الذي تولى أمر القرم ما يلي: (بلغ عدد الذين أصابتهم المجاعة في يناير ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) ٣٠٢,٠٠٠ مات منهم جوعاً ١٤,٤١٣ وفي مارس أصيب ٣٧٩,٠٠٠ بالمجاعة مات منهم بالمسغبة ١٩,٩٠٢ شخصاً وفي ابريل بلغ عدد الذين اصابتهم المجاعة ٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤ وفي يونيه بلغ عدد الذين أصابتهم المجاعة ٣٩٢,٠٧٢. ومن هذا التقرير يتضح ان من أصيبوا بالمجاعة الشديدة اكثر من مليون تتاري قرمي في خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) مات منهم بسبب الجوع اكثر من ستين ألفاً بينما يقول تقرير رفعه الفارون من الاتحاد السوفيتي الى عصبة الأمم أن الذين لقوا حتفهم في هذه المجاعة كانوا أكثر من مائة الف مسلم.

وجاء في تقرير الرفيق كالينين الذي نشرته أزفستيا في ١٥ تموز سنة(١٣٤١هـ)(١٩٢٢ م) «أن أكل لحوم الأطفال بل والموتى لم يكن من الحوادث المستغربة اثناء تلك المجاعة» وكان سكان القرم عندما دخلت القوات الروسية البلشفية خمسة ملايين نسمة من التتار المسلمين أبيد أكثرهم حتى لم يبق عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) الا نصف مليون فقط[1].. وكان المفروض ان يزدادوا خلال عشرين عاماً لا أن يقلوا ولكن نتيجة الحكم الارهابي الدموي الاحمر والبطش الشيوعي الذي هان بجانبه بطش القياصرة فإن سكان القريم كانوا يموتون جوعاً وقتلا وسحلا ويفر من يستطيع منهم الفرار حتى أصبح عددهم خلال عشرين عاماً من هذا

(١) كتاب الكيد الأحمر لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني وكتاب الاسلام في وجه الزحف الاحمر للشيخ حسن الغزالي.

الحكم الرهيب خمسمائة الف نسمة فقط.

وكان في القرم عند دخول قوات لينين ١٥٥٨ مسجداً حطمت جميعاً وحولت الى نـواد واصطبلات ومتاحف ما عدا بضعة مساجد ابقيت للعبرة.. حتى الجوامع الاثرية مثل جامع حان وجامع اصماقيو وجامع طوزيازار هدمت وحطمت أو حولت الى متاحف[1].

ورغم أن القرم بعد المجاعة اظهرت استسلامها للحكم البلشفي الرهيب وأظهرت الخضوع ووافق لينين على أن يجعل لها حكومة لها تصريف للشئون المحلية وجعل رئيس هذه الجمهورية الشيوعي الهنغاري (بالاكون) وعرفت هذه الجمهورية باسم جمهورية القرم (كريميا) الآسيوية الاشتراكية السوفيتية.

واستمـــر بالاكون في سياسة تهجير أهل القرم من التتار. واحلال روس وسلاف واوكرانيين وبلغار محلهم. ورغم انخراط بعض سكان اهل القرم في الحزب الشيوعي وتظاهرهم بالشيوعية حتى وصل بعضهم الى رئاسة جمهورية القرم بعد بالاكون مثل ولي ابراهيم إلا أن لينين قام بقتل رئيس الجمهورية هذا وجميع وزرائه عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) قتلوا رئيس الجمهورية محمد قوباي مع جميع وزرائه وفي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) تكررت نفس القصة والمشهد الاليم حيث قام قياصرة روسيا البلاشفة بإعدام رئيس الجمهورية الياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته.

ونتيجة لما قاساه تتار القرم من اهوال على يد البلاشفة الروس كان موقفهم في مقاومة الالمان ضعيفاً ولذا استسلم الفيلق القرمي البالغ عدده ثمانية عشر ألفاً للألمان بعد مقاومة بسيطة على أمل أن ذلك ربما جعل

---

(١) كتاب الكيد الأحمر لعبد الرحمن حسن حنكبة الميداني وكتاب الاسلام في وجه الزحف الأحمر. للشيخ حسن الغزالي.

الالمان يعطفون عليهم.. ويعاملونهم معاملة طيبة.. ولكن ما أن علم الالمان ان هذا الفيلق هو من المسلمين حتى منعوا عنهم الطعام وحبسوهم في زنزانات قذرة صغيرة وجعلوا في كل زنزانة مئات الاسرى دون طعام أو شراب فبدأوا يتساقطون واحداً اثر الاخر من المجاعة بعد ان كانوا يحاولون أكل الجدران الخالية وكشط ما بها من دهان بأسنانهم ولما لاحظ مسئولو هذه السجون ان عدد الموتى بدأ يقل بعد فترة بدلا من ان يزيد اكتشفوا ان هؤلاء الاسرى بدأوا يأكلون جثث رفاقهم.. عندئذ أمرت الضابطة الالمانية التي كانت مسئولة عنهم بمجازاتهم على أكل لحوم الموتى من اخوانهم ورفاقهم بقتلهم جميعاً بالرصاص[١].. وبذلك تم لالمانيا قتل ثمانية عشر الف تتاري قرمي. والغريب حقاً أن ستالين استشاط غضبه لاستسلام الفيلق التتاري القرمي ورغم استسلام مناطق كثيرة من روسيا للالمان إلا أنه بعد نهاية الحرب صب جام غضبه على تتار القرم المسلمين.. فأمر بقتل وطرد نصف مليون تتاري واخراجهم جميعاً من بلادهم وتهجيرهم الى سيبيريا.. وذلك سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)[٢]..

وفي هذه المحنة الأخيرة سقط مئات الالاف أثناء رحلة الموت والعذاب.. وبقي الباقون يتيهون في مجاهل سيبيريا..

والى هذه اللحظة فإن القوانين الروسية تمنع أي فرد من سكان تتار القرم بالعودة الى موطنه واذا اكتشفت مثل ذلك الشخص فإنه يعاقب بالسجن والضرب واعادة تهجيره...

ولأول مرة في التاريخ يهجر شعب بكامله من موطنه بحيث لا يبقى شخص واحد منه ليحل محله أمة مستعمرة قاسية وجبارة عاتية..

ورغم أن مجلس السوفييت الأعلى برأ التتار القرميين من تهمة التعاون مع النازي وذلك في القرار الصادر في الخامس من سبتمبر عام

(١) و(٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية لحمود شاكر.

١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) إلا أن التتار القرميين لا يزالون يعانون من التشريد والاضطهاد ولا يزالون يمنعون من العودة الى وطنهم.. واذا اكتشف ان شخصاً منهم قد عاد سراً فإنه يرحل على الفور الى مجاهل سيبيريا ويهدم منزله.. وهذه هي ممارسات اسرائيل في فلسطين، بل هي أشد اذ أن هناك أكثر من مليون فلسطيني داخل الأرض المحتلة بينما لم يبق قرمي (كريمي) واحد في بلاده الا اذا كان ذلك خافياً على السلطات هناك.. وتعاقب السلطات كل من يؤوي أو يؤجر أو يبيع مسكناً لأي تتاري قرمي بموجب القرار رقم ٧٠٠ الصادر في اغسطس عام (١٣٩٨ هـ) (١٩٧٨ م).. وحتى في منفاهم في سيبيريا فإن اللغة التترية القرمية قد حوربت ولا يدرس لأطفال هؤلاء القرميين الا باللغة الروسية أو اللغات الاخرى الموجودة في تلك المناطق وبالحرف الروسي.. ولقد اختفى ذكر التتار القرميين من الاحصائيات الرسمية الصادرة سنة ١٣٧٩ هـ، ١٣٩٠ هـ (١٩٥٩ م، ١٩٧٠ م) ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) اذ لا يعتبر لهم الان أي وجود رسمي..

سيبيريا: يطلق اليوم اسم سيبيريا على كل الاراضي التي تقع شمال تركستان والصين الى المحيط المتجمد الشمالي.. وشرق القارة الاوربية حتى سواحل المحيط الهادي في أقصى الشرق..

وهي بذلك تشبه قارة اذ تبلغ مساحتها ١٢ مليون كم٢ تغطي الثلوج معظم أراضيها.

وهي مناطق سهلية في الغرب بينما تشكل المرتفعات معظم اجزائها في الشرق. وتسيل مياهها من الجنوب الى الشمال على شكل أنهار غزيرة تتجمد مياهها في الشتاء لشدة البرد الذي يسود هذه المنطقة..

وتشكل الصحاري الثلجية مساحة واسعة من سيبيريا بينما تغطي الغابات الصنوبرية مساحة محدودة..

وتنتقل في هذه الارجاء الواسعة قبائل تختلف وسائل حياتها بين منطقة وأخرى ولكنها ترجع جميعا الى الجنس المغولي.

لم يترك الدعاة المسلمون هذه القبائل منذ فترة مبكرة من التاريخ الاسلامي.. وكان الدعاة الى الله من الصوفية يخرجون اليهم من خوارزم وبخارى وطشقند ليدعوهم الى الله..

وقد انضوت سيبيريا تحت راية الحكم الاسلامي عندما استطاع كوتشم خان أحد أمراء القبيلة الذهبية التي اسسها باتو ابن جوجي ابن جنكيز خان والتي دخلت الاسلام في عهد بركه خان (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م)، أن يتولى أمرها.

وقد غزا كوتشم خان سيبيريا وتولى أمرها عام ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) أي في الوقت الذي كان فيه ايفان الرهيب يدك عروش الخانات المسلمين من التتار في قازان واستراخان واوفا ويمد سلطانه فيه عبر نهر الفولجا ونهر الاورال ويشيد بذلك امبراطورية روسية ارثوذكسية ضخمة شديدة التعصب ضد المسلمين.. وقد استطاع كوتشم خان أن ينشر الاسلام في اصقاع سيبيريا وطلب الدعاة المسلمين من بخارى وسمرقند وخوارزم فجاؤوه يلبون داعي الحق وينشرون راية الاسلام..

وكانت مناطق سيبيريا قد دخلت في الاسلام من قبل وفود كوتشم خان اليها ومنها مدينة سيبير الواقعة على نهر أوبي.. وعرفت البلاد التي تقع شرقي جبال الاورال باسم سيبيريا على اسم مدينة سيبير..

وقد كانت اطماع القياصرة تتجه لتستولي على كل الاراضي الاسلامية القريبة منهم. وفي عام ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) استطاعت القوات الروسية القيصرية الاستيلاء على سيبير.. وقد رفض السلطان كوتشم (كوجم) الاستسلام وقال قولته: «لا أقبل عيش الاسير ولا موت الذليل، ولست أحزن لفقد أملاكي وإنما حزني من أجل أولئك التعساء

الذين وقعوا تحت الاستعباد الروسي ثم قاتل حتى استشهد[1] ».

ونتيجة لبعد سيبيريا عن مركز الحكم الروسي ونتيجة لطرد سكان قازان واستراخان ونفيهم الى سيبيريا ومجاهلها فقد دخل سكان سيبيريا والقبائل التي تقطن فيما بين نهري اوبي واريتش - في الاسلام وذلك في عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م).. ولم يأت القرن الثالث عشر الهجري الا وكانت جميع هذه القبائل مسلمة..

وبما ان نكبات المسلمين قد توالت في روسيا والقريم وتركستان وغيرها من المناطق فان السلطات القيصرية ثم البلشفية كانت تقوم بنفي المسلمين الى مجاهل سيبيريا..

ورغم الظروف القاسية التي يعيش فيها المسلمون المنفيون من ديارهم الا أن كثيرا منهم قام بنشر الاسلام فيمن حوله من القبائل السيبيرية.

وهكذا انتشر الاسلام في سيبيريا انتشارا عظيما.. ومنذ أن احتل القياصرة سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) قام المسلمون بعدة ثورات أشهرها ثورة سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣ م) التي اضطرت القياصرة لارسال جيوش ضخمة لاخضاعها..

ورغم ان سيبيريا لا تزال في اغلبها صحاري ثلجية، الا ان الثروات الهائلة من الغاز الطبيعي والبترول جلبت الى سيبيريا مشاريع ضخمة لاستخراج الغاز الطبيعي.. وقد عقدت روسيا اتفاقات ضخمة مع المانيا الغربية وفرنسا لامدادها بكميات هائلة من الغاز الطبيعي وقد ساهمت شركات المانية وفرنسية ويابانية في عملية استخراج الغاز الطبيعي ومد خطوط انابيب ضخمة تصل سيبيريا بغرب أوروبا..

ومن مدن سيبيريا الهامة مدينة سيبير الاسلامية ومدينة ابركوتسك التي تقع بالقرب من بحيرة بايكال والتي بها مراكز صناعية للآلات وصناعة الاحذية كما ان بها مناجم للفحم والملح ويبلغ عدد سكانها أكثر

---

(١) كتاب الاسلام في وجه الزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالي.

من ربع مليون أكثرهم مسلمون..

ورغم مساحة سيبيريا الشاسعة (١٢ مليون كم مربع) الا ان عدد سكانها لا يزيدون عن عشرة ملايين منهم ٢,٥ مليون من المسلمين[١] (تختلف الاحصائيات اختلافا كبيراً بين مختلف المراجع).

وتعتبر سيبيريا رغم مساحتها الشاسعة مقاطعة من مقاطعات جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية.. ولا تتمتع بأي استقلال ذاتي لادارة شئونها الخاصة.. بل تتبع مباشرة الادارة المركزية في موسكو..

وقد زاد الاهتمام بسيبيريا بسبب اكتشافات البترول والغاز الطبيعي الضخمة في الآونة الاخيرة ولم تعد سيبيريا المنفى الذي تبعث اليه القيادة في الكرملين كل من يبدو منه أي مخالفة. وتنقسم سيبريا الى ثلاث مناطق:

١ - الجنوبية: وهي منطقة المراعي والغابات الصنوبرية.

٢ - المتوسطة: وهي منطقة قليلة المراعي.

٣ - الشمالية: وهي منطقة التاندورا وهي الصحراء الثلجية الكاملة.

وتبلغ درجة الحرارة خمسين تحت الصفر وهي فعلا كما وصفها كثير ممن نفوا اليها أو من العمال الذين يعملون بها (الجحيم البارد) أو الزمهرير.

ويستخرج حاليا من سيبيريا سنويا اكثر من ٣٠٠ مليون طن من البترول و١٥٠ مليار متر مكعب من الغاز و٤٥ مليون طن من الفحم الحجري وأكثر من مائة مليار كيلو واط من الطاقة الكهربائية.

ولا تعتبر سيبيريا حقل غاز أو بئر بترول فحسب بل انها ايضا

---

(١) من كتاب المسلمون في العالم تأليف الدكتور عادل طه نشر دار البحوث العلمية الكويت.

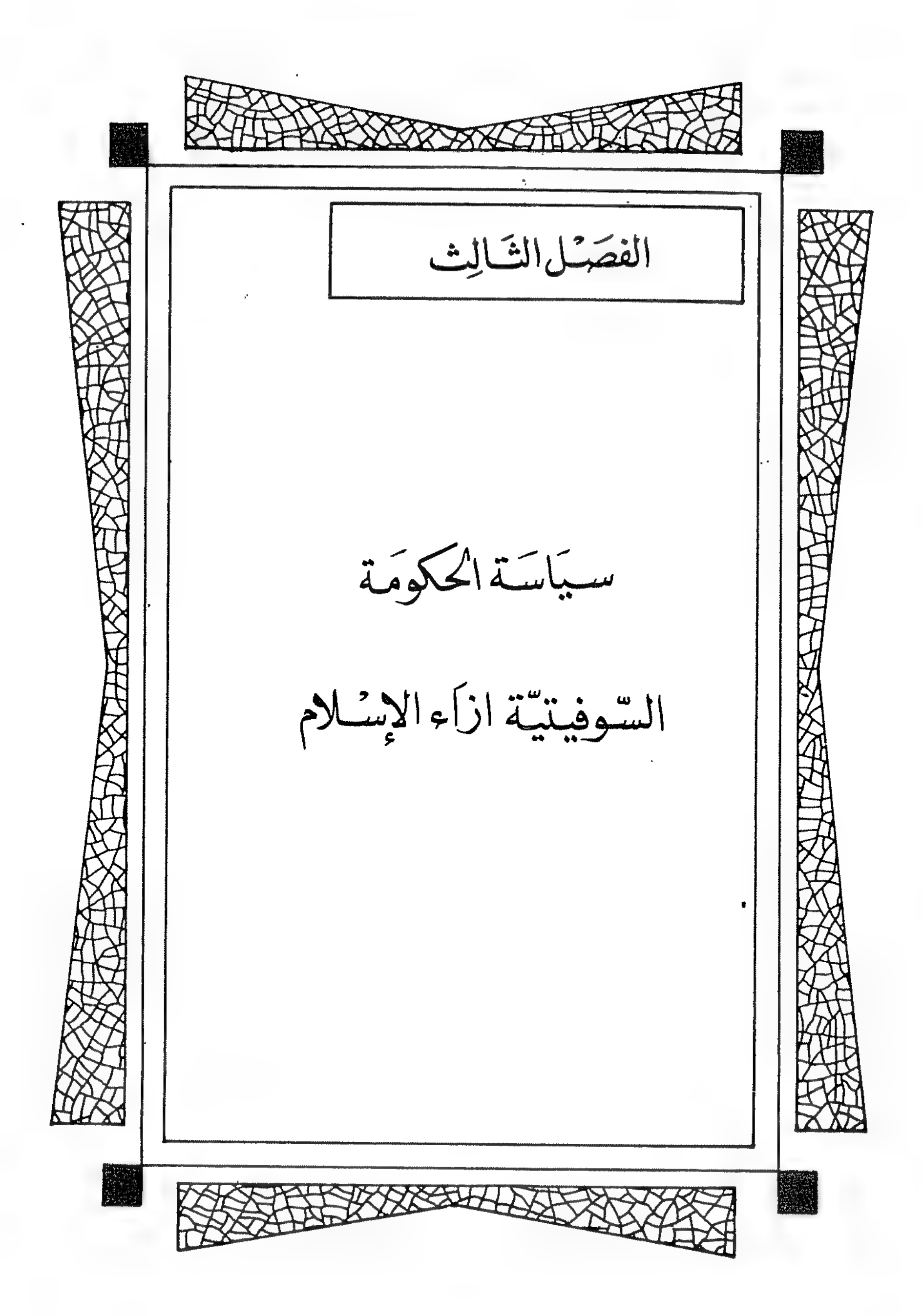
منجم ذهب كذلك وتحاول السلطات الروسية التكتم على هذه الثروة الذهبية الصفراء.

ويبدو ان روسيا قد اتجهت بكل قوتها للاستفادة التامة من هذه الثروات الهائلة التي لا يكاد يصدقها عقل.

واما **منغوليا** فيقع جزء منها في قبضة الاتحاد السوفيتي.. والجزء الآخر والأكبر يقع في قبضة الصين الشيوعية..

وما يقرب من نصف سكان منغوليا مسلمون.. ومن مدن منغوليا السوفيتية اولان باتور وأغلب سكانها مسلمون.

وقد ظهر من المغول عدد كبير من الاسر الحاكمة المسلمة.. وظهرت منهم في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي ايلخانية امتد سلطان دولتهم ليشمل جميع بلاد ما وراء النهر (أي نهر جيحون) الى المحيط الهندي ومن السند الى الفرات وآسيا الصغرى والقفقاس وازدهرت في ايامهم علوم الفلك والحساب والطب....



الفصل الثالث

سياسة الحكومة السّوفيتيّة ازاء الإسلام

لقد أسلفنا القول كيف قام لينين بخداع المسلمين والتظاهر بأن ثورته انما قامت لايقاف مظالم القيصرية الطاغية والدول الاستعمارية ضد الاسلام والمسلمين حتى وقر في نفوس كثير من المسلمين أن ثورة لينين هي منحة السماء للمسلمين في هذا القرن. بل وصلت دعاية لينين عند بدء الثورة البلشفية بأن ثورته قائمة على مبادىء القرآن وشريعة الاسلام[1].

وما أن استتب الأمر للينين بمساعدة المسلمين في كثير من مناطق الاتحاد السوفيتي واعداً اياهم بالحكم الاستقلالي والحرية الدينية الكاملة إلاّ وقلب للمسلمين ظهر المجن وابدى ما ابطن.. وبدأ الحزب الشيوعي ينفذ مخططات لينين في إبادة المسلمين ومحاربة الاسلام ومن ذلك مذبحة مارس ١٩١٨ م التي راح ضحيتها في باكو (عاصمة اذربيجان السوفيتية) ثماني عشر الف مسلم..

وفي عام ١٩١٨ وبالذات في ٥ فبراير واجهت مدينة خوقند في التركستان حرب إبادة حيث قامت قوات لينين بدك المدينة الباسلة عن آخرها وقتل سكانها رجالا ونساء، شيوخا واطفالا الا من استطاع منهم الفرار بعد أن اغتصبوا الفتيات الضعيفات المسلمات، وتوالى سقوط المدن الاسلامية الثائرة في وجه لينين وعصابته فسقطت بخارى عام ١٩٢٢ وسقطت البشكير والاورال وقازاخستان في تلك الفترة.. وسقطت كذلك الداغستان بعد جهاد بطولي قاده العالم الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو.. وواجهت القرم حرب إبادة وحصارا شاملا ادى الى المجاعة الرهيبة التي أصيب بها أكثر من مليون قرمي مسلم والذي توفي

(١) كتاب الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي .The Soviet Union And Muslim World

فيها اكثر من مائة الف تتري قرمي مسلم حتى اضطر كثير من المسلمين لاكل الموتى وأكل الكلاب والقطط[1].

ورغم هذا فقد اعتبرت هذه الفترة الممتدة من قيام الثورة سنة ١٩١٧ الى عام ١٩٢٨ هي فترة هدوء نسبي بالنسبة للمسلمين.. بل اعتبرت الفترة التي شهدت أوج التسامح الديني من النظام الماركسي اللينيني الذي كان محتاجا لدعم المسلمين في مواجهة خصومه السياسيين والعسكريين الذين كانوا يقودون حركة روسيا البيضاء.

وفي عام ١٩٢٤ الغيت جميع المحاكم الشرعية الموجودة في جميع مناطق المسلمين كما قامت السلطات بمصادرة معظم اراضي الاوقاف الشاسعة..

وقبيل قيام الثورة أي في عام ١٩١٧ كان في الاتحاد السوفيتي ١٥,٠٠٠ مدرسة إسلامية (ابتدائية وثانوية) وفي عام ١٩٢٨ تم إغلاق جميع هذه المدارس[2].

وفي عام ١٩٣٠ صادر لينين ما تبقى من اراضي الاوقاف وجميع ممتلكاتها العقارية والمالية.

ويقول مؤلفا كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي:

«لقد ابتدأ الهجوم المباشر ضد الدين الاسلامي عام ١٩٢٨ وطال حتى اعلان الحرب العالمية الثانية وتميز باقفال معظم المساجد التي كان عددها يربو على ٢٦,٠٠٠ مسجد عام١٩١٢ ويشرف عليها ويتولى الامامة والتدريس فيها اكثر من ٤٥,٠٠٠ رجل دين، لم يبق منها سوى الف مسجد عام ١٩٤١.

«ورافق هذا الهجوم دعاية ضخمة مناهضة للدين نظمها «اتحاد

(١) تقرير الرفيق كالينين كما نشرته ازفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز سنة ١٩٢٣م.

(٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجنيس ولومرسييه.

المناضلين الملحدين » الذي تأسس سنة ١٩٢٥. وأخيرا بدأت في عام ١٩٣٢ الملاحقات ضد رجال الدين والمؤمنين المسلمين بتهمة الطفيلية وعرقلة مسير الثورة ثم اتهموا بالعمالة والتجسس لحساب اليابان والمانيا وانكلترا.

وفي عام ١٩٣٥ جاء في « الانسكلوبيديا الصغيرة السوفيتية تحت عنوان الاسلام ما يلخص موقف الحكومة السوفيتية من الاسلام:

« لقد كان الاسلام في روسيا القيصرية سنداً للحكومة، ساعدها في محاربة الحركة الثورية في الاقاليم المسلمة » جاعلا من نفسه أداة استغلال للجماهير الكادحة المسلمة من قبل رأسمالييها ومالكي اراضيها. وبعد ثورة اكتوبر اصبح الاسلام العلم الذي ترفعه العناصر المناهضة للثورة من الجمهوريات الشرقية من الاتحاد السوفيتي.

أما رجال الدين المسلمين فما انفكوا يكافحون سراً وجهراً ضد النظام السوفياتي وحاول بعضهم تزييف الحقائق بتصوير القرآن ككتاب إشتراكي ومحمد كمصلح اجتماعي ولقد استطاعت الثورة تحرير الجماهير الكادحة من نير الاسلام الذي دام قرونا طوالا والذي لا يزال يشكل ايديولوجية الكولاك واتباع الثورة المضادة ».

وعند قيام الحرب العالمية الثانية اضطر ستالين كما هو معروف الى مهادنة جميع العناصر الدينية بعد أن تهاوت جميع معاقله امام زحف هتلر واضطر الى الاستعانة برجال الدين المسيحي والاسلامي لايقاظ روح الفداء والقتال ضد العدو النازي...

وفي يوليو ١٩٤٢ قام ستالين بمقابلة مفتي روسيا الاوربية عبد الرحمن دولاييف ووعده بايقاف الدعاية الالحادية الموجهة ضد الدين الاسلامي في مقابل دعم المسلمين للمجهود الحربي السوفيتي واشتراكهم القوي في صفوف الجيش الستاليني.

ورغم ما يسمى بفترة التسامح الديني في الحرب العالمية الثانية الا أن ستالين قام في نهاية الحرب بجرائمه المشهورة حيث اباد وطرد عدة شعوب إسلامية من موطنها ونفاها الى سيبيريا حيث مات منهم الآلاف اثناء رحلة العذاب كما مات منهم عشرات الآلاف في ثلوج سيبيريا.

وهذه الشعوب التي عانت من جرائم ستالين الرهيبة هي:

١ - **شعب القرم** حيث قام ستالين بابادة وطرد جميع سكان القرم ورغم ان مجلس السوفيت الاعلى قد نفى عن تتار القرم تهمة الخيانة في القرار الصادر في ٥ سبتمبر ١٩٦٧ الا أن التتار القرميين لا يزالون يمنعون من العودة الى وطنهم الى هذه اللحظة (يوليو ١٩٨٢).

٢ - **الكاراتشاي**: وهي منطقة تقع في شمال القوقاس وقد قام ستالين عام ١٩٤٤ بنفي شعب الكاراتشاي الى سيبيريا.. وقام مجلس السوفيت الاعلى في عهد خروشوف بتبرئة الكاراتشاي من التهم التي الصقها بهم ستالين ورد اليهم اعتبارهم وسمح لهم بالعودة الى وطنهم.

٣ - **شعب البلكار**: وقد قام ستالين بنفي شعب البلكار كذلك في نهاية الحرب العالمية الثانية الى مجاهل سيبيريا وقد نفت الحكومة السوفيتية عنهم هذه التهمة في ٩ يناير ١٩٦٨ وسمح لهذا الشعب المسلم بالعودة الى وطنه.

٤ - **الشاشان**: ويعيش هؤلاء في شمال القوقاس.. وقد قام ستالين بنفي شعب الشاشان بأكمله بعد أن أباد عشرات الآلاف منهم الى سيبيريا بتهمة الخيانة وذلك في ٢٣ فبراير ١٩٤٤ والغى ستالين جمهوريتهم ووزع اراضيها على جمهورية جورجيا وقد قام مجلس السوفيت الاعلى بتبرئة شعب الشاشان والاينغوش من تهمة التعاون مع النازي وسمح لهم بالعودة الى وطنهم عام ١٩٥٧.

وهكذا تتضح بشاعة الحكم السوفيتي الشيوعي فيما يسمى فترة

التسامح الديني الثانية التي ميزت حكم ستالين!! وقد جاء في الانسكلوبيديا السوفيتية الكبيرة تحت مادة إسلام ما يلي:

«لعب الاسلام دائما مثل كل الديانات الأخرى دورا رجعيا كأداة للقمع الروحي للعمال بواسطة الطبقات الطفيلية المحلية وكوسيلة لاستغلال شعوب الشرق بواسطة المستعمرين الاجانب.

وبعد انتصار ثورة اكتوبر الكبرى في روسيا واثناء الحرب الأهلية والتدخل الاجنبي استخدم الاسلام من قبل الثورة المضادة والامبرياليين لمحاربة الدولة السوفيتية.

وخلال مرحلة بناء الاشتراكية، سعت الطبقات المستغلة (بكسر الغين) الى استخدام الاسلام لمحاربة الاشتراكية وقاد رجال الدين المسلمين العملاء الصراع ضد التشريع السوفيتي حول العائلة والزواج وقاوموا تحرير المرأة ودافعوا عن ارتداء الحجاب واستخدموا القرآن والشريعة الاسلامية لمقاومة الانظمة الاشتراكية السوفيتية.. والاسلام في الاتحاد السوفيتي هو من مخلفات ايدلوجيات المستغلين.. ويستخدم الامبرياليون الاسلام لمحاربة الحركات الثورية وحركات التحرر الوطني في البلدان الاسلامية».

ويقول بينجنسن ولومرسييه أن صعود خروتشوف الى سدة الحكم كان بداية لحملة جديدة عنيفة ضد الاسلام ودامت هذه الحملة من سنة ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٤ واقفلت في هذه الفترة معظم ما بقي من المساجد المفتوحة فقد هبط عدد المساجد المفتوحة من ١٥٠٠ مسجد في عام ١٩٥٨ الى أقل من خمسمائة مسجد عام ١٩٦٥. وأعلنت حملة عنيفة ضد الدين الاسلامي وجند لخدمتها كل أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح وكتب ونشرات ومحاضرات. وطبع في تلك الفترة ١٢٩ كتابا مناهضا للاسلام وترجمت هذه الكتب الى جميع اللغات

واللهجات التي يتحدثها مسلمو الاتحاد السوفيتي مثل اللغة الاوزبكية والكازاخية والداغستانية والازرية والتركمانية والقرغيزية.. الخ.

وبعد سقوط خروتشوف اصبحت الحملة ضد الاسلام أقل غوغائية واكثر تنظيما.. على اعتبار ان هذه الحملات الهوجاء غير مجدية وعليه فقد نظمت هذه الحملات بصورة أكثر ذكاء وركزت على موضوع المرأة والختان والصيام وعقيدة اليوم الآخر والجنة والنار باعتبارها من الامور الغيبية التي تخدر بها الشعوب.

وتقع مهمة محاربة الدين الاسلامي في الاتحاد السوفيتي على عاتق جميع تنظيمات الحزب والدولة. ولهذا فإن دورات محاربة الدين ونشر الالحاد تنتشر ابتداء من المزرعة الجماعية مرورا بنقابات العمال وانتهاء بالجامعة.

وقد كلفت النقابات العمالية والمزارع الجماعية وفروع معهد «ماركس وانجلز ولينين» في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي بتنظيم دورات لمحاربة الدين ونشر الالحاد ويخضع الاطفال منذ دخولهم روضة الاطفال في سن الثالثة الى آخر مراحلهم الدراسية الجامعية لحملات منظمة لزرع الالحاد ومحاربة التدين.. ولقد تمركزت الدعوة المناهضة للدين تحت إدارة «معهد ماركس وانجلز ولينين» و«جمعية نشر المعارف السياسية والعلمية» التي تضم فروعا في كل جمهورية ومنطقة ومقاطعة.. ويستخدم في هذه الدعاية عشرات الآلاف من الموظفين الحزبيين الذين يكلفون الدولة مئات الملايين كل عام.

ورغم كثافة هذه الدعاية المناهضة للاسلام وتنوعها الا ان المسئولين السوفيت يشكون من اللامبالاة واحيانا العداء الذي يظهره المسلمون ضد أي هجوم ضد الاسلام. ويذكر كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» أن استفتاء قد أجري عام ١٩٧٨ في جمهورية

الشاشان اينغوش ظهر فيه ان ٢٠ بالمئة فقط من السكان المسلمين يحبذون الالحاد بينما كان الثمانون بالمئة الباقون ضد الالحاد.

وتركز الحملات الشيوعية هجومها ضد الاسلام على اعتبار انه افيون الشعوب ويلهي الجماهير الكادحة عن الصراع الثوري بانتظار الجزاء في الآخرة والعيش في الجنة وأن الاسلام دين رجعي ضد كل تقدم ومعيق للانطلاق الاشتراكي الخ..

كما تركز هذه الحملات دعايتها ضد الاسلام الذي جاء به العرب الهمج اتباع محمد فغزوا المناطق الحضارية من التركستان والداغستان وفرضوا على هذه الشعوب الاسلام بحد السيف.

وكذلك تقوم الحملات ضد الاسلام الاجتماعي باعتباره الدين الاكثر رجعية ومحافظة في العالم والذي يحتقر المرأة.. وينشر الامراض بواسطة الختان وصوم رمضان..!!

أما الصلوات الخمس فهي أداة لاضاعة الانتاج.. واما أضاحي العيد فهي من أكبر الجرائم لانها تضيع الثروة الحيوانية للمجتمع السوفيتي!!.

وهكذا تستمر الحملات المنظمة المدروسة ضد الاسلام وقد أدت هذه الحملات المكثفة على مدى ستين عاما أو تزيد الى ايجاد أجيال من ذراري المسلمين ضائعة تائهة أو كافرة ملحدة وليس من المستغرب بعد هذه الاهوال التي لاقاها المسلمون في الاتحاد السوفيتي ان يصبح كثير من ابنائهم ملحدين أو شاكين أو ضائعين تائهين. بل الغريب حقاً هو ان يوجد رغم تلك الظروف الحالكة الخانقة مجموعات من الشباب قوية الايمان راسخة العقيدة رغم كل تلك المطارق على الرؤوس والادمغة التي تدمغها بالالحاد منذ سن الثالثة في الروضة الى سن الشباب في الجامعة بل الى الرجولة والكهولة في المصنع والمزرعة.

وقد نشرت الصحف مؤخراً خبراً مفاده ان ثلاثة من الجنود السوفييت من المناطق الاسلامية اكتشفتهم السلطات الروسية وهم يقرأون القرآن سراً في أفغانستان فنفذت فيهم حكم الاعدام.. وهي العقوبة المفروضة على كل من يقرأ القرآن من ذراري المسلمين في الاتحاد السوفيتي.

ولكن الله غالب على أمره «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».



الفصل الرابع

القوقاس (قفقاسيا)

تعد جبال القوقاس الحد الفاصل بين آسيا وأوربا ولهذا تقسم بلاد القوقاس الى جزئين رئيسيين:

١ - الجزء الشمالي يقع ضمن قارة أوربا.

٢ - القسم الجنوبي ويقع في أقصى الغرب من قارة آسيا.

ويحد القوقاس من الشرق بحر قزوين (بحر الخزر أو بحر الديلم أو بحر باكو أو بحر شروان وهي أسماء مختلفة لبحر قزوين).. أما من الغرب فيحد القوقاس البحر الاسود.. ويحدها شمالا جبال القوقاس العالية الذرى وسفوحها الشمالية ويجري في المنطقة الشمالية نهر أتراك وكوبان اما في المنطقة الجنوبية فيجري فيها نهرا كورا وريفون مع روافدهما الكثيرة..

وجبال القوقاس شاهقة الارتفاع صعبة الاجتياز قليلة الممرات تمتد على طول ١٢٠٠ كم لتصل ما بين البحرين الاسود في الغرب والخزر (قزوين) في الشرق.. ويصل ارتفاعها في منطقة البروز الى ٥٦٣٠ م.. وقممها دائمة الثلوج مثل قمة ماروخ..

وأما ممراتها فهي قليلة وأهمها ممر دريال الذي يجري فيه أحد روافد نهر أتراك.. وتبلغ مساحة القوقاس ٣١٤,٤٠٠ كم مربع اما عدد سكانها فلا يزيدون عن ١٥ مليون..

وتضم القوقاس شعوبا مختلفة متباينة وانضمت اليهم على مر العصور عناصر عرقية مختلفة مثل التتار والعرب والأتراك. وقد خضعت معظم مناطق القوقاس لسيطرة الدولة البيزنطية ما عدا بعض المناطق الجنوبية الشرقية فخضعت للدولة الساسانية الفارسية.. ومن قبل قامت فيها دولة ميديا في القرن السابع قبل الميلاد ثم استولى عليها الاسكندر المقدوني ثم

ظهرت الدولة البيزنطية واستولت على آغلب مناطقها بينما استولت الدولة الساسانية الفارسية على المناطق الجنوبية الشرقية.. وعندما ظهر الاسلام وانتصر المسلمون في معركة القادسية ونهاوند على الدولة الساسانية وفي معارك الشام واليرموك على الدولة البيزنطية وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب انداحت الجيوش الاسلامية لتغزو القوقاس الشرقي الجنوبي..

فتح القوقاس:

وقد أرسل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قائده عياض بن غنم سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) لفتح مناطق أرمينية وبلاد الكرج (جورجيا). وأرسل عياض بن غنم أربع فرق لفتح هذه المناطق.. واشتهر حبيب بن مسلمة بفتوحاته الباهرة وبانتصاراته الرائعة على الروم..

أما اقليم أذربيجان الواقع في شمال ايران حاليا فقد فتحه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ سنة ١٨ هـ (٦٣٨ م) ثم ولى عمر بن الخطاب أمر أذربيجان الى عتبة بن فرقد السلمي فواصل فتوحاته فيها حتى وصل الى اقليم أران المعروف حاليا باسم جمهورية أذربيجان السوفيتية والواقع في جنوب شرق القوقاس..

وشارك سليمان بن ربيعة أيضاً في فتح مناطق من أذربيجان السوفيتية..

ولم يأت عام ٢٤ هـ (٦٤٤ م) الا وقد خضعت مناطق واسعة من القوقاس للحكم الاسلامي ورضيت بدفع الجزية وتلك المناطق هي أران المعروفة اليوم باسم جمهورية أذربيجان السوفيتية وكرجستان (أي جمهورية جورجيا السوفيتية) وجمهورية أرمينيا السوفيتية.. أي ان الإسلام قد وصل الى الحدود الشمالية للقوقاس.. ووقف عند جبال القوقاس العالية الذرى في فترة وجيزة من الزمن حيث أن تلك الفتوح

بدأت عام ١٨ هـ (٦٣٨ م) ووصل المسلمون الى شمال القوقاس خلال ست سنوات فقط أي عام ٢٤ هـ (٦٤٤ م).

ورغم أن هذه المناطق قد شهدت انتفاضات ضد الحكم الاسلامي في فترات متقطعة الا أنها منذ عهد معاوية ابن أبي سفيان وبقيادة حبيب بن مسلمة ثم بعد ذلك بقيادة الأمير الأموي الشجاع محمد بن مروان ثم ابن اخيه مسلمة بن عبد الملك بن مروان كانت مناطق اسلامية.. وقد كانت سياسة المسلمين المتسامحة المتساهلة مع السكان النصارى هي الباعث لوقوف الاسر النصرانية الارمينية والكرجية مثل الاسرة البكراطية في صف المسلمين ضد الامبراطورية البيزنطية المسيحية الارثوذكسية..

وذلك لأن نصارى بيزنطة كانوا يسيمون أخوانهم في العقيدة من الأرمن الخسف والهوان ويصادرون كنائسهم وأوقافها لأنها كانت في خلاف شديد معهم حول طبيعة المسيح عليه السلام.. فقد كانت بيزنطة تتزعم القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح بينما كان الكاثوليك من الأرمن يقولون بالطبيعتين للسيد المسيح أي الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية..

وعلى أي حال فقد رضي هؤلاء السكان بالحكم الاسلامي ووقفوا في كثير من الأحيان في صفه ضد الامبراطورية البيزنطية الظالمة الغاشمة...

وكانت هناك عدة دويلات نصرانية تدفع الجزية للخلافة الاموية ثم العباسية.. وأشهرها حكومة الاسرة البكراطية الكرجية (من جمهورية جورجيا الحالية) والتي حكمت معظم مناطق أرمينية وكرجستان (جورجيا) كما كانت هناك حكومة اللان التي كانت تحكم قبائل القوشحة (القوصحة) في المنطقة المعروفة حاليا باسم أوستين الجنوبية والشمالية

وهي منطقة تقع في وسط القوقاس، في حدوده الشمالية.. وتتبع أوستين الجنوبية حاليا جمهورية جورجيا وأغلب سكانها لا يزالون على نصرانيتهم أما أوستين الشمالية فتتبع موسكو مباشرة لأن سكانها قد تحولوا جميعا الى الاسلام...

أما الداغستان التي تقع شمال أذربيجان على طول الساحل الغربي لبحر الخزر فقد كانت فيه دولة نصرانية تعرف بدولة (السرير).

وتقع الداغستان في الشمال الشرقي للقوقاس وقد تحول الداغستان جميعا الى الإسلام واختلطوا بالقبائل العربية اختلاطا شديدا.. وعاصمتهم (باب الابواب) أو مدينة (دربند) مدفون فيها كثير من الصحابة حيث فتحت في اواخر عهد عمر رضي الله عنه[1] ثم في عهد عثمان رضي الله عنه ثم واصل مسلمة بن عبد الملك بن مروان فتوحاته فيها سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) وفي الداغستان (الطاغستان) كثير من القبائل العربية بل وفيهم مجموعة كبيرة من السادة الذين ينتسبون الى سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة..

(١) جاء في كتاب الفتوحات الاسلامية لعلامة مكة السيد أحمد زيني دحلان عن فتح مدينة الباب (وتسمى أيضاً باب الابواب كما تدعى دربند) ففي هذه السنة أعني سنة ٢٢ هـ أمر عمر رضي الله عنه سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور بالمسير الى الباب فجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان له صحبة وكان أيضاً يدعى ذا النور. وجعل على أحد مجنبتيه حذيفة بن سعيد الغفاري وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي. وكان بكير سبقه الى الباب وجعل علي القاسم سلمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقة فلما خرج من أذربيجان قدم بكير الى الباب.. ثم يعرض المؤلف كيف أن ملك الباب شهريار صالح المسلمين وقال لهم أنا منكم ويدي مع ايديكم والنصر لكم فلا تسوموننا الجزية فقبل منه سراقة ومنع الجزية عمّن يحارب العدو وأخذ الجزية ممن لا يحارب وكتب سراقة بذلك الى عمر رضي الله عنه فوافقه على ذلك.

ولما فرغ سراقة من الباب (دربند) أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيراً الى موقان وحبيباً الى تفليس (وهي عاصمة كرجستان أو ما يسمى اليوم بجمهورية جورجيا السوفيتية الاشتراكية) وحذيفة الى جبال اللان (في اوستيينا الجنوبية وهي في شمال القوقاس) وسلمان الى الوجه الاخر. وفتح بكير موقان وصالحه أهلها على الجزية ومات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة فلما بلغ عمر رضي الله عنه ذلك أقر عبد الرحمن على الباب وأمره بغزو الترك في بلنجر في أقصى ولاية الباب فغزاهم في زمن عمر وهربوا منه وتحصنوا ورجع عبد الرحمن بالغنيمة ثم غزاهم بعد ذلك في أيام عثمان رضي الله عنه.

ويتكلم الداغستان اللغة العربية بطلاقة.. وخاصة منهم القبائل اللزكية التي تعتبر اللغة العربية لغتها وليس لهم كتابة بغيرها...

ولقد واجه المسلمون في القوقاس حروبا شرسة منذ أن دخلتها قوات القياصرة واستعصت مناطق كثيرة على القياصرة وخاصة منطقة الداغستان التي اشتهرت بمقاومتها البطولية الفذة للقوات الروسية.. والتي أخرجت لنا القاضي محمد الكمراوي المشهور باسم الغازي محمد وتلميذه الامير حمزة الخنزاجي ثم الامام المشهور محمد شامل.. وجميعهم من شيوخ الطريقة النقشبندية ومريديها والتي كان لها أكبر الاثر في اذكاء روح المقاومة لدى أهل القوقاس..

والتقسيم الحالي للقوقاس غريب وشاذ ولكنه تقسيم اعتمده الروس البلاشفة لتفتيت المسلمين هناك وحتى يضمنوا عدم تكرار الثورات الهائلة والعظيمة التي قام بها أهل القوقاس ضد روسيا القيصرية وروسيا البلشفية... وهي مقسمة الى أربعة عشر قسما منها:

ثلاث جمهوريات اتحادية سوفيتية هي:

١ - أذربيجان: وتتبعها جمهوريتان صغيرتان ذاتا حكم ذاتي هما ناختيشفيان وقرة باخ.

٢ - جورجيا: وتتبعها جمهورية اوستينا الجنوبية وأبخازيا وآجاريا..

٣ - أرمينيا:

وهناك ست مناطق تتبع روسيا مباشرة هي:

(١) داغستان
(٢) شاشان
(٣) قابرديا - بلكاريا

(٤) اوستينا الشمالية
(٥) الاديغة (الاديجة)
(٦) قارتشاي الشركسية

وسنتحدث عن هذه الجمهوريات الثلاث بالتفصيل بعد أن نتحدث عن المناطق الست الأخرى التي تتبع روسيا مباشرة..

وقد دخل المسلمون كما أوضحنا بلاد القوقاس الجنوبية في عهد عمر بن الخطاب وتوالت الفتوحات في عهد عثمان ثم في عهد معاوية وعبد الملك بن مروان.. وكانت معظم المناطق القوقازية مناطق خاضعة للنفوذ الاسلامي منذ القرن الهجري الأول أي السابع الميلادي وقد أطلق المسلمون اسم (القفجاق) و(القبق) و(القبحق) على جبال القوقاس..

وقد ألمحنا الى موقف نصارى أرمينية وكرجستان من الحرب الدائرة بين الخلافة الاسلامية في عهد الأمويين ثم العباسيين وبين الامبراطورية البيزنطية وكيف اشتركوا في القتال في عدة مواقع مع المسلمين ضد اخوانهم في العقيدة نصارى بيزنطة..

ولذا أعفيت هذه المناطق التي اشتركت في قتال بيزنطة من الجزية وأعطي لهم الحكم الذاتي كما سنورده مفصلا عند حديثنا عن أرمينية وكانت قبائل القوموق من أوائل القبائل التي دانت بالإسلام وكانت القوقاس بأكملها خاضعة للخلافة الاموية ثم الخلافة العباسية حتّى عام ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) حيث حكم بنو الساج قسمها الشرقي الى عام ٣٢٩ هـ (٩٤٠ م). وتقدم البيزنطيون واحتل نصارى كرجستان بالتعاون مع البيزنطيين مدينة تفليس عام ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م)..

ولكن القائد السلجوقي الب أرسلان استطاع ان يعيد كرجستان الى السيطرة الاسلامية وذلك سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٤ م).. ووصل المغول المسلمون الى قفقاسيا وقامت لهم خانيات وكانوا يعرفون باسم الايلخان.

ثم استولى تيمورلنك على تلك المناطق وتعاون معه التركمان ثم قامت الدولة التركمانية بقيادة أوزون حسن وكانت قفقاسيا والاناضول الشرقي جزءا من ممتلكاتهم..

وبدأت روسيا القيصرية تتوسع منذ عهد ايفان الرهيب وتقضي على الخانيات التترية الاسلامية الموجودة في قازان واستراخان وامتد نفوذ الامبراطورية الروسية في عهد بطرس الملقب بالعظيم وفي عهد كاترين حتى وصلوا الى القرم والى القوقاس..

وقد أعلنت روسيا نفسها حامية لنصارى كرجستان عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) ثم ضمتها اليها نهائيا بعد حروب ضارية قادتها ضد العثمانيين والدولة الصفوية الشيعية والامراء المحليين وسيطرت روسيا على كرجستان والداغستان والشاشان عام ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م)..

وقامت ثورة الشيخ شامل المشهورة في الداغستان والتي استمرت اكثر من ٣٥ عاما وبعد معارك ضارية أسر هذا الشيخ المجاهد الجليل سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥١ م) ونفي الى تركيا ومنها ذهب الى المدينة المنورة ليدفن في بقيعها بعد أن قضى ما بقي من عمره متعبدا في روضتها الشريفة.

ولقد ذكر الامير شكيب أرسلان ان سكان الداغستان يتراوح ما بين سبعة ملايين الى ثمانية ملايين وذلك عند بداية الثورة البلشفية حسب ما ذكره في كتابه حاضر العالم الاسلامي..

أما الآن وبعد مرور أكثر من ستين عاما على احتلال الشيوعيين للداغستان فان سكانها قد تناقصوا الى مليون ونصف المليون فقط بدلا من أن يزيدوا وذلك نتيجة لحرب الابادة التي شنها الشيوعيون على الداغستان مما اضطر الملايين منهم الى الهجرة الى تركيا ومنها الى مختلف الاراضي الاسلامية.

لقد قام الشيوعيون الروس بقتل جماعات كاملة من المسلمين كما

شردوا أمما أخرى ولا يزال مسلمو القوقاس يعانون من الاضطهاد الديني الذي لم تعرف له البشرية نظيرا..

سكان قفقاسية (القوقاس)

يبلغ تعداد سكان القوقاس حاليا ١٥ مليون شخص.. وهم مقسمون الى طوائف رئيسية وهم كالاتي:

١ - كرج وهم سكان كرجستان أو جورجيا.

٢ - أرمن وهم سكان أرمينية.

٣ - أتراك أذربيجانيون (أو أذريون) وهم سكان أذربيجان.

٤ - الشراكسة أو الجراكسة واسمهم القومي الاديغة ومعنى كلمة جركس الجندي البارع وقد أطلق التتار عليهم هذا الاسم وهم مجموعة من القبائل وهم:

أ - **الاباظة**: وهم يعيشون في شمال غرب القوقاس على سواحل البحر الاسود وقد أسلم أكثرهم وهم في المناطق الشمالية وبقي بعضهم على النصرانية وخاصة أولئك الذين عاشوا في أبخازيا.. وقد فر كثير من هؤلاء الاباظة من الاضطهاد الشيوعي الى تركيا ومنها الى مصر وغيرها من الاقطار الاسلامية. وقد ظهر من أسرة اباظة عدد من النابغين في هذا العصر منهم الصحفي المشهور فكري اباظة والشاعر عزيز أباظة ومنهم ممثلون ومخرجون ناجحون في فنون السينما، وقد بلغ عدد الاباظة في منطقة الكاراتشاي الجركسي ذات الحكم الذاتي ٢٤,٠٠٠ في احصاء ١٩٧٩ م وفرض عليهم كتابة لغتهم بالحرف اللاتيني ثم الروسي بدلا من الحرف العربي.

ب - **القوشحة**: وهم نصارى ويسكنون اوستينا الجنوبية أما سكان أوستينا الشمالية فقد دخلوا في الاسلام..

ج - **الابزاخ**: ويقطنون السفوح الشمالية لجبال القوقاس وهم مسلمون.

د - **القبرطاي**: ويقيمـون شمال القوشحة وهم من المسلمين.

ويبلغ عدد الجراكسة قرابة مليونين ونصف المليون...

٥ - الداغستان: تعني كلمة الداغستان باللغة التركية بلاد الجبال وحقا هي كذلك.. وتقع شمال أذربيجان السوفيتية على الشواطىء الغربية الشمالية من بحر قزوين.. وتفصل بين بحر قزوين وجبال القوقاس وتشكل الجبال ثلاثة ارباع أراضيها وتنحدر الانهار من الجبال نحو البحر والمسافة بين الجبال الشاهقة والبحر قريبة ولذا فان جبالها ووديانها شديدة الانحدار وأطول الانهار فيها هو نهر ترك الذي ترفده أنهار كثيرة ويمر في (غروزني) مركز بلاد الشاشان ثم نهر صولاق الذي يصب شمال مدينة (محج قلعة) العاصمة الحديثة.. وتبلغ مساحتها ٥٠,٣٠٠ كم مربعاً.

ونتيجة لقرب المناطق الجبلية من البحر فان أوديتها شديدة الانحدار وسهلها ضيق في الجنوب ويتسع شمالا بالقرب من مصب نهر ترك..

وتزرع الداغستان القمح والذرة والخضروات وبها ثروة حيوانية من الاغنام.. ويشكل النفط والغاز الطبيعي أهم ثرواتها ويستخرج النفط من شواطئها على بحر الخزر (قزوين) على بعد ١٠ كم من الشاطىء.

وتصنـع الـداغستـان الزجـاج والسجـاد وخـاصـة في مـدينـة دربنـد المعروفة في التاريخ الاسلامي باسم باب الابواب كما توجد بها أحواض لاصلاح السفن ومعامل لتعبئة السمك..

وتعتبر مدينة دربند أو باب الابواب الممر الرئيسي الشرقي الى قفقاسيا (القوقاس).. وقبائل الداغستان كثيرة وهم:

١ - سكان الجبال أو الداغستان.

٢ - القوموق: وهم أول من اعتنق الاسلام في هذه المناطق ويعيشون

شمال الداغستان وتأسست في بلادهم أمارة طارقي وعاصمتها مدينة طارقي وقد غير الروس اسمها الى بتروفسك.. ويلقب ملك القوموق بالشامكال.

٣ - الآندي: وهم مجموعة من القبائل يعرفون باللزكي.. ولغة هذه المجموعة هي اللغة العربية خطابة وكتابة.. ويزعمون ان اصولهم عربية.. ولا شك أنهم اختلطوا بالقبائل العربية منذ أن دخلها هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) ووطد أحد كبار قواد أخيه مسلمة بن عبد الملك اركان الحكم الاسلامي فيها وأسكن كثيرا من القبائل العربية في الداغستان وجعل دربند (باب الابواب) أحد ثغور الاسلام الهامة التي انتشر منها الى كافة المناطق في القوقاس الشمالي..

وكان اهالي الداغستان عند دخول الاسلام اليها وثنيين ويهوداً ونصارى.. اما اليهود فقد كانوا هم حكام بحر الخزر واليهم يعود سكان أوربا الشرقية وروسيا من اليهود وبالتالي معظم يهود اسرائيل وزعمائهم من أمثال بن جوريون وجولدا مائير ومناحم بيجن وهؤلاء جميعا من سكان الخزر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية في عهد مبكر... ولم يكونوا أبدا من نسل داوود واسرائيل عليهما السلام...

وانتشر الاسلام على ايدي قبائل الداغستان نفسها وأشهرها القايتاق والقومق الذين كانوا أسرع الناس استجابة لدعوة الاسلام في تلك المناطق..

ويلقب ملك القوموق بالشامكال..

وعندما غزاهم تيمورلنك عام ٧٩٨ هـ (١٣٩٥ م) كان اكثر سكانها مسلمين...

وفي سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) استولى عليها الاتراك العثمانيون ولكن لم تطل بها مدتهم..

وقد اشتهر من ملوك القايتاق السلطان احمد خان الذي بنى مدينة «المجالس» التي سميت بهذا الاسم لكثرة مجالس العلم بها وقد توفي هذا السلطان سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٧ م)..

وفي سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) تكونت امارة مستقلة جنوب الداغستان تولى أمرها الامير حسين خان..

وكانت الدولة العثمانية والدولة الصفوية تتنافسان النفوذ على مناطق القوقاس بينما خضعت أذربيجان للدولة الصفوية نرى المناطق الواقعة على البحر الاسود تخضع للدولة العثمانية بحكم قربها منها أما المناطق الاخرى فكانت تارة تخضع للدولة الصفوية الايرانية وتارة تخضع للدولة العثمانية..

وخضع أمراء الداغستان (الشامكال وأمير تابازاران) للخلافة العثمانية فترة ثم انحازوا الى سلطان الدولة الصفوية في أيام الشاه عباس الذي وسع رقعة دولته الصفوية بحيث شملت ايران وخراسان وافغانستان وأذربيجان (الايرانية والسوفيتية) كما شمل نفوذه كرجستان وداغستان..

وعندما مات الشاه عباس وضعف أمر الدولة الصفوية بعث امراء الداغستان الى الخليفة العثماني يعلمونه انهم من رعاياه وكانت الخلافة العثمانية مشغولة بحروبها الكثيرة في وسط اوربا. عندئذ اهتبل بطرس (الملقب بالعظيم وقيصر روسيا) الفرصة وهجم على الداغستان وسائر سواحل الخزر الغربية وذلك في عام ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م)..

وفي عام ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) زحف نادر شاه من فارس

وخلص جميع هذه المناطق من الحكم الروسي..

وضعف أمر الدولة الصفوية بعد وفاة نادر شاه الذي اشتهر بالحكمة والشجاعة فاهتبل الروس الفرصة مرة أخرى وهجموا بجحافل قوية على الداغستان عام ١١٩١ هـ (١٧٧٥ م) واستمرت الحروب الى عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) عندما خضع لهم أمير القومق (الشامكال).. وتوسع الروس في احتلال القوقاس.

ومرة أخرى قامت الدولة الصفوية الايرانية لمحاربة قوات القياصرة يساندها في ذلك الامراء المحليون واستمرت الحرب حتى عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) عندما انهزمت القوات الايرانية الصفوية...

وفي عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) تنازلت الدولة الصفوية عن الداغستان للامبراطورية الروسية...

وقاوم الامراء المحليون قدر طاقتهم وفي عام ١٢٢٥ هـ (١٨٠٩ م) استسلم امير القاتياق وبعد حرب طويلة أخرى استسلم أمير تبازاران وذلك عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م). واستسلم بعدهم بقية الامراء..

ولما رأى القاضي الملا محمد تقاعس الامراء واستسلامهم أثار الحمية في نفوس مواطنيه لمقاومة الروس الذين أذاقوا المسلمين أشد الويلات واصدر كتابا سماه (اقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغستان) لأنهم رضوا بحكم الكافر الروسي.. وفعلا قام هذا الشيخ قاضي القضاة بمحاربة الروس وتسمى باسم الغازي محمد واستشهد الغازي محمد في ميدان القتال في قرية جمر سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) فخلفه مكانه تلميذه الامير حمزة الخنزاجي الذي واصل القتال لمدة عامين حتى رزقه الله الشهادة.. ثم تولى

القيادة بعدهم الامام الشيخ محمد شامل وجاهد الروس جهاد الابطال ودوخهم لمدة ٣٥ سنة.. وفي عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م). وعام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) افتتح من الروس جميع الحصون المنيعة وغنم منهم ٣٥ مدفعا واعتدة حربية ومؤنا وافرة.. فجن جنون الاباطرة الروس وزحفوا عليه بجحافل جيوشهم الجرارة.. ولم يكن للشيخ من سلاح الا ما يغنمه من اعداء الله.. فصمد لهم لمدة عشر سنوات اخرى.. ثم اسر الشيخ المجاهد سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٥٩ م) ونفي الى تركيا ومنها ذهب الى المدينة المنورة حيث مات بها سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧١ م) ودفن في بقيعها رحمه الله رحمة الابرار..

والجدير بالذكر ان قاضي القضاة الملا محمد الكمراوي وتلميذه الامير حمزة الخنزاجي والشيخ محمد شامل هم جميعا من أصحاب الطريقة النقشبندية التي كان لها دور عظيم في مقاومة الغزو الروسي منذ دخوله الى يومنا هذا.

ولم تنته مقاومة الداغستان لروسيا بانتهاء ثورة الشيخ شامل الجهادية.. وانما قامت الثورات تلو الثورات ضد المستعمر الروسي الغاشم..

وفي عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) استطاعت قوات القياصرة اخضاع ثورة المريدين من الطريقة النقشبندية..

وعندما قامت الثورة البلشفية بقيادة لينين في اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) ساندها المسلمون في جميع بقاع روسيا القيصرية لانهم صدقوا وعود لينين لهم بالاستقلال وبالحرية الدينية..

وتألفت في القوقاس أربع جمهوريات اتحادية هي الداغستان وأذربيجان وكرجستان (جورجيا) واريفان (عاصمة ارمينيا) في اواخر ايام الحرب العالمية الثانية.. واعترفت الاستانة بهذه الجمهوريات ولكن حليف تركيا وهم الالمان لم يعترفوا الا بجمهورية اريفان الارمنية النصرانية..

وعندما احتل الانجليز القوقاس في نهاية هذه الحرب وعدوا أهل القوقاس المسلمين بالاستقلال ولكنهم كعادتهم أخلفوا وعودهم وسلموا القوقاس بأكمله لقوات الامير كولشاك وقائده دينكين الذين كانوا يقودون حربا شرسة ضد لينين..

وفي صيف ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) بايع أهل الداغستان الامام الرباني الصوفي نجم الدين غوتسو الذي لقبه الروس غوتسنسكي وهو من شيوخ الطريقة النقشبندية ايضا وكون حكومة اسلامية (ثيوقراطية كما يسميها الكتاب الغربيون)

وكان يحارب الروس الحمر بكل شراسة لانهم جميعا كفار محاربون للمسلمين وانتشرت بطولات نجم الدين غوتسو ورفيقه الشيخ الصوفي اوزون حجي وحارب اهل القوقاس جميعا قوات روسيا البيضاء بقيادة دينكين ليحصلوا على استقلال بلادهم بتحريض لينين فلما تم لهم ذلك غدر بهم لينين واستولى على بلادهم واحدة اثر الاخرى من عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) حتى وطد حكمه فيها.. ثم اقام المذابح الجماعية للمسلمين بما لم يشهده تاريخ الاسلام حتى في اشدها ظلمة وقتامة ايام جنكيز خان وهولاكو، ولكنه واجه مقاومة شرسة في الداغستان استمرت سنة ونيف بعد أن احتل الجيش الاحمر الداغستان في ربيع ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م). ولكن الثورة استمرت بقيادة شيوخ الطريقة النقشبندية وعلى رأسهم الامام نجم الدين غوتسو واوزون

حجي ومحمد البلوكاني وسيد أمين ودرويش محمد الآندي. ولم يقض عليها نهائيا الا في خريف ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) عندما أسر نجم الدين غوتسو وسيد أمين وأعدما كما استشهد العديد من مشايخ الطريقة في ميدان القتال.

وقد كان عدد سكان الداغستان عند قيام الثورة الشيوعية يتراوح بين سبعة وثمانية ملايين كما يقول الامير شكيب أرسلان في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) فأصبحوا بعد مرور اكثر من ستين عاما مليونين ونصف[١] وذلك نتيجة حرب الابادة التي شنتها روسيا السوفيتية والتي فاقت في ذلك روسيا القيصرية الصليبية...

وقد استمرت الثورات في الداغستان حتى بعد عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢)م) عندما اعلنت روسيا أنها جعلت الداغستان جمهورية تتبع موسكو مباشرة..

واستطاعت موسكو أن تخضع هؤلاء المقاتلين الاشداء بعد أن قتلت مئات الالوف وشردت الملايين منهم.. ورغم أن المسلمين وخاصة هؤلاء الجبليين مشهورون بكثرة تناسلهم الا اننا نجد ظاهرة انخفاض السكان من سبعة ملايين الى مليونين ونصف خلال ستين عاما من الحكم الشيوعي البوليسي الارهابي.. وفي احصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) انخفض عدد سكان الداغستان الى ١,٦٢٧,٠٠٠[٢].

والغريب حقا أن الامير شكيب ارسلان قد ذكر ان مسلمي روسيا عند قيام الثورة البلشفية قدروا بعدد يتراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين مليونا.. ورغم مضي أكثر من ستين عاما على هذا التقدير فان احصائيات عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) تجعل عدد المسلمين ٤٣ مليونا فقط

---

(١) الجغرافية الاقليمية للعالم الاسلامي

(٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجنسن ولومرسييه.

وبينما كان عدد سكان الاتحاد السوفيتي عند قيام الثورة حوالي ١٧٠ مليون فان عدد السكان الآن يزيد عن ٢٧٠ مليون...

ومعنى ذلك أن هناك زيادة في السكان تقدر بمائة مليون والمسلمون هم الوحيدون الذين لا يزيدون في الاتحاد السوفيتي رغم أن نسبة المواليد لديهم تبلغ ضعف نسبة المواليد لدى الروس...

والمعنى الوحيد لهذا هو أن المسلمين كانوا يواجهون حرب ابادة شاملة اذ أن المفروض أن يكون عدد المسلمين اليوم يتراوح بين سبعين وثمانين مليونا.. ولكن نتيجة حرب الابادة التي شنها الشيوعيون الروس فان عدد المسلمين اليوم يبلغ هذه النسبة المنخفضة..

ومع هذا فالروس منزعجون أشد الانزعاج لانخفاض المواليد بينهم وزيادتهم بين المسلمين ويعملون منذ الآن لايجاد وسائل جديدة لايقاف زيادة عدد المسلمين لانهم اذا استمروا على هذه النسبة في المواليد فان عددهم سيصبح عام ٢٠٠٠ سبعين مليونا على أقل التقديرات وثمانين مليونا على اكثرها.

وهي نسبة مزعجة للروس أشد الازعاج ويخططون لمنعها منذ هذه اللحظة.

المعطيات اللغوية في الداغستان:

لقد كانت اللغة العربية هي اللغة الأولى في الداغستان الى ما قبل الغزو البلشفي الروسي لها. وتعتبر قبائل اللزكي أن لغتهم الاساسية هي اللغة العربية كتابة وخطابة ويزعمون أن أصولهم عربية..

وبما أن اللغة العربية هي لغة الاسلام فقد كان أكثر أهل الداغستان يعرفونها حتى تلك القبائل التي كانت تتحدث باللغات التركية أو اللغات المحلية فإنها كانت تحرص على تعليم أطفالها القرآن الكريم واللغة العربية

منذ الطفولة الباكرة..

ولكن ما أن دخل البلاشفة داغستان حتى قاموا سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) (أي بعد عام واحد من ضمها الى روسيا) بحظر استعمال اللغة العربية كتابة وحديثاً لأنها لغة رجال الدين!!

ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ما يلي:

(أثناء الحكم السوفيتي، حوالي عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) حظرت اللغة العربية كلغة أدبية لكونها لغة (رجال الدين) وطبقت سياسة تتريك لغوية حتى عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م). فاستخدمت التركية الازرية في البداية وحتى عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) ثم استخدمت لغة الكوميك.. ولم يكن بين الجرائد اليومية الاثني عشر التي كانت تصدر في الداغستان أي جريدة عربية وكلها كانت بلغات تركية مثل الكوميك والازرية والنوغاي..

«وعندما اتمت روسيا عملية اقصاء اللغة العربية قامت أيضاً بمحاربة اللغة التركية وقامت موسكو بحملة تصفية للمنادين بالوحدة التركية وكتبت اللهجات الداغستانية بالحروف اللاتينية أولا ثم بالحروف الروسية الكيريلية وذلك منذ عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) وقد قامت الحكومة الروسية بتحويل اللهجات الداغستانية العديدة الى لغات كتابة بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي وفي عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) كان للداغستان اثني عشر لغة رسمية كلها تكتب بالحرف اللاتيني أو الروسي»..وذلك من أجل تمزيق الداغستان التي واجهتهم بحرب شرسة لا تزال ذكراها عالقة بالأذهان.

المعطيات الدينية

باستثناء عدد قليل من اليهود الذين يطلق عليهم (داغ تشوفوت)

أي يهود الجبل فإن أهالي الداغستان جميعاً من المسلمين السنة الاحناف..

وللطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية ثم القادرية نشاط قوي وبارز ولهم تاريخ مجيد في نشر الإسلام ثم في الذب عنه وفي محاربة الغزو الروسي القيصري ثم البلسقي الشيوعي ولا يزال تأثير الطرق الصوفية يعمل بعمق في الجماهير رغم محاربة السلطات الروسية لهم بضراوة تفوق كل وصف.

وفي استفتاء اجري في عام ١٩٧٤ (ذكره كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) أجاب ٦٨ بالمئة بأنهم مؤمنون بالله ورسوله ومتمسكون بالاسلام وأجاب ٦بـ المئة بأنهم مترددون حائرون.. وقال ٢٦ بـ المئة انهم غير مؤمنين. وذلك بعد أكثر من خمسين عاماً من التربية الشيوعية القسرية التي فرضها الروس فرضاً على سكان الداغستان.

وحتى نكمل حديثنا عن القوقاس فإننا سنتحدث عن بقية المناطق التي تتبع روسيا مباشرة بعد أن تحدثنا عن الداغستان بشيء من الاسهاب لأهميتها التاريخية والجغرافية.. وهذه المناطق هي: -

(١) شاشان - الانغوش.

(٢) قابرديان - بلكاريا.

(٣) الاديغة.

(٤) أوستينا الشمالية.

(٥) قارتشاي الشركسية.

---

١) انظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

٢) الجغرافية الاقليمية للعالم الاسلامي - مقرر الثانوية العامة (السعودية).

الشاشان (التشتشينو - اينغوش)

تقع الشاشان (تششين) في السفوح الشمالية لجبال القوقاز فتتدفق اليها المياه من الجبال وتشكل أنهاراً كثيرة ترفد نهر ترك الذي يعد أهم أنهار القوقاس.. ولذا فإن هذه المنطقة تشتهر بخصوبتها كما أنها أيضاً تشتهر بثرواتها البترولية الموجودة بالقرب من العاصمة غروزني -

تبلغ مساحة هذه الجمهورية الذاتية ١٩,٠٠٠ كم٢ ويبلغ عدد سكانها ١,٥٥٥,٠٠٠ نسمة ويشكل المسلمون ٦٦,٥ بالمئة من السكان ورغم ذلك فإن العاصمة غروزني أصبحت نتيجة للهجرة الروسية مدينة روسية حتى في سكانها.. وأصبح المسلمون فيها أقلية نتيجة للاستعمار الروسي الاستيطاني الذي يشبه الى حد كبير الاستيطان الاسرائيلي.. ويبلغ عدد سكان غروزني العاصمة ٣٧٥,٠٠٠ حسب احصاء عام ١٩٧٩(١).

المعطيات الادارية والتاريخية.

لقد دخل الاسلام الى منطقة الشاشان - اينغوش في القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) على يد الدعاة الى الله من الصوفية في تركيا وفي الداغستان وأذربيجان على يد رجال الطريقة النقشبندية بصفة خاصة.

وقد سقطت هذه المنطقة بيد القياصرة في القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٥٠م) (أي الثالث عشر الهجري وبالذات في عام ١٢٦٧هـ).

وقد حاولت روسيا القيصرية تنصير السكان المسلمين ولكن سياستها التنصيرية فشلت فشلاً ذريعاً رغم الاضطهاد الشديد في هذا السبيل..

وعندما استولت القوات البلشفية على القوقاس بما فيه الشاشان قام لينين في نوفمبر ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) بجعلها مقاطعة ذات حكم ذاتي كما

---

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي للمؤلفين بنجينس ولومرسييه.

جعل الاينغوش أيضاً مقاطعة ذات حكم ذاتي في يوليه ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م). وفي يناير (١٣٥٣ هـ) (١٩٣٤ م) تم دمج هاتين المقاطعتين وفي ديسمبر (١٣٥٥ هـ) (١٩٣٦ م) أعطيت اسم جمهورية ذات حكم ذاتي.

وعندما غضب ستالين على سكان هذه المناطق كما غضب على سكان القرم وقابردیار أصدر أمره في ٢٣ فبراير ١٩٤٤ بسبي جميع السكان ونفيهم الى سيبيريا[١].. والغى جمهورياتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجيا وهكذا تتضح بشاعة الحكم البلشفي الشيوعي الكالح الرهيب حيث قام ستالين بنفي عدة شعوب اسلامية بكاملها من مواطنها وهي شعوب القرم وشعوب الشاشان والاينغوش وشعوب القابرديار والبلكار[٢].

وقد مات عشرات الالاف اثناء رحلة الموت هذه كما مات عشرات الالاف ايضاً في ثلوج سيبيريا الشمالية.

ورغم أن مجلس السوفيت الاعلى قد أدان حكم ستالين الإستبدادي الرهيب ووصفه بأنه ابشع ما شهدته البشرية حتى أنهم نبشوا قبره وأحرقوا جثته لتنتهي اسطورة ستالين الذي الهوه وعبدوه، ورغم هذا كله الا أن شعب القرم لا يزال يجوب فيافي سيبيريا ويمنع من العودة الى وطنه.

وقد قام مجلس السوفيت الأعلى بالغاء قرار ستالين الذي اتهم فيه هذه الشعوب الاسلامية بالتعاون مع النازي وبرأ هذه الشعوب من هذه التهمة.. وسمح لشعب الشاشان والاينغوش بالعودة الى وطنهم وذلك في عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) «وعند عودتهم الى وطنهم وجدوا جميع مساجدهم وجوامعهم مهدمة وظلت جمهورية الشاشان اينغوش حتى عام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) الاقليم المسلم الوحيد في الاتحاد السوفيتي الذي اجريت فيه التجربة الجذرية القاضية بمحق الدين الاسلامي من خـــلال

---

(١) المصدر السابق

(٢) قام اليهودي ميخائيل سوسلوف والذي أصبح المنظر العقائدي للاتحاد السوفيتي بتنفيذ حملة النفي ضد السكان المسلمين من مناطقهم في القوقاس. وبلغ عدد المنفيين ١,٦٠٠,٠٠٠ شخص أجبروا على ترك ديارهم وأوطانهم في حالة بائسه.

هـدم وحـل جميـع مؤسسات وامكنـة العبادة[1].

السكان: يذكر احصاء عام ١٩٧٩ أن سكان الشاشان - الاينغوش يبلغون ١,١٥٥,٠٠٠ ويشكل المسلمون ٦٦,٥ بالمئة موزعين كالتالي:

تشاشان: ٦١١,٠٠٠، اينغوش ١٣٥,٠٠٠، داغستان: ٢٢,٠٠٠. أما الروس فقد أخذ عددهم يتناقص ففي حين كانوا يشكلون ٤٩ بالمئة من مجموع السكان عام ١٩٥٩ الا أنهم أصبحوا يشكلون ٢٠٪ فقط من السكان عام ١٩٧٩. وذلك (بسبب عداء السكان الاصليين المسلمين للعنصر الروسي) كما يقول المؤلفان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه في كتابها المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

وهذا يعني أن الروس لا يزدادون بينما يزداد السكان المسلمين وذلـك أيضاً بسبب التنـاسل المرتفـع لـدى المسلمين والمنخفـض لـدى الروس.. ومرة تلو المرة نرى أن أزدياد النسل في جميع مناطق الاتحاد السوفيتي هو العامل الاساسي في الحفاظ على الهوية الاسلامية والعرقية لهذه الشعوب التي واجهت حرب ابادة كاملة من المستعمر الروسي.

ورغم بقاء الشاشان والاينغوش في المنفى السيبيري المتجمد لأكثر من ١٥ عاماً الا أنهم استطاعوا ان يحتفظوا ببنيتهم الثقافية وهويتهم الاسلامية فلما عادوا الى موطنهم اظهروا لغتهم التي تعود الى اللغات الايـبروقوقـاسيـة كما أظهروا تمسكهم بـالتقـاليـد الاسلاميـة ونظـامهم العشائري. ويقول كتـــاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيـــتي: (وبــالرغم من سنوات السبي والعيش في المنفـى حـافـظ التشثيون والاينغوش على البنية التقليدية لمجتمعهم المقسم الى عشائر التي لا تزال قائمة الى يومنا هذا وتشكل حالياً الاساس للتنظيمات الصوفية) التي تبث روح المقاومة ضد المستعمر الروسي، وقد نشرت مجلة (أرابيا) ديسمبر

---

(١) كتاب المسلمون المنسبون في الاتحاد السوفيتي

١٩٨٢م قصة المجاهد التشيشني الذي فر الى الغابات وقتل أربعين من أعضاء الحزب الشيوعي قبل أن يستشهد.. ولما قتل وجدوا مصحفا صغيرا معلقاً على صدره.

ويقول المصدر السابق في فقرة أخرى. (لقد ترك عمل الطرق الصوفية وشماً عميقاً في طابع الاسلام عند الشاشان والاينغوش - بحيث يتميز بصرامته وتصلبه وكرهه للروس الأجانب.. ويقر كل المراقبين السوفيت أن جمهورية الشاشان اينغوش هي الحصن الأكثر صلابة للاسلام التقليدي وإن سكانها هم الأكثر تديناً بين مسلمي الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك فقد اختارت السلطات السوفيتية هذه الجمهورية بالذات ليجروا فيها الاختبار الجذري الهادف الى تدمير الدين بقفل كل المساجد ولم يبق في جميع أرجاء هذه الجمهورية مسجد واحد..

وقد قوبلت هذه التدابير الاستبدادية القسرية بتغلغل الصوفية تغلغلا شبه كامل.. وقد قدر في عام ١٩٧٨ عدد مريدي الطرق الصوفية بأنهم نصف المؤمنين أو نصف السكان المسلمين ونتيجة لخوف السلطات من هذا النفوذ الصوفي المعادي للروس بشدة فقد سمحت بفتح مسجدين في قرية قرب العاصمة غروزني. وفي عام ١٩٨٠ فتحت خمسة مساجد أخرى في القرى المنتشرة.

يقول المصدر السابق إن النفي الى مجاهل سيبيريا لهذه الشعوب أعطى نتيجة لم تكن في الحسبان حيث أدى ذلك الى وثبة جديدة للحركات الصوفية. ذلك لأن الطرق الصوفية كانت الرمز الوحيد للأمة في معسكرات سيبيريا ومنفى السهوب الكازاخية.. وكانت دافعاً اساسيا لحب البقاء عند جميع المنفيين. ويعترف بهذه الحقيقة كل الاختصاصيين الروس..

لقد بذلت الاخويات الصوفية ولا سيما تلك المنبثقة من طريق كونتا

(حجي) القادرية نشاطا مكثفا خلال سنوات المنفي. ورأت النور أخوية صوفية جديدة في كازاخستان حوالي عام ١٩٥٥م وهي طريقة عويسي حجي زاغييف وقد عرفت في الادب الروسي باسم «أخوية القلنسوات البيض» لانهم يلبسون قبعات الفراء الابيض عند الذكر. والأكثر من ذلك ان هؤلاء الجبليين العنيدين أصبحوا قدوة لشعوب كازاخستان وقيرغيزيا الشمالية فاقبلت هذه الشعوب المسلمة على الانخراط في صفوف الطرق الصوفية..

ويقول المصدر السابق ان الاخويات الصوفية ليست الا تنظيمات جماهيرية بالرغم من طابعها نصف السري ومثالا على ذلك فقد كان ٥٠,٩ بالمئة من المسلمين المؤمنين في جمهورية الشاشان انيغوش، من اتباع احدى الطرق الصوفية في عام ١٩٧٨م وعام ١٩٧٩م. ويقدر عدد المنتسبين الى هذه الطرق في الشاشان انيغوش بعدد يتراوح بين ١٥٠,٠٠٠ و ١٨٠,٠٠٠ وهو رقم مدهش حقاً لا سيما اذا عرفنا ان هذه المنطقة لم يكن فيها قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧م سوى ٦٠,٠٠٠ مريد و٣٨ شيخا.

إن الشعور القومي مرتبط هناك بالشعور الديني أما مفهوم القومية العلمانية فليس له أي وجود.

أوستينا الشمالية: يعتبر الاوستين من العناصر الشركسية ويقطنون مرتفعات جبال القوقاس.. وقد دخل سكان القسم الشمالي من الاوستين في الاسلام بواسطة الدعاة الى الله من الصوفية وخاصة من أصحاب الطريقة النقشبندية التي لها أعظم الأثر على سكان القوقاس بينما ظل كثير من سكان أوستينا الجنوبية على نصرانيتهم.. فقامت روسيا البلشفية بضم اوستينا الجنوبية الى جمهورية جورجيا أما اوستينا الشمالية فجعلتها تتبعها مباشرة.. وأهل الاوستين الشمالية بالذات جنود مقاتلون أشداء ولذا حرصت روسيا على ادخالهم الجيش السوفيتي. وقد تشكلت

أوستينا الشمالية في يوليه ١٩٢٤ كمنطقة ذات حكم ذاتي ثم أصبحت جمهورية ذاتية في ديسمبر ١٩٢٦.

ومن أوستينا الشمالية تنبع أكثر روافد نهر (ترك) ويبلغ عدد سكان الاوستين الشمالية والجنوبية ٥٤٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠,٠٠٠ مسلم وهم سنة أحناف وللطرق الصوفية تأثير قوي عليهم ومساحتها ٨٠٠٠ كم مربعاً. أما العاصمة فهي (أردجو نيكيرزي).. (تختلف المراجع في عدد المسلمين اختلافا كبيرا فكتاب (المسلمون في العالم) يحدد عدد المسلمين الاوستين بـ ٣٣٠ ألفاً) وكانت بداية الاحتلال الروسي لأوستينا الشمالية سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م).

قابرديار بلكارديا: تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كم مربعاً وعاصمتها مدينة (نلتشيك) أما سكانها فلا يزيدون عن سبعمائة ألف نسمة. كلهم تقريبا من المسلمين الذين يعرفون باسم قبرطاي وهم قبيلتين القابرد والبلكار ولكل منهم لغة خاصة به.. وهم جميعا من الشراكسة. ويشتهر القبرطاي بتربية الخيل ولهم عادات وتقاليد يحافظون عليها.

وقد اتهم ستالين البلكار بالتعاون مع الألمان في الحرب العالمية الثانية وقام بقتل الالاف منهم ثم نفى شعب البلكار بأكمله الى سيبيريا كما فعل بشعب القرم.. وقد نفت الحكومة السوفيتية عنهم هذه التهمة في ٩ يناير ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) وسمح لهذا الشعب بالعودة الى وطنه من منفاه في سيبيريا.

وقد أقيمت جمهوريتهم التابعة مباشرة لموسكو سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) كمنطقة كاباردية ذات حكم ذاتي ثم تحولت عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) الى جمهورية الكابارد والبلكار ذات الحكم الذاتي.

الاديجة (الاديغة): مقاطعة تتبع اقليم كراسنودار وتشرف على البحر الاسود من الناحية الغربية وتجري فيها مياه نهر كوبان وروافده..

وتبلغ مساحتها ٧,٦٠٠ كم مربعاً ويسكنها نصف مليون تقريبا (٤٠٤,٠٠٠ نسمة في احصاء ١٩٧٩ م) ٢١,٤٪ فقط من المسلمين[١] وهم من قبائل الابزاخ والبزادوغ والشابيغ والحاتوقواي.. وعاصمتهم مدينة مايكوب المشهورة بالثروات والصناعة النفطية.. وأهم مرافئها مدينة سوفي ومدينة أنابا. وقد سيطر عليها الروس عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م).. وتأسست مقاطعتهم سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) تحت اسم منطقة الاديغة - الجركس - وأصبحت تعرف باسم منطقة الاديغة ذات الحكم الذاتي ابتداء من عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

ينتمي الاديغة الاصليون الى الأمة الجركسية التي تضم الجركس والكابارد والاباظة.. وكانت بالأمس كما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تضم مليوني نسمة هاجر معظمهم الى الدولة العثمانية فرارا من الاضطهاد الديني الروسي.

والاديغة مثل بقية سكان القوقاس الشمالي مسلمون سنيون أحناف وقد دخلوا في الاسلام على يد الدعاة الى الله من الطريقة الصوفية القادمة من الدولة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي وقد استعمرها الروس منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وتميز الاستعمار الروسي بأنه استيطاني مثل الاستعمار الاسرائيلي.. وقد قام الروس بطرد الاديغة من موطنهم الاصلي وفرّ الكثير منهم الى تركيا حتى أصبح الاديغة أقلية في وطنهم وحسب احصاء ١٩٧٩ الرسمي فإن الاديغة يشكلون فقط ٢١,٤ بالمئة بينما يشكل الروس والاوكرانيون والروس البيض والأرمن ٧٨,٦ بالمئة من السكان.

---

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي بينما تذكر المصادر مثل كتاب المسلمون في العالم انهم يشكلون ٧٠ بالمئة من السكان.

وقد كانت لغة الاديغة تكتب بالحرف العربي ولكن السلطات البلشفية قامت بابداله الى الحرف اللاتيني أولا ثم الى الحرف الروسي الكيريلي وذلك في عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

منطقة كاراتشاي - الجركس ذات الحكم الذاتي:

أنشئت هذه المنطقة في ١٢ يناير ١٩٢٢ وفي عام ١٩٢٦ قسمت الى منطقتين هي منطقة الكاراتشاي ذات الحكم الذاتي ومحافظة الجركس.. وفي ٣٠ ابريل ١٩٢٨م أعيد تجميعها تحت اسم منطقة كاراتشاي - الجركس ذات الحكم الذاتي.

وعندما غضب ستالين على كثير من الشعوب الاسلامية مثل القرم والكابارد والشاشان أمر بنفي هذه الشعوب جميعا الى مجاهل سيبيريا مما أدى الى وفاة مئات الآلاف منهم.

وقد قام ستالين في عام ١٩٤٤ بنفي شعب الكاراتشاي الى مجاهل سيبيريا كما فعل بالقرم والكابارد والشاشان.. وأعيد تسمية منطقتهم الى اسم منطقة الجركس ذات الحكم الذاتي.

وعندما قام مجلس السوفيت الاعلى بتبرئة هذه الشعوب من تهمة التعاون مع النازي التي الصقها بهم ستالين الذي وصفوه بأنه من أكثر طغاة الأرض دموية وجبروتا وتأليها لنفسه أعيد اعتبار الكاراتشاي في عام ١٩٥٧ وسمح لهم بالعودة الى وطنهم وتأسست منطقة كاراتشاي - الجركس ذات الحكم الذاتي.

ونتيجة للاستعمار الاستيطاني الروسي فقد كان السكان الأصليون يشكلون أقلية في وطنهم ففي احصاء ١٩٥٩م كانوا يشكلون ٤٣٪ فقط من السكان ازدادوا بسبب كثرة التناسل المشهورة بين المسلمين الى

٤٩,٢٪ في احصاء عام ١٩٧٩[١] ويشكل الروس والاوكرانيون النسبة الباقية..

وقد دخل الاسلام الى هذه البلاد بواسطة الطرق الصوفية والدعاة الى الله من الأتراك العثمانيين والتتار في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وتبلغ مساحة هذه المنطقة ١٤,١٠٠ كم مربعاً وعدد سكانها أقل من نصف مليون (٣٦٩,٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٧٩ م).

وقد خضعت هذه المنطقة لحكم روسيا القيصرية اثر مؤتمر برلين المنعقد عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وقد تميز الاستعمار الروسي بأنه استعمار استيطاني ولا يزال الروس والاوكرانيون يشكلون نصف السكان (٥١٪) رغم الزيادة الكبيرة في التناسل بين المسلمين.

ويتألف السكان المسلمون من ثلاث قوميات متميزة هي:

(١) **الكاراتشاي**: وهم منحدرون من الكيبتشاك ولغتهم تركية تشبه لغة البلكار بلغ عددهم في احصاء ١٩٧٩م ١٣١٠٧٤ نسمة.. وقد اتهمهم ستالين عام ١٩٤٣ بالتعاون مع النازي وقام بسبيهم ونفيهم الى سيبيريا.. ولم يعودوا الى وطنهم الا بعد ان ألغى مجلس السوفيت الاعلى هذا القرار سنة ١٩٥٧.. وكما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي (وبالرغم من سبي دام ١٥ عاما في ظروف رهيبة ومن حرمانهم من مدارسهم وصحافتهم الا أنهم قاوموا ببسالة محاولة الابادة الجماعية هذه) ويقول المرجع المذكور في فقرة أخرى (لقد كان الاسلام وحده هو الذي ثبّت المنفيين في محنتهم الرهيبة).

---

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.. وتقول المصادر الأخرى مثل كتاب المسلمون في العالم أن المسلمين يشكلون ٧٠٪ من سكان الكاراتشاي - الجركسي.

ولهذا نجد الكاراتشاي يتمسكون بدينهم الاسلامي بصورة ملفتة للنظر كما أننا نجد الطرق الصوفية قد تغلغلت في صفوفهم وعمقت من ايمانهم.

(٢) الجركس: وهم من الايبرو قوقاس وينتمون الى قبيلة البسلتة القريبة من الكابارد والاديجة (الاديغة) ولغتهم قريبة جدا من لغة الكابارد.. ويستخدمون اللغة الكاباردية كلغة كتابة..

وعدد الجركس في الاتحاد السوفيتي ٤٦٥٠٠ وذلك في احصاء ١٩٧٩ م.. وقد هاجر عدد كبير منهم الى تركيا بعد الاحتلال الروسي البلشفي لأراضيهم.

(٣) الاباظة: ويبلغ عددهم في الاتحاد السوفيتي ٣٠,٠٠٠ حسب احصاء ١٩٧٩ منهم ٢٤,٠٠٠ في منطقة الكاراتشاي - الجركس.. ولغتهم تكتب بالحرف الروسي حاليا بعد أن منعت الكتابة بالحرف العربي.

ولا يوجد في منطقة الكاراتشاي - الجركس بأكملها سوى أربعة مساجد مفتوحة للعبادة حاليا ولكن الاسلام الموازي كما يقول كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» «يتجذر بقوة نتيجة نشاط الطرق الصوفية».

وهناك مجموعات اسلامية وخاصة في منطقة القوقاس ليست لها صفة ادارية ولا موطن محدد وهؤلاء هم:

(١) الاكراد

(٢) النور

ويعتبر الأكراد امتدادا لأكراد العراق وايران وتركيا. ويبلغ عددهم في الاتحاد السوفيتي ١١٥,٨٥٨ يتوزعون على الاقاليم التالية:

(١) جورجيا ٢٦٦٨٨ شخصاً
(٢) أرمينية ٥٠٨٢٢
(٣) أذربيجان ١٠,٠٠٠
(٤) آسيا الوسطى ٢٥,٠٠٠

وأغلب هؤلاء الأكراد سنة أحناف وفيهم عدد قليل جدا من اليزيديين عبدة الشيطان.

ويملك الاكراد في أرمينية جريدة يومية تصدر في اريغان. وقد فرض على الاكراد كتابة لغتهم بالحرف الروسي الكريلي بدلا من الحرف العربي.

ومن المعلوم أن الأمة الكردية هي التي أخرجت صلاح الدين الايوبي والعديد من الابطال مثل نور الدين زنكي..

وها هم الان يتعرضون في الاتحاد السوفيتي لمحاولة مسح دينهم ونعتهم وارتباطهم باللغة العربية.

ومنذ ان دخل العرب الى تلك الاصقاع تصاهروا مع الأكراد حتى كانت كثير من القبائل العربية تعتبر كردية لشدة التصاقها بالأكراد. واتخذ الاكراد اللغة العربية بدلا عن لغتهم..

ولا يزال الاكراد يتمسكون بالدين الاسلامي وباللغة العربية حتى في الاتحاد السوفيتي ويدرسون القرآن الكريم سرا ويعلمونه لابنائهم.

النور المسلمون:

وهم المعروفون باسم الغجر وينتشرون في الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقية. ويبلغ عددهم في الاتحاد السوفيتي ٢٠٩,١٥٩ نسمة منهم ١٢٠,٠٠٠ في جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية والبقية يتنقلون بين آسيا الوسطى وكازاخستان والقوقاس.

ويدين هؤلاء الغجر (النور) بالدين الاسلامي وهم سنة أحناف. ولكن كثيرا منهم قد بعدوا عن التربية الاسلامية وضاعوا في الشتات (دياسبورا) الذي لا يزالون يعانون منه حيث يشكلون أمة مهاجرة لا موطن ثابت لها.

الجمهوريات الذاتية والأقاليم الواقعة في شمال وشرق القوقاز
(من كتاب المسلمون في العالم)

الجمهورية الذاتية أو الأقاليم	عدد السكان	عددالمسلمين	النسبة
جمهورية الداغستان	١,٧ مليون	١,٣	٧٥٪
جمهورية الشاشان (شيشينو - انجوشيا)	١,٢ مليون	٩٠٠ ألف	٧٤٪
جمهورية قابرديار - بلكاريا	٦٦٠ ألف	٥٠٠ ألف	٧٢٪
جمهورية اوستينا الشمالية	٦٢٠ ألف	٣٣٠ ألف	٥٣٪
اقليم كراتشاي - شركس	٥٠٠ ألف	٣٥٠ ألف	٧٠٪
اقليم اديغة (اديجيا)	٥٠٠ ألف	٣٥٠ ألف	٧٠٪

وبذلك يبلغ مجموع المسلمين في شمال وشرق القوقاس نحو ٣,٧ مليون مشكلين نسبة ٧٢ بالمئة من مجموع السكان.

ويبلغ عدد المسلمين في جمهورية روسيا الاتحادية السوفيتية ١٤,٨ مليون من مجموع ١٣٥ مليون.



الفَصْلُ الخامِسُ

اذربيجان

تقسم أذربيجان حاليا الى قسمين: قسم في شمال ايران وعاصمته تبريز وقسم في الاتحاد السوفيتي ويعرف بجمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفيتية وعاصمته باكو، ويفصل بينهما نهر الرس، فما كان شمال نهر الرس فهو أرّان (القديمة) التي احتلها الروس واصبحت تعرف باسم جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية، وما كان جنوب النهر فهو اقليم اذربيجان التابع لجمهورية ايران الاسلامية..

فتح أذربيجان

في اثناء ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة في زمن عمر رضي الله عنه بعث المغيرة بن شعبة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله الى أذربيجان.. فسار حذيفة دون أن يعترضه معترض حتى وصل اردبيل عاصمة اذربيجان عندئذ وعليها المرزبان (والمرزبان لفظ فارسي يعني الحاكم أو الوالي) فقاتله مرزبانها قتالا شديداً فلما رأى الهزيمة واقعة به لا محالة طلب الصلح فأعطاه اياه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان على أن يدفعوا للمسلمين ثمانمائة الف درهم وعلى أن لا يقتل المسلمون احدا من أهل أردبيل ولا يسببه سواء كان من المقاتلة أو غيرهم وعلى أن لا يهدم بيت نار وهي معابدهم.. ولا يعرض لاكراد البلاسجان وسبلان وساترودان. وتم ذلك سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م.)

ثم ولى عمر بن الخطاب أمر أذربيجان عتبة بن فرقد السلمي فدخل فرقد أردبيل العاصمة ووجدهم على العهد ولكنه وجد أطراف اذربيجان قد انتقضت وغدرت فغزاها وأخضعها وقد حدثت عند تولي عتبة أمر أذربيجان حادثة تزيدنا دلالة على زهد عمر رضي الله عنه وعدله فقد أرسل له عتبة سفطين من خبيص وهو طعام لذيذ من طعام

أهل أذربيجان فلما ذاق منه عمر قال:

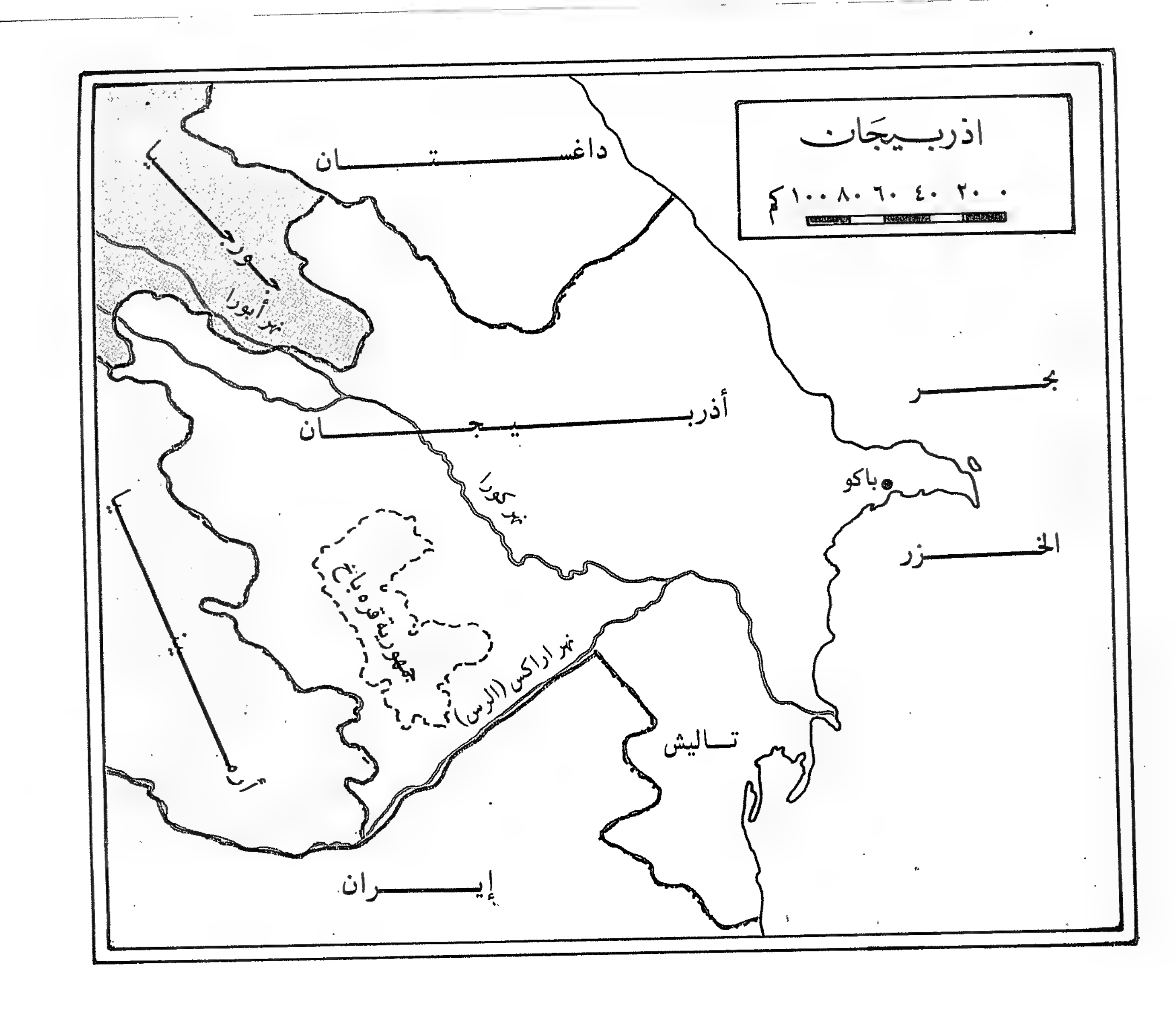
إن هذا لطيب: هل كُلُّ المسلمين أكلَ منه شبعة فقال رسول عتبة بن فرقد: لا يأ أمير المؤمنين انما هو شيء خصك به فكتب اليه عمر يقول:

من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى عتبة بن فرقد. أما بعد فانه ليس من كدك ولا كد أمك ولا كد أبيك. لا نأكل الا ما يشبع منه المسلمون في رحالهم..

فوعى عتبة بن فرقد وجميع ولاة عمر رضي الله عنه هذا الدرس البليغ.. فلم يكن أحد منهم يستطيع أن يأكل الا مما يأكل منه المسلمون يشبعون.. ولم يكن والٍ يستطيع ان يدخر لنفسه شيئا.. وأكثرهم من أجله الصحابة يخشون الله ويرقبونه ثم بعد ذلك رقابة عمر الشديده التي تقاسمهم مالهم الخاص.

واليك نص العهد الذي أعطاه عتبة بن فرقد السلمي لأهل اذربيجان:

(هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل اذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم، الامان على أنفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم (ويا له من عدل عظيم) ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن (شيخ طاعن أو مريض بمرض مزمن) ليس في يديه من الدنيا (وهو اعفاء لغير القادرين على دفع الجزية) لهم ذلك ولمن سكن منهم. وعليهم قرى (اي ضيافة) ومن حسر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة (اي لم يستطع دفع الجزية فترفع عنه الجزية في ذلك العام). ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك. ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه. وكتب جندب وشهد بكير بن عبدالله الليثي وسماك بن خرشة الانصاري وكتب في ثماني عشرة (أي سنة ١٨ هـ) (٦٣٨ م).


أذربيجان
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم
داغستان
جورجيا
نهر أبورا
أذربيجان
بحر الخزر
باكو
نهر كورا
جمهورية قره باغ
نهر اراكس (الرس)
تاليش
أرمينيا
إيران

عدل الاسلام أهم أسباب انتشاره بين الأمم المغلوبة

وهكذا وجدت الامم المغلوبة عدل الاسلام فدخلت في دين الله افواجا، فلما تولى عثمان رضي الله عنه وكان شيخا كبيرا تملص الولاة من رقابة عمر وشدته فاكتنزوا الاموال لانفسهم ومنهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط الذي سماه الله فاسقا بقوله تعالى: ﴿ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

وكان عثمان رضي الله عنه قد ولى الوليد هذا أمر الكوفة واليه يعود أمر أذربيجان وقزوين والديلم فانتقضت جميعها فبعث اليهم الوليد أحد رجالِ الوغى وهو الأشعث بن قيس الكندي فأخضعهم وصالحهم على مثل صلح حذيفة بن اليمان وعتبة بن فرقد السلمي[1].

ثم تولى أمر أذربيجان سعيد بن العاص الاموي فانتقضت عليه مناطق من أذربيجان فوجه اليها جرير بن عبد الله البجلي فأخضعها..

---

(١) جاء في كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان أن أهل أذربيجان نقضوا العهد سنة ٢٥ هـ في أول عهد عثمان رضي الله عنه فأمر عثمان الوليد بن عقبة بن ابي معيط وإليه على الكوفة بأن يسير إليها فسار الوليد وأغار على أهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبى، فطلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى أهل أرمينية في اثني عشر ألفاً لانهم نقضوا العهد أيضاً ففتح بلادهم ثم انصرف وقد ملأ يديه بالغنائم. وسار الوليد الى الحديثة فنزل بها فأتاه بها كتاب عثمان يأمره بنجدة معاوية ابن أبي سفيان الذي اجتمعت ضده حشود الروم فأرسل الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي في ثمانية الآف لنجدة معاوية فحضرا مع جند الشام فشنوا الغارات على أرض الروم (في أرمينية) وكان على جند الشام حبيب بن مسلمة فاتح أرض أرمينية.. حتى أتو قالي قلا (قلقيليا أو أرضروم أو أرزن الروم وهي اليوم في شرق تركيا مما يحاذي أرمينية السوفيتية). فحاصرها حبيب بن مسلمة حتى طلب أهلها الصلح وطلب كثير من الروم الجلاء عنها فسمح لهم بمغادرتها ولحقوا ببلاد الروم.. ثم غزا حبيب ملاطية وسيواس واقسري وقونية لمواجهة حشود بطريق أرميناقس فهزمهم حبيب. وها هنا نذكر بطولة زوجة حبيب بن مسلمة اذ سمعته زوجة أم عبد الله بنت يزيد الكلبية وهو يقرر مهاجمة الروم ليلا فقالت له أين موعدك فقال لها سرادق الموريان وهو بطريق ارميناقس وقائد قواتهم، فدارت المعركة ووصل حبيب الى السرادق فوجد زوجته قد سبقته الى سرادق البطريق وقائد قوات الروم وبيدها سيفها.. يقطر من دم الاعداء.. وفتح حبيب بقية أراضي أرمينية الواسعة التي يقع جزء منها اليوم في شرق تركيا والجزء الاخر في جمهورية أرمينية السوفيتية.

فلما تولى الامام علي الخلافة بعث الأشعث بن قيس الكندي الى أذربيجان فلما قدمها وجد اكثر أهلها قد أسلموا وقرأوا القرآن فأنزل جماعة من العرب أردبيل عاصمة اذربيجان ومصّرها وبنى مسجدها...

وهكذا كانت عظمة هذا الدين لا تمضي سنوات قلائل حتى تصير البلاد المفتوحة بلادا اسلامية شديدة التمسك بأهداب هذا الدين وتعاليمه وآدابه.

اندماج العرب مع الاكراد

واندمج العرب في أهل هذه البلاد اندماجا تاما وأصهروا اليهم فما هي الا فترة وجيزة حتى عد بنو رواد من الازد كردا من الاكراد لشدة اختلاطهم بهم واصهارهم اليهم.

وتراخت قبضة الخلافة على أذربيجان بعد فتنة بابك الخرمي.. وكان آخر من وليها من الحكام ذوي الهمة العالية بنو الساج الذين انتهى حكمهم في فتنة بابك الخرمي المجوسي.. ثم ظهر بعد بابك ديسم الخارجي وهو أحد الخوارج المشهورين بشدة البأس والشجاعة وحكم أذربيجان فترة من الزمان..وهو عربي الأب كردي الأم.. ثم ظهرت الباطنية بظهور مرزبان بن محمد الديلمي...

ظهور الغز في أذربيجان.

وفي مستهل القرن الخامس الهجري احتل الغز وهم قوم من بدو الترك أذربيجان.. وذلك أيام الحكم السلجوقي التركي.. حتى أصبح أكثر سكان أذربيجان أتراكا.. واختلطت العناصر التركية بالعناصر الفارسية والعناصر العربية لتشكل وحدة لا تنفصم عراها لحمتها الاسلام وسداها الايمان تجمعها الاخوة في الله فترتفع فوق الاجناس والالوان والمشارب والاهواء والنزاعات القومية والشنشنات العصبية وتتمثل قول

رسول الله ﷺ (ليس منا من دعا الى عصبية).. (ودعوها فانها منتنه) أي الدعوة القومية العنصرية.

المغول:

وخضعت اذربيجان لحكم خوارزم شاه جلال الدين ثم جاء المغول في اعقابه بعد أن دمروا خوارزم واجتاح هولاكو اذربيجان في طريقه الى بغداد في الواقعة المشهورة.. وحكمها الاتراك السلاجقة لمدة قرنين من الزمان(الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) في الوقت الذي احكموا فيه سيطرتهم على الخلافة العباسية..

ثم بدأت الامبراطورية البيزنطية تمد سلطانها فاحتلت مراغة في غرب اذربيجان ثم تبريز وهي عاصمة اذربيجان الايرانية اليوم...

الاتراك التركمان:

وأعاد الاتراك التركمان مراغة وتبريز الى حظيرة الحكم الاسلامي وطهروها من بقايا حكم الروم والمغول.. واستمر حكمهم من سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) الى سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) وكانت عاصمة ملكهم تبريز..

الدولة الصفوية وحروبها المدمرة مع الدولة العثمانية

ثم جاء بعدهم الصفويون الذين جعلوا أذربيجان من أهم معاقلهم والدولة الصفوية هي أكبر دولة شيعية قامت في التاريخ الاسلامي وامتد سلطانها حتى شمل افغانستان وايران الحالية واجزاء واسعة من بلاد ما وراء النهر وخراسان واذربيجان..

وكانت دولتهم تنافس الخلافة العثمانية وللأسف كانت الحروب المدمرة كثيرا ما تدور رحاها بين الفريقين فتارة يكون النصر للعثمانيين وتارة للصفويين.. وفي جميع الحالات كانت أمة الاسلام هي الخاسرة لأن

الروس كانوا يهتبلون الفرصة فيغيرون على مناطق واسعة من الأراضي الاسلامية الواقعة تحت سلطان الخلافة العثمانية أو تلك الواقعة تحت نفوذ الدولة الصفوية...

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر).. ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

فلما اشتدت الفرقة والخصام والتنابذ والقتال بين المسلمين سلط الله عليهم اعداءهم فأهلكوهم واحتلوا أرضهم وجعلوهم أذلة..

وهذا هو واقع المسلمين الى يومنا هذا.. وها هي الحرب العراقية الايرانية تعيد نفس القصة المؤلمة المدمرة...

وكان الصفويون قد جعلوا أردبيل عاصمة لأذربيجان.. وكانت تبريز هي ميدان القتال بين العثمانيين والصفويين.. وقد دمرت تبريز مرارا في هذه الحروب الطويلة التي امتدت عدة قرون (احتل العثمانيون تبريز من سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) الى سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م) ثم احتلوها مرة أخرى سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) الى ١١٤٢ هـ (١٧٢٨ م).. وقد حاول الروس احتلال شماص في اذربيجان الشمالية عام ١١٣٦ هـ (١٧٢٣ م) ثم عام ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) ثم ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) وقد دافع عنها أهل البلاد وصدوهم بمساعدة قوات الدولة العثمانية.

الدولة القاجارية

وبعد انتهاء الدولة الصفوية وظهور الدولة القاجارية التي استمرت الى بداية القرن العشرين أصبحت أذربيجان مقرا لولي عهد شاه ايران.

احتلال الروس لاذربيجان

وفي عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) أخضعت روسيا القوقاز الجنوبية وجورجيا (بلاد الكرج) تحت حمايتها، وتحولت اذربيجان الشمالية (ارّان)

الى عدة خانيات وكانت خانية كنجة هي هدفهم الأول ودافع عنها ملكها جواد خان بشجاعة فائقة حتى استشهد واستشهد معه الفان من جنوده.. وعندما احتلها الروس غيروا اسمها الى اليزاوتيل (وهو اسم زوجة القيصر الكسندر الاول) وخضعت بقية الخانيات واحدة اثر الأخرى فسقطت باكو وكوبا عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) وخانية شكي عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) وشماص سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) وقارابغ سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م)...

وأقام الروس فيها نظاماً أقطاعياً استعبادياً جائراً وتولى النبلاء الروس حكم هذه الاراضي الاسلامية التي اعتبروها غنيمة لهم...

بريطانيا تتفق مع روسيا:

وفي عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) قدم الروس الى تبريز بالاتفاق مع بريطانيا العظمى بحجة حماية الجاليات الاجنبية.. وهكذا كانت الدول الاستعمارية تتقاسم أرض المسلمين وتتفق على توزيع الغنائم والاسلاب حيناً وطوراً تختلف.. فلما أطال الروس مكثهم في تبريز اختلفوا مع بريطانيا.. وعند قيام الثورة البلشفية سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) اضطرت روسيا الى الانسحاب بقواتها لانشغالها بالثورة داخلياً.. ودخل الاتراك العثمانيون اليها في اواخر عهدهم وقبل نهاية الخلافة على يد أتاتورك..

وساعد الانجليز ضابطاً ايرانياً يدعى رضا بهلوي فاستولى على أذربيجان وعينوه فيما بعد شاهاً لايران.. ولما جاءت الحرب العالمية الثانية ضاق رضا شاه بسيطرة الانجليز عليه فتعاون مع الالمان فلما انتهت الحرب خلعه الانجليز ووضعوا مكانه ابنه محمد رضا شاه وهو شاه ايران الذي أطاحت به الثورة الاسلامية بقيادة آية الله الخميني..

روسيا تحتل اذربيجان الايرانية باتفاق مع الحلفاء.

وقد احتلت روسيا بإيعاز من الحلفاء بريطانيا وفرنسا وامريكا اذربيجان سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) لأنهم كانوا يخشون من تعاون رضا شاه مع دول المحور في الحرب العالمية الثانية..

وقد حاول ستالين أن يطيل مكثه في اذربيجان الجنوبية بعد أن ابتلع اذربيجان الشمالية الواقعة الى اليوم في الاتحاد السوفيتي ولكن دول الحلفاء اضطروه في النهاية الى الانسحاب وذلك في مايو سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م). وأعلن الاستقلال الذاتي لاذربيجان ولكن سرعان ما عادت الى إيران.

تقسيم اذربيجان في العهود الاسلامية الأولى.

قسمت اذربيجان بعد الفتح الاسلامي الى كور (أقاليم أو مقاطعات) متعددة هي:

(١)مراغه (٢)ميانج (٣)اردبيل (٤)سيسر (٥)برزه (٦)تبريز (٧)سابر خاست (٨)مرند (٩)خوى (١٠)كولسره (١١)موقان (١٢)برزند (١٣)جنزة (١٤)باجروان (١٥)نريز (١٦)أرميه (١٧)سلماس (١٨)سندبايا (١٩) البذ (٢٠)أرم (٢١)سراه (٢٢)بلوان كرج (٢٣)دسكياور (٢٤) ماي بهرج.

وكانت اذربيجان وآران (الاذربيجان السوفيتية) وأرمينية تخضع لعامل واحد ومن أخص خصائص اذربيجان سلسلة الجبال الشاهقة التي ترتفع في أنحاء مختلفة من الاقاليم وهي جبال سبلان غربي اردبيل وجبال سهند جنوبي تبريز وجبل ارارات الاصغر مكونة الحد بين تركيا والعراق.

وتقع على شواطىء قزوين الغربية الجنوبية.. وفيها بحيرة أرمية ونهر دجلة. والانهر التي تمر في اذربيجان هي:

(١) روافد نهر سفيدرود.

(٢) روافد نهر الرس (نهر اردبيل).

(٣) نهر دجلة ونهر الزاب الاصغر.

(٤) أنهار أرمية

أما أهم مدن اذربيجان فهي تبريز واردبيل وأرمية وخوى، والسكان أتراك اختلطوا بالعناصر الفارسية والعربية ولغتهم تركية اذربيجانية..

جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية (أران).

جغرافيتها تمتد حدود جمهورية أذربيجان من جهة الشمال بامتداد سلسلة جبال القوقاز الكبرى الى جبال القوقاز الصغرى حتى جبال طاليش.. ومن جهة الشرق يحدها بحر قزوين (بحر الخزر أو بحر الديلم أو بحر جرجان).. وتجاورها من الشمال جمهورية داغستان ومن الشمال الغربي جمهوريتا أرمينية وجورجيا السوفيتيتان. أما من الجنوب فيفصلها عن اذربيجان الواقعة في ايران نهر الرس ويعتبر هذا النهر الحد الفاصل بين اقليم اذربيجان في إيران وجمهورية اذربيجان السوفيتية.. كما يحدها من الجنوب الغربي الجمهورية التركية.

كانت مساحة أراضي اذربيجان السوفيتية عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) وهي الفترة التي أعلن فيها قيام جمهورية مستقلة تبلغ ٩٤,١٣٧ كم٢ ولكن مساحتها تضاءلت بعد ذلك بعد أن اقتطعت منها أراضي قاريازي وبورجالي وأعطيت الى جمهورية جورجيا واقاليم القازان وزنكيزور التي أعطيت لجمهورية ارمينية.. وتبلغ مساحتها الحالية بعد

اقتطاع هذه الأجزاء منها ٨٧,٠٠٠ كم² وتتميز أراضي اذربيجان بتنوع الطبيعة فيها تنوعاً كبيراً ففي المناطق الشرقية والوسطى توجد سهول فسيحة.. وفي المنطقة الجنوبية توجد جبال شاهقة تغطيها الثلوج معظم السنة.

ويشق اذربيجان نهران هما نهر الرس (أراس) ونهر كورا.. ومعظم المدن تقوم على ضفاف نهر كورا أما نهر الرس فيشكل الحدود بين أقليم اذربيجان في إيران وجمهورية اذربيجان في الاتحاد السوفيتي..

وتقع باكو العاصمة على بحر قزوين الذي يعتبر روح الاقتصاد الاذربيجاني لارتباطه ببترول باكو ولغناه بالاسماك..

ومن مدنها كنجة (التي أسموها اليزاوبتول على أسم زوجة امبراطور روسيا) وشماخي وقوبة وساليان ونوخي..

ياقوت يصف أذربيجان:

والنسبة اليها أذري أو أذربي.. ومعنى أذر بالفارسية النار والمعنى بيت النار أو خازن النار.. **وحد اذربيجان الايرانية** من برذعة شرقاً الى ارزنجان غرباً وتتصل شمالاً ببلاد الديلم والجبل والطرم ومن مدنها تبريز وهي قصبتها. ومن مدنها المراغة وخوى وسلماس وأرمية واردبيل ومرند.. **وصفها ياقوت بقوله**: (وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وفيه قلاع كثيرة وخيرات واسعة وفواكه جمة ما رأيت ناحية اكثر بساتينا منها ولا أغزر مياهاً وعيوناً.. لا يحتاج السائر فيها الى حمل اناء للماء لأن المياه جارية تحت اقدامه اين توجه وهو ماء بارد عذب صحيح. وأهلها صباح الوجوه حمرها رقاق البشرة ولهم لغة يقال لها الاذرية لا يفهمها غيرهم.. وفي أهلها لين وحسن معاملة الا أن البخل يغلب على طباعهم.. وهي بلاد فتنة وحروب ما خلت منها قط فلذلك أكثر مدنها خراب وقراها يباب).

ووصف أرّان.بالفتح وتشديد الراء فقال: «ولاية واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة المشهورة باسم كنجة وبرذعة وبيلقان وبين أذربيجان وأران نهر يقال له الرس. كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من أران وما كان جهة المشرق (والجنوب) فهو من اذربيجان.. وأران أيضاً قلعة من قلاع قزوين مشهورة.» قال نصر: «أران من اصقاع أرمينية يذكر مع سيجان وهو أيضاً أسم لحران يعمل بها الخز قديماً. وممن ينسب الى أران عبد الخالق بن أبي المعلي الاراني الشافعي.. قدم الموصل وتفقه على ابي حامدبن يونس . .واشتهر بالفقه الشافعي».

السكان: ذكر في تعداد سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م) أن سكان أذربيجان السوفيتية قد بلغوا ٥,١١١,٠٠٠ وفي احصاء ٧٩ م بلغوا ٦,٢٨٠,٠٠٠ جلهم من الاتراك الاذربيجانيون (الاذريون) والاكراد الذين يقيمون في سفوح جبال أذربيجان ثم التتار الذين يسكنون عند مصب نهر كورا وفي مدينة باكو. وهناك مستعمرون روس أيضاً.

والنسبة الى أذربيجان أذري ويبلغ هؤلاء الآذريون خارج أذربيجان في مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي قرابة ثلاثة ملايين حسب احصاء سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٥٩م) ولعلهم الآن قد وصلوا الى خمسة ملايين. وبلغ عدد الأذربيجانيون (الأذريون) داخل اذربيجان السوفيتية حسب احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م) خمسة ملايين ونصف المليون وهم شيعة جعفرية وسنة.. وهنا يتضح كيف يوحد الاسلام بين صفوف ابنائه حيث يلتحم الشيعة بالسنة التحاماً في مواجهة الغزو الروسي العسكري والاستعماري والثقافي..

تاريخ أذربيجان السوفيتية: شملت دولة ميديا القديمة اجزاءاً واسعة من أذربيجان وذلك في القرن السابع قبل الميلاد وكانت عاصمة ميديا مدينة أكباطان وهي همذان اليوم.. وفي القرن الخامس قبل

الميلاد حل الفرس محل دولة ميديا ثم جاء الاسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد ثم دولة ميديا أتروبتان بعد وفاة الاسكندر.. وبقيت الى القرن الثالث بعد الميلاد حينما احتلها الساسانيون الفرس وظلت تحت حكمهم حتى بزغ نور الاسلام وفتحها المسلمون تحت قيادة حذيفة ابن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ وذلك في أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وكانت بداية تلك الفتوح سنة ١٨ هـ (٦٣٨ م).

وظلت أذربيجان تحت الحكم الاسلامي منذ ذلك العهد الى بداية القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت روسيا تحتل أجزاء من القوقاس ومن اذربيجان. وقد خضعت اذربيجان لحكم روسيا القيصرية منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ذلك عندما تحولت اذربيجان الى مجموعة من الخانيات الصغيرة المتنافسة فسهل عندئذ ابتلاعها رغم مقاومة الاهالي بل وحكامها المحليين مقاومة باسلة ففي عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) فرضت روسيا القيصرية حمايتها على القوقاز الجنوبية وجورجيا (بلاد الكرج أو الشراكسة) وهاجمت خانية كنجة في اذربيجان ورغم دفاع ملكها جواد خان دفاعاً بطولياً واستشهاده في المعركة مع الفين من جنوده البواسل إلا أن نتيجة المعركة كانت لصالح القوات الامبراطورية الروسية الضخمة.. وقد غيروا اسم كنجة الى (اليزاوتيل) على اسم زوجة القيصر الكسندر الأول..

وتوالى سقوط خانيات أذربيجان واحدة اثر الأخرى فسقطت خانيتي باكو وكوبا سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) وخانية شكي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) وخانية شماص سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) وخانية قارابغ سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) وقام الاهالي بمقاومات عدة واغتالوا القائد العام الروسي الجنرال سيسيانوف ولكن ذلك أدى الى مزيد من

البطش بهم.. ومصادرة املاكهم وأراضيهم حتى أن المؤرخ الروسي فادايف الاستاذ بمعهد التاريخ والفلسفة في اكاديمية العلوم السوفيتية اعترف بما فعله اجداده من جرائم فقال:

«من الجلي أن الذين حلوا في الحكم محل الخانات من قوادنا المركزيين المختارين من بين الضباط الروس والذين أخذوا يطبقون في أذربيجان، وغيرها من المناطق الاسلامية التي احتلوها في تلك الفترة السياسة القيصرية الرجعية الجائرة.. كانوا يعاملون الاهالي أسوأ معاملة فكان الموظفون من رجال حكومة القيصر يرسون في القوقاز الجنوبية قواعد نظم الاستعمار بتنفيذهم أساليب عسكرية اقطاعية. وأما الادعاء القائل بأن الثقافة الروسية قد أثرت على تطور الثقافة الآذرية منذ انضمام (احتلال) اذربيجان الى روسيا فهراء لا يمثل الحقيقة».

الثورات: قامت ثورات متعددة ضد الحكم القيصري الاستبدادي في جميع المناطق الاسلامية ومنها أذربيجان وعمت الثورة روسيا والمناطق المحتلة عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م).

وفي تلك الفترة تكونت عدة تنظيمات اسلامية أهمها (جماعة المسلمين لعموم روسيا) التي ترأسها السياسي الاذري علي مروان طوبجي باشا وكان هدف هذه الجماعة ضمان الحقوق السياسية والوطنية والدينية لمسلمي روسيا.

وفي ٣ يونية ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) أصدر القيصر نيقولا الثاني قراراً بحل البرلمان الروسي وتعديل قوانين الانتخابات وكان نتيجة ذلك أن نقص عدد ممثلي المسلمين في روسيا (وهم يمثلون خمس السكان تقريباً) من عشرة اشخاص الى ستة اشخاص فقط..

وقد جاء في منشور رئيس الوزراء الروسي آنذاك ستوليبين ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) توضيحاً لسياسة روسيا القيصرية ومن بعدها البلشفية بل

وجميع الدول المسيحية ازاء الاسلام والمسلمين، وجاء في هذا المنشور ما يلي: «أن الصراع القائم بين العالمين المسيحي والاسلامي لم ينشأ لسبب ديني فقط بل علينا أن ندرك أنه صراع له طبيعة سياسية وثقافية دولية، وهنا يكمن بالتأكيد السر في النجاح الذي احرزته الدعوة الاسلامية في الآونة الأخيرة. وأن لنجاح هذه الدعوة في وطننا روسيا لخطورة كبرى.. إذ أن مسلمي روسيا وإن كانوا ينقسمون فيما بينهم الى شعوب وقبائل مختلفة تتحدث بلهجات تختلف عن بعضها بعض الاختلاف الا أننا يجب الا ننسى اطلاقاً أنهم جميعاً من أصل تركي واحد يتحدث الجميع نفس لغته».

وفي عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) بعد ثورة عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) الاصلاحية التي منحت المناطق المحتلة في روسيا حق تأليف الجمعيات السياسية أرسل وزير الداخلية آنذاك يحذر من اعطاء هذه التراخيص للمناطق الاسلامية ويأمر بالقاء القبض على (دعاة هذه الحركات الاسلامية الخارجة على القانون) واعتبرهم جواسيس وعملاء لدولة أجنبية هي دولة الخلافة العثمانية.. وهي نفس النغمة التي تتكرر اليوم حتى في البلاد العربية نفسها.. وهو ما أدى ويؤدي، الى اليوم، الى الضغط بعنف على كل الحركات الاسلامية ودعاتها ليس في روسيا فحسب بل في دار الخلافة الاسلامية سابقا وفي شتى بلاد المسلمين وخاصة منها البلاد العربية التي تقوم هذه الايام بحرب ابادة لدعاة الحركة الاسلامية.

وانفجرت الثورة في روسيا في فبراير سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وذلك قبل استيلاء البلاشفة عليها وتحويلها لصالحهم في أكتوبر من نفس العام.. وانعقد مؤتمر مسلمي روسيا من واحد الى أحدى عشر مايو وقدموا مشروع (الاستقلال الداخلي لمسلمي روسيا ضمن كيان روسيا

الفيدرالية) وقد قدم المشروع محمد رسول زاده ووافق عليه المؤتمرون بأغلبية ساحقة.

وسقطت ثورة فبراير ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) واستولت عليها قوات لينين وتحولت الثورة الديمقراطية الى ثورة حمراء.. ووعد لينين المسلمين بحكومات مستقلة وبالحرية الدينية التامة ان هم ساعدوا ثورته وقاوموا قوات الامير دينكين.. وفعلا قام المسلمون بمحاربة قوات الحلفاء وقوات روسيا البيضاء واعلنوا استقلال بلادهم في القوقاز وفي بخاري وفي جورجيا (بلاد الكرج) وفي اذربيجان. واعلنت القوقاز استقلالها في مايو ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وتبعتها جورجيا في ٢٦ مايو سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) وحاول لينين أثارة الفتنة بالايعاز الى العناصر المتعاونة معه وبتدبير القوميسير الشيوعي ستيبان شادميان بمهمة عرقلة حركة الاستقلال واثارة الفتنة في باكو وما حولها حتى يتمكن لينين من اخضاع قوات روسيا البيضاء في أماكن اخرى.. وكانت مذبحة مارس سنة ١٩١٨ التي أستشهد فيها ١٨,٠٠٠ مسلم في باكو فقط ثم تم السيطرة على هذه الفتنة الشيوعية في ١٥ سبتمبر سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بفضل معاونة القوات التركية (بقيادة نوري باشا) رغم أن تركيا كانت قد خسرت الحرب تقريباً. وتوجهت القوات البريطانية من إيران لمحاربة الاتراك وتم انسحاب القوات التركية في نوفمبر ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ثم أنسحب البريطانيون في أغسطس ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) نتيجة المقاومة المستمرة وبقيت هذه الجمهورية مستقلة لمدة عامين عندما اجتاحتها قوات لينين في ٢٧ ابريل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) واعترف الحلفاء ومؤتمر فرساي اعترافاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض باستقلال أذربيجان واعترف بها لينين كذلك بل وطلب منها مساعدته في القضاء على قوات روسيا البيضاء.. فلما تم له التخلص من أعدائه قام بالهجوم عليها بجحافل قواته الحمراء واحتلها في أبريل سنة

١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) تماماً كما فعلت روسيا اليوم عندما دخلت أفغانستان وجاءت بعميل لها هو بابراك كارمل واعلنته رئيساً للجمهورية وادعت أنه طلب عونها رغم أنه لم يكن في أفغانستان عند دخول القوات الروسية بل كان في روسيا. وتشكلت جمهورية اذربيجان الاشتراكية السوفيتية في ٢٨ أبريل ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ثم ضمت مع جورجيا وأرمينيا في مارس ١٣٤٣ هـ (١٩٢٢ م) لتؤلف جمهورية القفقاس التي الغيت بعد ذلك وضمت مباشرة الى الاتحاد السوفيتي.

وكذلك فعل لينين منذ ستين عاماً.. دخل اذربيجان بجحافله واحتل القوقاس وقال أن لجنة الثورة هي التي طلبت معونته..

وازدادت حدة المقاومة الشعبية الاسلامية ضد هذا الغزو الروسي تماماً كما يفعل المجاهدون الافغان اليوم.. ولكن القوات الروسية ذات الاسلحة الفتاكة استطاعت ان تقضي على هذه المقاومة رغم قيام أكثر من ٥٢ ثورة قام بها الشعب الاذربيجاني المسلم وكانت الدول الغربية تتفرج وتفرك يديها وهي ترى الدب الروسي يبتلع الاراضي الاسلامية.. ويحتل عسكرياً دولا مستقلة معترف بها من الدول الغربية ذاتها بل ومن حكومة لينين نفسه. والشيء ذاته تفعله الدول الغربية اليوم مع فارق بسيط هي انها تقوم باحتجاجات لفظية هزيلة وتفشل حتى في منع فرق الرياضة من الاشتراك في مباريات موسكو..

ويا لها من مهزلة تتعاون فيها روسيا وأمريكا ودول الغرب على ابتلاع بلاد المسلمين واقتسام ثرواتها.. ونحن للأسف لا نقرأ التاريخ (كما كان يقول الأعور موسى ديان) واذا قرأناه لم نفقه واذا فقهناه لم نتعظ به.

وتتبع جمهورية أذربيجان السوفيتية جمهوريتان هما قره باخ وناختيشفيان وما أكثر أسماء الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي وهي لا تزيد في الواقع عن مقاطعات ومستعمرات.

ثروات أذربيجان: أهم الثروات في أذربيجان هي البترول والغاز الطبيعي.. وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب نفط باكو وأن الخليفة العباسي المعتمد قد أقطعه لسكان باكو وما حولها.. وقد زارها المسعودي عام ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) وذكر أن نفط باكو يستخدم في الاستبصاح.. وقد ذكر القزويني في عجائب المخلوقات أن الخلافة العباسية قد خصصت وزيراً لشئون النفط وذلك منذ القرن الثالث الهجري..

وقد استخدم نفط باكو بصورة واسعة منذ القرن التاسع عشر وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م) كان انتاج باكو ٢٣,٠٠٠ طناً سنوياً ومع بداية القرن العشرين أي عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) بلغ انتاج نفط باكو ١٠,٧٧٠,٠٠٠ طناً سنوياً وكان ذلك الانتاج يعادل ٩٥٪ من جملة الانتاج العالمي. ثم جاءت الثورة البلشفية وتراجع انتاج النفط في باكو وما حولها لتحتل الولايات المتحدة الصدارة في الإنتاج.. ولكن ما لبث الأمر أن استتب للثورة البلشفية وبدأ انتاج باكو يزداد مرة أخرى وفي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) بلغ انتاج اذربيجان من النفط ٢٢,٢٠٠,٠٠٠ طناً.. وبعد الحرب العالمية الثانية اكتشف البترول في حوض نهر كور الواقع في أذربيجان وازدادت كمية النفط المستخرجة من أذربيجان زيادة كبيرة كما اكتشف الغاز الطبيعي في مناطق متعددة من أذربيجان مثل قاراداغ وزيره مما جعل الاتحاد السوفيتي أكبر منتج للنفط وللغاز الطبيعي في العالم..

وينتج الاتحاد السوفيتي حالياً ١٢ مليون برميل من النفط الخام تليها المملكة العربية السعودية التي تنتج قرابة عشرة ملايين برميل تليها الولايات المتحدة [إحصائيات ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)].

واذا نظرنا لانتاج النفط عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) فإننا نجد أن الاتحاد السوفيتي كان يقوم بإنتاج ٢٢,٦٪ من جملة الانتاج العالمي

ومعظم هذا النفط السوفيتي من جمهورية اذربيجان من حقول باكو الشهيرة ومن جمهورية بشكيريا ومن التركستان.. وكلها مناطق اسلامية وقد كان انتاج الدول العربية يمثل ٣٥٪ من الانتاج العالمي.. واذا دققنا النظر في احصائيات البترول لهالنا أن نجد أن ٧٠٪ من انتاج النفط في العالم انما تم استخراجه من بلاد المسلمين (٢٢,٦٪ لصالح روسيا) والباقي لصالح الدول الغربية.

أما اذا نظرنا الى احصائيات النفط المؤكد وجودة عام ١٩٧٩ فإننا سنذهل أيضاً للحقائق التالية حيث نجد أن المملكة العربية السعودية هي أكبر مخزن لاحتياطي النفط في العالم تليها الكويت ويليه الاتحاد السوفيتي وهو النفط الموجود أساساً في أذربيجان وفي الجمهوريات الاسلامية التي يحتلها الاتحاد السوفيتي..

وتحتفظ المملكة بـ٢٦٪ من جملة المخزون العالمي للنفط كما تحتفظ البلاد العربية الأخرى بـ٢٦,٦٪ من جملة المخزون العالمي وتمثل المناطق الاسلامية التي تحتلها روسيا وأهمها أذربيجان ١٤٪ من جملة المخزون العالمي للنفط. أما الغاز فإن الاتحاد السوفيتي يأتي على رأس قائمة المنتجين كما أن أراضيه تحتفظ بأكبر مخزون عالمي للغاز.. وهنا نلاحظ أيضاً أن معظم مناطق الغاز الطبيعي هي مناطق اسلامية احتلتها روسيا منذ أيام القياصرة البيض ولا تزال توالي احتلالها تحت حكم القياصرة الحمر.. وينقل أكثر نفط باكو عبر الأنابيب الى باطوم على البحر الاسود..

وتنتج أذربيجان بالإضافة الى البترول والغاز الحديد ففي عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) انتجت أذربيجان ٨١١,٠٠٠ طن من الصلب ويبلغ انتاجها حاليا مليون طن.. كما أن بها مراكز لصناعة المحركات وصناعة الصابون وفيها مصادر وفيرة للكهرباء من النفط ومن مساقط

المياه. وتنتج أذربيجان أربعة مليون طن من الألمنيوم وكمية كبيرة من النحاس.

أما محصولاتها الزراعية فتتمثل في القطن والكروم والأرز والشاي.. وثروتها الحيوانية وخاصة من الابقار جيدة.. كما أنها تنتج الحرير الطبيعي من دودة القز وهي تنتج أكثر من ثلاثة الاف طن سنويا من أفخر أنواع الحرير الطبيعي.

ونلاحظ تشابه ثروات البلاد الاسلامية الواقعة تحت الاستعمار الروسي فمعظم أراضي التركستان المقسمة حاليا الى خمس جمهوريات تنتج النفط كما انها تنتج الحديد والكروم.

أما مزارعها فتكاد تكون مخصصة لزراعة القطن والفواكه وشجرة التوت لتربية دود القز.

المعطيات الدينية:

ومعظم هذه المناطق يسكنها العنصر التركي والاتراك أغلبهم مسلمون سُنه الا في أذربيجان حيث يشكل الشيعة ٧٠ الى ٧٥ بالمئة من مجموع سكان أذربيجان المسلمين.. ويعتبر سكان ناخيتشيفان التابعة لأذربيجان من الشيعة الجعفرية الامامية ولا يوجد بينهم غير نسبة ضئيلة من السنة.

ويختلط السنة بالشيعة اختلاطاً قويا ويتزاوجون معهم على غير ما يحدث في المناطق الاخرى من العالم الاسلامي.

ويشرف على مسلمي القفقاس ادارة رسمية روحية اسلامية مركزها باكو ويرأسها شيخ الاسلام (حجة الله باشازادة) وهو شيعي ويساعده اثنان احدهما شيعي والآخر سني.. وتشرف هذه الادارة على ١٦ مسجداً هي التي أبقاها الشيوعيون لجميع القفقاس (أذربيجان

وناخيتشيفان وقرة باخ وجورجيا وأرمينيا والداغستان والاوستين.. الخ) بينما كان في أذربيجان وحدها قبل الإحتلال الروسي أكثر من ألفي مسجد و٧٨٦ مدرسة اسلامية أما الآن فلا توجد في القوقاس بأكمله أي مدرسة اسلامية.. ويسمح لبضعة افراد في كل عام أن يذهبوا الى طشقند أو بخارى للدراسة الدينية حيث توجد هناك مدرستان لجميع مسلمي الاتحاد السوفيتي يسمح فيها بتعليم شيء من القرآن والفقه. ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي « في أذربيجان حوالي المليون من بيوت الصلاة السرية والثلاثمائة من المراكز السرية المقصودة بقوة والتي تتمتع بنفوذ خاص ».

« ويقوم بالدور الرئيسي في الدعوة الى الاسلام سرا بين الشيعة (السادة) الذين ينتسبون الى سبطي النبي ﷺ الحسن والحسين.. أما في المناطق السنية فإن مريدي الطريقة النقشبندية هم الذين يضطلعون بدور الدعوة السرية الى الإسلام ».

والسلطات الروسية قلقة من تزايد الاتجاهات الدينية لدى الشباب المسلم في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي وخاصة في أذربيجان حيث تنتشر أماكن العبادة إلسرية ويجتمع الشباب للصلاة ولتعلم القرآن على يد الشيوخ..

ومما يزيد في قلق السلطات ان هناك عددا من الشباب المنخرط في الحزب الشيوعي اكتشف وهو يؤدي الصلاة ويتعلم القرآن..

وتقول المصادر الرسمية السوفيتية ان الشعور الديني أقوى في المدن لا سيما في باكو مما هو في الأرياف على عكس ما كان متوقعا حيث خضعت باكو لتأثيرات الحزب الشيوعي الاذربيجاني (همة) حتى من قبل قيام الثورة البلشفية.. وواجهت باكو حرب اذابة حقيقية لكل المعتقدات الدينية.. حتى كانت التقارير السابقة تدعي أنها قضت على

الاسلام في باكو قضاء مبرما.. وها هي اليوم تفاجأ بهذه النهضة الاسلامية التي جعلت باكو اكثر المناطق عودة الى الإسلام..

وتقول المصادر الرسمية السوفيتية كما يذكرها كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي: بقدر ما تظهر الادارة الروحية الرسمية للمسلمين السنة ولاءها الظاهر (غير الحقيقي) للسلطات السوفيتية بقدر ذلك تجابهها الطرق الصوفية من خلال موقف شديد المحافظة وغير مهادن في شعوره تجاه الغرباء الكفرة..

وتلاحظ هذه التقارير الرسمية التقارب بل التعاون الحقيقي بين المسلمين الشيعة والسنة وذلك لمواجهة الدعاية الشيوعية الالحادية التي تبثها السلطات في المدارس والمعاهد وكافة أجهزة الاعلام..

جمهورية ناخيتشيفان الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي: وتضم جمهورية أذربيجان جمهوريتين صغيرتين ذات حكم ذاتي هما ناخيتشيفان وقرة باخ وقد أنشئت جمهورية ناخيتشيفان في ٩ فبراير ١٩٢٥م على مساحة ٥٥٠٠ كم مربعاً، وعاصمتها ناخيتشيفان.. وعدد سكانها ٢٣٩,٠٠٠ نسمة (حسب إحصاء ١٩٧٩).. ورغم أن هذه الجمهورية تقع في وسط أراضي أرمينية الا أنها تابعة إداريا لاذربيجان السوفيتية. ويشكل المسلمون الاذربيجانيون أغلبية السكان المطلقة ٩٦,٢ بالمئة.. ولا يزيد عدد الأرمن حسب احصاء ١٩٧٩م عن ٣١٠٠ شخص فقط وكذلك الروس الذين بلغ عددهم ٣٨٠٠ شخص في احصاء ١٩٧٩م.

منطقة قرة باخ (كاراباخ): تقع هذه المنطقة في جبال الكارباخ وقد كان أغلب السكان ولا يزالون من الارمن.. وإن كان عدد الاذربيجانيون يزدادون باضطراد. وهي كالجزيرة المحاطة بالاذربيجانيين والاتراك المسلمين من كل جانب وبلغ عدد السكان ١٦١,٠٠٠ في احصاء ١٩٧٩ ويشكل الارمن ٧٦٪ من السكان بينما

يشكل الاذريون (الاذربيجانيون) ٢٣٪ من السكان.

چُورچيـا

٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠ كم

سهـل القفقـاس

أبخازية

سوخومي

البحـر الاسـود

باطرم

أجاريـة

نهر ريغون

أوستين الجنوبيـة

نهر كورا

تفليس

داغستان

نهر الأزاني

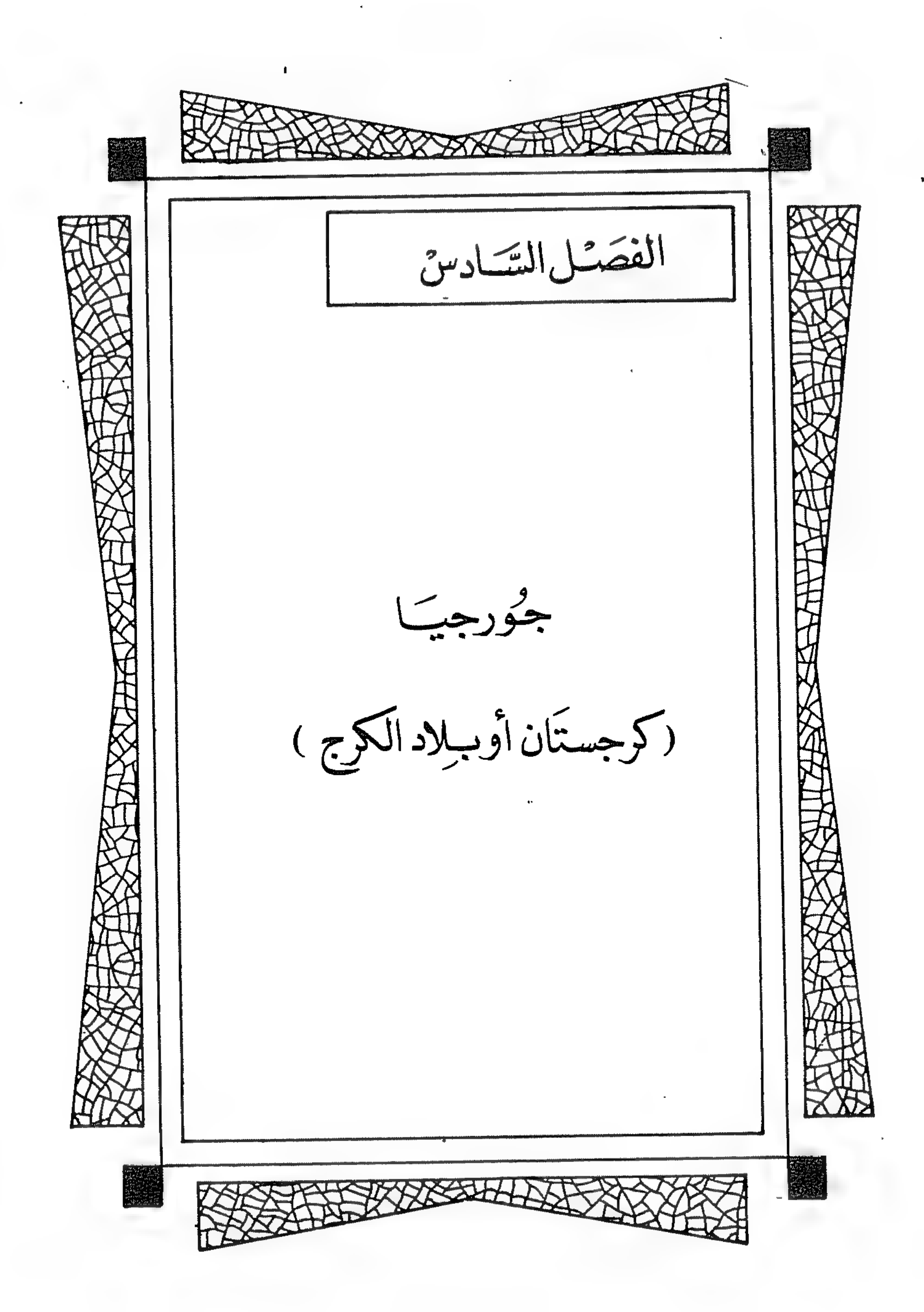
نهر أبورا

نهر كورا

تركيا

أرمينيا

أذربيجان



الفصل السادس

جُورجيا

(كرجستان أو بلاد الكرج)

جُغْـرافيَّـتُهَا

تشغل جورجيا مساحة قدرها ٧٠,٠٠٠ كم مربعاً، وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز.. ولذا فإن مناخها أكثر اعتدالا اذ أن الجبال العالية في الشمال تحول دون وصول الرياح الشمالية الشرقية الباردة إليها، كما أن ارتفاعها عن سطح البحر يجعلها مصيفا رائعا تكسو جباله ووديانه الخضرة الدائمة.. ولذا فإن أكثر دور النقاهة السوفيتية تقع في هذه المنطقة. وأمطارها غزيرة وأنهارها وفيرة وهي تنساب إما نحو الشرق صوب نهر كورا الذي يصب في بحر قزوين أو نحو الغرب لتصب في البحر الاسود وأطول هذه الانهار الغربية هو نهر ريفون..

وتكثر زراعة الحبوب وبخاصة الذرة والفواكه والبنجر (الشوندر السكري) وتنتج جورجيا ٩٧٪ من جملة انتاج الشاي في الاتحاد السوفيتي بأكمله وتنتج حاليا ما يقرب من مائة وستين الف طن سنويا من الشاي وتنتشر ايضا زراعة التبغ كما تنتشر أشجار التوت التي يربى عليها دود القز لإنتاج الحرير الطبيعي..

أما المعادن فوفيرة وتعتبر جورجيا في طليعة الدول المنتجة للمنغنيز.. كما أنها تنتج التنجستين والفحم والتوتياء وتكثر فيها مصانع الحديد والصلب وعربات السكك الحديدية والادوات الكهربائية وصناعة الاسلحة والاسمنت..

وتنتشر المراعي أيضاً في جورجيا.. وتعتبر جورجيا من أجمل المصايف في العالم وأكثرها جمالا وهدوءا..

يسكن جورجيا أكثر من خمسة ملايين شخص وعدد المسلمين فيهم قريب من المليون.. وأهم مدنها تفليس العاصمة التي تقع على نهر كورا وباطوم الواقعة على البحر الاسود وهي ميناؤها الاول. وقد وصف الأمير شكيب ارسلان أمة الكرج بقوله: وهي أمة لها لسان خاص ومنهم مسلمون ومنهم نصارى وعاصمة كرجستان تفليس ومن مدنها باطوم..

«ومن أشهر امراء الكرج المسلمين سنجاق بك زادة وابراهيم بك وحسين بك.. ومن مشاهير الرجال الذين خرجوا من الكرج المرحوم حسن فهمي باشا ناظر العدلية السابق في تركيا.. وكان من أعز اصدقائنا».

فتح جورجيا: لقد تم فتح مدينة تفليس عاصمة جورجيا في عهد مبكر جدا وذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) عندما أرسل عياض بن غنم لفتح أرمينية.. وأرسل عياض بن غنم فرقتين من جيشه لاخضاع أرمينية وبلاد الكرج وأرّان (أذربيجان السوفيتية).. واستطاع حبيب بن مسلمة وسليمان بن ربيعة اخضاع هذه المناطق التي كانت تابعة للامبراطورية البيزنطية. وبرز حبيب بن مسلمة كأحد أمهر قواد المسلمين في محاربة الروم حيث انتصر عليهم في قاليقلا (وهي أرضروم أو أرزن الروم الواقعة اليوم في شرق الجمهورية التركية) وبعد أن تم له فتح خلاط وأرجيش في أرمينية توجه حبيب بن مسلمة الى تفليس فدانت له وأقرت بالجزية ولما انتقضت هذه المناطق أعاد فتحها محمد بن مروان الأمير الأموي الشجاع ووطد دعائم الحكم الاسلامي هناك.

وفي نفس الوقت كانت جيوش سليمان بن ربيعة تفتح اقليم أرّان الذي يعرف اليوم باسم جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية.

وكانت بلاد الكرج أو جورجيا هذه تتبع حكام أرمينية من الأسرة البكراطية الذين اظهروا الولاء للخلافة الأموية ثم العباسية وكانوا

يدفعون الجزية بانتظام.. بل كانوا في كثير من الاحيان يقاتلون في صف المسلمين ضد اخوانهم في الدين جنود الامبراطورية البيزنطية المعروفة باسم امبراطورية الرومان الشرقية. وذلك لأن معظم نصارى الأرمن كانوا من الكاثوليك بينما كان نصارى بيزنطة من الارثوذكس وكانت الحرب شديدة وعنيفة بين هاتين الطائفتين.. ولذا كانوا يرحبون بالمسلمين لما رأوه من سماحتهم وعدلهم.

واختلط العرب والاتراك بهؤلاء النصارى ودخل الاسلام الى قلوبهم شيئا فشيئا.. وكانت اسرة بني ساج من آل شيبان من الأسر المرموقة في هذه المناطق والتي تولت الامرة لعدة قرون من الزمان.. ثم تلاهم السلاجقة ثم ظهر المغول المسلمون وجاء بعدهم تيمورلنك وظهر التركمان بقيادة اوزون حسن وكانوا ينافسون الخلافة العثمانية.. ولكن ما لبث العثمانيون أن فرضوا سيطرتهم على الجميع.

احتلال روسيا لجورجيا:

وقامت روسيا القيصرية بالهجوم على جورجيا واحتلالها عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) ثم ضمت بعد ذلك امارة الابخاز والاباظة عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) وامارة غورية في منطقة باطوم سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وذلك بعد أن ضعف شأن الخلافة العثمانية نتيجة الحروب المدمرة التي قامت بينها وبين الدولة الصفوية الشيعية التي قامت في ايران والتي امتدت عدة قرون والتي كان من نتائجها الوخيمة إضعاف كلا الدولتين المسلمتين مما أدى الى أن تقتطع روسيا القيصرية التي كانت قوتها تتعاظم يوما بعد يوم، أجزاء كبيرة من أراضيهما..

وبقيت مدينة باطوم التي كانت فيها حكومة محلية غورية تتبع الخلافة العثمانية حتى معاهدة سان استيفانو التي عقدت عام - ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) ومعاهدة برلين التي عقدت في نفس العام.

وفي هـــذا المؤتمر اقتسم الاوربيون منـــاطـــق النفوذ في البـــلاد الاسلامية وأعطيت روسيا منطقة باطوم المعروفة باسم أجاريا..

تقسيم جورجيا إداريا:

وتضم جورجيا ثلاث جمهوريات صغيرة (وما أكثر اسم الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي وليس لها في الواقع الا الاسم فقط وانما هي مقاطعات ومستعمرات).. وهذه الجمهوريات الثلاث هي:

١ - أبخازيا: وتقع في الشمال الغربي على ساحل البحر الاسود ومساحتها ٨٦٠٠ كم مربعاً.. وسكانها من الشراكسة وأغلبهم مسلمون وعدد سكانها حسب احصاء ١٩٧٩م ٤٨٦,٩٠٠ نسمة. وقد تحولت كتابة الابخاز من الحرف العربي الى الحرف اللاتيني سنة ١٩٣٨ ثم الى الحرف الروسي الكريلي منذ عام ١٩٥٦.

وقد فتح ابخازيا الأمير الأموي الشجاع محمد بن مروان الذي فتح كثيراً من أراضي ارمينية وجورجيا.. وكان الابخاز وهم قبيلة تسكن في الشمال الغربي من بلاد الكرج (جورجيا) على البحر الاسود قد أبدوا خضوعهم للخلافة الاموية.. وكانوا يدفعون الجزية ويؤدونها الى عامل تفليس.. ولذا كانت الخلافة الاسلامية تسمح لهم بتصريف شئونهم بواسطة امرائهم المحليين الذين كان يختارهم الاهالي أنفسهم.. وكانت الاسرة البكراطية من أشهر من حكم ارمينيا وجورجيا بما فيها ابخازيا تحت رعاية الخلافة الاموية أولا ثم الخلافة العباسية ثانيا..

ونتيجة الاختلاط بالمسلمين وروح التسامح الديني عند المسلمين الذي لم يكن له نظير في تلك العهود تحول السكان ببطء الى الاسلام وظهر هذا التحول بصورة خاصة أيام الخلافة العثمانية عندما تحولت الاسرة الحاكمة في أبخازيا الى الاسلام في القرن الثامن عشر الميلادي وهي الاسرة المعروفة باسم شروا شدزة..

وبدأ الأحتلال الروسي القيصري على بلاد الكرج سنة١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وأقام الابخاز علاقات مع روسيا القيصرية تشبه تلك العلاقات التي كانت تقيمها الدول الاستعمارية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا مع الدول الصغيرة والضعيفة.. واستغل القياصرة هذه العلاقة واشعلوا نار الفتنة بين الاخوين المتنافسين على الحكم صفر بك وأرسلان بك.. واستخدموا السياسة الاستعمارية التي استخدمها الانجليز بمهارة وهي سياسة فرق تسد ففرقوا بين الاخوين.. واشعلوا بينهما نار الحرب بل اغروا الأمير صفر بك على الارتداد عن الاسلام حتى يساندوه ضد أخيه ارسلان بك فوقع صفر بك في الشرك وأعلن ارتداده عن دين الاسلام واتباعه النحلة الاثوذكسية النصرانية.. وعندئذ ساندته القوات القيصرية وجعلته اميراً لابخازيا.. إلا ان اخاه الأمير اسكندر استطاع ان يحتفظ بأجزاء منها..

وعندما استتب الامر لروسيا في أبخازيا وجميع بلاد الكرج بل والقوقاس ذاتها قامت روسيا بطرد الأمير ميخائيل ابن الأمير المرتد صفر بك وأمرته بمغادرة البلاد سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) عندما تخيل أنه حاكم إبخازيا الفعلي.. وهكذا كان عاقبة كفرهم وارتدادهم عن دين الإسلام خسارة الدين والدنيا معاً..

وأقامت روسيا حرباً صليبية ضد الاسلام والمسلمين.. وعمدت الى كل وسيلة لتنصير المسلمين أما الذين يرفضون التنصير فإنهم كانوا يلاقون الطرد من البلاد ولذا كثر الفارون من الابخاز والشراكسة والاباظة والداغستان الى تركيا ومنها الى كافة الاراضي الاسلامية.. وقد اشتهر الكثير من أسرة الأباظة في مصر في القرن العشرين كما عرف كثير من الداغستانيين في الحجاز..

ولما سمح بالحريات الدينية لفترة محدودة وذلك عام١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م)

أظهر كثير من سكان ابخازيا اسلامهم الذي كانوا قد أخفوه من قبل تماماً مثلما فعل تتار الفولجا والبشكير وسكان أدمورت والجوفاش وماري وموردوف..

وتقول دائرة المعارف الاسلامية التي تصدرها مجموعة من المستشرقين وفيهم كثير من غلاة المتعصبين ضد الاسلام ان عدد المسلمين في ابخازيا انخفض خلال أقل من عشرين عاماً من الحكم الروسي القيصري من ١٢٨١ هـ الى ١٢٩٩ هـ (من ١٨٦٤ الى ١٨٨١ م) من ربع مليون شخص الى أقل من عشرين الفاً.. وذلك نتيجة الاضطهاد الديني وقتل المسلمين وتشريدهم من ديارهم وفرار الكثيرين منهم الى أراضي الخلافة العثمانية المجاورة..

وعند قيام الثورة البلشفية انضم كثير من مسلمي (الاتحاد السوفيتي) بما فيهم سكان جورجيا وأبخازيا الى الثورة ضد القياصرة وصدقوا وعود لينين لهم بالحرية الدينية.. ولكن سرعان ما اتضحت الحقائق لسكان القوقاس المسلمين فتحولوا من مناصرين للثورة الى اعداء ألداء لها...

وفي عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) أي بعد قيام الثورة بعام واحد انضمت ابخازيا الى جمهورية القوقاس المستقلة.. وفي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) استطاعت القوات البلشفية اخضاعها.. ومع هذا استمرت القلاقل والثورات مثل بقية المناطق التي خضعت للحكم البلشفي الشيوعي الذي اثبت انه أشد وحشية من حكم القياصرة بل ومن حكم جنكيزخان وهولاكو. وفي ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) أصبحت أبخازيا جمهورية تابعة لجمهورية جورجيا السوفيتية...

وأقام الروس مئات المستوطنات مثلما تفعل اسرائيل في الأرض المحتلة واصبح السكان الأصليون أقلية في وطنهم حيث بلغ عدد الروس مئات الآلاف بينما لا يزيد عدد الابخاز المسلمين عن ستين الف شخص..

٢ - **أجارية:** تقع في الجنوب الغربي من جورجيا على البحر الاسود وعاصمتها مدينة باطوم الشهيرة والتي تعد المرفأ الأول في جورجيا وعن طريقها تتصل بالخارج.. وتصل الى باطوم أنابيب النفط من باكو في اذربيجان ومنها يصدر النفط..

وتبلغ مساحة أجاريا ٣٠٠٠ كم مربعاً ويسكنها نصف مليون شخص أكثرهم مسلمون.. وقد وصف أحوالهم الأمير شكيب أرسلان في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) بقوله: «**وفي كرجستان (جورجيا) قوم يقال لهم (اجارة) مسلمون أصابهم ضرر كبير اثناء هذه الحرب (اي الحرب العالمية الأولى وأفنى الروس أكثرهم بحد السيف بحجة ميلهم الى الدولة العثمانية**»..

وقد كانت اجاريا تحكم بواسطة الامراء الغورية التابعين لسلطان الخلافة العثمانية حتى عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) عندما ضمتها روسيا بموجب معاهدة برلين.. وفي عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) تأسست جمهورية أجاريا التابعة لجمهورية جورجيا.. وجميعهم خاضعون للقياصرة الحمر في الكرملين. وفي احصاء عام ١٩٧٩ بلغوا ٣٥٥,٠٠٠ نسمة منهم ١٥٠,٠٠٠ مسلم وجميعهم من السنة الاحناف.

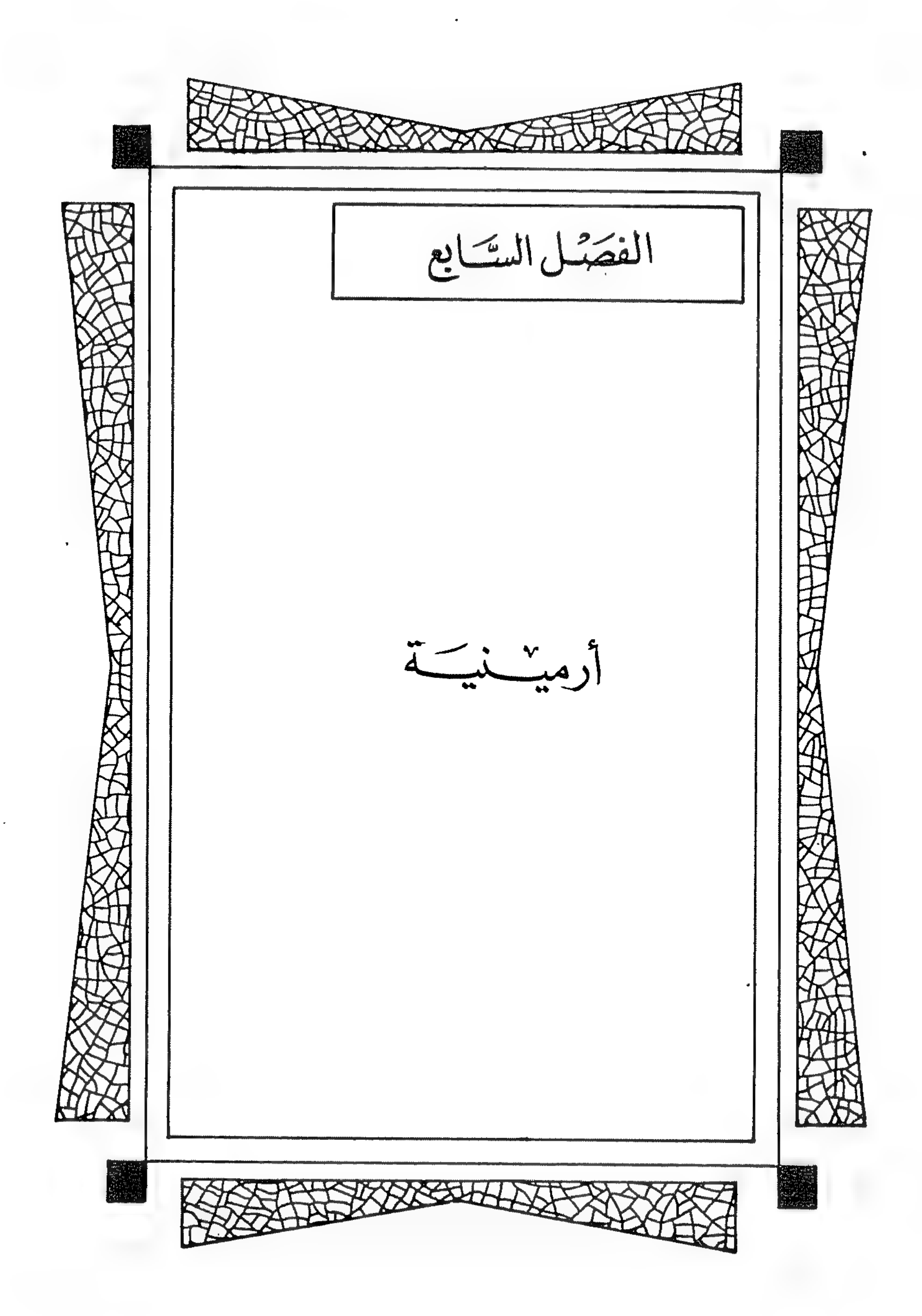
٣ - **أوستين الجنوبية:** وتقع في وسط جورجيا من الجهة الشمالية.. في منطقة جبلية.. وأكثر سكانها من النصارى المعروفين باسم القوشحة أو القوصحة.. وتبلغ مساحتها ٣٩٠٠ كم مربعاً وسكانها أقل من ربع مليون وقد ضمت الى روسيا سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) بعد مؤتمر برلين..

وبينما نرى سكان أوستين الشمالية مسلمين فإن سكان اوستين الجنوبية أغلبهم نصارى وقد عمدت روسيا البلشفية في تقسيماتها الغريبة

الى جعل أوستين الجنوبية تابعة لجمهورية جورجيا بينما جعلت أوستين الشمالية تابعة لموسكو مباشرة.. وذلك حتى لا يتصل الاوستين المسلمون بالاوستين النصارى ويؤثروا فيهم.

ولذا نرى القوقاس على صغر حجمها وعدم كثافة سكانها مقسمة الى أربعة عشر جمهورية صغيرة بعضها يتبع روسيا مباشرة وبعضها يتبع الجمهوريات الثلاث الرئيسية في القوقاس وهي أذربيجان وجورجيا وأرمينيا..

وجميعها يدور في فلك موسكو لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً..



الفصل السابع

أرمينية


أرمينيا
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ كم
جورجيا
أذربيجان
يريفان
نهر أربا
نهر أراكس
ناخيتشيفان
إيران

جغرافيتها

أرمينية بلاد جبلية تحد غرباً بآسيا الصغرى وشرقاً بهضبة أذربيجان والشاطىء الجنوبي لبحر الخزر.. وتحدها من الشمال والشمال الغربي بلاد القوقاس التي يفصلها عن أرمينية نهرا الكرّوريونة وجنوبا السهل الشمالي من بلاد الجزيرة (وهي الجزيرة في حوض دجلة الأعلى والزاب الأعلى) وتنبع أنهار دجلة والفرات من أراضي أرمينية. ويتكون نهر الفرات من اتحاد نهرين صغيرين هما قرة صو الغربي ومراد صو الشرقي.. وكلاهما يبدأ من جبال أرضروم وبايزيد. أما نهر دجلة فينبع في الحدود الجنوبية لأرمينية في جبال طوروس.

وينبع نهر الرس من جبال بيك كول طاغي حتى يصل بحر الخزر (قزوين) ويفصل بين أذربيجان الايرانية وأذربيجان السوفيتية.

أما نهر الكر فيفصل القوقاز عن أرمينية.

وتوجد في هذه المنطقة الجبلية عدة بحيرات أهمها بحيرة وان المعروفة في التاريخ الاسلامي ببحيرة خلاط (أرجيش) وبحيرة سوان (كوك جاي دكز أي البحيرة الزرقاء).

ومناخ أرمينية قاري وشتاؤها طويل قارس وخاصة في الجبال التي تتوج قممها الثلوج في فصل الشتاء الذي يمتد ثمانية أشهر في السنة.

أما قمم جبال بيك كوك طاغي فتغطيها الثلوج على مدار العام.

فتح أرمينية:

وقد فتح المسلمون أرمينية في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

وذلك عندما وجه عياض بن غنم سنة ١٩ هـ (٦٣٩ م) أولى الحملات لفتح أرمينية... وسار الجيش الإسلامي في أربع فرق يقود اثنتين منها حبيب بن مسلمة وسليمان بن ربيعة متجهين من أذربيجان.. واستمرت تلك الغزوات حتى عام ٢٤ هـ (٦٤٤ م) في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان عندما تمَّ إخضاع مناطق واسعة من أرمينية للحكم الإسلامي.

وكان قائد تلك المناطق وفارسها المغوار هو جبيب بن مسلمة الذي برز في حرب الروم وتوجه حبيب بن مسلمة الى قاليقلا (وهي اليوم أرضروم أو أرزن الروم وتقع في الجمهورية التركية) وكانت عاصمة أرمينية في عهد الروم واستولى عليها بعد أن ألحق بجحافل الروم الذين تعضدهم قبائل من خزر اللان - هزيمة فادحة..

ثم توجه حبيب الى بحيرة خلاط (أرجيش وتسمى الآن بحيرة وان) حيث خضع له أمير خلاط وأقر بالجزية. وكذلك فعل أمير مدينة أرجيش.. ثم سار مسلمة الى وبيل عاصمة أرمينية الفارسية فاستولى عليها بعد أيام قلائل... وكانت أرمينية خاضعة قبل الاسلام لحكم الامبراطورية البيزنطية ما عدا حدودها الشرقية التي كانت خاضعة لحكم الامبراطورية الفارسية الساسانية.

وتوجه حبيب بن مسلمة الى مدينة تفليس (عاصمة جورجيا أو بلاد الكرج في الاتحاد السوفيتي اليوم) فدانت له وأقرت بالجزية.

وفي نفس الوقت كانت جيوش سليمان بن ربيعة قد أخضعت اقليم أرّان وهي اليوم جمهورية أذربيجان السوفيتية واستولى على عاصمتها برذعة.

أهل أرمينية يرحبون بالحكم الاسلامي ويفضلونه على الحكم البيزنطي:

وسر أهل أرمينية وأرّان بالحكم الاسلامي الذي سمح لهم بممارسة

شعائرهم الدينية بكل سماحة وحرية بل انه سمح لهم بما يشبه الحكم الذاتي. ورضي منهم بما يدفعونه من جزية. وحاول امبراطور الدولة البيزنطية (قسطنطين) أن يستعيد أرمينية فهاجمها في عهد معاوية بجيش لجب يبلغ تعداده مائة ألف مقاتل وذلك بعد أن وقع معاهدة سلم في العام السابق.. فقام بنقض العهد فغدر بالمسلمين واستطاع أن يستولي على كثير من المناطق ولكن ما أن دخل الشتاء حتى لجأ قسطنطين الى دبيل فانقضت عليه جيوش المسلمين ومعهم الامراء المحليون من أهل أرمينية وعلى رأسهم تيودور فهزموا قسطنطين شر هزيمة وولى هاربا الى بلاده.

وهكذا كانت سماحة المسلمين وعدالتهم تجعل أهل البلاد التي يحتلونها يتشبثون بحكم الإسلام رغم اختلافهم في الدين. وهكذا قاتل أهل أرمينية النصارى في صف المسلمين الجيوش البيزنطية النصرانية.

ولما تم للمسلمين النصر قام معاوية بجعل تيودور أميراً على أرض أرمينية جزاءً له على قتاله مع المسلمين وحاول الروم استعادة أرمينية مرات عديدة ولكنهم فشلوا في ذلك ايما فشل الا في فترة محدودة عندما نشب القتال في صفين بين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبين الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان، حينئذ فقط استطاع الروم الاستيلاء عليها.. ولكن سرعان ما عادت جيوش المسلمين الى اعادتها لحوزة الخلافة، وذلك عندما استتب الأمر لمعاوية سنة ٤١ هـ (٦٦١ م). فقد قام معاوية بتذكير أهل أرمينية بعهودهم فقاموا مع المسلمين ليصدوا الروم ويطردوهم من أرض أرمينية. وفضل الأهالي النصارى حكم المسلمين على حكم الروم إخوانهم في الدين لما يلقونه لدى المسلمين من عدالة وسماحة. وكان خلفاء بني أمية منذ عهد معاوية الى عهد عبد الملك بن مروان يسندون شئون الحكم الداخلية الى أمراء من أرمينية من النصارى طالما أنهم يؤدون الجزية ويوفون

بعهودهم مع المسلمين. ويخضع هؤلاء الامراء المحليون للوالي المسلم الذي كان يبعثه الخليفة ليحكم أرمينية والكرج (جمهورية جورجيا السوفيتية) وأران (جمهورية أذربيجان السوفيتية) ويعترف حتى أشد المستشرقين عداء للإسلام ان القرن الأول من حكم العرب في أرمينية كان عصر نهضة قومية وأدبية لهذه البلاد.

واستمر الخلفاء في استخدام الامراء المحليين من أهل البلاد في إخضاع القلاقل التي كان الروم يدبرونها باستمرار.

وكان آخر هؤلاء الامراء أشوط البكراطي الذي نصبه الخليفة المتوكل العباسي أميراً على أرمينية سنة ٢٤٧ هـ - (٨٦١ م) وقد استطاع هذا الأمير أن يجتذب رعاياه والامراء المحليين حتى أن الخليفة المعتمد (العباسي) منحه لقب ملك وذلك سنة ٢٧٣ هـ - (٨٨٦ م) - بعد ان حكم أرمينية ٢٥ عاما ابدى فيها خضوعه التام للخلافة العباسية.

الخليفة العباسي يقف مع الأمير النصراني ضد الامير المسلم:

والغريب حقا ان نجد الخليفة العباسي المعتضد يقف الى جانب سمباط بن أشوط البكراطي المتقدم ذكره ضد الوالي يوسف بن أبي الساج الشيباني الذي اختلف مع سنباط فقتله وذلك سنة ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) فقام المعتضد بإرسال جيوشه لإخضاع بني شيبان المسلمين.. واعادة الامرة لإبن سمباط وفاء بالعهد وقد وصف ابن حوقل هذه الحادثة في حينها بقوله: «طغيان وعصيان لله ورسوله» ذلك أن المؤمن لا يخفر عهد الذمي ما دام قد أدى الجزية. والذمي في ذمة الله ورسوله.. ورغم ما فعله الخليفة لإبن سمباط الا أن هذا الأمير البكراطي خان العهد وأغراه الامبراطور الروماني بذلك وأمده بالجيوش فحاول أن يعض اليد التي امتدت إليه بالإحسان.. فكان

بذلك سببا في نهاية حكم الاسرة البكراطية.

وانتهى حكم الروم على يد السلطان ألب أرسلان السلجوقي الذي هزم الامبراطور رومانوس سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م).. وأصبحت آني مقراً لبني شداد وظلوا يحكمونها الى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وكان بها مسجدان عظيمان تداعى احدهما في القرن السادس عشر الميلادي وبقي الآخر حتى سنة ١٩٠٧ عندما حوله الاباطرة الروس الذين استولوا على آني الى متحف.

وعادت آني في القرن الثاني عشر الميلادي الى حكم النصارى الذين أذاقوا المسلمين الويلات وساموهم الخسف والذل بينما كان المسلمون يحسنون الى النصارى عندما كانوا هم الحكام..

وحاول جلال الدين خوارزمشاه سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) أن يطهرها من حكم النصارى فلم يفلح ثم جاء المغول المسلمون وطهروها من حكمهم وذلك سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) واحتلت روسيا آني سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) ولكنها ردت الى تركيا بمقتضى معاهدة سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) وهي الآن من أعمال ولاية قارص في تركيا.

ثم تولى السلاجقة امر الخلافة العباسية وآل إليهم أمرها وامتد سلطان السلاجقة ليشمل معظم أراضي الخلافة العباسية وخاصة فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وأذربيجان وأران والكرج وأرمينية.

وقد قام الافشين ثم أخوه يوسف من بعده بإزاحة البكارطة واستبدالهم باسرة أرزوني وهي (أسرة أرمينية تنافس البكارطة الحكم) عندما وجد البكارطة يتصلون بالامبراطورية البيزنطية ويخونون عهودهم ومواثيقهم.

وتمكن أشوط الثاني (البكراطي) بمساعدة الجيوش البيزنطية من توطيد سلطانة.. حتى استطاع أن يحكم الجزء الاكبر من أواسط أرمينية

مستقلا بذلك عن الخلافة العباسية.. وان كان قد وافق على الخضوع اسميا للخلافة العباسية.. ونتيجة لذلك أعطاه المقتدر العباسي لقب شاهنشاه سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) واستقل بعد ذلك خلفاء أشوط الثاني بالحكم بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية. ومع ذلك بقيت أجزاء واسعة من أرمينية وخاصة منها الاجزاء الجنوبية امارات اسلامية بعد أن اسلم كثير من أهلها وامرائها..

الأرمن يعـــانون من الارثوذكس ورجـــال الكنيسة الارثوذكسية:

وكانت تلك المناطق تعاني من الحروب الداخلية التي يشنها البكراطيون النصارى على الامارات الاخرى كما كانت تعاني من هجوم الدولة البيزنطية التي كانت تحاول استعادة سيطرتها على أرمينية منذ أن فقدتها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعانى أهل أرمينية من جشع البيزنطيين واستبدادهم واستيلائهم على كنائسهم واوقافها.. **حتى يقول أحد كبار المستشرقين المتعصبين ضد الاسلام (في دائرة المعارف الإسلامية).**

«ووضع رجال الدين البيزنطيون الجشعون يدهم على الاسقفيات والاديرة الارمينية الغنية باوقافها.. ولا حد للمضايقات التي حلت بالأرمن على أيدي الارثوذكس القائلين بالطبيعة الواحدة (للمسيح).. والحقد الذي فاضت به قلوب الأرمن من هذه المعاملة الشاذة مهد السبيل لنجاح غارة السلاجقة».

ورحب الارمن بعودة السلاجقة المسلمين وتعاونوا معهم على ازاحة نير الحكم البيزنطي الذي أثقل كاهل الأرمن..

ومرة بعد أخرى نجد الأرمن يفضلون حكم الاسلام على حكم اخوانهم نصارى بيزنطة.. ذلك لأنهم لم يجدوا في الاسلام الا كل سماحة

ويسر ولم يجدوا لدى بيزنطة الا كل اضطهاد وظلم.

دور السلاجقة في أرمينية:

واستطاع السلاجقة في عهد ألب أرسلان ان يعيدوا الى سلطتهم بلاد الكرج (جورجيا السوفيتية اليوم) وأران (أذربيجان السوفيتية) وأرمينية ثم احتلوا اجزاء واسعة من الامبراطورية البيزنطية ذاتها وتقدموا الى آني وهزموا الامبراطور رومانوس هزيمة نكراء سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤م) رغم جيشه اللجب الذي بلغ مائة ألف مقاتل.. وأسر الامبراطور نفسه بالقرب من ملازجرد(١).. وسقطت بذلك الاناضول الشرقية والغربية وكبادوكيا أي جميع البلاد التي كانت عماد قوة الامبراطورية البيزنطية.. وكان ذلك ايذانا بانتهاء الامبراطورية البيزنطية.. التي اجهز عليها فيما بعد الاتراك العثمانيون.. وقام محمد

---

(١) لقد جاء في كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان وصف تفصيلي لهذه المعركة وذكر أن السلطان ألب أرسلان بلغه خبر خروج امبراطور الروم أرمانوس في مائتي ألف فارس من الروم والفرنجة والروس والكرج وذلك سنة ٤٦٣ هـ حتى وصلوا ملازجرد (يكتبها ملاذكرد) من أعمال خلاط. وكان السلطان بمدينة خوي في أذربيجان وعساكره متفرقة في البلاد فسيّر الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همدان وسار هو في خمسة عشر ألف فارس لملاقاة الروم وقال لمن معه: إني أقاتل محتسبا صابراً فإن سلمت فنعمة من الله وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاة.. ولما اقترب الجيشان ورأى أرسلان ألب ضخامة جيش الروم وقلة جيشه أرسل يطلب الهدنة من أرمانوس فرفض أرمانوس الهدنة فأغتم لذلك السلطان فقال له إمامه وفقيهه ابو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين الله. وقد وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان. وأرجو ان يكون الله تعالى كتب بإسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة. فلما كانت تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان متضرعا الى الله في النصر وقال لمن معه: من أراد الانصراف فلينصرف فما ها هنا سلطان يأمر وينهي وأخذ السيف ولبس البياض وتحنط وقال إن قتلت فهذا كفني وأكثر الدعاء والتضرع الى الله ثم حمل على الروم ومعه عساكره ولم يتخلف منهم رجل فأنزل الله نصره عليهم وقتل من الروم ما لا يحصى وأسر ملك الروم أرمانوس أسره أحد الغلمان... فلما عُرف قدّم الى سلطان فقرعه السلطان قائلا ألم أطلب منك الهدنة؟ فقال أرمانوس دع عنك التوبيخ وافعل ما تريد! فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني قال: افعل القبيح فقال السلطان: ما تظن إني أفعل بك قال إما ان تقتلني وإما أن تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائبا عنك قال السلطان ما عزمت على غير هذا فكان أرمانوس من أنصار السلطان ألب أرسلان.

الفاتح العظيم باحتلال القسطنطينية ذاتها والتي عرفت فيما بعد باسم اسلامبول (اسطمبول) وبذلك انتهت الى الأبد قصة الامبراطورية الرومانية الشرقية التي كانت تعرف باسم الامبراطورية البيزنطية.

وقامت في أيام السلاجقة دولة أرمينية صغيرة بقيادة الامير (ريوبن) سنة ١٠٨٠م وعاشت ثلاثة قرون تناصب الامبراطورية البيزنطية العداء وتمتد بينها وبين الدولة السلجوقية أواصر الصداقة. واعترفوا بسلطان السلاجقة عليهم وأدوا الجزية... وكانوا يرون الخضوع للمسلمين أرأف بحالهم من الخضوع للنصارى البيزنطيين.

وتحول كثير من السكان الى الاسلام طواعية واختلطوا بالأتراك السلاجقة ثم بعد ذلك بالمغول الذين عرف امراؤهم بالايلخان والذين تحولوا من المجوسية الى الاسلام.

ووقعت بين المغول ودولة المماليك معارك طاحنة منذ أن أنزل الظاهر بيبرس والسلطان قطز بالمغول الهزيمة الفادحة في عين جالوت وبذلك أُوقف التيار المغولي المدمر الذي قاده جنكيز خان وهولاكو.. وتحول المغول تدريجيا الى الاسلام بعد هذه الهزيمة.. وصاروا جنداً له يرفعون رايته بعد أن كانوا طوفانا جارفا مدمرا اجتاح الدول الاسلامية من خوارزم الى بغداد..

المماليك في أرمينية:

واستولى المماليك على آخر ما بقي من حصون أرمينية وذلك في عهد السلطان الاشرف سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م). واضطر آخر ملوك أرمينية ليون السادس الى الرحيل عنها الى باريس.

وتحولت أرمينية في عهد السلاجقة والمماليك الى مجموعة من الإمارات الصغيرة شبه المستقلة والتي يحكمها امراء من السلاجقة أو

المماليك وأقام السلطان الملك العادل (أخ صلاح الدين الايوبي) ابنه اميراً على خلاط.

وخلفه اخوه الامير الأشرف.. ووسع الأشرف سلطانه حتى شمل خلاط وبلاد ما بين النهرين (الفرات ودجلة) وشمال الشام بما فيها دمشق.

المغول المسلمون في أرمينية:

وكان المغول المسلمون احفاد هولاكو قد أقاموا دولا قوية في بلاد ما وراء النهر وايران ومناطق واسعة من روسيا اليوم وامتد سلطانهم الى بـلاد الكرج (جورجيـا) وأذربيجـان وأران (أذربيجـان السوفيتيـة) وأرمينية..

التركمان في أرمينية:

ثم ظهر بعدهم التركمان وعلى وجه الخصوص قبيلة القطيع الاسود قره قويونلي والقطيع الابيض آق قويونلي نسبة الى شارات اعلامها - وتوسع سلطان هاتين القبيلتين حتى شمل معظم بلاد ما وراء النهر وخراسان وأذربيجان وبلاد الكرج وأرمينية..

ثم جاء تيمورلنك وانضم إليه القطيع الابيض بينما انضم القطيع الاسود الى جانب العثمانيين والمماليك.. واستطاع تيمورلنك أن يؤسس امبراطورية ضخمة شملت معظم اجزاء العالم القديم المعروف آنذاك.. ودانت لتيمور ارمينية فيما دانت له من بلدان.

وبعد وفاة تيمورلنك عادت أرمينية لحكم القطيع الاسود وتشابك الفريقان من التركمان القطيع الاسود والابيض في معارك دامية شملت اراضي ارمينية ولم يستفد منها سوى اعداء الاسلام.. وتمكن القطيع الابيض من فرض سلطانه على أرمينية.

ثم ظهر اوزون حسن الذي امتد سلطانه ليشمل أرمينية. والكرج. وأذربيجان. والعراقين (عراق العرب وعراق العجم) وفارس وكرمان.. وكان اوزون حسن منافسا قويا ومزعجا لسلاطين آل عثمان..

ولكن بوفاة اوزون حسن انتهت دولته واقتسمت اراضيه الدوله الصفوية والدولة العثمانية.

الاحتلال الروسي

وظلت الحروب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية تحطم قوة المسلمين وتخضد شوكتهم حتى أدى ذلك الى أن تستولي روسيا القيصرية على كثير من المناطق الاسلامية ومن بينها أرمينية...

وخضعت أرمينية لروسيا عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) لأول مرة واتصلت الحروب بين شاه ايران ضد روسيا من جهة... وبين الخلافة العثمانية وروسيا من جهة أخرى لمحاولة استنقاذ المناطق التي احتلتها روسيا.

وفي عام ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) غزا الروس مدينة جنزة وأسموها (اليزاوتبول) على اسم امبراطورتهم.. وصدت اريوان (أريفان) الحصار والغزو.. واستمرت الحرب بين الفرس والروس حتى عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) عندما انتهت بصلح كلستان الذي تم بتدخل الانجليز وأهم ما في هذا الصلح هو تعيين الحدود الفاصلة بين القوقاز التي سيطر عليها الروس وبلاد فارس..

ورغم هذا الصلح الا أن المفاوضات الطويلة انتهت بحرب جديدة عام ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) واستطاع الشاه عباس ميرزا أن يستعيد معظم اراضي القوقاس ودخل تفليس منتصراً.. واستطاع الروس في العام التالي أي ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) أن يعيدوا القوقاس تحت سيطرتهم مرة أخرى.

واعتبر نهر الرس فاصلا بين روسيا وايران ولا يزال هذا النهر يفصل بين أذربيجان الايرانية وأذربيجان السوفيتية حتى يومنا هذا.

وأصبحت سلسلة جبال ارارات الكبرى هي الحدود الفاصلة بين الدول الثلاث وهي روسيا وفارس وتركيا..

واستولى الروس على قلعة اريوان المشرفة على الهضاب المرتفعة الواسعة الممتدة على الشاطىء الايسر لنهر الرس.. وفقدت اريوان اهميتها بعد احتلال الروس لها.

وما كاد الروس ينتهون من اقرار الحدود الجديدة بينهم وبين الفرس حتى اعلنوا الحرب على تركية. وحصلوا بمقتضى معاهدة أدرنة على أجزاء من أرمينية كانت تتبع الخلافة العثمانية.

واستفاد الروس من الحرب المستمرة بين الدولتين المسلمتين أيما استفادة واستطاعوا أن يحتلوا مزيدا من المناطق الإسلامية اثناء انشغال هاتين الدولتين بنزاعها المستمر الذي دام قرونا طوالا والذي أضعف شوكة الاسلام والمسلمين في تلك البقاع.

وتدخل الانجليز والروس لكسب مزيد من النفوذ ووقعت معاهدة ارضروم سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧ م) كلُّف بمقتضاها مندوبو روسيا وبريطانيا بوضع الحدود التركية والفارسية.. واتموا عملهم سنة ١٨٥٢.. وعندما رفض الاتراك هذه الحدود أجبروا على ذلك بالقوة واضطروا للموافقة في مؤتمر برلين سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) على هذه الحدود الجديدة..

ومرة أخرى قامت حرب القريم سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) – الى سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) وذلك عندما قامت روسيا بتوسيع رقعتها واحتلال المزيد من أرض القريم الإسلامية.

وواصلت روسيا القيصرية اعتداءاتها البشعة وقامت بحرب جديدة

سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ضد تركيا وفي مؤتمر برلين المشار اليه والمنعقد سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) تخلت تركيا عن اردهان وقارص وباطوم وكان مجموع الأراضي الاسلامية التي استولت عليها روسيا القيصرية بموجب هذا المؤتمر هو ٢٦٥٩٠ كم٢ وتنازل الروس للترك عن وادي الشكرك (طوبراق قلعة) وبايزيد اللتين كان الروس قد احتلوهما في صلح سان استيفانو.

وقد كان بأرمينية كما يقول ياقوت ١٨ ألف بلدة وأهمها دبيل التي كانت العاصمة طيلة ايام الخلافة العثمانية.. (وهي الآن قرية لا أهمية لها). ثم قاليقلا المعروفة اليوم بأرضروم (ارزن الروم) ثم أرزنجان وملازجرد وبدليس وأخلاط وأرجيش والنشوى..

وكان اقليم ارمينية متصلا باقليم الكرج (جورجيا) وأرّان (أذربيجان السوفيتية) وقد سكنتها القبائل العربية واختلطوا بالسكان اختلاطا كبيراً وتحول عدد كبير من السكان الى الاسلام وبقي بعضهم على مسيحيتهم.

أرمينية في العصر الحديث:

وأرمينية الآن موزعة كالآتي:

١ - أرمينية السوفيتية وهي تشكل جمهورية سوفيتية وتبلغ مساحتها ٣٩٦١٥.. وسكانها خليط من الارمن وغيرهم من الجنسيات الاخرى..

٢ - أرمينية التركية.. وسكانها جميعاً تقريباً من الاتراك وأهم مدنها سيواس وارضروم.

٣ - أرمينية الفارسية وهي تابعة لاذربيجان الايرانية.

وقد كانت الخلافة العثمانية تحسن معاملة الارمن الكاثوليك على

عكس ما كانت تفعل الامبراطورية البيزنطية الارثوذكسية ثم من بعدها الامبراطورية الروسية الارثوذكسية ايضاً..

وكان للأرمن نشاط واسع في الدولة العثمانية حتى لقبوا بلقب (ملت صادقة) اي الملة الصادقة الولاء وحتى قال عنهم المستشرق اوبيسني أن الأرمن من دون الأمم الخاضعة للباب العالي جميعاً هي الأمة التي لها من المصالح المشتركة مع الاتراك أكثر من غيرها، كما أن المحافظة عليهم يرتبط بمصلحتها ارتباطاً هو أوثق ما يكون (دائرة المعارف الاسلامية طبعة الشعب ج٣ مادة أرمينية). وفي أواخر القرن التاسع عشر استطاعت الدول الغربية أن تذكي نار العداوة والبغضاء وأن تؤجج القوميات المختلفة في دار الخلافة العثمانية حتى أنها استطاعت في بداية القرن العشرين أن توجد جمعيات تركيا الفتاة.. والجمعيات اليونانية والعربية والارمنية المنادية بقومياتها واستقلالها..

وهذا ما أدى الى النزاع المستمر بين الأرمن والاتراك. وذلك منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الربع الأول من القرن العشرين..

وقد دخلت ارمينية تحت السيطرة العثمانية منذ عهد بايزيد الأول في القرن الرابع عشر عندما بدأ غزو غرب أرمينية ثم استطاع محمد الثاني وسليم الأول أن يحتلا المناطق الشرقية من ارمينية.. واصبحت ارمينية كلها تقريباً خاضعة للخلافة العثمانية ما عدا خانية اريفان وفي عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) استولت عليها روسيا بمقتضى معاهدة تركمان جاي..

وعندما قامت الثورة البلشفية قامت عدة جمهوريات في القوقاس ومن بينها جمهورية أريفان المستقلة ثم تحولت الى جمهورية ارمينية المستقلة في ٢٨ مايو سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) واعترف بها في معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وتحولت الجمهورية الأرمينية الى جمهورية

ارمينية الاشتراكية السوفيتية بعد ان استتب الأمر للينين وذلك في اواخر عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م).

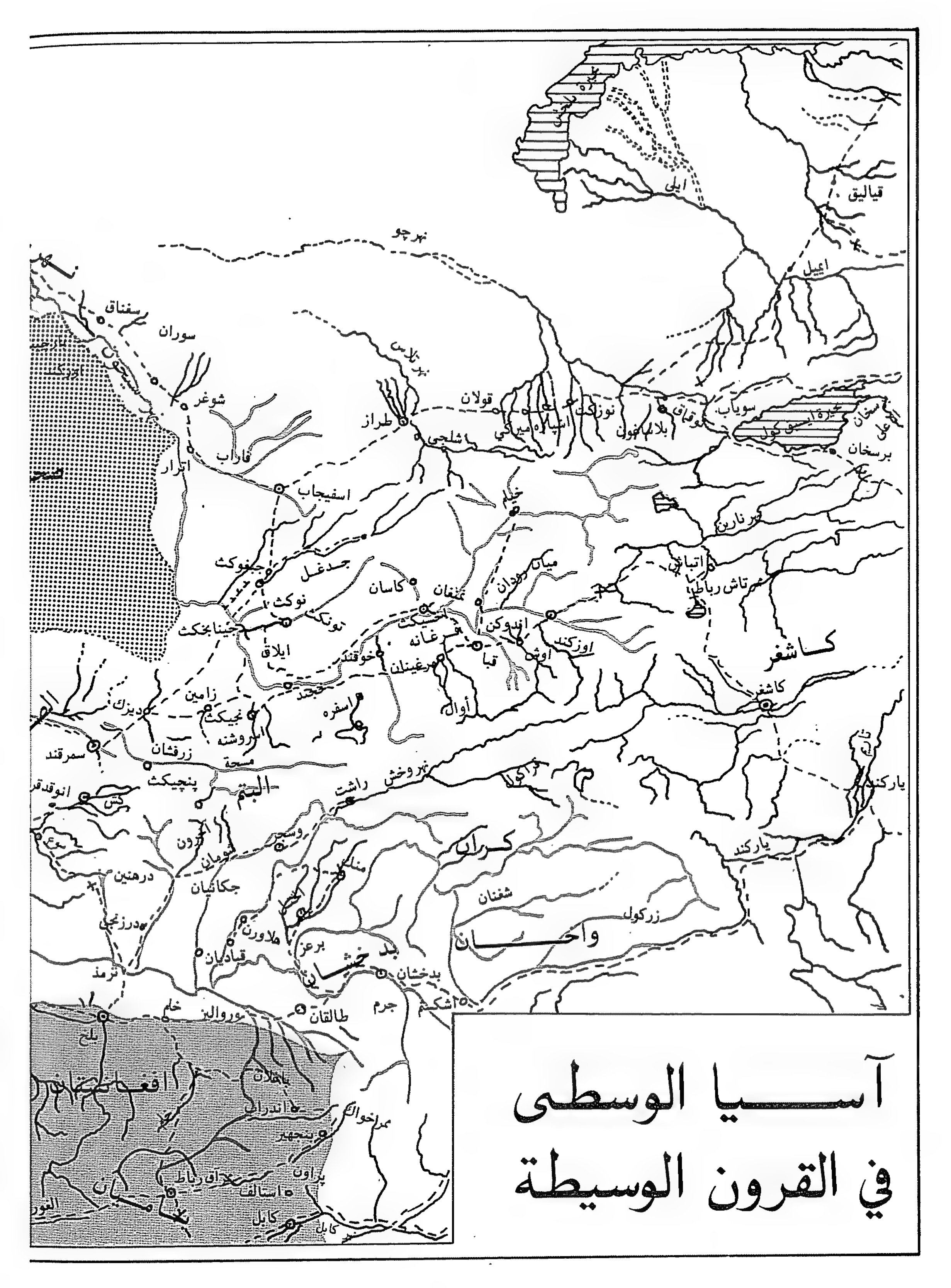
واهم مدنها بعد أن اقتطعت أجزاء كبيرة منها هي أريفان وهي العاصمة ولينينكان (الكساندروبول سابقاً) وكيروفكان (اليزاوتبول قديماً).

وهكذا ضاعت احدى الاراضي التي فتحها المسلمون واستوطنوها منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب منذ أربعة عشر قرناً من الزمان.. ولا يشكل المسلمون حالياً في أرمينيا سوى ١٢٪ من السكان وذلك بعد ان فر كثير من المسلمين كما أضطر آخرون في العهد القيصري الى الارتداد عن الإسلام للنصرانية...

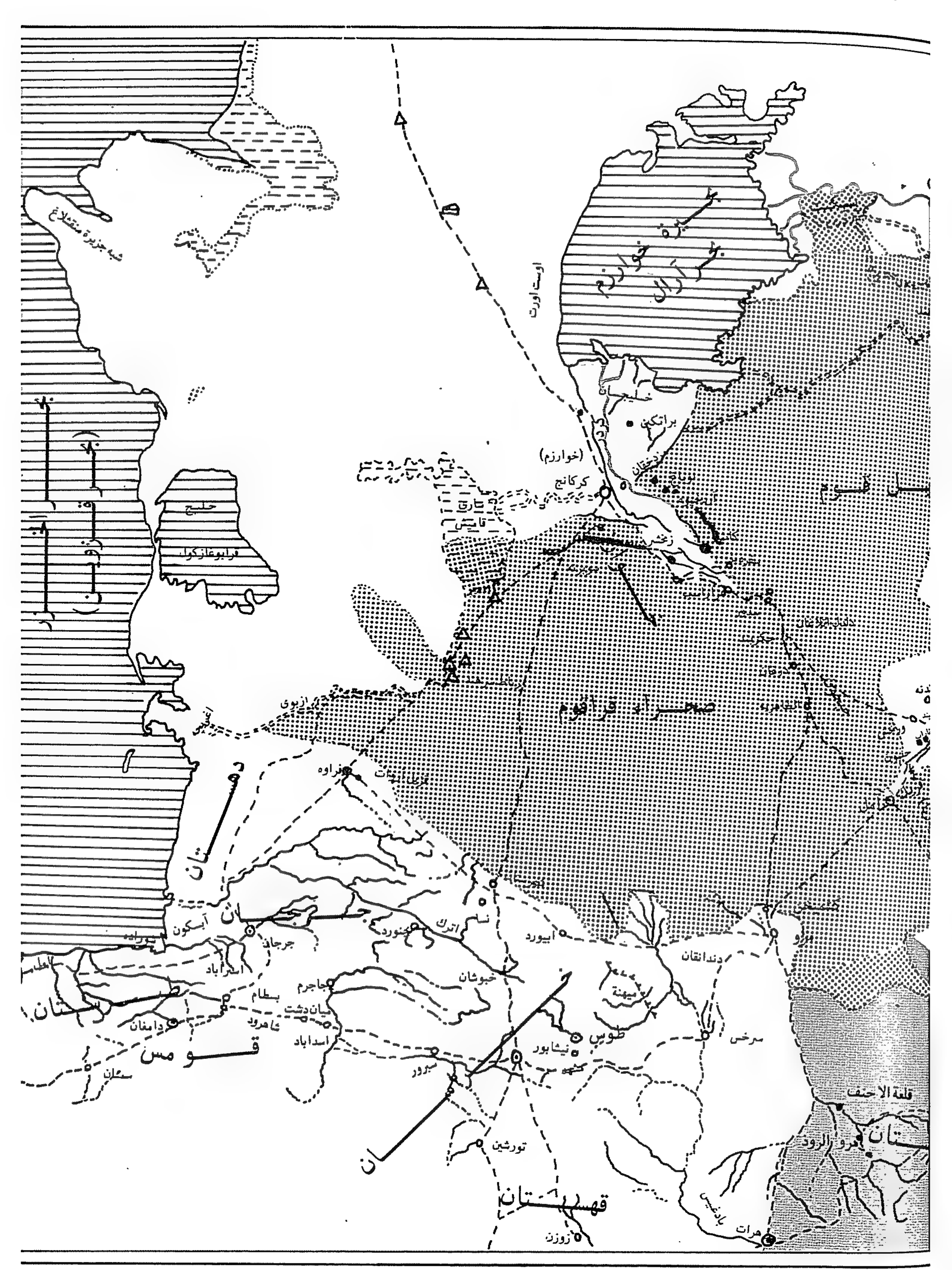


الفصل الثامن

التركستان


آسيا الوسطى
في القرون الوسيطة
قياليق
ايلي
نهر چو
ايميل
سغناق
سوران
شوغر
طراز
قولان
شلجي
نوزكث
بلاساغون
سوياب
بحيرة ايسيق كول
برسخان
اترار
فاراب
اسفيجاب
خيلم
نهر نارين
جدغل
كاسان
نمنغان
اخسيكث
فرغانه
ميان رودان
اندوكن
اوزكند
اوش
قبا
اتباش
تاش رباط
كاشغر
نوكث
جينانجكث
ايلاق
خوقند
مرغينان
خجند
اسفره
اوال
زامين
نجيكث
اسروشنه
ديزك
سمرقند
زرفشان
پنجيكث
البتم
كش
راشت
نهر وخش
ياركند
شومان
درهنين
جكانيان
درزنجي
ترمذ
هلاورد
قباذيان
برعز
بدخشان
واخان
شغنان
زركول
اشكمش
جرم
طالقان
وروالين
خلم
بلخ
افغانستان
اندراب
بنجهير
پراون
استالف
كابل

نهرا سيحون وجيحون وروافدهما



[illegible]

تَعْريفُ التركستَان

يعرف كتاب الجغرافيا الاقليمية للعالم الإسلامي التركستان بالتعريف التالي: «تركستان منطقة واسعة في وسط آسيا ويقصد بها بلاد الترك اذ كانت مجال انتقالهم وموطن قبائلهم، وهي منطقة سهلية في الغرب وهضبية في الشرق وبينهما منطقة جبلية عالية ضمن البلاد التركستانية تغذي كلا الطرفين بالمياه وتصل بينهما بممراتها الشهيرة. ومع ان الذرا الجبلية هي التي تفصل بين الشطرين إلا أن الجزء الغربي يشمل في شرقيه مرتفعات واسعة وهي تقع ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي بينما القسم الشرقي منها يقع تحت سيطرة الصين».

وهذا التعريف يجعل أرض التركستان واسعة جداً إذ أنها تمتد من بحر الخزر (ويسمى أيضاً بحر قزوين وبحر جرجان وبحر الديلم وبحر جيلان وبحر شروان وبحر باكو على اسم المناطق التي يحاذيها) في الغرب الى جبال التاي في الشرق ومن خراسان وصحراء قرة قورم في الجنوب الغربي الى جبال الاورال وسيبيريا في الشمال والشمال الشرقي.. وتقع تركستان في وسط آسيا وتحدها شمالاً سيبيريا ومنغوليا وجنوباً افغانستان وكشمير والتبت.. وشرقاً الصين وغرباً إيران وبحر قزوين.

وبذلك تكون مساحة التركستان قرابة خمسة ملايين كيلومتراً مربعاً وهي تنقسم الى قسمين:

١ - **تركستان الشرقية**: وتخضع حالياً لحكم الصين الشيوعية وقد أسمتها سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة.

٢ - **تركستان الغربية**: وتخضع لحكم روسيا وهي مقسمة لخمس

جمهوريات سوفيتية هي: جمهورية اوزبكستان وجمهورية طادجكستان، وجمهورية قازاقستان، وجمهورية تركمنستان وجمهورية قيرغيزيا.

وقد كان تعريف التركستان في التاريخ الإسلامي يقتصر على تركستان الشرقية أما تركستان الغربية فكانت تسمى بلاد ما وراء النهر والنهر المقصود هو نهر جيحون.. ولهذا كان مدلول بلاد ما وراء النهر في الغالب يتحدد في الأراضي الواقعة بين نهر سيحون (سرداريا) شرقاً ونهر جيحون (اموداريا) غرباً..

وبما أن خراسان كانت هي قاعدة انطلاق المسلمين من عاصمتها مرو لغزو بلاد ما وراء النهر فقد كانت أعمال بلاد ما وراء النهر تابعة لخراسان وكان حاكم خراسان أو عاملها الذي يعينه الخليفة هو المسئول عن بلاد ما وراء النهر..

ولهذا دخلت بلاد ما وراء النهر عند كثير من الجغرافيين المسلمين القدامى في تعريف خراسان.. وهو لا شك توسع في مفهوم خراسان..

ومع هذا فنحن نجد الى اليوم أن اقليم خراسان مقسم بين ثلاث جمهوريات هي: أفغانستان وإيران وجمهورية تركمنستان السوفيتية التي تدخل قطعاً في تعريف تركستان.. وسننقل هنا تعريف ياقوت الحموي لتركستان (بشيء من الاختصار) وفيه يتضح أن المقصود بتركستان هو تركستان الشرقية التي تقع شرق نهر سيحون (سرداريا) وليس المقصود بها كما نطلقه اليوم جميع الاراضي الواقعة شرق وغرب نهر جيحون والاراضي الواقعة شرق وغرب نهر سيحون (سرداريا) حتى حدود الصين والاراضي الواقعة شمال هذين النهرين لتشمل حوض نهر أورال ونهر أمبا في الشمال الغربي وحدود سيبيريا في الشمال والشمال الشرقي.. يقول ياقوت: (بشيء من الاختصار) (تركستان هو أسم جامع لجميع بلاد الترك.. واوسع بلاد الترك بلاد قبائل التغزغز وحدّهم الصين والتبت

وقبائل الخرلخ والكيماك والغز والجفر والبجناك والبذكش وخشقان وخرخيز (قرغيز)، وأول حدهم من جهة المسلمين فاراب.. قالوا ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة والتغزغز في الترك كالبادية، أصحاب عمد يرحلون ويحلون. والبندكشية أهل بلاد وقرى).

وذكر ياقوت بعد ذلك قصة إرسال هشام بن عبد الملك رسولاً الى ملك هؤلاء البدو يدعوهم الى الإسلام فلما دخل على الملك وجده يعمل سرجاً بيده فعرض عليه الإسلام وشروطه ومنها أن لا يعيشوا على النهب والسلب فلما كان الغد استنفر رجاله فإذا هم مائة الف مقاتل وأراهم الرسول ثم قال له: ليس في هؤلاء خياط ولا أسكاف ولا حجام ولا فلاح فإذا اسلموا والتزموا شروط الإسلام فمن اين يأكلون؟

واشتهر هؤلاء الترك بشدة البأس وستأتي قصة اسلامهم وظهور دولة السلاجقة منهم الذين أصبحوا هم عمدة الخلافة العباسية وحكامها عندما نتحدث عن تركستان الشرقية.. كما سيأتي ذكر ظهور العثمانيين الذين يعتبرون من أهل تركستان الشرقية.

وإنما أوردنا هذا ها هنا لنوضح معنى الترك والتركستان في مفهوم الكتاب المسلمين السابقين اذ كانوا يجعلون ذلك محدوداً في القبائل التركية التي تعيش بالقرب من حدود الصين والمناطق الواقعة شرق نهر سيحون (سرداريا).. وهي المناطق المعروفة اليوم بتركستان الشرقية والتي تحكمها الصين وتستعمرها وتسميها سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة..

ويعرف بارتولد التركستان في كتابه الموسوعي (تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي) بأنها بلاد ما وراء النهر التي تشمل المنطقة الممتدة من حوض نهر أموداريا (جيحون) الى حوض نهر سرداريا (سيحون) ولهذا فقد قصر بارتولد كتابه على المناطق الواقعة في حوض

نهري جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا).. ولم يتعرض للمناطق الواسعة الواقعة شرقي نهر سيحون (سرداريا) والتي تمتد حتى اطراف الصين والتي كان يسكنها الرعاة من بدو الاتراك والتي كان الجغرافيون المسلمون يطلقون عليها اسم التركستان.. والتي تعتبر اليوم تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية..

وبما أن أرض الترك (توران أو تركستان) كانت في الاصل هي المناطق الواقعة شرق نهر سيخون (سرداريا) فإن بلاد ما وراء النهر أي المنطقة الواقعة بين نهري سيحون وجيحون كانت تتبع ادارياً وعسكرياً منطقة خراسان (الايرانية).

ويقول بارتولد: «ومعلوم ان الحدود السياسية بين إيران وتوران كانت عرضة لتغييرات عديدة على مر العصور التاريخية. ففي عهد الخافشين مثلا وفي عهد السيادة العربية كذلك، كانت جميع بلاد ما وراء النهر جزءاً لا يتجزأ من الشرق الادنى (المقصود هنا خراسان وإيران) ولكن ابتـداء من القرن العاشر الميلادي وقعت المنطقة نهائياً تحت سيطرة شعوب آسيا الوسطى حتى أن معاهدات الصلح بين حكام إيران وتوران كانت تنص في معظم الاحوال على أن أموذاريا هو الحد الفاصل بين محيط نفوذ كلا الطرفين..»

«ومن وجهة النظر العرقية ايضاً فإن تلك البلاد التي كانت تقطنها في أول الامر شعوب آرية لم تلبث أن تسربت اليها اعداد غفيرة من العنصر التركي بصورة أصبح معها عدد المتكلمين باللهجات التركية من أهل البلاد في الآونة الحاضرة لا يقف عند حد الجماعات البدوية وحدها بل شمل كذلك الشطر الاكبر من سكان المدن.. وعلى وجه العموم فقد شغلت بلاد ما وراء النهر المكانة الأولى من بين الاقطار التي خضعت لسلطان الترك وذلك بسبب خصبها وكثافة سكانها زد على

هذا أنها المنطقة الوحيدة التي وصلتنا منها مادة تاريخية وتاريخية جغرافية مفصلة كل هذا يدفعنا الى أن نقصر هذا العرض الجغرافي على بلاد ما وراء النهر وحدها ».

ولهذا فإننا سنعتمد تعريف بلاد ما وراء النهر القديم لتعريف تركستان لأنه اقرب الى التعريف الحديث ونوسع مدلوله ليشمل تركستان الشرقية.

نهر جيحون: (اموداريا) واسمه القديم اكسوس وينبع هذا النهر من جبال بامير التي ترتفع منها جبال الهملايا وتتفرغ عنها جبال هندكوش في شمال أفغانستان.. وتسمى جبال بامير سقف العالم لأن فيها أكثر الجبال ارتفاعاً في العالم وهي تدخل في عدة دول منها جمهورية طادجكستان السوفيتية (الاسلامية) والتبت وكشمير.. وتتفرغ منها جبال هندكوش الواقعة في شمال أفغانستان.

ويتكون نهر جيحون من مجموعة من الانهار التي تصب من جبال بامير ورافده الاساسي كما يقول الاصطخري هو نهر جرياب (المعروف حالياً بأسم بنج ويعرف أيضاً بأسم وخاب) الذي يخرج من بلاد وخاب من حدود بذخشان (وبذخشان واقعة بين افغانستان وطادجكستان السوفيتية.. وهي أشهر أقاليم اللازورد والياقوت في العالم الاسلامي ويوجد بها أيضاً مناجم الذهب والفضة) وينضم اليه نهر أخش أو وخش ويدعى أيضاً شرخاب الذي يمر بمدينة هلبك عاصمة مقاطعة الختل (وتكتب أحياناً الخطل) ثم ينضم اليه مجموعة من الأنهار أكبرها نهر وخشاب.. ثم ترتفع اليه انهار البتم.. (البتم جبال واقعة جنوب اقليم الشاش في جمهورية اوزبكستان).

ويمر نهر جيحون من منبعه في المرتفعات الجبلية غرباً صوب أفغانستان فيشكل الحدود بين أفغانستان وطاذجكستان السوفيتية ثم

بين افغانستانِ واوزبكستان وعندئذ يتجه شمالاً ليشكل الحدود بين جمهورية اوزبكستان وجمهورية تركمنستان السوفيتيتين حتى ينتهي في مصبه الى بحيرة خوارزم (بحر الارال) بعد أن يقطع مسافة ٢٢٤٠ كيلو متراً، منها ستمائة وثلاثون كيلو متراً في أفغانستان والباقية في الجمهوريات التركستانية الاسلامية الواقعة تحت مخالب الدب الروسي.

وتقع على نهر جيحون الاعلى (أي بالقرب من منبعه) في افغانستان مجموعة من المدن مثل كاريان وبنجهير وفروان (وتكتب أحياناً بروان) التي ينحدر منها الطريق الى كابل كما يمر عليها الطريق الى باميان (وهي في جنوب افغانستان وقد كانت مقاطعة تضم كابل وغزنة).

وكان اسم طخارستان يطلق على الاراضي الواقعة على ضفتي نهر جيحون (اموداريا) في مجراه الاعلى في افغانستان.. ويحدد هذا الاقليم الواسع بالمنطقة الواقعة بين بلخ (في افغانستان) وبذخشان (بين افغانستان وطادجكستان) وكانت بلخ اعظم مدن ما وراء النهر وظلت لمدة قرون طويلة في العصور الإسلامية احدى قواعد الملك في خراسان كما يقول ابن خلكان ويعد هذه القواعد أربع وهن بلخ وهراة (في افغانستان) ونيسابور (في إيران) ومرو (في تركمنستان) ورغم أن بلخ كانت تبعد عن نهر جيحون باثني عشر فرسخاً (٣٦ ميلا) الا أن نهر جيحون في هذه المنطقة اشتهر باسم نهر بلخ..

وقد اندثرت بلخ وقامت بالقرب منها مدينة مزار شريف التي يزعم ان فيها قبر الامام علي وجثمانه (وهو زعم باطل).

وتقع مدينة ترمذ ذات التاريخ الباذخ وموطن الإمام الترمذي على نهر جيحون في جمهورية اوزبكستان بالقرب من حدودها مع أفغانستان.. ثم يمر هذا النهر على عدة مدن اندثرت ولم تعد معروفة الا للمختصين وتقع اطلالها في جمهورية تركمنستان السوفيتية.. وهذه المدن هي كالف

وزم وآمل ودرغان.

وتعتبر درغان اول حدود اقليم خوارزم الذي ينتهي اليه نهر جيحون ويصب في بحيرة خوارزم (بحر الارال).. وقبل مصبه تقوم مدينة كاث التي كانت عاصمة اقليم خوارزم في العهود القديمة ثم حلت محلها الجرجانية (أو كركانج) التي تقع على مصب النهر..

وعندما تحول مصب النهر في القرن السادس عشر الميلادي اندثرت كركانج (أو الجرجانية) وقامت حول المصب الجديد مدينة خيوة التي أصبحت عاصمة اقليم خوارزم وما حولها والتي عرفت باسم خانية خيوة.. وقد احتل القياصرة الروس خيوة عام ١٨٧٣ وبقيت خانية خيوة بدون خيوة حتى عام ١٩٢٤ عندما احتلتها قوات الجيش الأحمر وخضعت بذلك لحكم روسيا البلشفية.

وهكذا نرى ان نهر جيحون (أموداريا) يرسم الخريطة لبلاد ما وراء النهر ويحدد معالمها الجغرافية.. وعلى ضفافه قامت المدن والدول الكثيرة.. وقد أصبح هذا النهر اسلامياً منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أرسل الأحنف بن قيس لفتح بلخ وهراة.. وتوالت الفتوحات كما سيأتي ذكره في عهد عثمان رضي الله عنه ثم توقفت في أيام القتنة الكبرى لتعاود مسيرها في أيام معاوية وتبلغ ذروتها في أيام عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك على يد قتيبة بن مسلم الباهلي. فتجعل نهر جيحون وجميع روافده نهراً اسلامياً خالصاً من منبعه الى مصبه.. كما تجعل ايضا نهر سيحون (سرداريا) من منبعه الى مصبه تقريبا نهرا اسلاميا خالصا..

وسننقل ها هنا وصف الاصطخري لنهر جيحون لأن ذلك يوضح مدى معرفة الجغرافيين المسلمين لهذا النهر معرفة واسعة في مرحلة مبكرة من تاريخهم.

يقول الاصطخري[١]: « فـأمـا جيحون فـأن عموده (أي رافـده الاساسي) نهر يعرف بجرياب يخرج من بلاد وخاب من حدود بذخشان (وهي اقليم اللازود والذهب والياقوت والفضة يقع الان بين أفغانستان وطادجكستان السوفيتية) وينضم إليه انهار في حدود الختل ووخش فيصير من تلك الانهار هذا النهر العظيم وينضم إليه نهر يلي جرياب يسمى بأخش وهو نهر هلبك مدينة الختل (أي أن الرافد الثاني الهام هو نهر أخش الذي يمر بمدينة هلبك عاصمة اقليم الختل) ويليه نهر بربان والثالث نهر فارعي والرابع نهر انديخارع والخامس نهر وخشاب وهو أغزر هذه الانهار فتتجمع هذه الانهار قبل أن تجتمع مع وخشاب وقبل القواديان ثم ترتفع إليه بعد ذلك انهار البتم وغيره. ومنها أنهار الصغانيان وأنهار القواديان فتجتمع كلها وتقع الى جيحون بقرب القواديان وماء وخشاب يخرج من بلاد الترك حتى يظهر في أرض وخش ويسير في جبل هناك حتى يعبر قنطرة، ولا يعلم ماء في كثرته يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع... وهذه القنطرة بين الختل وواشجرد ثم يجري هذا الوادي في حدود بلخ الى الترمذ ثم يمر على كالف ثم على زم ثم آمل ثم درغان وهي أول أرض خوارزم ولا ينتفع بهذا النهر من هذه البلاد الا خوارزم لانه يستقبل عنها. ثم ينحدر من خوارزم حتى ينصب في بحيرة تعرف ببحيرة خوارزم، وهي بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام، وهو في موضع أعرض من دجلة، وقد شاهدته وركبت فيه ورأيته جامداً، وكيفية جموده انه اذا اشتد البرد وقوي كلَبه جمد اولا قطعا ثم تسري تلك القطع على وجه الماء فكلما ماست واحدة الأخرى التصقت بها ولا تزال تعظم حتى يعود جيحون كله قطعة واحدة، ولا يزال ذلك الجامد يثخن حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار وباقي الماء تحته جار،

(١) كما ينقله ياقوت في معجم البلدان مجلد ٢ صفحة ١٩١.

فيحفر أهل خوارزم فيه ابارا بالمعاول حتى يخرقوه الى الماء الجاري ثم يستقوا منه الماء لشربهم ويحملوه في الجرار الى منازلهم فلا يصل الى المنزل الا وقد جمد نصفه في بواطن الجرة.. فاذا استحكم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل والعجل بالبقر، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه كما يكون في البوادي فيبقى على ذلك نحو شهرين».

وهكذا نجد نهر جيحون يحدد المعالم الجغرافية لما يعرف اليوم بالتركستان وحتى المناطق التي يمر بها في شمال افغانستان فانها تعرف باسم التركستان الافغانية ذلك لأن سكانها هم من الاوزبك والتركمان والطاجيك أي نفس سكان التركستان ولم يفرق المؤرخون والجغرافيون المسلمون ابدا بين البلاد الواقعة على نهر جيحون في مجراه الاعلى قرب منبعه وبين تلك البلاد الواقعة في مجراه الاسفل قرب مصبه بل اعتبروها جميعا بلاد ما وراء النهر وكانت تشكل وحدة جغرافية وتاريخية طوال التاريخ الاسلامي بل وقبل هذا التاريخ.

وربما فسر لنا هذا احد أهم أسباب الغزو السوفيتي لأفغانستان اذ ان سكان شمال أفغانستان ينتمون الى نفس القبائل ويتحدثون نفس اللغة ويدينون بنفس الدين الذي يدين به سكان المناطق المحاذية والتي تحتلها روسيا والمعروفة باسم جمهورية أوزبكستان وجمهورية طادجكستان وجمهورية تركمنستان.. ولهذا بادر الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان.. عندما امتد تيار الصحوة الاسلامية من شمال أفغانستان الى الجمهوريات السوفيتية المجاورة والتي ينتمي أهلها الى الإسلام ويتحدثون نفس اللغة التي يتحدث بها أهالي شمال أفغانستان.

بل ان شمال أفغانستان قد شاهدت منذ ستين عاما ابان سقوط خانية بخاري وخيوة هجرة أكثر من مليون تركستاني توطنوا في شمال

أفغانستان وانضموا الى المليونين من التركستانيين الذين يشكلون سكان شمال أفغانستان والان نرى الهجرة ممتدة جنوبا بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان حيث تهاجر القبائل الافغانية من البشتو الى بيشاور في باكستان وحيث تتكرر نفس المأساة التي حدثت منذ أكثر من نصف قرن من الزمان في شمال أفغانستان اذ أن قبائل البشتو هي نفس قبائل الباتان الموجودة في شمال باكستان ويتحدثون بنفس اللغة وينتمون الى نفس الاصول العرقية ويدينون بنفس الدين.

وهكذا نرى نهر جيحون يشكل الطوبغرافية الجغرافية والتاريخية والسياسية لهذه المنطقة من العالم.

ويمر النهر في طريقه الطويل عبر مجموعة من المقاطعات والمدن الهامة سنوجزها فيما يلي:

(١) **مقاطعة وخان**: التي زارها ماركو بولو ووصف اهلها المسلمين كما وصف معادن الذهب والفضة.. وهي واقعة قرب منبع جيحون عند اتصاله بنهر جرياب المعروف حاليا باسم بنج.

(٢) **مقاطعة بذخشان**: الغنية بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة الخصبة ومعادن الياقوت واللازورد.. وطقسها الرائع.. وكانت عاصمة المقاطعة تقوم بالقرب من فيظا باد (فايز أباد) الحالية والتي تقع في شمال شرق أفغانستان بالقرب من حدودها مع طادجكستان السوفيتية.. ولهذا فإن هذه المقاطعة واقعة بين طادجكستان وأفغانستان.

(٣) **مقاطعة طخارستان**: التي تقع بين بلخ وبذخشان.. واسمها منسوب الى الطخاريين الذين قضوا على مملكة بكتريا اليونانية التي قامت في بلخ بعد غزو الاسكندر المقدوني لها. وكانت هذه المقاطعة تمتد في العصور الاسلامية من ضفاف اموداريا حتى ممرات هندكوش الجبلية.

ومن مدن هذه المقاطعة طالقان وهي غير طالقان الموجودة في شمال

ايران والمعروفة بطالقان قزوين تمييزا لها عن طالقان طخارستان التي تعرف أحياناً بطالقان الروذ.. ومن مدن هذا الاقليم أيضاً خلم (تاش قرغان الحالية) وروأليز واندراب التي تتصل بوادي نهر بنجشير (بنجهير سابقا) والمشهور بمعادن الفضة.

(٤) الجوزجان: وهي مقاطعة في شمال افغانستان وعاصمتها السابقة هي فارياب التي اندثرت اما عاصمتها الحالية فهي ميمنة.

(٥) بلخ: من أشهر مدن (خراسان) وتبعد عن جيحون باثني عشر فرسخا وقد كانت تسمى قبة الاسلام.. وقد اندثرت بلخ وقامت بالقرب منها مدينة مزار شريف بناء على زعم باطل ان فيها قبر الامام علي حيث زعموا انهم وجدوا جسده سليما في تلك المنطقة فبني المزار وقامت حوله المدينة المعروفة باسم مزار شريف..

ويعرف الجزء الشمالي من أفغانستان باسم التركستان الافغانية ويمتد من كوه بابا حتى نهر جيحون.. وعاصمة هذا الاقليم الواسع الذي يقوم حول مجرى نهر جيحون هي بلخ سابقا ومزار شريف حاليا..

(٦) ترمذ: وهي المدينة المشهورة التي تقع على نهر جيحون.. وهي واقعة اليوم في جنوب اوزبكستان بالقرب من حدودها مع أفغانستان وقد فتحها موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٧٠ هـ.. وسنتحدث عن ترمذ بشيء من التفصيل في فصل خاص بها.

(٧) الصغانيان: تعرف المنطقة الواقعة حول ترمذ بالصغانيان وكان أول من غزاها الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٤٦ هـ.

وقد وصف ياقوت الصغانيان بأنها (ولاية عظيمة في بلاد ما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ) وقد وصف الاصطخري الصغانيان بقوله: «والصغانيان مدينة أكبر من ترمذ الا أن الترمذ أكثر اهلا ومالا. وللصغانيان قلعة» ويصفها المقدسي بقوله: «وأسواق القصبة (أي عاصمة

الصغانيان) مغطاة ظريفة، خبز رخيص ولحم كثير وماء غزير.. والجامع وسط السوق لطيف على سواري آجر بلا طيقان. في كل بيت ماء جار قد التفت بها الأشجار، وهي من معادن اجناس الطيور وموضع الصيد، طيبة في الشتاء كثيرة الامطار والثلوج، حشيشها اعجب يغيب فيه الدواب.. وهم أهل جماعة وسنة يحبون الغريب والصالحين.. الا أنها قليلة العلماء خالية من الفقهاء». وينسب إليها ابو بكر محمد بن اسحاق الصغاني احد الثقات في رواية الحديث المتوفي سنة ٢٧٠ هـ روى عنه الإمام مسلم والإمام الترمذي.

كما ينسب إليها أبو العباس الفضل بن العباس الصاغاني. وله تآليف في كل فن وقدم بغداد سنة ٤٢٠ هـ حاجا وسمع منه أبو بكر الخطيب.

وتقع مجموعة من المدن بين الصغانيان وترمذ منها صرمنجان وهاشم جرو ودارزنجي...

(٨) **مدينة كالف**: تقع على بعد مرحلتين من ترمذ وهي المدينة الوحيدة على نهر جيحون والتي تمتد على ضفتي نهر جيحون.. وكان الشطر الرئيسي للمدينة يقوم على الضفة اليسرى (أي الغربية) بما في ذلك المسجد الجامع وبالقرب منه رباط ذي القرنين (كما يزعمون) وفي الضفة الشرقية من الجهة المقابلة يقوم رباط ذي الكفل (كما يزعمون).

(٩) **مدينة زم ومدينة أخسيسك**: وهما على بعد خمس مراحل من ترمذ.. وثلاثة من كالف.. وكانت مدينة زم تقوم على الضفة اليسرى (الغربية) بينما كانت مدينة أخسيسك تقوم على الضفة الشرقية.. وكان المسجد الجامع بزم وسط الاسواق وابتداء من زم كان الأهالي يستعملون مياه نهر جيحون في الري الصناعي.

(١٠) آمل (جارجوي): وهي المدينة التالية التي تقع على جيحون.. وتقع على مسافة فرسخ من النهر على الضفة اليسرى (أي الغربية

منه).. بينما كانت تقوم على الضفة اليمنى (أي الشرقية وعلى بعد فرسخ من النهر مدينة فربر التي ينسب إليها الفربري راوية البخاري وأشهر تلاميذه وقد عرفت فربر أيضاً باسم (قرية علي) وأخذت (آمل) أهميتها من أنها تقع على الطريق الكبير الى خراسان.. وفي هذه المنطقة أي بالقرب من آمل وفربر يقترب نهر جيحون من نهر الصغد المعروف بنهر زرفشان.. ولكن هذين النهرين لا يلتقيان بل يصب زرفشان في الرمال ويضيع قبل ان يبلغ مجرى جيحون. وتقع أطلال مدينة آمل القديمة على بعد ميلين فقط شرق مدينة جارجوي التي قامت بعدها على أربعة جداول من جيحون وهذا هو معنى جارجوي.. وهي واقعة في جمهورية تركمنستان.

(١١) **الصغد**: بالضم ثم السكون ويقال بالسين بدل الصاد: وهي المنطقة الواقعة شرق جيحون موازية لآمل وفربر..

ونهر الصغد هو نهر زرفشان الذي تغيض مياهه في الرمال قبل ان يلتقي بجيحون..

وفي هذه المنطقة وما جاورها اهم مدن ما وراء النهر، بخارى وسمرقند.. وهذه المنطقة تقع حاليا في جمهورية اوزبكستان السوفيتية.. وبعضهم يدخل بخاري في الصغد وبعضهم لا يدخلها فيه. يقول ياقوت (وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى.. وهي قرى متصلة خلال الاشجار والبساتين من سمرقند الى قريب من بخارى لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الاشجار بها، وهي من أطيب أرض الله كثيرة الاشجار غزيرة الانهار متجاوبة الاطيار...

«قال الجيهاني: **منبرها الأجل سمرقند** ثم كش ثم نسف ثم كشانيه.. وقال غيره قصبة الصغد اشتيجن وفضلها على سمرقند (وهو قول مردود لأن سمرقند قد فاقت جميع مدن الصغد بل فاقت كما يؤكد المؤرخون

والجغرافيون المسلمون جميع مدن ما وراء النهر).

« وهذا الوادي مبدؤه من جبال البتم يمتد على ظهر الصغانيان وله مجمع ماء مثل البحيرة يقال له وي. وحواليها قرى وتعرف الناحية ببرغر فينصب منها حتى يتصل بأرض بنجيكث ثم ينتهي الى بورغسر ومنه تتشعب انهار سمرقند.. وصغد سمرقند انزه البلدان وهي من حد بخارى على وادي الصغد يمينا وشمالا الى جبال البتم تشتبك الخضرة والبساتين فيها مسافة ثمانية أيام بالراحلة » وكانت تخرج من نهر زرفشان قنوات لتسقي سمرقند وفي منطقة ورغس (رباط خوجة الحالية) كان يقوم سد لحفظ المياه.. وكان الأهالي يعفون من الخراج مقابل قيامه بأمر هذا السد وكانت تخرج ثلاث قنوات لتسقي المنطقة الشمالية من الصغد (شمال سمرقند) وكانت هذه القنوات صالحة للملاحة المحدودة.

ويقول بارتولد: (ولقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة) وسنتحدث عن سمرقند ومن ظهر بها من العلماء في فصل خاص بها ان شاء الله.

وقد اعتبرت بخارى من الصغد عن بعض الجغرافيين المسلمين وكانت الطريق بين سمرقند وبخارى تعرف بالطريق الملكي وكانت على الدوام ذات أهمية كبرى كما يقول بارتولد.. وتبلغ مسافة هذا الطريق ٣٩ فرسخا (١١٧ ميلا) وعلى طول هذا الطريق كانت تقع مجموعة من القرى المتصلة بالمزارع والمراعي ومن هذه القرى المهمة زرمان (في موضع جمباي الحالية) ودبوسية وكرمينية وطواويس وتعتبر طواويس من قرى بخارى وقد أطلق عليها المسلمون اسم طواويس لكثرة الطواويس بها عندما قدموا إليها فاتحين.

وسنرجىء الحديث عن بخارى الى الفصل الذي عقدناه عنها. وعلى بعد خمسة فراسخ من بخارى تقع بيكند التي اشتهرت حتى من قبل

الاسلام بكونها مركزاً تجارياً هاماً. وكانت أول مدينة يفتحها عبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ، ثم فتح بعدها بخارى صلحاً مع الخاتون ملكة بخارى والتي كانت تحكم نيابة عن ابنها القاصر طغشادة.. وكانت بيكند تدعى مدينة التجار وهي أقدم من بخارى ذاتها..

واشتهر مسجد بيكند بمحرابه الجميل المرصع بالاحجار الكريمة ففاق في زينته ونقوشه جميع محاريب مساجد ما وراء النهر..

وتقع الى الغرب من بيكند مفازة ولهذا لم تكن بعدها قرى في الناحية الغربية..

أما مياه بيكند فتجتمع في بحيرة تعرف باسم قراكول أي البحيرة السوداء لكثرة مياهها وتكثر حولها أنواع الطيور وبها ثروة سمكية جيدة.

ويذكر بارتولد نقلا عن ياقوت والسمعاني أسماء القرى والمدن الواقعة في حوض زرفشان أي منطقة الصغد فيذكر ما يقرب من ٢٥٠ قرية ومدينة ويذكر موقعها ومختلف اسمائها.

وتأتي بعد بخارى اذا اتجهنا شمالاً مع نهر اموداريا (جيحون) **مدينة كش وهي شهرسبز (اي المدينة الخضراء)** الحالية التي كانت مدينة عظيمة قبل العهد الساماني وذلك قبل أن تبرز بخارى وسمرقند وتبلغا شأوا بعيداً فاق جميع ما عداها من مدن ما وراء النهر وتقع كش بالقرب من مدينة نسف (نخشب).

ويقول اليعقوبي: (ان كش هي أعظم مدن الصغد قبل العهد الساماني) وهي مدينة تقوم على نفس طراز المدن القديمة أي من قلعة (قهندز) ومدينة (شهرستان) وضاحية (ربض) ويحيط بها سور له أربعة أبواب.. وكانت دار الامارة خارج القلعة بل خارج المدينة والضاحية في موضع مصلى العيد. ويذكر ابن حوقل ستة عشر رستاقاً ويضم كل

رستاق مجموعة من القرى والمزارع حولها، تابعة لولاية كش واذا اتجهنا شمالاً بعد كش نجد مدينة **نسف** التي اخرجت لنا الامام النسفي المفسر المشهور.. واسم **نسف التركي هو نخشب** وقد حرفه العرب الى نسف.. وقد خربت نسف على يد جنكيز خان في زحفه الرهيب ضد العالم الاسلامي ثم أعيد بناؤها عندما أقام أحد أحفاد جنكيزخان الذين دخلوا في الإسلام قصراً بالقرب منها.. ويسمى القصر بلغة المغول قرش.. ولهذا اطلق على نسف الجديدة اسم قرش. والطريق من بخارى الى نسف حوالي تسعين ميلا (أي ثلاثين فرسخاً). كما أن الرحلة من نسف الى كش تبلغ ثلاث مراحل.. وسنتحدث عن نسف ومن ظهر بها من العلماء في فصل خاص باذن الله فنرجىء الحديث عنها الى حينه...

واذا اتجهنا شمالا مع جيحون ووصلنا الى قريب من مضبه فإننا ندخل منطقة خوارزم التي تعتبر **درغان** أول مدنها.. وقد كانت **درغان** في القرن العاشر الميلادي اكبر مدن الضفة اليسرى (الغربية) بعد كركانج (الجرجانية) وكان بها جامع جميل مزين بالحجارة الكريمة ومنقوش بالذهب.. واشتهرت مزارع درغان وكرومها وزبيبها وعلى مرحلة شمال درغان تقع مدينة سدور التي كان بها مسجد جامع وهي الان اطلال سدفر. وعلى مرحلة ابعد من ذلك كانت تقوم مدينة **هزارسب** المشهورة والتي ظلت محتفظة باسمها الى أيامنا هذه (حسب قول بارتولد).. وعلى بعد ثلاثة فراسخ شمال هزراسب كانت تقع مدينة **كردران خاس** وعلى خمسة فراسخ منها تقوم مدينة **خيوه** عاصمة المنطقة حالياً. وكانت خيوه على طرف الصحراء وبها مسجد جامع.

وجميع هذه المدن التي ذكرناها تشرب من جيحون بواسطة قنوات وكان أكبرها قناة **خيوة** التي كانت تجري فيها السفن الى خيوه.. وكانت قصبة خوارزم في الماضي مدينة **كاث** التي تقع على الضفة اليمنى

(الشرقية) للفرع الرئيسي لنهر جيحون وعلى بعد مرحلة من خيوه.. ولفظ كاث يعني (الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء) كما يقول ياقوت. وهي مقسمة كبقية المدن القديمة الى قلعة ومدينة وربض. وسنذكرها بشيء من التفصيل مع ذكرنا لمدينة الجرجانية (كركانج) عندما نتحدث عن خوارزم ومن ظهر بها من العلماء في فصل مستقل ان شاء الله.

وفي الجرجانية (كركانج) يقترب نهر جيحون من مصبه الأخير في بحيرة خوارزم.. وقد غير النهر مجراه في القرن السادس عشر الميلادي مبتعداً عن كركانج ليصب في بحيرة خوارزم (بحر الارال) بعيداً عن كركانج.

ورغم جريان جيحون في أرض خوارزم الا أن القفار والسهوب تحيط بهذا الاقليم الاخضر في الوقت الحاضر بينما ذكر الاصطخري وجود حزام زراعي متصل العمران يبدأ عند آمل ويربط خوارزم بخراسان وبلاد ما وراء النهر.. وما عدا ذلك فهي قفار ليس فيها رباط ولا نافخ نار كما يقول المقدسي.

وبهذا نكون قد تحدثنا عن نهر جيحون (أموداريا) من منبعه في مرتفعات بامير الى مصبه في بحيرة خوارزم. وسيكون حديثنا بعد هذا عن نهر سيحون (سرداريا).

نهر سيحون (سرداريا) وينبع هذا النهر من مرتفعات بامير الشمالية.. وعموده الاساسي هو نهر قرداريا ثم يتصل به نهر رافد أكبر من قرداريا هو نهر خيلام (ويسمى حالياً نارين). وكان القسم الواقع بين هذين النهرين يسمى ميان روذان (أي ما بين النهرين) واسمه الحالي باللغة التركية ايكي سو أراسي. وهذه المنطقة تقع حالياً في جمهورية قرغيزيا السوفيتية.. وكانت أكبر مدن المنطقة هي خيلام (يذكرها

المقدسي باسم خيرلام) وهي تقع على نهر خيلام (نارين) اول وأهم روافد نهر سيحون.. وكانت خيلام مدينة كبيرة ذات جامع جميل كما يصفها المقدسي.. ويذكر الاصطخري أن خيلام هذه هي مسقط رأس الأمير نصربن أحمد الساماني..

ويتجه نهر سيحون (سرداريا) غرباً من منبعه في قرغيزيا حتى يدخل في جمهورية اوزبكستان عند مدينة خوقند التي اصبحت تابعة لجمهورية اوزبكستان ثم يتجه النهر شمالاً صوب مدينة طشقند (مدينة بنكث القديمة) عبر اقاليم ايلاق واشروسنة والشاش.. ويعرف سيحون في هذه المنطقة باسم نهر الشاش.. وتقع مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان والتي كانت تعرف قديماً بأسم بنكث الى الشرق من نهر سيحون.

ثم يدخل سيحون أراضي جمهورية قازاقستان من جنوبها الغربي ويواصل زحفه شمالا حتى يصب في بحيرة خوارزم (بحر الارال) قاطعاً بذلك الجزء الغربي من جمهورية قازاقستان وفي هذه المنطقة قبل مصبه تقع مدينة اكشميت أي المسجد الأبيض التي اسماها الروس قزيل أورد اي المدينة الحمراء بعد أن خضبوا أرضها بدماء ابنائها الزكية.. وبعد أن رفعوا الاعلام الحمراء على أرضها الطاهرة.. فأصبحت اسماً على مسمى.

ويبلغ طول نهر سيحون (سرداريا) من منبعه الى مصبه ٢٧٠٠ كم يجري خلالها عبر ثلاث جمهوريات اسلامية (سوفيتية) هي قرغيزيا ثم أوزبكستان ثم قازاقستان.

وقد كانت الأراضي الواقعة شرق نهر سيحون تعتبر أرض الكفار الى عام ٣٢٣هـ (٩٤٣م) عندما اسلم خاقان القراخانيين ستوق بغراخان وتبعه بعد ذلك اسلام مائتي الف خيمة من قومه.. وذلك

بفضل الله اولاً ثم بفضل الدعاة الى الله من الصوفية. وكانت الأراضي الواقعة شرق النهر تعتبر أرضاً للكفار الترك من قبائل الغز والتغزغز والقرلوق فتحولوا الى الإسلام كما ذكرنا في القرن الرابع الهجري وظهر منهم الاتراك السلاجقة الذين كانوا دعائم الخلافة العباسية وحكامها في القرنين الخامس والسادس الهجريين.. كما ظهر منهم اتراك الدولة العثمانية الذين رفعوا راية الاسلام في وسط اوروبا.. واحتلوا القسطنطينية على يد محمد الفاتح وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة للخلافة العثمانية.

وكانت المدن الهامة على نهر سيحون (سرداريا) اقل عدداً وشأناً من المدن التي تقع على نهر جيحون.. ومن المدن الهامة التي تذكر في التاريخ الى يومنا هذا مدينة **خجندة (خوقند)** ومدينة **اخسكيت** عاصمة اقليم فرغانة ومدينة **بنكث (طشقند)** عاصمة اقليم الشاش.

أما أكبر مدينتين على الثغور في مواجهة القبائل التركية الكافرة (وذلك قبل اسلامها) فكانت مدينتا **اوش واوزكند**. وكانت اوش تعتبر ثالث مدن فرغانة من حيث الرقعة وتتكون من شهرستان (مدينة) وقهندز (قلعة) وربض (ضاحية).. وكانت دار الامارة والحبس بالقلعة.. وللمدينة سور كبقية المدن القديمة ولها ثلاثة أبواب وكان جامعها وسط السوق.. وكان بالمدينة رباط كبير للمجاهدين (المطوعة). وكذلك كانت اوزكند التي تبلغ ثلثي مدينة اوش. والطريق الكبير من خجندة (خوقند) الى أوش الذي يجتاز الاجزاء الجنوبية لاقليم فرغانة (رحلة ستة أيام) كان يمر على مجموعة من المدن الصغيرة أهمها **مدينة قبا** التي اسميت على أسم قبا الموجودة في المدينة المنورة اما الآن فقد تحول اسمها الى **كوفا** وكانت كثيرة البساتين وتفوق اخسكيت نفسها في الثروة وتظهر بعد ذلك مدينة **مرغينان** في اقليم فرغانة التي أصبحت في عهد

القراخانيين أهم مدينة في هذه المنطقة. وقد وصفها السمعاني بأنها (من أشهر البلاد من نواحي فرغانة) واخرجت لنا عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء.

ومن مناطق فرغانة مدينة انديجان التي تزعم الروايات الشعبية أن بها قبر النبي أيوب وبها المياه التي استشفى بها سيدنا أيوب عندما دعا ربه: «اني مسني الضر».. وهو معروف الى الان باسم حضرت ايوب على بعد ميل ونصف من قرية جلال أباد.

ويتحدث المقدسي عن استشهاد ٢٧٠٠ من الصحابة والتابعين في أقليم فرغانة بالقرب من اسبيذبولان كان قد ارسلهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه تحت امرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعاً في واقعة مع الكفار. ولا يزال هذا الموضع قائماً الى اليوم بنفس الاسم كما يقول بارتولد (وهو أمر غريب لأنه لم يكن معلوم أن المسلمين قد وصلوا الى هذا الحد في توغلهم في بلاد ما وراء النهر). أما خوقند أو خجندة فهي مدينة عظيمة وسنذكرها مع اخسكيت عندما نتحدث عن فرغانة ومن ظهر بها من العلماء بشيء من التفصيل في فصل خاص. وفي خوقند مشهد عبد الله بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وأخ محمد الباقر.. وقد توفي عبد الله بن علي سنة ١١٣ هـ (٧٣١ م). وكذلك يوجد قبر قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح بلاد ما وراء النهر في رباط سرهنك بقرية كاخ في اقليم فرغانة. ويشير الاهالي حتى اليوم كما يقول بارتولد الى مقبرة الإمام الشيخ قتيبة في دائرة جلال كدك من أعمال انديجان.

ويقع اقليم فرغانة حالياً في جمهوريتين هما جمهورية قرغيزيا وجمهورية اوزبكستان التي تقع فيها مدينة خوقند (خوجنده).

وفي فرغانة تقع جبال اسبرة التي وصفها ابن حوقل بأنها (جبال بلق مقطعة سوداء حالكة واخرى حمراء قانية واخرى صفراء فاقعة) ومن

هذه الجبال كما يقول الاصطخري وابن حوقل توجد مناجم الفحم التي كانت تؤخذ من الجبال السود والتي كانت تباع بثمن بخس كل ثلاثة احمال بدرهم وكان وزن الحمل يقرب من تسعين كيلو جراماً. وقد لفت نظر الجغرافيين المسلمين مثل ابن حوقل والاصطخري وياقوت ان لهذا الفحم خاصية عجيبة وهي أنه يصبح شديد البياض بعد احتراقه، فتبيض به الثياب ويصف ياقوت اقليم فرغانة بقوله: «مدينة وكور واسعة وراء النهر (المقصود هنا سيحون) متاخمة لبلاد تركستان (المقصود بتركستان هنا موطن القبائل البدوية التركية التي لم تكن قد دخلت الاسلام) من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخيرات واسعة الرستاق.. يقال كان بها أربعون منبراً (أي مسجداً جامعاً تقام فيها الجمعة) بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً ومن ولايتها خجندة (خوقند) وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الاعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الآخذ منه).

أما الاصطخري فقد وصف فرغانة بإنها «اقليم عريض على سعة مدنها وقراها وقصبتها (أي عاصمتها) أخسكيت.. وليس بما وراء النهر اكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة اهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم».

وهكذا نرى في اقليم فرغانة مجموعة من المدن وتتبع كل مدينة مجموعة من القرى والارياف الكثيرة الخيرات الوافرة الثمرات.. وأهم مدن هذا الاقليم هي: أخسكيت العاصمة تليها خجندة أو خوقند تليها ميرغينان تليها قبا المسماة الان كوفا تليها انديجان تليها مدينة كاسان.. تليها مدينتا نجم وكروان الواقعتان في شمال فرغانة.. ويذكر المقدسي أربعين مدينة في فرغانة بمسجد جامع.. وكان المسجد الجامع لا

يقام إلا في القرية الكبيرة أو المدينة.. أما القرى الصغيرة فلم يكن بها مسجد جامع.. وكان لكل مدينة مسجد جامع واحد فقط...

وقد اشتهرت فرغانة بثروتها المعدنية فقرب اخسكيت العاصمة وفي نقاد ومواضع أخرى كانت توجد معادن الذهب والفضة.. وقرب سوخ - يستخرج الزئبق وفي نسيا العليا - يستخرج الزفت والنفط والاسبيستوس والذهب والفضة والفيروز والحديد والصفر (النحاس) والآنك (الرصاص) وكما يقول بارتولد فإن فرغانة هي أحدى بلاد الإسلام القليلة التي يستخرج منها ملح النشادر (قرب اوزكند).

وتعتبر المنطقة الواقعة بين سمرقند وخجند (أي مائة وأربعة وثمانون ميلا) داخله ضمن **ولاية اشروسنة** وكانت الرحلة تستغرق ثمانية أيام بالراحلة وتقع بينهما عدد من المدن هي **باركث ورباط سعد وزامين وساباط واركند وشاوكت.. وكانت عاصمة اشروسنة بعيدة عن هذا الطريق وهي بنجكث** وهي الآن اطلال تقع الى الجنوب الغربي من اوراتبه (على بعد ١٦ ميلا).

وثاني مدن اشروسنة هي زامين تليها جيزك.. وفي أشروسنة توجد مناجم الفضة بالقرب من مدينة خشت.. وقد كان باشروسنة قريب من أربعمائة حصن، مما يدل على تخوفهم من غارات القبائل البدوية التركية في ذلك الوقت.. وفي هذه المنطقة كان يوجد حصن الافشين الأكبر الذي كان أكبر قواد الدولة العباسية في عهد المعتصم وهو في منطقة تعرف باسم رستاق مينك وبناحية منك ومرسندة كان يستخرج الحديد الذي تصنع منه الآلات والاسلحة بفرغانة والذي يصدر الى كافة البلاد حتى يصل بغداد..

وفي اشروسنة تقع جبال البتم التي بها معادن الذهب والفضة والزاج والنشادر.. والى الشمال الشرقي من اشروسنة وعلى الضفة اليمنى

(الشرقية) لنهر سيحون (سرداريا) كانت تقع ولايتا **ايلاق والشاش** اللتان كانتا تكونان من الناحية الجغرافية وحدة لا تتجزأ.

والمقصود من **ايلاق هو وادي نهر انجرين اما الشاش فيقصد به وادي نهر شرشيق (جيرجيق)** اللذان يعتبران روافد لنهر سيحون.

وقرب فم نهر انجرين كانت تقوم مدينة **بناكت** اما قرب فم نهر جيرجيق فكانت تقوم مدينة **نجاكت**.. وقد خرب المغول بناكت واعاد بناءها تيمورلنك وأسماها شاهرخيه على اسم ولده القائد الشجاع شاهرخ. واما اهم مدن الشاش فهي طشقند التي كانت تعرف باسم بنكت.. والتي تعتبر اليوم عاصمة جمهورية اوزبكستان بأكملها.. وسنتحدث عن طشقند عند حديثنا عن الشاش ومن ظهر بها من العلماء في فصل خاص. وتعتبر اشروسنه والشاش وايلاق جزءاً من جمهورية اوزبكستان في الوقت الحاضر. وتشتهر الشاش بالاضافة الى منتوجاتها الزراعية بانتاجها الوفير من معدن الفضة..

(ومعدن الشاش يرد ذكره كثيرا على السكة حتى في العصر العباسي) كما يقول بارتولد.

اما عاصمة **ايلاق فهي تونكث** التي لم يستطع الباحثون تحديد موقعها الى اليوم كما يقول بارتولد. ويذكر بارتولد سورا عظيما يمتد الجزء الغربي منه أربعة وعشرين ميلا وهو الحاجز المعروف باسم كمبير دوال اي الحائط العجوز لأنه بني قبل حوالي الف ومائتي عام وينسب بناؤه الى عبد الله بن حميد بن ثور الذي تولى حكم خراسان وما وراء النهر عام ٧٧٦م.. وقد بني هذا الحائط الضخم ليمنع غارات القبائل التركية البدوية التي لم تكن قد دخلت في الاسلام آنذاك... وكان عدد مدن الشاش وايلاق كبيرا فيذكر المقدسي ٣٤ مدينة بالشاش و١٧ مدينة بايلاق.. وعلى عهد السامانيين كانت ولاية **اسفيجاب**، وهي

الأرض المزروعة في حوض نهر أريس (احد روافد سيحون) تعتبر من بلاد النهر وهي ثغر هام في وجه قبائل الترك الكافرة في ذلك الوقت.. ويبدو ان مدينة اسفيجاب التي تهدمت هي الآن قرية سيرام ذاتها كما يقول بارتولد ولقد كانت اسفيجاب تعج بالمجاهدين (المطوعة) الذين كان الأغنياء والأمراء يبنون لهم الأربطة وينفقون عليهم بسخاء. بل كان كل اهل مدينة من مدن ما رواء النهر مثل سمرقند وبخارى ونخشب يبنون لمتطوعيهم اربطة خاصة بهم. وكانت تدخل ضمن ولاية اسفيجاب جميع الأراضي الممتدة صوب وادي تلاس وصوب الشمال الغربي لتشمل سوران (صبران).

وقد كانت ولاية اسفيجاب تخرج كما يقول المقدسي سبعين الف مجاهد.. ولعله يقصد عدد المجاهدين الموجودين فيها من مختلف المناطق. وتقع اسفيجاب في جمهورية قازاقستان (في الجزء الجنوبي الغربي منها)..

وكانت ولاية فاراب تقع الى الشمال من اسفيجاب على الشط الأيسر (الغربي) لنهر سيحون اي في جمهورية قازاقستان الحالية.. ولفارأب عدة قرى منها قرية وسيج مسقط رأس الفيلسوف المشهور إبي نصر الفارابي ويذكر المسعودي ان نهر سيحون (سرداريا) كان يفيض احيانا في نواحي فاراب فيغمر مساحة من الأرض تزيد على ثلاثين فرسخا (٩٠ ميلا) وان القرى كانت تصبح كالقلاع على رؤوس التلال حتى كان الأهالي يلجأون الى استعمال الزوارق للانتقال.

وكانت سوران أو صبران من الثغور المواجهة للكفار الترك آنذاك ولذا كانت محكمة التحصين مليئة بالمجاهدين (المطوعة).. وشمال سوران كان نهر سرداريا يجتاز مفازة الترك الغزية (في جمهورية قازقستان الحالية).. وعلى مرحلتين من مصبه في بحر خوارزم (بحر الارال) كانت تقع مدينة ينيكنت (أي المدينة الجديدة) وتسمى أيضاً شهركنت وهي

الآن اطلال جنكنت الواقعة جنوبي سرداريا على بعد ثلاثة اميال من قلعة امارة خيوه المعروفة باسم جان قلعة.. وغير بعيد من ينيكنت كانت تقوم مدينة جند ومدينة جواره.. وكان جميع سكان هذه المدن من المسلمين منذ ما يقرب من الف عام.. رغم ان المناطق المحيطة بهذه المدن كانت لا تزال وثنية. وذلك بسبب نشاط تجار خوارزم.

وقد وقع مصب النهر في ايدي المسلمين منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على يد سلجوق، بينما كانت المنطقة الواقعة بين جند وفاراب من ارض الكفار الى القرن العاشر الميلادي..(الرابع الهجري).

وكانت عاصمة القبحاق غير المسلمين هي سغناق التي بقيت اطلالها في سناق قرغان كما يقول بارتولد.

وخلاصة القول ان نهر سرداريا (سيحون) من منبعه الى مصبه اصبح نهرا اسلاميا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الا منطقة بسيطة منه تقع بين جند وفاراب.. ومع هذا لم يأت القرن الحادي عشر الميلادي الا وقد دخلت هذه المنطقة ايضاً في دين الله.

وبهذا نكون قد تحدثنا بايجاز عن النهرين العظيمين جيحون (أموداريا) وسيحون (سرداريا) من منبعهما الى مصبهما.. وتحدثنا عن الأراضي الواقعة بينهما.

وفي الفصل التالي سنتحدث باذن الله أولاً عن تركستان الشرقية (التي تستعمرها الصين) من الناحية الجغرافية والتاريخية ووضعها الحاضر وثرواتها وثوراتها.. وفي الفصول التالية سنتحدث عن التركستان الغربية وعن جغرافيتها ومناطقها وتاريخها منذ ان فتحها الله على المسلمين الى ان نكبت بالغزو الروسي القيصري ثم تلاه ما هو أدهى وأمر وهو الغزو الروسي البلشفي.. وسنتحدث عن مناطقها وثرواتها وثوراتها بايجاز..

ثم نفرد الفصول التالية للمناطق المشهورة من التركستان الغربية ومن ظهر بها من العلماء فنبدأ بمدينة بخارى ثم سمرقند ثم خوارزم ثم ننتقل الى فرغانة وفاراب ونسف وترمذ وبيهق ثم نعود الى خراسان نقطة انطلاق الجهاد الاسلامي في بلاد ما وراء النهر ونصف حالها سابقا ولاحقا وما آلت اليه من تقسيم.. ونذكر مرو عاصمتها بشيء من التفصيل ومن ظهر بها من العلماء والمشاهير.(في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله).



الفصل التاسع

تركستان الشرقية

تعد تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة من المناطق الهامة بالنسبة للصين الشيوعية رغم ان اغلبها قفار وصحارى.. ذلك لأن بها ثروة معدنية وبترولية هامة.. وتعتمد الصين اعتمادا كبيراً على معدن اليورانيوم الذي ظهر في التركستان الشرقية في تصنيع مفاعلاتها النووية ومن هذا المعدن تمكنت الصين من صنع قنبلتها النووية، واللحاق بالنادي النووي..

وتبلغ مساحة تركستان الشرقية ١,٧١٠,٧٤٥ كم مربعا.. وقد كان يسكنها ما يقرب من خمسة عشر مليون تركستاني أُبيد أكثرهم في الثورات المتعددة التي قاموا بها في وجه الاستعمار الشيوعي الصيني.. وفي أعمال السخرة التي فرضتها عليهم الصين الشيوعية.. وفي المجاعات المتكررة التي نكبت بها التركستان الشرقية بعد الاستعمار الصيني.. حتى بلغ تعداد التركستانيين حاليا اقل من ثمانية ملايين بينما زاد المستوطنون الصينيون الى عدة ملايين تماما مثلما فعلت اسرائيل في فلسطين عندما قتلت وشردت سكانها العرب وأحلت محلهم أشتات اليهود من مختلف اصقاع الأرض..

وأغلب ارض التركستان الشرقية صحارى وتنقسم اراضيها الى قسمين بواسطة سلسلة جبال تنغري الممتدة من هضبة بامير في الشرق الى حدود الصين في الغرب.. فالقسم الشمالي يعرف بحوض جونغاريا (زونغاريا) وأغلبه صحارى ومراعي والقسم الجنوبي يعرف بحوض نهر تاريم الذي ينبع من جبال قرة قوروم ويصب في بحيرة قرة بوران ويبلغ طوله ١٦٠٠ كم.. ونتيجة لوجود هذا النهر فان الأراضي التي يمر بها خصبة وزراعية واما باقي الأراضي فهي مراعي او صحارى جدبة. والجدير بالذكر ان معظم انتاج القطن في الصين وفي الاتحاد السوفيتي انما هو من اراضي التركستان.. واذا جمع انتاج تركستان الشرقية والغربية من القطن فانها بذلك تكون الدولة الأولى في العالم لانتاج

القطن. وكذلك فان الثروة الحيوانية لتركستان الشرقية كبيرة جدا.. اما الثروة المعدنية فهي هائلة جدا.. فمن جبال التاي في تركستان الشرقية يستخرج الذهب والفضة ويوجد البترول بكميات كبيرة في تركستان الشرقية ويبلغ احتياطي البترول فيها حسب احصائيات ١٩٦٤م، (وليست لدي احصائيات حديثة) ١٦٠ مليون طن من البترول ويوجد اليورانيوم في خمس مناطق من مناطق التركستان الشرقية.. وبكمية وافرة وانواع جيدة.. وهو الذي مكن الصين من صنع قنبلتها النووية. ويوجد الذهب في خمسين منطقة والحديد في ٤٦ منطقة والفحم في ٧٠ منطقة والقصدير في ١٣ منطقة والزئبق في ٦ مناطق. وفي عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩م) اكتشفت مناطق واسعة للفحم وقدر الاحتياطي الموجود بـ ٦٠٠ مليون طن ويبلغ عدد سكان تركستان الشرقية ١٥ مليوناً وأهم مدنها كاشغر ذات التاريخ المجيد التي كانت زاخرة بالمعاهد العلمية والمساجد وتسمى اليوم (شوفو) وأورموجي العاصمة وسكان تركستان الشرقية مسلمون سنيون الا قبيلة التاجيك فهم شيعة اسماعيلية. وقبائل التركستان الشرقية هم الايغور والقازاق والقيرغيز والاوزيك واتراك الدولان والتاجيك والتتار.. وأشهر المدن في هذه المنطقة هي اورموجي وهي العاصمة وقد غير الصينيون اسمها الى تيهوا، وكاشغر المدينة التاريخية الاسلامية التي اسماها الصينيون شوفو، وبارقند المسماة سوجي وخوتان (هوتين) وأقصوا المسماة (ونسوه).

وقد دخل اهل التركستان الغربية في الاسلام منذ دخل قتيبة بن مسلم الباهلي ارضهم عام ٨٦ هـ (٧٠٥م) إلا ان مناطق تركستان الشرقية لم تدخل في الاسلام الا أفراداً قلائل حتى عام ٣٢٣ هـ. (٩٤٣م) عندما اسلم خاقان الامبراطورية القراخانية المسمى ستوق بوغراخان.. فانتشر الاسلام بعد ذلك انتشارا عظيما في جميع اراضي التركستان الشرقية. اما تركستان الغربية فقد سبقت الى الاسلام منذ

ايام قتيبة بن مسلم الباهلي عندما اسلم ملك بخاري طغشادة بن الخاتون والذي سمي ابنه قتيبة تيمناً باسم القائد المسلم العظيم..

ومنذ ذلك الحين صار جميع اهل التركستان من أشد الناس حماساً للاسلام ودفعا عنه وظهر منهم العباقرة العظام في كل فن.. وخاصة من مناطق تركستان الغربية التي سنتحدث عنها وعنهم فيما بعد.. ورغم ان قتيبة بن مسلم الباهلي قد احتل كاشغر الا ان سلطة المسلمين على التركستان الشرقية كانت ضعيفة جدا آنذاك حتى دخل ستوق بغراخان الاسلام عام ٣٢٣ هـ كما تقدم ولقد كان اتراك التركستان الشرقية قبل الاسلام مجموعة من القبائل البدوية القوية الشكيمة التي تعيش على الرعي والسطو والنهب وخاصة المناطق الخصبة من التركستان الغربية.. وكانت هذه القبائل المختلفة مثل القارلوق أو الغز او التغزغز يشكلون خطرا على المدن الاسلامية مثل بخارى وسمرقند ولذا كانت الأسوار حولها تمتد مسافة ١٢ فرسخا (٣٦ ميلا) لتشمل المدينة وقراها.

وفي عهد العباسيين وانتظام دولتهم وبلوغها شأوا بعيدا انتقل المسلمون من الدفاع الى الهجوم فكانت الغزوات تذهب ضد هذه القبائل وتفتح أرضهم كما كانت تتصدى للقوات الصينية التي كانت تتحالف مع هذه القبائل ضد المسلمين وفي سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م) دارت معركة طاحنة بين القوات الاسلامية بقيادة زياد بن صالح والقوات الصينية بقيادة كاوهسن شت[١] وذلك عندما اعتدت القوات الصينية على سوياب وخربتها ثم قتلت عامل الشاش الذي استنجد بالقوات الاسلامية وكانت نتيجة المعركة قتل خمسين الف من قوات الصين وأسر عشرين الف منهم.. وكان هذا النصر عاملاً حاسماً جعل الصين تبتعد عن

(١) وقعت هذه المعركة الحاسمة المعروفة باسم معركة طلاس بقيادة القائد الكوري الاصل كاوهسن شيه عندما طلب حاكم فرغانة معونة الصين ضد حاكم الشاش المتحالف مع المسلمين .. وانضمت قوات ابو مسلم الخراساني الى قوات زياد بن صالح والتقى المسلمون والصينيون على أبواب مدينة طراز على يد طلاس (في قيرغيزيا اليوم).

التدخل في شئون تركستان الشرقية وعندما بعث أمير أشروسنه في العام التالي أي عام ١٣٥ هـ (٧٥٢ م) يطلب معونة الصين ضد المسلمين آثرت الصين عدم التدخل بعد الدرس القاسي الذي لقنته اياها القوات الاسلامية. وقد بذل العباسيون جهودا ضخمة في تفتيت قوى القبائل الكافرة التي كانت تغير على المناطق الاسلامية في التركستان الشرقية كما بعثوا الدعاة الى الله لنشر الاسلام وبعث المهدي رسله الى أخشيد الصغد (الأخشيد لقب تركي بمعنى الأمير أو الحاكم) وأخشيد أشروسنه وملك فرغانه وخان القزلوق وخاقان التغز وملك التبت.. واعترف هؤلاء جميعا بسلطة الدولة العباسية عليهم ورضوا بدفع الجزية..

وعندما قامت الحرب بين الأمين والمأمون نقض هؤلاء جميعا عهدهم وتوقفوا عن دفع الجزية ولكنهم عادوا الى الصلح ودفع الجزية عندما استتب للمأمون امر الخلافة.. وقام العباسيون وخاصة في عهد المأمون ثم بصورة أوسع في عهد المعتصم باستخدام هؤلاء الترك في الجيوش الاسلامية فقد أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي والي خراسان ايام الرشيد فرقة من الاتراك بلغ عددها خمسون الف مقاتل سماهم العباسية.. كما اشترك في قوات الأمير علي بن عيسى رجال من الصغد.. وكان في جيش طاهر بن الحسين سبعمائة من الخوارزمية.. وجعل المأمون عدداً من حرسه الخاص من الاتراك.. اما في عهد المعتصم فقد تفوق العنصر التركي تفوقا حاسما في جيش الخلافة وكان حرس المعتصم الخاص مكوناً من الاتراك من فرغانة واشروسنه والصغد والشاش وبدأ الأتراك أنفسهم يتبنون حركة الجهاد بين جيرانهم من القبائل التركية التي لم تسلم بعد. يقول البلاذري في فتوح البلدان (المعتصم بالله حل شهود عسكره من جند أهل ما وراء النهر من الصغد والفراغنة والأسر (أي أشروسنه) وأهل الشاش وغيرهم، وحضر ملوكهم بابه، وغلب الاسلام على ما هناك، وصار اهل تلك البلاد يغزون من وراءهم من الترك

ففتح مواقع لم يصل اليها احد قبله).

وواصل السامانيون الذين تولوا أمر بلاد ما وراء النهر وخراسان في عهد المأمون والمعتصم ومن جاء بعدهم من الخلفاء العباسيين - واصلوا سياسة الاندفاع في التركستان الشرقية وقاموا بحملة على بلاساغون القريبة من الحدود الصينية ووقع ابن الخاقان أسيراً في ايديهم. وكما يقول الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه (الاسلام في آسيا الوسطى)« والدور الخالد الذي قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب انما كنسبهم عالم الأتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية.. لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد الحقة بالسيف من ناحية (لاخضاع القوة المعادية) (والتبشير السلمي من ناحية أخرى) ».

وقد نشطت مدارس بخارى وسمرقند في نشر الاسلام بين مختلف القبائل التركية.. وكان أوج نشاطها في القرن الرابع الهجري الذي يعتبر بحق عصر الدعوة الشاملة الى الاسلام بين الاتراك الشرقيين. واشترك في هذه الجهود المباركة الفقهاء والصوفية والتجار والأمراء وقد تقدم ذكر اسلام ساتوق بغراخان ملك القراخانيين واسلام مائتي الف خيمة معه في عام ٣٢٣ هـ (٩٤٣ م) وذلك على يد مجموعة من الدعاة الى الله من الصوفية ويقول بارتولد: (لقد قام هؤلاء المتصوفة بدور كبير الى جانب الفقهاء فالفقهاء يخاطبون الطبقة المثقفة والصوفية يتعمقون بالعقيدة في نفوس طبقات السذج والعوام.. ويكسبون قلوب الجماهير في مناطق البدو بحياتهم المتقشفة وسيرتهم وزهدهم وعمق ايمانهم وصدق دعوتهم).

ولقد شهد هذا القرن التوفيق بين التصوف والفقه وانطلق الجميع حتى التجار في نشر الاسلام بين مختلف القبائل التركية الوثنية وبهذا استطاع الدعاة الى الله ان يكسبوا الى صف الاسلام ملايين الأفراد من

القبائل التركية في فترة وجيزة من الزمان.. ولم يكونوا وحدهم في الميدان وانما كان دعاة النصرانية ودعاة البوذية ايضا يقومون بنشاط ضخم لكسب هؤلاء الأتراك اليهم.. وكتب الله النصر لدعاة الاسلام الذين استطاعوا ان يكسبوا الى صف الاسلام جميع القبائل التركية التي كانت الى ذلك الوقت وثنية.. بل واستطاعوا ان ينقلوا الدعوة الى الصين ذاتها والى أعماق روسيا حتى جعلوا نهر الفولجا نهرا اسلاميا خالصا من منبعه الى مصبه.

وكان أول من أسلم من الأتراك الشرقيين هم قبائل القرلوق الذين عرفوا فيما بعد باسم التركمان (وهي لفظة فارسية اصلها تورك مافند ومعناها أشباه الترك) أما قبائل الغز والتغزغز فقد ظهر منهم السلاجقة الذين حكموا دار الخلافة الاسلامية في بغداد ذاتها واصبح نفوذهم أقوى من نفوذ الخليفة العباسي ذاته، وبلغت دولتهم في عهد ملكشاه أقصى مداها والذي اضاف الى ارض الخلافة العباسية جزءاً كبيراً من الأناضول الذي كان عقر دار الامبراطورية البيزنطية. وبذلك كان يحكم رقعة واسعة من حدود الصين شرقاً الى الأناضول غرباً.

وبذل السلاجقة جهودا كبيرة في دعم دولة الخلافة وفي نشر الاسلام وكذلك فعل القراخانيون بعد اسلام ملكهم ساتوق بقراخان الذي تلقب حفيده هارون بن موسى بلقب شهاب الدولة وظهير الدعوة ونقش هذا اللقب على السكة (النقود) التي ضربها بايتاق سنة ٣٨٢ هـ - (٩٩٢ م).

ولعب القراخانيون دوراً في نشر الاسلام في المناطق الشرقية التي لم تسلم بعد واستشهد خان كاشغر وهو من القراخانيين سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٨ م) اثناء جهاده في نشر الاسلام في المناطق الواقعة شرق كاشغر. وفي عام ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ م) استطاع القراخانيون ان يكسبوا الى صف الاسلام اكثر من عشرة آلاف خيمة من خيام القرغيز (أي ما لا يقل عن

خمسين الف قرغيزي).

واتجه القراخانيون ايضا صوب نهر الفولجا ينشرون الاسلام بين سكانه. ونشروا الاسلام على جانبي جبال تيان شان.. واظهروا خضوعهم للخليفة العباسي واتخذوا لقب موالي امير المؤمنين وضربوا العملة باسم الخليفة القادر ودعوا له على منابر بلادهم واتخذ ملكهم ايلك خان لقب ناصر الحق. وسرعان ما تحولت ابجديتهم اليغورية وثقافتهم الصينية الى الحرف العربي والطابع الاسلامي الصرف. وقد احتل جنكيزخان هذه المناطق ثم اسس تيمورلنك امبراطوريته وكانت عاصمة دولته سمرقند في تركستان الغربية.. ولكنه لم يستطع ان يستولي على جميع اراضي تركستان الشرقية رغم انه فتح معظم دول العالم القديم حتى وصلت جيوشه روسيا وبولندا وهزم الدولة العثمانية والدولة الصفوية الشيعية في ايران.

واستمرت تركستان الشرقية تحكمها خانات وخان كلمة تركية تعني سلطان او حاكم. وفي عام ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) ثار احد شيوخ الطرق الصوفية على الخان وهو من الأسرة الجغتائية[١] التي حكمت تركستان الشرقية لعدة قرون واستولى الشيخ هداية الله خوجة الصوفي على الحكم.

ثم انتشرت بعد ذلك الفتن الداخلية فاستولت الأسرة المنشورية على الحكم في التركستان وضمتها الى امبراطوريتها التي كانت تضم الصين ومنشوريا ومنغوليا.. واستمرت تحكم التركستان حتى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م).

وقد حاولت هذه الأسرة محو الاسلام من تركستان الشرقية فباءت

---

(١) الاسرة الجغتائية نسبة الى جغتاي بن جنكيز خان والتي حكمت بلاد ما وراء النهر وقد دخل احفاد جغتاي في الاسلام وخرج منهم مجموعة من خيرة الحكام العادلين الزاهدين مثل (طرمشيرين).

بالخسران واذاقت شعب تركستان الشرقية صنوف العذاب.. وقامت ثورات متعددة ضد حكمهم ابتداء من حركة حميد الله بك عام ١١٧٧ هـ (١٧٦٣ م) ثم حركة جهانكيزخان عام ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م) الى ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) ثم حركة يوسف خان خوجة عام ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ثم استقلت التركستان عن حكم الامبراطورية الصينية المنشورية عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) واستمر استقلالها ١٤ عاماً ثم اخضعت مرة اخرى عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) واستمر حكم الامبراطورية الصينية حتى عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) ثم بدأت تركستان الشرقية ثوراتها منذ ذلك العهد حتى نجحت ثورة الحاج خوجة نياز وصالح دورغا المعروفة باسم ثورة القمول وذلك في فبراير ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وتكونت حكومة وطنية تركستانية عاصمتها كاشغر وذلك في ١٢ نوفمبر ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) ثم قامت روسيا البلشفية بالهجوم على تركستان الشرقية واخضعتها لسيطرتها لفترة عشر سنوات من عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) حتى عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) بعد ان قامت القوات البلشفية باجتياح البلاد وتعذيب كل من ابدى اي نوع من المقاومة وحطمت كثيراً من المساجد والمعاهد الدينية وعند دخول روسيا الى تركستان الشرقية عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) أعدمت الحاج خوجة نياز رئيس الجمهورية ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة التاي وعثمان اوراز قائد مقاطعة كشغر ويونس بك وزير الدولة وطاهر بك رئيس مجلس النواب وعدد كبير من الوزراء والشخصيات البارزة.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية انشغلت روسيا بالحرب القاسية الضروس التي شنتها عليها المانيا النازية.. وانهزمت القوات الروسية أمام القوات النازية واضطرت الى الانسحاب الى داخل الأراضي

الروسية واضطرت موسكو الى ارخاء قبضتها الحديدية على المناطق الاسلامية وخاصة تركستان الشرقية، لبعدها عنها ولانشغالها بالحرب واستغل الفرصة حاكم تركستان الشرقية الصيني الأصل والذي كان معينا من قبل الروس فاتصل بشينج كاي شيك الذي ارسل قواته واحتل التركستان وطرد الروس شر طردة.

وثار اهالي التركستان الشرقية في هذه الاثناء وحاولوا تكوين حكومة وطنية.. وايدتهم روسيا التي طردتها قوات شانج كاي شيك. وأُعلن الاستقلال في ١٣٦٣ هـ (٧/ ١١/ ١٩٤٤ م) تحت قيادة علي خان تورة.

ولكن روسيا تراجعت عن تأييدها للثورة والحكومة الجديدة وأعادت الاتصال بالصين.. وظهرت روسيا بدور الوسيط بين الثورة والحكومة الصينية وسلمت روسيا الصين هذا الخطاب بواسطة سفيرها: (لقد راجعت قنصلية الحكومة السوفيتية في ايلى وزارة الخارجية في موسكو واخبرتها بقيام ثورة ضد الصين واخبرتها باقتراح الثائرين وعلى هذا فان الثائرين يرجون ان تتوسط الحكومة السوفياتية بين الحكومة وبينهم فاذا ما وافقت الحكومة الصينية فان الحكومة السوفيتية مستعدة للقيام بالوساطة عن طريق قنصليتها هناك).

وفعلا توسطت روسيا حتى توجد لنفسها مكانا في تركستان الشرقية.. وكانت نتيجة المفاوضات حكومة وطنية محلية على ان تبقى امور الدفاع والخارجية بيد الصين ويعين رئيس الوزراء من قبل الحكومة الصينية.. وتم الاتفاق على ذلك في ١٥ يونية ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م). وقام الروس في هذه الأثناء باختطاف علي خان تورة ونقلوه الى روسيا خوفا من ان يدبر ثورة على هذه الحكومة التي يهيمن عليها الصينيون وضمنت روسيا نفوذاً قوياً في ايلى وتار بغتاي واكتاي

نتيجة هذا التحالف الصيني الروسي.

وثار الأهالي على هذه الحكومة رغم ذلك فاضطرت الصين الى تعيين تركستاني مسلم على رأس هذه الحكومة وهو الدكتور مسعود صبري ومعه يوسف الب تكين وقاومت روسيا هذه الحكومة الجديدة بإثارة القلاقل الداخلية لها بواسطة الشيوعيين المحليين عملائها وقد كان شعار هذه الحكومة «نحن اتراك، ديننا الاسلام ووطننا تركستان»..

ولهذا رأت روسيا ان هذه الحكومة تشكل خطرا عليها لأنها ستثير في المستقبل اهالي تركستان الغربية.. حيث ان دعوتها الى اقامة وطن لتركستان يهدد المناطق الواسعة من تركستان الغربية التي تخضع لحكم الروس: وكانت روسيا في ذلك الوقت تمهد لقيام ثورة ماوتسي تونج الذي اطاح فيما بعد بحكومة شانج كاي شيك.. وحول الصين بكاملها الى دولة شيوعية واتصلت روسيا بحاكم تركستان السابق الجنرال جانج جي جونج وهو صيني وكان قد عزل عن منصبه كرئيس لوزراء التركستان الشرقية وجعل حاكما عسكرياً للمنطقة الشمالية الغربية من الصين.. وطلبت منه روسيا التعاون مع الحزب الشيوعي الصيني على ان يبقى هو حاكما لهذه المناطق.. وأمدته روسيا بالعون العسكري والمادي..

وقام الجنرال جانج الذي اتفق مع الروس سراً باقناع شانج كاي شيك بتغيير حكومة الدكتور مسعود صبري.. ووضع احد عملاء روسيا وهو برهان شهيدي في منصة الحكم من اجل كسب ود روسيا وضمان توقفها عن اثارة الأزمات الداخلية لشانج كاي شيك بواسطة الحزب الشيوعي الصيني.

واستطاعت قوات ماوتسي تونج ان تطيح بحكم شانج كاي شيك ودخلت قوات لين بياوبكين عام ١٩٤٩ م واصبحت بكين عاصمة الصين الشعبية الشيوعية.. وسرّت بذلك روسيا ولكنها رغم ذلك لم تحب ان ترى التركستان الشرقية تسقط في يد الصين الشيوعية رغم التحالف الوثيق بينهما آنذاك لأن روسيا نفسها كانت تطمح في جعل تركستان الغنية بمعادنها وبترولها تقع تحت تأثير نفوذها وهيمنتها.. ولا تزال تركستان من اهم أسباب الصراع بين الرفيقين الشيوعيين الصين وروسيا.

ولذا بادرت قوات ماوتسي تونج تحت تأثير نصائح جانج جي جونج الحاكم السابق لتركستان بالهجوم على تركستان الشرقية واحتلالها قبل ان تقع في قبضة الروس وسيطرتهم.

ورغم ان تركستان الشرقية كانت خاضعة الى حد كبير لحكم الصين الوطنية ولا تزال بها قوات كبيرة الا ان قائد هذه القوات الجنرال تاو سلم تركستان الى الشيوعيين بدون مقاومة..

وقام الأهالي بالدفاع عن انفسهم ضد الغزو الصيني الشيوعي ووقعت معارك هائلة طاحنة بين اهالي التركستان يعاونهم بعض جنرالات شانج كاي شيك الذين رفضوا التسليم للصين الشيوعية ضد قوات ماوتسي تونج.

وغزت القوات الشيوعية الصينية تركستان الشرقية وفي اكتوبر ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) تم الاستيلاء عليها.

وقامت الصين الشيوعية كما هو معهود في الأنظمة الشيوعية البوليسية بالفتك بأهالي التركستان واذلالهم وأعدمت جميع العناصر الوطنية والمتدينة جسديا. وزج بالآلاف في السجون ثم قامت الحكومة الصينية الشيوعية بتشريد الأهالي واحلال الجنود الصينيين محلهم وفي

بيان اذاعته اورموجي في ١٣٧٣ هـ (١/ ١/ ١٩٥٣ م) اعترفت الصين الشعبية باعدام ١٣٠,٠٠٠ من التركستان الشرقية المعادين للشيوعية كما حكم على ٢٦٨,٠٠٠ شخص بالسجن مع الاشغال الشاقة لعدم اطاعة اوامر الحزب.

وطردت الأهالي من مزارعهم ومراعيهم واستولت عليها ومما ساعد على ذلك ان الصين قد ضاقت بأهلها وان التركستان تكاد تكون خالية وفي خلال بضع سنوات نقص سكان التركستان الأصليين من ١٥ مليون الى سبعة ملايين فقط نتيجة المجازر الدموية والتشريد والهجرة.. وحل محلهم صينيون وصودرت الأراضي الخصبة واعطيت للجنود الصينيين لزراعتها حسب النظام الشيوعي الصيني.. واعطيت الأراضي الجدبة لأهالي التركستان ايضا حسب النظام الشيوعي وهو نظام الكوميون حيث تكون مجموعة من البشر تزرع الأراضي دون ان تملكها او تملك اي شيء من منافعها ويعيشون حياة الحيوانات او أقل.، تحت ظروف عمل شاقة وقاسية.. وليس لهم الا وجبة بسيطة خشنة كل يوم.. وبدلة واحدة من ارخص القماش في السنة كلها. وسقط الآلاف نتيجة الارهاق والمرض وأعمال السخرة وحطم النظام الأسري اذ كانت كل مجموعة من الرجال تسكن بعيدا عن اسرها ولا يسمح باجتماع الزوجين الا مرة واحدة في الاسبوع واحيانا مرة واحدة في الشهر.. واذا مات احدهم دفن في حفرة دون ان يغسل او يكفن او يصلى عليه.. ودون ان يراه اهله.. لأن في ذلك تعطيل للانتاج !!.

وكل من ابدى مقاومة لهذا النظام الاستبدادي الطاغي كان يلاقي اشد انواع التعذيب مثل قلع الأظافر وسلخ جلد الرأس والجسم وادخاله في ثلاجات.. وضربه بالسياط السلكية حتى يتقطع لحمه

ويتناثر.. وقد قامت الصين الشيوعية بتحطيم المساجد وتحويلها الى اسطبلات ونواد وأحرقت المصاحف وديست بالنعال.. وخاصة ايام الثورة الثقافية التي عمت الصين في أواخر أيام ماوتسي تونج.

وقد أجبر المسلمون على تربية الخنازير.. ومنعوا من الصيام والحج.. ومن وجد منهم يصلي فانه يكون قد خان تعاليم ماو الآله الجديد. وعليه فانه يواجه مزيداً من اعمال السخرة فان تكرر ذلك منه فانه يواجه التعذيب والسجن..

ووضعت الملصقات في كل مكان تنادي (الدين ضد العلم) (الدين افيون الشعوب) (الاسلام اختراع اغنياء العرب) (الاسلام دين رجعي خرافي) (الاسلام في خدمة الاستعمار) الخ.......

وقاموا بالغاء اللغة المحلية التي تكتب بالعربية ونشروا اللغة الصينية في المدارس بدلا عنها.. ومنع تدريس الدين في المدارس بل في ما بقي من المساجد كما منع الحج الى بيت الله الحرام.. واحرقت المصاحف حتى الاستماع الى الاذاعات الأجنبية منع. وامروا المسلمين بالتحدث عن ماوتسي تونج باسم (الاله الحي) كما امروا بتخصيص غرفة من كل غرفتين للرفاق الجنود الصينيين الذين اجبروا على اسكانهم في منازلهم..

وكانت للصين وسائل متعددة في التخلص من اهل تركستان حتى بعد خضوعهم لحكمها وذلك بالطرق الآتية:

- العمل المتواصل لمدة ١٨ ساعة في الجبال والطرقات الوعرة والمزارع وتحت ظروف جوية قاسية اما شديدة الحرارة كما هو في الصيف او شديدة البرودة في الشتاء دون غذاء او لباس كاف.
- افتعال المجاعات.

- القضاء على مجموعات كبيرة من عمال المناجم التي تنهدم على العمال.
- القضاء على العمال المسلمين اثناء تفجير الجبال لفتح الطرقات..
- انهيار السدود واغراق الأهالي.

ورغم هذه السيطرة الوحشية الا ان اهالي التركستان قاموا بعدة ثورات وكانت اولها بعد احتلال الصين مباشرة ودامت حتى عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) ثم قامت حركة اخرى فيما بين عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) وعام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) وفي عام ١٩٥٩ م قامت حركة ثالثة واستمرت حتى عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) وقد اخمدت جميع هذه الثورات بكل قسوة ونكل افرادها اشد التنكيل.. ورغم ذلك قامت ثورة اخرى عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) واستمرت حتى عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) وكلما ازدادت القوات الشيوعية الصينية في عتوها وجبروتها كلما كان ذلك دافعا للثورة عليها وعلى ظلمها.. وبعد وفاة ماوتسي تونج ومجيء الحكومة الجديدة نشرت بعض فضائح ماو ورفاقه فيما يسمى بالثورة الثقافية الكبرى.. وكيف كان يستخدم احط الوسائل واكثرها بشاعة لاخضاع خصومه. وكيف ان هذا النظام تسبب في مجاعات مات فيها الملايين، نتيجة لتخريب الزراعة في الصين ذاتها. وقد خفت في الوقت الحاضر وسائل البطش والتدمير واعطي المسلمون شيئا يسيرا من حريتهم الدينية وسمح لهم باداء بعض الشعائر وان كانوا لا يزالون يعانون من الحملة الشيوعية. ولكن الحال أخف بكثير مما كان عليه. والمسلمون مطالبون في بقاع الأرض بمساعدة مسلمي الصين ومسلمي تركستان ومدهم على الأقل بالمصاحف والمنح الدراسية لتعلم الاسلام واعادة نشره في بلادهم وبين اخوانهم.. ورغم ان اهالي التركستان الشرقيـــة اليوم لم يعودوا يعرفون عن الاسلام الا القليـــل

وأغلبهم ان لم نقل كلهم لا يعرفون اللغة العربية بعد ان منعتهم السلطات الشيوعية من ذلك. الا ان التاريخ يذكر لنا كثيرا من الأسماء التي تنتهي نسبتها الى كـاشغر عاصمة التركستان الشرقية في العصور الاسلامية.. وممن ينسب الى كاشغر المحدث الواعظ الحسين بن علي بن خلف. الذي صنف أكثر من مائة وعشرين مصنفاً في الحديث والذي رحـــل من كــاشغر واشتهر ببغـــداد الـــتي توفي بهـــا سنـــة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م).



الفصل العاشر

التركستان

عبر التاريخ الإسلامي

كيف ومتى فتحت التركستان ؟

بعد ان هزم المسلمون قوات كسرى في القادسية ثم في المدائن عاصمة ملكه في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب انطلقت جيوشهم تغزو في ارض الامبراطورية الفارسية وتطارد يزدجرد كسرى فارس وما بقي من قواته وكانت معركة جلولاء سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) احد المعارك الفاصلة حيث جمع كسرى فلول جيوشه واقتتل المسلمون والمجوس كما يقول البلاذري في فتوح البلدان (قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله رميا بالنبل وطعنا بالرماح حتى تقصفت وتجالدوا بالسيوف حتى انثنت ثم ان المسلمين حملوا حملة واحدة قلعوا بها الاعاجم وهزموهم فولوا هاربين.. وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم قتلا ذريعا حتى حال بينهم الظلام) وكانت قوات المسلمين آنذاك بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الذي ارسله عمه الصحابي الجليل سعد بن ابي وقاص صاحب القادسية.. وفر يزدجرد في الظلام وتجمعت فلول قواته في نهاوند فأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل النعمان بن مقرن اليها.. ولذلك قصة لها مغزاها.. فقد كان النعمان يصلي الى جانب عمر رضي الله عنهما فلما فرغ النعمان من صلاته قال له عمر: اما اني سأستعملك فقال النعمان: اما جابيا فلا ولكن غازيا في سبيل الله.. فقال له عمر فانت غاز في سبيل الله فأرسله الى العراق ومنها الى نهاوند.. وهكذا كان يفر كثير من الصحابة من الولاية والحكم ولا يريدون الا الغزو في سبيل الله..

فذهب النعمان وقاد الجيش الاسلامي في نهاوند فقاتل حتى استشهد وانتصر المسلمون في تلك المعركة انتصارا عظيما.. فلما جاء البشير

بالنصر الى عمر سأل ما فعل النعمان فقيل له استشهد فاسترجع عمر وبكى..

وتم فتح نهاوند[١] سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) وفتحت همذان سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م) على يد جرير بن عبدالله البجلي وفتحت الري وقومس على يد الصحابي الجليل صاحب سر رسول الله حذيفة بن اليمان العبسي (حليف بني عبد الاشهل من الانصار) وعمر بن زيد الخيل الطائي وسير عمر بن الخطاب رضي الله عنه سبعة جيوش تسيح في ارض الامبراطورية الفارسية التي هزمت الامبراطورية الرومانية وكانتا آنذاك مثل امريكا وروسيا اليوم ولم يجفل صاحبا رسول الله ابو بكر وعمر منهما بل بعثا يحاربانهما معا بجيوش ضئيلة العدد ولكنها قوية الايمان شديدة العزم والاقدام.. فهزمت جيوش الاسلام جيوش الكفر والضلالة والطغيان في كل معركة وفي كل ميدان رغم قلة العدد وضآلة العدد. ووجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاحنف بن قيس الى خراسان ليلحق بيزدجرد الذي فر اليها بعد معركة نهاوند.. فسار الاحنف الى خراسان وافتتح مدينة هراة (وهي من مدن افغانستان اليوم وقد اسلفنا القول ان خراسان مقسمة اليوم بين ايران وافغانستان والاتحاد السوفيتي) ثم توجه الاحنف الى بلخ وهي عاصمة اقليم باكتيا في افغانستان ويسيطر على هذا الاقليم المجاهدون الافغان هذه الايام[٢]) وتقابلت في بلخ قوات يزدجرد التي انضمت اليها قبائل الترك والصغد (بلاد تمتد بين سمرقند وبخارى وفيها نهر يعرف بنهر الصغد وهي في اوزبكستان اليوم في الاتحاد السوفيتي).. تقابلت قوات يزدجرد الهائلة بجيش الاحنف بن قيس.. وبعد معركة ضارية انتصر المسلمون انتصارا

---

(١) قيل أن فتح نهاوند تم سنة ١٨ وقيل سنة ١٩، وقيل بل سنة ٢١ (انظر كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان)..

(٢) ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م).

مؤزرا وفر بعدها يزدجرد الى مرو حيث قتل هناك (وتقع مرو اليوم في جمهورية تركمنستان السوفيتية).

ووجه ابو موسى الأشعري رضي الله عنه (وكان واليا للكوفة في عهد عمر بن الخطاب) عبد الله بن بديل بن ورقاء الى ما بقي من خراسان فصالحه اهل طبسين.. وبما ان نهر جيحون يفصل بين خراسان في الغرب وبلاد ما وراء النهر (التركستان) في الشرق فان هذا النهر اعتبر حدا للقوات الاسلامية لم تستطع تجاوزه اثناء خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما وذلك لانتشار الفتن والحروب الداخلية الا قليلا. ليس ذلك فحسب بل ان كثيرا من الاراضي التي فتحت على عهد عمر رضي الله عنه انتقضت على المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه.. ومنها نواح من ارض خراسان فأرسل عثمان واليه على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز ليعيد فتح ما انتقض من ارض فارس وخراسان فلما وصل عبد الله بن عامر وجد أهل الطبسين على صلحهم الذي صالحوا من قبل (عبد الله بن بديل بن ورقاء) فجدد العهد معهم.. وفتح بيهق وجوين ونيسابور.. ثم فتحت مرو عاصمة خراسان صلحا على الف الف درهم.. (ومرو اليوم من مدن جمهوية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي). ووجه عبدالله بن عامر بن كريز امير البصرة الاحنف بن قيس لفتح طخارستان وهي تقع اليوم في جمهورية افغانستان وتشترك في حدودها مع الاتحاد السوفيتي و(طخارستان معناها ارض طخاري وطخاري هي بلخ الواقعة اليوم في افغانستان وهكذا ترى هذه البلاد الاسلامية مجزأة بين الاتحاد السوفيتي وافغانستان التي ترزح اليوم تحت اقدام احتلاله البغيضة). وتوجه عبدالله بن عامر بن كريز الى خوارزم (تسمى اليوم خيوه في اوزبكستان في الاتحاد السوفيتي) ولم يقدر عليها.. وصالح اهل بلاد ما وراء النهر..

وفي خلافة معاوية انتقضت اجزاء من خراسان فأرسل اليها معاوية،

عامر بن قيس السلمي فأخضعها مرة اخرى للحكم الاسلامي.. وولى معاوية امر العراق الى زياد بن ابيه سنة ٤٥ هـ (ويقال ان اباه هو ابو سفيان وهو من سفاح الجاهلية).

وارسل زياد بن ابيه الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) فعبر الحكم بن عمرو نهر جيحون وغزا بلاد الصغانيان[١].. وكان بذلك اول من غزا وصلى في بلاد ما وراء النهر.. وقد كان عبد الله بن المبارك يقول لاحد تلامذته من اهل الصغانيان (التركستان) اتدري من فتح بلادك فقال التلميذ لا. فقال ابن المبارك: لقد كان اول من فتحها الحكم بن عمرو الغفاري.

ثم غزا عبيد الله بن زياد آخر سنة ٥٣ هـ واول سنة ٥٤ هـ أرض ما وراء النهر وكان عمره آنذاك ٢٥ سنة فتوجه الى بيكند (وبيكند مدينة في اوزبكستان تقع على بعد ٤٤ كم من بخارى) فزحفت اليه قوات الترك تحت امرة الخاتون ملكة بخارى والتي كانت تحكم نيابة عن ابنها القاصر طغشادة.. فدارت رحى المعركة وانتصرت قوات المسلمين على قوات المشركين المجوس من الاتراك وفتحت بيكند. ثم توجهت القوات الاسلامية المنتصرة الى بخارى عاصمة ملك الخاتون فحاصرتها فلما رأت الخاتون انها لا تستطيع صد القوات صالحت المسلمين على الف الف درهم وقدم عبيد الله بن زياد الى البصرة ومعه خلق كثير من اهل بخارى الذين اسلموا وحسن اسلامهم فيما بعد.. واتخذ الفين من خيرة رماتهم في جيشه وبذلك كان عبيد الله بن زياد أول من استخدم الاتراك في الجيوش الاسلامية.

---

(١) روى عبد الله بن بريدة الاسلمي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له وللحكم بن عمرو الغفاري «انتما عينان لأهل المشرق فقدما مرو وماتا بها. وكان الحكم بن عمرو الغفاري أول من غزا بلاد ما وراء النهر وفتح جبال الغور عام ٤٧ هـ واختلف مع معاوية فقيد وحبس في مرو بأمر معاوية بن أبي سفيان وأوصى أن يدفن في قيده ومات سنة ٥٠ هـ.

ثم ولى معاوية امر خراسان الى سعيد بن عثمان بن عفان فوجد الخاتون قد نقضت العهد فعبر نهرجيحون فوجد الترك والخاتون قد جمعوا جيشا عظيما لجبا فقاتلهم سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦ هـ (٦٧٥ م) قتالا شديدا فهزمهم ودخل مدينة بخارى فاعادت الخاتون الصلح رغم خيانتها. ثم توجه سعيد بن عثمان الى سمرقند ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ فقاتله اهلها قتالا شديدا ثم لما رأى اهلها بوادر الهزيمة صالحوا المسلمين.. وكان فيمن استشهد في معركة سمرقند ابن عم رسول الله (ﷺ) قثم بن العباس.. وله فيها مزار يعرف بمزار شاه زندة اي السلطان الحي ذلك لأن الشهداء احياء عند ربهم يرزقون (وتقع سمرقند اليوم في جمهورية اوزبكستان في الاتحاد السوفيتي وقد بلغت شأنا عظيما في الحضارة.. وكانت عاصمة امبراطورية تيمورلنك).

وتوجه بعد ذلك سعيد بن عثمان الى ترمذ التي ينسب اليها الامام الترمذي صاحب السنن وافتتحها صلحا (وترمذ تقع اليوم في جمهورية اوزبكستان).

وانتقضت بعد ذلك بخارى وبلاد ما وراء النهر مرة اخرى فتوجه والي خراسان الجديد مسلم بن زياد بن ابيه فتوجه الى اهل بخارى وأخضعهم فجددوا الصلح مرة اخرى وانتقضت ترمذ ففتحها موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٧٠ هـ واستقل بها وبما حولها عن حكم الامويين ولم يتم اخضاعها للدولة الاموية الا سنة ٨٥ هـ بواسطة القائد عثمان بن مسعود الذي ارسله والي خراسان المفضل بن المهلب بن ابي صفرة. ولما انشغلت الدولة الاموية بالثورات الداخلية والفتن مثل ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه وثورة عبد الله بن الزبير وثورات الخوارج انتقضت

كثير من هذه الاراضي التي خضعت لحكم الاسلام.. وكان سبب هذه الثورات وهذا الانتقاض ظلم بني امية وولاتهم.. ولكن الدولة الاموية في أوج قوتها ظهر فيها قواد عظام وان كان فيهم جبروت وطغيان مثل المهلب بن ابي صفرة واولاده ومثل زياد بن ابيه واولاده ومثل الحجاج ابن يوسف الثقفي.. ومثل آل مروان من امثال محمد بن مروان وعبد الملك بن مروان ومسلمة بن عبد الملك.. وغيرهم وجميعهم كانوا من امهر القواد واشدهم بأسا واقداما واكثرهم خبرة بالحرب ومكايدها الا انهم جمعوا الى هذه المزايا الحميدة مثالب البطش والجبروت والطغيان واستغلال مال الامة لمنافعهم الخاصة ولذويهم.. واعاد المهلب بن ابي صفرة فيما اعاد للدولة الاموية خراسان وبلاد ما وراء النهر التي انتقضت على بني امية..

وتوقفت الفتوحات بل انتقضت كثير من البلاد المفتوحة ايام يزيد ابن معاوية الذي فتك بالامام السبط الحسين بن علي في واقعة كربلاء المعروفة والذي استباح المدينة ثلاثة ايام فقتل الشيخ الفاني والطفل الرضيع حتى يخضعهم ويرهبهم.. ثم ثارت ثورة ابن الزبير وما تبعها من ضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيق حتى احرقها الحجاج بن يوسف الثقفي.

واستطاع الحجاج بجبروته وشدة بطشه ان يخضع العراقين (عراق العجم وعراق العرب) والحجاز لعبد الملك بن مروان فكافأه على ذلك وجعل له ولاية العراقين وخراسان وجميع بلاد ما وراء النهر.

ووجه الحجاج المهلب بن ابي صفرة الى كابول عاصمة افغانستان اليوم وكانت قد انتقضت فأخضع ملكها الذي يدعى الرتبيل وصالحه ملكها..

قتيبة بن مسلم الباهلي: ثم ولى الحجاج امر خراسان وما وراء النهر الى القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي فعبر قتيبة النهر عام

٨٦ هـ - (٧٠٤ م)، وحاصر مدينة بيكند التي نقضت العهد (وهي في اوزبكستان وعلى بعد ٤٤ كم من بخارى) واستولى عليها بعد جهد جهيد سنة ٨٧ هـ واعاد فتح بخارى وخوارزم وسمرقند عاصمة الصغد وبنى فيها مسجدا (وتقع جميع هذه المدن الاسلامية في جمهورية اوزبكستان بالاتحاد السوفيتي) ثم عاد قتيبة الى خراسان..

وفي العام التالي غزا بلاد الشاش وعاصمتها طشقند، وفرغانة وعاصمتها أخسكيت (كلاهما تقع في اوزبكستان بالاتحاد السوفيتي).

ثم فتح مدينة كاشغر (وتقع اليوم في تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ تحت سيطرة الصين الشعبية) وتمت هذه الفتوحات في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد ابيه عبد الملك بن مروان.

وكان اهل بخارى وما حولها من المناطق يسلمون ثم يرتدون.. وكان قتيبة قد حملهم على الاسلام ثلاث مرات.. وفي المرة الرابعة اسكن بينهم العرب ومن معهم من العجم الذين قد ثبتوا على الاسلام.. ونتيجة للاتصال المباشر انتشر الاسلام بين اهل التركستان انتشارا عظيما وبقي فيهم الى يومنا هذا والى يوم الدين ان شاء الله.

وكان قتيبة يأمر المسلمين ان يخرجوا ومعهم اسلحتهم اثناء ذهابهم للصلاة لانهم كانوا يخشون انتقاض المجوس وانقضاضهم عليهم وهم في صلاتهم.. واصبحت بذلك عادة لدى اهل تلك المناطق الى الماضي القريب حينما كانوا يخرجون لصلاة العيد بكامل سلاحهم.

وقد بنى قتيبة اول مسجد في بخارى عام ٩٤ هـ (٧١٤ م) وجدد فيما بعد عام ٥١٥ هـ - (١١٢١ م) بأمر ارسلان خان.. وعندما دخلت القوات البلشفية الى بخارى حين قضت على ثورة اهل بخارى بقيادة الغازي انور باشا عام ١٩٢٢ م حولت هذا المسجد التاريخي الى متحف واحاطته بتماثيل ماركس ولينين...

وفي عهد قتيبة بن مسلم اسلم ملك بخارى طغشادة بن الخاتون على يد قتيبة نفسه وبقي ملكا على ارضه.. وانجب ولدا اسماه قتيبة تيمنا باسم الفاتح العظيم..

عهد عمر بن عبد العزيز: وتوالى دخول اهل هذه البلاد في الاسلام.. واسلم اهل سمرقند على يد الداعية صالح بن طريف المكنى بأبي الصيداء.. ورفعت عن اهل سمرقند الجزية وذلك في عهد الخليفة العادل خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. الذي بعث لولاته حينما اخبروه ان الناس تدخل في دين الله افواجا وبذلك تمتنع الجزية والخراج التي كانت تملأ خزائن بني امية فكتب اليهم هذا الخليفة الراشد: ان الله قد بعث رسول الله محمدا داعيا ولم يبعثه جابيا واني على سنة محمد ﷺ..

وانتشر الاسلام انتشارا عظيما في جميع بقاع الارض التي وصلها المسلمون في عهد هذا الخليفة الراشد.. وكان من اسباب ارتداد هؤلاء الاقوام من قبل حداثة الايمان في قلوبهم وقرب عهدهم بمجوسيتهم.. وظلم بني امية وولاتهم فلما جاء عمر بن عبد العزيز فنصب راية العدل والمساواة بينهم اقبل الناس على دين الله افواجا[1]..

ظلم بني امية يؤدي الى نجاح الدعوة العباسية: ثم ارتكست حال

---

(١) ومما يذكر من عدل عمر بن عبد العزيز أن أهل سمرقند أوفدوا إليه وفداً يدعون فيه أن قتيبة عندما دخل مدينتهم وافقهم على أن لا يبقي جنده فيها وخشي قتيبة انتقاضهم فابقى جنده في المدينة فلما سمعوا بعدل عمر بن عبد العزيز عرضوا عليه شكواهم فجعل لهم الخليفة العادل أن يحكم بينهم قاضي تلك المنطقة فإن وجد ما قالوه حقا أمر الحاكم المسلم بالانسحاب بجنده من سمرقند. فلما وصل كتاب عمر بن عبد العزيز الى القاضي نظر في قضيتهم.

وحكم القاضي أغرب حكم وأعدله حيث أمر باخراج الوالي وجنده من سمرقند ويكون بذلك أهل سمرقند على بينة من أمرهم حتى ينابذوا الوالي المسلم ويقاتلوه إن شاءوا.. فعندئذ قال أهل سمرقند: لم نر أعدل منكم ودخلوا في دين الله أفواجاً وطلبوا بقاء الوالي وجنده بين ظهرانيهم.

الخلافة بعد عهد عمر بن عبد العزيز الى ما كانت عليه من قبل، فتوالت الثورات على الدولة الظالمة من كل مكان..

ومن ذلك ما فعله الاشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان الذي بث الدعاة الى الله في اهل بلاد ما وراء النهر وأقام الاربطة والمدارس فلما دخل الناس في دين الله افواجا وانكسر الخراج أبى ان يضع عنهم الجزية والخراج بحجة انهم لم يتمكن الايمان من قلوبهم.. عندئذ ثار عليه الدعاة أنفسهم وقالوا ان هذا ظلم فان القوم قد حسن اسلامهم واقاموا الصلوات وتعلموا الاسلام فكيف تفرض عليهم الجزية وتأخذ منهم الخراج.. فلما أصر على موقفه قامت ثورة عظيمة في بلاد ما وراء النهر واستمرت من سنة ١١٠ الى ١١٥ هـ (٧٢٨ - ٧٣٣ م) وكان ذلك احد العوامل التي ادت الى نجاح دعوة ابي مسلم الخراساني.. ورغم انه قد تم للدولة الاموية اخماد هذه الفتنة سنة ١١٥ هـ (٧٣٣ م) الا ان ثورة جديدة قامت في العام التالي أي سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) في بلاد ما وراء النهر بقيادة مبعوث ابي مسلم الخراساني، الحارث بن سريج الذي دعا الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله والا تؤخذ الجزية من مسلم والا يظلم احد من الناس)..

وارتفع بذلك لاول مرة علم المسودة في بلاد ما وراء النهر.. وكان السواد هو شعار العباسيين.. وقد استطاع ابو مسلم ودعاته ان يكسب عشرات الآلاف من القرى في خراسان وما وراء النهر في فترة وجيزة من الزمان.. ذلك لأن النفوس كانت قد ضاقت من ظلم بني امية وولاتهم ومخالفتهم لمبادىء الاسلام..

وكان هؤلاء الدعاة يدعون للتمسك بالكتاب والسنة والمساواة التامة التي فرضها الاسلام بين المسلمين.. وللمبايعة للامام من آل محمد (وكانت

خطة العباسيين ان لا يوضحوا ذلك حتى يتبعهم العلويون واشياعهم)..

واستطاع ابو مسلم بذكائه وبلاغته وقوة شخصيته ان يكسب الى صفه جميع المعارضين للحكم الاموي بما فيهم خوارج سجستان (في غرب افغانستان وجنوب شرق ايران).

ورغم ان ابا مسلم واجه نصر بن سيار احد اعظم ولاة بني امية على خراسان وما وراء النهر الا ان الفتن التي كانت قد انتشرت بين القبائل العربية نفسها (فالمضريون ضد اليمنيين وربيعة ضد قيس).. جعلت محاولات نصر بن سيار في لمّ الشمل تذهب هدرا..

ذلك ان سياسة بني امية كانت تقوم الى حد بعيد على العنصرية ولا تلتزم بأحكام الاسلام التزاما دقيقا الا ما كان في ايام عمر بن عبدالعزيز الذي شهد له جميع خصوم الدولة الاموية بأنه كان عادلا راشدا..

وأدت سياسة بني أمية العنصرية وبعدهم عن تنفيذ الكتاب والسنة تنفيذا دقيقا الى الثورات المستمرة منذ قام الحسين بن علي رضي الله عنه بثورته ضد يزيد الى ثورة عبدالله بن الزبير الى ثورات الخوارج المتكررة حتى انتهت بثورة العباسيين التي قادها ابو مسلم الخراساني.. والتي استطاع بها ان يجمع جميع عناصر الثورة ضد الحكم الاموي..

ابو مسلم الخراساني: وكان ابو مسلم قد سار الى ابراهيم بن محمد العباسي في مكة خفية فأعجب صاحب الدعوة العباسية بأبي مسلم.. وكان ابراهيم خبيرا بالرجال فأرسله الى خراسان التي توسم ان تبدأ منها الثورة على بني امية..

وصدقت فراسته فقد دخلها ابو مسلم وحيدا على حمار ليس عليه

سرج وخرج منها بمئات الآلاف من الجنود الذين دكوا صرح الخلافة الاموية، واقاموا صرح الخلافة العباسية.. حتى قال المأمون (اجلّ ملوك الارض (اي الذين غيروا مجرى التاريخ ثلاثة: وهم الذين قاموا بثقل الدول: (الاسكندر) (وأردشير) (وأبو مسلم الخراساني).

الدولة الطاهرية: وكانت سياسة الخلفاء في العهد الاموي وشطرا من صدر العصر العباسي ان يغيروا الولاة الذين يبعثونهم من حين الى آخر حتى لا يطمع أحد فيما تحت يده ويستقل عن الدولة.. ولكن سياسة تغيير الولاة لم تكن تتيح للمشروعات الزراعية والاقتصادية الاستمرار فكان من جرائها نوع من الخلل.. فلما جاء المأمون ولى قائده الاكبر طاهر بن حسين أمر خراسان جزاء له على وقوفه بجند خراسان في صفه ضد أخيه الامين.. والذي كان له الدور الحاسم في انتصار المأمون على الامين وجعل المأمون أمر خراسان وجميع بلاد ما وراء النهر تحت تصرف طاهر بن الحسين. وتصرف طاهر بن الحسين بحكمة ومهارة وقضى على ثورات الخوارج وأسس دولة قوية تظهر الخضوع للخليفة رغم ما في ايديها من أسباب القوة.. مما جعل بعض الواشين يحذرون المأمون من مغبة الثقة الزائدة في طاهر بن الحسين. ولكن المأمون أظهر ثقته الكاملة بطاهر بن الحسين وقال مدافعا عنه: (ما حابى طاهر في جميع ما كان فيه أحداً، ولا مالأ أحدا ولا داهن ولا وهن ولا ونى ولا قصر في شيء، وفعل في جميع ما ركن اليه ووثق به فيه اكثر مما ظن به وأمله. وانه لا يعرف احد من نصحاء الخليفة الاكفاء فيمن سبق عصره ومن بقي في ايام دولته على مثل طريقته في مناصحته وغنائه وإجزائه).

وتأسست بذلك دولة الطاهريين في خراسان وما وراء النهر واستمرت منذ تولية طاهر بن الحسين امر خراسان سنة ٢٠٥ الى سنة

٢٥٩ هـ عندما اجتاح يعقوب بن الليث الصفار دولتهم واستلم محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية له..

وكانت الدولة الطاهرية تبدي خضوعها للخلافة.. وتدعو للخليفة على منابرها وتدفع الخراج بانتظام لدار الخلافة.. وتبعث بالجيوش لنصرة الخليفة اذا احتاج لذلك..

ولم يكن نفوذ الطاهريين يقتصر على خراسان وما وراء النهر بل اضاف لهم المأمون حكم الجزيرة وأمر الشرط والسواد.. كما أضاف لهم المأمون سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر أرمينية وأذربيجان..

ولذا كان نفوذ الطاهريين في الدولة العباسية قويا هائلا.. وكانوا سندا للدولة العباسية في مواجهة ثورات الزيديين التي بدأها الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وتلاه ابنه يحيى بن زيد ثم تلاه في عهد الطاهريين يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد.. ثم ثورة الحسن بن زيد التي اقامت الدولة العلوية في طبرستان والتي استمرت من سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) الى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

وكان للطاهريين دور عظيم في النهضة العلمية والزراعية والعمرانية والثقافية التي شهدتها خراسان وبلاد ما وراء النهر.. وكانوا يتصفون بالحكمة وتشجيع العلم وحب العلماء واعزازهم كما ان كثيرا من مشاريع الري قامت في عهدهم.. وامتدت التجارة واتسعت طرقها في ايامهم..

وبدأت نهضة اللغة الفارسية الجديدة التي صارت اللغة العربية تمثل ما يقرب من نصفها ورغم ما يقوله المستشرقون عن الطاهريين من انهم شايعوا الثقافة الفارسية الا انهم يعترفون ان الطاهريين رفضوا كل ثقافة مخالفة للاسلام.. ومن ذلك ان رجلا اتى بلاط عبد الله بن طاهر في نيسابور وقدم له كتابا فارسيا قديما يتضمن قصة شيقة الفها بعض الحكماء وقدمها لكسرى انوشروان وهي قصة (وامق والعذراء) فلما كان

من عبد الله بن طاهر الا ان قال: «إنّا قوم نقرأ القرآن ولسنا بحاجة الى مثل هذه الكتب ويكفينا كتاب الله وسنة رسوله كما ان هذا الكتاب الفه مجوسي وأمر بأن يطرح الكتاب في الماء كما أمر باتلاف أمثال هذه الكتب[1] ».

وقامت في منطقة ما وراء النهر في عهد الطاهريين دولة السامانيين وكانوا في أول امرهم تابعين لحكم الطاهريين الا انهم اصبحوا بعد فترة وجيزة مستقلين بحكم بلاد ما وراء النهر.. ثم ما لبثوا ان حكموا خراسان ذاتها.

الدولة السامانية: وقصة ظهور آل سامان تستحق التنويه، فقد كان جدهم سامان فارسيا مجوسيا من اعيان بلخ فظلمه عامل بلخ وأخذ أرضه فذهب سامان هذا الى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري الذي اشتهر باسم ناصر المظلومين.. وكان أسد بن عبد الله القسري من خيرة ولاة بني أمية شجاعة وفصاحة وعدلا.. تولى امارة خراسان لهشام ابن عبد الملك ثم عزل ثم تولى مرة أخرى سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) وتوفي ببلخ سنة ١٢٠ هـ - (٧٣٧ م) فلما جاءه سامان وقف أسد بن عبد الله معه ضد والي بلخ واعاد الحق والارض لسامان.. فأعجب سامان بهذه الاخلاق واسلم على يديه واسمى ابنه اسدا تيمنا بأسد بن عبد الله القسري..

وولد لاسد بن سامان أربعة ابناء هم نوح وأحمد ويحيى والياس. ولما خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار في ايام الرشيد بعث الرشيد هرثمة بن أعين لاخضاعه فلم يتمكن من ذلك فكتب المأمون الى ابناء أسد بن سامان وأمرهم بمعاونة هرثمة فاستطاع ابناء سامان ان يخضعوا

---

(١) كما ينقله د. حسن أحمد محمود في كتابه الاسلام في آسيا الوسطى عن بارتولد وبراون.

رافع بن الليث هذا وحملوه على عقد صلح مع هرثمة وصاهروا بينهما.. واستراح الرشيد من هذه الفتنة ولكنه ما لبث ان مات بطوس (مشهد حاليا) فلما استتب الأمر للمأمون وولى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر جعل المأمون ابناء سامان ولاة على مدن ما وراء النهر من قبل طاهر بن الحسين.. فجعل سمرقند لنوح بن اسد، وجعل فرغانة لأخيه أحمد وولى الشاش (طشقند) ليحيى.. أما هراة (في افغانستان اليوم) فقد جعلها لالياس بن أسد. وذلك سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م).

وأبدى هؤلاء الأخوة مهارة وحنكة في حكم هذه المناطق واستتب الامن في عهدهم وازدهرت العلوم ونمت التجارة وقاموا ببناء السدود واهتموا بالزراعة والصناعة..

واستمر ابناء سامان في حكم بلاد ما وراء النهر.. فلما توفي نوح بن أسد حاكم سمرقند واكبر الاخوة، جعل طاهر بن الحسين سمرقند لأخيه أحمد بن أسد الذي كان يحكم فرغانة ايضا وكان أحمد كما يقول النرشخي في كتابه تاريخ بخارى (رجلا عالما ورعا.. وكان يقيم بسمرقند الى ان غادر الدنيا فأخلفه ابنه نصر بن أحمد بن أسد فلما جلس مكان ابيه وصل من الخليفة الواثق بالله منشور اعمال ما وراء النهر باسمه في يوم السبت غرة شهر رمضان المبارك سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م).. وقام الامير نصر بن أحمد بحكم بلاد ما وراء النهر يساعده في ذلك اخوته وقد ولي الامير نصر اخاه اسماعيل حكم بخارى التي لم تكن تابعة لآل سامان من قبل فدخلها اسماعيل بعد ان طلب الاهالي وعلى رأسهم الامام ابو حفص الكبير البخاري (شيخ الامام محمد بن اسماعيل البخاري) من نصر بن أحمد ان يتولى حكم بخارى بعد ما حدث فيها من فتن.. فدخلها اسماعيل في ٢٢ رمضان سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م).. وقرئت الخطبة في بخارى باسم الامير نصر والامير اسماعيل بعد أن اسقط اسم يعقوب بن

الليث الصفار الذي أسس دولة قوية في شمال أفغانستان وبعض مناطق خراسان وما وراء النهر..

وفي عهد اسماعيل بلغت بخارى شأوا بعيدا في الرقي حتى صارت مثابة العلوم كلها.. فقد حرض على نشر العلم وتقريب العلماء وإكرامهم..

ورغم ما حصل بين اسماعيل وأخيه نصر من حرب انتهت بانتصار اسماعيل الا ان نبل اسماعيل المنتصر وخضوعه لأخيه المنهزم وتقبيله يديه جعل اسماعيل اسطورة في معاملة خصومه.. اذ عامل اسماعيل جميع خصومه بكرم ونبل حينما تتاح له الفرصة للانتقام منهم بعد هزيمتهم.. ومنهم خصمه اللدود عمر بن الليث الصفار الذي هزمه اسماعيل بعد معارك طاحنة ولكنه احسن اليه وأكرم وفادته بعد ان انتصر عليه انتصارا حاسما..

ولما توفي الامير نصر بن احمد الساماني جاء منشور الخليفة المعتضد العباسي بجعل ولاية ما وراء النهر لاسماعيل وذلك في المحرم سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م)..

ولم يتوان السامانيون عن نشر الاسلام في مناطق ما وراء النهر واستعمال السيف حين لا يجدي الا السيف في اخضاع القبائل التركية التي لم تكن آمنت بعد والتي كانت لا تتوقف عن الاغارة على مدن ما وراء النهر الهامة مثل بخارى وسمرقند وفرغانة وبنجكث (طشقند).. والتي كانت تتعاون مع امبراطور الصين في كثير من الاحيان.

وكان لآل سامان وخاصة لاسماعيل فضل كبير في نشر الاسلام في كثير من مناطق ما وراء النهر اذ كانوا يبثون الدعاة الى الله لنشر الاسلام.. وفي نفس الوقت يقومون بحملات قوية لاخضاع القبائل

٢٥٩ هـ عندما اجتاح يعقوب بن الليث الصفار دولتهم واستسلم محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية له..

وكانت الدولة الطاهرية تبدي خضوعها للخلافة.. وتدعو للخليفة على منابرها وتدفع الخراج بانتظام لدار الخلافة.. وتبعث بالجيوش لنصرة الخليفة اذا احتاج لذلك..

ولم يكن نفوذ الطاهريين يقتصر على خراسان وما وراء النهر بل اضاف لهم المأمون حكم الجزيرة وأمر الشرط والسواد.. كما أضاف لهم المأمون سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر أرمينية وأذربيجان..

ولذا كان نفوذ الطاهريين في الدولة العباسية قويا هائلا.. وكانوا سندا للدولة العباسية في مواجهة ثورات الزيديين التي بدأها الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط وتلاه ابنه يحيى بن زيد ثم تلاه في عهد الطاهريين يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد.. ثم ثورة الحسن بن زيد التي اقامت الدولة العلوية في طبرستان والتي استمرت من سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) الى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م).

وكان للطاهريين دور عظيم في النهضة العلمية والزراعية والعمرانية والثقافية التي شهدتها خراسان وبلاد ما وراء النهر.. وكانوا يتصفون بالحكمة وتشجيع العلم وحب العلماء واعزازهم كما ان كثيرا من مشاريع الري قامت في عهدهم.. وامتدت التجارة واتسعت طرقها في ايامهم..

وبدأت نهضة اللغة الفارسية الجديدة التي صارت اللغة العربية تمثل ما يقرب من نصفها ورغم ما يقوله المستشرقون عن الطاهريين من انهم شايعوا الثقافة الفارسية الا انهم يعترفون ان الطاهريين رفضوا كل ثقافة مخالفة للاسلام.. ومن ذلك ان رجلا اتى بلاط عبد الله بن طاهر في نيسابور وقدم له كتابا فارسيا قديما يتضمن قصة شيقة الفها بعض الحكماء وقدمها لكسرى انوشروان وهي قصة (وامق والعذراء) فما كان

من عبد الله بن طاهر الا ان قال: «إنّا قوم نقرأ القرآن ولسنا بحاجة الى مثل هذه الكتب ويكفينا كتاب الله وسنة رسوله كما ان هذا الكتاب الفه مجوسي وأمر بأن يطرح الكتاب في الماء كما أمر باتلاف أمثال هذه الكتب[1] ».

وقامت في منطقة ما وراء النهر في عهد الطاهريين دولة السامانيين وكانوا في أول امرهم تابعين لحكم الطاهريين الا انهم اصبحوا بعد فترة وجيزة مستقلين بحكم بلاد ما وراء النهر.. ثم ما لبثوا ان حكموا خراسان ذاتها.

الدولة السامانية: وقصة ظهور آل سامان تستحق التنويه، فقد كان جدهم سامان فارسيا مجوسيا من اعيان بلخ فظلمه عامل بلخ وأخذ أرضه فذهب سامان هذا الى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري الذي اشتهر باسم ناصر المظلومين.. وكان أسد بن عبد الله القسري من خيرة ولاة بني أمية شجاعة وفصاحة وعدلا.. تولى امارة خراسان لهشام ابن عبد الملك ثم عزل ثم تولى مرة أخرى سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) وتوفي ببلخ سنة ١٢٠ هـ - (٧٣٧ م) فلما جاءه سامان وقف أسد بن عبد الله معه ضد والي بلخ واعاد الحق والارض لسامان.. فأعجب سامان بهذه الاخلاق واسلم على يديه واسمى ابنه اسدا تيمنا بأسد بن عبد الله القسري..

وولد لاسد بن سامان أربعة ابناء هم نوح وأحمد ويحيى والياس. ولما خرج رافع بن الليث بن نصر بن سيار في ايام الرشيد بعث الرشيد هرثمة بن أعين لاخضاعه فلم يتمكن من ذلك فكتب المأمون الى ابناء أسد بن سامان وأمرهم بمعاونة هرثمة فاستطاع ابناء سامان ان يخضعوا

---

(١) كما ينقله د.حسن أحمد محمود في كتابه الاسلام في آسيا الوسطى عن بارتولد وبراون.

رافع بن الليث هذا وحملوه على عقد صلح مع هرثمة وصاهروا بينهما.. واستراح الرشيد من هذه الفتنة ولكنه ما لبث ان مات بطوس (مشهد حاليا) فلما استتب الأمر للمأمون وولى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر جعل المأمون ابناء سامان ولاة على مدن ما وراء النهر من قبل طاهر بن الحسين.. فجعل سمرقند لنوح بن اسد، وجعل فرغانة لأخيه أحمد وولى الشاش (طشقند) ليحيى.. أما هراة (في افغانستان اليوم) فقد جعلها لالياس بن أسد. وذلك سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م).

وأبدى هؤلاء الأخوة مهارة وحنكة في حكم هذه المناطق واستتب الامن في عهدهم وازدهرت العلوم ونمت التجارة وقاموا ببناء السدود واهتموا بالزراعة والصناعة..

واستمر ابناء سامان في حكم بلاد ما وراء النهر.. فلما توفي نوح بن أسد حاكم سمرقند واكبر الاخوة، جعل طاهر بن الحسين سمرقند لأخيه أحمد بن أسد الذي كان يحكم فرغانة ايضا وكان أحمد كما يقول النرشخي في كتابه تاريخ بخارى (رجلا عالما ورعا.. وكان يقيم بسمرقند الى ان غادر الدنيا فأخلفه ابنه نصر بن أحمد بن أسد فلما جلس مكان ابيه وصل من الخليفة الواثق بالله منشور اعمال ما وراء النهر باسمه في يوم السبت غرة شهر رمضان المبارك سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م).. وقام الامير نصر بن أحمد بحكم بلاد ما وراء النهر يساعده في ذلك اخوته وقد ولي الامير نصر اخاه اسماعيل حكم بخارى التي لم تكن تابعة لآل سامان من قبل فدخلها اسماعيل بعد ان طلب الاهالي وعلى رأسهم الامام ابو حفص الكبير البخاري (شيخ الامام محمد بن اسماعيل البخاري) من نصر بن أحمد ان يتولى حكم بخارى بعد ما حدث فيها من فتن.. فدخلها اسماعيل في ٢٢ رمضان سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م).. وقرئت الخطبة في بخارى باسم الامير نصر والامير اسماعيل بعد أن اسقط اسم يعقوب بن

الليث الصفار الذي أسس دولة قوية في شمال أفغانستان وبعض مناطق خراسان وما وراء النهر..

وفي عهد اسماعيل بلغت بخارى شأوا بعيدا في الرقي حتى صارت مثابة العلوم كلها.. فقد حرص على نشر العلم وتقريب العلماء وإكرامهم..

ورغم ما حصل بين اسماعيل وأخيه نصر من حرب انتهت بانتصار اسماعيل الا ان نبل اسماعيل المنتصر وخضوعه لأخيه المنهزم وتقبيله يديه جعل اسماعيل اسطورة في معاملة خصومه.. اذ عامل اسماعيل جميع خصومه بكرم ونبل حينما تتاح له الفرصة للانتقام منهم بعد هزيمتهم.. ومنهم خصمه اللدود عمر بن الليث الصفار الذي هزمه اسماعيل بعد معارك طاحنة ولكنه احسن اليه وأكرم وفادته بعد ان انتصر عليه انتصارا حاسما..

ولما توفي الامير نصر بن احمد الساماني جاء منشور الخليفة المعتضد العباسي بجعل ولاية ما وراء النهر لاسماعيل وذلك في المحرم سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م)..

ولم يتوان السامانيون عن نشر الاسلام في مناطق ما وراء النهر واستعمال السيف حين لا يجدي الا السيف في اخضاع القبائل التركية التي لم تكن آمنت بعد والتي كانت لا تتوقف عن الاغارة على مدن ما وراء النهر الهامة مثل بخارى وسمرقند وفرغانة وبنجكث (طشقند).. والتي كانت تتعاون مع امبراطور الصين في كثير من الاحيان.

وكان لآل سامان وخاصة لاسماعيل فضل كبير في نشر الاسلام في كثير من مناطق ما وراء النهر اذ كانوا يبثون الدعاة الى الله لنشر الاسلام.. وفي نفس الوقت يقومون بحملات قوية لاخضاع القبائل

المجوسية التي كانت كثيرة الاغارة على المدن والقرى الاسلامية.

واستطاع اسماعيل بن أحمد الساماني ان يوطد ملكه في جميع ارجاء ما وراء النهر في خراسان بعد أن هزم عمرو بن الليث الصفار ودام حكمه في بلاد ما وراء النهر ثلاثين عاما.. وفي خراسان خمسة وعشرين عاما وكانت وفاته سنة ٢٩٥ هـ (٩٠٥ م)..

وكانت بخارى في عهده وعهد خلفائه عاصمة ملكه الذي امتد ليشمل خراسان وما وراء النهر وشمال افغانستان.

وتولى بعد اسماعيل ابنه أحمد الذي اشتهر بلقب الشهيد والذي كان كما يقول النرشخي: (يسير سيرة ابيه ويعدل وينصف الرعية غاية الانصاف وكان الرعية في راحة ودعة). وقد قضى أحمد بن اسماعيل هذا على بقايا الدولة الصفارية وقد اغتيل احمد سنة ٣٠١ هـ وتولى ابنه نصر بن أحمد الحكم..

وتوالى حكم آل سامان الى عام ٣٧٥ هـ (٩٨٥ م) عندما ضعف امرهم وآل الامر الى محمود الغزنوي اشهر حكام الدولة الغزنوية التي كان مقرها غزنة في جنوب افغانستان.. وانتهت دولة آل سامان بوفاة نوح الثاني بن نصر سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م).

وكان لآل سامان فضل عظيم في نشر الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية في بلاد ما وراء النهر حتى اصبحت بخارى في عهدهم كما يقول الثعالبي: (مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع افراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الارض وموسم فضلاء الدهر).

وقد ازدهرت الحياة الاقتصادية في عهدهم ازدهارا لم تشهده البلاد من قبل.. واشار المقدسي الى ذلك وأشاد بفضل آل سامان في ذلك...

ونتيجة للاستقرار بصورة عامة لما وراء النهر وخراسان في عهد

السامانيين وانتشار العدل والاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة فقد توفرت العوامل كلها لوجود نهضة علمية مباركة كان من ابرز اعلامها الامام محمد بن اسماعيل البخاري...

ويقول المستشرق فامبري في كتابه تاريخ بخارى (ان عدد المدارس الجامعة ببخارى في عهد اسماعيل الساماني يزيد على نظائره في كل مدن آسيا.. حتى لنرى بلخ وهي التي تعرف بقبة الاسلام لم تستطع ان تبرز لتنافسها الا بعد ذلك بكثير). كما يقول بارتولد (وتدل الوثائق التي بين ايدينا على ان المدارس التي قامت بخراسان وما وراء النهر في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) لعبت الدور الأهم في نشر الاسلام. وانه اذا كانت الحركة الاسلامية قد احرزت نجاحا خارج حدود ما وراء النهر فان الفضل في ذلك يرجع الى مدارس ما وراء النهر).

ولقد اتاحت سياسة السامانيين هذه الى نشر العلوم في بلاد ما وراء النهر وفي خراسان.. وانتجت حركة فكرية دينية قوية وجعلت المد الاسلامي ينتشر في بلاد التركستان الشرقية بل والى داخل الصين شرقا.. كما جعلت المد الاسلامي يمتد شمالا عبر نهر الفولجا ليصل الى قازان ذاتها.. وفي عهد السامانيين انطلقت طاقة الشعوب الفارسية والتركية التي دخلت في الاسلام لتسهم في الانتاج الحضاري الاسلامي المبدع.. وظهرت في ايامهم كثير من الاسماء العلمية التي ظلت على مدى الزمن توضح عظمة الاسلام في استقطاب شعوب مختلفة وثقافات متباينة تنصهر جميعها في بوتقة الاسلام لتفيض بعطائها الفذ في مضمار الحضارة الاسلامية التي ترتفع فوق العصبيات والقوميات جميعا.. ولتكون اللغة السائدة هي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد كان للسامانيين فضل عظيم في نشر الاسلام في قبائل الاتراك

الشرقيين الذين كانوا يشكلون خطرا مستمرا وحقيقيا على مدن ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند بل وخطرا على خراسان ذاتها..

فقد استطاع السامانيون ان يخضعوا هذه القبائل وينشروا بينها الاسلام الى حد كبير. وقام السامانيون بحملة كبيرة على بلاساغون ووقع ابن خاقان الترك اسيرا في ايديهم. وقد فرض السامانيون سلطانهم على مناطق الاتراك الشرقيين بصورة لم تشهدها البلاد من قبل.

وكما يقول الدكتور حسن احمد محمود في كتابه (الاسلام في اسيا الوسطى) (والدور الخالد الذي قام به السامانيون ليس هو الجهاد فحسب انما كسبهم عالم الاتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية).

هؤلاء الاتراك الذين سيصبحون مادة للاسلام وقوة للحضارة الاسلامية. لقد كان السامانيون يطبقون سياسة الجهاد الحقة، السيف من ناحية والتبشير السلمي من ناحية اخرى).

نعم لقد تضافرت جهود المخلصين من الدعاة والمدارس الكثيرة المنبثة في مدن بخارى وسمرقند وفرغانة والشاش في نشر الاسلام.. وكان للسامانيين دور بارز في تشجيع هذه المدارس واولئك الدعاة وقد ظهر كما يقول مؤرخو هذه الفترة نشاط بارز للصوفية في الدعوة الى الله وقد نجحوا في ذلك نجاحا منقطع النظير عندما اسلم سكان مائتي الف خيمة من الاتراك الشرقيين على ايديهم في القرن الرابع الهجري ٣٤٠ هـ (٩٥١ م).

وقد شارك الفقهاء والصوفية بل والتجار في مجال الدعوة الى الله وكان لجهودهم المباركة اثر بالغ في اسلام الاتراك الشرقيين والبلغار الذين كانوا يعيشون على ضفاف نهر الفولجا..

وقد اطلنا الحديث عن الدولة السامانية لأهميتها في تاريخ بلاد ما وراء النهر ولدورها العظيم في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في تلك المناطق التي امتد تأثيرها الى الصين والى اعماق روسيا...

الدولة الغزنوية: وظهرت الدولة الغزنوية في اواخر عهد الدولة السامانية عندما قام الب تكين احد قواد الدولة السامانية باخضاع مناطق من خراسان وتولى امارتها نائبا عن الامير الساماني. ثم ذهب الب تكين هذا الى غزنة جنوب كابل (عاصمة افغانستان اليوم) وأسس الدولة الغزنوية التي كان لها أعظم الاثر في القارة الهندية.

ومن أشهر ملوك هذه الدولة سبكتكين الذي فتح اجزاء من الهند في غزوات متتالية من سنة ٣٦٦ هـ الى سنة ٣٨٧ هـ (٩٧٦ - ٩٩٧ م).. وتولى بعده ابنه محمود ابن سبكتكين الذي طبقت شهرته الافاق والذي لقبه الخليفة العباسي (يمين الدولة وأمين الملة.. والذي فتح مناطق واسعة من القارة الهندية وقام بنشر الاسلام فيها)..

ولم تكن جهود محمود الغزنوي مقصورة على فتوحاته الباهرة في الهند وبلاد ما وراء النهر بل اشتهر بحبه للعلماء وتقريبه لهم حتى اخذت غزنة وبلخ في عهده مكانة بخارى.

واستمرت الدولة الغزنوية تسيطر على خراسان ومعظم بلاد ما وراء النهر وافغانستان واجزاء واسعة من القارة الهندية لما يزيد عن قرن من الزمان ثم تقلص سلطانها بسبب الخلافات الداخلية والحروب بين الامراء انفسهم. ثم ظهرت دولة السلاجقة واعترف بهرام شاه الغزنوي بسيادة السلاجقة عليه سنة ٥١١ هـ (١١١٨ م) وكان آخر ملوك هذه الدولة خسرو ملك المتوفي سنة ٥٨٥ هـ (١١٩١ م)..

السلاجقة: وظهر سلطان السلاجقة وهم من الاتراك الشرقيين الذين دخلوا في الاسلام بعد أن كانوا من أشد اعدائه بسبب جهود الدولة

السامانية والعلماء والصوفية، وهم من قبائل الطغزغز وجد السلاجقة يدعى دقاق من بلاد كشغر التي تقع حاليا في التركستان الشرقية (المعروفة باسم سينكيانغ أي المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية) وكان لدقاق ولد اشتهر بالفروسية والنجابة يدعى سلجوق الذي انطلق مع مجموعة كبيرة من قبيلته الى التركستان الغربية حيث أعلن اسلامه طواعية.. وأخذ في صد هجمات الأتراك الكفار من قبائل الطغزغز ثم بدأ يغزوهم بنفسه.. فلما رأى محمود الغزنوي تعاظم قوة السلاجقة فيما وراء النهر فرقهم بين خراسان واصفهان.. ولكنهم تجمعوا في عهد خليفته مسعود الغزنوي واسسوا دولتهم في خراسان وخطب لهم على منابرها سنة ٤٣١ هـ (١٠٣٩ م).. وانتهز طغرل بك السلجوقي انشغال مسعود الغزنوي بمحاربة اخيه فاستولى على جرجان وطبرستان سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) وفي ٤٣٤ هـ (١٠٤٢ م) استولى طغرل بك السلجوقي على خوارزم.

وفي اثناء ظهور آل سلجوق كانت الفتن قد عمت الخلافة العباسية حتى وصلت الى بغداد ذاتها وفي هذه الاثناء عظم أمر طغرل بك حتى استولى على اصفهان سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م).. ودخل تبريز سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) فراسله القواد الاتراك من بغداد يطلبون دخولها ويبذلون له الطاعة فدخل بغداد في ٢٢ رمضان ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) بحفاوة بالغة وجعله الخليفة العباسي قائدا عاما لجيوشه وخطب له على المنابر وازاح بذلك آخر سلطان من سلاطين آل بويه الملقب بالملك الرحيم.

وتوالى حكم السلاجقة واستولى الب أرسلان على خراسان وجميع بلاد ما وراء النهر وافغانستان وامتد سلطانه الى ديار بكر والشام وبلغت الدولة السلجوقية اقصى مداها على يد ملكشاه ابن الب أرسلان الذي

تولى الملــك سنــة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) واشتهر بـالحكمــة الى جـانــب الشجاعة.. وامتدت فتوحاته حتى خطب له في بلاد الصين شرقا وفي الشام والاناضول غربا وفي القوقاس وبلاد الروس شمالا واليمن جنوبا.. وكانت وفاة هذا الملك العظيم سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م).

الدولة الخوارزمية: وبقي السلاجقة يحكمون خراسان وبلاد ما وراء النهر يتفقون حينا ويختلفون حينا آخر حتى ظهرت الدولة الخوارزمية القوية في خوارزم وامتد سلطانها ليشمل معظم بلاد ما وراء النهر وخراسان بما فيها شمال افغانستان وكان مقر دولتهم كركانج او الجرجانية التي بلغت شأوا بعيدا في عهودهم وكان جد شاهات خوارزم يعمل لدى السلطان السلجوقي ملكشاه في وظيفة الطشتدار (اي المشرف على الاواني السلطانية) وكانت نفقات هذا الجانب من البلاط السلطاني تغطى من خراج خوارزم وهكذا أصبح انوشتكين جد شاهات خوارزم مسئولا عن خراج خوارزم في عهد ملكشاه.. وتولى ابنه قطب الدين محمد السلطة في خوارزم أيام السلطان السلجوقي سنجر عندما أرسله السلطان لاخماد ثورة هناك.. واشتهر قطب الدين محمد بالعدل والحكمة وتقريبه لأهل العلم كما وصفه ابن الاثير في تاريخه. وتولى بعد قطب الدين ابنه اتسز الذي يعتبر بحق مؤسس دولة خوارزم وذلك سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٧ م).

ورغم ان اتسز استمر في اظهار الولاء للسلطان سنجر السلجوقي في اول الامر الا انه بعد ان وطد اركان دولته في جميع بلاد ما وراء النهر أعلن استقلاله. وفي عهده وسع الحكم الاسلامي في مناطق واسعة من التركستان لم تكن قد خضعت من قبل للحكم الاسلامي.. كما قام بفتح اراضي القبجاق الذين لم يكونوا قد اسلموا بعد.

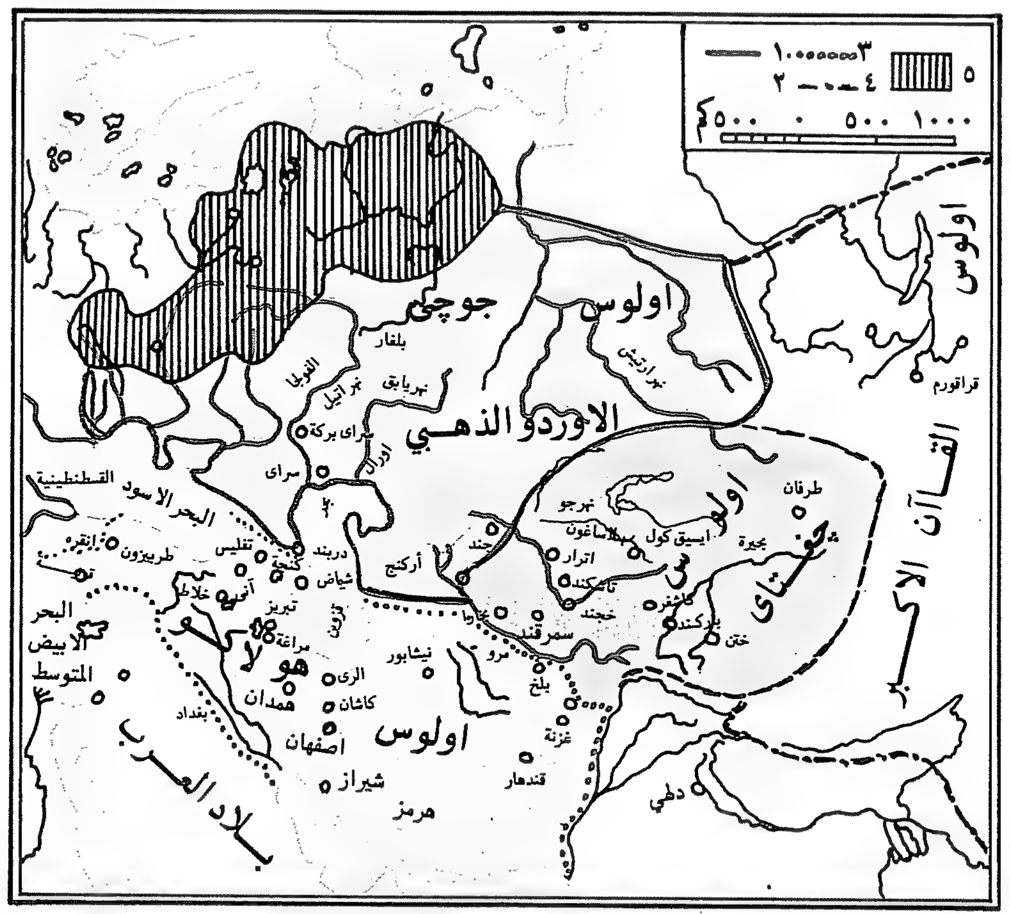
وامتد سلطان اتسز خوارزمشاه (أي حاكم أو ملك خوارزم) الى بلخ وسرخس وتولى بعده ابناؤه واحفاده وامتد سلطان هؤلاء السلاطين الى بلاد البلغار وارمينية وقزوين وبلاد الكرج (جورجيا) وظهر في عهودهم كثير من العلماء الذين احتضنوهم.. ومن اشهرهم الامام الفخر الرازي الذي كان صديق السلطان علاء الدين خوارزمشاه.. وكان علاء الدين هذا يوقر العلماء ويقربهم اليه واذا رغب في رؤية الفخر الرازي انتقل هو بنفسه الى داره..

وللأسف اصيبت الدولة الخوارزمية بالترف كما انها أصيبت بالصراع المستمر على السلطة مع منافسيها من الغور والسلاجقة بل والخليفة العباسي ذاته.. مما اضعف دولتهم وجعلها لقمة سائغة لجحافل جنكيزخان عندما هجم عليها سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م).. ومات آخر سلاطين خوارزم جلال الدين شاه طريدا وحيدا في جزيرة في بحر الخزر بعد أن انهزمت جيوشه امام جنكيزخان.. ففر من بلد الى بلد حتى وصل الى هذه الجزيرة حيث مات اثر اصابته بالتهاب رئوي. وقد كان لشاهات خوارزم وأهلها دور عظيم في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في تركستان الشرقية وفي بلغار الفولجا.. وقاموا بدور هام في الحفاظ على الثقافة الاسلامية وتشجيع العلماء وتوقيرهم مما أدى في النهاية الى تحول كثير من القبائل التركية وقبائل بلغار الفولجا الى الاسلام..

كما أن الثقافة الاسلامية التي حافظوا على نشرها ادت في النهاية الى اسلام احفاد جنكيزخان رغم الدمار الهائل الذي حل ببلاد الاسلام نتيجة هجوم المغول الكاسح المدمر..

جنكيزخان والدولة المغولية: وقد كان ظهور جنكيزخان في بداية

لقد تحولت القبيلة الذهبية (الاوردوالذهبي) في عهد بركة خان الى الاسلام في القرن الثالث عشر الميلادي وتبعها بعد ذلك أولوس جغتاي وأولوس هولاكو.. واصبحت بذلك جميع الاراضي الواقعة في الاتحاد السوفيتي اليوم تابعة للمسلمين..



إمبراطورية المغول في القرن الثالث عشر

١ - أولوس جوچي الاوردوالذهبي ٣ - أولوس هولاكو (ايلخانات الفرس)

٢ - أولوس جغتاي. ٤ - أولوس القآن الأكبر

٥ - الإمارات الروسية الخاضعة للأوردوالذهبي

القرن السابع الهجري (بداية الثالث عشر الميلادي) ٥٩٨ - ٦٢٥ هـ (١٢٠١ - ١٢٢٧ م) وعدم تقدير جلال الدين خوارزمشاه لقوة جنكيزخان واستهتاره بها مما أدى الى اجتياح جنكيزخان لاراضي الدولة الخوارزمية وانهيارها السريع غير المتوقع امام جحافل جنكيزخان، بداية النكبات والمآسي للمسلمين على يد هؤلاء المغول مصاصي الدماء (وقد كان من عادة المغول ان يشربوا الخمر مع الدم مضافا اليها ذوب الذهب والفضة) وقد وصف المؤرخون المسلمون مثل ياقوت الحموي وابن الاثير تلك الوقائع المرعبة.. ولكن هؤلاء المغول الاجلاف الذين كانوا يدينون بالشامانية ابدوا نوعا من التسامح الديني بعد ان وطدوا اركان ملكهم.. وبما أنهم كانوا جهلة في تصريف شئون الدولة فانهم احتاجوا لمعونة كثير من الامم المغلوبة.. ومنذ عهد جنكيزخان كان في بلاطه بعض المسلمين كما كان في بلاطه مستشارون صينيون.. وسرعان ما دخل البلاط المغولي نصارى ايضا..

وفي اواخر عهد جنكيزخان (في عام ٦٢٣ هـ - ١٢٢٥ م) عاد جنكيزخان الى منغوليا (موطنه الاصلي) بعد أن تم له اخضاع دولة خوارزم وما وراء النهر..وبعد أن قامت قوات جنكيزخان بتدمير مدن ما وراء النهر تدميرا كاملا..

ورغم هذا الدمار الهائل الا ان الحياة سرعان ما استعادت قوة تدفقها الى بخارى وسمرقند بل وكركانج ذاتها عاصمة الدولة الخوارزمية.. وكما يقول المستشرق فامبري في كتابه تاريخ بخارى (ان خرائب بخارى سرعان ما حل محلها منشآت جديدة بل لم يأت عام ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) ولما يمضي خمس عشر عاما على تخريب المكان بواسطة جنكيزخان حتى كانت المدرستان اللتان اقامهما مسعود بك وسرقوني بك تزدحمان بألوف الطلبة يدرسون فيهما مختلف صنوف المعرفة).

وينقل بارتولد عن ابن الاثير وجويني ان الهدوء الذي ساد منطقة ما وراء النهر بعد الدمار الهائل الذي احدثه جنكيزخان اتاح لمدن ما وراء النهر ان تستعيد عمرانها ورونقها بأسرع مما فعلت مدن خراسان والعراق...

ويشهد ابن الاثير انه خلال فترة قصيرة من تخريب كركانج (الجرجانية) عاصمة خوارزم قامت مدينة جديدة مكانها واسماها المغول أوركانج بل وامتدت بعد ذلك لتشمل جانبي نهر جيحون بعد أن كانت قبل ذلك واقعة في الضفة الغربية (اليسرى) للنهر فقط.. ورغما من ذلك فان كركانج عاصمة خوارزم وخوارزم نفسها لم تسترد رونقها الا في بطء ملحوظ فقد ظلت السدود وقتا طويلا في حالة خراب. وظل نهر اموداريا (جيحون) مدة ثلاثة قرون يصب في بحر قزوين بدلا من أن يصب في بحيرة خوارزم.. «ويكفي كما يقول بارتولد» لاعطاء فكرة جيدة عن الاختلاف بين خوارزم عهد المغول وخوارزم عهد السامانيين قول ابن بطوطة (انه كانت تمتد بين عاصمة خوارزم (اركنج) وبخارى مفازة ليس بها من العمارة سوى نقطة واحدة هي مدينة كاث الصغيرة).. وقد كانت هذه المنطقة ممتدة الخضرة والعمران.

ومنذ عهد مبكر ظهر ميل جوجي ابن جنكيزخان الى المسلمين الذي قال لحاشيته: (أن والده جنكيزخان قد فقد عقله كي يقتل مثل هذا الخلق ويخرب مثل هذا العدد من البلاد.. وأن الصواب هو أن يُقتل والده اثناء الصيد ويعقد هو حلفا مع المسلمين..) كما ينقله بارتولد عن الجوزجاني.. ولقد نما الى علم جغتاي ابن جنكيزخان ما قاله اخوه فأسرع بالخبر الى والده الذي أمر بسم جوجي سرا.. واختلفت الروايات في سن جوجي آنذاك حيث تجعله بعضها في العشرين بينما

تتحدث عنه بعض الروايات بأنه فيما بين الثلاثين والاربعين..

ولم يلبث جنكيزخان الا بضعة أشهر بعد ان قتل ابنه الاكبر جوجي الذي اظهر ميلا للمسلمين.. وكانت وفاة جنكيز خان في اغسطس سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) بعد ان ترك امبراطورية مترامية الاطراف لاولاده.

وكان لجنكيزخان أربعة ابناء هم **جوجي** الابن الاكبر الذي مر ذكره **وجغتاي** **واواكداي** **وتولوي**.. وقسم جنكيزخان مملكته الواسعة بين ابنائه في حياته كما عهد بالحكم العام للمغول أي الخان الاكبر الى اواكداي الذي تولى الملك بعد أبيه..

اواكداي بن جنكيزخان يولي المسلمين وزارة دولته: وكان **اواكداي** يتصف بنوع من دماثة الخلق ولين الجانب ولا شك ان هذا أمر نسبي فقد كان اواكداي مثل اخوته يقيم المجازر احيانا ولكنه اختلف عنهم وعن والده بعدم رغبته في سفك الدماء بدون مبرر الا فيما ندر..

ولهذا نرى اواكداي يقول: أن مليكنا جنكيز قد أقام أسس بيتنا بمجهود جبار. أما مهمتنا نحن الآن فهي تحقيق السلام والرفاهية لافراد الشعب لا إثقال كاهلهم بما لا يطيقون من الاعباء) وقد جعل اواكداي حكم بلاد ما وراء النهر الى وزيره المسلم محمود يلواج الذي كان يقيم بخوقند والذي وصفه ابن الفوطي في (معجم الآداب) بقوله: (فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد يعرف بيلواج الخوارزمي وزير الخاقان (أي أواكداي)) من أعيان دولة جنكيز خان والعظماء والوزراء في هذا الزمان.. وعليه مدار الملك في المشرق واليه تدبير ممالك تركستان وبلاد الخطل وما وراء النهر وخوارزم. وكان مع هذا الحكم والدهاء كاتباً سديداً يكتب بالمغولية والاويغورية والتركية والفارسية ويتكلم بالخطائية

والهندية والعربية. وكان غاية في الفهم والذكاء والمعرفة.. وبتدبيره انتظم للمغول ملكهم.. ووصفه جمال قرشي: بأنه اعدل وزراء الخواقين (جمع خاقان وهو ملك المغول) ضابط الممالك وحارس اهل الاسلام من المهالك.. ويقول عنه (عمرت البلاد بيده وانتعشت العباد بعدله).. وقد اثنى المؤرخون ومنهم الجويني على محمود يلواج وابنه مسعود بك واستردت البلاد في عهدهما رخاءها السابق وبلغت بخارى شأواً بعيداً بعد خرابها على يد جنكيزخان..

وقد كان لمحمود يلواج هذا فضل كبير في تجنيب المسلمين كثيرا من المهالك والمجازر.. التي كان يهم بها جغتاي ابن جنكيزخان وأخ اوكداي.. وكان جغتاي ينقم على المسلمين ذبحهم للحيوانات ووضوءهم من الانهار.. ولولا جهود محمود يلواج لنال المسلمين منه اذى كثيراً..

وقامت ايضاً ثورة في بخارى وما حولها قام بها مشعوذ زعم انه ولي يسمى تارابي وحصلت على يديه بعض الخوارق فاتبعته عامة الناس وثاروا على المغول وطردوهم.. وقتلوا منهم فلما اصيب تارابي هذا بسهم ومات انهزم من حوله وأراد المغول كعادتهم استباحة بخارى وتخريبها وذبح جميع سكانها فاستطاع محمود أن يتشفع لهم لدى اوكداي ويصدر بذلك عفوا عنهم..

وتولى الوزارة بعد محمود يلواج ابنه مسعود بك الذي فاق أباه في علو الهمة والحكمة كما يقول عنه المؤرخ ابن الفوطي.. وكما وصفه جمال قرشي بقوله: (صاحب السيف والقلم ناصب الطور والعلم ناشر البر والكرم راقي رتبتي الملك والعلم ساقي كاس البأس والحلم، سايق حليبي الحرب والسلم. ليثي الوثوب في الحرب، غيثي السيوب للنشوب برهان الدنيا والدين مسعود بن محمود الخوارزمي الذي هو خلاصة العقد) الخ.. ويذكر استتباب الأمن والدعة في عهده وانتشار العلم والمدارس في

أيامه.. وقد توفي مسعود هذا في بخارى في شوال سنة ٦٨٨ هـ ودفن في المدرسة التي أقامها.. ومسعود هذا هو الذي تحدث عنه فامبري في كتابه تاريخ بخارى واشاد بمدرسته التي كان يؤمها الآف الطلاب من كل مكان.

وتولى بعده الوزارة ابنه أبو بكر بن مسعود سنة ٦٨٩ هـ ومات في شعبان سنة ٦٩٧ هـ ثم تولى بعد ذلك اخوه ستلمشي بن مسعود.. ثم تولى بعده اخوه سيونج بن مسعود. وذلك سنة ٧٠٢ هـ.

وهكذا بقيت الوزارة في يد محمود يلواج وأبنائه واحفاده فترة طويلة من الزمان.. استطاعوا خلالها ان يجنبوا المسلمين المزيد من ويلات المغول.. كما استطاعوا أن يعمروا البلاد ويعيدوها الى شيء مما كانت عليه قبل الغزو المغولي.. وقد استطاع محمود ان يؤثر على اواكداي تاثيراً حسناً حتى أن المؤرخين الجويني والجوزجاني يقولان (أن اواكداي كان يفضل الاسلام على بقية الاديان.. وأنه كان يحمي المسلمين من كيد اعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والايغور).

جفتاي بن جنكيزخان يحقد على المسلمين

وعلى النقيض من ذلك كان جغتاي ابن جنكيزخان الذي كان اكبر افراد البيت المالك سناً بعد وفاة جوجي الذي قيل انه سمه والده جنكيزخان كما تقدم.. وقد كان اواكداي يتحايل لحماية المسلمين من بطش جغتاي الذي كان يكن العداء للمسلمين ولاسلوب حياتهم.. ورغم ذلك فقد استطاع قطب الدين حبشي عميد وأصله من التاجيك من أهل مدينة أترار أن يصل الى مركز الوزير لدى جغتاي.. وقد تمتع حبشي عميد بدرجة من النفوذ جعلت الاسر الحاكمة تسعى الى مصاهرته ومن ذلك أن قطب الدين حاكم كرمان زوجه من احدى قريباته..

ومع هذا فلم يؤثر عن حبشي عميد أنه استطاع أن يؤثر في اتجاهات جغتاي نحو المسلمين ولا بطشه بهم وذلك ما حدا بالشاعر الصوفي باخرزي ان يخاطب الوزير بهذه القصيدة الفارسية التي تقول ترجمتها ما يلي[1]: (بما أن رب العزة قد أوكل اليك في هذه الدولة أن تنصر الحق فماذا سيكون عذرك يوم الحشر اذا أنت لم تقم بذلك؟

وفي ملتنا الاسلامية، نصرها الباري الى يوم الدين، فأن شروط الرياسة ثلاثة هي العلم والسن والإسلام.. فإذا أراد شاب لا خبرة له أن يتولى الرياسة فإنه في نظر العقلاء لا يعيب المسنين أن يحرموا منها (يعرض بحبشي عميد تعريضاً قوياً بأنه جاهل غمر لا علم له ولا دين). وحيث يصبح الهدهد القواد ملكاً فإنه لا عار على البازي في ايام دولته أن يكون بغير تاج.. ومن الأفضل للعقلاء أن ينأوا بأنفسهم اذا ما تولى السفهاء الرياسة (وهو تعريض اشد من سابقه) ذلك أن القصر عندما يصبح منبراً فإنه من الخير البقاء بلا منبر).

ويعلق بارتولد على ذلك قائلاً (لقد كان المتصوفة خلال الغزو المغولي أكثر حمية من غيرهم في اذكاء روح المقاومة ودعوة الشعب الى جهاد عدوهم وقد سقط اثنان من رؤسائهم هما نجم الدين الكبرا وركن الدين إمام زاده اللذان يعد الشاعر باخرزي من مريديهما، سقطا في الدفاع عن كركانج وبخارى ونجم الدين الكبرا هو مؤسس الطريقة الكبراوية المنتشرة الى اليوم في خوارزم وما حولها.

وفي عهد جغتاي لم يظهر أحد من المسلمين في بلاطه سوى حبشي عميد الذي كان يعتبر بمثابة الخائن من جمهرة علماء الاسلام.. بينما كان معظم مستشاريه من الصينيين الذين فازوا بالحظوة لديه.

---

(١) من كتاب التركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي لبارتولد ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم..

أما في عهد الخاقان اوكداي فقد كانت مكانة محمود يلواج وابنه مسعود بك عالية لا يضارعها أحد في المنزلة حتى أن اواكداي أوكل حكم الصين لمحمود يلواج بالإضافة الى تركستان وما وراء النهر..

وفي عهد محمود بك شيدت كثير من المعاهد والمدارس العلمية ويشيد المؤرخون بمدرسة مسعود ببخارى والمدرسة الخانية التي شيدت على نفقة أرملة تولوي الملكة سور قفتني بيكي التي كانت كما يستغرب بارتولد مسيحية وليست مسلمة..

وكان المتولي لأمر هذه المدرسة هو سيف الدين باخرزي الشاعر الصوفي المشهور الذي تقدم ذكره. كما أقام مسعود بك المدرسة المسعودية بكاشغر. وعندما تولى جغتاي بن جنكيزخان الأمور بعد وفاة اخيه اواكداي تعقدت الامور في وجه المسلمين وتولى بعد جغتاي ابنه قراهولاكو الذي كان يميل الى النصارى ولذا كان بابا روما يرسل الوفود اليه.. وتولى بعده كويوك الذي تأثر بأستاذه المسيحي قداس وبمستشاره النصراني هو جينغاي.. وكان عهده أسوأ العهود بالنسبة للمسلمين اذ تعاون هؤلاء المغول مع الصليبيين لاستئصال المسلمين.. واستغل المسيحيون هذه الفرصة لتعذيب المسلمين وأوغروا صدر كويوك ضدهم وكانت الطامة عندما نصح دويوك راهب بوذي يدعى توين بأن يخصى جميع رعاياه المسلمين.

واصدر كويوك أمره الى توين الذي خرج يحمل نص هذا **القرار** فإذا بكلب شرس يمزقه شر ممزق.. مما جعل كويوك يغير رأيه ويلغي قراره هذا.

كويوك وهولاكو يقعان تحت تأثير الصليبيين ويشددان الحملة ضد المسلمين

وفي عهد كويوك (كيوك) ابن اواكداي قام هولاكو بتأثير كيوك وتشجيعه بغزو دار الخلافة بغداد.. ونشر الدمار على ربوع أرض الخلافة ولم يتوقف ذلك الدمار الذي نشره هولاكو إلا في عين جالوت عندما هزم قائده كتبغا على يد السلطان قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس البندقداري. وقد كان كويوك وهولاكو متأثرين بالنصرانية وكانت رسل البابا لا تنقطع عن بلاطهما.. وكذلك فعل اباقا بن هولاكو.. أما تكودار الابن الثاني لهولاكو فقد تحول من النصرانية الى الاسلام ولذا قتله ارغون ابن أخيه أباقا الذي كان شديد العداء للاسلام..

بركة خان يغير اتجاه المغول:

وظهر بركة خان بن جوجي ليغير اتجاه المغول الذي بدى معادياً للاسلام وقد كان بركة مثل والده جوجي محباً للمسلمين ويبدو أن لجوجي بن جنكيزخان (الذي وقف ضد والده جنكيزخان عندما هاله منظر الدماء التي سالت بدون مبرر والذي دفع حياته ثمناً لذلك)، أثراً في ذلك فقد عهد بتربية ابنه الى احد علماء المسلمين في خجند كما يقول الجوزجاني.. وكان بركة شديد التدين ورعاً تقياً ولم يسمح لأحد بأن يأكل الخنزير في معسكره بل لقد استطاع بركة خان أن يجعل جنوده جميعاً مسلمين...

وقد تولى بركة أمر تركستان واواسط آسيا بعد أخيه باتو الذي كان أيضاً متعاطفاً مع المسلمين. واستمر حكم بركة خان من (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ)(١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في عهده

وخاصة في القبيلة الذهبية التي جاءت من نسل جوجي وبلغ من إيمان بركة خان ان حارب ابن عمه هولاكو الذي كان شديد العداء للإسلام بسبب التيارات النصرانية التي أثرت فيه ووقف بركة خان مع السلاطين المماليك ضد هولاكو ثم ضد ابنه اباقابن هولاكو.

وامتد سلطان القبيلة الذهبية في روسيا وكان حوض نهر الفولجا اسلامياً خالصاً في عهدهم..

وأقام هؤلاء المغول امبراطورية اسلامية في داخل روسيا وحكموا موسكو وبولندا. ولم يكن أمير موسكو ينصب إلا بعد موافقتهم وأقاموا مدينة قازان القريبة من موسكو والتي اشتهرت بمدارسها ومساجدها.. كما أقاموا مدينة استراخان (الحاج طرخان) شمال بحر قزوين.. وكانت حاضرتهم مدينة السرا. على ضفاف نهر الفولجا..

وكان من هذه الاسرة السلطان محمد أوزبك الذي آل اليه أمرها سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) واستمر في الحكم حتى عام ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وقد زاره ابن بطوطة وسجل ذلك في رحلته المشهورة وقال عنه: «وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكانة قاهر لاعداء الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم.. وبلاده متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وأراق وسرادق وخوارزم وحاضرته السرا..

«وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة (وهو الخليفة العباسي الذي انتقل الى مصر بعد خراب بغداد على يد هولاكو.. وأصبح مجرد رمز

للأمة الاسلامية) وسلطان مصر والشام (من المماليك) وسلطان العراق (من المغول المسلمين الذين يسمون ايلخانية) والسلطان أوزبك هذا (وهو من القبيلة الذهبية المغولية) وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر (وهو السلطان طرمشيرين الذي دخل الاسلام سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) وكان على درجة عظيمة من التقوى.. وهو من نسل جغتاي ابن جنكيز خان عدو الاسلام. وتحولت جميع الاراضي التي كان يحكمها الجغتاي في عهده الى الإسلام وارتفع لواء الاسلام في عهده الى مغولستان والى الصين حيث كانوا يحكمونها).. وسلطان الصين».

وقد ترك لنا أيضاً ابن بطوطة وصفاً دقيقاً لما فعله طرمشيرين بن جغتاي في بخارى وقد نقلنا ذلك عنه عندما تحدثنا عن بخارى فلا نعيده هنا.. (انظر فصل بخارى ومن ظهر بها من العلماء).

ومما تقدم يتضح لنا كيف أن أبناء جنكيز خان الأربعة وأحفادهم اتخذوا سياسات مختلفة نحو الاسلام والمسلمين.. وسنتحدث عنهم وعن احفادهم بإيجاز شديد:

جوجي ابن جنكيز خان: وقد تقدم انه كان محباً للمسلمين حتى فكر في اغتيال والده جنكيز خان ليوقف الدمار الذي احدثه والده ببلاد المسلمين..

ولذا فقد قدم جوجي حياته في سبيل هدفه النبيل اذ علم والده بنيته فبادر الى سمه.. وكان جوجي قد تولى حكم منطقة خوارزم وغربي سيبيريا وسهل القبجاق وما وراء النهر.. وترك جوجي ابنان هما باتو وبركة. فأما باتو فقد كان محبا للمسلمين مقرباً لهم ولكنه لم يعلن اسلامه، وأسس باتو القبيلة الذهبية الذين حكموا خوارزم وما وراء

النهر وسيبيريا ومناطق واسعة من روسيا.. وكان أول من أسلم من هذه القبيلة هو بركة خان بن جوجي الذي تولى أمرها من (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) والذي انتشر الإسلام في عهده انتشاراً واسعاً في القبيلة الذهبية.

وقد كان بركة خان رجلا تقياً قرأ القرآن ودرس الاسلام في صغره على يد أحد علماء خجندة وذلك مما يدل على تعاطف والده جوجي مع المسلمين حيث سمح لابنه الصغير بأن يدرس على يد أحد علماء الاسلام.

وقد اسلمت معظم عشائر القبيلة الذهبية منذ اسلام بركة خان في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).. وكانوا مسلمين سنة وكان لهم شأن بالغ في نشر الاسلام في منغوليا وسيبيريا وروسيا..

ويقص علينا ابن بطوطة في رحلته زيارته للسلطان محمد أوزبك الذي كان يحكم نهر الفولجا من منبعه الى مصبه تقريباً كما كان يحكم القريم.. وكان السلطان محمد أوزبك قد اعتلى عرش السلطنة سنة ٧١٣ (١٣١٣ م) واستمر في الحكم حتى وفاته سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) والسلطان محمد أوزبك هو من القبيلة الذهبية.

وفي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وبالتحديد في سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) تحولت املاك القبيلة الذهبية الى عدة دويلات وانقسمت الى عدة خانيات هي:

١ - استراخان: وتولى كوجوس حفيد اوروس خان حكم منطقة استرخان الواقعة شمال بحر قزوين وذلك سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وبقيت في سلالته وخلفائه حتى عام ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) عندما احتلها إيفان الرابع المسمى ايفان الرهيب.

٢ - **خانية قازان:** أما قازان فقد صارت خانية وحكمها الغ محمد سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) وقد قتل الغ محمد هذا سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وبقيت قازان القريبة من موسكو في يد ابنائه واحفاده حتى انتزعها منهم ايفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م).

٣ - **خانية القريم:** انتقل حاجي كراي ابن أخ الغ محمد مؤسس خانية قازان الى القريم وصار هو خان القريم وذلك سنة ٨٥٣ هـ - (١٤٤٩ م)وتوفي حاجي كراي سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٦ م).. واستمرت سلالة حاجي كراي في حكم جزيرة القرم حتى استولى الروس في عهد الامبراطورة كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م)..

٤ - **أمارة قاسموف التترية الصغيرة..** وقد حكم عدة امراء من فرع الغ محمد وحاجي كراي وفرع الشيبانية السيبيري هذه الأمارة من سنة٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) الى سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م).

وعندما استولت روسيا على املاكهم افرّ هؤلاء الخانات وتشتتوا في البلاد والتجأ بعضهم الى الخلافة العثمانية وبعضهم الى بخارى حيث كانت لا تزال مستقلة يحكمها الشيبانيون..

٥ - **الشيبانيون** وينسب هؤلاء الى شيبان أصغر أولاد جوجي (وبعضهم يجعله أصغر احفاده) وأسس الشيبانيون مملكة عظيمة في بخارى وامتد سلطانها لتشمل معظم بلاد ما وراء النهر.. وقد عاشوا جنوب شرقي جبال الاورال المعروفة الآن في قازاقستان ثم توجهوا الى سهل القبجاق واحتلوا المنطقة المعروفة الآن باسم اوزبكستان وأسسوا دولتهم القوية التي كانت عاصمتها بخارى وأنهوا بذلك حكم التيموريين.

واشتهر من هذه الاسرة عدد كبير من الحكام الاقوياء المتمسكين

بالشريعة الاسلامية والمدافعين عنها والناشرين لواء الدعوة.. والمشجعين للعلم وخاصة العلوم الشرعية.

وقد استطاع ابو الخير الشيباني أن يوسع مملكته فاستولى على خوارزم سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م) وغزا حفيده محمد الشيباني افغانستان وخراسان سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) وضمها الى مملكة آل شيبان.. وكان شديداً في صراعه مع الشيعة وقتل في اثناء معركة مع الشاه اسماعيل الأول صاحب الدولة الصفوية بالقرب من مرو سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠ م).واستمر حكم هذه الاسرة حتى عهد اسكندر الثاني الشيباني الذي لم يكن له عقب.. وكان قد زوج ابنته الى الامير جان ابن يار محمد الذي فر من استراخان بعدما سقطت في يد إيفان الرهيب فلما مات اسكندر الثاني تولى الحكم بعده زوج ابنته جان ابن يار محمد الاسترخاني وذلك سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨ م) وبذلك أسس من جديد الأسرة الاستراخانية (أو الاشتراخانية) وتسمى أحياناً الجانية.. وهم أيضاً فرع من أسرة جوجي ابن جنكيز خان.

وفي خوارزم (خانية خيوه) حكم الشيبانيون منذ سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) بصورة مستقلة وذلك بفرعهم المعروف بإسم عرب شاهية.. ومن هذا الفرع المؤرخ المشهور ابو الغازي بها درخان مؤلف كتاب شجرة الاتراك.. وقد حكم هذا الفرع خانية خيوة حتى عام ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) حيث انتقل الحكم الى أسرة قونغرات الذين لقبوا انفسهم بالخانات منذ عام ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م)..

وفي فرغانة نما فرع من فروع الشيبانية وأسس خانية خوقند (خجند) التي استمرت تحكم حتى استولى عليها الروس سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٢ م).

وكان للشيبانيين فروع أخرى تحكم داخل روسيا حيث خضعت مدينة تومن (تيومن) للأمير الشيباني ايبك سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) واستمر احفاده في حكمها وحكم نهر توبول الأعلى حتى سنة ١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) عندما احتلت روسيا القيصرية اراضيهم.

وهكذا نرى كيف ارتبط جوجي وأولاده وأحفاده بالاسلام منذ اللحظة الأولى وكيف اسسوا الدول الاسلامية في بخارى وخوارزم وامتد سلطانهم الى قازان القريبة من موسكو واستراخان والقريم. وكيف كان نهر الفولجا في أيامهم نهراً إسلامياً من منبعه الى مصبه.. أما سيبيريا فقد كانت مناطق واسعة منها تابعة لهم. ونشروا الاسلام فيها. وسنرى كيف تعامل بقية ابناء جنكيز خان واحفاده مع الاسلام في السطور التالية بإيجاز شديد...

جغتاي ابن جنكيز خان: لقد مر معنا موقف جغتاي المتعنت المتصلب ضد الاسلام وكيف كان النصارى والبوذيون يتقربون اليه ويبغضونه في الاسلام والمسلمين.. وهكذا كان أولاده بل وحفيده قراهولاكو الذي أقام حلفاً مع الصليبيين ضد المسلمين.. وكذلك كان خليفته كيوك ابن اوكداي الذي كان نصرانياً حاقداً على الاسلام والمسلمين.. وكان عهد جغتاي واحفاده من أسوأ ما مر بالمسلمين. وتعاون كيوك وهولاكو الذي كان مستولياً على فارس للقضاء على المسلمين قضاء تاماً.. واستطاع هولاكو أن يدك عرش الخلافة العباسية وأن يبيد من سكان بغداد وما حولها اكثر من مليون ولولا ان أوقف الله هذا الطوفان المدمر لأتى على كل مدينة وحاضرة اسلامية فكانت هزيمته في عين جالوت على يد السلطان قطز والقائد المظفر بيبرس البندقداري بداية النهاية للمد المغولي النصراني الحاقد على الاسلام..

ورغم ان إباقا ابن هولاكو كان أيضاً نصرانياً حاقداً إلا أن أخاه تكودار تحول من النصرانية الى الاسلام ورغم أن ارغون ابن أباقا النصراني قتل عمه المسلم تكودار وبذلك ابقي على تيار الصليبية في المغول الذين حكموا فارس إلا أن حفيد أرغون نفسه تحول الى الاسلام وعرف باسم أبو سعيد وتولى حكم فارس والعراق من سنة ٧١٧ هـ (١٣١٦م) الى سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٥ م) وكان أشهر من دخل من اسرة جغتاي المتعصبة ضد الاسلام في الاسلام هو السلطان ترمشيرين سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م).. وكان هذا السلطان على درجة عظيمة من التقوى والعدل والصلاح..

وتحولت بإسلامه جميع الأراضي التي كان يحكمها الجغتاي الى الاسلام.. وقد امتد سلطانهم من منغوليا الى اجزاء من الصين.. واسهموا في صبغ هذه المناطق بالصبغة الاسلامية (كما تقول دائرة المعارف الاسلامية) وقد زار ابن بطوطة في رحلته المشهورة هذا السلطان ووصف عدله وورعه وتقواه وقد نقلنا بعض ما قاله عنه (في فصل بخارى ومن ظهر بها من العلماء) فنحيل القارىء عليه. وقد وصف المستشرق فامبري في كتابه تاريخ بخارى اسلام ترمشيرين حيث يقول: وبعد أن دخل الجغتائيون المتأخرون في الاسلام نجد كتب الحديث تروج أيام علاء الدين ترمشيرين المغولي كما نجد هؤلاء الأمراء باعتناقهم الاسلام عن قرب تدفعهم غيرتهم الدينية الى رعاية هذه الحركة الروحية لا يألون جهداً في ذلك. ولقد رأينا كيف يتقبل احفاد الفاتح المغولي (جنكيز خان) بكل خضوع زجر الشيوخ المحافظين لهم وتعنيفهم اياهم بمسجد عام في مواجهة رعاياهم، وهم من بعد ذلك يتولاهم الخجل لما كان قد وقع منهم ويستغفرون لذنوبهم على مشهد من الملأ جميعاً.

وانتهى حكم الجغتائيين هؤلاء سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨ م) عندما سقطت منهم آخر معاقلهم في كشغر.

اوكداي ابن جنكيز خان: وقد تولى اوكداي أرض أبيه الاصلية.. وكان ميالا للمسلمين رغم انه لم يدخل الاسلام.. وقد مر معنا كيف استوزر محمود يلواج الخوارزمي الذي استطاع ان ينقذ المسلمين من مهالك محققة.. ليس ذلك فحسب بل استطاع محمود يلواج (أي السفير) وابنه مسعود بيك من بعده ان يبسط الأمن وأن يعيد بناء المدن الاسلامية التي خربها جنكيز خان ففي عهده قامت بخارى وسمرقند وكركانج (الجرجانية) كأحسن ما تكون المدن واستعادت كثيرا من عظمتها ورونقها ومدارسها ومعاهدها..

ولا يذكر لنا التاريخ ان هذا الفرع دخل الاسلام بل بقي على وثنيته ودينه الشاماني.. واستمر اولاد اوكداي وأحفاده على دينهم وانتهت الأمور الى الحرب بينهم وبين الجغتائيين المسلمين وفر آخر حاكم من أسره أوكداي وهو جابار الى امبراطور الصين في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) واندثر هذا الفرع وتولى الجغتائيون المسلمون حكم مناطقهم وتحول من بقي منهم الى الاسلام..

تولى ابن جنكيز خان: وهو أصغر ابناء جنكيز خان وتولى حكم منغوليا وسقطت الصين في يد قبلاي ومونككة ابني تولى.. وكانت عاصمة منغوليا قراقوم وتحول قبلاي الى البوذية وتشرب خلفاؤه الذين أصبحوا اباطرة الصين الثقافة الصينية والدين الصيني..

أما هولاكو ابن تولى فهو أشهر أحفاد جنكيز خان فقد التصق اسمه بالدمار الشامل الذي حل بالخلافة العباسية وبالمسلمين على يديه وكان ابنه أباقا ايضا صليبيا نصرانيا حاقدا على الاسلام والمسلمين ولكن اخاه تكودار تحول من النصرانية الى الاسلام وكان بذلك أول ابناء هولاكو دخولا في الاسلام.. وكان تكودار أول شهيد من آل هولاكو فقد قتله ابن اخيه ارغون بن أباقا غيلة.. ذلك لأنه مليء بالحقد

الصليبي مثل أبيه فجن جنونه عندما علم بإسلام عمه وخاف أن يتحول مغول فارس على يديه الى الاسلام..

ولكن احفاد هولاكو دخلوا في الاسلام وافرين وكذلك دخل ابن ارغون نفسه في الاسلام.. وعرف فرع هولاكو الذي حكم فارس والعراق باسم ايلخانات الفرس.. وأصبحوا احدى الدول التي تدافع عن الاسلام بعد أن كانوا أشد أعدائه وأعتى خصومه..

تيمورلنك: ولد سنة ٧٦٥ هـ (١٣٣٦ م) في مدينة كشى بالقرب من سمرقند واعتلى العرش بعد معارك طاحنة مع منافسيه وهو من التتار الذين يمتون بصلة نسب الى المغول الذين ظهر منهم جنكيز خان ويقال ان التتار والمغول كعبس وذبيان في قبائل العرب وكان التتار قد أسلموا جميعاً وكان والد تيمورلنك شيخاً ورعاً زاهداً وينتسب تيمورلنك من جهة أمه الى جنكيز خان فورث تيمورلنك من جده جنكيز خان بطشه وجبروته وحبه للدماء وورث من أبيه ورعه وزهده ومحافظته على الصلاة وقراءة القرآن.. وكان تيمورلنك يجمع بين العبادة والبطش جمعا غريبا نادر المثال فكان يداوم على قراءة القرآن ولا يصلي الا في المسجد ومع ذلك كان يقيم اهراماً من الجماجم اذا وجد مقاومة كما فعل في أهل اصفهان وتبريز عندما قاومته الدولة الصفوية..

وأسس تيمورلنك امبراطورية ضخمة جعل قاعدتها سمرقند.. وفي عهده بلغت سمرقند ذروة مجدها وغناها وعظمتها وجمالها وكان تيمورلنك شديد الطموح عالي الهمة وكثيرا ما يقول: «اذا كان هناك رب واحد فحسب الواجب ان يحكم الدنيا سلطان واحد فقط، وما تكون الدنيا بالقياس الى طموح أمير عظيم».

واجتاحت قوات تيمورلنك اواسط آسيا فدانت له منغوليا

والتركستان وجميع ما وراء النهر وأفغانستان والهند وفارس والعراق والشام وامتد ملكه ليشمل روسيا وبولندا سنة ٧٨٦ هـ.. كما انه حارب بشراسة السلطان بايزيد الأول العثماني وهزمه وأخذه معه أسيراً.. وتلقب تيمورلنك بخليفة جغتاي وسليل جنكيزخان واهتم تيمورلنك الى جانب اعماله العسكرية التي لم يضارعه فيها من القدماء الا الاسكندر المقدوني وجنكيزخان.. بالعلوم.. وكان يأخذ معه المهندسين ومهرة العمال ليبنوا المساجد والقصور ومدارس العلم..

واستطاع تيمورلنك ان يقضي على ايلخانات المغول في تركستان وما وراء النهر وفي فارس والعراق واستراخان والقريم وقازان.. وان يخضعهم جميعا لسلطانه..

ومات تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) بعد أن أسس امبراطورية ضخمة لم يحسن اولاده المحافظة عليها ما عدا امبراطوريتهم في الهند التي عرفت باسم الامبراطورية المغولية (وهي ليست مغولية) وظهر منهم أكبر خان وأورنك زيب الملك الصالح..

وقد كانت الامبراطورية المغولية في الهند باذخة حقا ومن آثارها تاج محل كما ان لها دور كبير في نشر الاسلام في القارة الهندية.. وقد كانت مسيطرة على القارة الهندية سيطرة شبه كاملة حتى جاء الانجليز ومزقتهم الفتن والخلافات التي استثمرها الانجليز أحسن استثمار حتى قضوا عليهم.. أما امبراطوريتهم في بلاد ما وراء النهر فسرعان ما قضت عليها الاسرة الشيبانية التي تنتسب الى القبيلة الذهبية التي أسسها باتوبن جوجي ابن جنكيز خان والذي مر معنا ذكرهم ودورهم في حكم بلاد ما وراء النهر وروسيا..

وقد حكم التيموريون ما وراء النهر بعد وفاة تيمورلنك لمدة قرن من الزمان تقريبا (٨٠٧ - ٩٠٦ هـ) (١٤٠٥ - ١٥٠٠ م) كثرت فيها

الحروب فيما بينهم.. وظهر منهم آلغ بيك المحب للعلوم ومؤسس المدارس المشهورة في بخارى وسمرقند كما أسس مرصدا ضخما لمسح الأرض وتحديد خطوط الطول والعرض والكرات السماوية والنجوم.. ووضع الخرائط الدقيقة نسبيا لمختلف المناطق على الكرة الارضية..

واشتهر هذا الأمير بأنه قضى غالب حياته مجتمعا بالعلماء حفيا بهم وبطلبتهم بل ومشاركا لهم في دروسهم ومناقشاتهم. كما اشتهر من أحفاد تيمورلنك أبو سعيد الذي وحد جميع بلاد ما وراء النهر وانطلق الى خراسان وسيستان وكرمان وفارس.. ولكنه اصطدم مع مؤسس دولة التركمان القوي في أذربيجان أوزون حسن وقتل في ميدان المعركة معه.

أما في هراة (أفغانستان) فقد كان يحكمها حسين بيقرا احد احفاد تيمورلنك الذي استطاع ان يبعث في هراة امجاد خراسان القديمة متمثلة في تلك الحياة الفكرية والثقافية الرائعة التي شهدتها هراة في عهده.

وبانتهاء التيموريين وظهور الشيبانيين عادت بلاد ما وراء النهر وتركستان عامة الى حكم المغول المسلمين.. كما مر معنا تولي الشيبانيين ثم الاستراخانيين. وهم أيضاً من الأسرة الذهبية المغولية الذين فروا من وجه القياصرة الى بخارى وتولي جان ابن يار محمد الاستراخاني الحكم في بخارى بعد وفاة اسكندر الثاني اخر حكام الشيبانيين وذلك سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨ م)..

الاشتراخانيون:(١٠٠٦ - ١١٥٧ هـ) (١٥٩٧ - ١٧٣٧ م).

لقد حكم الاوزبك الشيبانيون بخارى وما وراء النهر من (٩٠٦ الى ١٠٠٦ هـ) (١٥٠٠ - ١٥٩٧ م) ثم انتقل الحكم الى جان بن يار الاستراخاني الذي فر من استراخان بعد استيلاء الروس عليها الى الامير اسكندر الثاني الشيباني في بخارى والذي زوجه ابنته.. ولم يكن

للأمير اسكندر أي عقب من الابناء فتولى الحكم بعده الامير جان وبهذا ابتدأ حكم الاشتراخانيين الذي دام من سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) ودام الى سنة ١٠٩٩ هـ (١٦٨٩ م).

وقد تقدم ان هؤلاء الاشتراخانيون هم أيضاً من نسل جوجي ابن جنكيز خان مثل اقاربهم الشيبانيين.

وكان جد هؤلاء الاشتراخانيين قتلق تيمور أحد قواد تيمورلنك وهو الذي استولى على بولندا عام ٧٨٦ هـ (١٣٥٦ م). ثم أسس أحفاده خانية استراخان التي قضى عليها ايفان الرهيب سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م). واستمرت الحروب في عهد الاشتراخانيين بين بخارى والدولة الصفوية الشيعية في ايران كما كان الامر من قبل في عهد الشيبانيين.. وهذا ما أضعف المسلمين وجعلهم لقمة - سائغة للغزو الروسي في تلك المناطق.

ولأول مرة في تاريخ أي دولة اسلامية يتكرر تنازل الحكام طواعية ليذهبوا الى المدينة المنورة لكي يعيشوا حياة العباد والزهاد ويدفنوا في بقيعها..

وممن فعل ذلك قلي خان سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٠ م) وعبد العزيز بن نظر خان الذي آثر العزلة على محاربة أخيه سبحان قلي فانسحب الى المدينة المنورة.. وفي اثناء الطريق الى مكة هاجمته عصابة من قطاع الطرق حاول جهده معهم ان يتجنب اراقة الدماء فلما وجدهم مصرين على أخذ جميع متاعه ومتاع رفاقه حاربهم وقضى عليهم ثم واصل طريقه الى مكة ومنها الى المدينة حيث دفن في بقيعها بجوار ابيه وعمه.

وكان آخر السلاطين الاقوياء (نسبيا) من الاشتراخانيين هو سبحان قلي الذي بلغت بخارى في ايامه شأوا بعيدا حتى كان السفراء يأتون إليها من كاشغر والقرم وبلاد الهند والدولة العثمانية.

المنغيت:

وانتهى حكم الاشتراخانيين بظهور المنغيتيين وهم من الاوزبك الـذين يرجعون في أصولهم الى جنكيز خان مثل الشيبانيين والاشتراخانيين.. وقد ظهر هؤلاء المنغيت كجنود وقادة لامراء خيوه وللامراء الاشتراخانيين وتقلد زعيمهم رحيم باي الوزارة عند ابي الفيض الاشتراخاني.. وكذلك تولى ابنه دانيال باي الوزارة.

وكان لدانيال هذا ولد يدعى معصوم لزم في شبابه فرق المتصوفة ولبس الخرقة واعتكف في المساجد وزهد في الدنيا.. وعرضت عليه الوزارة فرفضها.. وعندما حدثت الفتنة التي أثارها يناز علي بك أمير شهرسبز الحّ الناس عليه في تولي الوزارة والقيادة العامة للجيوش فخرج من عزلته الى ميدان الجهاد وأخمد هذه الفتنة وازداد حب الناس له لعدله وتنفيذه احكام الشريعة.

وعندما رأى أن سلطان بخارى أبا الغازي يتهاون في تنفيذ الشرع عزله سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) وأجمعت الأمة على توليه السلطة فتولاها..

وقام الأمير معصوم المنغيتي الزاهد العابد المجاهد باخضاع بلخ ومرو التي كان يحكمها امراء متنازعون بعيدون عن تطبيق الشريعة الاسلامية..

وظل هذا الامير يحكم ثمانية عشر عاما ذاع فيها صيته لاستمساكه الشديد بالشريعة وتطبيقه اياها واحيائه للسنة ورقابته الشديدة على جميع رعاياه في ذلك.. وزهده وعدله الذي اقتدى فيه بسيد المرسلين وبالخلفاء الراشدين حيث كان يكتفي بأبسط الطعام ويقنع بثوب واحد في كل عام يمشي به في الاسواق مرقعا..

وقد نعمت بخارى وما وراء النهر في عهده بدرجة كبيرة من الرخاء والعدل.. ونتيجة الفتاوى المتعددة التي تلقاها من العلماء الذين كان يقربهم ويجلهم ويحترمهم فقد قام بحروب متواصلة ضد الدولة الايرانية الشيعية لاعتقاده زيغهم ومجانبتهم للإسلام الصحيح.. فقضى اثني عشر عاما في حرب متواصلة معهم. وللأسف الشديد استغلت روسيا هذه الحروب واستطاعت ان تختطف من شاه ايران اقا محمد خان القاجاري أراضي واسعة في القوقاس نتيجة انشغاله في مواجهة هجمات الامير معصوم المنغيتي.

ومات هذا الامير العادل الزاهد سنة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م) وخلفه ابنه سعيد حيدر تورة الذي تسمى باسم الامير السعيد وقضى معظم ايام حكمه التي دامت ٢٣ عاما في سلام يلتزم فيها خلوته ساعات طويلة كل يوم ويكثر فيها من الصلاة والذكر والصيام حتى نسبت اليه الخوارق والكرامات.

ثم تولي بعده ابنه نصر الله سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) وفي عهده بدأ الروس يتطلعون الى حكم بخارى واتصل به الانجليز من الهند.. ولم يفطن هذا الامير الى وعود الروس والانجليز له وظن انه على مقدار كبير من القوة..

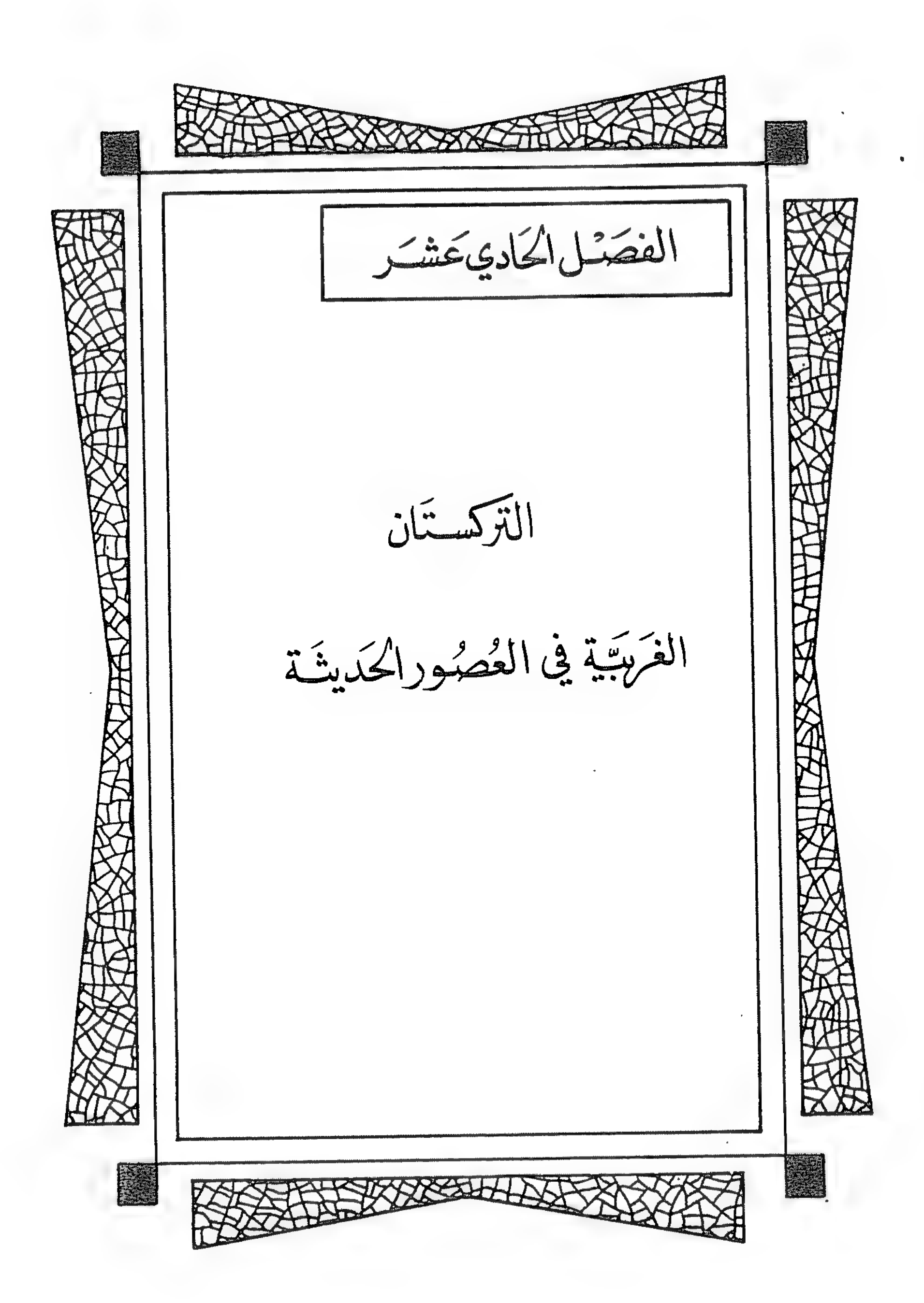
وبدلا من ان ينتبه الى هذه المخاطر قام بحرب أمير خوقند القوي محمد علي خان الذي كان قد انتصر على القوات الصينية الغازية. واستطاع الامير نصر الله المنغيتي ان يلحق الهزيمة بأمير خوقند نتيجة استخدامه الاسلحة الحديثة التي ساعده على استخدامها ضابط ايراني يدعى عبد الصمد خان وتكررت الحروب بين خوقند وبخارى في عهد الامير مظفر الدين خان (١٢٧٧ - ١٢٨٧ هـ) (١٨٦٠ - ١٨٧٠ م).

ونتيجة هذه الحروب المتكررة على خوقند ضعفت هذه الخانية وأصبحت لقمة سائغة للروس الذين قاموا باحتلالها سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ودمروها تدميرا الحقها بالتراب لأنها استمرت تقاومهم سنة كاملة وذلك تحت قيادة الجنرال بيروفسكي.

وسقطت طشقند بيد الروس سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وفي عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) استطاع الأمير مظفر الدين ان يهزم القوات الروسية خارج بخارى واندفع هذا الأمير ليحرر طشقند فانهزم في معركة يردجار ولم ينج بحياته الا بمشقة كبيرة.. وفي عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٨ م) زحف الروس بعد أن وصلتهم امدادات كبيرة على سمرقند فسقطت في أيديهم.. ثم اتجه الروس بعد ذلك الى بخارى.. وبرغم مقاومة البخاريين الباسلة الا أنهم انهزموا في موقعة سربول. واضطر الامير مظفر الدين الى أن يعقد صلحا مع الروس اضطر فيه الى دفع الجزية لهم ولم يرض الأهالي بهذه المعاهدة المهينة فالتفوا حول ابنه وقاموا بالثورة ضد مظفر الدين الذي قام باخضاعهم بمعونة الروس ألد أعدائه.

واستمر حكم المنغيت في بخارى تحت الحماية الروسية حتى اجتاحتهم قوات لينين عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).. وفر آخر خانات بخارى الى أمير أفغانستان ليشرح له أهوال البلاشفة الذين كان قد انخدع بوعودهم.

وهكذا انتهت قصة الدول الاسلامية المتعددة فيما وراء النهر وبدأت قصة الغزو الروسي القيصري ثم البلشفي التي سنتحدث عنها في الفصل القادم..



الفصل الحادي عشر

التركستان

الغربية في العصور الحديثة

الغزو الروسي لتركستان

لقد انتهت الدول القوية من سلالات جنكيز خان الذين دخلوا الاسلام منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) الى دويلات صغيرة متنافرة. فمن فرع جوجي ابن جنكيز خان مؤسس القبيلة الذهبية انتهت الدول القوية الى دويلة صغيرة من فرع الشيبانية تحكم بخاري التي حلت محلها الأسرة الاستراخانية (نسبة الى استراخان) أما خوارزم فقد حكمها فرع آخر من الأسرة الشيبانية وفي فرغانة قام فرع آخر من هذه الاسرة الشيبانية ليؤسس خانية خوقند.. أما خانيات قازان واستراخان والقرم فقد انتهت بالاحتلال الروسي لها منذ أن قام ايفان الرهيب باحتلال قازان سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) واستراخان سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م).. وسقطت القرم بيد كاثرين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م)..

لقد بدأ الغزو الروسي لتركستان بصورة مكثفة عندما وجد نيقولا الاول قيصر روسيا أن سياسته التوسعية تجاه الدولة العثمانية تواجه بمعارضة الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تنافسان روسيا على تركة (رجل أوربا المريض) وعندما انتهت حرب القرم سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) التي دخلت بسببها بريطانيا وفرنسا الحرب مع تركيا لتحد من أطماع نيقولا الأول عندئذ تقدم وزير الخارجية الروسي بتقريره المشهور الذي يقول فيه: **ان مستقبل روسيا التوسعي الاستعماري ليس في اوربا بل في آسيا..**

وكان الدافع الثاني لغزو التركستان هو أن روسيا كانت محتاجة

لمزارع واسعة للقطن لكي تمد مصانع النسيج التي ظهرت في المدن الروسية الكبيرة.. كما انها كانت محتاجة لإيجاد أسواق جديدة حيث أن الأسواق الاوروبية تكاد تكون مقفلة في وجه الصناعة الروسية المتخلفة عنها.

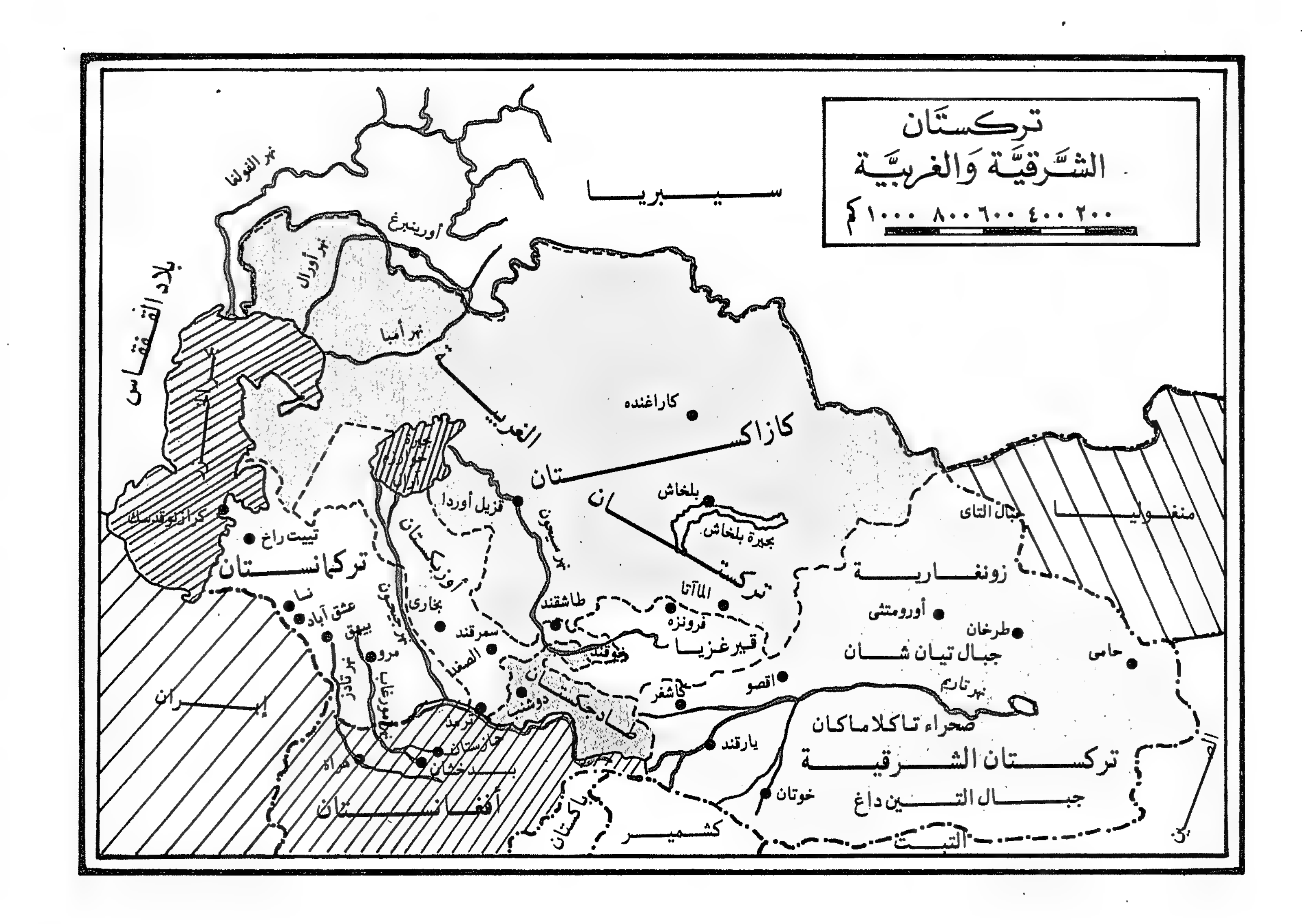
لذا توجهت القوات الروسية بكثافة واحتلت طشقند عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ثم سمرقند في عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) وفي عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) فرضت روسيا حمايتها على خانية بخارى وفي السنة التالية ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) على خانية خوارزم.. وفي عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) توجهت القوات الروسية لإخضاع خانية خوقند فواجهت مقاومة ضارية استمرت عاما كاملا.. وانتقمت القوات الروسية من أهالي خوقند انتقاما مريعا فدمرت المدينة بكاملها وأبادت جميع سكانها.. مما يذكرنا بأعمال جنكيز خان عندما كانت تستعصي عليه احدى المدن أو يواجه مقاومة فيها فيقوم بتدميرها تدميرا كاملا ويبيد من عليها ابادة تامة[١].

وقامت روسيا بغزو تركمنستان فيما يعرف بالحرب التركمانية التي دامت من عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) الى عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) ورغم المقاومة الباسلة التي ابدتها القبائل التركمانية الا أن الأسلحة الروسية المتقدمة والتنظيم الحربي الحديث والجيوش الضخمة اثبتت تفوقها على الشجاعة التي لا تمتلك من الاسلحة الا القليل.

واستطاعت روسيا في هذه الحرب ان تحتل المدن الهامة مثل مرو وسرخس وبيهق ونسا التي أخرجت الآف العلماء والمشاهير في التاريخ الاسلامي.. وقد ظهرت مدينة عشق اباد ومدينة قزيل عروت بعد الاحتلال الروسي على أثر تخريب مدينة نسا. وأصبحت عشق آباد

---

(١) أنظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.



تركستان
الشرقية والغربية
٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ كم
سيبريا
بلاد القفقاس
نهر الفولغا
أورينبرغ
نهر أورال
نهر أمبا
كاراغنده
كازاكستان
تركستان الغربية
بلخاش
بحيرة بلخاش
قزيل أوردا
تيبيت راخ
تركمانستان
نسا
عشق آباد
بيهق
مرو
بخارى
سمرقند
أوزبكستان
طاشقند
الماآتا
فرونزه
قيرغزيا
أقصو
كاشغر
دوشنبه
ترمذ
هراة
إيران
أفغانستان
باكستان
كشمير
التبت
يارقند
خوتان
صحراء تاكلاماكان
تركستان الشرقية
جبال التين داغ
جبال تيان شان
طرخان
أورومتشي
حامي
زونغارية
جبال التاى
منغوليا
الصين

(أشخباذ) احدى المدن الهامة في المستعمرة الروسية الجديدة.

واكتمل فتح التركستان بوصول القوات الروسية الى هضبة بامير التي تعرف بسقف العالم لارتفاعها الشاهق سنة ١٩٠٠ م..

السياسة الاستعمارية الروسية

لقد قامت روسيا بحكم التركستان بواسطة ادارة عسكرية روسية ذات أهداف استعمارية بحتة كما وصفها بنجيسين ولومرسييه[١].. وقامت السلطات الروسية بفرض سياسة العزلة التامة على التركستان حتى تبعدها عن تأثير الحركات الاستقلالية وخاصة تتار الفولجا.. وقد كتب الجنرال كاوفمان أول حاكم عام روسي للتركستان يصف هذه السياسة: (على آسيا الوسطى ان تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى.. الأمر الذي لا بد أن يمنع في هذا الإقليم أي امكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين)..

وخضعت التركستان لسياسة نهب ثرواتها فقد صودرت جميع الاراضي الزراعية الخصبة وأعطيت للروس الذين حولوها الى مزارع للقطن لامداد صناعة النسيج في المدن الروسية... وكما يقول بنجيسن ولومرسييه[٢]..(ظل التركستانيون سليلو التاريخ المجيد، خاضعين لسياسة تمييز عنصري وديني شبيه بسياسة التمييز العنصري الحالية في اتحاد جنوب افريقيا).

كازاخستان

لقد بدأت الهيمنة الروسية على سهوب كازاخستان في وقت مبكر وذلك باسم الحماية الروسية والمساعدة التي بدأت القوات الروسية تقدمها لقبائل الكازاخ التي كانت في صراع مرير ضد قبائل الدجونغار

---

(١) و(٢) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

البوذية الصينية التي كانت تستهدف القضاء على القازاخ المسلمين..

ولذا فإن الحماية الروسية لم تواجه في أول أمرها (في القرن السابع عشر الميلادي) أي مقاومة بل اعتبرت عاملا مساعدا لصد الهجمات الصينية.

ولكن ما أن تمكن الروس من بسط نفوذهم حتى قاموا باسقاط الخانيات الاربع التي كانت تحكم اراضي كازاخستان الواسعة وذلك في حروب متصلة امتدت من سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) الى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م)...

واعتمدت روسيا سياسة بريطانيا في محمياتها فلم تتدخل أول الأمر في حياة البدو ولم تفرض على السكان الخدمة العسكرية في الجيش الامبراطوري.. وتركت لهؤلاء الرعاة أراضيهم الخاصة ومواشيهم..

وقامت روسيا مثلما كانت تفعل بريطانيا بأخذ أبناء رؤساء العشائر الى موسكو ذاتها لتعليمهم نمط الحياة الروسية وليكونوا أدواتها في تنفيذ أغراضها الاستعمارية..

وحتى عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) ظلت السلطات الروسية تنمي في القازاخ الروح القومية النافرة من الاندماج في التركستان أو التتار المسلمين. وأنشأت لهم المدارس الخاصة بهذه الغاية وبذلت الجهود لإيجاد لغة القازاق الأدبية، والمكتوبة بالحرف الروسي بدلا من الحرف العربي.

وكانت هذه السياسة الخبيثة ناجحة الى حد كبير. لكنها اصطدمت بالفشل عندما امتلأت سهوب قازاخستان .بالمستوطنين الروس الذين غمروا السهوب خلال سنتي ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) و١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م).. وقام هؤلاء المستعمرون الروس بطرد السكان من أخصب اراضيهم واستولوا على مراعيهم ومواشيهم.

واستمرت هذه السياسة الاستعمارية الجديدة حتى عشية نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) حيث بلغ عدد المستوطنين الروس والاوكرانيين أكثر من مليون وفي احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) بلغ عدد المستوطنين الروس ٥,٩٩١,٠٠٠ وعدد الاوكرانيين ٨٩٨,٠٠٠ وعدد الروس البيض ١٨١,٠٠٠.. ونتيجة لسياسة الاستيلاء على الأراضي والمراعي الخصبة وطرد السكان الكازاخ.. الى المناطق الجافة.. ثار القازاق واتجهوا بقوة الى الاسلام للحفاظ على هويتهم وذاتيتهم.. وارتبط لديهم مفهوم القومية (الملة) بمفهوم الدين (الاسلام) ارتباطا وثيقا مثلما حصل مع التتار المسلمين من قبل.. وأصبح الحفاظ على الاسلام هو الحفاظ على كيان الأمة وذاتيتها..

وانتشرت الثورات القازاخية ضد المستعمرين الروس واستشهد عشرات الالاف في ميادين القتال.. كما مات منهم الملايين نتيجة المجاعات المريعة التي انتشرت بسبب الاستيلاء على أراضيهم الخصبة. ففي عامي (١٣٤٠ - ١٣٤١ هـ) (١٩٢١ - ١٩٢٢ م) مات مليون قازاخي نتيجة طردهم من مزارعهم ومراعيهم بسبب المجاعة التي حدثت فيهم وفي عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) مات مليون آخر نتيجة مجاعة أخرى بسبب هذه السياسة الاستعمارية الرهيبة.. (وقامت السلطات الروسية فيما بين عامي (١٣٤٥ - ١٣٥٨ هـ) (١٩٢٦ - ١٩٣٩ م) بسياسة (تحضير) اجبارية تميزت بالقسوة الرهيبة وكلفت حياة مليون قازاخي) كما يقول الكاتبان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي)..

وفي فقرة أخرى يقول المصدر السابق (لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن هلاك وموت ثلث شعب القازاخ)..

ويا لها من سياسة تحضير رهيبة أدت الى موت ثلث الشعب بأكمله!!..

الاحزاب السياسية في كازاخستان

لقد ظلت كازاخستان تواجه حرب إبادة واذابة حقيقية تشابه تلك التي واجهها تتار الفولجا والقرم والبشكير.. والتي أدت رغم الابادة والاذابة الى تجذير الاسلام في مفهوم هذه الشعوب وارتباطها به ارتباطاً كاملاً لأن كيانها وبقاءها كأمة مرتبط بإسلامها.. وكلما ازداد الهجوم الروسي شراسة ضد الإسلام لازالته وابادته كلما ازدادت هذه الاقوام تمسكاً به باعتباره ملاذها الوحيد للحفاظ على كيانها.

وعندما أعلنت الحريات الدينية والسياسية عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) تأخر تكون الاحزاب السياسية في كازاخستان بعكس ما حصل عند تتار الفولجا والقرم والبشكير والقوقاس بل والتركستان ذاتها.

ففي كازاخستان كانت الانتلجينسيا (النخبة المثقفة) مستغربة متروّسة الى حد كبير وكانت الى ما قبل ثورة اكتوبر ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) علمانية ومتطلعة الى الغرب[1].. بينما كانت الجماهير باجمعها اسلامية الاتجاه وتكن العداء الشديد للروس الذين يحتلون أرضهم وما لبث موقف هذه النخبة المثقفة نتيجة استمرار توافد المستوطنين الروس والاوكرانيين الى بلادهم بكثافة واحتلالهم لمدنهم واراضيهم أن تحولوا هم بدورهم الى المعسكر المعادي للروس وإن كان تحولهم بصورة بطيئة، ومتجها الى الخط الليبرالي المنادي بالحريات العامة في إطار روسيا الكبرى..

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

وفي عام ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م) تكون حزب (الاش أوردا) الليبرالي والذي كان يدعو الى التعاون مع الاشتراكيين المعتدلين الروس وطالب بإيقاف الاستيطان الروسي في كازاخستان.. ووقف هذا الحزب عند قيام الثورة مع قوات روسيا البيضاء المحاربة للينين وثورته البلشفية.. ولكن موقف كولشاك ودينكين المعادي لاي استقلال ذاتي للمسلمين أدى الى أن يتخلى هذا الحزب عن سياسته المؤيدة للروس البيض ويضطر الى الانحياز الكامل الى قوات لينين الحمراء. تماماً مثل ما فعل البشكير من قبل عندما قاموا بزعامة زكي فيلدي (والدي) طوقان بالقتال في صف قوات روسيا البيضاء ثم اضطروا بعد ذلك للانسحاب بكامل قواتهم والانضمام الى الجيوش الحمراء التي كانت تعلن صباح مساء على لسان لينين وستالين انها ستعطي المسلمين في روسيا حريتهم الدينية والسياسية الكاملة وتؤكد حق المسلمين في روسيا في إقامة حكومتهم الاسلامية الحرة الابية!!

هكذا كان موقف (الانتليجنسيا) (أو النخبة المثقفة) روسيا وليبراليا منذ البداية ولكنه انتهى نتيجة السياسة المتعنتة لقادة روسيا البيضاء الى صف الثورة البلشفية.. أما موقف الجماهير الشعبية القازاخية فقد كان يعبر عنها بصورة أقرب الى الواقع حزب (اوش جوز) الذي تكون عام ١٩١٣ في منطقة سرداريا (سيحون) في جنوب شرق كازاخستان.. وكان قادة هذا الحزب من رجال الملا (علماء الدين) والمثقفين من صغار البورجوازيين وعامة الشعب.. وكان العمود الفقري لبرنامج هذا الحزب هو إقامة دولة اسلامية متحدة مع التركستان وبقية المناطق الاسلامية في روسيا.. وترتكز في مفهومها لتطبيق الحكم على القرآن والشريعة الاسلامية ولم تكن تخفي عداءها للروس سواء كانوا حمراً أم بيضاً.. اشتراكيين بلشفيين أم ليبيراليين ديمقراطيين وسواء كانوا ميالين الى القياصرة أم ميالين الى دكتاتورية البروليتاريا..

فجميعهم أعداء للمسلمين مهما كانت ألوانهم ومذاهبهم.. وكلهم يلتقون في خط واحد بالنسبة للاسلام والمسلمين.. وهو خط المواجهة والعداء السافر وابادة المسلمين واذابتهم وتحويلهم عن دينهم..

ولقد أثبتت الايام صدق ما ذهب اليه هذا الحزب ليس في روسيا فحسب بل في جميع اصقاع الارض وحيث يوجد مسلمون اينما كانوا وحلوا.. وفي عام ١٩١٦ قام هذا الحزب بثورته المشهورة التي عمت جميع ارجاء كازاخستان.. والتي اطلق شرارتها أوامر القيصر نيقولا الثاني بتجنيد جميع المسلمين من سن ١٩ الى ٤٣ وجعلهم يقومون بأخس الاعمال وأقذرها.. كما أثارها تلك الاعمال الاستفزازية الاستبدادية التي ما فتىء المستوطنون الروس يقومون بها ضد القازاخ..

وقام القيصر نيقولا الثاني بإصدار أوامره لابادة قبائل كاملة من القازاخ عن بكرة ابيها وكما **يقول بنجيسن ولومر سيبيه**[1] (**..لقد قامت السلطات الروسية بإخماد الثورة بوحشية نادرة وأبادت قبائل عن بكرة أبيها فيما هربت قبائل أخرى الى الصين. وغرقت البلاد في بحر من الدماء والفوضى).**

وقد أدت هذه الاحداث الى قيام أشهر ثورات التركستان في العصر الحديث وهي ثورة الباسمشتيه التي امتدت من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي بعض المناطق الى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

(ولقد شكلت هذه الثورة أصعب عملية قمع عرفها تاريخ الاتحاد السوفيتي) واضطر حزب (الآش اوردا) المعتدل والمتعاطف نسبياً مع الروس الى تغيير أرضيته السياسية نتيجة الاحداث المتتالية وخاصة من بعد قيام ثورة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)... ومنذ ذلك الوقت طرح بعنف مطلب طرد الروس ثم مطلب اقامة جمهورية قازاخية ذاتية.. وعند

قيام ثورة أكتوبر ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) وتفكك الامبراطورية الروسية وانشغال قوات لينين بمحاربة قوات كولشاك ودينكين واركانجل استغل القازاخ هذه الفرصة وأقاموا دولتهم المستقلة المعروفة بحكومة (الاشي)..

وكانت هذه الحكومة في أول أمرها ميالة الى حكومة روسيا البيضاء الليبرالية وبالفعل التحق قادة القازاخ بصفوف المعادين لثورة لينين البلشفية.. وكونوا فرقة قازاخ اورنبرغ في ديسمبر ١٣٣٦هـ (١٩١٧م). وفي ١٠ ديسمبر ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) أعلنوا الحكم الذاتي السياسي. ونظراً الى شساعة سهوب قازاخستان ألفّوا حكومتين واحدة لكازاخستان الشرقية وأخرى لكازاخستان الغربية...ولكن ما أن تولى كولشاك قيادة روسيا البيضاء حتى أظهر سياسته المتعنتة تجاه المسلمين وأعلن حل حكومة القازاخ التي يقاتل جنودها في صفه. تماماً مثل ما فعل مع البشكير مما دفع بقادة القازاخ والبشكير الى الانسحاب من صفوفه وتوجيه قواتها الى صف لينين الذي كان يعلن بإصرار استعداده لاعطاء المناطق الاسلامية في روسيا استقلالها الذاتي.

وهكذا انضمت قوات (الاش أوردا) الى قوات لينين في مايو سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وتشكلت لجنة ثورية كازاخية نصفها من قادة حزب (الاش اوردا) والنصف الثاني من الروس البلاشفة..

وقامت هذه اللجنة الثورية التي حكمت بلاد القازاخ بالقضاء على قوات كولشاك ودينكين في سهوب قازاخستان.. وكونت بعد ذلك حكومة جمهورية كازاخستان الاشتراكية الاتحادية السوفيتية...

وقد برز من قادة (الاش اوزدا) مجموعة من السياسيين الذين تعاونوا مع لينين الى أقصى حد بل وتبنوا مخططاته نذكر منهم علي بوكيخانوف ودوست محمد وأحمد بيطرسون ومير يعقوب دولاتوف..

وعندما استتب الامر للينين قام بالبطش بهؤلاء الذين وطدوا له دعائم حكمه الأحمر في قازاخستان عندما تجرأوا وطالبوا ببعض الحقوق لمواطنيهم..

قيرغيزيا

لقد بدأ الاحتلال الروسي لقيرغيزيا سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م).. واتبع الروس تجاه القرغيز سياسة استعمارية استيطانية مثلما تفعل اسرائيل في فلسطين منذ البداية وتوافد المستوطنون المستعمرون على قيرغيزيا منذ احتلالها وصادرت السلطات أخصب الاراضي الواقعة حول نهر سيحون (سرداريا) من السكان المسلمين وأراضي الاوقاف الاسلامية وأعطتها لطبقة النبلاء الروس والاوكرانيين وما أن حل عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) حتى كان الروس قد أقاموا ثمانين مستعمرة في أخصب أراضي قيرغيزيا وطردوا منها أهلها ليواجهوا المجاعة في الصحاري والقفار مما أدى الى قيام الثورات المتتابعة والتي كانت تقمع بكل وحشية وهمجية.. وفي ثورة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) أبادت السلطات الروسية ١٥٠,٠٠٠ قرغيزي وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الآلاف..

ولقد استطاعت سياسة الروس الاستعمارية الاستيطانية أن تبيد سكان شمال قيرغيزيا عن بكرة أبيهم.. ومن أفلت منهم فر الى الصين حيث لاقى الكثير منهم حتفهم اثناء فرارهم ومن وصل منهم الى الصين كان مصيره معسكرات الاعتقال الصينية.. وأعمال السخرة التي مات فيها الكثير ممن بقي منهم..

حتى المواشي والاغنام لم تسلم من الابادة الروسية فقد جاء في احصاء ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) أن عددها في قيرغيزيا كان ستة ملايين رأس انخفضت بعد ثمان سنوات من الحكم الشيوعي الدموي الى مليوني رأس فقط وذلك في احصاء عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م).

ولم يسلم من الإبادة حتى اولئك القرغيز الذين تظاهروا بالشيوعية وساروا في ركابها فقد قامت السلطات الروسية بطرد رئيس وزراء قيرغيزيا يوسوب عبد الرحمانوف.. (يوسف بن عبد الرحمن) والزج به في المعتقل كما اعدمت الرفيق رزفيلوف القرغيزي وعبد الكريم صديقوف.. وكان ذنبهم الوحيد انهم طالبوا باشباع مواطنيهم من منتجات قيرغيزيا الزراعية قبل تصديرها الى روسيا..

التركستان

لقد ظلت التركستان ترزح تحت السياسة الاستعمارية الصرفة التي رسمها الجنرال كاوفمان أول حاكم عام روسي للتركستان في القرن التاسع عشر.. والمتلخصة في ابقاء آسيا الوسطى في حالة من الركود والتخلف مع سياسة الاستيطان والاستيلاء على الأراضي الخصبة في جميع انحاء التركستان وتحويلها بكثافة الى زراعة القطن الذي تحتاجه مصانع النسيج الروسية وتحويل السكان المسلمين الى عبيد للاقطاعيين الروس الذين وزعت عليهم أراضي المسلمين..

وكما يقول كتاب (الاتحاد السوفيتي والعالم الاسلامي[1]).. **(أن الحكومات الروسية المتعاقبة صادرت من اموال المسلمين واوقافهم ٤١,٦٧٥,٠٠٠ دياستين (الدياستين = ٢,٧ فدان) أي اكثر من مئة مليون فدان من أخصب أراضي المسلمين).**

ونتيجة لهذه السياسة الاستعمارية البشعة قامت الثورات المتعاقبة في التركستان وفي جميع الأراضي التي خضعت للحكم الاستبدادي الدموي القيصري.

---

(١) تأليف ايفار سبكتور (انظر ثبت المراجع في آخر الكتاب).

الأحزاب السياسية في التركستان

لقد كانت الحركات السياسية والثورية في التركستان تحت قيادة رجال الملا (علماء الدين) والصوفية الذين تجذروا في صفوف الفلاحين والعمال والتجار وأصبحت لهم سيطرة قوية عليهم... وكانت مواقف هؤلاء الملا والصوفية شديدة العداء تجاه الكافر الروسي.. وتشبه الى حد كبير مواقف رجال الملا والصوفية في القوقاس الذين اشتهرت ثوراتهم المتكررة..

وقد قام الشيخ خليفة محمد بثورته العارمة في التركستان سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٥ م) ولكنها أخمدت بكل قسوة معروفة عن أمة الروس التي وصفها لنا المؤرخون المسلمون مثل ابن فضلان وابن رسته وابن بطوطه والمسعودي بانهم (أمة همجية وأهل غدر).

وقد سبقت ثورة الشيخ الامام خليفة محمد ستة عشرة ثورة في التركستان فقط.. وكان قادة هذه الثورات المتلاحقة هم من علماء الدين والصوفية الذين قاموا بالثورات العارمة ضد الكافر الروسي على امتداد الأرض التي احتلها الروس من القوقاس غربا الى حدود الصين شرقا. وبقيت التركستان بعيدة عن التيارات العلمانية والقومية الحديثة الى بداية القرن العشرين.

وفي عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) امتد نشاط المثقفين التتار الى التركستان وخاصة بعد هزيمة روسيا في حربها مع اليابان.. وظهر تأثير نفوذ تركيا الفتاة لدى بعض المثقفين التركستانيين الذين درسوا في تركيا منذ عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

وكون هؤلاء (حزب البخاريين الشباب) في بخارى عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) كجمعية سرية من المثقفين الشباب وبعض علماء الدين الذين

تلقوا تعليمهم في اسطمبول وتأثروا بالأفكار السائدة في تركيا آنذاك والمنادين بالاصلاح السياسي واقامة دولة برلمانية وتحديد سلطات أمير بخارى ومع هذا فقد كانت سياستهم تجاه روسيا عدائية ويطالبون بالاستقلال التام لوطنهم.

ورغم هذه الاتجاهات الليبرالية المحدودة الا ان قيادة المقاومة كانت مقصورة على مشايخ الطرق الصوفية وأئمة المساجد وعلماء الدين واتباعهم من المثقفين وفي عام ١١٣٦ هـ (١٩١٨ م) تكون حزب (الشورى الاسلامية) في طشقند وتولى قيادته رجال الملا (علماء الدين) المنادين بتطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا كاملا وباستقلال تركستان والأراضي الاسلامية في الامبراطورية الروسية عن روسيا.

وعندما قامت ثورة اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أعلن التركستانيون قيام دولتهم المستقلة في خوقند (فرغانه) في نوفمبر ١٩١٧ م.. وكذلك خانية بخارى (التي كانت محكومة من قبل أمير بخارى المنغيتي الذي يرجع بنسبه الى جنكيزخان) وأمارة خيوه اللتان كانتا تخضعان لحماية روسيا القيصرية..

اما طشقند التي كانت محكومة بحامية روسية قوية مع أعداد غفيرة من المستوطنين الروس الذين استعمروها بكثافة فقد سقطت في يد هذه الحامية.. ورغم ان هؤلاء الروس هم من كبار ملاك الأراضي ومن الطبقة الارستقراطية والطبقة البورجوازية إلا أنهم أعلنوا ولاءهم للينين نتيجة بعد قوات روسيا البيضاء عنهم. **وكما يقول بنجيسن ولومرسييه**[1] ...

(وفي اكتوبر ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) حصل البولشفيك الذين استولوا

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي

على السلطة في طشقند على عون لم يكونوا يتوقعونه من قبل السكان الروس المستوطنين في طشقند لأنهم من حيث تركيبتهم الاجتماعية كموظفين وتجار وملاك أراضي في دولة القياصرة كان المفروض أن يكونوا معادين للثورة الشيوعية.. والسبب الرئيسي في اندفاع هؤلاء البورجوازيين والاقطاعيين الروس في تأييد الثورة الشيوعية هو أنهم كانوا يعتبرون (المسلم) عدوهم الرئيسي.. وان الروسي الأحمر خير من (المسلم) مهما كان مذهبه.. وليس من العجب إذاً ان يتصرف النظام الجديد بصورة استعمارية محضة.. وأن يكون المسلمون جميعا قد ابعدوا عن ادارة شئون طشقند).

وهكذا انشطرت التركستان فكانت منطقة طشقند لا تزال تحت حكم الروس وان تغير علمهم من الأبيض الى الأحمر بينما كانت خوقند وما حولها نواة دولة التركستان المستقلة..

وواجهت دولة التركستان في خوقند والتي لم تكن تملك الا اليسير من الأسلحة والقوات المنظمة حربا شرسة من القوات الروسية القيصرية التي تحولت بكاملها في تلك المنطقة الى صف لينين.. **وفي ٥ فبراير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) هدمت مدينة خوقند تهديما كاملاً وأُبيد سكانها وذلك للمرة الثانية** (واجهت فرغانة حرب الإبادة الكاملة والتدمير التام في عهد القياصرة سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م).

وفي مارس ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) شن الروس البلاشفة هجومهم الثاني على أمير بخارى لكن ذلك الهجوم فشل مما أدى الى ارتفاع الروح المعنوية لدى أهل التركستان وتكونت في نفس العام حركة الباسمشتية التي استمرت تقاوم الروس الحمر من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) الى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وفي بعض المناطق الى عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

وكان أهم أهداف هذه الحركة هو إقامة حكومة اسلامية للتركستان وطرد المستعمر الروسي مهما كان اتجاهه قيصريا أم سوفيتيا، ورأسماليا أو شيوعيا.

ومما زاد في هياج أهل التركستان أخبار المذابح في خوقند وتهديم المدينة بكاملها واغتصاب الفتيات المسلمات من قبل الجنود والمستوطنين الروس.. ونزعهم حجاب النساء المسلمات في شوارع طشقند والاعتداء عليهن واغتصابهن مما لم يترك لأي مسلم عرق إلا ونبض بالثورة ضد هؤلاء الهمج المتوحشين الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن بطوطه والمسعودي وابن رسته بأنهم زرق العيون شقر الشعور قباح الوجوه أهل غدر وأقذر الأمم قاطبة..

(ولم تكن هذه الحركة) كما يقول بنجيسن ولومرسيبيه[1] (سوى حركة شعبية مناهضة للروس شملت العناصر الأكثر فقرا في الريف المسلم).

وكان المركز الرئيسي لهذه الثورة في وادي فرغانة ثم انتقلت بعد ذلك الى بخارى والى التركمان.

وقد اشترك في هذه الثورة كل فئات الشعب من الفلاحين والفقراء وقبائل التركمان وعلماء الدين والمرشدين الصوفيين والتجار وسكان المدن. وانضم الى هذه الثورة العارمة أحمد زكي والدي طوقان الذي ترأس أول دولة مستقلة في البشكير وجرب الروس البيض فوجدهم اعداء للمسلمين ثم انخدع بوعود لينين فانضم اليه فلما تبين له غدره انضم الى الثورة في التركستان.. كما انضم لها انور باشا ناظر الحربية السابق في تركيا..

---

(١) كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

ويصف هذه الثورة كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) بقوله:

(ان هذه الحركة هي ثورة عفوية غريزية ضد الكافر الظالم.. وهي ذات طابع ديني واجتماعي.. وهي حركة مجابهة بين الفلاحين والبدو المسلمين الفقراء وبين الفاتح الغريب القوي.. وهذا الفاتح هو العدو القديم الذي عاد الى الظهور بمظهر جديد.. وغايته ليس فقط سلب المسلمين أراضيهم ومراعيهم (كما فعل القياصرة) بل ايضا تدنيس عالمهم الروحي والحق يقال ان الصراع الذي خاضه الجيش الأحمر ضد البشمستية شكل أصعب عملية قمع عرفها تاريخ الاتحاد السوفيتي!!).

أنور باشا وزير الحربية التركي السابق ودوره في ثورة التركستان

لقد استطاعت جحافل لينين ان تجتاح معظم مدن التركستان واستعصت عليه بخارى وخيوه. وما لبث انور باشا ناظر حربية تركيا الذي فر من وجه الحلفاء الى لينين مصدقا وعوده الخلابة بأن يقف مع المسلمين - ما لبث انور باشا ان عرف حقيقة لينين وانه وضع في الكرملين كرهينة واستطاع انور ان يقنع لينين بأنه ذاهب الى تركيا في الأناضول ليدافع عن وطنه فسمح له بالذهاب.. ولما وصل أنور باشا باطوم (وهي على البحر الأسود وكانت تابعة للخلافة العثمانية ولكن استولت عليها روسيا القيصرية في اواخر القرن التاسع عشر).. وجد أن القوات التركية قد صدت القوات اليونانية المهاجمة وانتصرت عليها فتوجه سرا من باطوم حتى وصل بخارى وهناك نظم الثورة ضد روسيا البلشفية التي اذاقت المسلمين من الأهوال ما لم يفعله جنكيزخان وهولاكو، وما لم يفعله ايفان الرهيب وبطرس الملقب بالعظيم من قياصرة روسيا الذين اشتهروا بشدة بطشهم بالمسلمين.. واستطاع انور

باشا ان يوجد مصنعا محليا لصنع الرصاص.. وبقواته القليلة التي لم تزد على خمسة آلاف جندي من اهالي التركستان استطاع ان يقلق جيوش الامبراطورية الجديدة التي أسسها لينين واستطاع ان يحرر نصف اراضي التركستان وان يهزم الروس في معارك عديدة.

استشهاد أنور باشا وفي يوم عيد الأضحى وبعد ان تفرق معظم جنود أنور باشا للاحتفال بالعيد عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) (اغسطس) باغتتهم قوة ضخمة بلغ تعدادها ثمانين الف جندي.. فثبت لها انور باشا والتف جنوده البواسل حوله واستطاع ان يهزم مقدمة الجيش الأحمر.. فقد كان أنـور باشا من امهر القواد وأشجعهم.. وبينما هو على صهوة جواده ينظم قواته أصابه وابل من رصاص العدو فوقع عن صهوة جواده شهيداً.. واضطربت قواته بعد وفاته واستطاعت جحافل لينين ان تقضي على ذلك الجيش الصغير قضاء مبرماً..

ثم انتقمت قوات لينين من اهالي التركستان فاعملت فيهم قتلا وسحلاً وتشريداً وكانت سياسة لينين وستالين من بعده هي تغيير المناطق الاسلامية تغييرا كاملاً وذلك باحراق المصاحف وهدم المساجد وتحويلها الى اسطبلات او حانات أو نـواد.. ومنع اي دراسة للدين الاسلامي وتغيير لغات وعادات أهل هذه المناطق..

حرب ابادة واذابة للمسلمين وواجه المسلمون في التركستان وفي غيرها من المناطق التي تحتلها روسيا البلشفية حرب ابادة واذابة.. فكان الروس يقتلون ويسحلون مئات الألوف ليعتبر بهم غيرهم كما كانوا يقومون بنقل اعداد كبيرة من السكان المسلمين من مناطقهم الغنية الى مجاهل سيبيريا واحلال الروس والسلاف والاوكرانيين محلهم..

وفي عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ثارت التركستان مرة أخرى واعدم ستالين مائة الف تركستاني كما اعدم جميع اعضاء الحكومة المحلية

التركستانية وجميع المثقفين المعارضين للشيوعية وفيما بين عام (١٣٥٦ - ١٣٥٣ هـ) (١٩٣٧ - ١٩٣٩ م) استطاعت قوات ستالين ان سمي القبض على نصف مليون تركستاني من بينهم عدد من ذوي الوظائف المحلية فأعدمت فريقا منهم وأرسلت الباقين الى مجاهل سيبيريا.

وفي ثورة عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) قتلت القوات الروسية سبعة الاف من سكان التركستان واعتقل عشرات الالاف واستطاع عشرون الف تركستاني ان يفروا في ذلك العام من وجه الطغيان الشيوعي الروسي الى ايران وأفغانستان والى الهند والملايو.

وفي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) ألقي القبض على ١٣٥٦٥ تركستاني واودعوا غياهب السجون وكما ذكرنا في السابق عن التركستان الشرقية (سنكيانغ) التي وقعت في قبضة روسيا عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) واستمرت تحت حكمها حتى عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤).. قامت القوات الروسية الغازية باعدام الحاج خوجة نياز رئيس الجمهورية ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء وشريف حاج قائد مقاطعة التاي وعثمان اوراز قائد مقاطعة كشغر ويونس بك وزير الدولة وطاهر بك رئيس مجلس النواب.. وعدد كبير من الوزراء والشخصيات البارزة والعلماء والمثقفين..

وكان مجموع من فر من سكان التركستان الشرقية والغربية من وجه الزحف الأحمر منذ دخوله الى الان ثلاثة ملايين تركستاني مفرقين بين مختلف ارجاء البلاد الاسلامية وخاصة ايران وأفغانستان والملايو وتركيا..

ويوجد عدد غير قليل من أهل التركستان في المملكة العربية السعودية التي فتحت صدرها لهم منذ ايام المغفور له الملك عبد العزيز..

وكم من أسماء تركستانية اصيلة بين أظهرنا حتى نسي أولادهم ان لهم وطنا منكوبا بالشيوعية..

ولم تكتف روسيا بذلك بل انها نقلت نصف مليون من سكان التركستان من وطنهم وأسكنتهم في سيبيريا واوكرانيا تنفيذا لقانون مزج الشعوب.. واذابة المسلمين..

المجاعة المروعة ونتيجة لتأميم المزارع وقتل اصحابها والاستيلاء على المحصول وارساله الى روسيا التي كانت نفسها تعاني من المجاعات فقد أصيب التركستان بنكبة عظيمة ومجاعة مريعة حتى أكلت القطط والكلاب.. بل حتى أكلت الميتة من الحيوانات ومن أطفال بني الانسان.. ولقد مات في هذه المجاعة المريعة التي حدثت عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) واستمرت حتى عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) أكثر من ثلاثة ملايين من التركستان..

٦٦٨٢ مسجداً و٧٠٥٢ مدرسة اسلامية تقفلها السلطات الشيوعية

ولقد بلغ عدد المساجد التي هدمت أو حولت الى نواد وملاهي في التركستان وحدها ٦٦٨٢ مسجداً منها مساجد اثرية ذات تاريخ عظيم منها جامع قتيبة بن مسلم الباهلي وجامع الامير فضل بن يحيى وجامع خوجة (أحرار) وجميعها في طشقند وجامع منارة مسجد كالان في بخارى ومسجد كتة وجامع في قوقان.. أما المدارس الاسلامية التي اقفلت في التركستان فقط فقد بلغ تعدادها ٧٠٥٢ مدرسة وديوان بيكي في بخارى ومدرسة بكلريك ومدرسة وبران خان مدرسة في طشقند وغيرها من المدارس التاريخية..

ذبح علماء المسلمين

وقامت روسيا بحملات متتالية على علماء الاسلام في تركستان وغيرها من المناطق الاسلامية الواقعة في براثن الاستعمار الروسي الشيوعي.. وممن قتلتهم من علماء تركستان: الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة في بخارى.. والشيخ خان مروان خان مفتي بخارى.. والشيخ عبد المطلب داملا والشيخ عبد الأحد داد خان والشيخ الحاج ملا يعقوب والشيخ ملا عبد الكريم..

وقد ذكرنا سابقا فظائع الصين الشيوعية ايام ماوتسي تونج في التركستان الشرقية وكيف اعدموا مائة وثلاثين الفا من أهل التركستان الشرقية (سينكيانغ) وذلك عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) واعتقلوا في ذلك الحين ٢٦٨,٠٠٠ وكيف استخدموا وسائل التعذيب الرهيبة في تلك السجون حتى مات منهم خلق كثير.

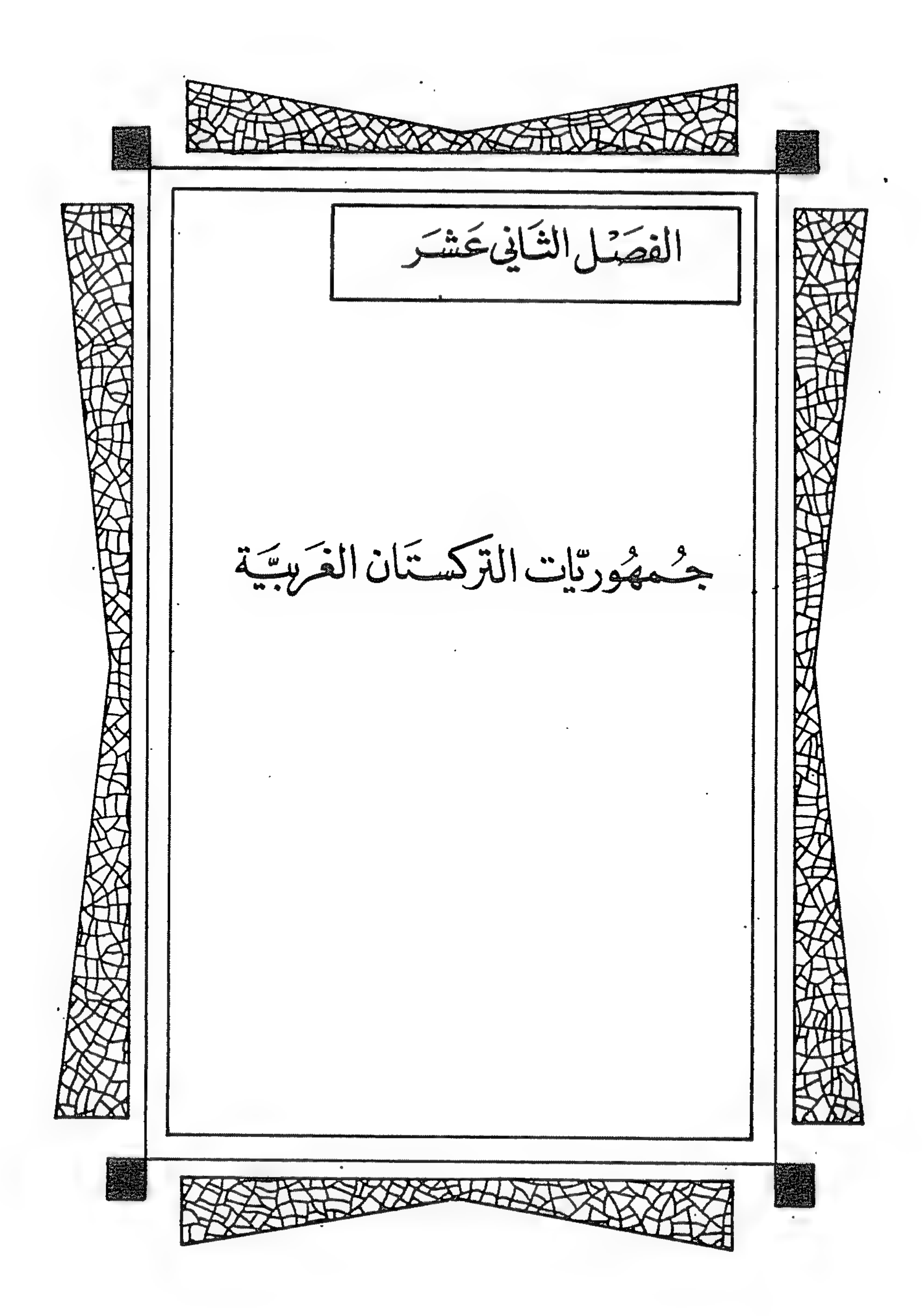
آخر ثورات التركستان: واستمر الشيوعيون الروس في التركستان في طغيانهم واستبدادهم وكان نتيجة ذلك ان كثرت الثورات من الشعب التركستاني الابي رغم ما واجهه من قتل وتشريد وابادة واذابة واخر ما حدث من الثورات ثورة عارمة في كازاخستان (من جمهوريات التركستان) وذلك عام ١٩٧٨ فأخمدتها القوات الروسية من الفرقة الحادية والعشرين..

قدرة الله: وكان من سياسة روسيا ان تقسم تركستان الغربية الواقعة تحت سيطرتها الى خمس جمهوريات واسكنت في هذه الجمهوريات مجموعة كبيرة من الروس الصقالبة والسلافيين والاوكرانيين حتى تذيب أهل التركستان المسلمين...

ولكن الله جلت قدرته شاء لأهل التركستان والمناطق الاسلامية ان

يحافظوا على كيانهم رغم محاولات الابادة والاذابة.. وارتفع النسل بينهم ليعوض ما فقدوه في النكبات التي قاسوها على أيدي البلاشفة.. مما ازعج روسيا ازعاجا شديدا اذ يبلغ تناسل المسلمين ضعف ما هو عليه عند الروس ولولا ذلك لاندثر المسلمين اندثاراً..

ولولا كثرة النسل الذي أوصى به المصطفى صلوات الله عليه في قوله «تناكحوا وتناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم» لكان سكان التركستان أقلية في وطنهم.. وهذا ما أزعج الروس اشد الإزعاج لأنهم يتوقعون ان يصبح عدد المسلمين في روسيا مائة مليون بانتهاء هذا القرن.. كما انهم يتوقعون ان يبلغ تعداد المسلمين في جيوش الاتحاد السوفيتي ما بين ثلاثين الى أربعين بالمائة من مجموع القوات المسلحة.. وذلك في التسعينات من هذا القرن الميلادي والسبب في ذلك ان خصوبة المسلمين في التناسل هي الآن ضعف خصوبة الروس ونتيجة لذلك فإن التقسيم الديموجرافي للسكان المسلمين يميل إلى كثرة الاطفال والشباب بينما نجد في روسيا العكس حيث نرى كثرة الشيوخ والعجائز.. وتلك نتيجة طبيعية لقلة النسل.. فكلما زاد التناسل زادت اعداد الشباب في الأمة.. وكلما قل التناسل زادت اعداد الشيوخ والكهول.. وذلك في حد ذاته من المخاطر التي تحذرها القيادة السوفيتية.. فهي لا تثق في الجنود المسلمين.. وقد رأت في حربها مع أفغانستان ما زاد شكوكها في المسلمين اذ فر اعداد منهم الى المجاهدين الافغان فاضطرت لاستبدال الفرق الاسلامية بفرق روسية..



الفصل الثاني عشر

جمهوريات التركستان الغربية

جُغرافيّة تركسْتَان الغَربيَّة
وَتقسيمهَا السِّيَاسي وَالإدَاري
وَبُنيتهَا الدّيـمُوجَرافيَّة

تشمل تركستان الغربية جزءاً كبيراً من خراسان وهي الواقعة في جمهورية تركمنستان السوفيتية التي تحدها غربا ايران وجنوباً أفغانستان وشرقاً اوزبكستان السوفيتية وشمالا الجزء الشمالي الغربي من قازاقستان وبحر الخزر كما تشمل تركستان ما كان يعرف عند المسلمين باسم ما وراء النهر.. وهو الاقليم الواسع الواقع شرق نهر جيحون من منبعه في جبال بامير الى مصبه في بحر الارال (بحيرة خوارزم).. ويشمل جميع الأراضي الواقعة بين نهر سيحون في الشرق ونهر جيحون في الغرب. كما يشمل ايضا الأراضي الممتدة شرق نهر سيحون.. ويمتد تعريف التركستان الغربية ليشمل اراضي قازاقستان التي يقع جزء كبير منها شمال وشرق نهر سيحون بل وشمال بحيرة خوارزم (بحر الارال) التي يصب فيها كلا النهرين العظيمين سيحون وجيحون.

إذن نحن أمام بلاد واسعة لم تكن محددة من قبل بمثل هذا التحديد مع متغيرات سياسية أدت الى تقسيم خراسان الى ثلاث جمهوريات هي: جمهورية ايران الاسلامية، وجمهورية افغانستان الاشتراكية، وجمهورية تركمنستان السوفيتية.. وتقع اثنتان منها تحت براثن الدب الروسي ويتطلع الى افتراس الثالثة.

وتشكل أرض التركستان الغربية منطقة سهلية حوضية كبيرة بين قازاقستان وجبال الاورال في الشمال وجبال هندكوش وبامير في الجنوب وجبال تيان شيان والتاي في الشرق.. وكانت في القديم منطقة تغمرها المياه ثم ردمتها الرواسب والمجروفات التي حملتها اليها الأنهار المنحدرة

من الجبال العالية المحيطة بها.. وقد حلت ظروف الجفاف بعد فترات المطر التي تميز بها الزمن الرابع مما أدى الى جفاف هذه البحيرة الضخمة الهائلة ولم يبق منها إلا مناطق محدودة هي:

(١) بحر قزوين (بحر الخزر) الذي ينخفض سطح الماء فيه الى ستة وعشرين مترا تحت سطح البحر...

(٢) بحر الارال (بحيرة خوارزم) التي يصب فيها كلا نهري سيحون (سرداريا) وجيحون (اموداريا) وهي تقع أيضاً تحت سطح البحر..

(٣) مجموعة من البحيرات الصغيرة.

في هذه المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية عاشت قبائل فرضت عليها طبيعة الأرض الارتحال وأجبرها الكلأ على الانتقال.. وهي تلك القبائل المعروفة بالقبائل التركية مثل قبائل القرلوق والغُز والتغزغز.. اما المناطق الواقعة في حوض نهر جيحون وحوض نهر جيحون فقد تمتعت باستقرار ورخاء.. وكان أهلها مزارعون مقيمون..

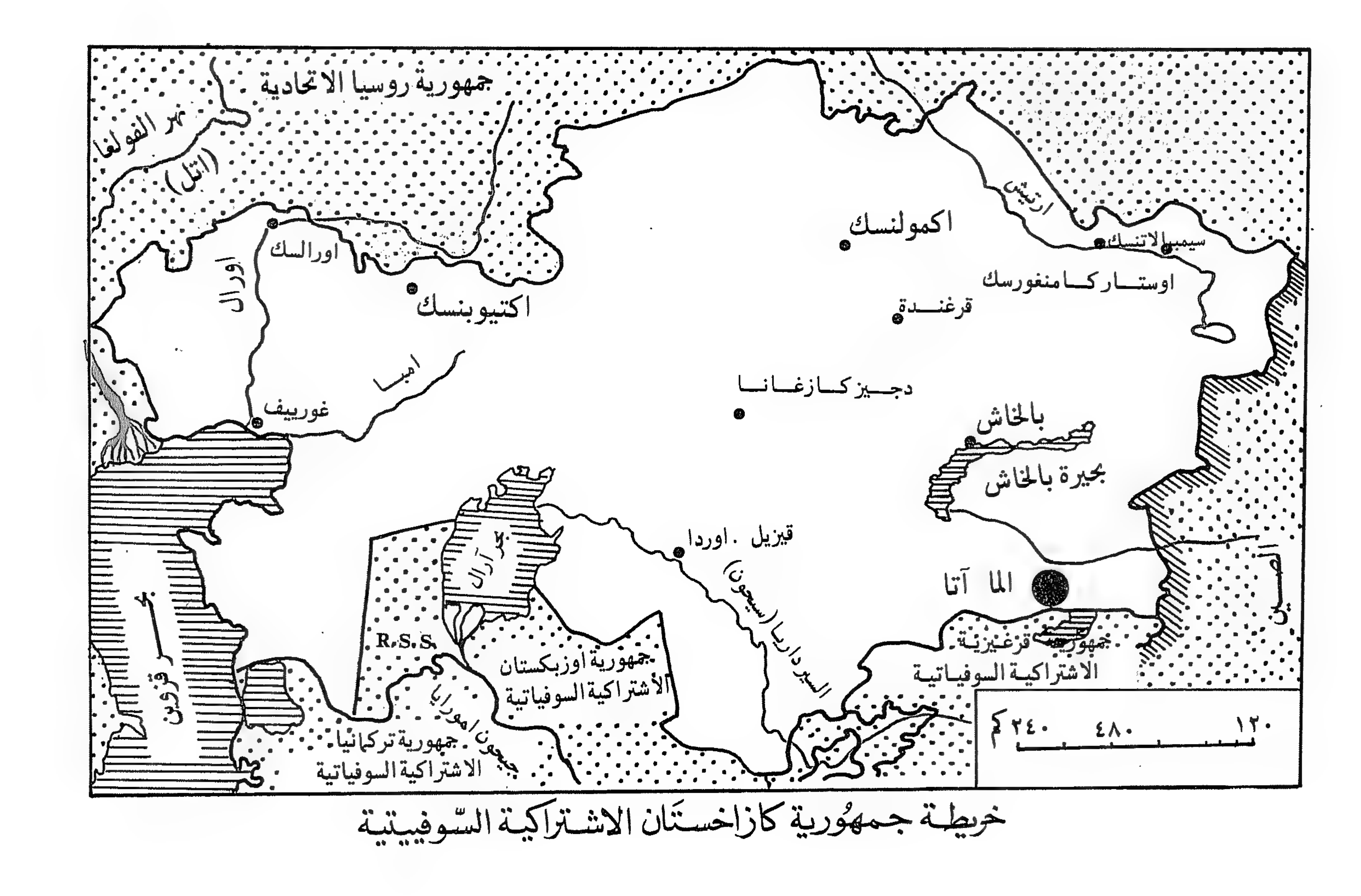
وتقسم هذه المناطق المعروفة باسم التركستان الغربية الى خمس جمهوريات سوفيتية وذلك منذ ان استعمرها البلاشفة. وظهر هذا التقسيم منذ عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) عندما اقيمت جمهورية اوزبكستان ثم جمهورية تركمنستان عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ثم طادجكستان عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) ثم قازاقستان وقيرغيزيا سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م). وهذه الجمهوريات هي:

(١) قازاقستان.

(٢) تركمنستان.

(٣) طادجكستان

(٤) اوزبكستان



خريطة جمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفيتية

(٥) قرغيزيا

وسنتحدث عن كل واحدة من هذه الجمهوريات بشيء من الايجاز وقد تعرضنا لتاريخ هذه المنطقة منذ الفتح الاسلامي الى الغزو السوفيتي بشيء من الايجاز ايضاً..

جمهورية قازاقستان: أي ارض القوزاق وهي اكبر الجمهوريات السوفيتية الاسلامية وثاني اكبر جمهورية سوفيتية في الاتحاد السوفيتي اذ تأتي بعد روسيا مباشرة. وتبلغ مساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠ كم مربع.. وهي تمتد من دلتا نهر الفولجا (اتل) في الغرب الى حدود الصين في الشرق ومن سيبريا في الشمال الى اوزبكستان (في الجنوب الغربي) وقرغيزيا (في الجنوب) وتركستان الشرقية (في الجنوب الشرقي).

ورغم هذه المساحة الشاسعة إلا انها قليلة السكان حيث لا يزيد سكانها عن ١٥ مليون نسمة ٤٢٪ منهم من المسلمين بسبب الهجرة الروسية الى هذه الجمهورية.

تتألف أراضي قازاقستان من مرتفعات في الشرق هي السفوح الشمالية لجبال تيان شيان في أقصى الجنوب الشرقي، والسفوح الغربية لجبال التاي في الشرق والتي تمتد غرباً مكونة منطقة مرتفعة واسعة وسط البلاد تعرف باسم ضهرة قازاقستان وبين السلسلتين توجد مجموعة من البحيرات أكبرها بحيرة بلخاش التي تقع في وسط البلاد تقريبا.

وتجري المياه من المرتفعات الجنوبية الشرقية (أي من جبال تيان شيان) فتتجه نحو بحيرة بلخاش.. ويجري فيها نهر سيحون سرداريا بعد ان يمر بطشقند (بنكت) عاصمة اقليم الشاش سابقا وعاصمة جمهورية اوزبكستان حاليا.. وفي هذه المنطقة كان سيحون يعرف باسم نهر الشاش ويتجه سيحون شمالا حتى يصل الى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الارال) قاطعا بذلك الجزء الغربي الجنوبي من جمهورية قازاقستان..

وتقع على سيحون في هذه المنطقة مدينة اكشميت (المسجد الأبيض) التي اسماها الروس البلاشفة قزيل أورد أي المدينة الحمراء للدلالة على انتمائها للحزب الأحمر.. وفي الشمال الغربي من جمهورية قازاقستان يجري من جبال الأورال نهر الاورال الذي تقع عليه مدينة اونبرغ والتي كانت ولا تزال احدى المدن الاسلامية الهامة في الاتحاد السوفيتي.. والتي فصلت عن جمهورية قازاقستان حسب التقسيم الجديد وغير اسمها الى شكالوف امعانا في المسخ.

ويجري ايضا من جبال الاورال نهر امبا.. ويصب كلا النهرين الاورال وامبا في الجزء الشمالي الغربي من بحر قزوين (بحر الخزر). وفي الشمال الشرقي من قازاقستان يجري نهر إرتيش الذي يعتبر من أهم روافد نهر أوب الذي يصب في المحيط المتجمد الشمالي.

ثروات قازاقستان: تتمتع قازاقستان بثروة زراعية ومعدنية هائلة فتكثر فيها زراعة التفاح في الأودية الواقعة جنوب بحيرة بلخاش حتى ان العاصمة وهي تقع قريبا من حدودها مع قرغيزيا (أي في اقصى جنوب قازاقستان) تدعى الما أتا (الما أضا) اي مدينة التفاح..

وتكثر السهوب الصالحة لزراعة القمح ولولا النظام الشيوعي حيث ينعدم الحافز الفردي والبيروقراطية لكان انتاج قازاقستان من القمح من اكبر وأضخم الانتاج في العالم.. ومع هذا فان معدل ما تنتجه قازاقستان سنويا من القمح يبلغ ١٢,٥٠٠,٠٠٠ طن وتكثر كذلك زراعة البنجر (الشوندر السكري) ويبلغ متوسط الانتاج السنوي ١,٧٠٠,٠٠٠ طن.. كما تنتج قازاقستان كمية متوسطة من القطن يبلغ متوسطها السنوي ستين الف طن.

أما الثروة المعدنية فهي هائلة اذ تعتبر قازاقستان الأولى في انتاج الكروم في الاتحاد السوفيتي حيث تنتج عشرين الف طن سنويا، وتنتج

قازاقستان ١٣,٤٠٠,٠٠٠ طن من الحديد سنويا. و٥٠٠,٠٠٠ طن من النحاس سنويا (ما يعادل ٥٧,٤٪ من النحاس في الاتحاد السوفيتي) و٢٧,٩٠٠,٠٠٠ طن من الفحم سنويا (وخاصة في حوض كارغندة).
و٣,٠٠٠,٠٠٠ طن من النفط سنويا (وخاصة من مكامن نهر امبا).
و١,٠٠٠,٠٠٠ طن من الالمنيوم سنويا.

كما تنتج قازاقستان ٥٦,٣٪ من رصاص الاتحاد السوفيتي و٤٩,٨٪ من زنك الاتحاد السوفيتي وكميات كبيرة من الفضة.

وتعتبر الثروة السمكية كبيرة حيث تصطاد الأسماك من بحر قزوين (بحر الخزر) وبحيرة خوارزم (بحر الارال) وبحيرة بلخاش..

وتذهب جميع خيرات وثروات قازاقستان الزراعية والمعدنية والسمكية الى المستعمرين الروس البلاشفة الذين حكموا قازاقستان وجميع المناطق الاسلامية بالحديد والنار.. وهدموا مساجدها وحطموا مدارسها وحولوا كثيرا منها الى معاهد لتعليم الشيوعية.. وعندما قاومهم الأهالي ابادوا مئات الآلاف وشردوا الملايين في مجاهل سيبيريا.

مدن قازاقستان: تقع العاصمة (الما أتا) أي مدينة التفاح في أقصى الجنوب بالقرب من حدودها مع قيرغيزيا.. اما كرغنده فتقع في وسط البلاد شمال بحيرة بلخاش وتشتهر بمناجم الفحم التي تحيط بها.. وتقع مدينة بلخاش على بحيرة بلخاش وتشتهر بغناها بمناجم النحاس. أما قزيل أوردا أي المدينة الحمراء فهو الاسم الجديد لمدينة اكشميت أي المسجد الأبيض.. دلالة على الحمرة القانية التي خضبت أرضها بعد دخول الشيوعيين الروس اليها اما قزيل أورد هذه فتقع على مجرى نهر سيحون (سرداريا) الاسفل قبل ان يصل الى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الاورال).. وعلى هذا النهر تقع اسنجاب وفاراب التي أخرجت أبا النصر الفارابي.

ورغم ان مدينة اورنبرغ (اسمها الجديد شكالوف) قد آخرجت من قازاقستان إلا انها في الأصل احدى مدن قازاقستان المشهورة بمدارسها الاسلامية ومساجدها الأثرية.. والتي حطم أغلبها البلاشفة الروس وحولوا ما بقي منها الى متاحف وقاعات للترفيه واللهو..

المعطيات الادارية: في ٢٦ أغسطس ١٩٢٠ تحول الاقليم الذي كان يسمى (كيرخيزسكي كراي) الى جمهورية كيرخيزيا الاشتراكية السوفياتية المحكومة ذاتيا، وعاصمتها اورنبرغ وفي ابريل ١٩٢٥ م تغير الاسم الى جمهورية كازاخستان الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتي ونقلت العاصمة الى قيزيل أوردا.. وضمت هذه الجمهورية اقليم كاراكلباك الذي تغير وضعه فيما بعد وضم الى جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفياتية.

وفي ٥ ديسمبر ١٩٣٦ م تحولت جمهورية كازاخستان من درجة الحكم الذاتي الى مصاف جمهورية اشتراكية سوفيتية (وكلها مسميات لا أصل لها من الحقيقة).

وأصبحت (الما آتا) العاصمة منذ مايو ١٩٢٩ م التي بلغ سكانها عام ١٩٧٩ م (وهو آخر احصاء معلن) ٩١٤,٠٠٠ نسمة.

الوضع الديموجرافي: كان عدد السكان في احصاء ١٩٧٩ م ١٤,٦٨٤,٠٠٠ منهم ٧,٩٢٠,٠٠٠ سكان المدن (٥٤٪ من المجموع) و ٧,٧٩٤,٠٠٠ (٤٦٪) سكان الأرياف. وكان السكان يتوزعون كالتالي:

النسبة المئوية	العدد	المسلمون
٣٦ ٪	٥,٢٨٩,٠٠٠	الكازاخ
٢,١ ٪	٣١٣,٠٠٠	التتار
١,٨ ٪	٢٦٣,٠٠٠	الاوزبك
١,٠ ٪	١٤٨,٠٠٠	اليغور
٠,٥ ٪	٧٣,٠٠٠	الاذربيجانيون
		غير المسلمين
٤٠,٨٪	٥,٩١٩,٠٠٠	الروس
١,٢ ٪	١٨١,٠٠٠	الروس البيض
٦,١ ٪	٨٩٨,٠٠٠	الاوكرانيون
٠,٦ ٪	٩٢,٠٠٠	الكوريون

وهكذا نجد ان الكازاخيين (القزخ) يشكلون أقلية (كبيرة) في وطنهم حيث ان نسبتهم من مجموع السكان بلغت ٣٦٪ بينما بلغت نسبة الروس والاوكارنيون ٤٨٪.. وهي ترينا الى أي مدى اتسمت السياسة الروسية بالاستعمار الاستيطاني الذي يشبه ما تقوم به اسرائيل في فلسطين.

لقد قام الروس القياصرة بفرض حمايتهم على سكان قازاخستان بحجة مساعدتهم في صد غزوات القبائل الصينية البوذية. وما لبثوا ان تغلغلوا في الحياة السياسية وقاموا باسقاط الخانيات الأربع التي كانت موجودة وذلك من سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) الى سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م).

ومنذ عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) بدأت روسيا سياسة الاستعمار الاستيطاني فامتلأت سهوب كازاخستان بالمستوطنين الروس. وقام هؤلاء

المستعمرون بطرد السكان من أخصب أراضيهم كما قاموا بمصادرة أراضي الأوقاف الاسلامية لصالح الاقطاعيين من النبلاء الروس وكبار الموظفين والضباط مما أدى الى قيام الثورات المستمرة من الشعب القازاخي.. وحرب الإبادة من قبل السلطات الروسية البربرية..

ومنذ الاستيلاء الشيوعي على قازاخستان ازداد قدوم المستوطنين الروس واستمرت سياسة الاستيلاء على أراضي المسلمين القازاخ بالقوة وطردهم منها واعطائها للمستعمرين الروس.. ونتيجة لطرد هؤلاء القازاخ من اراضيهم وانتشار المجاعات فيهم مات منهم مليون في مجاعة ١٣٤٠ - ١٣٤١ هـ (١٩٢١ - ١٩٢٢ م) كما مات مليون آخر في مجاعة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م). ومنذ عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الى عام ١٣٥٨ هـ (١٩٢٩ م) (قامت السلطات الروسية) كما يقول الكاتبان الفرنسيان بنجيسن ولومرسييه (بسياسة تحضير) اجبارية تميزت بالقسوة الرهيبة وكلفت حياة مليون قازاخي.. لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن هلاك وموت ثلث شعب القازاخ المسلم).

ولولا أن القازاخ تميزوا مثل بقية المسلمين بخصوبة عالية لانقرضوا في وطنهم كما انقرض الهنود الحمر في امريكا..

واذا دققنا النظر في احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) الذي بلغ فيه عدد الروس والاوكرانيين سبعة ملايين نسمة تقريبا نجد ان سكان المدن هم أساساً من هؤلاء الروس والاوكرانيين المستعمرين بينما نجد ان الريف لا يزال في معظمه اسلاميا وهي سياسة نراها في مختلف المناطق الاسلامية التي استولى عليها الروس حيث نجد ان المناطق الأفقر والأكثر تخلفاً هي للمسلمين بينما المناطق الأكثر تقدما هي للروس المستعمرين.

ويوجد القازاخ خارج جمهوريتهم نتيجة للهجرة ففي احصاء

١٩٧٩م نجد أن هناك ٥٩٥,٠٠٠ قازاخي في اوزبكستان و٥١٨,٠٠٠ في روسيا و٨٠,٠٠٠ في تركمنستان و٢٧,٠٠٠ في قيرغيزيا ويوجد في اقليم سينكيانغ (المستعمرة الجديدة للصين أو التركستان الشرقية) ٥٨٠,٠٠٠..

ويتشكل القازاخ من قبائل تركية (التركستان الشرقية) وقبائل مغولية.. وهو نفس التركيب المنتشر على طول المناطق التركستانية بمفهومها الواسع بل في جميع المناطق الاسلامية التي تحتلها روسيا.

وفي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ظهرت ثلاث تجمعات قبلية كبيرة (ثلاثة زهوز) وظلت هذه التجمعات القبلية تشكل التنظيم السياسي للقزاخ حتى قيام الثورة البلشفية.

يحتل التجمع القبلي الكبير (أولو زهوز) كازاخستان الشرقية ويضم اثني عشر قبيلة وكان هذا التنظيم يخضع لسيطرة خانية خوقند الى ان الحقته روسيا بأراضيها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أما التجمع المتوسط (اورتا زهوز) فمؤلف من خمس قبائل ولكنها تشكل العدد الأكبر للقازاخ.. وينتشرون في جميع أراضي قازاخستان.

وأخيراً هناك التجمع القبلي الصغير (كينشي هزوز) ويقع في غرب قازاخستان.

اللغة: تعود اللغة القازاخية الى فئة من اللغات التركية المعروفة باسم نوغاي والتي كانت تكتب بالحرف العربي وتدخلها كثير من الكلمات العربية.. ومنذ بداية الاستعمار الروسي فرضت السلطات الروسية عليهم كتابتها بالحرف الكريلي (الروسي) حتى تبعدهم عن الاتصال باللغة العربية والقرآن..

الاسلام في قازاخستان (قازاقستان):

لقد دخل الاسلام أرض القزخ منذ وقت مبكر في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بواسطة جهود الدعاة الى الله من الصوفية وتلاميذهم من تجار بخارى وسمرقند وخوقند الذين كانوا يجوبون السهوب.. وقد تميزت المناطق الجنوبية من قازاخستان التي يقع فيها معظم مجرى نهر سيحون (سرداريا) بكثافة الدعوة الاسلامية منذ القرن الهجري الثالث عندما كان السامانيون يحكمون بخارى وما وراء النهر و«الذين قاموا» كما يقول (كتاب الاسلام في آسيا الوسطى) «ليس بالجهاد فحسب وانما كسبوا عالم الأتراك الشرقيين للحضارة الاسلامية.» هؤلاء الأتراك الـذين سيصبحون مـادة لـلاسلام وقوة للحضـارة الاسلامية[1] .

وتعتبر المدن الواقعة في جنوب قازاخستان مثل قزيل أوردا ودجامبول وتشمقند مدنا اسلامية منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي[2]).. حيث لا تزال هذه المناطق الى اليوم الأكثر تدينا في كل كازاخستان.. وفيها توجد معظم المساجد التي لا تزال مفتوحة للعبادة اليوم.

أما في مناطق السهوب شمال سيحون (سرداريا) فلم يدخل فيها الاسلام الا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي. وظل فيها ذا تأثير سطحي.

«ثم جاءت موجة ثانية من نشر الاسلام في القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين بواسطة المريدين الصوفيين التابعين لطريقتي الياساوية والنقشبندية والاتين من الجنوب.

---

(١) تأليف.حسن أحمد محمود

(٢) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجينسن - ولومرسييه.

«لكن الدين الاسلامي لم يتجذر في الجماهير الا بعد الغزو الروسي لكازاخستان.. ويعود انتشاره ونموه الى جهود تجار تتار الفولجا الذين طردهم القياصرة من وطنهم والذين كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس القرآنية.

«وخلافاً لكل توقع لم يتجذر الاسلام في عمق الجماهير القزخية الا اثناء الاستعمار السوفيتي ويعود هذا الى السياسة الاستعمارية الروسية التي قامت بحرب ابادة ضد القازاخ ودينهم... ونتيجة المجازر الرهيبة التي قام بها المستعمرون الروس. وخاصة مذبحة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م).. وسياسة (التحضير) في الثلاثينات التي قضت على ثلث سكان قازاخستان المسلمين.. وأخيراً وصول المنفيين من مسلمي الشاشان والاينغوش والقوقاس والتتار القرميين الى كازاخستان اثناء الحرب العالمية الثانية حيث أدخل هؤلاء معهم طرقهم الصوفية (القادرية والنقشبندية) الى كازاخستان وخاصة في المناطق الجنوبية من الجمهورية والتي قامت بتجذير الاسلام وتعميق الكره للمستعمر الروسي الكافر(١)».

جمهورية اوزبكستان

الاحتلال الروسي:

لقد بدأ الاحتلال الروسي لمدن اوزبكستان الهامة في القرن التاسع عشر الميلادي حيث سقطت طشقند (الشاش سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وسمرقند سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٨ م) وفرضت روسيا حمايتها على خانية بخارى عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م). وفي العام التالي بسطت حمايتها البغيضة على خانية خيوه (خوارزم) واحتلت خوقند فرغانه بعد

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

معارك دامت عاما كاملا سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) مما دفع بالقوات الروسية الى الانتقام من هذه المدينة الباسلة فأزالوها من الوجود.. وأبادوا سكانها عن بكرة أبيهم إلا من استطاع منهم الفرار من هذا المصير البائس.

وقامت السياسة الروسية على طرد الأهالي من أخصب أراضيهم والاستيلاء عليها لصالح المستوطنين الروس الذين توافدوا بكثافة على كل مناطق التركستان.

وقد قامت هذه المناطق بعشرات الثورات المتلاحقة ضد الاستعباد الروسي البشع. وأظهر رجال الملا (علماء الدين) والصوفيون مقاومة باسلة ومستمرة ضد الطغيان الروسي.. وكان هؤلاء العلماء من الصوفية حجر الزاوية في مواجهة الغازي الكافر..

وعند قيام ثورة اكتوبر سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) البلشفية تحولت حامية طشقند الروسية الى صف البلاشفة وتبعها المستوطنون الروس رغم انتماءاتهم الطبقية المعادية والمناقضة للشيوعية حيث كانوا من كبار الملاك والضباط وموظفي دولة القياصرة.. الا أن الانتماء العرقي كان فوق كل اعتبار.. والسياسة الاستعمارية ضد المسلمين المستعمرين المستعبدين واحد سواء كانت من الأوربي الرأسمالي أم الشيوعي البلشفي الروسي..

وأعلنت بقية المناطق قيام دولة التركستان المستقلة بقيادة علماء الدين والصوفية والمثقفين.. وكانت قاعدتها مدينة خوقند.

وفي ٥ فبراير ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) هدم الروس مدينة خوقند للمرة الثانية.. وأبادوا سكانها عن بكرة ابيهم وقاموا بأفظع الجرائم والمنكرات واغتصبوا الفتيات المسلمات العفيفات.

وانطلقت شرارة الثورة لتعم كل مدن التركستان والتي عرفت باسم ثورة (البصمة جي) أو (البسمشتية) والتي دامت من سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م). والتي انضم اليها زكي والدي طوقان رئيس أول دولة في البشكير.. وأنور باشا وزير الحربية التركي في اثناء الحرب العالمية الأولى..

وفي ٣٠ أبريل ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) تغير اسم كراي تركستان ليصبح جمهورية تركستان.

وسقطت بخارى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) أمام جحافل لينين وخيوه عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م). وتأسست في ٢٧ اكتوبر ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) جمهورية اوزبكستان. وقد كانت اراضي هذه الجمهورية موزعة قبل ذلك بين خانية بخارى وخانية خيوه وحكومة التركستان العامة (كراي تركستان) التي كانت خاضعة مباشرة للحكم العسكري الروسي القيصري منذ سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م). وكانت خانية خيوه وبخارى غير داخلتين في جمهورية اوزبكستان وفي ٢٧ اكتوبر ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) أصدر ستالين مرسوماً بتكوين جمهورية اوزبكستان الاشتراكية السوفيتية الفيدرالية ضاماً اليها اراضي خانية خيوه وخانية بخارى وجمهورية طادجكستان ذات الحكم الذاتي..

وفي ٥ ديسمبر ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) قرر ستالين فصل طادجكستان عن اوزبكستان وجعلها جمهورية فيدرالية سوفيتية.

ومرة أخرى قرر ستالين تغيير حدود اوزبكستان فأضاف اليها جمهورية كاراكلباك[1] الذاتية اليها وذلك عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

وهكذا تتغير المعالم الجغرافية والسياسية لمناطق المسلمين حسب أهواء حفنة من الحكام الطغاة الجبابرة الذين اتصفوا بكل صفات

(١) من كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي..

فرعون ونمرود.. والذين يقولون للشعوب قولة فرعون اللعين (ما علمت لكم من اله غيري).

الوضع الديموجرافي:

لقد سجل احصاء عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) زيادة في عدد سكان اوزبكستان حيث بلغوا ١٥,٣٩١,٠٠٠ بينما كانوا في احصاء عام ١٩٧٠م ١١,٨٠٠,٠٠٠ أي بزيادة ٣٠ في المائة. ومن حسن حظ المسلمين أن خصوبتهم عالية وأن هذه الزيادة في السكان كانت أساساً من نصيب المسلمين.

وفي احصاء ١٩٧٩ يتبين ان عدد الاوزبك بلغ ١٠,٥٦٩,٠٠٠ وبقية المسلمين في اوزبكستان من كازاخ وتاجيك وتركمان وقرغيز وتتار وكاراكلباخ ٢,٧٧٠,٠٠٠ بينما بلغ عدد الروس المستوطنين ١,٦٦٦,٠٠٠ وعدد الاوكرانيين ١١٤,٠٠٠ واليهود ١٠٠,٠٠٠ والكوريين ١٦٣,٠٠٠.. من ذلك يتبين ان المسلمين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان (٨٧٪) بينما يشكل غير المسلمين من الروس والاوكرانيين وغيرهم ١٣٪.. بينما كان هؤلاء الكفار يشكلون ١٧٪ من السكان في احصاء ١٩٧٠م.

وهذه الخريطة الديموجرافية تدل على الزيادة الكبيرة في عدد المسلمين في السنوات الأخيرة نتيجة الزيادة المضطردة في نسبة المواليد لدى المسلمين وانخفاضها لدى غير المسلمين مما أعاد الى هذه المنطقة طابعها الاسلامي على الأقل من الناحية العددية. حيث كان عدد المسلمين قد انخفض نتيجة المذابح الجماعية التي أقامها الروس لسكان اوزبكستان حيث بلغ عدد الاوزبك عام ١٩٢٦م ٣,٩٨٨,٠٠٠ فقط..

ويعيش مجموعة من الاوزبك خارج نطاق جمهوريتهم ولكنهم

يتركزون اساسا في بقية الجمهوريات التركستانية وفي شمال أفغانستان ففي قازاخستان يعيش منهم ٢٦٣,٠٠٠ وفي قيرغيزيا ٤٢٦,٠٠٠ وفي طادجكستان ٨٧٣,٠٠٠ وفي تركمنستان ٢٣٤,٠٠٠ - وفي شمال افغانستان اكبر مجموعة من الاوزبك خارج نطاق الاتحاد السوفيتي حيث يبلغ عددهم مليون ونصف المليون من الذين فروا من وجه الاستعمار الروسي الشيوعي منذ فشل ثورة الباسماش.. والاضطهاد العنيف الذي لاقاه سكان اوزبكستان.. كما أن هناك مجموعات صغيرة متوزعة في شتى انحاء العالم الاسلامي.

اللغة: قامت السلطات الروسية باستبدال الحرف العربي الذي كان يكتب به أهل اوزبكستان الى الحرف اللاتيني وذلك سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) وفي عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) غير الحرف اللاتيني الى الحرف الروسي.. كما استبعدت الكلمات العربية التي كانت تتخلل اللغة الاوزبكية.

النشاط الديني: تأتي أهمية اوزبكستان من الناحية الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي أن فيها معظم المدن الاسلامية ذات التاريخ المجيد.. فطشقند وبخارى وترمذ وسمرقند وخوارزم وخوقند كلها تقع الآن في اوزبكستان. وفي اوزبكستان المدرستان الوحيدتان في الاتحاد السوفيتي التي يسمح فيهما بتدريس المواد الدينية وهما مدرسة (مير عرب) في بخارى ومدرسة الامام البخاري في طشقند.

ومفتي اوزبكستان الموجود في طشقند ضياء الدين بابا خانوف يعتبر بمثابة المفتي العام لجميع مسلمي الاتحاد السوفيتي.

ويتراوح عدد المساجد المفتوحة رسميا للعبادة في اوزبكستان قرابة مائة مسجد وفي احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) كان في طشقند ١٢ مسجدا

جامعا وعشرات المساجد الصغيرة.. وهناك ثلاثة مساجد جامعة في كل من بخارى وسمرقند.. ويفترض أن هناك مسجدا على الأقل مفتوح للعبادة في كل مدينة ما عدا الجزء الجنوبي من اوزبكستان حيث توجد مناطق كاملة ليس بها مساجد رسمية. اما من الناحية غير الرسمية ففي كل حي مسجد سري على الأقل ويخدمه ملا (عالم دين) غير مسجل ويتمثل الاسلام غير الرسمي في الطرق الصوفية التي تقوم بالدعوة الى الاسلام واقامة المساجد السرية وحلقات قراءة القرآن.. وأهم هذه الطرق هي:

(١) الطريقة النقشبندية: ومركزها بخارى ومريدوها في جميع أطراف البلاد. ومركزها الأساسي في القوقاس.

(٢) الطريقة القادرية: ومريدوها في كل اوزبكستان وفي القوقاس وقد جددها الشاشان (التشتشين) والاينغوش.

(٣) الطريقة القلندرية: وهي طريقة جوالة انتشرت منذ القرن الخامس الهجري في مختلف انحاء العالم الاسلامي.. وتضم اتباعا في كل ارجاء اوزبكستان.

(٤) الطريقة الكبراوية: ومركزها خوارزم ومريدوها منتشرون في خوارزم وتركمنستان ومناطق من اوزبكستان..

(٥) الطريقة الياسوية: ومركزها في وادي فرغانة وتنتشر في شمال اوزبكستان وجنوب كازاخستان. والغريب ان لهذه الطرق الصوفية تأثير قوي على نقابات العمال..

وتعتبر اوزبكستان هي البلد الأكثر محافظة في كل الاتحاد السوفيتي على العادات الاسلامية مثل الختان وطريقة الزواج ودفن الموتى..

وتواجه اوزبكستان حربا شرسة ضد الاسلام منذ دخول القياصرة الى مناطقها.. وازدادت هذه الحرب ضراوة منذ ان احتلتها القوات البلشفية.. وقد فرضت دراسة الالحاد والشيوعية في المدارس ومنع تدريس الدين منعا باتاً.

كما أن الحملة ضد الاسلام مكثفة في أجهزة الاعلام كافة وفي المدارس خاصة وقد نشرت مئات الكتب المناهضة للدين الاسلامي في السنوات العشر الأخيرة.

جغرافية جمهورية اوزبكستان: تبلغ مساحة جمهورية اوزبكستان ٣٠٠,٠٠٠ كم مربع وتتألف من منطقة جبلية في الجنوب الشرقي وتميل تدريجيا نحو الشمال الغربي حتى صحراء قزيل قوم.. ونجد سهل طوران على ضفاف بحيرة خوارزم.

وتضم اوزبكستان معظم المناطق الهامة الواقعة شرق نهر جيحون بعد خروجه من طخارستان في افغانستان ويشكل جيحون في مجراه الأعلى (أي بالقرب من منبعه) الحدود بين أفغانستان وجمهورية طادجكستان السوفيتية اولا ثم بين افغانستان وجمهورية اوزبكستان.. وبالقرب من الحدود بين اوزبكستان وأفغانستان تقع مدينة ترمذ التاريخية راكبة على الضفة الشرقية منه وسنفرد لترمذ ومن ظهر بها من العلماء فصلا خاصا بها ان شاء الله.

ويقع اقليم الصغانيان والصغد وخوارزم في جمهورية اوزبكستان الحالية وقد تحدثنا عن هذه الاقاليم عند حديثنا عن نهر جيحون من منبعه الى مصبه..

والصغانيان هي اول ما يصادفنا من بلاد ما وراء النهر (أي نهر جيحون) ويقع في جنوب اوزبكستان محاذيا لطخارستان في (افغانستان).. وأول من غزا هذا الاقليم هو الحكم بن عمرو الغفاري سنة

٤٦ هـ.. وكان يعتبر أول من غزا بلاد ما وراء النهر ثم توجه بعد ذلك عبيد الله بن زياد والي خراسان لمعاوية سنة ٥٥ هـ الى بيكند وبخارى فغزاها..

ونجد اقليم الصغد شمال اقليم الصغانيان ويقع شرق جيحون في وسط اوزبكستان ويجري نهر الصغد (نهر زرفشان) ليغذي سمرقند وما حولها من المناطق.. وتقع بخارى وقراها شمال الصغد مباشرة ويجعل كثير من الجغرافيين المسلمين الصغد صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى.. ثم اذا اتجهنا شمالا مع جيحون نجد اقليم خوارزم الذي يبدأ عند مدينة درغان ثم يمر بمدينة كالف فمدينة كات فمدينة كركانج عاصمة اقليم خوارزم وعندما غير النهر مجراه في القرن السادس عشر قامت مدينة خيوه عند مصب النهر وقامت في هذا الاقليم دولة خوارزم العظيمة.. وفي العصور القريبة الماضية قامت خانية خيوه في اقليم خوارزم وما حوله حتى انتهت على يد البلاشفة سنة ١٩٢٤م.

وفي الجهة الشرقية من اوزبكستان نجد نهر سيحون (سرداريا) بعد خروجه من مرتفعات قرغيزيا.. ويسير في اوزبكستان مارا بمدينة خوقند وبذلك يدخل جزء من اقليم فرغانه في اوزبكستان الحالية بل ان اهم اجزاء فرغانة تقع في جمهورية اوزبكستان ثم يواصل نهر سيحون زحفه شرقا في اوزبكستان ثم يتجه صوب الشمال ليمر قريبا من طشقند (بنكث) عاصمة جمهورية اوزبكستان الحالية.. وطشقند (بنكث القديمة) هي عاصمة اقليم الشاش ويسمى نهر سيحون في هذه المنطقة نهر الشاش..

وهكذا نرى اهم مناطق نهر جيحون (اموداريا) واهم واشهر بلاد ما وراء النهر الواقعة شرقيه تقع في جمهورية اوزبكستان وهي الصغانيان والصغد وخوارزم ومدن هذه الأقاليم ترمذ وسمرقند وبخارى

وكركانج (الجرجانية) وخيوه - كلها تقع في جمهورية اوزبكستان..

وكذلك نرى اهم مناطق نهر سيحون (سرداريا) وما حولها تقع في اوزبكستان ايضا فاهم مناطق فرغانة تقع في اوزبكستان وكذلك تقع اقاليم اشروسنة وايلاق والشاش جميعا في اوزبكستان. والواقع ان اوزبكستان فيما بين دفتي نهر جيحون ونهر سيحون تمثل اهم المناطق الاسلامية قاطبة في آسيا الوسطى على مدار التاريخ، ولما لهذه المناطق من أهمية بالغة فسنفرد لها فصولا خاصة.. فقد أفردنا فصلا طويلاً لبخارى وما حولها من المدن ومن ظهر بها من العلماء كالامام البخاري وابن سيناء وغيرهم وكذلك افردنا فصلاً طويلاً لكل من سمرقند وخوارزم وفرغانة والشاش. ولهذا سنرجىء الكلام عن هذه المناطق الهامة الى حينه.

وليس من الغريب إذاً على اوزبكستان أن تكون بها ثروة زراعية وحيوانية هائلة اذ انها تقع في منطقة كثيرة الأنهار كثيرة المراعي متصلة الخضرة حتى وصفها ياقوت والمقدسي والاصطخري بأنها أجمل مناطق الدنيا واكثرها خضرة.

وتنتج اوزبكستان ثلاثة ملايين طن من القطن سنويا اي ٦٨٪ من جملة انتاج الاتحاد السوفيتي بأكمله من القطن وربع مليون طن من القمح ومائة وستة الف طن من الذرة.. ومختلف انواع الفواكه وكمية هائلة من البنجر (الشوندر السكري) وبها تسعة مليون رأس من الغنم ومليونين ونصف المليون من البقر.. وبها المزارع الواسعة لشجر التوت الذي تنمو عليه دودة القز مما جعلها تنتج ثلث الحرير الذي ينتج في الاتحاد السوفيتي.. كما ان ثروتها الحيوانية مكنتها من انتاج ثلث الصوف الذي ينتجه الاتحاد السوفيتي. وبسبب كثرة الأحراش والمراعي فانها تنتج ٨٥٪ من جملة ألياف القنب الذي ينتج في الاتحاد السوفيتي.

هذا عن ثروتها الزراعية والمائية والحيوانية اما ثروتها السمكية فتجمع من بحيرة خوارزم (بحر الأرال)..

ليس هذا فحسب وانما تنتج اوزبكستان ستة ملايين طن من الفحم سنويا. وبها معادن الحديد والفضة والنحاس تستخرج من جبال البتم ومن الشاش وايلاق واشروسنة ومن فرغانة.

ولهذا قامت بها صناعة الحديد والصلب وصناعة الجرارات والسيارات وكثير من الصناعات الثقيلة.. كما ان بها مصانع كثيرة للأدوات الكهربائية ولصناعة الراديو والتليفزيون.

وقد اشتهرت ترمذ من قديم الأزمنة بصناعة الصابون وصناعة السفن. ويبلغ عدد سكان اوزبكستان ١٥ مليونا كلهم من المسلمين ما عدا المستعمرين الروس الذين اصبحوا يشكلون ١٣٪ من السكان. وهكذا نرى اوزبكستان درة التاج في عقد المستعمرات السوفيتية مثلما كانت الهند درة التاج في مستعمرات بريطانيا.. تنهب روسيا خيراتها وتستغل ثرواتها وتستبيح حرماتها وتدوس كرامتها وتمتهن دينها.. وتحارب تراثها وثقافتها فتمنع اللغة العربية ودراسة القرآن وعلوم الاسلام منعا باتاً.. وتحطم المساجد والمدارس الاسلامية وتحول ما بقي منها الى معارض ومسارح ودور للهو..

فما أعظم مصيبة المسلمين.. وما أشد ما نُزلت بهم من خطوب.. خطب تلو خطب وقارعة تلو قارعة ومصيبة اثر مصيبة وهم سادرون لاهون.. فانا لله وانا اليه راجعون..

جمهورية تركمنستان: تقع جمهورية تركمنستان غربي نهر جيحون وبذلك تشكل جزءاً مما عرف في التاريخ الاسلامي باقليم خراسان.. وهذا الاقليم مقسم حالياً بين جمهورية إيران في الغرب وجمهورية

تركمنستان السوفيتية في الشرق وجمهورية افغانستان (الجزء الشمالي منها) في الجنوب. ولهذا فان هذا الاقليم مرتبط تاريخيا وجغرافيا باقليم خراسان وسنفرد له عدة فصول لأهميته البالغة في التاريخ الاسلامي ولظهور آلاف العلماء والمشاهير منه.. فقد افردنا خراسان السوفيتية (تركمنستان) بفصل كامل كما افردنا كلا من سرخس وآمل وشهرستان ونسا وبيهق ومن ظهر بهذه المدن من العلماء، بفصول خاصة لكثرة علمائها ولأهميتها في التاريخ الاسلامي.

والغريب ان تركمنستان التي تبلغ مساحتها ٤٨٨,٠٠٠ كم مربع والتي كانت في التاريخ الاسلامي آهلة بالمدن العامرة مثل مرو وسرخس وآمل وشهرستان ونسا وبيهق تكاد تكون خالية من السكان في القرن العشرين بعد ان دنستها اقدام البلاشفة الروس وأبادوا سكانها وحرقوا ديارها.. وهدموا مساجدها.. وغيروا معالمها وأبادوا مدارسها.. واضاعوا ثقافتها وعلومها.

ويبلغ سكان تركمنستان مليون ونصف المليون فقط بعد ان كان سكان مرو وحدها في عهدها الزاهر قريب من هذا العدد.. وفي احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) بلغ سكان تركمنستان ٢,٧٦٥,٠٠٠ نسمة.

وتشمل تركمنستان صحراء قرة قوم التي تحتل اغلب مناطق تركمنستان. اما القسم الجنوبي المحاذي لأفغانستان فتهطل عليه الأمطار الشتوية ويمر به نهر مورغاب (ويسمى ايضا نهر الروذ لأن مرو الروذ تقع عليه) الذي ينبع من جبال هندكوش في افغانستان ثم يخترق الحدود ليسير شمالا في تركمنستان حتى يصل مرو عاصمة خراسان سابقا وينتهي شمال مرو، ويتصل نهر مورغاب بواسطة قناة بنهر جيحون في الشرق وأخرى بنهر تادزهن من الغرب.

وفي القسم الجنوبي يمر نهر تادزهن وهو امتداد نهر هاري (هاري رد)

الذي ينبع في جبال افغانستان الشمالية (هندكوش) ويمر بمدينة هرات ثم يتجه شمالا ليشكل الحدود بين تركمنستان وايران.. وفي هذه المنطقة يصله رافد من ايران يسمى نهر طوس لأنه يمر بمدينة طوس الشهيرة والتي تسمى الآن مشهد لأن فيها مشهد الامام علي الرضا بن موسى الكاظم بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط.

والمدن المهمة التي تقع على هذا النهر هي هرات في أفغانستان وسرخس وبيهق في تركمنستان.. وتقع بيهق قرب مصبه. والمنطقة التي لا تزال آهلة بالسكان هي السفوح الشمالية لمرتفعات ايران وافغانستان (أي المنطقة الجنوبية من تركمنستان) اضافة الى حوض نهر جيحون (أي المنطقة الشرقية) حيث يشكل نهر جيجون الحدود بين تركمنستان في الغرب واوزبكستان في الشرق.

اما منطقة بحر قزوين فتمثل جزءاً من طبرستان.. وهي تمثل النصف الجنوبي من الشاطيء الشرقي لبحر قزوين (بحر الخزر) اما الجزء الشمالي من الشاطيء الشرقي ومعظم الشاطيء الشمالي من بحر قزوين فيدخل في جمهورية قازاقستان ويبقى الساحل الجنوبي لبحر الخزر (بحر قزوين) تابعا لجمهورية ايران.. اما الساحل الغربي فقد أصبح تابعا لجمهوريات القوقاس السوفيتية وهي جمهورية اذربيجان وجمهورية داغستان وجمهورية ارمينية وجمهورية جورجيا (كرجستان او بلاد الكرج سابقا) وتعتبر منطقة طبرستان الواقعة في جنوب شرق بحر قزوين وشمال جبال البرز مقسمة حاليا بين ايران وجمهورية تركمنستان فبالقرب من مدينة عشق اباد عاصمة تركمنستان تقوم جبال كوت داغ والاداغ التي تشكل جزءاً من طبرستان والتي تخضع لجمهورية تركمنستان بينما نجد الأجزاء الغربية من طبرستان تخضع لجمهورية ايران اما جرجان فتقع بكاملها في ايران.. وكذلك يقع اقليم مازندران في شمال ايران على الساحل الجنوبي لبحر قزوين.. ومازندران جزء من

طبرستان وقد فتح طبرستان سعيد بن العاص والي الكوفة لعثمان بن عفان سنة ٢٩ هـ (٦٥٠ م) وكان معه سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين يجاهدان..[١] وبعد فترة من الثورات والقلاقل في عهد معاوية استقرت الطبرستان ولاية اسلامية اخرجت لنا الكثير من النوابغ وعلى رأسهم الإمام ابن جرير الطبري المؤرخ المفسر الفقيه المجتهد المشهور.

الاستعمار الروسي: وقد استولى الروس على هذه المنطقة الواسعة اثر الحرب التركمانية عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢ م) وقامت روسيا بعمليات ابادة واذابة لسكان تركمنستان ثم اقامت مستوطنات روسية وبدأوا بمشاريع مائية لتوطين الروس فيها ومثلما تفعل اسرائيل حالياً بحفر قناة من البحر الميت الى البحر الابيض المتوسط كذلك فعل الروس وحفروا قناة كلوخوسكي التي تصل المجرى الاسفل لنهر جيحون ببحر قزوين وذلك سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) وقبلها في سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) حفروا قناة قرة قوم وهي تصل المجرى الأوسط لنهر جيحون بنهري مورغاب وتادزهن.. وتوافد الروس على البلاد حتى شكلوا ثلث السكان. وقد كان هذا الاقليم المعروف بآخال تكه تابعاً لشاهات خوارزم حتى القرن العاشر الميلادي ثم تبع حكم الاوزبك وكان يعرف باسم طاغ بيو اي جانب الجبل تميزاً له عن جانب الماء وهي خوارزم. وقد ظهرت مدينة عشق آباد وقزيل عروت بعد الاحتلال الروسي عام ١٨٨٢ م وذلك بعد ان خربت مدينة نسا المشهورة.

وأهم مدن تركمنستان في التاريخ هي مرو التي كانت عاصمة اقليم خراسان بأكمله.. والتي سنتحدث عنها وعمن ظهر بها من العلماء في فصل خراسان بتفصيل واف. اما الآن فهي مدينة منسية قابعة في

---

(١) ذكر كتاب الفتوجات الاسلامية أن طبرستان فتحت سنة ٣٠ هـ فتحها سعيد بن العاص ومعه الحسن والحسين سبطي رسول الله وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان ورهط من صحابة رسول الله ﷺ.

زوايا النسيان اما العاصمة فهي عشق آباد (أشخباد) التي تقع بالقرب منها في الجهة الجنوبية مدينة نسا التي أخرجت لنا الإمام النسائي. ومن مدنها أيضاً مدينة سرخس ومدينة بيهق اللتان تقعان على نهر تادزهن وهو امتداد نهر (هاري رد) وسنتحدث ان شاء الله عنهما بشيء من التفصيل في فصول خاصة.

اما ميناء تركمنستان فهو كرازنوفودسك ويقع على بحر قزوين.

ثروات تركمنستان: تنتج تركمنستان كمية وافرة من القطن تبلغ في معدلها السنوي ٥٤٠,٠٠٠ طن ومن القمح ٢٠,٠٠٠ طن ومن الذرة ٢٤,٠٠٠ طن وبها اربعة ملايين رأس من الماعز كما ان بها ثروة نفطية لا بأس بها في نبيت داغ جنوب شرق بحر قزوين كما تنتج الكبريت والجبس وتشتهر تركمنستان مثل بقية اقاليم خراسان بصناعة السجاد الفاخر. وتحتل جمهورية تركمنستان المرتبة الثانية في انتاج القطن في الاتحاد السوفيتي بعد اوزبكستان.. والثالثة في انتاج الغاز الطبيعي[١].

المعطيات الادارية والديموجرافية:

تأسست جمهورية تركمنستان الاشتراكية السوفيتية في ٢٧ اكتوبر ١٩٢٤م. ورغم مساحتها الواسعة (٤٤٨,١٠٠ كم مربع) الا أن عدد سكانها ضئيل حيث بلغوا في آخر احصاء معلن وهو احصاء ١٩٧٩م ٢,٧٦٥,٠٠٠ نسمة منهم ٤٨ بالمئة سكان المدن وأغلبهم من الروس والاوكرانيين و٥٢ بالمئة سكان الأرياف وأغلبهم مسلمون وتدعى العاصمة عشق آباد (أشخباد) وقد ظهرت بعد ان تحطمت مدينة نسا التاريخية المشهورة وذلك بعد الاحتلال الروسي لها سنة ١٨٨٢م..

وقام الروس بحرب إبادة لسكان تركمنستان المسلمين حيث وصل

---

(١) مجلة المسلمون في الشرق السوفياتي العدد ٢ (٥٠) ١٤٠١ - ١٩٨١.

عددهم سنة ١٩٢٦ م ٧٧٦,٠٠٠ نسمة فقط.. ولكن الله جعل للمسلمين خصوبة عالية لا ينافسهم فيها إلا القليل من الأمم فتكاثروا رغم حرب الإبادة وزادوا الى مليون شخص عام ١٩٥٩ م ثم الى ٢,٠٢٨,٠٠٠ عام ١٩٧٩ م.

وكما يقول بنجينسن ولومرسييه (ويعتبر هذا الزخم الديموجرافي الأول بين شعوب الاتحاد السوفيتي.. وهو عائد أساساً لخصب طبيعي استثنائي[1]).

وفي الاتحاد السوفيتي بصورة خاصة تظهر لنا أهمية زيادة النسل بين المسلمين.. ولولا هذه الزيادة المضطردة لأبيدت شعوب اسلامية بكاملها ولاندثرت ولكن هذه الخصوبة العالية تواجه حرب الإبادة المستمرة بفيض من المواليد.. بحيث ان السكان رغم الإبادة يتزايدون بدل ان يتناقصوا ويندثروا.. وتوجد في قبائل التركمنستان عدة قبائل كبيرة.. وكان لهم دور كبير في الدولة التركمانية التي بلغت أوجها في عهد أوزون حسن التي كانت منافسا خطيرا للدولة العثمانية في أول ظهورها...

كما توجد في القبائل التركمانية أربع قبائل صغيرة تتمتع بنفوذ كبير لأنها تنتسب الى رسول الله ﷺ وهذه القبائل الهاشمية العربية هي:

١ - **قبيلة عطا:** في شرق تركمنستان في وادي جيحون قرب تشاردجو.

٢ - **قبيلة حجة:** في غرب تركمنستان (شمال كراسنوفودسك) وهي المنطقة التي حكمها اولاد الإمام زيد بن علي بن الامام السبط الحسين بن علي في طبرستان والديلم وتوجد هذه القبيلة ايضاً في جنوب تركمنستان قرب مدينة قزيل عرفات.

---

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجينسن ولومرسييه.

٣ - **قبيلة السيد:** وموطنهم في غرب تركمنستان ايضا (طبرستان القديمة) جنوب خليج كارابوغاز حيث قامت الدولة العلوية.

٤ - **قبيلة الشيخ:** وموطنهم كذلك في غرب تركمنستان شمال مدينة كراسنوفودسك.

وهذه المواطن معروفة في التاريخ الاسلامي بأنها كانت موطن الدولة العلوية في طبرستان والديلم والتي قامت في ايام العباسيين بعد مقتل الامام زيد بن علي ثم مقتل ابنه الامام يحيى بن زيد.. وهذه القبائل الشريفة الأربع تعتبر القائدة والرائدة للنشاط الديني المتمثل في الطرق الصوفية التي واجهت الروس القياصرة ثم البلاشفة وهي الآن تقوم بنشاط ديني سري كبير[١].

المعطيات الدينية: لقد دخل الاسلام الى اراضي طبرستان والديلم لأول مرة في عهد عمر بن الخطاب ورغم الانتقاض الذي حصل في عهد عثمان رضي الله عنه إلا أن هذه المناطق أصبحت اسلامية عندما بعث الامام علي الاحنف بن قيس فوجد اهلها قد اسلموا وقرأوا القرآن.. مما يدل دلالة واضحة على دخول الاسلام اليها في وقت مبكر جداً (القرن الهجري الأول أي السابع الميلادي). ولم تكن القبائل التركمانية تسكن هذه المناطق اذ كان موطنها الأول في التركستان الشرقية.. وجاؤوا اليها بعد ظهور السلاجقة وهم من التركستان الشرقية وذلك في القرن الخامس والسادس الهجريين (الثاني عشر الميلادي).

وقد انتشرت بينهم الطرق الصوفية التي كان لها دور كبير في اسلامهم ثم في تعميق الاسلام فيهم وإبقاء جذوته مشتعلة في قلوبهم والتي يوجهها ويقودها السادة من آل بيت النبي ﷺ وهم بيت عطاء وبيت

---

(١) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي تأليف بنجينسن ولومرسييه.

حجة وبيت السيد وبيت الشيخ..

وأهم هذه الطرق المنتشرة بين التركمان هي:

الطريقة الياساوية التي أسسها الداعية العلامة أحمد يسوي المتوفي سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) والمقبور في مدينة تركستان (في جنوب جمهورية كازاخستان) والتي كانت تدعى يس (يسا).

الطريقة الكبروية التي أسسها نجم الدين أحمد الكبرى من أهل خيوة والذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي (١١٤٥ - ١٢١١ م) والمقبور قرب مدينة أورغنتشي في غرب خوارزم (في جمهورية تركمنستان) سنة ٥٤٠ هـ - ٦١٦ هـ..

الطريقة النقشبندية التي لم تظهر في بلاد التركمان الا في القرن التاسع عشر الميلادي.

يقول بنجينسن ولومرسييه في كتابها (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ما يلي:

«وتعرف الصوفية اليوم في جمهورية تركمنستان نشاطا متزايدا هو رد فعل للحملة المناهضة للدين التي بدأها السوفيت في البلاد عام ١٩٢٨ والتي كانت أقسى ما عاناه سكان آسيا الوسطى المسلمون. وقد أسفرت هذه الحملة المستمرة حتى عام ١٩٤١، والتي عادت فاستعرت عام ١٩٤٨م عن اضعاف الاسلام الرسمي كثيرا..

«وهكذا فما أن أقبل عام ١٩٧٩ حتى أصبح عدد المساجد المفتوحة للعبادة في جمهورية تركمنستان أربعة مساجد فقط..

.. اثنان في منطقة ماري جنوب تركمنستان وهما مسجد حجة يوسف بابا همداني في قرية بيرم علي (وحجة يوسف بابا همداني هو

شيخ الولي المشهور هناك أحمد اليساوي) ومسجد طلختان بابا في قرية يولاتان..

.. واثنان في منطقة كاشادوز شمالي الجمهورية هما مسجد شاليكار في مدينة طاشاورز ومسجد بلال بابا في مدينة ايليالي».

وهكذا أصبحت تركمنستان التي تضم مرو وسرخس وبيهق وآمل وجزءاً من خوارزم والطبرستان والتي كانت مساجدها ومعاهدها الاسلامية لا تعد ولا تحصى لكثرتها - هكذا أصبحت اليوم في العهد السوفيتي لا يوجد فيها سوى أربعة مساجد مفتوحة للعبادة ولكن كما يقول المصدر السابق: «ان العاطفة الدينية لا تقاس بعدد المساجد المفتوحة لعبادة المؤمنين فتركمنستان هي الجمهورية الأكثر تدينا في آسيا الوسطى» ويعود ذلك الى أربعة عوامل هي:

١ - نشاط الطرق الصوفية المتزايد المتمثلة في الطرق الثلاث الياساوية والكبروية والنقشبندية.. وهي التي ساهمت في الماضي في ادخال التركمان الى الاسلام.. وهي تحافظ اليوم على تجذير الاسلام وابقاء جذوته مشتعلة في النفوس.

٢ - ارتباط مفهوم القومية بالاسلام بحيث ان لفظ مسلم يعني تركماني.. وهي ظاهرة لا تشاهد بقوة إلا في الاتحاد السوفيتي حيث ارتبط مفهوم (الملة) وهي تعني قوم باللغة التركية بمفهوم الدين. ويكفي ان لفظ القوم او القومية قد أصبح لدى مسلمي الاتحاد السوفيتي عامة يعبر عنه بلفظ الملة التي تعني في اللغة العربية الدين.

٣ - تأثير علماء الدين وأغلبهم من الأوزبك.

٤ - تأثير الدعوة الاسلامية الممتدة من ايران المجاورة.. وبخاصة تلك الدعوة المستمرة التي يوجهها راديو جرجان باللغة التركمانية..

جمهورية قيرغيزيا تبلغ مساحة قيرغيزيا ١٩٨,٥٠٠ كم مربع بينما نجد سكانها لا يزيدون عن ثلاثة ملايين نسمة وذلك بسبب ما واجهه القرغيز من حملات الابادة والاذابة منذ الاحتلال الروسي القيصري لقيرغيزيا عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) ثم تبعه الاحتلال الروسي البلشفي الاحمر الذي خضب أرضها بالدماء الزكية. ومثلما تفعل اسرائيل فتطرد المواطنين العرب ليحل محلهم مستوطنون يهود كذلك فعلت روسيا منذ العهود القيصرية الى العهود البلشفية فكانت تطرد القيرغيز وتبيدهم ليحل محلهم مستوطنون روس.. فمنذ دخولهم عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) الى عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) فقط كانوا قد أقاموا ثمانين مستعمرة روسية داخل قيرغيزيا. خمسون منها في وادي فرغانة الخصيب حيث طردوا منه سكانه القيرغيز الى الصحاري والقفار المجدبة.. وتناقص لذلك سكان القيرغيز وقامت الثورات المتتالية ضد هذا الاستعمار الروسي الغاشم.. وكانت هذه الثورات ذريعة للقوات الروسية لإبادة سكان القرغيز شيوخا وشبابا نساء وأطفالا، ففي ثورة عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) ابادت القوات الروسية ١٥٠,٠٠٠ قرغيزي وتبع ذلك مجاعة مات فيها مئات الالاف.

وقد أبيد سكان الجزء الشمالي من قيرغيزيا عن بكرة ابيهم.. ومن أفلت منهم فر الى الصين حيث لاقى الكثير منهم حتفه اثناء الفرار.. وفي معسكرات الاعتقال الصينية.

ولم تكن الإبادة موجهة الى القرغيز فقط ولكنها شملت مواشيهم وزروعهم.. ففي الاحصاء الرسمي السوفيتي جاء ان عدد المواشي في قيرغيزيا تناقص من ستة ملايين عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) الى مليونين فقط عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م). أما المناطق الجنوبية التي بقي فيها القرغيز فقد واجهوا الاهانات والمذلة من الاسياد الروس.. وحتى

اولئك القرغيز الذين تظاهروا بالشيوعية كانوا يواجهون الموت او السجن اذا طالبوا بتوفير المنتجات الغذائية المنتجة في قيرغيزيا لأهل قيرغيزيا اولا ثم يصدر الفائض بعد ذلك الى روسيا.. ولهذا السبب طرد رئيس وزراء قيرغيزيا يوسوف عبد الرحمانوف (يوسف بن عبد الرحمن) واعدام الرفيق رزفيلوف القيرغيزي وعبد الكريم صديقوف.. ولم يكن لهم من ذنب الا مطالبتهم باشباع مواطنيهم من منتجات قيرغيزيا الزراعية الوفيرة. وهكذا واجه الروس كل من طالب بالفتات للشعب القيرغيزي حتى ولو كان منتسبا للحزب الشيوعي.

تحد قيرغيزيا من الشمال قازاقستان ومن الجنوب والشرق تركستان الشرقية المسماة سينكيانغ أو المستعمرة الجديدة للصين الشيوعية.. ومن الجنوب الغربي طادجكستان ومن الغرب اوزبكستان، وينبع نهر سيحون (سرداريا) من جبال قيرغيزيا في وسطها ثم يتجه غربا ليصل الى اقليم فرغانة الذي الحق الجزء الغربي منه في جمهورية اوزبكستان ولذا فإن خوقند (خجندة) تقع في أوزبكستان، أما عاصمة فرغانة اخسكيت فيصفها ابن حوقل بانها تمتد لأكثر من ثلاثة فراسخ (أي تسعة اميال).. ببساتينها.. بينما يقول المقدسي ان البساتين تمتد خارج المدينة مسافة فرسخين (٦ أميال). وفي الجانب المقابل من النهر (أي سيحون) مروج ومزارع كثيرة تليها رمال ممتدة بمقدار مرحلة. وتقع اخسكيت على نهر سيحون (سرداريا ويسمى احيانا نهر الشاش لانه يمر باقليم الشاش) وكما يقول الاصطخري فإن عموده يخرج من حد أوزكند ثم يجتمع اليه نهر خوشاب ونهر اوش وغير ذلك ويمتد الى أخسكيت ثم الى خجندة (خوقند) ثم على بنكث (طشقند). وهذا مما يجعلنا نثق بان أخسكيت تقع اليوم في قيرغيزيا رغم اننا لم نعثر لها على ذكر في الخرائط الموجودة بين ايدينا.. ذلك لأن خوقند (أو خجندة) انما تقع على نهر سيحون بعد ان يمر سيحون باخسكيت اولا وحسب ما نراه من خريطة النهر فإنه

ينبع اولا في وسط قيرغيزيا ثم يتجه غربا حتى يقطع الجزء الغربي من قيرغيزيا فيدخل الى اقليم خوقند في أوزبكستان ثم يتجه شمالا ليصل الى بنكث وهي طشقند عاصمة أوزبكستان ثم يدخل في جمهورية قازاقستان حتى يصل مدينة فاراب موطن الفيلسوف ابي النصر الفارابي فاذا جاوز سيحون فاراب مر على مدينة صبران (سوران) ثم يجري بعدها في برية حتى يصل الى مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الارال) واستمع الى ياقوت يصف اقليم فرغانة الذي يقع الجزء الاعظم منه في قيرغيزيا (فرغانة مدينة وكور واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان (الشرقية). كثيرة الخيرات واسعة الرستاق يقال كان بها اربعون منبرا (أي أربعون مسجداً جامعاً.. وكان لكل مدينة مسجد جامع) بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ومن ولايتها خجندة.. وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الاعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبَنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع يمنع الاخذ.. وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره »..

أما الاصطخري فيقول: « وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم». وها هي فرغانة وقيرغيزيا لا يجد أهلها قوتهم بعد الاحتلال الروسي البغيض.. وأين هي مدنها وقراها الكثيرة التي كان يذكر منها أربعين ذات مسجد جامع ومنبر (كما يقول ياقوت والمقدسي) وسنفرد فرغانة ومن ظهر بها من العلماء والجهابذة بفصل خاص ان شاء الله فنرجيء بقية الحديث عنها الى حينه.

وقد كثرت المستعمرات الروسية في قيرغيزيا وخاصة في اقليم فرغانة الكثير الخيرات وتذهب خيرات قيرغيزيا الى الروس اولا ثم يأخذ

القيرغيز الفتات. وتنتج قيرغيزيا سنويا :

٣٠٠,٠٠٠ طن من القمح
٢٢٤,٠٠٠ طن من الذرة
١,٦٠٤,٠٠٠ طن من البنجر (الشوندر السكري)
٢٨٠,٠٠٠ طن من القطن

كما تنتج كميات هائلة من الفواكه والفستق واللوز.. وتربي حاليا سبعة ملايين رأس من الأغنام وكمية كبيرة من الخيول..

أما ثروتها المعدنية فهائلة اذ تعد قيرغيزيا من أكبر مناطق انتاج الزئبق والانتيموني في العالم.. كما انها تنتج كمية وافرة من الفحم اذ يبلغ معدل انتاجها السنوي ٥,١٠٠,٠٠٠ طن كما ان بها ايضا معادن الذهب والقصدير والرصاص والزنك.

وعاصمتها فرونزي (فرونزة) وترتبط العاصمة بشبكة خطوط حديدية محدودة لكثرة الجبال في البلاد.

المعطيات الادارية: أحتل القياصرة قيرغيزيا سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م) واعتمدت سياسة الاستيطان الروسي وطرد السكان الاصليين منها.

وفي عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) ثار القرغيز ضد الطغيان القيصري وابيد منهم ١٥٠,٠٠٠ شخص.

وتعاون القرغيز في أول الأمر مع ثورة لينين التي خدعوا بدعايتها الماكرة التي أدعت أن لينين سيعطي المسلمين حقوقهم الدينية والمدنية كاملة..

وفي عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) أنشئت منطقة كارا قيرغيزيا ذات الحكم الذاتي التابعة مباشرة لجمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية.. وفي

أول فبراير (شباط) ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) تحول اسمها الى جمهورية قيرغيزيا ذات الحكم الذاتي وفي عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) تحولت الى جمهورية فيدرالية سوفيتية وأصبحت تدعى جمهورية قيرغيزيا الاشتراكية السوفيتية..

الوضع الديموجرافي: بلغ عدد سكان قيرغيزيا عام ١٩٧٩م ٣,٥٢٩,٠٠٠ نسمة وكان سكان العاصمة فرونزي ٥٣٣,٠٠٠..

ويتوزع السكان كالتالي:

قرغيز	١,٦٨٧,٠٠٠	٤٨٪
الاوزبك	٠,٤٢٦,٠٠٠	١٢٪
التتار	٧٢,٠٠٠	٢٪
الويغور	٣٠,٠٠٠	٠,٨٪
القزاخ والتاجيك	٥٠,٠٠٠	١,٥٪
الروس	٩١٢,٠٠٠	٢٥,٩٪
الاوكرانيون	١٠٩,٠٠٠	٣,١٪
قوميات أخرى	٢٣٧,٠٠٠	٦,٧٪

ويشكل المسلمون عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) نسبة ٦١,٥٪ من مجموع السكان بينما كانوا في عام ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) ٥٧,٧٪ فقط وذلك يعود الى زيادة التناسل بين المسلمين ومرة بعد مرة نرى أهمية كثرة النسل بين المسلمين وأنها الوسيلة الوحيدة التي يملكونها في وجه حرب الابادة المستمرة ضدهم.

واذا دققنا النظر في احصاء عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) نجد أن الروس يتكاثرون بشكل خاص في شمال قرغيزيا وفي مدينة فرونزي

حيث لم يكن المسلمون يشكلون سوى ٢٠,٣ بالمئة من سكانها عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) بينما نرى الأرياف مناطق اسلامية وخاصة في منطقة نارين حيث يشكل المسلمون ٩٦٪ من السكان والجزء الشرقي القرغيزي من وادي فرغانة حيث تبلغ نسبة المسلمين ٨٦ بالمئة. والعدد الاجمالي للقرغيز ١,٩٠٠,٠٠٠ داخل الاتحاد السوفيتي. وتوجد اعداد كبيرة من القرغيز في أقليم سينكيانغ (التركستان الشرقية) وفي أفغانستان في اقليم واخان وفي منغوليا.. والبنية الاساسية في المجتمع القرغيزي هي العائلة الموسعة التي يسمونها (بير أتانينغ بلداري) أي الاولاد المتحدرون من أب واحد.. وتشكل كل خمس أو سبع عائلات عشيرة وتشكل مجموعة من العشائر قبيلة. وتتجتمع القبائل القرغيزية في تجمعين كبيرين:

الأول: وهو تجمع (اطزا وول) أي الابناء الثلاثون.

الثاني: هو تجمع ايتشي كيليك.

الاسلام في قيرغيزيا: لقد دخل الاسلام الى وادي فرغانة مبكراً في نهاية القرن الأول الهجري عندما فتح قتيبة بن مسلم الباهلي هذه المناطق.. ويوجد قبر قتيبة بن مسلم في رباط سرهنك في فرغانة حيث يسميه الاهالي (الامام الشيخ قتيبة) كما نجد في خوقند قبر الإمام عبد الله بن علي زين العابدين بن الإمام السبط الحسين بن علي المتوفي عام ١١٣ هـ(٧٣١ م)ويحدثنا بارتولدفي كتابه الموسوعي(التركستان)أن بفرغانة في منطقة اسيد بولان قبور ٢٧٠٠ من الصحابة والتابعين الذين بعثهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه تحت امرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعاً في واقعة مع الكفار.. ولا يزال هذا الموقع معروفاً وقائماً الى حين زيارة بارتولد له في بداية القرن العشرين. وهذه الواقعة ان صحت تدل على أن المصادر التاريخية التي تتحدث عن أول غزو لبلاد ما وراء النهر بأنه

حدث عام ٥٠ هـ على يد الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري في عهد معاوية غير دقيقة.. فقد سبقها كما يقول بارتولد غزو وصل الى فرغانة في وادي نهر سيحون (سرداريا) في عهد عثمان رضي الله عنه. من هذه الأدلة التاريخية الواضحة يبدو أن الاسلام قد دخل الى وادي فرغانة في القرن الأول الهجري وتجذر بعمق في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) عندما أسلمت قبائل بكاملها وهذا يدل على أن ما ذهب اليه بنجينسن ولومرسييه في كتابهما (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) من أن الاسلام دخل اراضي قيرغيزيا متأخراً في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين - قول تنقصه الادلة التاريخية الكثيرة.. ويبدو أن مناطق من القرغيز لم تدخل الاسلام إلا في وقت متأخر بينما دخلت مناطق اخرى وخاصة الواقعة في وادي فرغانة أو بالقرب منه في وقت مبكر (في القرن الثالث الهجري أي التاسع الميلادي).

ويذكر بنجينسن ولومرسييه دور الطرق الصوفية الهام في نشر الإسلام في هذه المناطق وجميع المؤرخين يؤكدون على أهمية هذا الدور منذ أن دخلت قبائل القراخانيين في الاسلام عندما اسلم ستوق بغراخان رئيسهم واسلم معه مليون من اتباعه وذلك في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

ويبدوا أن سكان شمال قيرغيزيا لم يدخلوا في الاسلام الا في القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) بواسطة رجال الطرق الصوفية واهم هذه الطرق أربع هي:

١ - الطريقة النقشبندية:

التي تتمتع بشعبية واسعة في جميع الاتحاد السوفيتي من القوقاز والداغستان في الغرب الى قرغيزيا في الشرق.. ومركزها الرئيسي في بخارى وقد قاد رجال هذه الطريقة الجهاد ضد الغازين البوذيين

(الاويروت) في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في قيرغيزيا مما جعل لهذه الطريقة شعبية كبيرة بين القرغيز تشبه الى حد كبير اكبار الناس لهذه الطريقة في القوقاس حيث اخرجت الامام الملا محمد والإمام محمد شامل وحركة المريدين التي قاومت الغزو الروسي للداغستان والقوقاس لأكثر من ١٣٧ عاماً.. والتي كان من آخر أبطالها الإمام نجم الدين غوتسو الذي أعلن استقلال الداغستان سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) والذي استمرت ثورته الى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) عندما تم اخضاعها بواسطة القوات البلشفية الكثيفة..

٢ - الطريقة القادرية:

وهي إحدى أشهر الطرق الصوفية والتي تنتسب الى الإمام الرباني السيد عبد القادر الجيلاني الذي ينتسب الى الإمام السبط الحسن بن علي. ورجال هذه الطريقة منتشرون في مختلف ارجاء العالم الاسلامي ولهم دور كبير في أفريقيا حيث قاموا بنشر الاسلام في مناطق مختلفة منها.

أما في الاتحاد السوفيتي فلهم دور مجيد يماثل الى حد ما دور الطريقة النقشبندية وقد انتشرت هذه الطريقة في القوقاس.. كما انتشرت في وادي فرغانة منذ القرن الثامن عشر الميلادي.. ولها دور كذلك في مواجهة الغزو الروسي القيصري ثم البلشفي ..

٣ - الطريقة الياسوية:

ومؤسسها أحمد اليسوي أحد كبار العلماء ورجال الطرق الصوفية وأحد فحول الشعراء وهو مغولي الاصل وقد أسلم على يديه مئات الآلاف من المغول. واستطاع بفضل الله عليه وجهوده المباركة ان ينشر الإسلام في مناطق واسعة في التركستان كما استطاع أن يجذر الاسلام

ويعمقه لدى القبائل الهمجية التي دخلت في الاسلام. وقد توفي أحمد اليسوي في مدينة يسي التي نشأ بها والتي عرفت فيما بعد باسم تركستان وهي في منطقة تشيمقند في جمهورية كازاخستان وكانت وفاته سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م). وفي منطقة قيرغيزيا قاوم اصحاب هذه الطريقة الروس القياصرة فلما جاء البلاشفة انقسموا الى فرقتين فرقة صدقت وعود لينين للمسلمين فتعاونوا معه للقضاء على ما بقي من قوات روسيا البيضاء وفرقة لم تصدق وعود لينين وحاربته منذ أول لحظة كما حاربت القياصرة من قبل. وهذه الفئة الثانية تعرف بأسم (الايشان) ويتهم مريدوها بالتعصب الديني والنشاط المناهض للسوفيت منذ عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) وكان مركزها مدينة ارسلانبا في وادي مزغاز ولها اتباع في أوزبكستان وقيرغيزيا أما فئة لاشي التي تعاونت في أول الأمر مع لينين مصدقين وعوده سرعان ما عرفوا حقيقته البشعة فغيروا موقفهم ولجأوا الى العمل السري ولم يكتشفهم السوفيت إلا بعد عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) ورغم ما واجهوه من اعدامات وسجون وتشريد وتعذيب إلا أنهم لا يزالون ينتشرون في القرى وخاصة في منطقة اوشي.

ويعتبر مركز الطريقة الياسوية الاساسي في جنوب كازاخستان ومنها انطلقت الى مختلف مناطق التركستان.. وفي عام ١٩٦٣ م اكتشفت السلطات السوفيتية تنظيماً سرياً لهذه الطريقة تدعو للتحضير لاقامة دولة إسلامية كما أنهم يقومون بتنظيم مدارس دينية سرية وأماكن للصلاة سرية وقد حكم على أكثرهم بالاعدام والسجن.

الطريقة الكبروية: وموطنهم خوارزم ومنها انطلقت الى مختلف مناطق التركستان. وقد أسسها نجم الدين أحمد الكبري الخيوي نسبة الى مدينة خيوه عاصمة خوارزم في العصور المتأخرة والذي عاش في القرن

(السادس الهجري) (٥٤٠ - ٦١٦ هـ) (١١٤٥ - ١٢١١ م) وبفضل الله اولاً ثم بفضل جهود هؤلاء الصوفية استطاع الاسلام أن يكسب أنصاراً وأتباعاً في جميع مناطق الاتحاد السوفيتي منذ أن دخل القراخانيون في الاسلام في القرن الثالث الهجري ثم دخول المغول احفاد جنكيزخان وهولاكو في الاسلام.. ثم دخول قبائل التركمان وقبائل القرغيز والقازاخ وتتار الفولجا والبلغار وعشرات الامم.. ولم يقم هؤلاء الصوفية بدورهم في نشر الاسلام فحسب ولكنهم قاموا بتعميقه وتجذيره والدفاع عنه في وجه القبائل الوثنية ثم في وجه القياصرة البيض ثم في وجه البلاشفة الحمر. وكانوا هم قادة المجاهدين وأول المدافعين عن الاسلام في تلك البقاع.

وبفضل الله ثم بفضل جهودهم في قيرغيزيا في وادي فرغانة (اصبحت هذه المنطقة احدى المناطق الأكثر تديناً في آسيا الوسطى رغم شدة الحملات الدعائية ضد الاسلام هناك)[1]..

جمهورية طادجكستان: تقع أصغر الجمهوريات التركستانية طادجكستان شمال أفغانستان وتشترك معها في الحدود والاقاليم ومنابع المياه. اذ ينبع نهر جيحون من جبال بامير الموجودة فيها ويأخذ روافده في مجراه الاعلى منها ومن شمال شرق أفغانستان وتدخل مقاطعات وخان وبذخشان بين افغانستان وطادجكستان.

وسكان طادجكستان هم من العنصر الفارسي الطاجيك الذين ظهر منهم الشاعر الموهوب الفردوسي صاحب الشاهنامة والشيخ الرئيس ابن سينا الذي ولد ونشأ في بخارى (وقد ذكرنا ترجمته في فصل بخارى ومن ظهر بها من العلماء) ويشكل الطاجيك ما يقرب من ٣٠٪ من سكان افغانستان ايضا. وبينما نرى سكان طادجكستان شيعة جعفرية

---

(١) أنظر كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي.

واسماعيلية فإننا نرى الطاجيك في افغانستان قد تحولوا الى المذهب السني..

ويسكن التاجيك الاسماعيليون (وهم طائفة من الشيعة مثل النصيرية في سوريا والبهرة في الهند) في مرتفعات بامير المنيعة والتي ظهر فيها أحد أشهر زعمائهم الحسن الصباح صاحب قلعة ألموت أي وكر النسر لمناعتها ومشابهتها في البعد والمنعة..

وقد كانت هضبة بامير تتبع افغانستان حتى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) عندما ابتعلتها القوات الروسية البلشفية مثلما تفعل روسيا اليوم بافغانستان ذاتها. وتبلغ مساحة طادجكستان ١٤٣,٠٠٠ كم مربع ولا يزيد سكانها عن ثلاثة ملايين وتشغل هضبة بامير أكثر من نصف مساحة البلاد وهي تحتل الجزء الجنوبي والجنوبي الشرقي من طادجكستان.. أما القسم الشمالي فتشغله سلسلة جبال الآي واقل الاماكن ارتفاعاً هو الجزء الجنوبي الغربي وتمتد أراضيها جنوب خوقند الواقعة في جمهورية اوزبكستان.. وبذلك تقع جنوب نهر سيحون في هذه المنطقة. اما منابع نهر جيحون والمجرى الاعلى لنهر جيحون فيمر بالقرب من حدودها مع افغانستان (أي في حدودها الجنوبية).. ونتيجة لكثرة المياه فإن طادجكستان ذات ثروة زراعية هائلة بالمقارنة مع حجمها اذ تنتج سنوياً:

١٤٦,٠٠٠ طن من القمح

٣٧,٠٠٠ طن من الذرة

٥٠٠,٠٠٠ طن من القطن

وبها ما يقرب من مليونين ونصف من الاغنام.. كما أن بها ثروة معدنية وخاصة معدن الزنك والتنغستين.. أما أقليم بذخشان الذي يقع بين افغانستان وطادجكستان فقد اشتهر منذ اقدم الأزمنة بخصبه

وبثروته الهائلة من الياقوت واللازورد يليها الذهب والفضة.. وتقع عاصمة أقليم بذخشان في افغانستان وهي مدينة فايز آباد (فايظا اباد).

ونتيجة لمساقط المياه الكثيرة من المرتفعات فإن الطاقة الكهربائية تولد بوفرة من هذه المساقط التي ترفد نهر جيحون. وعاصمة طادجكستان دوشنبي تقع بالقرب من حدودها الجنوبية (أي بالقرب من حدودها مع أفغانستان) وقد غير الروس اسمها أيام ستالين الى ستالين آباد (أي مدينة ستالين) فلما مات ستالين وظهرت فضائحه ونبش قبره في روسيا غير القياصرة الجدد اسمها الى لينين اباد (أي مدينة لينين الذي أقام أول وأكبر دولة شيوعية في العالم بمساعدة عائلة روتشيلد اليهودية الاخطبوطية).

ومن مدن طادجكستان كاكا نوفيتشي اباد (ولم أعثر على اسمها الحقيقي وكم زيف الروس واقع وتاريخ هذه البلاد..

الوضع الاداري وتاريخ تكوين جمهورية طادجكستان

تأسست منطقة طادجكستان ذات الحكم الذاتي في ١٤ أكتوبر ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وكانت تابعة لجمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية.. وكانت تضم في باديء الأمر بعض المناطق العائدة لحكومة التركستان العامة السابقة ولإمارة بخارى فلما سقطت حكومة التركستان وامارة بخارى بيد البلاشفة الروس قاموا بوضع التقسيم الاداري الجديد وجعلوا طادجكستان جمهورية ذاتية تابعة لاوزبكستان ثم ما لبثوا ان أضافوا إليها القسم الشمالي من منطقة البامير المعروفة باسم عورنو وبذخشان. وهي المنطقة المحاذية لافغانستان والمشهورة بثروات الفيروز واللازورد والذهب وفي ١٥ مارس ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) تحولت طادجكستان من مقاطعة الى جمهورية ذاتية تابعة ايضا لاوزبكستان. وفي ٥ ديسمبر ١٩٢٩ أعلن ستالين طادجكستان جمهورية اشتراكية

سوفيتية فيدرالية وتبلغ مساحة طادجكستان بوضعها الحالي ١٤٣,٠٠٠ كم مربع ويبلغ عدد سكانها حسب احصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٤,٩٣,٠٠٠ نسمة.. وتسمى عاصمتها دوشابي.

الوضع الديموجرافي ذكر احصاء عام ١٩٧٩ الزيادة المطردة في سكان طادجكستان حيث ارتفع عدد السكان التاجيك من ٩٨,٠٠٠ نسمة عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) الى ١,٣٩٧,٠٠٠ عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) والى ٢,٢٣,٧٠٠ عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م). مشكلين بذلك ٥٨,٥ بالمئة من مجموع سكان طادجكستان..

ويبلغ عدد الروس المستوطنين في طادجكستان ٣٩٥,٠٠٠ (أي ١٠,٥ في المئة) والاوكرانيون ٣٦,٠٠٠ (١,٨ في المائة) وبقية المستوطنين ١٠٨,٠٠٠ (٢,٨ في المئة). وبذلك يشكل هؤلاء الكفرة حوالي ١٤٪ من مجموع السكان..

أما بقية السكان فهم من الاوزبك والقرغيز والتركمان والتتار. ويعيش مجموعة من التاجيك في بقية جمهوريات التركستان ويبلغ عددهم ٤٣,٠٠٠ تاجيكي.. أما العدد الاكبر من التاجيك فيعيشون في أفغانستان حيث يوجدون باعداد تفوق عددهم في جمهوريتهم طادجكستان.. ففي افغانستان يبلغ التاجيك قرابة أربعة مليون نسمة مشكلين بذلك حوالي ثلث سكان افغانستان ويشكل التاجيك أمة واحدة أصولها فارسية ولغتها أيضاً فارسية.. وقد فرض على التاجيك ان يكتبوا بالحرف الروسي (الكيريلي) منذ عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) بدلا من الحرف العربي حتى يبعدوهم عن اصولهم الثقافية الاسلامية.

المعطيات الدينية للتاجيك لقد دخل التاجيك في الاسلام منذ الفتوح الاسلامية لامبراطورية كسرى وظهر منهم العديد من العلماء والشعراء والمثقفين.. ومن أشهر علمائهم ابن سينا الشيخ الرئيس

الفيلسوف الطبيب الحكيم.. والفردوسي صاحب الشاهنامة.. وعم الخيام صاحب الرباعيات.. ويشكل تاجيك أفغانستان أكبر تجمـ للتاجيك حيث يبلغون قرابة أربعة ملايين وقد اندمجوا في تاريخ أفغانستان القديم والحديث وكانوا هم عماد الدولة والتجار والعلماء فيها.. وجميعهم سنة أحناف..

أما تاجيك الاتحاد السوفيتي فأغلبهم سنة أحناف ولكن منهم مائة ألف تاجيكي يعيشون في هضبة بامير وهم من الطائفة الاسماعيلية النزارية (اتباع اغا خان) وهناك مجموعة اخرى من التاجيك شيعة جعفرية امامية مثل شيعة ايران والعراق.. وأكثر هؤلاء موجودين في العاصمة دوشامبي ومدينة لينين جراد ويوجد في طادجكستان بضعة مساجد مفتوحة للعبادة رسميا (١٨ مسجداً عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) وحوالي عشرة مساجد عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)) ولكن هناك العديد من المساجد السرية التي يشرف عليها رجال الملا ودعاة الطرق الصوفية وخاصة النقشبندية والطريقة القلندرية.. والتي تقف ببطولة أمام حملات الدعاية الاتحادية الشيوعية حيث القيت في طادجكستان عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) وحدها ٤٠,٥٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

جمهورية كاراكلباك الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي

لقد قامت السياسة الاستعمارية الروسية بتمزيق المنطقة الواحدة الى عدة مناطق.. ويتجلى ذلك بصورة شديدة الوضوح في القوقاس والتركستان.. وهي تشبه في ذلك السياسة الاستعمارية البريطانية الا أنها تختلف عنها في أن السياسة البريطانية كانت في الغالب لها صفة الاستمرارية بينما تميزت السياسة الروسية البلشفية بسياسة متقلبة تتبع اهواء الحاكم ونزعاته. فقد تأسست مثلا منطقة الكاراكلباك ذات الحكم الذاتي في ١٦ فبراير ١٩٢٥ م وكانت تابعة لجمهورية تركستان ثم تحولت الى منطقة تابعة لكازاخستان في مايو ١٩٢٥ م وفي ٢٠ مارس ١٩٢٦ م

أصبحت تابعة مباشرة لجمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية السوفيتية.. وفي عام ١٩٣٦م أعلنت هذه المنطقة جمهورية ذات حكم ذاتي تابعة لجمهورية كازاخستان ثم في ٥ ديسمبر من نفس العام اصبحت تابعة لجمهورية اوزبكستان!!

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٦,٥٠٠ كم مربعاً تقع على دلتا نهر جيحون عند مصبه في بحر الارال(بحيرة خوارزم).. وتعداد سكانها قرابة المليون (٩٠٥,٠٠٠) حسب إحصاء عام ١٩٧٩م ويشكل المسلمون أغلبيتهم الساحقة ٩٥٪.. وتعتبر بذلك كاراكلباك المنطقة التي تضم اكبر نسبة من الاتراك المسلمين في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي..

عاصمة هذه الجمهورية **نوخوس** وغالبية الكاراكلباك من الفلاحين.. وكما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي فإن الامة الكاراكلباكية هي ذات تكوين مصطنع.. احدثها النظام السوفيتي على أساس تجميع قبائل تركية.. ولذا فإن الكاراكلباك لا يوجد لديهم الشعور القومي كامة وانما انتماءاتهم قبلية «ويبقى الدين الاسلامي أهم عنصر يجمع هذه القبائل» ويعتبر الكاراكلباك كما يقول المصدر السابق «شعبا من اكثر الشعوب تمسكا بالاسلام في آسيا الوسطى وذلك يعود الى نشاط الطرق الصوفية الاربع وهي الكبراوية ومركزها **خوارزم** والياساوية ومركزها جنوب **كازاخستان** والنقشبندية وتنتشر في جميع ارجاء الاتحاد السوفيتي وخاصة في القوقاس والقلندرية وهي طريقة جواله ليس لها مركز ثابت».

ثروات تركستان

وتتلخص ثروات تركستان الغربية التي تستولي عليها روسيا فيما يلي:

(١) ثروات زراعية هائلة جعلت الاتحاد السوفيتي الدولة الثانية في انتاج القطن في العالم.. ولولا السياسة الزراعية الفاشلة لكانت ايضاً الدولة الثانية في انتاج القمح.. وتنتج تركستان الغربية كمية هائلة من

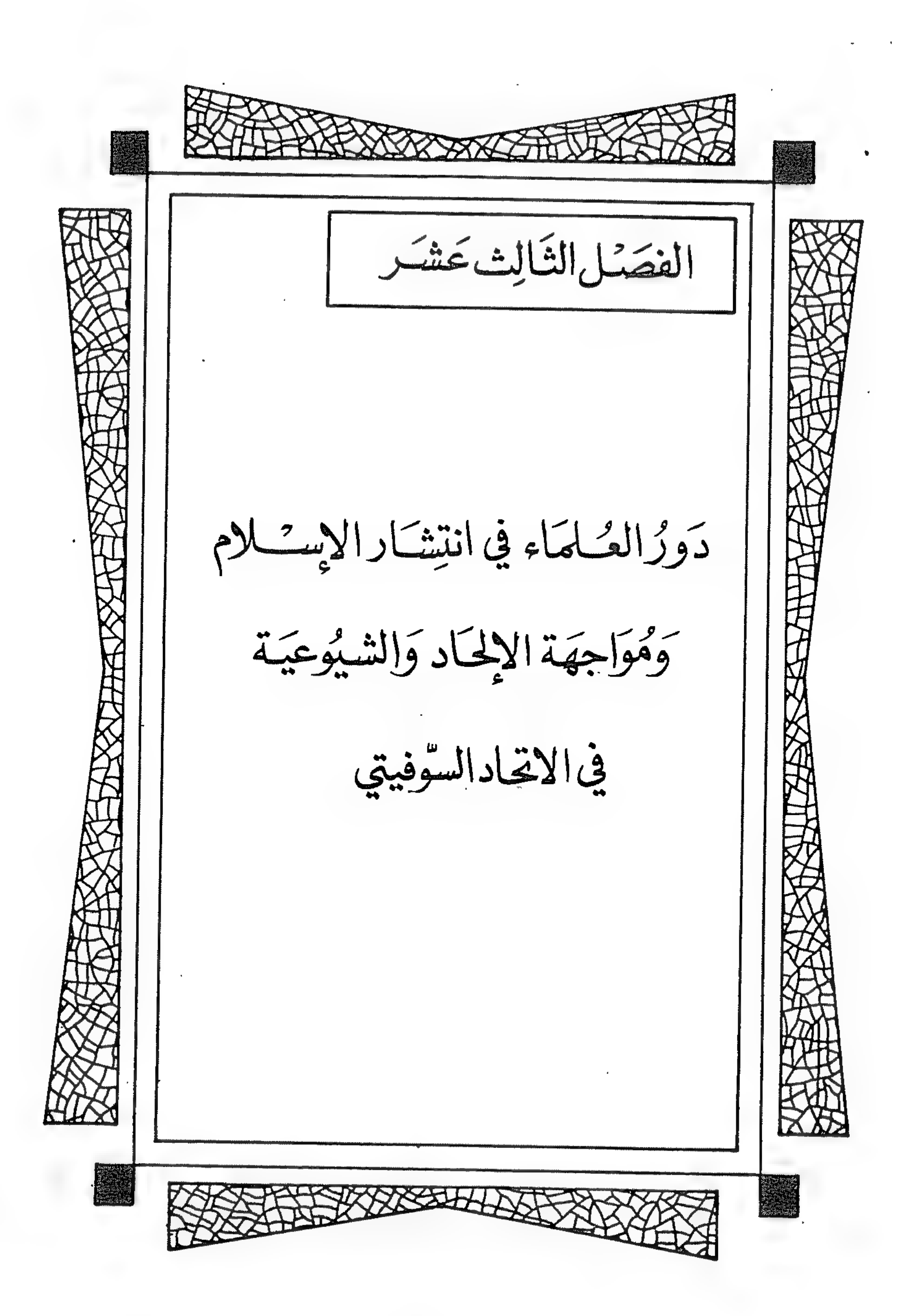
الفواكه التي تصدر الى الاتحاد السوفيتي بأكمله.

(٢) ثروات معدنية جعلت الاتحاد السوفيتي الدولة الثانية في العالم في انتاج الذهب والفضة كما ان بالتركستان ثروة بترولية جيدة حيث يوجد بها ٢٤ بئرا للبترول واذا أضيف ذلك الى انتاج باكو في أذربيجان (الإسلامية) التي يحتلها الروس فان ذلك يجعل روسيا اكبر منتج للبترول في العالم. حيث تنتج روسيا ١٢ مليون برميل يوميا وتأتي المملكة العربية السعودية التي بلغ أقصى انتاجها عام ١٩٨٠ عشرة مليون يوميا وقد خفض الإنتاج السعودي عام ١٩٨١ الى تسعة ملايين اما في عام ١٩٨٢ فقد بدأ التخفيض الى سبعة ملايين ونصف المليون..

وتنتج التركستان الذهب من ٢٥ منجما والفضة من ١٦ منجما وانتاج التركستان جعلها الدولة الثانية في العالم في انتاج الذهب والفضة اما الكروم فإنتاج التركستان منه جعل الاتحاد السوفيتي الدولة الاولى في العالم في انتاجه ويدخل الكروم في صناعة الطائرات والادوات الكهربائية وفي التركستان ايضا ٤٦ منجما للحديد و٢٣ منجما للرصاص و٦٣ منجما للصوديوم و١٣ منجما للكبريت.. وكمية هائلة من الفحم.. وكمية جيدة من اليورانيوم الذي مكن الاتحاد السوفيتي من تنفيذ برامجه النووية بحيث اصبح ينافس امريكا في ذلك..

أما ثروات التركستان الشرقية فقد سبق أن تحدثنا عنها في الفصل السابق وكيف تنهبها الصين الشيوعية.

وهكذا نرى ثروات العالم الاسلامي اما ان تذهب الى امريكا وأوربا أو تذهب الى روسيا والصين الشيوعية بينما يلقى الفتات للمسلمين الذين يتضورون جوعا في بنجلاديش وساحل افريقيا الشرقي ويموت الملايين منهم كل عام من المسغبة.. ويتنصّر الآلاف في أندونيسيا وافريقيا في مقابل حفنة من الأرز أو رغيف من الخبز تتصدق به عليهم المؤسسات الكنسية والهيئات التبشيرية.



الفصل الثالث عشر

دور العلماء في انتشار الإسلام ومواجهة الإلحاد والشيوعية في الاتحاد السوفيتي

. يجهل اكثر المثقفين الأدوار البطولية العظيمة التي قام بها علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية في نشر الاسلام في المناطق الشاسعة التي دخلت في الاسلام على امتداد القرون فيما يعرف اليوم بالاتحاد السوفيتي.

ومنذ وقت مبكر جداً كانت الفتوحات الاسلامية التي قادها أجلة الصحابة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم، كانت هذه الفتوحات العسكرية الباهرة مصحوبة بالدعوة الى الله بالقول والفعل وباللسان والسنان..

وكان ممن اشترك من أجلة الصحابة في فتح أذربيجان وكرجستان وأرمينية وطبرستان والديلم وخراسان وبلاد ما وراء النهر حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وحبر الأمة عبد الله بن عباس وأخوه قثم ابن العباس الذي استشهد في معركة فتح سمرقند وسيديّ شباب أهل الجنة السبطين الشهيدين الحسن والحسين ابناء فاطمة الزهراء. والحكم بن عمرو الغفاري اول من فتح بلاد الصغانيان وهي الآن في جمهورية اوزبكستان السوفيتية. وعبد الله بن عامر بن كريز الذي أعاد فتح خراسان في عهد عثمان رضي الله عنه بعد أن انتقضت كثير من مناطقها.

وكان لهؤلاء الصحابة والتابعين دور كبير في نشر الاسلام في ربوع خراسان المقسمة اليوم بين ايران وافغانستان وجمهورية تركمنستان السوفيتية.. وتقع مرو وبيهق ونسا وسرخس وهي من أهم مدن خراسان في جمهورية تركمنستان.

وقد أخرجت جهود هؤلاء الصحابة مئات العلماء والفضلاء والأجلاء

من تلك البلاد وقاموا بخدمة الاسلام أجل خدمة.

وعندما توقف المد العسكري في القرن الرابع الهجري وتوقفت الفتوحات عند حدود الصين والتركستان الشرقية قام العلماء ومشايخ الطرق الصوفية ومريدوهم من التجار بنشر الاسلام في الاصقاع الواسعة الواقعة شرق نهر سيحون (سرداريا) والمعروفة آنذاك باسم التركستان (أي التركستان الشرقية) والواقعة شرق فرغانة كما انتشروا شمالا في سهوب القفجاق، وامتدوا من خوارزم صوب سهوب الاستيبس في ما يعرف بقازاقستان حاليا وشرقا وشمالا صوب سيبيريا الغربية.. وفي الشمال الغربي صوب نهر الفولجا حيث كان يقطنه بلغار الفولجا.. وفيما يلي نبذ موجزة عن هذا الجهد المبارك:

١ - انتشار الاسلام في التركستان الشرقية (أي ما يعرف بطريقة الحرير)

لقد تم دخول ستوق بغراخان ملك الترك الشرقيين على يد الدعاة الى الله من الصوفية سنة ٣٢٣هـ (٩٣٤م) وتبعه في إسلامه مليون شخص على الأقل (مائتي الف خيمة).

٢ - انتشار الاسلام على طول نهر الفولجا (طريق الفراء)

وذلك منذ القرن الثالث الهجري ويحدثنا ابن فضلان في رحلته التي قام بها الى بلاد البلغار بأمر الخليفة العباسي سنة ٣٠٩هـ (٩٢١م) عندما جاء وفد من بلغار الفولجا وطلبوا من الخليفة العباسي أن يرسل لهم من يعلمهم امور دينهم كما طلبوا منه خبراء عسكريين ومهندسين ليبنوا لهم استحكامات عسكرية في وجه أمة الروس الهمجية، يحدثنا ابن فضلان عن ملك البلغار ألمش بن يلطوار المسلم وعن انتشار الاسلام بين رعيته.

وقد كان إسلام بلغار الفولجا يتم بواسطة الدعاة من العلماء

والصوفية وتلاميذهم ومريديهم من التجار.

٣ - دور الصوفية والعلماء في مواجهة الغزو المغولي الذي قام به جنكيزخان وذلك سنة ٦١٨ هـ ثم دورهم العظيم في نشر الاسلام بين صفوف هؤلاء المغول الجفاة البرابرة الهمج حتى دفع جوجي ابن جنكيزخان ابنه لهؤلاء العلماء من الصوفية لتعليمه فتعلم ابنه بركة خان القرآن في صغره ونشأ على الاسلام وقد تولى بركة خان حكم القبيلة الذهبية سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) وبقي أميراً عليها الى أن توفاه الله سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) وانتشر الاسلام في عهده انتشارا واسعا بين صفوف المغول وخاصة قبيلته الذهبية وقد حكمت هذه القبيلة معظم مناطق الاتحاد السوفيتي الحالية حيث كان مقرها أولا في خوارزم وغرب سيبيريا وسهل القبجاق وجميع بلاد ما وراء النهر (أي جيحون).. وقد وصلت هذه القبيلة الى حكم منغوليا وجميع أراضي روسيا والقرم ومعظم مناطق القوقاس وقد وصف لنا ابن بطوطة في رحلته السلطان محمد اوزبك الذي حكم الأراضي الواقعة على نهر الفولجا وشبه جزيرة القرم. (٧١٣ - ٧٤١ هـ).. كما وصف لنا مملكة السلطان طرمشيري الذي كان يحكم خوارزم وما وراء النهر.. وكلاهما من نسل جنكيز خان..

وقد ظل ابناء القبيلة الذهبية يحكمون الأراضي الواقعة على نهر الفولجا حتى سقطت خانياتهم في قازان واستراخان على يد ايفان الرهيب سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) أما خانية القرم التي حكموها فقد بقيت في ايديهم حتى سقوطها بيد كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) كما بقيت اماراتهم في خيوه وخوارزم وبخارى حتى سقوطها نهائياً بيد لينين سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).

وللطرق الصوفية ورجالها أعظم الفضل بعد الله في إسلام هؤلاء المغول وتحولهم الى صف الاسلام والدفاع عنه ونشره.

ولم يكن للعلماء الصوفيين فضل إدخال المغول في الاسلام فحسب بل كان لهم ايضا شرف المحافظة على إسلام هؤلاء القوم وتعميق الاسلام بينهم على مدى العصور.

وينقل لنا ابن بطوطة اثناء رحلته صورة مشرقة بالنور ونحن نرى العالم الصوفي حسام الدين الياغي وهو يعظ السلطان طرمشيرين (سلطان بخاري وما وراء النهر) المغولي حتى يبكيه يقول ابن بطوطة: «وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر والظلم. ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبكي. وكان الشيخ لا يقبل من عطاء السلطان شيئاً. ولم يأكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه».

كما يصور لنا ابن بطوطة هذا السلطان التقي المؤمن فيقول: «وهو السلطان المعظم علاء الدين طرمشيرين وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم المملكة شديد القوة، عادل الحكم». ويذكر لنا أن السلطان تأخر قليلاً ذات يوم عن موعد إقامة صلاة العصر فأرسل غلامه ليستأذن من الامام حسام الدين الياغي في تأخير الصلاة قليلا ريثما يتوضأ السلطان. فغضب الامام حسام الدين وقال الصلاة لله أو لطرمشيرين» وامر المؤذن بالاقامة.. فجاء السلطان وقد فاتته ركعتان فصلى بالقرب من موضع النعال فلما قضى صلاته قام مسرعا الى الامام ليسلم عليه. فقال الامام لابن بطوطه: إذا مشيت الى بلادك فحدث أن فقيراً من فقراء الأعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك».

وكذلك يصف لنا ابن بطوطة الامام الصوفي العالم نعمان الدين الخوارزمي الذي كان يعظ السلطان محمد أوزبك ويعنّفه والسلطان محمد أوزبك هو أحد السلاطين السبعة الذين كانوا يحكمون الدنيا آنذاك.. فقد كان ملكه يمتد في ارض روسيا على طول نهر الفولجا ويحكم القرم

والقوقاس حتى تصل حدوده بحدود مملكة طرمشيرين في خوارزم.

يقول ابن بطوطة عن الامام الصوفي العالم نعمان الدين الخوارزمي الذي كان يقيم في زاوية صغيرة في مدينة السرا حاضرة ملك السلطان محمد اوزبك «وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم النفس شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا، يأتي اليه السلطان محمد أوزبك زائراً في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه. ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له. والشيخ بضد ذلك. وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف ذلك بأن يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم».

هكذا كان أصحاب الزوايا من العلماء الزهاد من مشايخ الصوفية لا يلتفتون الى السلاطين ولا يسعون نحوهم بل السلاطين يجثون على ابوابهم ويسمعون تقريعهم وتأنيبهم بكل أدب وخضوع.

وكان للعلماء من الصوفية ومريديهم دور عظيم في دخول المغول في الاسلام وفي تجذيره وتعميقه في نفوسهم.

الطريقة الياسوية:

ولقد كان للطريقة الصوفية الياسوية تأثير خاص على هؤلاء المغول إذ أن مؤسسها الشيخ أحمد اليسوي نفسه من هؤلاء المغول..

وقد نشأ هذا الشيخ وتوفي في مدينة يس التي عرفت فيما بعدم باسم تركستان وهي في منطقة تشيمقند (حاليا في جمهورية قازاقستان) وقد كانت وفاته سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م). وكان لتلامذته واتباع طريقته تأثير قوي على الأتراك والمغول على مدى القرون.. وكان لهم دور كبير في انتشار الاسلام بين المغول والقبائل التركية والقازاخية كما كان لهم دور كبير في تجذير الاسلام وتعميقه في نفوسهم وفي العصور الحديثة قام

شيوخ هذه الطريقة ومريدوها بمقاومة القياصرة بعنف في منطقة قرغيزيا وقازاقستان مقاومة شديدة.

وعندما قامت ثورة لينين ضد القياصرة وأعلن وعوده الكاذبة للمسلمين بأنهم سيعطون حريتهم الدينية والسياسية كاملة صدقه كثير من المسلمين.. ومن بينهم بعض مشايخ الطريقة الياسوية.. وانقسمت هذه الطريقة عندئذ الى فرقتين: فرقة صدقت لينين ووعوده الخلابة للمسلمين ووقفت معه لتحارب قوات روسيا البيضاء وتعرف هذه الفئة باسم لاشي.

وفرقة لم تصدق وعود لينين وحاربته منذ أول وهلة كما حاربت قوات القياصرة وكما حاربت قوات روسيا البيضاء. وتعرف هذه الفئة باسم الايشان. ويتهم مريدوها بالتعصب الديني والنشاط المناهض للسوفيت منذ عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) كما يقول بنجيسن ولومرسييه في كتابهما «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي».

وكان مركز الايشان مدينة أرسلانبار في وادي فرغانة واتباعها منتشرون في قرغيزيا واوزبكستان.

أما فئة لاشي التي تعاونت أول الأمر مع لينين مصدقة وعوده الكاذبة فسرعان ما عرفت الحقيقة وتحولت الى العمل السري ضد الشيوعية وفي عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) اكتشفت السلطات تنظيماتهم الصوفية المناهضة للسوفيت وقامت الحكومة باجراءات تعسفية في ملاحقتهم بعد ان قتلت جميع من قبضت عليهم من زعمائهم.. ورغم ذلك بقيت هذه الطريقة تعمل سراً لنشر الاسلام وتجذيره ومحاربة الالحاد والشيوعية وفي عام ١٩٦٣ م إكتشفت السلطات البوليسية السوفيتية تنظيماً سرياً آخر لهذه الطريقة وكان الاتهام الموجه اليهم هو إقامة بيوت سرية لإقامة الصلوات ودراسة القرآن والحديث وتنظيم

حلقات دراسية والتمهيد لإقامة حكم إسلامي ومحاربة الالحاد والشيوعية. وقد حكم على معظم اعضاء هذا التنظيم بالاعدام.

ولا يزال اتباع هذه الطريقة ينتشرون سراً في جنوب كازاخستان وقرغيزيا وبعض مناطق اوزبكستان.

الطريقة الكبراوية: وتنتسب هذه الطريقة الى مؤسسها الشيخ نجم الدين الكبرى الخيوي نسبة الى مدينة خيوه والذي عاش في القرن السادس الهجري (٥٤٠ - ٦٠٦ هـ) (١١٤٥ - ١٢١١ م) يوجد قبره في مدينة اورغنتشي في غرب خوارزم.. وقد كان لهذه الطريقة دور بارز في تعميق الاسلام وتجذيره في مناطق خوارزم كما كان لهم دور بارز في نشر الاسلام في المناطق الواقعة شمال خوارزم وبين القبائل التركمانية.

وتنتشر هذه الطريقة في منطقة خوارزم الواقعة حاليا في شمال جمهورية أوزبكستان السوفيتية وفي غرب جمهورية تركمنستان.. كما تنتشر ايضا في كثير من مناطق جمهورية تركمنستان.

وقد وفدت القبائل التركمانية من التركستان الشرقية بعد ظهور السلاجقة وهم ايضا من الأتراك الشرقيين.. وسكنوا في مناطق خوارزم وطبرستان والديلم وخراسان..

ويتزعم هذه الطرق الصوفية أربع قبائل كلها تنتمي الى آل البيت النبوي الشريف.

وهذه القبائل الهاشمية العربية هي:

١ - قبيلة عطا: وموطنها في شرق تركمنستان في وادي جيحون (أموداريا) قرب تشاردجو.

٢ - قبيلة حجة: وموطنها غرب تركمنستان شمال كراسنوفودسك وهي المنطقة التي حكمها أولاد الامام زيدبن علي بن الامام

السبط الحسين بن علي في طبرستان والديلم. وتوجد هذه القبيلة ايضا في جنوب تركمنستان قرب مدينة قزوين عرفات.

٣ - قبيلة السيد: وموطنهم في غرب تركمنستان جنوب خليج كارابوغاز حيث قامت الدولة العلوية الزيدية الهاشمية في طبرستان.

٤ - قبيلة الشيخ: وموطنهم كذلك في غرب تركمنستان شمال مدينة كراسنوفودسك.

وهذه المواطن معروفة في التاريخ الاسلامي بأنها كانت موطن الدولة العلوية في طبرستان والديلم والتي قامت في ايام العباسيين بعد مقتل الامام زيد بن علي زين العابدين ثم مقتل ابنه الامام يحيى بن زيد.. والتي كان للامام حسن الاطروش دور كبير في تأسيسها وفي نشر الاسلام وتجذيره في تلك المناطق.

ويقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي للمؤلفين الفرنسيين بينجنسن ولومرسييه أن هذه القبائل الأربع تعتبر القائدة والرائدة للنشاط الديني المتمثل في الطرق الصوفية التي واجهت الروس القياصرة بعنف وضراوة في الحرب التركمانية التي امتدت حتى عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢م).. ثم قامت هذه الطرق الصوفية بمحاربة لينين والدعوة البلشفية وواجه التركمان حرب إبادة شديدة من النظام القيصري ثم البلشفي.. ولولا الخصوبة العالية التي خصهم الله بها لاندثروا..

ولا يزال لهذه الطرق دور كبير في نشر الاسلام وتجذيره في مناطق التركمنستان. وهم يواجهون حملات الابادة والسجن والتشريد دون ان تشير الى ذلك أجهزة الاعلام الغربية التي يوجهها ويملكها اليهود.

الطريقة النقشبندية :

تعتبر الطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية أكثر الفئات الاسلامية صمودا في وجه الطغيان الروسي القيصري ثم الشيوعي البلشفي.. ويطلق الروس على المؤسسات الصوفية اسم الاسلام الموازي والمقصود بذلك الموازي للاسلام الرسمي المحدود الذي تسمح به السلطات السوفيتية. ويعتبر «الاسلام الموازي» كما يقول مؤلفا كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» هو العنصر الديني النشيط الذي تخشاه السلطات الروسية أشد الخشية لأنها تعتبره الأكثر رجعية وتمسكا بالاسلام ومقاومة للروس وللشيوعية.

وتعتبر الطريقة النقشبندية من أوسع الطرق الصوفية انتشارا في الاتحاد السوفيتي وربما اكثرها أهمية.

لقد تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند في مدينة بخارى الذي يقول بانتسابه الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد ولد هذا الشيخ عام ٧١٨ هـ (١٣١٧ م) وتوفي سنة ٧٩٢ هـ (١٣٨٩ م) بعد أن ترك اتباعه ينتشرون في آسيا الوسطى والقوقاس وتتار الفولجا ووصلت طريقته الى الهند والصين ثم امتدت الى الشرق الأوسط ذاته.

ولقد شكلت الطريقة النقشبندية المحرك الرئيسي لقوى الجهاد الاسلامي في وجه المستعمر الكافر الروسي في العهد القيصري ثم في العهد البلشفي الشيوعي وامتد جهاد شيوخها ومريديها عبر مئات السنين وعلى امتداد الأراضي الواسعة من القوقاس في جبال الداغستان والشاشان غربا الى بخارى وقرغيزيا على حدود الصين شرقا.. واشتهرت بصورة خاصة مقاومة المريدين في القوقاس.

ولقد أدخل الشيخ منصور أشرمه هذه الطريقة الى القوقاس في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي). وكان هذا الشيخ هو أول من اقاوم الغزو الروسي على القوقاس. وقد قام مع مريديه بافناء فرقة روسية كاملة على نهر سوبخا سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م) واستمر في الجهاد حتى أسر في ميدان القتال عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) حيث أودع السجن في قلعة شلو سليبرغ وهناك وافته المنية عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣ م).. ثم ظهر بعد ذلك الشيخ النقشبندي خاس محمد أفندي الباراغلاي وتولى الجهاد ضد الروس حتى استشهد. ثم تولى بعده الجهاد تلميذه الشيخ جمال الدين الكازيكومخي.. وكان الشيخ جمال الدين هذا استاذا ومرشداً للامامين العظيمين الملا الغازي محمد الكمراوي والشيخ محمد شامل الكمراوي اللذين قاما بثورة الداغستان الشهيرة مع تلميذهما الامير حمزة الخنزاجي والتي استمرت من سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) الى عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م).. وقد استشهد الملا الغازي محمد والأمير حمزة في ميدان القتال ثم أسر الشيخ محمد شامل عام ١٨٥٩ م.

ومع إطلالة القرن الرابع عشر الهجري قامت مرة أخرى ثورة المريدين من الطريقة النقشبندية وبعد معارك طاحنة مع القوات الروسية تم اخضاعها عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م).

أما في بلاد الشاشان فقد دخلت الطريقة النقشبندية أثناء إمامة الشيخ محمد شامل في الداغستان على يد أحد نوابه وهو الشيخ تاشو حجي وذلك سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) وقد اشتهر الشيخ تاشو حجي بأعماله البطولية الباهرة في مقاومة الغزو الروسي الكافر.

وفي آسيا الوسطى كان النقشبنديون «كما يقول لومرسييه وبنجينسن» هم المسئولون عن ثورة المسلمين ضد الروس في وادي فرغانة (مدينة انديجان) ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م). وكان زعيم هذه الثورة

الشيخ النقشبندي - المجاهد الايشان (وهو لقب بمعنى الشيخ) ما دالي.. وقد استشهد هذا الشيخ أيضاً.

وفي قرغيزيا قاد رجال الطريقة النقشبندية الجهاد ضد الغزاة البوذيين الاويروت وذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كما كان لهم دور بارز في الجهاد ضد الروس الغزاة اثناء الحكم القيصري ثم اثناء الحكم البلشفي.

وفي تركمنستان كان لشيوخ الطرق الصوفية المختلفة (الياساوية والكبراوية والنقشبندية) دور بارز في المعارك الطويلة التي دارت بين التركمان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) والتي انتهت باستيلاء الروس على تركمنستان عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢ م) ويقول بينجسن ولومر سييه «إن معظم قادة الثورة البسمشتية كانوا من المريدين الصوفيين الذين جاهدوا بقوة السلاح الجيش الأحمر من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٨. وقد اشتهر من هؤلاء الشيوخ إسلام قرباشي وملادهقان وكورشيرمات ومادامين ودجانييك».

وعندما احتلت القوات الروسية القوقاس عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) بعد هزيمة الشيخ محمد شامل الكمراوي أقامت هذه القوات المذابح والمشانق لمشايخ الطريقة النقشبندية ومريديها. واستطاع بعضهم الفرار الى الدولة العثمانية. ورغم هذه المذابح فقد بقيت هذه الطريقة تجاهد في الشاشان تحت قيادة الشيخ تاشوحجي تلميذ الامام محمد شامل ثم بعد استشهاده تحت قيادة تلميذه الشيخ بشير الكوميكي الداغستاني.. وقد أسر الشيخ بشير ونفي الى سيبيريا حيث وافته المنية هناك ولكن سلالته المعروفة باسم سلاسة اكساي تولت بعده الطريقة النقشبندية في القوقاس الشمالي وواصلت الجهاد ضد الروس وخاصة في الشاشان. وقام خلف الشيخ بشير وهو الشيخ

اليخـــان كوميكـــا بمواصلـــة الجهـــاد ولكنـــه أسر ونفي أيضـــا إلى سيبيريا حيث توفي هناك.. ثم ظهر المرشد الثالث لسلالة أكساي وهو الشيخ دني أرسانوف وانتقم لشيخه اليخان فقتل الضابط الروسي الذي نفى الشيخ اليخان.. ثم كون فرقة لقتال الروس قامت بعده معارك ناجحة على نهر ترك.. واستشهد عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م).

وفي نفس العام اختار علماء الداغستان الشيخ نجم الدين غوتسو إماما للداغستان والشاشان وقاد هذا الإمام الرباني الصوفي المجاهد الثورة ضد الروس القياصرة والبلاشفة من عام ١٩١٧ الى ان أسر في ميدان القتال عام ١٩٢٥. واشتهر في الجهاد معه مجموعة من مشايخ الطريقة النقشبندية وهم أوزون حجي ومحمد البلوكاني ودرويش محمد الاندي وابراهيم حجي الكوتشري وسيد امين الانسلطاوي وسراج الدين حجي.. ولقد ذاعت بصورة خاصة بطولات أوزون حجي الذي كان شيخاً كبيراً والذي توفي اثناء الثورة عن عمر يناهز التسعين.. وقد استشهد معظم هؤلاء المشايخ في ميادين القتال، أما نجم الدين غوتسو وسيد أمين فقد أسرا في المعركة الاخيرة عام ١٩٢٥م وتم تنفيذ حكم الاعدام بهما.

وتبع ذلك قمع طويل قامت به السلطات الروسية البلشفية كما يقول بنجينسن ولومرسييه سالت فيه الدماء أنهاراً. وصفيت كل المحاكم الشرعية ونزع السلاح من الأهالي واوقف معظم علماء الدين ومشايخ الطرق الصوفية حتى اولئك الذين لم يشتركوا في ثورة نجم الدين غوتسو. وقامت السلطات باعتقال مرشد الطريقة القادرية علي ميتانين عام ١٩٢٤م وأعدم عام ١٩٢٧م، بعد محاكمة صورية.. واعتقل شيخ الطريقـة النقشبنـديـة في الشاشان عـام ١٩٢٨م وهو الشيـخ سالسا ياندراوف وأعدم عام ١٩٢٩، وفي نفس العام أعدم ايضا الشيخ

النقشبندي علي الأكوشي.

وقامت السلطات السوفيتية بما أسمته حركة التطهير الكبيرة عام ١٩٢٨م ضد علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية. وأحدث ذلك انتفاضة وثورة عظيمة كافح فيها مريدو الطريقتين النقشبندية والقادرية جنباً الى جنب.. وكان ممن استشهد في هذه المعارك الشيخ شيتا ايستامولوف والشيخ إرسانوكاي خيضر وهما من الطريقة النقشبندية.. اما في بلاد الاينغوش فقاد الانتفاضة الطريقة القادرية المعروفة باسم طريقة بطل حجي وقد قتل تسعة من ابناء مؤسس هذه الطريقة وتسعة من أحفاده وهم يحملون السلاح كما يقول بينجنسن ولومرسييه.

ولم تتمكن السلطات السوفيتية من قمع هذه الثورة الا في عام ١٩٣٦ لكنها عاودت انطلاقتها عام ١٩٤٠ مما أدى الى المذابح الرهيبة في الشاشان والى نفي هذه الشعوب بأكملها الى مجاهل سيبيريا.

وقد استطاع عدد من المريدين القادريين الذين اشتركوا في الثورة أن يعتصموا بالجبال العالية حتى عام ١٩٤٧ عندما استطاعت السلطات السوفيتية القبض على الشيخ قريش بلهورييف آخر فرع من سلالة بطل حجي بلهورييف ونفي الشيخ قريش الى سيبيريا.

وفي اثناء السبي لشعوب الشاشان واينغوش في مجاهل سيبيريا قام رجال الطرق الصوفية وخاصة طريقة عويس حجي التي أسسها رجل من الشاشان يدعى عويس حجي زاغييف، بجهود جبارة لابقاء جذوة الحماسة الدينية والمحبة بين الافراد الذين يواجهون الموت في مجاهل سيبيريا... ويقول بينجنسن ولومرسييه «لقد أعطى السبي الى مجاهل سيبيريا نتيجة لم تكن في الحسبان لقد أدى ذلك الى وثبة جديدة للحركات الصوفية. ذلك لأن الطرق الصوفية كانت الرمز الوحيد للأمة

في معسكرات سيبيريا ومنفى السهوب الكازاخية. وكانت دافعا أساسيا لحب البقاء عند جميع المسبين ويعترف بهذه الحقيقة كل الاختصاصيين السوفييت. ويقول احدهم وهو د.كليموفيتش «اثناء الحرب (العالمية الثانية) وبسبب الظروف السائدة بعدها أحيي رؤساء جماعات المريدين الاعتقادات الدينية. ومما يوضح سبب هذا البعث الديني تعاسات الحرب وعبادة الشخصية (التي تفرضها الأنظمة الشيوعية) والخرق الشرس لسياسة لينين حول القومية في حالة التشتشين والانغوش».

ولقد تكونت طريقة عويس حجي القادرية عام ١٩٥٥م في اثناء العيش في مجاهل سيبيريا وكانت عاملا مهماً في إذكاء الروح الدينية والمحافظة على العقيدة الاسلامية وروح الإخاء والمحبة بين الشعوب المسبية في فيافي سيبيريا. وقد عرفت هذه الطريقة في الأدب السوفيتي باسم «أخوية القلنسوات البيض» لأن رجال هذه الطريقة يلبسون قلنسوات بيضاء من الفراء اثناء الذكر الجماعي.

ولم يكن تأثير هذه الطريقة مقصوراً على شعوب الشاشان اينغوش ولكن أثرها امتد الى شعوب كازاخستان وقيرغيزيا الشمالية.

وعندما عادت شعوب الشاشان واينغوش الى وطنها وجدوا كل مساجدهم وجوامعهم مهدمة كما يقول بينجنسن ولومرسييه «ولقد ظلت جمهورية الشاشان اينغوش حتى عام ١٩٧٨م الاقليم المسلم الوحيد في الاتحاد السوفيتي الذي أجريت فيه التجربة الجذرية القاضية بمحق الدين الاسلامي من خلال هدم وحل كل مؤسسات العبادة». ولكن هذه الاجراءات العنيفة ضد الاسلام فشلت فشلاً ذريعاً بفضل الله أولاً ثم بفضل جهود الطرق الصوفية.

(١) **الطريقة القادرية**: تنسب هذه الطريقة الى الامام الرباني المجاهد الشيخ عبدالقادر الجيلاني الحسني المتوفي سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م).

وانتشرت هذه الطريقة في مختلف أرجاء العالم الاسلامي وفي البلاد العربية وشمال افريقيا وتركيا والهند وفي الاتحاد السوفيتي.

وتتركز الطريقة القادرية في عدة مناطق في القوقاس وآسيا الوسطى.. وتختلف الطريقة القادرية عن الطريقة النقشبندية بأن القادرية يعتمدون الذكر العلني بينما يعتمد النقشبنديون الذكر القلبي الخفي مما جعل الروس يطلقون عليهم اسم «شيبتوني» اي المتمتمين بينما يطلق الروس على الطريقة القادرية اسم «ذيكريستي» أي اصحاب الذكر (العلني).

وقد ظهر أول مرشد قادري في القوقاس حوالي سنة ١٨٥٠م ويدعى كونتاحجي الذي ذهب الى بغداد لأخذ الطريقة القادرية من شيوخها هناك. وانتشرت طريقة كونتاحجي في الشاشان حيث لاقت نجاحاً كبيراً هناك.. «وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي قام القادريون بنشر الاسلام بين الاينغوش الذين كانوا لا يزالون وثنيين». كما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي. وسرعان ما انضم مريدو الطريقة القادرية الى مريدي الطريقة النقشبندية في مواجهة الكفار الروس واشتركوا معهم في معاركهم الجهادية. وقامت السلطات الروسية باعتقال كونتاحجي عام ١٨٦٤ وتوفي في السجن عام ١٨٦٧م وعاملت السلطات الروسية مريديه بكل شدة وعنف.

ويقول المؤلفان الفرنسيان لكتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» ما يلي: «اشتركت الطريقتان النقشبندية والقادرية في الثورة الكبرى في الداغستان والشاشان خلال عامي ١٨٧٧ و١٨٧٨م.. وواجه هؤلاء المريدون أشد أنواع البطش القيصري وسبي آلاف المريدين.. وشيوخ الطريقة الذين لم يقتلوا في ميادين القتال شنقوا في الميادين

العامة. والغريب في الأمر أن محنة ١٨٧٨م بدلاً من أن تشكل بداية انحطاط الطرق الصوفية في القوقاس شكلت نقطة إنطلاق لبعثها ومدّ نفوذها». حتى يقول كاتب تشتشيني معاصر «لقد كان جميع أفراد الشعب البالغين تقريبا في الشاشان - اينغوشيا ينتمون الى احدى الطريقتين القادرية والنقشبندية خلال الفترة الطويلة الممتدة من عام ١٨٧٧ الى عام ١٩١٧م».

ولقد استقطبت الطريقة القادرية الطبقات الشعبية بينما استقطبت الطريقة النقشبندية أغلب علماء الدين والمثقفين وبينما كانت الطريقة النقشبندية أكثر استعداداً للصراع المكشوف ضد الروس كانت الطريقة القادرية أميل للصراع السري.. واشتركت كلا الطريقتين في الصراع الدموي الرهيب ضد الروس الكفار في جميع العهود القيصرية والبلشفية على حد سواء الذي استمر حتى عام ١٩٤٧م. وتشعبت الطريقة القادرية بعد موت كونتاحجي الى أربعة فروع (ورد) وهي: (١) الورد النظامي - الذي ظل يحمل اسم كونتاحجي وانتشر هؤلاء في الشاشان اينغوشا والداغستان. (٢) طريقة بطل حجي بلهورييف ومركزها في بلاد الاينغوش ثم انتشرت في الشاشان والداغستان.. وهي تطبق حرفيا احكام الجهاد ومثله العليا ولذا قتل معظم قادتها في المعارك أو نفذت فيهم السلطات القيصرية ثم البلشفية أحكام الاعدام.. وهم شديدو التمسك بالشريعة وآدابها وبروح الجهاد ويتحاشون الاختلاط بغير المؤمنين. (٣) طريقة بامات حجي ميتانيف ومركزها ايضا بلاد الاينغوش. (٤) طريقة تشيم ميرزا وتتركز في مقاطعة شامي من بلاد الشاشان.

تنفيذ

مركز الصف الالكتروني

براج وخطيب

تصميم - اخراج - طباعة

بيروت ص.ب ٤١٥٤ - ١١

تلفون ٨٠٤٦٠٧-٨٠٤٧٠٦



للنشر والتوزيع والطباعة
تليفون: الادارة: ٦٣١٠٠٣٢ (٠٢) المكتبة: ٦٤٣٦٦١٠ (٠٢)
برقياً: مشكاتنا - تلكس SHORCO SJ ٤٠١٢٠٩
ص.ب. ٤١٤٦ - جدة - المملكة العربية السعودية

Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No: 7
Daire: 4 Zeytinburnu - İST.

الدكتور محمد علي البار

المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ

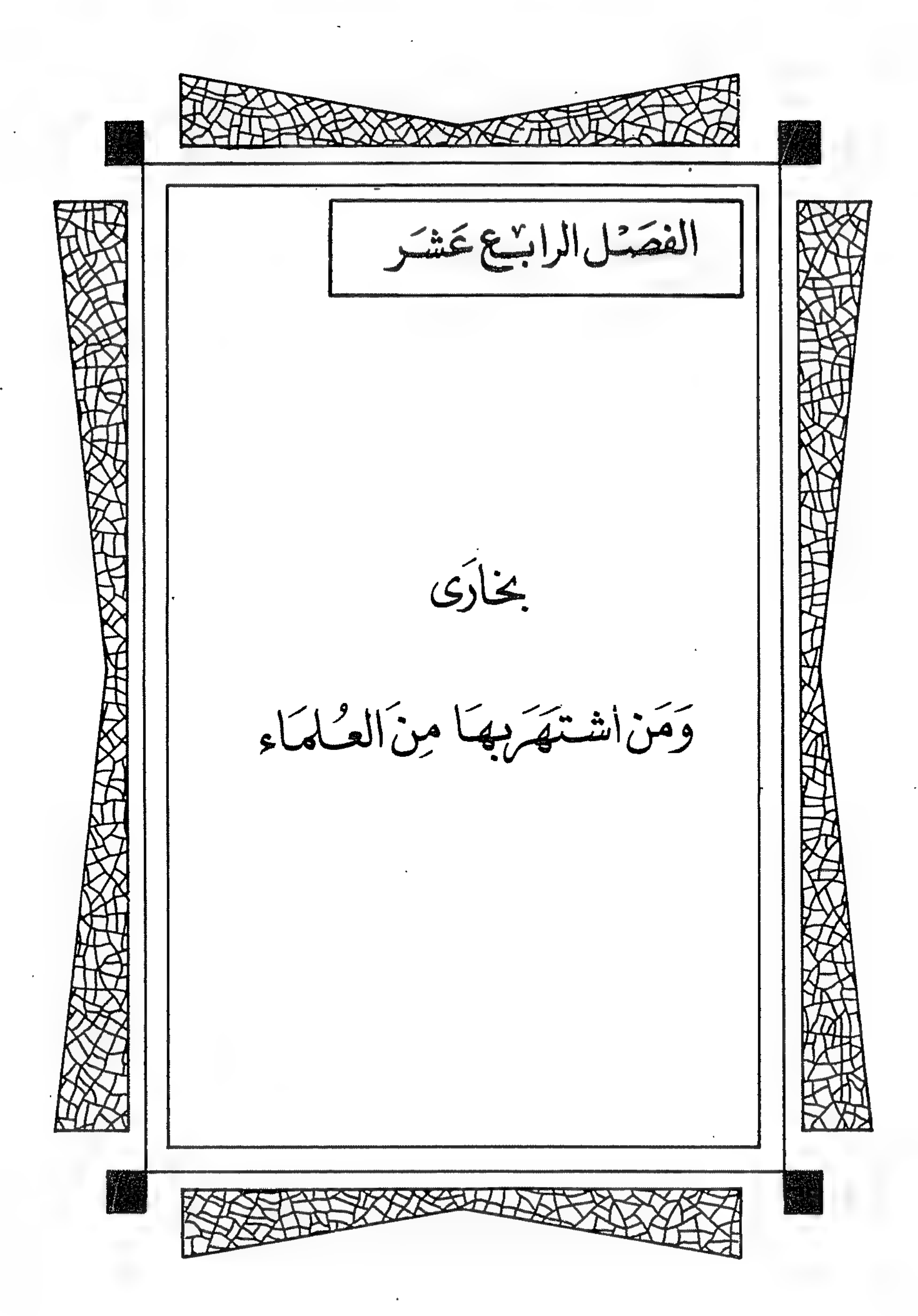
الجزء الثاني





القِسْمُ الثَّانِي

مَناطِق
وَمُدُن التركستان التاريخيّة
وَمَن ظَهَرَ بهَا مِنَ العُلماء



الفصل الرابع عشر

بخارى

ومن اشتهر بها من العلماء

دخل الإسلام الى بلاد ما وراء النهر منذ اواخر عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وتوالى انتشاره في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ثم توقف أيام الفتن، ليعود انتشاره على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، الذي فتح بلاد ما وراء النهر، عام ٨٦ هـ.

ومنذ ذلك العهد عمل الدعاة الى الله على ادخال اهل هذه البلاد الى الاسلام، فدخلوا في دين الله افواجاً، وظهر منهم افذاذ الرجال في تاريخ الاسلام.

وأننا لا نبالغ[1] اذا قلنا أن أغلب علماء الاسلام، وفقهائه، ومحدثيه، وفلاسفته، وأطبائه كانوا من الاعاجم، الذين دخلوا في دين الله افواجا، وكان أغلب هؤلاء من ثلاثة مناطق هي:

(١) فارس (٢) خراسان (٣) بلاد ما وراء النهر. فأما فارس فهي إيران - اليوم - وأما (خراسان) فهي مقسمة - اليوم - بين إيران وافغانستان والاتحاد السوفيتي، وأما (بلاد ما وراء النهر) فجميعها تقع في الاتحاد السوفيتي فيما يسمى تركستان الغربية (وهي جمهوريات اوزبكستان، وكازاكستان، وتركمنستان، وقيرغيزيا، وطادجكستان، وتركستان الشرقية المسماة (سينكيانغ) الواقعة تحت الاستعمار الصيني وسنتحدث عن الفحول من العلماء الذين ظهروا في المناطق الواقعة تحت الاستعمار السوفيتي وهي مناطق تركستان الغربية، بما تشمله من بعض مناطق (خراسان) الواقعة تحت الحكم الروسي وسنقصر الحديث عن علماء (خراسان) على أولئك الذين تقع بلادهم في الاتحاد السوفيتي لأننا

---

(١) قال النووي في التهذيب، وخراسان العظيم المعروف موطن الكثير او الأكثر من علماء المسلمين رضي الله عنهم.

لو أدخلنا فيهم من ظهر من (خراسان) الواقعة في ايران وافغانستان - اليوم - لما كفت المجلدات، ولكان ذلك خروجاً عن موضوعنا الاساسي، وهو المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي. وسيكون حديثنا في هذا الفصل وما يليه عن بخارى ونبذة عن تاريخها ومن ظهر بها واشتهر من العلماء والافذاذ.

يقول ياقوت[١] (بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر اليها من آمل الشط وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه.. وكانت قاعدة ملك السامانية.. ولا شك انها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه جيدتها، عهدي بفواكهها تحمل الى مرو وبينهما اثنتا عشر مرحلة، والى خوارزم وبينهما أكثر من خمسة عشر يوماً، وبينها وبين سمرقند سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخاً، بينهما بلاد الصغد) (وقال صاحب كتاب الصور: وأما نزهة بلاد ما وراء النهر فإني لم أر ولا بلغني في الإسلام بلداً أحسن خارجاً من بخارى لأنك اذا علوت فهندزها (قلعتها) لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء فكأن السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما بينها كالنواوير فيها.. وأراضي ضياعهم منعوتة بالاستدارة كالمرآة. وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة اهلها احسن قياماً بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عدداً على قدرها في المساحة، وذلك مخصوص بهذه البلدة لأن متنزهات الدنيا صغد سمرقند ونهر الأبلة) ويبدو أن هناك مبالغة في هذا الوصف لأن بخارى رغم اشتهارها كمدينة عظيمة ومركز للعلم والتجارة إلا أنها لم تكن نزهة مثل سمرقند ولا في نظافتها، ومع هذا فقد كانت بخارى كما يقول الثعالبي: مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع افراد الزمان ومطلع

---

(١) ياقوت الحموي في معجم البلدان.

نجوم ادباء الأرض وموسم فضلاء الدهر.

«واسم بخارى القديم بومجكث وبناؤها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقرى المتصلة سور طوله اثنا عشر فرسخاً (٣٦ ميلا) في مثلها يجمع هذه القصور والابنية والقرى والقصبة فلا ترى في خلال ذلك قفاراً ولا خراباً.. ومن دون هذا السور سور آخر خاص بالقصبة (أي العاصمة) وما يتصل بها من القصور والمساكن والمحال والبساتين التي تعد من القصبة.. ويسكنها أهل القصبة صيفاً وشتاء.. وطول هذا السور الداخلي نحو فرسخ في مثله.. ولها شهرستان (أي مدينة) وقهندز (أي قلعة) وبالقلعة مسكن آل سامان وقصورهم، ولها ربض (أي ضاحية) والمسجد الجامع على باب القهندز.

«وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة اشد اشتباكاً من بخارى (أي شديدة الزحام لكثرة سكانها) ولا أكثر أهلا على قدرها، ولهم في الربض (أي الضاحية) نهر الصغد يشق الربض وهو آخر نهر الصغد فيفضي الى طواحين وضياع ومزارع ويسقط الفاضل منه في مجمع ماء بحذاء بيكند الى قرب فربر».. وهي البحيرة المعروفة حالياً باسم قراكول أي البحيرة السوداء..

ويقول بارتولد في كتابه التركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي (بتصرف واختصار) «شغلت بخارى على الدوام موقعها الحالي بل ويمكن القول بأن خطط المدينة لم تتغير كثيراً خلال الف عام على الرغم مما تعرضت له مرات عديدة من نهب وتخريب على أيدي الغزاة من الرحل وعلى ايدي المغول في زحفهم الرهيب على العالم الاسلامي.

وكانت قد بلغت ذروة مجدها في عهد السامانيين الذين جعلوها قاعدة ملكهم. وهي تنقسم كبقية المدن القديمة الى قلعة (قهندز)

وشهرستان (المدينة) وربض (أي ضواحي) وكان الشهرستان يقع على مقربة من القلعة وكلاهما على نشز من الأرض حتى يصعب رفع الماء اليهما..

وللقلعة بابان شرقي وغربي وكان يقطع القلعة شارع يصل بين البابين.. وكان بداخل القلعة الخارجية قصر الحاكم من آل سامان. وقد بنيت القلعة والقصر لأول مرة في القرن السابع الميلادي ثم اعيد بناؤها عدة مرات على مدار التاريخ فقد أعاد بناءها أرسلان خان في القرن الثاني عشر الميلادي ثم هدمها خوارزمشاه اتسز ثم بناها البتكين.. ثم خربها جنكيز خان سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م). وكان شهرستان بخارى على نقيض شهرستان سمرقند وبلخ ومرو ذا سبعة أبواب وكل باب يؤدي الى حي أو محلة فهناك باب السوق (أو باب العطارين) وباب بني سعد وباب بني اسد وواضح من أسماء الأبواب بني أسد وبني سعد انها للقبائل العربية التي سكنت هذه المواضع من المدينة.

وأما الماء فقد كان يجلب الى بخارى من نهر الصغد بواسطة قناة كانت تحمل اسم رودزر أي النهر الذهبي.. الذي كان يشق البلد ويتخلل الاسواق ويتشعب في الشوارع.. ولهم حياض في البلد واسعة مكشوفة قد اتخذ على حافتها بيوت من الالواح بابواب يغتسل فيها.. وربما غلب ماء النهر المنقلب الى بيكند فغرق الضياع في الصيف.[(١)] ويقول بارتولد ومن ألفاظ المقدسي يبدو جلياً أن القناة الرئيسية كانت تدخل المدينة قرب باب قرشي الحالي أي من نفس الموضع بالتقريب الذي تدخل منه حالياً....

وهناك عدة قنوات تتفرع من القناة الرئيسية داخل المدينة ذكرها

---

(١) المقدسي كما ينقله عنه بارتولد في كتابه (التركستان).

الاصطخري ونقلها عنه بارتولد وعد منها اثني عشر قناة. وقد اسكن قتيبة بن مسلم عند فتح بخارى العرب بين أظهرهم حتى يعلّموا الاهالي الإسلام. وجعل المنطقة الممتدة من باب السوق الى باب الحديد لمضر وربيعة. وجعل باقي المناطق للقبائل اليمنية.. وكان الشارع المؤدي الى القصر يعرف بأسم ايوب بن حسان أول أمير عربي لبخارى وهو أحد قواد قتيبة بن مسلم الباهلي.. وكانت ببخارى العديد من القصور الفخمة والمساجد الرائعة وعدد كبير من الزوايا والصوامع التي كان يلجأ اليها الزهاد والعباد كما كان فيها الكثير الكثير من المدارس والاربطة لطلبة العلم.. وكان أول مسجد ببخارى هو المسجد الجامع الذي شيده قتيبة بن مسلم عام ٩٤ هـ (٧١٣ م) بالقلعة وذلك في الموضع الذي كان يقوم فيه بيت الاصنام.. أما صلاة العيد فكانت في موضع آخر شمالي الريكستان.. ثم توالى بناء المساجد وكان من أجملها وأوسعها المسجد الذي بناه الفضل بن يحي البرمكي عندما كان والياً على بلاد ما وراء النهر وخراسان في عهد المهدي والرشيد.. وقد تم توسيع هذا المسجد على يد اسماعيل الساماني سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٢ م) واعاد بناءه بعد أن انهار جزء منه سنة ٣٠٦ هـ الوزير ابو عبد الله الجيهاني من ماله الخاص.. وبجوار هذا المسجد كان يقوم مصنع النسيج الرئيسي بالمدينة.. واحترق مسجد السامانيين الجامع سنة ٤٦٠ ولكن أعيد بناؤه في العام التالي.. وأقام ارسلان خان محمد مسجداً جامعاً جديداً بالشهرستان وذلك سنة ٥١٥ هـ - (١١٢١ م) الذي كان آية في الجمال.. وظلت منارته قائمة على بنائها القديم حتى عشية الهجوم الروسي الشيوعي عندما اصابها الضرر من نيران الجيش الأحمر وذلك في سبتمبر سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م).

وقد اشتهرت بخارى بسعة شوارعها التي كانت مرصوفة بالحجارة.. ورغم ذلك فقد كانت بخارى شديدة الزحام بسبب كثافة سكانها.. وكان

تلاصق البيوت مما يساعد على حدوث الحرائق الكبيرة فقد وصف النرشخي في تاريخ بخارى حريقين هائلين حدثا في عهد نصر الساماني ويقسم الاصطخري المناطق المحيطة ببخارى والتابعة لها الى اثنين وعشرين رستاقاً، منها خمسة عشر داخل السور الطويل الذي يحمي النواحي القريبة من المدينة والباقي خارجه. ويبلغ طول هذا السور أثنا عشر فرسخا وعرضه كذلك.. وكانت صيانة السور تحتاج الى أموال طائلة وتمثل عبئاً ثقيلاً على السكان فلما أمن الناس في عهد اسماعيل الساماني اهملت صيانة السور وبدأ في التهدم ولا تزال بقايا هذا السور مائلة الى اليوم على هيئة حاجز يعرفه الاهالي باسم كمبير دوال.(١)

وعلى بعد خمسة فراسخ من بخارى كانت تقوم مدينة بيكند التي اشتهرت كمركز تجاري كبير وبيكند اقدم من بخارى وكانت تسمى مدينة التجار وكان تجارها يذهبون الى الصين قبل الاسلام وبعده كما كانوا يذهبون الى ما وراء بحر قزوين..

وكان لكل قرية من قرى بخارى رباط عند باب بيكند حتى بلغ عددها نحو الف رباط وكان ينزل بهذه الاربطة وحدات من الجند لدفع غارات الاعداء.. ولكن لم تعد لها حاجة بعد استتباب الأمن في عهود السامانيين في القرن الثالث الهجري...

ويحيط بيكند سور حصين.. وكعادة المدن القديمة فإن تلك المنطقة بها قلعة وشهرستان (أي المدينة) وربض أي الضاحية.. واشتهر المسجد الجامع في بيكند بمحرابه المذهب المرصع بالاحجار الكريمة. وقريباً من بيكند كانت تجري قناة تصب في بحيرة سامجن المعروفة حالياً باسم قراكول أي البحيرة السوداء التي يكثر فيها السمك كما تكثر الطيور

---

(١) أنظر كتاب التركستان لبارتولد..

حولها، ويأخذ الاهالي ما يحتاجونه من المياه من هذه القناة التي تصل الى المدينة.

وتدهورت بيكند الى حد كبير بعد سقوط السامانيين وحاول ارسلان خان إحياءها ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح.

ويذكر المؤرخون عدداً كبيراً من القرى والمدن التابعة لبخارى والتي كان فيها مسجد جامع أهمها دون ريب بيكند تليها مدينة طواويس وهي مدينة بومجكث وانما اسماها العرب طواويس لأنهم شاهدوا بها الطواويس كثيرة في كل شارع.. ومنها مدينة زنده التي اشتهرت منتوجاتها الفاخرة بأسم زنداني والتي كانت تباع في بغداد ودمشق لجودتها.

فتح بخارى: فتحت بخارى لأول مرة على عهد معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٤ هـ[١] (٦٧٤ م) فتحها عبيدالله بن زياد واليه على خراسان وكان عبيد الله آنذاك شاباً في الخامسة والعشرين فجهز جيشاً من مرو وسار على رأسه حتى أتى بيكند ففتحها عنوة ثم سار الى بخارى فقاتل ملكتهم المسماه الخاتون فلما رأت الهزيمة طلبت الصلح فصالحها عبيد الله على الف الف درهم وأخذ معه الفين من سبي بخارى كلهم جيد الرمي فأحسن اليهم واسلموا فكانوا من جيشه.. ثم استعمل معاوية على خراسان سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦ هـ (٦٧٥ م) فقطع سعيد النهر فلما بلغ الخاتون عبوره حملت اليه الصلح. وأقبل أهل الصغد والترك وأهل كشى وأهل نسف في جيش لجب مقداره مائة وعشرون الفاً... فالتقوا ببخارى وندمت الخاتون على وفائها بالصلح فقامت بنقض العهد.. فلما انتصر المسلمون اعادت الخاتون الصلح ودخل سعيد بن عثمان مدينة بخارى ثم غزا سمرقند التي استشهد في معركتها قثم العباسي

(١) ذكر النرشخي في تاريخ بخارى أن ذلك كان في أواخر سنة ٥٣ واول ٥٤.

رضي الله عنه.

وكانت فتوحات المسلمين آنذاك غير ثابتة ويقبلون الجزية من أهل تلك البلاد، يعودون الى قاعدتهم في مرو عاصمة خراسان.. ولهذا نجد أن أهل تلك البلاد ينقضون العهد كلما وجدوا لذلك فرصة.. فلما جاء قتيبة بن مسلم ٨٦ هـ (٧٠٥ م) اخضعها واسكن العرب فيها حتى لا تعود للانتقاض وحتى ينتشر الاسلام وبنى مسجدها الجامع. وكذلك فعل في سمرقند وبقية مدن وقرى بلاد ما وراء النهر التي فتحت في عهده.

ومنذ ذلك العهد أصبحت بخارى قلعة من قلاع الاسلام وحصناً من حصونه المنيعة وأنجبت بخارى وقراها من لا يحصى كثرة من العلماء والنابغين نذكر منهم الإمام محمد بن اسماعيل البخاري والفيلسوف الطبيب الموسوعي ابن سينا الذين سنترجم لهما بشيء من التفصيل بعد قليل.. ومنهم ابو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر التميمي البخاري الحافظ سمع بما وراء النهر والعراق والشام ومصر وافريقية والاندلس ثم سكن مصر ونشر بها علم الحديث وكان يقول لي في بخارى اربعة عشر الف جزء اريد ان أمضي واجيء بها (أي مكتبته التي تركها في بخارى) ومات ابو زكريا عبد الرحيم هذا بالحوراء سنة ٤٦١ هـ وولد سنة ٣٨٢ م....

وقد ذكر المستشرق (فامبري) في كتابه (تاريخ بخارى) أن عدد المدارس الجامعة ببخارى في عهد (اسماعيل الساماني) يزيد على نظائره، في كل مدن آسيا، حتى لنرى بلخ (في افغانستان اليوم) وهي التي تعرف بقبة الاسلام - لم تستطع ان تبرز لتنافسها الا بعد ذلك بكثير (في ايام الغزنويين من آل سبكتكين الذين كانت عاصمة ملكهم غزنة في افغانستان).واخذت هذه المدينة (أي بخارى) التي تقوم على شاطىء (نهر) زرفشان (واسمه القديم نهر الصغد) والتي غدت

عاصمة نصف آسيا الاسلامية، تزدهر، ويعلو قدرها، يوماً عن يوم، بوصفها قصبة المال والعلم ومركز انتاج الحرير الذائع الصيت كذلك. وكان الامراء السامانيون الذين جعلوا (بخارى) عاصمة ملكهم، الذي امتد فشمل معظم بلاد ما وراء النهر (أي جيحون) كما شمل أجزاء واسعة من افغانستان وخراسان، يبذلون جهدهم لجعل بخارى مثابة العلوم كلها ».

وقصة ظهورهم تستحق التنويه، فقد كان أحد أعيان بلخ (في أفغانستان) ويدعى سامان وهو لا يزال على دينه المجوسي الزرادشتي ينعم في ظل الحكم الاسلامي، فاستعان بأمير خراسان المشهور باسم ناصر المظلومين أسد بن عبد الله، ليرده الى بلده، التي أخرجه منها أمير تلك المنطقة المسلم، فقام ناصر المظلومين بمحاربة ذلك الظالم، وأعاد المجوسي (سامان) الى أرضه التي كان يدفع خراجها بانتظام، فاعجب سامان بهذه الاخلاق العالية والعدالة، والانصاف، فدخل في الاسلام. وكان سامان من نسل الملوك الساسانيين، الذين حكموا الامبراطورية الفارسية دهراً، فأكرمه الأمير أسد بن عبد الله، فلما رزق بولد أسماه أسداً، تيمناً باسم الامير العادل ناصر المظلومين أسد بن عبد الله، وولد لأسد بن سامان أربعة أبناء، ولاهم (المأمون) أمر بلاد ما وراء النهر، فجعل امارة سمرقند لنوح بن أسد الساماني، وجعل فرغانة لأخيه أحمد وولي يحي طشقند (اقليم الشاش) وجعل هراة (وهي في أفغانستان اليوم) تابعة لالياس بن أسد الساماني. واستمرت هذه البلاد - جميعاً - تحت حكم آل سامان مائة وسبعين عاماً، يوليهم فيها الخلفاء من بني العباس، ويظهرون هم الخضوع للخليفة، وان كانوا في واقع الأمر هم الحكام الفعليون لها، وليس للخليفة منهم الاسكة العملة، والدعاء على المنابر يوم الجمعة، وامداد الخليفة بالجيوش لاقماع الثورات، وفي عهد اسماعيل بن أحمد الساماني قام أمير خراسان، عمرو بن الليث بمهاجمة بلاد

ما وراء النهر، قاصداً (بخارى) فهزم شر هزيمة، وقام الخليفة بعد ذلك - بضم خراسان الى اسماعيل، فتوسعت بذلك رقعة الأرض التي يحكمها ال سامان، فشملت جميع بلاد ما وراء النهر جيحون (تركستان الشرقية والغربية) كما شملت خراسان (جزء منها في الاتحاد السوفيتي وجزء في افغانستان والباقي في ايران) وشملت أجزاء واسعة من أفغانستان).

واشتهر آل سامان بكرمهم، ونبل اخلاقهم، وعدلهم وشجاعتهم، وتمسكهم بأهداب الدين واجلالهم للعلماء، وتوقيرهم لهم، وتشجيعهم للعلم، وكانت عاصمتهم (بخارى) مثابة العلوم كلها، كما يقول عنها (فامبري) حتى أن عدد المدارس العلمية في (بخارى) فاق جميع مثيلاتها من عواصم آسيا الاسلامية.

واهتم آل سامان كذلك بالزراعة اهتماماً عظيماً فأقاموا السدود ونظموا قنوات الري حتى أصبحت مزارع بخارى وما حولها تنتج العديد من الفواكه، كما تنتج القطن والحرير. وازدادت أهمية (بخارى) التجارية في عهدهم، وكثرت بها الصناعات والمنسوجات القطنية والحريرية. **وكانت بخارى الشريفة التقية كما كانت تعرف - آنذاك ملاذ العلماء والفضلاء والعباد، والزهاد كما كانت مركز التجارة والصناعة والزراعة.**

فأين هي بخارى في هذا العهد، الذي ترزح فيه تحت أقدام الشيوعيين البلاشفة الذين حطموا المساجد، وهدموا المعابد، ونكلوا بالعلماء، وأقفلوا المدارس الاسلامية، وأبادوا كل أثر للثقافة الاسلامية، وألغوا الحرف العربي، ومنعوا اقامة الشعائر وفرضوا عليهم تربية الخنازير..

فيا لها من مأساة مهولة مروعة، تهون بجانبها فظائع جنكيزخان

واولاده اذ أن فظائع جنكيز كانت عابرة، وما لبث أحفاده أن دخلوا في الاسلام، وكانوا له قوة، اما هؤلاء الروس المستعمرون فها هم يبيدون كل اثر له، في حرب استمرت قروناً، وازدادت اشتعالا، منذ دخول البلاشفة (بخارى) عام ١٩٢٢م - الى يومنا هذا.

وعلى الرغم من الدمار الهائل الذي حل ببخارى وسمرقند وغيرها من بلاد ما وراء النهر والبلاد الاسلامية التي نكبت بالمغول الا أن هؤلاء المغول الأجلاف كانوا اكثر تسامحاً بازاء الدين الاسلامي، من الشيوعيين الروس البلاشقة، بدون أدنى مبالغة.

يقول المستشرق المجري (فامبري) في كتابه (تاريخ بخارى) ان خرائب (بخارى) سرعان ما حل محلها منشآت جديدة بل لم يأت عام ٦٣٢هـ (١٢٣٤م) ولما يمض خمسة عشر عاماً على تخريب المكان بواسطة جنكيزخان - حتى كانت المدرستان اللتان أقامهما مسعود بك وسرقوني بك تزدحمان بألوف الطلبة يدرسون فيها مختلف صنوف المعرفة.

ولم يلبث أمراء المغول من أبناء جنكيز خان وأحفاده، أن اعتنقوا هم الاسلام، وصاروا من أكبر المدافعين عنه، والمتحمسين لنشره، يقول المؤرخ المستشرق (فامبري) في كتابه القيم (تاريخ بخارى).

«وبعد أن دخل الجغتائيون (وهم أولاد جغتاي بن جنكيز خان) المتأخرون في الاسلام، تجد كتب الحديث تروج أيام (علاء الدين) ترماشيرين (طرمشيرين) المغولي كما نجد هؤلاء الامراء باعتناقهم الاسلام عن قرب، تدفعهم غيرتهم الدينية الى رعاية هذه الحركة الروحية لا يألون جهداً في ذلك ولقد رأينا كيف يتقبل أحفاد الفاتح المغولي (جنكيز خان) بكل خضوع زجر الشيوخ المحافظين لهم وتعنيفهم أياهم، بمسجد عام في مواجهة رعاياهم، وهم من بعد ذلك - يتولاهم

الخجل، لما كان قد وقع منهم، ويستغفرون لذنوبهم على مشهد من الملأ جميعاً »..

ويتحدث المصدر السابق عن الدمار، الذي نشره المغول في بلاد ما وراء النهر ولكن في وسط هذا الدمار، الذي قام به المغول، لم يزدهر من العلوم الا العلوم الشرعية وفروعها، وفي أيام الجغتائيين الأول (ولم يكونوا مسلمين مثل أولادهم) وكان الشيوخ (والمقصود شيوخ العلم) في تركستان يستمتعون بقدر معلوم من الحماية، وذلك بفضل التسامح الديني من جهة والاعتقاد في هيبة رجال الدين، من كل طبقة من جهة أخرى، وكان بكل مدينة واحد أو أكثر من (العلماء) الأولياء ممن كان المسلمون يلوذون بهم - وقت الخطر. وبهذا صار رجال الدين حماة لمن يعيشون في دائرتهم، حتى لنرى ابتداء من ذلك الوقت صدر الشريعة، ورؤساء القضاة، بل كل من يشتهرون بالورع والتقوى يستمتعون في بلاد ما وراء النهر بما لم تعرف له البلاد الاسلامية نظيراً، ولا يزال هذا النفوذ يقوم هناك حتى اليوم (أي تاريخ تأليف كتابه وهو عام ١٨٧٢م).

وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته الشهيرة انه اقام في بخارى عند الامير علاء الدين طرمشيرين حفيد جنكيزخان، مدة شهرين رأى فيها من عجائب تقوى هذا الامير، وكرمه وحبه للعلماء ما سجله له التاريخ.

سلطان ما وراء النهر: وننقل لك بعض ما قاله (ابن بطوطة) تحت عنوان (سلطان ما وراء النهر). «وهو السلطان المعظم علاء الدين طرمشيرين، وهو عظيم المقدار، كثير الجيوش والعساكر ضخم المملكة، شديد القوة، عادل الحكم.

«ومن فضائل هذا الملك انه حضرت صلاة العصر يوماً، ولم يحضر السلطان (وكان السلطان حريصاً على صلاة الجماعة في المسجد حتى في

شدة الشتاء القارس) فجاء أحد فتيانه بسجادة ووضعوها قبالة المحراب، حيث جرت عادته أن يصلي، وقال للإمام حسام الدين الياغي (إمام المسجد وأحد العلماء الزهاد العباد من الصوفية) أن مولانا يريد أن تنتظره بالصلاة قليلا، ريثما يتوضأ، فقال الإمام الصلاة لله أو لطرمشيرين؟! ثم أمر المؤذن بإقامة الصلاة، وجاء السلطان وقد صلّى منها ركعتان فصلى السلطان الركعتين الاخريين، حيث انتهى به القيام وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنعلة الناس، عند باب المسجد وقضى ما فاته، وقام الى الإمام ليصافحه، وهو يضحك، وجلس قبالة المحراب، والشيخ الامام الى جانب، وأنا الى جانب الإمام، فقال لي الإمام: اذا مشيت الى بلادك، فحدث أن فقيراً من فقراء الاعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك).

«وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة، ويأمر السلطان بالمعروف، وينهاه عن المنكر وعن الظلم، ويغلظ عليه القول، والسلطان ينصت لكلامه ويبكي.. وكان الشيخ لا يقبل من عطاء السلطان شيئاً، ولم يأكل قط من طعامه، ولا لبس من ثيابه) وقد كان من اخلاص هذا السلطان للإسلام أن ألغي قانون جنكيزخان المشهور باسم (اليساق) وتكتب أحياناً (اليصا) وقد ذكرها بالتفصيل الجويني في كتابه (جهانكشا) وكان من نتيجة الغاء هذا الدستور المغولي ان ثار عليه أفراد المغول، وان كان أكثرهم قد أسلم، وقاموا بعزله، وتولية بوزون. أغلى، الذي كان مسلماً فاسد الدين، سيء السيرة كما يصفه ابن بطوطة.

وهكذا ترى - أيها القارىء الكريم - أن الدمار الذي نشره جنكيزخان وهولاكو كان فعلاً اقل من الدمار الذي نشره الشيوعيون الروس في بلاد ما وراء النهر...

فقد كان خراب جنكيزخان على وحشيته وفظاعته وهوله عابراً، لم تلبث بعده مدن بخارى وسمرقند وفرغانة وخوارزم أن استعادت مكانتها الى حد ما.

بل لقد استطاعت بلاد ما وراء النهر أن تحول هؤلاء البرابرة الجفاة الغلاظ الى الاسلام تماماً مثلما فعلت (نيسابور) (ومرو) (وبغداد) (ودمشق) و (القاهرة).

ولقد تحول هؤلاء المغول فعلا الى الاسلام وظهر منهم من كان شديد التمسك بآداب الاسلام وأخلاقه، وعدله، وانصافه، مثل السلطان علاء الدين طرمشيرين، الذي تقدم ذكره، وانتشرت في عهودهم، بل في عهود آبائهم الكفرة المردة - المدارس الاسلامية، واتسعت واستعادت شيئاً كثيراً من مجدها الغابر.. فأين هؤلاء المغول البرابرة الهمج من هؤلاء الشيوعيين الروس، الذين أضافوا الى الإبادة الحسية الابادة المعنوية لسكان ما وراء النهر وغيرها من المناطق الاسلامية الواقعة تحت براثن استعمارهم؟

أين مساجد تركستان التي هدمت أو حولت الى نواد واسطبلات، وقد بلغ عددها ٦٦٨٢ مسجداً؟

أين مدارس التركستان الاسلامية التي أقفلت بعد دخول الروس البلاشفة والبالغ عددها ٧٠٥٢ مدرسة؟

أين علماء الاسلام الذين ذبحهم الروس أو زجوا بهم في غياهب السجون، أو قضوا عليهم في مجاهل سيبيريا، أو قضوا نحبهم وهم يشقون الطرقات في الجبال الوعرة في تركستان الشرقية والغربية؟

نعم، إن ما فعله الشيوعيون الصينيون في تركستان الشرقية والروس في تركستان الغربية بالمسلمين، وبالثقافة الاسلامية - أفظع

بمئات المرات مما فعله (جنكيزخان) وهولاكو وجغتاي مصاصو الدماء (وكان من عادة هؤلاء المغول أن يشربوا الدم مع الذهب المذاب والخمر في حفلاتهم).

وليس فيما نقول أدنى مبالغة اذ أن الثقافة الاسلامية ما لبثت الا بضع سنوات من حكم جنكيزخان حتى عادت كأفضل ما تكون، ثم نمت وترعرعت على يد أحفاد جنكيزخان الذين رضوا بالله رباً وبالاسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وقائداً ومشرعاً بينما نرى حرب الابادة للدين الاسلامي والثقافة الاسلامية يقوم بها الشيوعيون الملاحدة في جميع المناطق الاسلامية التي احتلوها بما فيها (تركستان) (والقوقاس) (وشبه جزيرة القرم) (وتتاريا) و(أذربيجان) وغيرها من المناطق الاسلامية التي كانت زاخرة بمساجدها زاهرة بمدارسها الاسلامية العظيمة.

حتى أن الذين زاروا (تركستان) وآخرهم وفد رابطة العالم الاسلامي، حدثونا شفاهاً أن كثيراً من الشباب المسلم لا يعرف حتى كيف ينطق الشهادتين، وكيف أن بذور الشك والالحاد قد زرعت في شباب المسلمين هناك، حتى أن كثيراً منهم قد اعتنق الشيوعية الالحادية، واعلن كفره بالدين والكهنوت أفيون الشعوب!!

ويتحدث مؤلف صحفي مصري يدعى أحمد طلعت وشغل منصب رئيس دائرة الاستعلامات بالمؤتمر الاسلامي في عهد عبد الناصر، في كتابه (المسلمون في روسيا) تحت عنوان (مزرعة الخنازير) بعد أن قام بزيارة روسيا - بما يلي:

«أمامي رسم بياني يدل على ارتفاع نسبة الخنازير التي تربى في مزرعة الزنجوى الجماعية فقد ارتفعت هذه النسبة من ١٠٠ خنزير عام ١٩٥٥ الى الضعف في هذه السنة عام ١٩٥٨، لهذا الرسم البياني مغزى

ظاهر لا يخفى على فطنة اللبيب، آذ أن الخنزير حيوان نجس، في نظر المسلمين وقلما تجد المسلمين في البلاد الاخرى يعنون بتربية الخنازير، بل إنهم يعتبرون ذلك من المحرمات وكيف يمكن تربية حيوان حرم في القرآن؟ وفي ذلك دلالة صريحة على أن أوامر القرآن ليس لها نفس الاثر والقوة التي تتمتع بها في البلاد الاسلامية الاخرى، ورئيس المزرعة الجماعية التي نحن بصددها اسمه عبد الملك شير أحمدوف.»

ويقول في موضع آخر: «ولا تدهش بعد ذلك اذا رأيت فعل هذه المطارق على الرؤوس، مطارق الدعوة الشيوعية، فالعامل - هنا - إن لم يكنْ شيوعياً فهو جندي خاضع للأوامر سهل الانقياد رغم أنه مسلم قبل كل شيء، والحقيقة أن العامل يترك ديانته أمام باب المصنع، لأنه لا يستطيع أن يترك عمله، ليؤدي الصلوات الخمس يومياً، ولا يستطيع أن يجد غذاء خاصاً بالمسلمين، ولا أن يضيع وقته في الاستماع الى عظة دينية أو ليتقيد بما تفرضه عليه تقاليد الاسلام»..

وعندما يتحدث عن الدراسة في (أوزبكستان) يقول: «وتدريس الديانة أمر مجهول في هذه المدارس، بل أن الديانة تختفي كلما أوغل التلميذ في الدراسة العلمية، وكلما أدرك فعل الأشعة الشمسية في نمو النبات، كلما أيقن بأن الله لا دخل له في هذه العملية!!» ثم يقول:« في ظل هذا النظام تتعرض الأجيال الاسلامية الحديثة المتعاقبة لخطر المناهج الثقافية العلمانية (أي الشيوعية) التي تحل محل القرآن الكريم والشريعة الاسلامية ولعل من أبرز النتائج التي أسفر عنها نظام التعليم الحديث (الشيوعي) في آسيا الوسطى أن نشأت هناك طبقة من الشعب مزودة بالثقافة اللادينية العلمانية» (أي الشيوعية الماركسية اللينينية).

ثم يقول: «هذه الطبقة المثقفة التي خرجت من صميم الشعب ظلت

وثيقة الصلة بالجماهير وهي التي تعتبر همزة الوصل بين الشعوب الاسلامية وبين السلطات السوفيتية المركزية».. ويتحدث عما يسمى بتحرير المرأة، وكيف قامت السلطات السوفيتية بنزع الحجاب قسراً عام ١٩٢٧م ومعاقبة المخالفين بأشد العقوبات، حتى قامت من أجل ذلك الثورة المعروفة باسم (الباسماش) التي قاومت ذلك بعنف، وأدت الى قتل الآلاف وطرد عشرات الألوف الى مجاهل سيبيريا.

ثم يقول: «وقد ترتب على ذلك - بطبيعة الحال - تفتت الاسرة الاسلامية، فلم تعد تخضع لما كان سارياً في الماضي من النظم والتقاليد، اللهم إلا الاماكن الريفية النائية، وأخيراً فإن المرأة المسلمة أصبحت تحتل المناصب المرموقة في الاحزاب الشيوعية المحلية، والنقابات العمالية، وفوق هذا وذاك تجد بعض المسلمات أعضاء في مجلس السوفييت الأعلى، كما أن (مدام طاهر وفا) هي رئيسة اتحاد نقابات العمل، الذي يضم ستمائة الف عضو بجمهورية أذربيجان)..

ويفتخر أحد المسؤولين الروس بأن غالبية المسلمين اليوم في روسيا قد تخلصوا من نير الدين، وعبودية الله، وانهم تقدميون يقومون بتربية الخنازير في مزارعهم الجماعية، كما أنهم لا يأنفون من أن يتولى حكمهم رجل كافر، او امرأة كافرة.!! وهكذا، ترى الفرق شاسعاً بين حكم جنكيزخان وجغتاي وهولاكو الذين نشروا الدمار في بلاد الاسلام لفترة وجيزة ثم عاد أبناؤهم ليرفعوا بنوده وأعلامه ويقيموا مدارسه وينشروا لواءه، وبين هؤلاء الشيوعيين الذين يقومون بحرب ابادة واذابة لكل الشعوب الاسلامية الواقعة تحت نير استعبادهم الرهيب.. وسنترجم فيما يلي لبعض مشاهير علماء بخارى وأعظم أبناء بخارى، وأكثرهم شهرة، هو الإمام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري...

الإمام البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) (٨١٠ - ٨٧٠م)

هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، الجعفي ولاء امير المؤمنين في الحديث، وامام الائمة، صاحب (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، الذي اختاره من بين ستمائة الف حديث، وأوثق الكتب وأصحها بعد كتاب الله تعالى.

مولده وآباؤه:

ولد الإمام محمد بن اسماعيل في (بخارى) يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ. وكان أبوه (اسماعيل) من أهل العلم والسعة في الرزق، مشتغلا بالتجارة وقد سمع من حماد بن زيد وابن المبارك، والإمام مالك، حين خرج للحج سنة ١٧٩ هـ والتقى بالإمام مالك بن أنس في المدينة المنورة وسمع منه (والمغيرة) هو أول من أسلم من آباء (البخاري) وكان اسلامه على يد احد مواطنيه وأسمه (اليمان) وهو الجد الأعلى للمحدث الحافظ (عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان المسندي الجعفي)[1]..

ونسب (البخاري) الى الجعفي، مثل كثير من أهل بلاد ما وراء النهر، الذين انتسبوا الى هذه القبيلة اليمنية، التي تنتسب الى (جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج) ولكثرة من أسلم من الترك على يد هذه القبيلة، قال الشاعر:

وما كانت الاتراك ابناء مذحج
ألا إن في الدنيا عجيباً لمن عجب

وما ذلك إلا أن هؤلاء الاتراك، الذين أسلموا على يد هذه القبيلة اليمنية قالوا نحن أبناء لهذه القبيلة، أو كالأبناء.

---

(١) المحدث الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان المسندي الجعفي شيخ البخاري. وقد كان اليمان والياً على بخارى واسلم على يده المغيرة بن بردزبة جد البخاري.

وقد أخرج هؤلاء الدعاة - بفضل صبرهم، وإخلاصهم لله - أفذاذاً وعباقرة رفعوا شأن هذه الأمة، واعلوا مكانها، وخدموا الاسلام أعظم خدمة.

أما (بردزبة) والد المغيرة فكان على دين قومه (المجوسية) ويقال ان (بردزبة) تعني الزارع، في لغتهم.

نشأته: توفي والد الإمام البخاري وابنه (المبارك محمد) طفل صغير، فرعته أمه أيما رعاية، وذهبت به الى مجالس العلماء، يستمع إليهم، ويأخذ عنهم، وهو طفل حدث، حتى قال الإمام (البخاري) عن نفسه: (الهمت حفظ الحديث، وانا في الكتّاب، وعمري عشر سنين أو أقل).

عبقريته ونبوغه المبكران: وكان ممن يذهب إليهم، لاستماع الحديث، في بخارى المحدث (الداخلي) وروي ان الداخلي قال يوما - فيما يقرره للناس (روى سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم) فقال الغلام النجيب، الذي لم يجاوز احدى عشرة سنة آنذاك: (ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم). فظن المحدث (الداخلي) أن هذا الطفل يعبث، فانتهره لقلة أدبه مع أستاذه، فقال الغلام الألمعي: (ارجع الى الأصل، إن كان عندك) فعلم الاستاذ من لهجة الغلام الجادة أنه غير عادي فذهب مسرعاً، ودخل داره، يرجع الى الأصل، فوجده كما قال (البخاري) فعاد من فوره الى درسه، وقال للغلام: (صدقت).

ويا له من درس بليغ، ما أحرانا أن نلتفت إليه: كيف يقف التلميذ الصغير للاستاذ الكبير ليقول له: **انت على خطأ**، حينما يعلم أن ذلك خطأ، ثم كيف نرى الاستاذ الكبير لا يرى غضاضة في أن يرجع الى المراجع، ليستوثق من الحقيقة، وهو في مجلس الصدارة والتعليم، ثم يرجع من فوره، ليخبر الناس ان هذا الغلام الصغير، الذي لم يتجاوز

الحادية عشرة على صواب، وانه وهو العالم المحدث الاستاذ - على خطأ..

وهذه هي الجرأة المحمودة، وهذا هو التواضع المحمود: حيث لا يجفل الصغير ان يقول للكبير انت على خطأ، وحيث لا يستكبر صاحب المكانة ان يطاطىء رأسه للحق، ويقول: لقد أخطأت والغلام على حق.

وفي هذه السن الغضة الطرية - تلقى (البخاري) علوم الحديث من أئمته، في بلاده، من أمثال: محمد بن سلام البيكندي (وبيكند مدينة تبعد عن بخارى بأربعين كيلو متراً تقريباً) وعبد الله بن محمد المسندي الجعفي (البخاري).. وكان شيخه محمد بن سلام البيكندي يقول: كلما دخل علي هذا الصبي تحيّرت».

قال البخاري: (فلما طعنت في ست عشرة سنة - حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع بن الجراح وعرفت كلام هؤلاء) (يعني أصحاب الرأي من الفقهاء).

وفي هذه السن الغضة، عام ٢١٠ هـ. وهو ابن ست عشر سنة - حج الى بيت الله الحرام، مع أمه وأخيه (أحمد) الذي يصغر (البخاري) صاحب الترجمة.

وكان (البخاري) في هذه الرحلة لا يدخل بلداً الا ويسمع من حفاظها، فسمع في (بلخ) (وهي عاصمة اقليم باكتيا في أفغانستان اليوم) من الحافظ (مكي بن ابراهيم البجلي)، وفي (البصرة) سمع من (أبي عاصم عمرو بن عاصم القيسي) ومن (محمد بن عبد الله بن المثني الانصاري)، وفي (الكوفة) سمع من(عبيد الله بن موسى العبسي)، وفي (مكة المكرمة) سمع من شيخها وقارئها (عبد الله بن يزيد المقري)، وفي بغداد من (عفان بن مسلم البصري) مولى الأنصار، وفي (حمص) من (أبي اليمان الحكم بن نافع البهراني)، وفي (دمشق) من (أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني)،

وفي (عسقلان) من (أدم بن اياس)، وفي (فلسطين) من (محمد بن يوسف بن واقد الفريابي) (والفرياب قرية من بلاد ما وراء النهر وينتسب إليها كثير من العلماء وتقع اليوم في شمال أفغانستان).

ومما تقدم ترى كيف استفاد الامام (البخاري) الشاب الحدث، في رحلته الى الحج، استفادة عظيمة، حيث التقى بأكابر علماء الحديث، في عصره، وأخذ عنهم، واستمع إليهم، ووعته حافظته القوية، التي لا تكاد تفلت شيئا.

قال حاشد بن اسماعيل: (كان البخاري يختلف معنا الى مشايخ البصرة، وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فلمناه بعد ستة عشر يوما، فقال البخاري: قد أكثرتم علي، فاعرضوا علي ما كتبتم، فأخرجنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه).

وقال زميل اخر للبخاري في مكة المكرمة، وهو (محمد بن الأزهر السجستاني) (نسبة الى سجستان وهي من بلاد ما وراء النهر في غرب أفغانستان بالقرب من حدودها مع ايران). (كنت في مجلس سليمان بن حرب الازدي البصري، قاضي مكة، والبخاري معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب: فقال الذي يعرفه: يرجع الى بخاري، ويكتب من حفظه):

وتحدث (البخاري) عن فترة شبابه - قائلا (كنت في مجلس الفريابي (في فلسطين) فقال الاستاذ الفريابي: حدثنا سفيان (الثوري وكان شيخ الفريابي) عن أبي عروة، عن أبي الخطاب، عن أبي حمزة، فلم يعرف أحد في المجلس من فوق سفيان، فقلت لهم: أبو عروة هو معمر بن راشد، وأبو الخطاب هو قتادة بن دعامة، وأبو حمزة هو أنس بن مالك).

وهذه الحوادث المتتالية في صبا الإمام (البخاري) تلقي الضوء على

نبوغه الباكر، وحفظه العجيب الفذ، ومعرفته التامة برجال السند ولذا عندما دخل (البخاري) الى العراق (بغداد) وهو في شبابه، تسبقه شهرته - اجتمع عشرة من علماء الحديث، وأرادوا امتحانه، ومدى علمه، فقالوا للبخاري: سيروي كل واحد منا عشرة أحاديث: ونريد منك أن تخبرنا بها، فذكر الأول عشرة احاديث يقلب أسانيدها، فلما انتهى نظروا الى البخاري فقال للثاني قل ما عندك، فلما انتهى، قال للثالث: هات ما عندك، وهكذا حتى أتم العشرة أحاديثهم المائة المقلوبة الأسانيد، وقد ظن بعضهم أن (البخاري) لم ينتبه الى قلب السند، وظنوا به الظنون، فما راعهم الا و(البخاري) يقول: لقد قلت يا فلان، وهو الأول، كذا وكذا، وعدد حديثه المقلوب السند، والصحيح كذا وكذا، ثم انتقل الى الثاني، والثالث، حتى أتى على المائة حديث، يعيد كل حديث قالوه، ثم يرد السند الصحيح، فعجبوا لحفظه الأحاديث المقلوبة السند، من مرة واحدة تقال له، أكثر من عجبهم من حفظه للأحاديث بأسانيدها الصحيحة.

تلاميذ البخاري

وانتهت بعد ذلك إليه رئاسة الحديث، وأخذ عنه الجم الغفير من جهابذة العلماء، منهم الإمام (مسلم بن حجاج القشيري) صاحب (صحيح مسلم) وهو ثاني الكتب الصحيحة، وهو من (نيسابور) بخراسان، وتقع - اليوم - في ايران، والإمام ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي وهو من ترمذ في أوزبكستان بالاتحاد السوفيتي، ومنهم شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي الفقيه وكان من أعلم الناس بالسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها، كما وصفه ابن حزم، وهو من مرو عاصمة خراسان (وتقع - اليوم - في جمهورية تركمنستان بالاتحاد السوفيتي).

ومن تلاميذه: الحافظ ابو علي صالح (جزرة) بن محمد بن عمرو الاسدي، نزيل (بخارى) وشيخ ما وراء النهر في الحديث.

ومنهم: الحافظ ابو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الكوفي الذي وثقه (الدارقطني) وغيره.

ومنهم: ابن خزيمة شيخ الاسلام أبو بكر محمد بن اسحاق السلمي الحافظ، صاحب المصنفات الكثيرة، التي تربو على مائة وأربعين كتابا.

ومن أبلغ ما يوضح مكانة (البخاري) هذه الحادثة، التي يرويها أحد تلاميذ (البخاري) يوسف بن موسى المروزي: قال: (كنت بالبصرة في جامعها: اذ سمعت مناديا ينادي: يا أهل العلم، قدم محمد بن اسماعيل البخاري، فقاموا إليه، وكنت معهم، فرأيت رجلا شابا ليس في لحيته بياض، فصلى خلف الأسطوانة، فلما فرغ أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلسا للاملاء، فأجابهم الى ذلك، فقام المنادي ثانيا في جامع البصرة، فقال: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن اسماعيل البخاري، فسألناه أن يعقد مجلساً للاملاء، فأجاب بأن يجلس غدا في موضوع كذا، فلما كان الغد، حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظارة، حتى اجتمع قريب من كذا كذا الف نفس فجلس ابو عبد الله للاملاء، فقال: يا أهل البصرة، أنا شاب سألتموني أن أحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها (أي لم تعلموها من قبل فتعلموها مني) فتعجب الناس وأخذ في الإملاء، روي هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليست عندكم، وهي كذا، فاستفاد منه أئمة علماء البصرة وحفاظها، حيث اعلمهم بطرق للحديث المروي عن أهل البصرة لم يكونوا يعلمونها من قبل.

تكفي هذه لترينا سعة علم (البخاري) بالحديث ورجاله: اذ المفروض ان يكون رب الدار أدرى بشئون بيته: فجاء (البخاري) الفذ، وكان اعلم منهم بمروياتهم من الحديث، وهو منتهى العجب.

اشتغال البخاري بالتأليف:

لقد اشتغل (البخاري) منذ بداية شبابه بالتأليف، فقد قال عن نفسه: (لما طعنت في ثمان عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم). وفرغ من ذلك في سن العشرين وقال ثم صنفت التاريخ الكبير في المدينة عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة. وكل اسم في التاريخ الاّ وله عندي قصة الا إني كرهت ان يطول».

وكان (البخاري) يقول «لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثا من حديث الصحابة والتابعين (يعني حديثا موقوفا أو مقطوعا) الا وله أصل أحفظه عن كتاب الله وسنة رسوله».

وقال - رحمه الله - عن نفسه: «أقمت بالمدينة بعد أن حججت سنة أكتب الحديث (وقد حج وعمره ستة عشر سنة) وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج، وأرجع من مكة الى البصرة».

وكان (البخاري) رحمه الله - يجمع الى قوة الحافظة، التي يندر على مدى التاريخ مثيلها، قوة الادراك والفهم، وبخاصة لرجال الحديث ورواته، وجمع في ذلك الرواية والدراية كما يقولون، جمعا لم يتأت الا للقليل من العلماء على مدى التاريخ.

الجامع الصحيح:

وأعظم مؤلفات (البخاري) هو كتابه (الجامع الصحيح) الذي اختاره من بين ستمائة ألف حديث، مدة ستة عشر سنة، وتحدث (البخاري) عن كتابه العظيم، قائلا: (ما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته، وقد جعلته حجة فيما بيني وبين الله).

وعدد أحاديثه ٧٢٧٥ حديثاً بما فيها المكرر اما غير المكرر فهي

٤٠٠٠ حديث فقط خرجها[١] من ستمائة ألف حديث.

وكان يكتبه - اولا - في المسودة، فاذا أراد تبييضه حضر الى مدينة الرسول، وجعل يحول تراجمه بين قبر النبي -ﷺ- ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

وعرض (البخاري) كتاب (الجامع الصحيح) على أئمة المحدثين، في عصره من أمثال (علي بن المديني) و(أحمد بن حنبل) و(يحيى بن معين) فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة، الا أربعة أحاديث.

وللإمام (البخاري) مجموعة أخرى من المؤلفات القيمة، نذكر منها: (الأدب المفرد) و(بر الوالدين) و(كتاب الهبة) و(القراءة خلف الإمام) و(رفع اليدين في الصلاة) و(التاريخ الكبير والاوسط والصغير) و(الجامع الكبير) و(المسند الكبير) و(التفسير الكبير) و(كتاب الاشربة) و(كتاب الكنى) و(كتاب الفوائد) و(خلق أفعال العباد) وكتاب الضعفاء وقضايا الصحابة والتابعين.

وبعض هذه الكتب مفقود - للاسف الشديد - منذ أزمنة متطاولة.

---

(١) أخطأ فامبري في كتابه تاريخ بخارى في عدد الأحاديث في صحيح البخاري فذكر أنها ستمائة الف حديث وتبعه في هذا الخطأ الدكتور أحمد محمد الساداتي في كتابه تاريخ الدول الاسلامية بأسيا وحضارتها. وهناك خلاف بين العلماء في عدد أحاديث صحيح البخاري ففي مقدمة ابن الصلاح جاء ما يلي: وجملة ما في كتاب الصحيح ٧٢٧٥ بالمكرر وقد قيل انها بإسقاط المكرر ٤٠٠٠ حديث إلا أن هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتابعين وربما عد الحديث الواحد باسنادين حديثين ». وعد الإمام النووي في تهذيب الاسماء واللغات وفي التقريب في مصطلح الحديث أحاديث البخاري أربعة الآف بغير المكرر. وكذلك قال ابن كثير في كتابه الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث. وقد ذكر الإمام السيوطي في تدريب الراوي جملة أحاديث البخاري ٦٣٩٧ حديثاً بالمكرر و٢٥١٣ غير المكرر و١٣٤١ المعلق. وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري (الطبعة السلفية) جاء أن جملة أحاديث البخاري بالمكرر ٧٠٤٧ وذكر محب الدين الخطيب ان غير المكرر٢٦٠٢ والسبب في هذا الاختلاف هو عد المعلقات أو عدم عدها ثم عد الحديث المذكور باسنادين حديثاً واحداً أو حديثين وهكذا.

وفاة البخاري:

وعاد (البخاري) أواخر أيامه الى بلدته (بخارى) وتعصب ضده مجموعة من الحاقدين عليه وأثاروا الغوغاء عليه، فأخرجوه من بلدته، فسار الى (خرتنك) احدى قرى (سمرقند) وأقام بها قليلا، ثم توفاه الله، بعد أن قدم للاسلام والمسلمين خدمة عظيمة جليلة القدر، بكتبه، وعلمه، وتدريسه، في كافة المدن الاسلامية المشهورة - آنذاك - وأعظم كتبه وأبقاها أثراً (الجامع الصحيح).

وكانت وفاته عام ٢٥٦ هـ (٨٦٩ م). وقد ذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان) أن أكثر من سبعين الف من طلبة العلم درسوا (الجامع الصحيح) على يدي الإمام (محمد بن اسماعيل البخاري) أثناء حياته، رحمه الله رحمة الأبرار...

ومن علماء بخارى، الذين يذكرهم التاريخ مجموعة لم يصلوا الى مكانَة أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتقدم ترجمته، ومع هذا فقد كان لهم دور كبير في نشر العلم، في (بخارى) وغيرها من بلاد ما وراء النهر، ومراكز الحضارة الاسلامية على اختلافها نتيجة لتلك الرحلات المستمرة التي لا تكاد تنقطع وتلك الجهود المباركة التي جعلت الأمة الاسلامية، من حدود الصين شرقاً، الى جبال (البرنيز) في شمال أسبانيا غرباً، بلاداً واحدة يتجه إليها المسلم يقيم في أي بلد شاء ويرتحل من أي بلد شاء، دون حواجز مصطنعة ولا جوازات سفر، ولا طلب اقامة وانما هي دار واحدة متصلة تسمى (دار الاسلام) يتلقى العلم وينشره في جميع تلك الديار، بدون فروق أو حواجز. بل على العكس تتهافت القلوب والاسماع، للإنتظام في حلقته والاستفادة من درسه وتمتد إليهم الايدي بالمحبة والمودة، وتفتح لهم ديارهم وأبوابهم، وتجلهم وتكرمهم، لأنهم ورثة الانبياء، وأحق الناس بالتكريم والتعظيم، أينما

حلوا وحيثما ذهبوا وانتقلوا. ومن علماء بخارى (**محمد السبذ موني قاضي القضاة**) في عصر اسماعيل الساماني، وقد ظهر بعد وفاة الإمام البخاري، وتوفي هذا القاضي الفقيه سنة ٣٠٤ هـ - (٩١٦م).

ومن هؤلاء العلماء الافذاذ الذين أنجبتهم (بخارى) شمس الأئمة **عبد العزيزبن أحمد الحلواني البخاري**، المتوفي سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٦م) الفقيه الحنفي، المعروف بامام أهل الرأي صاحب التصانيف في الفقه الحنفي وفروعه، نذكر منها كتابه (المبسوط) في الفقه، (النوادر) في الفروع، (والفتاوى) وهي مجموعة فتاويه، (وشرح كتاب أدب القاضي) الذي ألفه أبو يوسف،توفي في قرية بالقرب من (بخارى) ودفن في (بخارى).

ومن قرية (طوس) وهي طواويس احدى قرى بخارى (وهي غير مدينة طوس في خراسان التي ظهر منها الامام الغزالي وعمر الخيام) ظهر **أبو جعفر رضوان بن عمر الطوسي** (من علماء الحديث). ومنهم الفقيه **ظهير الدين محمد بن أحمد بن عمر البخاري** الذي تولى الحسبة في (بخارى) كما تولى التدريس، فترة طويلة، ومن كتبه الفتاوى الظهيرية، وتوفي في بخارى سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢م).

وأهل بخارى بل وأغلب سكان بلاد ما وراء النهر أحناف، ولذا فإن من ظهر منهم في الفقه كان ذلك على وجه الخصوص في الفقه الحنفي.

ومن هؤلاء **طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري**، الفقيه الحنفي، صاحب (خلاصة الفتاوى) و(الواقعات) و(النصاب) وجميعها في الفقه الحنفي (ولد سنة ٤٨٢ هـ - ١٠٩٠ وتوفي ٥٤٢ هـ - ١١٤٧م). ومنهم إمام عصره في الفقه، وبخاصة في بلاد ما وراء النهر **محمد بن الفضل البخاري** ومنهم **علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري** الفقيه الحنفي الأصولي الذي قام بشرح بعض كتب الأحناف المتقدمة

فشرح (المنتخب الحسامي) (وأصول البزدوي) وتوفي سنة ٧٣٠هـ - (١٣٣٠م) ومن هؤلاء **أبو حفص البخاري المولود سنة ١٥٠هـ (٧٦٧م)** أستاذ الإمام البخاري، وقد احدث حركة فكرية قوية في بخارى وما حولها. قال عنه النرشخي في تاريخ بخارى (ولم يكن أحد مثله في الولاية، وكان زاهداً وعالماً أيضاً وصارت بخارى بسببه قبة الاسلام، والسبب هو أن أهل بخارى تعلموا فنشأ فيها العلم وصاروا أئمة وعلماء محترمين وكان هو السبب). ومن أعلام قرى بخارى **عبد الله بن محمد الكلاباذي السبذموني** من سبذمون احدى قرى بخارى ولد سنة ٢٥٨هـ - (٨٧٢م) ورحل في طلب العلم الى خراسان والعراق والحجاز.. واشتهر بالحديث والفقه حتى صار من أئمة الحنفية وله عدة مصنفات منها (مسند ابي حنيفة) و(كشف الاثار) في مناقب الإمام ابي حنيفة واشتهر باسم الاستاذ وكانت وفاته سنة ٢٤٠هـ - (٩٥٢م) وممن اشتهر وظهر من أهل بخاري الشيخ الرئيس ابن سينا، الذي ولد في احدى قرى بخارى ونشأ وتعلم في بخارى ثم طاف البلاد، وطبقت شهرته الآفاق.

وعلى الرغم من أن الشيخ الرئيس من مواليد قرى (بخارى) وبها نشأ، الا أن أصوله فارسية وليست تركية، ولكن هذا لا يمنعنا ان نذكره فيمن نبغ من أهل (بخارى) فقد سكنها آباؤه، وبها ولد ونشأ وترعرع، وكانت بخارى عاصمة العلوم - آنذاك..

الشيخ الرئيس ابن سينا

أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، أشهر أطباء المسلمين، على مدار التاريخ، وكان كتابه (القانون في الطب) هو المرجع الطبي الأول والوحيد للأطباء، في العالم أجمع، لمدة سبعة قرون منقضية، وهو مشهور، عند أهل أوروبا، باسم (أفيسينا) فقد ترجموا - منذ وقت

مبكر - كتبه الطبية والفلسفية. وكان (القانون في الطب) عمدتهم، وعليه كانوا يعولون، وقد طبع باللاتينية خمس عشرة مرة، ومرة واحدة بالعبرية، في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان مقرراً في جامعة (لوفان) حتى القرن السابع عشر الميلادي..

ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) في احدى قرى (بخارى) ونشأ وتعلم في بخارى وطاف البلاد، وناظر فيها العلماء، واتسعت من ثم شهرته، وتقلد الوزارة في (همذان) ثم حدث أن ثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، ففر منهم الى (اصفهان) وبها تفرغ للعلم، وصنف أكثر كتبه وبها كانت وفاته. له أكثر من مائة مؤلف في الطب، والفلسفة والمنطق والطبيعيات، والالهيات، ومن كتبه المشهورة غير (القانون في الطب) (الشفاء) وهو يقع في أربعة أجزاء، و(السياسة) و(أسرار الحكمة المشرقية) و(الاشارات) و(الطير) و(اسرار الصلاة) و(لسان العرب) وله رسالة في علم (الهيئة) وهي علم الطبيعة - اليوم - ورسالة في (النبات والحيوان) وهو علم (البيولوجي) اليوم (وأسباب الرعد والبرق) وله شعر جيد، وأشهر شعره (العينية) التي مطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع

ويقال ان (ابن سينا) كان باطنيا، من أهل دعوة الحاكم بأمر الله الفاطمي، واتهم بأنه كان شيعيا اسماعيليا.

قال (ابن القيم) عنه: (كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين).

وقال (ابن تيمية) عنه: (تكلم ابن سينا في أشياء من الالهيات والنبويات والمعاد والشرائع لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم،

ولا بلغتها علومهم، فانه استفادها من المسلمين وان كان انما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين الى المسلمين، كالاسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من اتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالالحاد).

وعلى الرغم من أن (ابن سينا) كان متهما في دينه، الا أنه كان مجمعا على رئاسته في الطب، وتتجلى لك عبقرية (ابن سينا) الطبية في كتابه (القانون) في الطب، الذي ظل المرجع الاساسي للعلوم الطبية، خلال سبعة قرون (أي منذ القرن العاشر الميلادي حتى القرن السابع عشر) وذلك في جميع عواصم العالم المعروفة آنذاك، وكان (القانون) يترجم الى اللغات الاوربية، وبخاصة منها الاسبانية: حيث كان الاحتكاك بين الحضارة الاسلامية في الاندلس، وبين سكان اسبانيا المسيحيين على أشده، ومن هناك انتقلت النهضة الأوربية الحديثة كما هو معلوم.

كما أن (القانون) ترجم الى اللغة اللاتينية، لغة العلم والنهضة، في ذلك الوقت، وعندما ظهرت الطباعة، في أوربا طبع خمس عشرة مرة باللاتينية، ومرة واحدة باللغة العبرية، خلال ثلاثين سنة فقط، وذلك منذ عام ١٤٧٠ الى عام ١٥٠٠ م، ثم أعيد طبعه عشرات المرات، بكافة اللغات الاوربية.

وسننقل لك شيئاً (يسيرا) من مقدمة (القانون) بقلم (ابن سينا) حتى تعرف عظمة هذا الرجل، في المجال الطبي، على وجه الخصوص، قال - بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد - ﷺ:

«وبعد فقد التمس مني بعض خلص أخواني ومن يلزمني اسعافه بما يسمح به وسعي أن أصنف في الطب كتاباً مشتملا على قوانينه الكلية والجزئية اشتمالاً يجمع الى الشرح الاختصار والى إيفاء الاكثر حقه من

البيان الايجاز، فأسعفته بذلك، ورأيت أن أتكلم - أولا - في الأمور العامة الكلية، في كلا قسمي الطب، أعني القسم النظري، والقسم العملي، ثم - بعد ذلك - أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة، ثم في جزئياتها، ثم - بعد ذلك في الامراض الواقعة بعضو عضو.

« فأبتدي - أولا - بتشريح ذلك العضو ومنفعته، وأما تشريح الأعضاء المفردة البسيطة فيكون قد سبق مني ذكره في الكتاب الأول الكلي، وكذلك منافعها، ثم اذا فرغت من تشريح ذلك العضو - ابتدأت في أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها، وطرق الاستدلالات عليها، وطرق معالجتها بالقول الكلي أيضاً فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية، ودللت اولا في أكثرها - أيضاً - على الحكم الكلي في حده وأسبابه ودلائله، ثم تخلصت الى الأحكام الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلي في المعالجة، ثم نزلت الى المعالجات الجزئية بدواء دواء بسيط أو مركب، وما كان سلف ذكره من الأدوية المفردة ومنفعته في الأمراض في كتاب الأدوية المفردة في الجداول، والأصباغ التي أرى استعمالها فيه، كما تقف - أيها المتعلم عليه اذ وصلت اليه لم أكرر الا قليلا منه...

« وأما الآن فإني أجمع هذا الكتاب وأقسمه الى كتب خمسة، على هذا المثال:

الكتاب الأول: في الأمور الكلية في علم الطب.

الكتاب الثاني: في الأدوية المفردة.

الكتاب الثالث: في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الانسان عضواً عضواً، من الفرق (قمة الرأس) الى القدم ظاهرها وباطنها.

الكتاب الرابع: في الأمراض الجزئية التي اذا وقعت لم تختص بعضو، وفي الزينة.

الكتاب الخامس: في تركيب الأدوية والأقراباذين».

وقال عن الكتاب الأخير «وهذا الكتاب لا يسع من يدعي هذه الصناعة (أي الطب) ويكتسب بها أن لا يكون جله معلوماً محفوظاً عنده، فإنه مشتمل على أقل ما لا بد منه للطبيب، وأما الزيادة عليه فأمر غير مضبوط، وأن أخر الله تعالى في الأجل، وساعد القدر - انتصبت لذلك انتصاباً ثانياً (وقصده أن يضع فيه كتاباً آخر متوسعاً في علم الأدوية والاقراباذين).

وهكذا قسم (ابن سينا) كتابه المرجع، مثلما تفعل كليات الطب - اليوم - فتجعل السنة الأولى والثانية لعلوم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء، والسنة الثالثة لعلم الامراض (الباتوليجي) وعلم الأدوية (الفارماكولجي) وعلم الميكروبات والطفيليات، ثم تجعل السنة الرابعة والخامسة للامراض الجزئية، مثل أمراض النساء والولادة، وأمراض الأنف والأذن والحنجرة، وأمراض العيون، والأمراض الباطنية والجراحة الخ...

ولم يكتف (ابن سينا) بمعلومات المتقدمين من يونان، وفرس وعرب، وسريان، وهنود يرتبها ويبوبها كأحسن ما يكون الترتيب والتبويب، بل يضيف اليها من ملاحظاته وتجاربه ومشاهداته الكثير الكثير، وفي هذا قال: «ثم تعهدت المرضى وانفتحت على أبواب من المعالجة اكتسبتها من التجربة».

وهكذا كان (ابن سينا) يتعلم من مرضاه بمثل ما كان يتعلم من كتب (ابوقراط) و(جالينوس) وكانت له ملاحظات سريرية وتشريحية خاصة به، أضاف بها الى الطب إضافات كبيرة، مثل وصفه للتجويف البلوري

وصفاً دقيقاً، ووصفه لالتهاب الاغشية السحائية، ووصفه الدقيق لليرقان وأسبابه، واكتشافه علاج الأنيمياء الحادة بنخاع العظام، الذي يعتبر اليوم آخر أنواع العلاج الحديثة لمرض الأنيمياء - الحادة الخطيرة، وحديثه عن أنواع الأورام والسرطانات، وتفصيله البارع لأنـواع شلل الوجه (اللقوة) واهتمامه الشديد بالأمراض النفسية والعصبية، وتحدثه - بتوسع - عن (الماخوليا). والعصاب، وتحدثه عن العشق، بوصفه ظاهرة نفسية، ومعالجتها، وايراده طرائف وعجائب في ذلك.

وفي طب العيون تحدث عن طبقات العين الثانية حديث من شرحها، وعرف أجزاءها وطبقاتها، وانتقد (ابـو قراط) و(جالينوس) حيث اهتما فقط بعدسة العين، بينما انصب اهتمام ابن سينا على الشبكية التي تنطبع عليها الصور المنعكسة، مثلما تنطبع الصورة في الكاميرا على الفيلم الحساس.

ولم يترك (ابن سينا) بابا من أبواب الطب الا تحدث فيه حديث خبير عالم واسع التجربة. ولقد تقدم الطب في العصور الحديثة تقدماً واسعاً، وأصبح الطب القديم متخلفاً عنه بمراحل ولكن يبقى مع ذلك لابن سينا فضل سبقه لعصره، واتيانه بكثير من العجائب والغرائب.

وللأسف فإن كتاب (القانون) في الطب لم يطبع بالعربية الا طبعة واحدة رديئة قديمة، بدون تحقيق، ولا تعليق عليها، وقد قامت دور النشر - اخيراً - بإعادة تصويرها (بالأوفست) وذلك لا يجدي فتيلا.

والواجب هو أن يعاد طبع الكتاب، بعد تحقيقه، وشرحه، والتعليق عليه، اذ أن الطبيب وطالب الطب - اليوم - قد بعد بهم العهد بلغة (ابن سينا) وتحتاج كثير من المسميات الى توضيحها للأطباء بلغة العصر، مع ذكر ما يقابلها من أسماء علمية حديثة، لأن أغلب الأطباء العرب يدرسون - اليوم - الطب بلغات أوروبية.

وقد ترجم (ابن سينا) لنفسه ترجمة وافية، ذكرها (ابن أبي أصيبعة) في كتابه القيم (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ونوجز ذلك - هاهنا - ومن اراد المزيد فليرجع الى الكتاب المذكور.

قال عن نفسه انه من مواليد قرية من قرى (بخارى) وان أباه من (بلخ) في أفغانستان وان أمه من أهل (بخارى) وان الاسرة انتقلت الى بخارى وهو طفل صغير، وأنه حفظ القرآن الكريم كله، ولم يجاوز العاشرة، وحفظ كثيراً من الشعر والأدب، في تلك السن الغضة الطرية، وقال أن أباه كان ممن سمع داعي الباطنية من الاسماعيليين، الذين حكموا مصر باسم الفاطميين، ووافق دعوتهم، وكذلك كان أخوه الأكبر محمد...

وقال: (وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا اسمع وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي).

ودرس (ابن سينا) الفقه دراسة واسعة في صغره، على يد (اسماعيل الزاهد)، وفي هذا القول ما يدل على أن ابن سينا لم يعتنق الدعوة الباطنية، وان اعتنقها أبوه وأخوه، أضف الى ذلك أن أباه كان قد وجهه - وهو في تلك السن - الى تعلم حساب الهند.

ثم قدم (بخارى) رجل يدعى المتفلسف، وهو (ابو عبد الله النائلي) فدرس عليه (ابن سينا) الفلسفة الاغريقية دراسة واسعة، حتى أحرج أستاذه بكثرة مسائله، ولم يكن الأستاذ المتفلسف واسع الفهم، بعيد الادراك، فقد ضاق بأسئلة تلميذه الذكي، وطلب منه أن يقرأ كتب الهندسة، والرياضيات، والفلك، والهيئة، التي كانت جزءاً من الفلسفة اليونانية وحده، ثم يعرضها عليه، فقرأها (ابن سينا) ولم يجد عند أستاذه ما يشفي غليله، وتوجه أستاذه الى كركانج عاصمة اقليم (خوارزم) وبقي (ابن سينا) في (بخارى) يدرس هذه الكتب العويصة،

دون أستاذ، حتى أجادها، ولم يستعصِ عليه شيء منها، سوى الالهيات، فقرأها كما يقول، أربعين مرة، حتى حفظها، دون أن يفهمها، فلما وجد كتاب (الفارابي) الفيلسوف المشهور (وهو من فاراب من مدن قازاقستان في تركستان) وجد فيه حلولاً لكثير مما أشكل عليه، وكان اذا تحير في مسألة، كما يقول عن نفسه (ترددت الى الجامع، وصليت، وابتهلت الى مبدع الكل، حتى فتح لي المستغلق، ويسر المتعسر).

ثم دعاه سلطان (بخارى) لمعالجته، فعالجه، بعد أن فشل الأطباء في مداواته، وكان (ابن سينا) اذ ذاك ابن ست عشرة سنة، وطلب الشاب العبقري من السلطان أن يكون جزاؤه على مداواته هو فتح (المكتبة السلطانية) المليئة بخزائن الكتب، وله أن يأخذ منها ما يريد لمطالعته، فطالع مختلف العلوم، واستوعبها وقد قال عن هذه المكتبة الضخمة التي تدل على مكانة العلم في بخارى في عهد السامانيين ما يلي: (فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على البعض.. في بيت كتب العربية والشعر.. وفي آخر الفقه.. وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد.. وطالعت فهرست كتب الأوائل.. وطلبت ما احتجت اليه ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط. وما رأيته أيضاً من بعد.. فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه)..

وقال عن نفسه: (فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري، فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت - اذذاك - للعلم أحفظ، ولكنه - اليوم - معي أنضج).

وفي هذه السن الغضة ألف كتابا جامعا لهذه العلوم، ألفه في عشرين مجلداً، وأسماه (الحاصل والمحصول) وانتهى منه، وسنه واحد وعشرون عاماً.. وكان ذلك الكتاب دائرة معارف كاملة ألفها هذا الشاب

العبقري في سن الثامنة عشرة وانتهى منها في سن الواحدة والعشرين.

وصنف في هذه السن - أيضاً - كتاباً في الأخلاق، أسماه (كتاب البر والاثم).

ثم انتقل (ابن سينا) الى (كركانج) عاصمة (خوارزم) ومنها تنقل في مدن (خراسان) وتولى الوزارة، فثار عليه الجنود، حتى نهبوا بيته، وطالبوا بقتله، فحماه السلطان وعزله من الوزارة، وتفرغ للتأليف وللطب، فألف مئات الكتب في مختلف فروع المعرفة، بحيث لم يترك باباً من أبواب العلوم الا ولجه، حتى حدث ذات مرة أن اجتمع بأبي منصور الجبائي اللغوي، وتكلم (ابن سينا) في مسألة من مسائل اللغة، فقال له الجبائي: انك حكيم فيلسوف، ولكنك لم تقرأ في اللغة، فامتعض (ابن سينا) وتفرغ ثلاث سنوات لدراسة اللغة، حتى ألف فيها ثلاثة كتب، وجعلها في جلد قديم، وأوعز الى الأمير أن يقدمها الى (الجبائي) على أنها كتب وجدت في الصحراء، أثناء صيد الأمير، وطلب منه أن يبدي رأيه فيها، فنظر فيها (أبو منصور) وأشكل عليه كثير مما فيها فكان (ابن سينا) يحل له هذه الاشكالات، فعلم (الجبائي) لفرط ذكائه أن (ابن سينا) هو الذي ألفها، فاعتذر له، واعترف له بمكانته العالية في اللغة، ثم ألف (ابن سينا) كتابه الضخم (لسان العرب) في عشرة مجلدات في علوم اللغة العربية.

وكان لابن سينا شعر كثير جيد، ومن أشهر قصائده (العينية) التي ذكرنا مطلعها:

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

تحدث فيها عن النفس، وأنها كانت في الأماكن العلوية (الشريفة) تجتلى من الذات الالهية العلية، ثم هبطت، وحبست، في ذلك البدن الثقيل، حتى نسيت عهودها، ومرابعها المنيفة الشريفة، وارتبطت بسجن ذلك البدن الثقيل الهابط، والفت مراتع الدمن والمستنقعات.

حتى اذا قرب المسير الى الحمى
ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وقد تأثر (ابن سينا) كغيره من فلاسفة المسلمين بالفلسفة (اليونانية) وعلى الأخص منها فلسفة (افلاطون) و(أرسطو) و(أفلوطين) وهم مجموعة الفلاسفة الالهيين من اليونان الذين يؤمنون بآله واحد للكون كله، ولكنهم يجعلونه متفكرا في ذاته، متعقلا لها، لا يدبر هذا الكون، ولا يصرفه، بل ولا يعلم عنه شيئاً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكان (ابن سينا) في حياته من أولئك الفلاسفة المسلمين الذين كانوا يرون أن الشرائع انما هي للعامة، وأما الخاصة - ممن صفت نفوسهم - فلا يحتاجونها الا قليلا، وكان هو ممن يقول بأن الخمر تزري بالعامة، ولكنها ترقق مشاعر الخاصة، وتشحذ أذهانهم، وكان ممن يشربها، ويتغنى بها.

ولكننا نرى (ابن سينا) في وصيته يختلف عن (ابن سينا) الفيلسوف، فقد كتب الى صديقه أبي سعيد ابن أبي الخير الصوفي بهذه الوصية:

(وليكن الله تعالى أول فكر له وآخره، وباطن كل اعتبار وظاهره،

ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر اليه، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه، مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى، واذا انحط الى قراره فلينزه الله تعالى في آثاره فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. فاذا صارت هذه الحال له ملكه - انطبع فيها نقش الملكوت، وتجلى له قدس اللاهوت، فألف بالانس الأعلى، وذاق اللذة القصوى، وأخذ عن نفسه من هو بها أولى، وفاضت عليه السكينة، وحقّت عليه الطمأنينة، وتطلع الى العالم الأدنى تطلع راحم لأهله.. وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة، وأزكى السر الاحتمال، وأبطل السعي المراءاة، ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قيل وقال، ومناقشة وجدال، وانفعلت بحال من الأحوال، وخير العمل ما صدر عن خالص نية، وخير النيّة ما ينفرج عن جناب علم، والحكمة أم الفضائل، ومعرفة الله أول الأوائل، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه).

الى آخر الوصية العجيبة، التي تدل على التزامه بالدين، وحثه على أداء الشعائر وتمسكه بأعلى الفضائل، ودعوته الى تصفية النفس وتجليتها من الكدورات، والبعد بها عن مراتع القاذورات، والارتفاع بها عن حضيض الشهوات.

وكل ذلك دليل على أنه قد ترك ما كان يقول به ايام الفلسفة، وعاد الى سبيل الشرع، وإقامته في السر والعلن، للخاصة قبل العامة.

وفي ذلك دليل على أن (ابن سينا) في أواخر أيامه قد تخلى عن أفكاره الفلسفية، التي تأثرت بفلسفة الاغريق الالهيين، الذين يؤمنون بالله على أنه اله لا يدبر الكون، ولا يرعى مخلوقاته، بل هو مشغول

بالتفكر في ذاته.. وقد أخذ كثير من فلاسفة المسلمين فلسفة (افلوطين) القائلة بالفيض وهو أن الله لم يخلق مخلوقاته، وانما صدر عنه، نتيجة تفكره في ذاته العقل المحض، ثم تسلسلت المخلوقات، حتى وصلت الى الجمادات.. وكل طبقة من المخلوقات تنتج عن الطبقة التي تعلوها، دون ارادة موجبة لذلك..

وكان (ابن سينا) مثل سابقه (ابي بكر الرازي) يؤمن بأن الخاصة لا يصلحها الا الفلسفة أما العامة فلا يصلحها الا الدين.. هذا على الرغم من أنهما يؤمنان ايماناً كاملاً بالله سبحانه وتعالى، ولكن ايمانهما بالبعث والنشور هو على طريقة فلاسفة المسلمين، الذين يقولون بالبعث الروحي والخلود النفسي، وانه عذاب روحاني للنفس، أو نعيم لها، حسب عملها في الدنيا، وينكرون عذاب القبر والبعث الجسدي..

ويبدو أن (ابن سينا) في أواخر أيامه قد تخلى عن هذه الأفكار، وعاد الى التمسك بعقيدة الأمة من بعث ونشور جسدي وروحي، والى التمسك بشريعة الاسلام، والالتزام بالفروض والواجبات، وأداء الشعائر.

ونرى تأثر (ابن سينا) في اواخر حياته بالصوفية، واتصاله بهم، حتى ان وصيته التي ذكرنا طرفا منها لتلميذه وصديقه (أبي سعيد بن ابي الخير الصوفي) تدل على ذلك دلالة واضحة، فهو يأمره باستحضار الله، جل وعلا، في كل لحظة من لحظات حياته، والى التفكير في مخلوقاته، والتدبر في آياته ويأمره بتنزيه الله تعالى ولا يشغل سره الا بذكره، ولا فكره الا باجتلاء آياته، ولا يأنس الا به، ولا يجعل لذته الا فيه، ثم يأمره برحمة المخلوقات وبخاصة منهم المؤمنين، ويأمره بالصلاة والصيام والبر والصدقة، واحتمال الأذى، والصبر على المكاره، والبعد عن الرياء والسمعة والعجب، واخلاص النية، مما نراه في كتب الصوفية

والرقائق، مثل كتاب (احياء علوم الدين) للغزالي، وكتاب (تنبيه الغافلين) للسمرقندي، و(عوارف المعارف) للسهروردي، و(الرسالة القشيرية)، وكتب الشيخ عبدالقادر الجيلاني..

وخلاصة القول في هذا العبقري، الذي كان أشهر وأعظم أطباء القرون الوسطى وأوسعهم علماً وفلسفة، انه تحول في أواخر أيامه من الفلسفة الى الشرع الحنيف، والالتزام به بل الى نوع من الزهد والتصوف أيضاً..

وفي أواخر أيام حياته أصيب (ابن سينا) بالقولنج (التهاب الامعاء الغليظة) واشتد عليه المرض، لتنقله بين (همذان) و(أصبهان)، وهو مريض، وقد ضعفت صحته، وكان يعالج نفسه، فلما رأى أن العلة قد اشتدت به - ترك التداوي، وقال (ان المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فما بي حاجة للمعالجة).

ويقال أنه اغتسل وتاب، وتصدق بماله على الفقراء، ورد المظالم الى أهلها، واعتق مماليكه، وعكف بقية حياته على قراءة القرآن الكريم، وكان يختمه مرة كل ثلاثة أيام واستمر على هذا الحال حتى توفي بهمذان، في شهر رمضان ٤٣٢ هـ (١٠٣٦ م) وذلك يؤكد ما ذهبنا اليه من أن (ابن سينا) كان في أول أيامه فيلسوفا الهيا (أي يؤمن بالله الواحد الأحد، على طريقة الفلاسفة الاغريق الالهيين، مثل سقراط، وأرسطو، وأفلاطون (وأفلوطين) وكان التزامه بالشرع أول الأمر ضعيفا، وله آراء جعلته يتهم بالمروق والالحاد، وهي الآراء التي راجت بين فلاسفة المسلمين، من انكارهم لعذاب القبر، ولبعث الأجساد..

ولكننا نرى (ابن سينا) يعود في أواخر أيامه الى القرآن الكريم، فيرتشف منه، والى الصلاة، فيجد فيها ملاذه، والى البر والصدقة، والى نوع من الزهد والتقشف والتصوف ويكون له العديد من الأصدقاء من

الورعين المتصوفين، حتى نراه في وصيته لصديقه وتلميذه (أبي سعيد الصوفي) وقد لبس مسوح الزهاد من الصوفية الاتقياء، وهو يدعوه الى ان يجعل الله امامه في سره وعلنه، والى التمسك بالصيام والصلاة، والى البر والصدقة، والى ترك الرياء والعجب والى نبذ المماراة والجدل، والى عدم الاهتمام بالحياة الدنيا الا من حيث كونها مزرعة للآخرة الى آخر ذلك الكلام العجيب الذي لا يتصور صدوره من شخص لا يؤمن ببعث الأجساد، وينكر الشرائع.

* * *

مما تقدم من ترجمة بعض أعلام (بخارى) مثل الامام البخاري، وأساتذته، وترجمة الشيخ الرئيس (ابن سينا) يتضح لك أن (بخارى) منذ فتحها المسلمون، لأول مرة، على يد عبيد الله بن زياد، في عهد (معاوية) ثم أعادوا افتتاحها على يد (قتيبة بن مسلم الباهلي) سنة ٨٦ هـ أصبحت عاصمة من عواصم الحضارة الاسلامية، تشع بنورها في الآفاق. بل لا نعدو الحقيقة ان قلنا ان (بخارى) أصبحت تضارع (نيسابور) و(بغداد) و(مرو) و(دمشق) و(القيروان) و(القاهرة) و(أشبيلية) و(غرناطة)، وفي بعض فترات التاريخ كانت (بخارى) تفوقها، حضارة وعلما وأدبا وتجارة وصناعة، وكانت تعرف باسم (بخارى الشريفة التقية) ذكر ذلك المستشرق المجري (فامبري) في كتابه (تاريخ بخارى).

وقد كانت (بخارى) احدى عواصم بلاد ما وراء النهر، منذ أن فتحت، واستمرت على ذلك أيام الأمويين والعباسيين، وفي أيام المأمون - استقل (طاهر بن حسين) قائد (المأمون) بحكم (خراسان) وما وراء النهر، وبقيت في أولاده، ثم ظهرت الدولة السامانية، وكانت عاصمتها (بخارى) فارتقت في عهدهم، وازدهرت ازدهارا كبيراً،

واستمرت على ذلك في أيام الغزنويين، الذين كانت عاصمتهم (غزنة) في افغانستان اليوم.

ثم جاء المغول كالأعصار المدمر، الذي لا يبقي على شيء، فحطم (بخارى) و(سمرقند) و(خوارزم) و(غزنة) واستمر الاعصار المدمر والطوفان المغولي، حتى أغرق (بغداد) عاصمة الخلافة الاسلامية آنذاك في بحور الدماء، على يد (هولاكو). ثم انحسر الطوفان في عين جالوت، وانهزم المغول على يد السلطان (قطز) وقائده (الظاهر بيبرس)، وعادت أمجاد الاسلام، وظهرت دولة السلاجقة، ثم ظهر (تيمورلنك) فجعل قاعدة ملكه (سمرقند) التي كانت تطاول (بخارى) المجد وتنافسها فيه على مر العصور، فازدهرت (سمرقند) وأصبحت عاصمة العالم المعروف - آنذاك - وتوارت (بخارى) قليلا، لتعود بعد انتهاء حكم (تيمورلنك) في عهد الشيبانيين والاشتراخانيين.

وفي القرن الثامن عشر تفككت تلك الدولة، واستقل كل أمير بمنطقة، ودعيت (خانية) فكانت هناك (خانية بخاري) وخانية خوقند و(خانية خوارزم) التي أصبحت تسمى (خيوه) وكانت أكبر هذه الخانيات (خانية بخارى) التي استمرت تقاوم الغزو الروسي القيصري، ولم تسقط مثلما سقطت بقية الخانيات، الا في عام ١٩٢٢ م، عندما هجم عليها الجيش الأحمر بثمانين الف جندي مسلحين بأحدث الأسلحة، فاحتلوها، بعد أن قتلوا أنور باشا قائد جيشها الصغير.

وقد ذكر المستشرق المجري (ارمينوس فامبري) صاحب كتاب (تاريخ بخارى) الذي ألفه عام ١٨٧٢ م أن (خانية بخارى) كانت على جانب لا بأس به من الحضارة، وان كان قد دب اليها الاضمحلال وكانت هذه الخانية كما ذكر تشمل:

١ - (بخارى) وضواحيها.

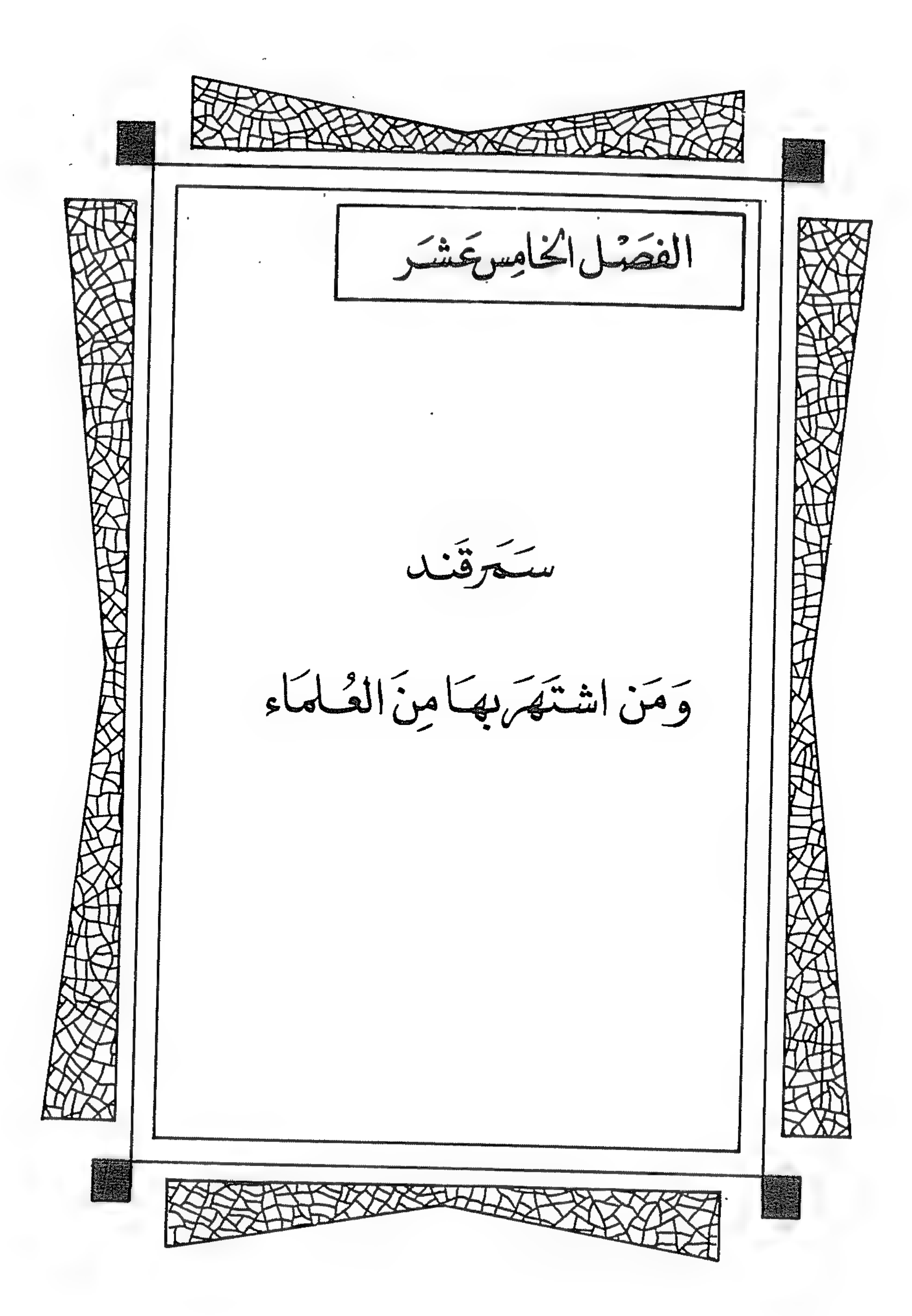
٢ - قضاء (بخارى) من بلدان (وردنزي) و(فقند) و(ورامتان).
٣ - (ميان كل) وقصبتها (كرمينية).
٤ - (كتة كورغان).
٥ - (حصار) مع (شيرآباد).
٦ - (سمرقند) وما حواليها من مدن وقرى.
٧ - (قارش) مع (فيض آباد).
٨ - (جهار جوي).
٩ - (قراقول) مع بيتك والجيك.

وكانت هذه المناطق سابقا تدعى بالصغد، ويمر فيها نهر يعرف بنهر الصغد، ويسمى الآن (زرفشان).

وظهر من المدن والقرى المحيطة ببخارى والتابعة لها كثير من العلماء والافذاذ، ومن ذلك مدينة (بيكند) ثاني مدن (بخارى) التجارية، والتي تبعد عن بخارى بأربعة وأربعين كيلو مترا. وتقع على طريق (أمل) ومرو والتي كانت ذات ثراء واسع.

وفي هذه المدينة ظهر المحدث المشهور (محمد بن سلام البيكندي) أستاذ الامام (البخاري) وصاحب المصنفات العديدة، في علوم الحديث (ولد سنة ١٦٠ هـ - وتوفي سنة ٢٢٥ هـ). ومنها ظهر المحدث (أبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو بن علي السليماني البيكندي). الذي عد محدث عصره (توفي سنة ٤١٢ هـ - ١٠٢١ م) وله أكثر من أربعمائة مصنف،أغلبها في علوم الحديث..ومنها -أيضاً -ظهر (محمد بن أحمد البيكندي) أحد علماء الكلام، الذين عرفوا بالاعتزال، وتولى القضاء في حلب، ثم دخل بغداد، وتوفي بها ٤٨٢ هـ - (١٠٨٩ م) وله عدة مؤلفات، منها (الهدى والرشاد) (وتحقيق الرسالة بأوضح الدلالة) (والرسالة المسعودية) وغيرها...

وفيما يلي - ان شاء الله - سنتناول بالحديث مدينة (سمرقند) ومن ظهر بها من العلماء الافذاذ، وفحول الرجال...



الفصل الخامس عشر

سمرقند

ومن اشتهر بها من العلماء

مدينة (سمرقند) ذات التاريخ المجيد، والمجد الباذخ، وعاصمة ملك (تيمورلنك) الذي امتد فشمل معظم أرجاء العالم القديم - آنذاك - فتحتها جيوش المسلمين، لأول مرة سنة ٥٦ هـ - في عهد (معاوية بن أبي سفيان) تحت قيادة (سعيد بن الخليفة الراشد عثمان بن عفان).

وممن استشهد في تلك المعركة (قثم بن العباس) ابن عم النبي - ﷺ فأقام له أهل (سمرقند) بعد أن أسلموا مزاراً ومشهداً عظيماً، يقال له (مزار شاه زندة) أي مزار السلطان الحي، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

ثم اعاد فتحها (قتيبة بن مسلم الباهلي) عندما نكث أهلها العهد، الذي أعطوه لسعيد بن عثمان، وذلك سنة ٨٧ هـ. وصالح أهلها، على ان للمسلمين ما في بيوت النار (وهي معابد أهل ما وراء النهر، لأنهم مجوس، ويقول (فامبري) المستشرق المجري ان المجوسية نشأت أولا في بلاد ما وراء النهر، ثم زحفت الى فارس..

وأخذ (قتيبة) حلية الأصنام، وأمر بإحراق الأصنام، فقال سدنتها: ان فيها أصناما من أحرقها هلك، فقال (قتيبة) أنا أحرقها بيدي، فأحرقها، وأخذ ما عليها من حلى وذهب، فوزنه فوجده خمسين ألف مثقال، ووجد صنما عجيبا، له عينان من جوهر ثمين، يشع اشعاعا قويا، وكل جوهرة في حجم بيضة الحمام، فأخذها، وأرسلها الى الحجاج في العراق.

(وسمرقند) هي عاصمة اقليم الصغد على مرتفع تنصب إليها الجداول من نهر يسمى زرفشان (نهر الصغد ومن مساقط المياه في الجبال)..اختلف المؤرخون في من بناها أول مرة قيل انها من أبنية ذي

القرنين، وقيل بل بناها (الاسكندر المقدوني) وقيل بل ملك الصين، وهي - على أي حال - مدينة قديمة، ذكرها الإغريق باسم (مركندا).

وكان التنافس بين (بخارى) و(سمرقند) يشتد حينا ويفتر حينا، فتارة تكون (بخارى) هي عاصمة جميع بلاد ما وراء النهر، وتارة (سمرقند)، وكانت (بخارى) تقع على الطريق التجاري (طريق الحرير) من الصين الى الامبراطوريتين الفارسية والرومانية، ثم بعد ظهور الاسلام بين بلاد الصين، وبلاد المسلمين الواسعة غرب نهر جيحون (من خراسان الى فارس والعراق والشام حتى اسبانيا) فاشتهرت بخارى بموقعها التجاري، واشتهرت (سمرقند) بطيب هوائها وسحر جمالها. وكانت (سمرقند) عاصمة ما وراء النهر حتى جاء السامانيون، في العهد العباسي (٢٦١ هـ الى ٤٣١ م) فجعلوا عاصمتهم بخاري وفي عهدهم بلغت بخارى شأوا بعيدا في الحضارة. ثم سيطرت الدولة الغزنوية على يد (محمود بن سبكتكين) وأولاده، وكانت العاصمة آنذاك - غزنة (في أفغانستان) ثم عاد الأمر الى (خوارزم) عند قيام الدولة الخوارزمية وجاء جنكيز خان فخربها جميعا، ثم ظهر (تيمورلنك) وجعل عاصمته (سمرقند) وفي أيامه بلغت (سمرقند) عهدها الذهبي..

وبانتهاء عهد التيموريين عادت (بخارى) لتحتل الصدارة، ومع هذا ظلت (سمرقند) تنافسها على مدار التاريخ، وهي تفوقها جمالا وبهاء وروعة، وتجري تحت أسوارها الجداول، التي تصب من الجبال المجاورة صوب السهل المنبسط، تحت أسوار (سمرقند)، وقد وضع أهل (سمرقند) خزانا ضخما يتحكم في هذه المياه، مكونا بحيرة كبيرة، تحيط بها القرى مما جعل المسافر يسير فيها أياماً وليالي في جنات وارفة الظلال، ملتفة الاغصان. وقد وصفها كثير من الكتاب والرحالة المسلمين والغربيين، حتى في أيام أفولها، وذكروا محاسنها، وطيب هوائها، وحسن معشر أهلها، وكرمهم، وممن فعل ذلك الرحالة الاسلامي المشهور (ابن بطوطة)

والرحالة الايطالي ذائع الصيت (ماركو بولو) الذي كان أول أوروبي يزور الصين والشرق الاقصى، ووصف عجائب (سمرقند) ووصفها (ياقوت الحموي) في (معجم البلدان) بما يلي:

«واستدارة حائطها اثنا عشر فرسخا[1] وفيها بساتين ولها اثنا عشر بابا، الباب الى الباب فرسخ وعلى أعلى السور أزاج وأبرجه للحرب، وبين كل بابين منزل للنواب، فاذا جزت المزارع صرت الى الربض، وفيه أبنية وأسواق، وفي ربضها من المزارع عشرة الآف جريب. (الجريب ٤١٦سم و١٣٦٦ متر مربع كما في تحقيق الإيضاح لإبن الرفعة) ولهذه المدينة (أعني الداخلة) أربعة أبواب ومساحتها ألفان وخمسمائة جريب، وفيها المسجد الجامع والقهندز، وفيه مسكن السلطان، وفي هذه المدينة نهر يجري في رصاص وهو قد بني عليه مسناة عالية من حجر يجري عليه الماء الى أن يدخل المدينة من باب كش ووجه هذا النهر رصاص كله، وقد عمل في خندق المدينة مسناة، وأجري عليها، وهو نهر يجري في وسط السوق بموضع يعرف بباب الطاق، وكان أعمر موضع بسمرقند، وعلى حافات هذا النهر غلات موقوفة على من بات في هذا النهر يحرسه ويحفظه من المجوس».

«وفي المدينة مياه من هذا النهر عليها بساتين، وليس من سكة (شارع) ولا دار الا بها ماء جار الا القليل، وقلما تخلو دار من بستان، حتى انك اذا صعدت قهندزها (وفيه قصر السلطان على مكان مرتفع) لا ترى أبنية المدينة لاستتارها عنك بالبساتين والأشجار، فأما داخل سوق المدينة الكبيرة ففيه أودية وأنهار وعيون وجبال وعلى القهندز باب حديد من داخله باب آخر حديد».

ثم قال: «وقالوا ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند وقد شبهها حصين بن المنذر الرقاش، فقال: كأنها

(١) الفرسخ ثلاثة أميال.

السماء للخضرة، وقصورها الكواكب للإشراق، ونهرها المجره للإعتراض، وسورها الشمس للاطباق، ووصفها كثير من الشعراء، ووصفها أحمد بن واضح فقال:

أليس أبراجها معلقة
بحيث لا تستبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها
عميقة ما ترام من ثغر
كأنها وهي وسط حائطها
محفوفة بالظلال والشجر
بدر وأنهارها المجرة وال
آطام مثل الكواكب الزهر

وقال البستي:

للناس في أخراهم جنة
وجنة الدنيا سمرقند

وللأسف، فقد اضمحلت (سمرقند) (وبخارى) عندما دخلها الروس البلاشفة، عام ١٩٢٢ وجعلوا العاصمة (طشقند) بعد أن استعصت عليهم (سمرقند) سنة ١٩٣٠م وقد وصفها كثير ممن زارها بأنها مدينة حزينة قابعة تجتر همومها، منذ أن دخلها المستعمر الروسي البغيض، الذي حطم كثيراً من معاهدها ومساجدها. وقد وصفها بارتولد في كتابه الموسوعي التركستان فقال (بتصرف واختصار) «لقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أولى مدن ما وراء النهر قاطبة حتى في تلك العهود التي كانت فيها بخارى عاصمة للبلاد كما حدث في عهد السامانيين.. وهذه المكانة التي نالتها سمرقند انما ترجع قبل كل شيء الى موقعها الجغرافي الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة

من الهند مارة ببلخ ومن ايران مارة بمرو ومن أراضي الترك كما ان ما امتازت به المنطقة من خصب فوق المألوف جعل من الميسور لعدد هائل من السكان ان يجتمعوا في بقعة واحدة.. غير أن سمرقند لم تشتهر بذلك الإمتداد الذي عرف عنها في عهد السامانيين.

«ويقول النسفي أن سمرقند عند مجيء قتيبة بن مسلم الباهلي لافتتاحها كان قد مر على بنائها الفان ومائتان وخمسون عاما».

«وأقدم وصف لسمرقند الاسلامية لإبن الفقيه الهمداني يحدد طول سور سمرقند باثني عشر فرسخا وبه اثنا عشر بابا من الخشب كما كان خلف كل بابا باب آخر ذو مصراعين وبين البابين تقوم منازل البوابين. وعلى السور أربعمائة وخمسين برجا.. وفي كل برج ثلة من الجنود لحراسته».

«وكانت أرباض المدينة (أي ضواحيها) تشغل مساحة ستة الاف جريب (الجريب[1] **حوالي ١٣٦٦ متراً مربعاً**).. أما المدينة فقد كانت تشغل خمسة الاف جريب.. أما المدينة الداخلة المعروفة بالشهرستان فهي ٢٥٠٠ جريب.. وبها المسجد الجامع والقلعة (القهندز) ومقر الإمارة».

«وتختلف قلعة بخارى حيث انها خارج المدينة بينما قلعة سمرقند داخل المدينة». وكان الماء يدخل الى المدينة عبر خندق من باب كش عند رأس (الطاق) الذي كانت توجد به الاسواق الرئيسية. وقد حطم جنكيز خان سمرقند كما حطم غيرها من المدن الاسلامية.. ولكن سمرقند اعيد بناؤها بعد ذلك.. وتقع اطلال المدينة القديمة فيما يعرف بافراسياب الواقعة شمال المدينة الحالية.

---

(١) أورد ذلك محقق كتاب الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان.

« وكانت البساتين تشغل شطراً كبيراً من مدينة سمرقند وكان كل منزل يضم بستانا.. وكان الناظر الى المدينة من القلعة لا يستطيع رؤية مبانيها لاستتارها بالأشجار ».

« ويذكر المؤرخ الصيني (تشان شن) ان سكان المدينة كانوا حوالي مائة الف أسرة وذلك قبل استيلاء جنكيز خان عليها. وكان سكانها في عهد السامانيين قد جاوز النصف مليون كما يقول بارتولد وكانت شوارع المدينة مرصوفة بالحجارة.. أما مبانيها فهي مشيدة من الطين والخشب وكان أكثر أسواق المدينة بالربض (في الضاحية) قرب باب كش.. وكان يوجد بالمدينة والربض أكثر من ألفي موضع يمكن ان يستقي الناس منها الماء المثلج بالمجان مما يصرف عليه من الوقف.. وكان الماء يحفظ بطرق مختلفة من بين سقاية مبنية وحباب نحاس منصوبة وتلال خزف مثبتة في الحيطان مبنية ».

ويصف ابن حوقل تماثيل للحيوانات منصوبة في الميادين العامة ويقول « فجعل منها طرائف الحيوان من الافيلة والابل والوحوش المقبل بعضها على بعض كالمتناجية والمطالب بعضها لبعض كالمتقابلة المتعاتبة ».

ومن بين المشاهد والمزارات احتل مكان الصدارة على الدوام قبر قثم ابن العباس ابن عم رسول الله ﷺ الذي جاء الى سمرقند عام ٥٥ هـ (٦٧٥ م) مع سعيد بن عثمان بن عفان والذي استشهد اثناء فتحها.. وهو المزار المعروف باسم مزار شاه زندة (الأمير أو السلطان الحي).

ومنذ ذلك الحين كان ذوو المكانة في المجتمع من الحكام والعلماء والأولياء يقبرون بجوار ذلك القبر الشريف. وقامت حوله مدرسة لتدريس العلوم الدينية. وقد وصفه ابن بطوطة قال: « وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو

المستشهد حين فتحها. ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته.. والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة ويأتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على الوارد وعلى الصادر ولخدام الزاوية.

وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام منها الخضر والسود والبيض والحمر.. وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرصاص.. وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسو الأركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وفرش القبة بالصوف والقطن.. وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك وعلى حافيته الاشجار ودوالي العنب والياسمين وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر »..

وكان يتبع ولاية سمرقند اثنا عشر رستاقا ستة منها جنوبي نهر زرفشان (أي نهر الصغد) وستة شمال النهر.. وكلها مناطق زراعية خصبة. وكان طول الرستاق الواحد مرحلتين وتمتد مساحة قراه نحو فرسخين. وكانت لمعظم الرساتق قنوات من النهر لسقايتها بانتظام واشتهرت هذه الرساتيق بمختلف اشجار الفاكهة وبانتاج اللوز والجوز.. وكانت بعض هذه الرساتيق مركزا لتجمع بعض القبائل العربية فقد نزل أبو مزاحم سباع بن النضر من قبيلة بكر بن وائل في مدينة وذار وبنى بها مسجداً جامعاً في القرن الثالث الهجري.. وتكاثر اولاده بها حتى أصبحت معروفة بهم. وفي وذار كانت صناعة الانسجة القطنية التي اشتهرت حتى طلبت بالعراق.. وقد اثنى عليها ابن حوقل كثيرا. أما الطريق التي تصل بين سمرقند وبخارى والتي تعرف باسم (الطريق الملكي) فقد كانت على الدوام ذات أهمية كبرى وتبلغ ٣٧ فرسخا.. وتقع على هذا الطريق مجموعة من القرى والمدن مثل (دبوسية وكرمينية

وطواويس) وقد آخذت طواويس اسمها العربي سنة ٩١ هـ (٧١٠ م) عندما أبصر العرب الطواويس المنتشرة في هذه القرية. أما الإسم القديم فهو ارفود الذي كان به معبد للنار فأبدله المسلمون بمسجد جامع. وقد ذكر بارتولد اسماء عشرات القرى والمدن الصغيرة التابعة لسمرقند ومنها قزية **خرتنك** التي بها قبر الامام محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح.

وقد نبغ من (سمرقند) على مدار التاريخ الاسلامي كثير من العلماء والادباء.. منهم (**محمد بن عدي بن الفضل (أبو صالح)** السمرقندي نزيل مصر المحدث المشهور، سمع من محدثي عصره في دمشق ومصر وغيرها، وسمع منه جم غفير من العلماء، ومات عام ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) ومنهم (**أبو بكر أحمد بن عمر بن الأشعث السمرقندي**) سكن دمشق مدة، وكان يكتب بها المصاحف من حفظه، واشتهر بقراءته للقرآن وتعليمه اياه، وسمع من محدثي دمشق، وسمع منه جماعة، وتوفي سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م). ومنهم (**أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي**) إمام الهدى العلامة، من أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين له تصانيف نفيسة، مثل (تفسير القرآن الكريم) و(عمدة العقائد) و(بستان العارفين) وهو في التصوف و(تنبيه الغافلين) في المواعظ والرقايق، و(خزائن الفقه في الفقه) و(شرح الجامع الصغير) في الفقه أيضاً (وعيون المسائل) وهو مجموعة فتاوى فقهية (والنوازل من الفتاوى) و(دقائق الاخبار في بيان أهل الجنة والنار) و(مختلف الرواية في الخلافيات بين الأئمة ابي حنيفة ومالك والشافعي) (والرسالة في أصول الدين) وكانت وفاته سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م).

ومنهم (**شمس الدين السمرقندي**) فيلسوف وأديب، ألف رسالة في آداب البحث المعروفة بآداب السمرقندي، وهي توضح كيفية البحث

والمناظرة (وقسطاس الميزان) في المنطق، توفي سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م). ومنهم (أبو القاسم السمرقندي) توفي سنة (٥٥٦ هـ - ١١٦١ م) وهو (محمد بن يوسف بن محمد العلوي الحسني السمرقندي) فقيه حنفي، وعالم بالتفسير والحديث والوعظ، من أهل سمرقند، حج سنة ٥٤٢ وأقام في عودته ببغداد، ومات بسمرقند. له تصانيف كثيرة منها (الفقه النافع) و(جامع الفتاوى) و(الملتقط) في الفتاوى الحنفية (وبلوغ الارب من تحقيق استعارات العرب) و(رياضة الاخلاق). و(مصابيح السبل) في فروع الحنفية.. ومنهم (نجيب الدين السمرقندي) توفي سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) وهو (محمد بن علي بن عمر السمرقندي) عالم بالطب، استشهد في هراة (في أفغانستان اليوم) لما دخلها التتار، من كتبه (النجيبيات) في الطب (والأسباب والعلامات) في الطب - أيضاً - و(أصول تركيب الادوية) و(قوانين تركيب الأدوية القلبية) و(رسالة في مداواة وجع المفاصل) و(مقالة في كيفية تركيب طبقات العين) و(أغذية المرضى) و(الأغذية والأشربة للاصحاء) و(الصناعة) المقصود الطبية، و(غاية الاغراض في معالجة الامراض). ومنهم (محمد بن أحمد السمرقندي) توفي ٥٧٥ هـ - (١١٨٠ م) من أهل (سمرقند) فقيه حنفي، من كتبه (تحفة الفقهاء) في الفروع. ومنهم (علاء الدين السمرقندي) توفي سنة (١١٤٥ م) فقيه مشهور، له كثير من الفتاوى وله كتاب (تحفة الفقهاء اشتهرت معه ابنته (فاطمة) وكانت فتاواه تخرج وعليها خط (فاطمة) وخط أبيها. ومنهم (العلاء الاسمندي السمرقندي) مولده سنة ٤٨٨ هـ - (١٠٩٥ م) وفاته (٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م) وهو (محمد بن عبد الحميد بن الحسين الأسمندي السمرقندي) و(أسمند) احدى قرى (سمرقند) وهو فقيه حنفي مناظر، من فرسان الكلام رحل الى بغداد، وناظر علماءها واشتهر هناك، وله عدة كتب، منها (مختلف الرواية) في الفقه، و(التعليقة) في الفقه ايضا - (وبذل النظر) في أصول الفقه،

(والهداية) في أصول الاعتقاد، وله تفسير للقرآن الكريم ومنهم **(أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي)** امام زمانه في الحديث، ولد في (سمرقند) سنة ٤٠٩ هـ (١٠١٨ م)، واستوطن (نيسابور)، وله (بحر الاسانيد في صحاح المسانيد) جمع فيه مائة الف حديث قال عنه (الذهبي):(لم يقع في الاسلام مثله) وتوفي سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) ومنهم **(ابو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي)** وهو من أئمة علم الكلام والعقائد وهو عند الاحناف بمنزلة **(أبي الحسن الأشعري)** عند الشافعية، فقيه حنفي متكلم، رد على القرامطة والمعتزلة وألف في ذلك كتباً كثيرة منها (أوهام المعتزلة) (الرد على القرامطة) وكتاب (التوحيد) و(مأخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل) وكتاب (تأويلات القرآن) وشرح كتاب (الفقه الاكبر) المنسوب للإمام (أبي حنيفة) نسب الى (ماتريد) وهي محلة (حي) بسمرقند، التي ولد بها، وتوفي سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) ومنهم **(عبد الرحمن بن محمد الادريسي الاستراباذي السمرقندي)** مولده ووفاته بسمرقند محدث (سمرقند) في عصره ومؤرخ مشهور، له تصانيف كثيرة، منها (تاريخ سمرقند) و(تاريخ استر آباذ) وهي موطن أبيه، وهي أيضاً من بلاد ما وراء النهر، توفي سنة ٤٠٥ هـ - (١٠١٥ م) **(ومنهم أبو الحسن علي بن الحسين الصغدي (السغدي)** أصله من اقليم(الصغد) قصبته سمرقند فقيه حنفي (انتهت اليه رئاسة الحنفية، سكن (بخارى) وولي بها القضاء ومات في (بخارى) سنة ٤٦١ هـ - (١٠٦٨ م)، وله (شرح الجامع الكبير) و(النتف) في الفتاوى.

وقد اشتهر من الاطباء، الذين ينسبون الى (سمرقند) **(بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي) الذي قال عنه** (ابن أبي أصيبعة) في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الاطباء) مجيد في صناعة الطب، وله عناية بالنظر في معالجات الأمراض ومداواتها، وله من الكتب: كتاب الاقراباذين، وهو تسعة وأربعون بابا استوعب فيه ذكر

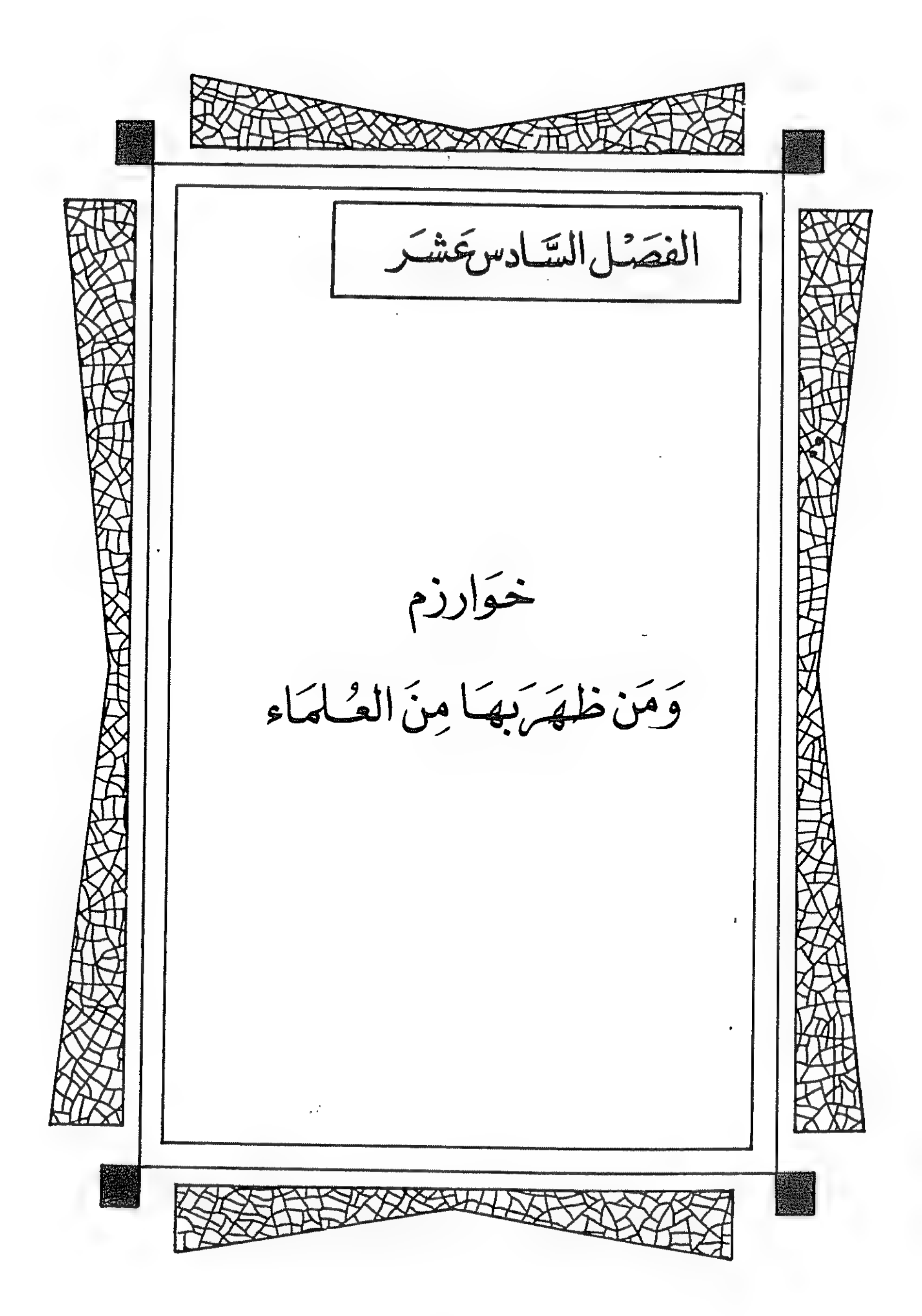
ما يحتاج إليه من الأدوية المركبة..

ومنهم (**نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي**) المتقدم ترجمته، والذي قال عنه (ابن ابي أصيبعة) طبيب فاضل بارع، وله كتب جليلة، وتصانيف مشهورة. وليس المقصود ممن ذكرنا الحصر فإن ذلك لا يتأتى لنا، وانما المقصود هو التنويه بسمرقند وأشهر من أنجبتهم من العلماء والأطباء على مدار التاريخ، وكيف أصبحت - اليوم - مدينة منزوية تدنسها أقدام الملاحدة من الشيوعيين، والروس المستعمرين.

ومن أهل سمرقند **الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي بالولاء الدارمي السمرقندي** (الدارمي نسبة الى دارم بن مالك بطن كبير من تميم). أحد اعلام الحديث وحفاظه صاحب سنن الدارمي المشهورة. انتقل في البلدان لطلب علم الحديث فسمع من مشايخ هذا العلم في خراسان والعراق والحجاز والشام ومصر ثم عاد الى سمرقند وولي القضاء بعد أن حاول أن يمتنع من ذلك.. واستقال بعد أول قضية تعرض عليه.. ونحن نعلم كيف كان علماء هذه الأمة الأخيار ينفرون من ولاية القضاء فقد سجن الإمام ابو حنيفة وضرب ليتولى القضاء للمنصور العباسي. ورفض ذلك رفضا باتا.. كما رفض ذلك الكثير من علماء هذه الأمة.. ذلك لأن الخلفاء كانوا يتدخلون احيانا في شئون القضاء.. وكان بعض هؤلاء العلماء يرى الخلفاء وهم لا يعدلون في أموال المسلمين فيجعلون الفيء مغنما ويحتجزونه لأنفسهم ولولاتهم وأنصارهم من دون الأمة فيرون أن تولي القضاء لهم موافقة لهم على ظلمهم.. فلذا ينفرون من الحكام والخلفاء ويبتعدون عن أبواب السلاطين رغم ما كان عليه كثير من هؤلاء الحكام من صلاح ظاهر..

وكان الإمام الدارمي أحد هؤلاء العلماء الذين يفرون من تولي

القضاء ويتفرغون لنشر العلم وتدريسه. فكان أحد أعلام علم الحديث في عصره (ولد سنة ١٨١هـ وتوفي سنة ٢٥٥هـ بمرو أي ٧٩٧م وتوفي ٨٦٩م) له (المسند) في الحديث (والجامع الصحيح) المشهور باسم سنن الدارمي وكتاب (التفسير) في تفسير القرآن الكريم.



الفصل السادس عشر

خوارزم
ومن ظهر بها من العلماء

تعْريف خوارزم وَجُغرافيتها

يطلق اسم (خوارزم) - أساساً - على المنطقة الواقعة على نهر (جيحون) (أموداريا) الأسفل، وتجاورها - شرقاً - بلاد الصغد (وقصبتها سمرقند)وجنوباً صحراء الغز،(والغزقوم من الترك بدو جفاة) ثم (خراسان) التي تقع جنوب صحراء الغز، وفي الجنوب الشرقي تقع (جرجان) و(جرجان تفصل بين طبرستان وخراسان)، وفي شمالها الشرقي تقع (بحيرة الأرال) وتدعى - أيضاً - (بحيرة خوارزم).

وقد كانت عاصمة (خوارزم) تدعى (الجرجانية) وهي تحريف عربي لاسمها التركي (كركانج) وتدعى أيضاً أوركانج كما يطلق على أهلها - أيضاً - اسم (كركانج)، ويطلق عليها - أيضاً - اسم (خوارزم) ومما تقدم نرى أن اسم (خوارزم) يطلق على ثلاثة أشياء:

١ - اقليم من التركستان يقع في شمالها الغربي، ويعد أقصى مواطن الترك في آسيا الوسطى نحو الغرب.

٢ - العاصمة (كركانج) التي تقع على الفرع الأيسر لنهر جيحون.

٣ - بحيرة (الأرال) التي يصب فيها النهران العظيمان (سيحون) و(جيحون) ومساحة هذه البحيرة ٦٧,٠٠٠ كم مربعاً وبها عدة جزر وصفها بدقة ابن حوقل والمقدسي وكان ابن رسته اول من وصفها دون ان يذكر اسمها وقال ان محيطها ٨٠ فرسخاً وياقوت والمسعودي والاصطخري وسماها بحر الحدود وكانت كما ذكر المسعودي تتصل ببحر الخزر (قزوين) ولكنها في

العهود الاخيرة نتيجة التغييرات الجيولجية لم تعد تتصل ببحر الخزر وسماهـــــــا الروس بحر الأرال أي البحر الأزرق لأن ميـاههـا زرقـاء داكنـة وأنشأ الروس بهـا قلعـة سنـة ١٨٤٧ م وجعلوا فيها اسطولاً صغيرا عام ١٨٥٣ م جعلوا قاعدته في ارالسك على المجرى الأسفل لنهر جيحون وأصبح بحر الأرال روسيا بعد احتلال خيوه (خوارزم) سنة ١٨٧٣ م وأوصلت بخط حديدي سنة ١٩٠٦ م الى اورنبرغ وطشقند. ويتبع الآن بحر الأرال الجنوبي جمهورية اوزبكستان اما الجزء الشمالي فيتبع جمهورية قازاقستان ويشتهر بحر الأرال بكثرة أسماكه ويستخرج منه ثروة سمكية هائلة.

وقد كان يسكن (خوارزم) اقوام من الترك يدعون (التركمان) وهم أقوام أشداء مقاتلون من الطراز الأول، ومنهم ظهر الأتراك السلاجقة، والأتراك العثمانيون، كما كان يسكنها (الاوزبك) وهم - أيضا - قوم من الترك، غلبوا عليها، وعلى ما حولها، حتى ان (خوارزم) والصغد (وقصبتها سمرقند) و(بخارى) وما حولها أصبحت - جميعاً - تعرف، اليوم، بأوزبكستان وكان فيها - أيضاً - قوم ينتمون الى أصول ايرانية، يدعون (السارت).

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي توقف نهر (جيحون) عن امداد فرعه الأيسر، الذي يروي (أوركانج) (العاصمة) وبدأ يصب مياهه كلها في (بحيرة أرال) وظهرت في دلتا (جيحون) عاصمة جديدة، هي خيوه وأصبحت (خوارزم) كلها تعرف بخانية (خيوه).

وحتى عام ١٨٤٠ م كانت (خانية خيوه) تشمل منطقة واسعة، تمتد من (مرغاب) الى ضفاف المجرى الأدنى لنهر (سيحون) (سرداريا)، ولكن

حدود هذه الخانية بدأت في التقلص، بسبب الحروب الأهلية بين (التركمان) و(القازاق) وتقلصت بصورة كبيرة، عندما سقطت خيوه العاصمة بيد القياصرة الروس عام ١٨٧٣م، ومع هذا استمرت (خانية خيوه) بدون خيوه واستعادت اسمها القديم (خوارزم) ثم انتهت تماماً بالاحتلال الروسي الشيوعي عام ١٩٢٤م، بعد أن أتمت قوات الجيش الأحمر اخضاع (بخارى) عام ١٩٢٢م.

وتلاشت - عندئذ - (خوارزم) والحق جزء كبير منها بجمهورية (أوزبكستان) الاشتراكية السوفيتية وألحق الباقي بجمهورية (تكرمنستان)، ولا تزال ترزح، مثل غيرها من مناطق التركستان، تحت الاستعمار الروسي الشيوعي - الى الآن. وقد وصف خوارزم ياقوت الحموي في كتابه القيم (معجم البلدان) عندما زارها سنة ٦١٦هـ فقال انه لم يجد ولاية أكثر عمراناً منها على الرغم من رداءة طقسها، في الشتاء القارس وذكر أن أكثر أشجارها التوت، الذي يربي عليه أهلها دود القز، الذي يجمعون من شرانقه الحرير (الأبريسم) الذي كان ينافس الى حد ما حرير الصين. ووصف ياقوت عاصمتها كركانج التي تقع على نهر جيحون قائلاً: (ما اظن انه كان في الدنيا لمدينة خوارزم نظير في كثرة الخير، وكبر المدينة، وملازمة أسباب الشرائع) لأن أهلها كانوا من أشد الناس تمسكا بالدين، وآدابه، وشرائعه، وقد دمرها (جنكيزخان) تدميراً كاملاً، بعد عامين من زيارة (ياقوت) لها، وذلك عام ٦١٨هـ (١٢٢٢م) وقال عن أهلها انهم فقهاء أذكياء علماء «والمعيشة عندهم موجودة وأسباب الرزق غير مفقودة».

وقد وصف (ياقوت) شتاءها وشدته، وكيف يجمد بها نهر جيحون، الى عمق ثلاثة أشبار (حتى تسير عليه القوافل والعجل الموقرة ذاهبة وآتية عليه) وقال انهم اذا أرادوا الماء حفروا في الثلج لعمق ثلاثة

أشبار، وربما خمسة، حتى يحصلوا على الماء تحت الثلج. وقال ان جيحون يبلغ عرضة عند (الجرجانية) ميلا واحدا، ووصفه، وهو كله ثلج جامد تسير عليه العجلات، وبأن من أراد أن يشرب الماء يتجمد الماء قبل ان يصل فاه، واذا أراد الكتابة وجد المداد قد تجمد، فيضطر الى تسخينه، وهكذا مضت الأشهر الثلاثة، التي قضاها فيها، اثناء الشتاء القارس، التي دون فيها كثيرا من الملاحظات القيمة. و(الجرجانية) غير مدينة (جرجان) الواقعة بين (طبرستان) و(خراسان) غرب نهر (جيحون) وقد علّق ياقوت على رسالة ابن فضلان الذي بعثه الخليفة المقتدر بالله الى البلغار فمر على خوارزم ووصفها وصفا فيه شيء من المبالغة مثل أن الماء يجمد الى تسعة عشر شبرا فأنكر ذلك ياقوت عليه.

مدن خوارزم

وكانت **كركانج أو الجرجانية أو اركنج** تقع على مسافة فرسخ من المجرى الرئيسي لنهر جيحون (أموداريا) بالقرب من مصبه في بحيرة خوارزم (بحر الأرال). وكانت كركانج أهم مدن بلاد ما وراء النهر في عهد الدولة الخوارزمية القوية التي ظهرت في القرن الخامس الهجري. وانتهت بهجوم جنكيزخان عليها عام ٦١٨ هـ التي قضى عليها قضاء مبرماً.

وكانت كركانج قصبة خوارزم ومدينتها العظمى كما قال ياقوت.. وكركانج في الواقع مدينتان متصلتان صغرى وكبرى وقد اعتبرها ياقوت أعظم وأثرى مدينة رآها في حياته عندما زارها قبيل الغزو المغولي وذلك سنة ٦١٦ هـ. (نهاية سنة ١٢١٩ وبداية سنة ١٢٢٠ م).. اذ كانت الدولة الخوارزمية في ذلك العهد أقوى دولة في العالم الاسلامي وترد اليها خزائن البلاد المفتوحة.

وقد كان لكركانج أربعة أبواب وكانت مياه القنوات التي تصلها

بجيحون تصل الى ابواب المدينة دون أن تدخلها.. وفيها قصر للمأمون محمد أمير كركانج كان في غاية الجمال والصنعة.. وقد تلقب المأمون هذا بلقب خوارزمشاه بعد أن أخضع مناطق خوارزم لحكمه وذلك سنة ٤٥٨ هـ (٩٩٥ م).

وكانت كركانج في عهد السامانيين أقل شأنا من مدينة كاث ولكنها لم تلبث أن فاقتها بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الخوارزمية.. وبذلك أصبحت أهم وأعظم وأثرى بلاد ما وراء النهر وان لم تكن انزه ولا أنظف بلاد ما وراء النهر بل على العكس من ذلك انتقدها كل من زارها من المؤرخين المسلمين لقذارتها وعدم نظافتها.

وقد اشتهرت من مدن خوارزم مدينة **(كاث)** الواقعة على الضفة الشرقية للفرع الرئيسي لنهر جيحون على بعد مراحل من خيوه. وقد كانت (كاث) هي الوحيدة من مدن خوارزم الواقعة شرقي النهر لأن جميع مدن خوارزم الأخرى تقع غربي النهر..

ولفظ كاث بلغة خوارزم كما يقول ياقوت (هو الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء..) وبين كاث ومدينة كركانج عشرون فرسخا.. وقد كانت كاث هي عاصمة اقليم خوارزم قبل قيام الدولة الخوارزمية وكانت في عهد السامانيين أعظم شأناً من كركانج.

وعند الفتح الاسلامي كانت كاث تتكون من ثلاثة أقسام كان أحصنها موضع القلعة المعروفة باسم فبر التي وصفها البيروني بقوله (فبر قلعة على طرف مدينة خوارزم (كاث) مبنية من طين ولبن.. ثلاثة حصون بعضها في بعض متوالية في العلو وفوق جميعها قصور الملوك). ويمكن رؤية القلعة من بعد عشرة اميال وأكثر.. وفي القلعة وما حولها قصر لخوارزمشاه والمسجد الجامع والحبس.. وكان يشق المدينة قناة تقوم السوق على جانبيها وكان طول المدينة ثلث فرسخ وعرضها مثله.

ووصفها المقدسي بقوله: «كاث يسمونها شهرستان وهي على الشط (أي شط جيحون) نحو نيسابور (في اتساعها) وهي شرقي النهر.. لها جامع في وسط الأسواق على أساطين حجارة سود الى قامة ثم فوقها سواري الخشب.. ودار الامارة في وسط البلدة ولهم قهندز (أي قلعة) قد خربه النهر.. ولهم أنهار في البلد.. وهو نفيس ذو علماء وأدباء ومياسير وخيرات وتجارات.. وبناؤون حذاق وقراء ليس مثلهم بالعراق وحسن نغم وجودة قراءة ومنظر وخبر الا انها في كل حين يغلب عليها النهر ويتأخرون عن الشط».

وقد خربها جيحون عدة مرات حتى ضعفت مكانتها واصبحت كركانج العاصمة بدلاً عنها. وقد خربها المغول ايضا في غزوهم المدمر سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٢ م).

ومن مدن خوارزم الهامة **خيوه** التي اصبحت أكبر مدن خوارزم في العصور المتأخرة وخاصة بعد أن تحول مجرى نهر جيحون عن كركانج في القرن السادس عشر الميلادي فقامت خيوه عند مصب النهر الجديد وعظمت مكانتها حتى أصبحت هي العاصمة لهذا الاقليم.. وقامت خانية خيوه وشملت معظم أراضي خوارزم وما حولها.. ولمّا اعترى الضعف هذه الخانيات استولى عليها الروس سنة ١٨٧٣ م.. وبقيت خانية خيوه بدون خيوه.. وأخيراً سقطت في يد لينين سنة ١٩٢٤ م بعد سقوط خانية بخارى سنة ١٩٢٢ م.. وبذلك سقطت جميع أراضي المسلمين في بلاد ما وراء النهر وخضعت لحكم الاستعمار الروسي القيصري ثم البلشفي.

ولخيوه قناة كبيرة متصلة بنهر جيحون (أموداريا) تجري فيها السفن ورغم أن سكان بلاد ما وراء النهر سنيون أحناف في الغالب الأعم الا ان سكان خيوه هم من السنة الشافعية.

ومن مدن خوارزم **(درغان)** التي كانت تعد في القرن العاشر الميلادي اكبر مدن الضفة الغربية لنهر جيحون (أموداريا) بعد كركانج.. وكان بها جامع جميل لا مثيل له في المنطقة بأسرها مزين بالحجارة الكريمة ومنقوش بالذهب وعلى مسافة فرسخين بحذاء الشط كانت تمتد كروم المدينة التي بلغت الخمسمائة وقد اشتهرت درغان بزبيبها وكرومها..

وقد وصفها ياقوت في طريقه من مرو الى خوارزم ووصف حسن مزارعها وبساتينها التي تقع على جرف عال على بعد ميلين من النهر كما وصف جامعها الجميل وسوقها التجاري الهام.

ومن مدن خوارزم ايضا **(سدور)** التي كانت عامرة الى القرن السابع عشر الميلادي.. وهي الآن الأطلال المعروفة باسم سدفر (Sadvar)

ومن المدن الهامة في خوارزم مدينة **هزارسب** التي ظلت محتفظة باسمها الى بداية القرن العشرين. والتي زارها بارتولد وذكرها في مؤلفه الموسوعي (التركستان).. وهي على بعد مرحلة من سدور المتقدم ذكرها.. وعلى بعد خمسة فراسخ من خيوه.

وهزارسب مدينة حصينة.. ولها قناة تأخذ من جيحون مما يلي آمل. وتقع مدينة **كردران خاس** الحصينة على بعد فرسخين من هزارسب وتربطها بجيحون قناة هي قناة كردران..

ومن مدن خوارزم مدينة **كردر** التي ينسب اليها عدد من العلماء.. كما أن من مدنها زمخشر التي ينسب اليها الامام الزمخشري.. ولزمخشر حصن وربض ويحيط بها سور له ابواب من الحديد ويحيط بالسور خندق.. ولها مسجد جامع كما أن لها جسر يرفع كل ليلة حيث كان يربطها بالطريق الكبير الذي يشق البلدة الى نصفين.

وقد أصاب الدهر خوارزم بعد الغزو المغولي فتخربت كثير من

مدنها الهامة وكان اقليم خوارزم متصلا بحزام زراعي متصل العمران بآمل ويربط خوارزم بخراسان ولكن عندما تغير مجرى نهر جيحون بعيدا عن كركانج في القرن السادس عشر الميلادي اضمحلت كركانج.

وانقطع الطريق الزراعي الذي يصل خوارزم بآمل.. وأدى ذلك الى أن تحاط خوارزم بالسهوب من كل جهة. ورغم ان خيوه تبوأت مكانة عالية نسبيا الا أنها لم تبلغ ما بلغته كركانج وكاث من قبل.. وظلت خوارزم في شبه عزلة عن بقية المناطق حتى الغزو الروسي لخيوه عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م). ثم الاحتلال الروسي البلشفي الكامل لخانية خيوه عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م).

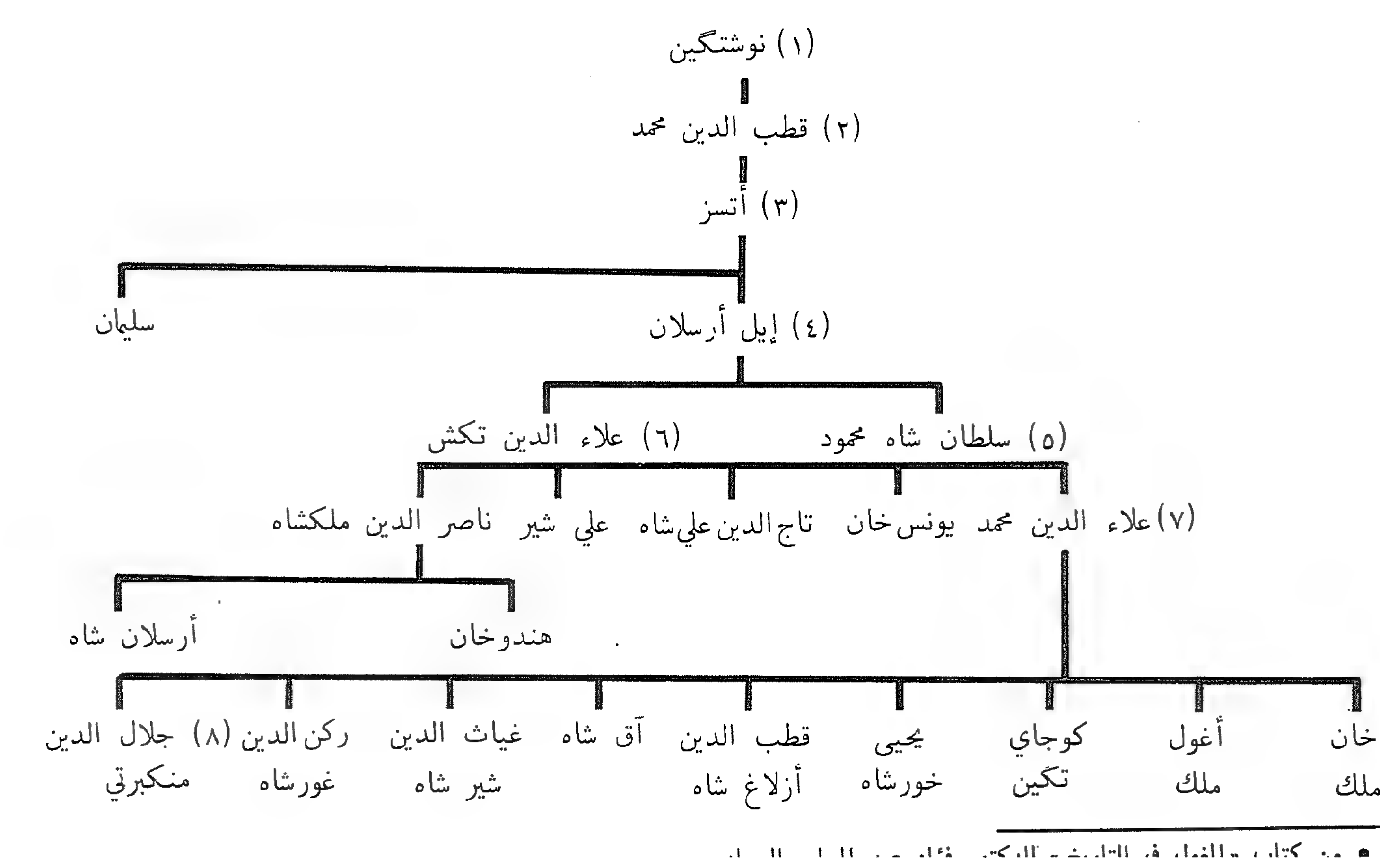
وقد أدخل القسم الجنوبي من خوارزم في جمهورية اوزبكستان السوفيتية اما الجزء الغربي والشمالي فأدخل في جمهورية تركمنستان السوفيتية.

الدولة الخوارزمية:

كان السلاجقة الاتراك يحكمون باسم الخليفة العباسي معظم اراضي الدولة الاسلامية وكان احد مماليك الأمير السلجوقي بلكاتكين هو انوشتكين غرجه الذي خدم في بلاط السلطان السلجوقي ملكشاه حيث بلغ أعلى المراتب وتم تعيينه في وظيفة الطشتدار (أي المشرف على الأواني السلطانية).. وكانت نفقات هذا الجانب من ميزانية بلاط السلطان تغطى من خراج خوارزم.. وهكذا أصبح انوشتكين مسئولاً عن خراج خوارزم.. وتولى ابنه قطب الدين محمد السلطة في خوارزم ايام السلطان السلجوقي سنجر عندما قام باخماد ثورة في خوارزم. واشتهر قطب الدين محمد بالعدل وتقريبه لأهل العلم (كما وصفه ابن الأثير في تاريخه).

وتولى بعد قطب الدين حكم خوارزم ابنه اتسز الذي خلف اباه عام

سلاطين خوارزم



٥٢٢ هـ (١١٢٧ م) والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لسلطان أسرة شاهات خوارزم.

ورغم ان اتسز استمر في اظهار الولاء والطاعة للسلطان سنجر في اول حكمه الا أنه بعد أن تمكن من حكم البلاد ووطد دعائم دولته في جميع بلاد ما وراء النهر أعلن استقلاله.

وفي عهده وسع الحكم الاسلامي الى مناطق لم تخضع من قبل لحكم الاسلام في (جوف تركستان) واخضع ملكهم المجوسي.

وقام السلطان سنجر بشن حرب على هذا الامير المتمرد وانتصر جيش السلطان سنجر الذي كان يقوده بنفسه على جيش اتسز الذي اضطر للفرار ولكن ما لبث سكان خوارزم أن تعاونوا مع اتسز للقضاء على الوالي الذي بعثه سنجر لانه كان ظالما.. واستطاع اتسز مرة أخرى أن يثبت قواعد ملكه في خوارزم واستولى على بخارى.. وفي نفس الوقت أرسل الى السلطان سنجر يعلن له خضوعه. وعندما انهزم سنجر في حربه مع القراخطاي الكفار في معركة دامية واضطر الى التقهقر الى ترمذ، اهتبل اتسز الفرصة ليوطد دعائم ملكه واستقلاله.. ومرة أخرى قامت الحرب بين السلطان سنجر واتسز ثم تمَّ الصلح بينهما على يد رجل زاهد يلقب بآهويوشي وذلك سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م).

واستطاع اتسز بعد ذلك ان يتوجه بجيوشه لفتح أرض القبجاق الذين لم يسلموا بعد وهاجم مدينتهم سغناق على ضفاف سرداريا (سيحون) واستولى اتسز أيضا على مدينة جند الهامة. وتولى بعد اتسز ابنه ايل ارسلان حكم خوارزم واستولى على بخارى التي انحاز له أهلها كما خضع له أمير سمرقند.. وصار ايل ارسلان بذلك ندا للسلطان السلجوقي غياث الدين محمد الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان سنجر.. وتوطد حكم الشاه خوارزم ايل ارسلان في معظم أرجاء بلاد ما وراء النهر واستطاع ان يمد نفوذه الى خراسان ذاتها بعد أن هاجمها الغز وهم من

بدو الترك فتعاون مع الأمراء المحليين لصدهم.. وأصبحت الخطبة تقرأ باسم ايل أرسلان بعد ذكر الخليفة العباسي في خراسان وجميع بلاد ما وراء النهر ما عدا مرو وبلخ وسرخس التي كانت في ايدي الغزو الذين لم يعترفوا لأحد بالسلطة عليهم.

واستطاع بعد ذلك خوارزمشاه ان يخضع مرو وبلخ وسرخس لحكمه.. وتعاون مع سلطان الغور (في أفغانستان) التي قامت دولتهم عند ضعف الدولة الغزنوية.. على اقتسام مناطق خراسان وأفغانستان. وبقي الحكم في سلالة اتسز يحكمون خوارزم وما حولها باسم خوارزمشاه يمتد نفوذهم حينا فيصل الى جميع بلاد ما وراء النهر وخراسان بل يمتد ليصل الى قزوين وفارس وأرمينية وبلاد الكرج (جورجيا) وينحسر حينا آخر فيقتصر على خوارزم وما حولها من المدن والمناطق[1]. وظهر في عهودهم كثير من العلماء والفطاحل الذين وجدوا الرعاية ومن أشهر هؤلاء الإمام فخر الدين الرازي الذي احتضنه السلطان علاء الدين خوارزمشاه وقربه إليه. وكان السلطان علاء الدين اذا رغب في رؤية الفخر الرازي ذهب هو بنفسه الى الفخر الرازي في داره ولا يجشمه عناء الانتقال إليه. وقد طبق صيت الفخر الرازي (محمد بن عمر بن حسين القرشي) الآفاق.. وأكرمه سلاطين المسلمين وخاصة علاء الدين خوارزم شاه.. وقد ألف الرازي ما يقرب من مائة مؤلف ومن أشهر مؤلفاته التفسير الكبير في ثلاثين جزءاً وكتاب التفسير الصغير وكتاب المباحث المشرقية وكتاب المحصول في علم اصول الفقه.. وألف في الطب (مسائل في الطب) وفي الفلسفة الملخص في الفلسفة وفي علم الكلام تهذيب الدلائل وعيون المسائل في علم الكلام. وفي البلاغة كتاب شرح نهج البلاغة.. ولم يترك بابا من أبواب المعرفة المعلومة في زمنه الا وألف فيها التآليف العجيبة.

(١) أنظر خريطة الدولة الخوارزمية.

الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها

وفي عهد تكشي شاه خوارزم امتد سلطانه الى ايران ذاتها وطلب من الخليفة العباسي ان يتنازل له عن خوزستان (التي تدور فيها رحى الحرب العراقية الايرانية حاليا) وان تقام الخطبة في بغداد نفسها باسمه مما أدى الى الصراع بين الخليفة العباسي وشاه خوارزم.

وللأسف استمر هذا الصراع والعداء الذي عاد بالوبال على البيتين الحاكمين كما يقول بارتولد في كتابه الموسوعي (تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي) وقد ساقت الصدامات المتتالية بين العباسيين وشاهات خوارزم الى خراب البلاد وترويع العباد بالحروب المستمرة الطاحنة. وتولى بعد تكشي الذي وسع مملكة خوارزم الى أقصى حدودها ابنه محمد الملقب بعلاء الدين وذلك في اغسطس عام ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) واستطاع علاء الدين ان يقرب إليه العلماء واشتهر الإمام فخر الرازي المتقدم ذكره كأحد اصدقاء علاء الدين خوارزم شاه. واستطاع علاء الدين ان يهزم سلطان الغور غياث الدين الذي كانت دولته تنافس دولة خوارزم في تلك الاصقاع.. وخضعت بذلك بلخ وهراة لحكم خوارزمشاه وانتقل السلطان الغوري الى شمال الهند ليوطد حكمه هناك.. واضطر سلطان الغور ان يعترف بتبعيته لخوارزمشاه وان تسك النقود باسمه وتكون الخطبة له. وكان علاء الدين اخر شاه لخوارزم يستطيع ان يمد سلطان دولته.. وبقي في الحكم من سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) الى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) ثم تولى بعده جلال الدين الذي كان آخر سلاطين خوارزم. والذي انهزم هزيمة نكراء امام جحافل جنكيزخان وفر منه الى جزيرة في بحر الخزر حيث مات هناك وحيداً طريداً وهو يعاني من التهاب رئوي. وكان الترف قد نخر في هذه الدولة القوية كما نخر فيها الفساد والإقتتال المستمر بينهم وبين حكام المناطق الاسلامية الأخرى مما أدى الى أضعاف الجميع وجعلهم لقمة سائغة لجحافل جنكيزخان الذي قضي عليهم جميعها واستمر زحف جنكيزخان وزحف ابنائه حتى وصلوا

بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية واغرقوها في بحور الدماء حيث قتلوا ما يقرب من مليون في بضعة ايام.. ولم يتوقف زحفهم المدمر الا في عين جالوت على يد السلطان قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس البندقداري حيث انتصروا على المغول. وعندئذ تحول المغول أنفسهم الى الاسلام.. وصاروا قوة له بعد ان كانوا أخطر أعدائه..

دور أهل خوارزم في نشر الاسلام

وكانت (خوارزم) تتصل بجهاتها الشمالية الغربية بسهول (الاستيبس) حيث كانت تعيش قبائل (البلغار) و(الخزر) في حوض نهر (الفولجا) واتصل بهم أهل خوارزم وأقاموا المستعمرات الاسلامية، ونشروا الاسلام في (بلغار الفولجا) وهم يتصلون بنسب قوي مع (بلغار نهر الطونة) (الدانوب) الذين كونوا مملكة (بلغاريا) القوية (المجر) في الغرب. وكان الروس وهم من القبائل النورماندية القادمة من السويد، لا يزالون على بداوتهم وكان هجومهم على حوض نهر الفولجا دافعه السلب والنهب، ولكنهم - أخيراً - استوطنوا تلك المناطق، وانصهروا في العنصر الصقلبي البلغاري، وتحولوا الى المسيحية الأرثوذكسية التي كانت عاصمتها (القسطنطينية) (اسلامبول أو اسطمبول بعد أن دخلها محمد الفاتح) وأصبحوا يشكلون سداً في وجه انتشار الاسلام، الذي دخل بواسطة أهل (خوارزم) الى بلاد (الخزر) الواقعة شمال بحر (قزوين). وعندما هاجم الروس، بقيادة (استواتوسلاف) بلاد (الخزر) طلب أهل (الخزر) العون من أهل (خوارزم) فاشترط عليهم الخوارزميون أن يسلموا، فأسلموا، وأنقذوهم من غزو الروس الاجلاف، وذلك عام ٣٦٥ هـ (٩٦٥ م)، كما كان لسلاطين (خوارزم) الذين كانوا يدعون بالخانات اثر عظيم في نشر الاسلام، في مناطق الخزر، وقد توجه السلطان (مأمون بن محمد) من (الجرجانية) (كركانج) الى بلاد (الخزر)، ونشر فيها الاسلام.

وكان سكان (الخزر) يدينون بديانات مختلفة، ولكن السيطرة والحكم كانا لليهود، وكان دخول اليهودية الى الخزر آخر صفحات التبشير بالدين اليهودي، الذي تحول - بعد ذلك - الى دين قومي لجماعة من الناس، تدعي انها من نسل يعقوب - عليه السلام - وبما أن اليهودية انتشرت في شعوب كثيرة، من قبل، منهم أهل اليمن، والأحباش، وآخرهم (الخزر) فان الزعم بأن اليهود هم - فقط - من نسل يعقوب أمر لا يقره التاريخ مطلقا.

وكان ملك (الخزر) الى عهد (هارون الرشيد) يهوديا على الرغم من أن كثيراً من رعاياه قد تحولوا - فعلا - الى الاسلام، بواسطة الدعاة الى الله، وبخاصة من أهل خوارزم.

وكانت نصرة أهل (خوارزم) لسكان (الخزر) عندما هاجمهم الروس عام ٣٦٥ هـ (٩٦٥ م) هي الحلقة الأخيرة في قصة اسلام سكأن (الخزر) طواعية.

ولهذا يعود الفضل في انتشار الاسلام، في هذه المناطق الى الخوارزميين.

وقد قامت في (خوارزم) دولة قوية امتد سلطانها ونفوذها، بعد أن ضعفت الدولة السامانية ولكن هذه الدولة القوية اعتراها الترف والضعف - بعد ذلك - فهاجمها (جنكيز خان) وقضى عليها قضاء مبرما، ولم تستطع أن تقوم الا بعد ان اختلف اولاد (جنكيز خان) على الملك، فقامت دولهم المجزأة التي استطاع ان يقضي عليها (تيمورلنك).

وقد كان للخوارزميين - أيضاً - فضل انتشار الاسلام في جيران الخزر وهم (بلغار الفولجا) وقد سجل التاريخ ان وفداً من مسلمي (البلغار) انطلقوا الى بغداد، على عهد الخليفة العباسي (المقتدر) سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١م)، وطلبوا من الخليفة ان يرسل لهم العلماء لتعليمهم الاسلام؛ كما طلبوا منه أن يرسل لهم مجموعة من الخبراء العسكريين، ليبنوا لهم

القلاع والاستحكامات العسكرية، حتى يصدوا غزوات الروس الهمج.

وكان ممن أرسلهم الخليفة (المقتدر) العالم (ابن فضلان) الذي دون رحلته تلك، ونقل عنها (ياقوت الحموي) في كتابه القيم (معجم البلدان) وفي أوائل القرن العشرين وجدت نسخة من رحلة (ابن فضلان) في مكتبة (مشهد) بعد أن عدت من المفقودات[1]، وكان خط سير الرحلة من بغداد الى (بخارى) ثم الى (خوارزم) ثم الى بلاد (البلغار)، دليلا على خط سير انتشار الاسلام، الذي انتشر - أولا - من العراق الى خراسان، ثم الى بخارى وخوارزم، ثم الى بلاد البلغار.

وقد وصفهم (ابن فضلان) في رحلته بأنهم من الصقالبة، وان كان الباحثون المحدثون يرون أنهم نتيجة اختلاط الصقالبة بالأتراك وبخاصة منهم الخوارزميون، الذين كان لهم الفضل الاول في نشر الاسلام بينهم.

وقد سيطر (البلغار) المسلمون على مناطق واسعة من (ديليكي استوك) الى جنوب (ساراتوف) ومن (موروم) الى (أوفا) وبذلك كان نهر (الفولجا) بأكمله تحت سيطرة (البلغار) المسلمين، واستمرت دولتهم من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، عندما ابتدأوا في التحول الى امارات متعددة مختلفة.

وابتدأ الروس بعد ذلك - في الاستيلاء على مناطق منها، حتى جاء (تيمورلنك) فأخضعها جميعا لسلطانه، وانتشرت في (البلغار) اللغة التركية التي تكتب بالحرف العربي.

وقد ذكر (بارثولد) في كتابه (تاريخ الترك في آسيا الوسطى) ان انتشار الاسلام بين القبائل التركية البدوية، ثم انتشاره - بعد ذلك - في الخزر، وبلاد البلغار، انما كان يتم - أساساً - على يد الدعاة الى

(١) وقد طبعت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتور الدهان وقد نفذت هذه الطبعة منذ زمن ولم يعد طبعها مرة اخرى.

الله من الصوفية، الذين كانوا ينطلقون الى كل مكان لينشروا دعوة الله بكل حماس واخلاص وتجرد، وكانت حياتهم البسيطة وزهدهم وحرارة ايمانهم واخلاصهم للاسلام، كل ذلك يجذب كثيرا من الاقوام الذين كانوا يذهبون إليهم، لنشر الاسلام فيهم.

وقد ذكر من ذلك قصة اسلام جماعة من الترك الجفاة الذين يعيشون حياة البداوة، في سهوب (القرغيز) وغيرها، عندما أسلم (ساتوق بغراخان)، وأسلم معه مائتا ألف أسرة (كانت تعيش في الخيام) وذلك على يد جماعة من الدعاة الى الله، من المتصوفة، من أهل (خوارزم) وغيرها من المناطق المجاورة.

وقد كان يطلق على (بغراخان) لقب (قاراخان) وهو (سلطان) دولة القاراخنيين التي وصفها محمود الكاشغري (نسبة الى كاشغر في تركستان الشرقية) وكان دخول القراخانيين في الاسلام عام ٣٢٣ هـ (٩٤٣ م) انتصارا عظيما للإسلام، حيث دخل مليون شخص في فترة وجيزة في الاسلام طائعين، على يد هؤلاء الدعاة، من الصوفية.. وأنهم أدخلوا شعبين كاملين الى الاسلام هما شعب (بلغار الفولجا) وشعب (القارخانيين) في تركستان الشرقية (كاشغر وما حولها).

وفي هذا القرن، أي القرن العاشر الميلادي، اسلم - أيضاً - قسم كبير من قبائل (الغز) الذين كانوا مقيمين عند مصب نهر سيحون (سرداريا)، وذلك - أيضاً - بفضل الدعاة الى الله من الخوارزميين وغيرهم..

وبذلك سجل الاسلام انتصارا عظيما، بدخول شعبين من شعوب الاتراك، وهما (الشعب القراخاني) و(الشعب الغزي) الى الاسلام (في القرن العاشر الميلادي) وكان للخوارزميين، في ذلك كله، جهد مبارك،

وفضل عظيم، بالإضافة الى نجاحهم في نشر الاسلام لدى (بلغار الفولجا) و(الخزر).

وفي العصور الحديثة تحولت بلاد التركستان الى خانيات صغيرة، وكانت (خوارزم) احدى هذه الخانيات، وأصبح اسمها خيوة، وقد سقطت هذه الخانية في يد الروس، وذلك عام ١٩٢٤م. عندما زحفت عليها الجيوش الحمراء، وأخضعتها - بعد أن أخضعت بخارى وسمرقند عام ١٩٢٢م. وأصبحت خوارزم واقعة في جمهورية أوزبكستان التي يسيطر عليها الروس سيطرة تامة.

وقد نبغ، من أهل خوارزم، عدد كبير من العلماء والفلاسفة والاطباء والفلكيين والرياضيين حتى ان علم (اللوغاريتمات) انما ينسب في الواقع الى الخوارزمي، وصار ذلك تحريفا في الاسم على طريقة الغربيين - كما فعلوا في اسم ابن سينا، حيث ينطقونه (افيسينا).

أعلام خوارزم

وفيما يلي سنترجم باختصار - لبعض هؤلاء الاعلام:

١ - داود بن رشيد الخوارزمي:

ولد هذا المحدث في (خوارزم)، وانتقل الى دمشق وغيرها من عواصم الاسلام، ودرس علم الحديث، على يد أكابر علماء زمانه، مثل الوليد بن مسلم، وبقية بن الوليد، وصالح بن عمرو وتلقى وروى عنه الإمام البخاري، صاحب الجامع الصحيح، الذي سبق أن ترجمنا له في علماء بخارى، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صاحب صحيح مسلم، وأبو القاسم البغوي، وتوفي في دمشق سنة ٢٣٩هـ (٨٥٣م).

٢ - أبو طـــالـــب طـــاهربن جعفر المخزومي الخوقنـــدي الخوارزمي:

وهو - كما ترى من نسبه - من أشراف قريش، من قبيلة بني مخزوم، التي هاجر أبناؤها كما هاجر أبناء القبائل العربية الأخرى، لنشر الاسلام، حتى وصلوا (خوارزم) وأقاموا بها ولقد ولد صاحب الترجمة في (خوارزم) في مدينة (خوقند) وتلقى الحديث على يد عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، واشتهر بقراءة القرآن، وبالأدب، وسكن سمرقند، وتوفي بها سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠ م) وروى عنه الحديث ابنه محمد بن طاهر.

٣ - أبو الريحان محمدبن أحمد البيروني الخوارزمي:

ولد أبو الريحان البيروني في خوارزم سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م)، ثم انتقل الى ضاحية من ضواحيها، وتدعى (بيرون) فنسب اليها، وتوفي عام ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

يعد (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني) أحد نوادر العقل البشري ونوابغه، شارك باقتدار - في معظم العلوم المعروفة، في عصره، وألف فيها المؤلفات العديدة الهامة، واشتهر بالفلسفة والفلك والرياضة والتاريخ، وبلغت فهارس أسماء مصنفاته - كما يقول ياقوت الحموي - ستين ورقة، وكان ضليعاً في اللغات الشرقية، فالى جانب اجادته للغته الخوارزمية - كان يجيد اللغات الفارسية، والهندية، والعبرية، والسريانية، أما اللغة التي لم يكن يكتب الا بها فهي اللغة العربية، التي عشقها، ودافع عنها.

يقول في كتابه (الصيدنة).

(ديننا والدولة عربيان وتوأمان، ترفرف على أحدهما القوة الالهية، وعلى الآخر اليد السماوية.

وكم احتشد طوائف من التوابع، وبخاصة منهم الجيل والديلم في لباس الدولة جلابيب العجمة، فلم يتفق لهم في المراد سوق، ما دام الأذان يقرع اذانهم، كل يوم خمساً وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الائمة صفاً صفاً، ويخطب لهم في الجوامع بالإسلام، وحبل الاسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم، والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم، فازدانت، وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة وان كانت كل أمة تستحلي لغتها، التي ألفتها، واعتادتها، واستعملتها في مآربها).

ثم يقول: (واقيس هذا بنفسي، وهي مطبوعة على لغة (الخوارزمية) لو خلد بها علم، لاستغرب استغراب البعير على الميزاب، والزرافة في العراب، ثم منتقلة الى العربية، والفارسية، فأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف، والهجو بالعربية أحب الي من المدح بالفارسية، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي، كيف ذهب رونقه وكسف باله، واسود وجهه، اذ لا تصلح هذه اللغة الا للأخبار الكسروية، والاسمار الليلية).

فأين اللغة العربية – اليوم – التي لم تعد لغة العلوم والفنون، بل أصبحت لغة العلم في جامعاتنا ومدارسنا هي الانجليزية أو الفرنسية، وانظروا الى العرب أنفسهم كيف يدرسون الطب، أو الفلك، أو النبات، أو الجيولوجيا، أو أي علم من العلوم (غير العلوم الشرعية) تجدهم في ذلك يدرسونها بلغة الافرنج، ويفتخرون بذلك، ولا يريدون أن يعودوا الى لغتهم، التي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية، وما ضاقت عن آي به وعظات وكم من مؤتمرات قد عقدت لاعادة تدريس العلوم باللغة العربية، ولكنها – للأسف – الى الآن، لم تسفر عن شيء محسوس ملموس.

وأنت ترى كيف كان (البيروني) يشهد للغة العربية بأنها لغة العلم، وأن الكتابة العلمية بغيرها لا تقوم بالغرض، ولا تفي بالمقصد، ويتحدث عن اللغة الفارسية، التي كانت تنافسها - آنذاك - فيقول بصراحة أن أي كتاب علم ينقل الى الفارسية يذهب رونقه، ويسود وجهه، ويزول الانتفاع به، ويعد الفارسية لغة للأسمار والحكايات، أما لغة العلم فهي العربية - بلا جدال،.

ومن مؤلفات هذا العالم المؤرخ الجغرافي الفلكي الفيلسوف:

(الآثار الباقية عن القرون الخالية).

و(تاريخ الأمم الشرقية).

و(تاريخ الهند).

وجميعها في التاريخ.

وله في الفلك والجغرافيا:

(القانون المسعودي في الهيئة والنجوم والجغرافيا)

و(الارشاد في أحكام النجوم).

و(التفهيم لصناعة التنجيم).

و(تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات الأماكن).

وله في شرح عقائد أهل الهند (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله).

وله في الهندسة والرياضة كتاب (استخراج الأوتار).

وغيرها كثير، مثل (الجماهر في معرفة الجواهر).

و(كتاب الصيدنة).

و(كتاب (الاستيعاب في صفة الأسطرلاب) وهو آلة فلكية لمعرفة مواقع النجوم.

و(كتاب (لوازم الحركتين) الذي صنفه للسلطان مسعود، والذي قال

عنه ياقوت الحموي (وهو كتاب جليل لا مزيد عليه اقتبس أكثر كلماته من آيات من كتاب الله عز وجل)

وللبيروني كتاب في الشعر والأدب سماه (مختار الأشعار والآثار).

وله شرح لديوان (أبي تمام) أعجب به ياقوت، وقال انه رآه بخط المؤلف.

وكان البيروني - أيضاً - شاعراً مجيداً، قال عنه الاديب الناقد الصفدي: (يا عجب كل العجب من نظم هذا الرجل هذا النظم، اذ ليس هذا فنه، ولا عرف به فهذا شعر جيد).

وقال عنه ياقوت في (معجم الأدباء) انه كان أديباً أريباً لغوياً، ولـذا ذكره في (معجم الأدباء).

وهكذا كان (البيروني) رحمه الله - قمة من القمم، التي امتلأ بها تاريخ بلاد ما وراء النهر (التركستان) التي ترزح - اليوم - تحت الاستعمار الروسي. فأين هذا الماضي المشرق المجيد مما عليه المسلمون - اليوم - من تخلف وضياع وتمزق؟

٤ - أبو عبد الله محمد الخوارزمي:

يعد (أبو عبد الله الخوارزمي) أقدم كاتب مسلم ألف كتاباً موسوعياً (دائرة معارف) سماه (مفتاح العلوم) وتكلم فيه عن جميع علوم عصره، من الطب، والهندسة، والرياضيات، والفلك، والفلسفة، والجغرافيا، وعلوم الهيئة، وغيرها من علوم ذلك الزمن. أهدى كتابه الى وزير السلطان (نوح الساماني) عام ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م)..

٥ - أبو بكر الخوارزمي:

ولد في خوارزم عام ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م)، واشتهر بالأدب، والشعر، والكتابة، وانتقل الى الشام وأقام بها، وخلد أسمه برسائله الأدبية

المسجعة، التي جمعت المدائح، والمراثي، والاهاجي والنظرات الأدبية والحكمية، وطبعت رسائله عدة مرات، وتوفي في الشام عام ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م)...

٦ - محمد بن موسى الخوارزمي:

واضع علم الجبر والمقابلة ومبتكر حساب اللوغاريتمات وهو تحريف لاسمه كما يفعل الغربيون عادة. وهو أول من حل معادلات الدرجة الثانية الجبرية. كما اشتهر بعلوم الفلك والتنجيم، وكان أحد الفلكيين الذين عملوا في مرصد (المأمون). وله كتب في علم الفلك منها (الزيج) و(العمل بالاسطرلاب) وقد اشترك في قياس محيط الأرض أيام المأمون مع مجموعة من العلماء المسلمين.. ويعتقد أن مولده كان سنة ١٦٤ هـ (٧٨٠ م) وكانت وفاته سنة ٢٣٦ هـ (٨٥٠ م)

٧ - محمد بن العباس الخوارزمي:

ولد سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) وتوفي سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) يعد محمد بن العباس الخوارزمي من أئمة الكتاب البلغاء، ثقة في اللغة، وفي معرفة الأنساب، وهو صاحب الرسائل المعروفة برسائل الخوارزمي وله ديوان شعر، وهو ابن أخت المفسر المؤرخ المشهور الامام ابن جرير الطبري، أمه من طبرستان، وأبوه من خوارزم، ولذا كان يعرف أحياناً بالطبرخزمي، جمعاً بين طبرستان وخوارزم واستوطن نيسابور، ودفن بها عام ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م).

٨ - شمس الدين محمد بن اسحاق الخوارزمي:

عالم حنفي، انتقل من خوارزم الى مكة، واقام بها، وألف كتاب (اثارة الترغيب والتشويق الى المساجد الثلاثة والبيت العتيق) واستخدم مهارته الفائقة في الرسم، في تصوير هذه المساجد، ورسمها بمهارة

واقتدار (وكان يبيع لوحاته على (الحجاج) فانتشرت في بقاع الأرض وتوفي سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م).

٩ - محمد بن علي الهراش الكاثي:

نسبة الى (كاث) من مدن (خوارزم)، وهو أديب عالم باللغة وآدابها، واشتهر برسائله البليغة وله عدة مصنفات، منها كتابه (التصريف) (وشرح ديوان المتنبي) (ومجموعة رسائل) (وديوان شعر).

١٠ - الشريف شرف الدين اسماعيل:

من أهل خوارزم، اشتهر بالطب، وكان كما وصفه ابن أبي أصيبعة - في (طبقات الأطباء) طبيباً عالي القدر، وافر العلم، وجيهاً في الدولة، وكان الطبيب الخاص للسلطان (علاء الدين محمد خوارزم شاه) وقد ألف عدة مصنفات في الطب، منها: (كتاب الذخيرة الخوارزم - شاهيه في الطب) باللغة الفارسية، في أثني عشر مجلداً، وكتاب (الأغراض في الطب) مجلدان، و(كتاب يادكار في الطب) وجميعها باللغة الفارسية.

١١ - محمد بن محمد الكردري:

الخوارزمي البزازي فقيه حنفي من كردر قرية (بخوارزم) تنقل في بلاد القرم والبلغار وحج واشتهر من كتبه (الجامع الوجيز) في فقه الحنفية والمناقب الكردرية ومختصر في تعريفات الاحكام توفي سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م).

١٢ - برهان الدين ناصر بن عبد السيد الخوارزمي المطرزي

عالم فقيه لغوي من فقهاء الاحناف ولد في الجرجانية (خوارزم) سنة ٥٣٨ هـ (١١١٤ م) وتوفي بها سنة ٦٤٠ هـ (١٢١٢ م) كان رأساً في

الاعتزال من كتبه (الإيضاح) (وشرح مقامات الحريري) و(المصباح) في النحو (والمعرب) في اللغة (والاقناع بما حوى تحت القناع)..

١٣ - الإمام الزمخشري:

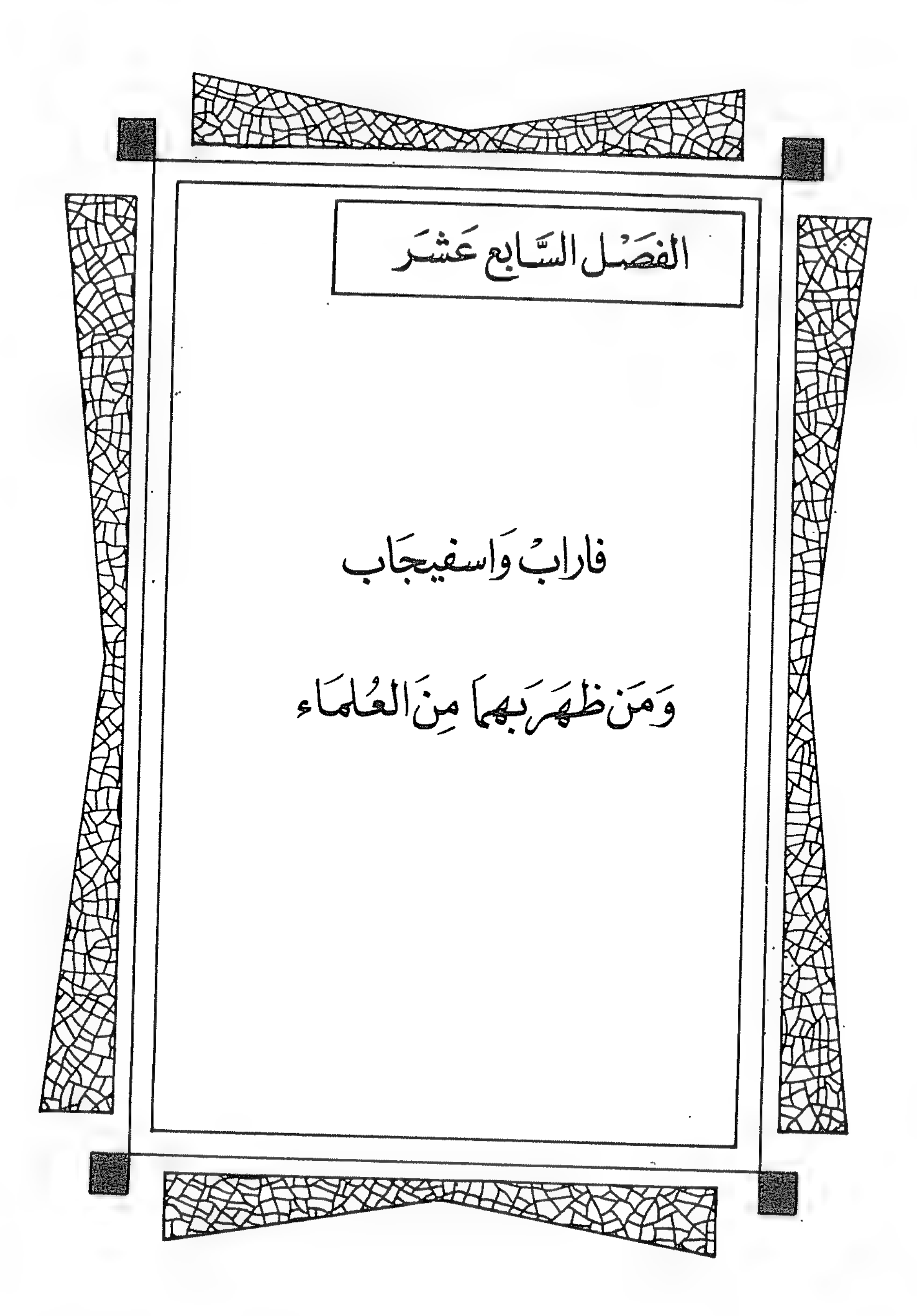
بهذا الإمام العظيم نختتم ذكر من اشتهر من علماء خوارزم وقراها، وقد ولد (جار الله محمود بن عمر الزمخشري) عام ٤٦٧ هـ (١٠٧٥ م) في قرية (زمخشر) وهي من قرى (خوارزم) واليها ينسب، وقد سافر الى مكة، لطلب العلم، وجاور بها، فلقب جار الله، ثم تنقل في بلدان العالم الاسلامي، وعواصم العلم، ينهل من ينابيعها الفياضة، ثم عاد الى الجرجانية (كركانج) عاصمة خوارزم وأقام بها ينشر العلم، ويؤلف حتى وافاه الأجل عام ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م)..

أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، وهو أحد أهم المراجع في تفسير القرآن الكريم، وقد توسع فيه في الأمور اللغوية، وينكر عليه ميله للمعتزلة، وأخذه بآرائهم ودفاعه عنهم، وعلى الرغم من ذلك، فإن (الكشاف) لا يستغني عنه طالب علم. ومن أشهر كتبه «المفصل» في النحو شرحه أبو حيان في أربعة أجزاء.

وله كتب في اللغة، منها كتابه (أساس البلاغة) (ومقدمة في اللغة) وله كتب في الجغرافيا مثل كتابه (الجبال والامكنة والمياه) وله كتاب جمع فيه الأمثال وسماه (المستعصي في الأمثال) و(القسطاس في العروض) و(ربيع الأبرار) في الأدب، (ونكت الأعراب في غريب الاعراب) في النحو و(أطواق الذهب) و(أعجب العجب في شرح لاميه العرب) وله الى جانب ذلك - دراية واسعة في الحديث وله كتاب (الفائق في غريب الحديث) وهو يدل على تبحره وتوسعه في علوم الحديث.

وله الى جانب ذلك كله ديوان شعر جيد، وله معجم عربي فارسي سماه (المقدمة).

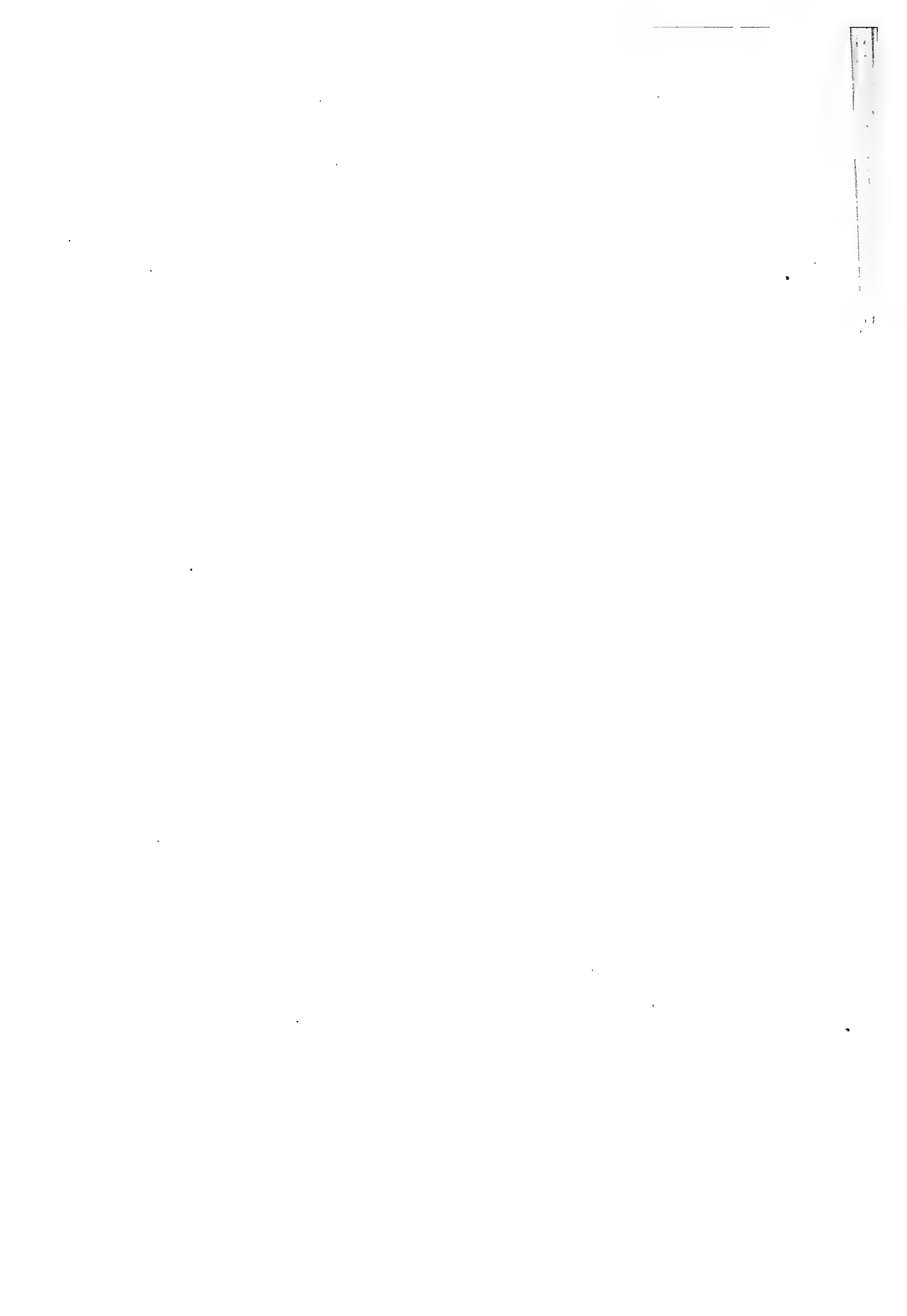
وعاش الإمام (الزمخشري) زاهداً عالماً، يقول رأيه، ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان واسعاً في اللغة، والتفسير، وعلوم الحديث، معتزلي المذهب، منكراً أشد الانكار على غلاة الصوفية...



الفصل السّابع عشر

فاراب واسفيجاب

ومن ظهر بهما من العلماء



(فاراب) مدينة وولاية وراء نهر سيحون، في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من (الشاش) قريبة من بلاساغون (على حدود الصين، في التركستان الشرقية، المسماة سينكيانج والواقعة تحت الاستعمار الصيني). وتقع فاراب حاليا في جمهورية قازاقستان السوفيتية. قال عنها (ياقوت الحموي) مقدارها - في الطول والعرض - أقل من يوم، الا أن بها منعة وبأساً وهي ناحية سبخة لها غياض، ولهم مزارع في غربي الوادي، تأخذ من نهر (الشاش) وهو نهر سيحون.

أما (اسفيجاب فهي الارض المزروعة الواقعة في حوض نهر أريس وروافده ومدينة اسفيجاب هي موقع قرية سيرام الحالية).

ومدينة اسفيجاب مقدار ثلث مدينة بنكث (طاشقند) في الرقعة.. ومثل بقية المدن القديمة كانت مكونة من القلعة (القهندز) والربض (الضاحية) والشهرستان (المدينة) وكان يحيط بها سور طوله فرسخ (ثلاثة أميال) وللشهرستان أربعة ابواب وبداخل الشهرستان دار الإمارة والحبس والمسجد الجامع والاسواق التي يخص المقدسي منها بالذكر سوق الانسجة القطنية المعروف بسوق الكرابيس...

وكانت اسفيجاب ثغرا من ثغور الاسلام على حدود القبائل التركية التي لم تدخل بعد في الاسلام ولذا كان بها ١٧٠٠ رباط للمجاهدين المطوعة كما يقول المقدسي.. وكانت مدن ما وراء النهر تتنافس في بناء الاربطة في اسفيجاب فكان هناك رباط بخارى الذي بناه أهل بخارى لمطوعتهم ورباط سمرقند ورباط نخشب وهي نسف.. وهناك أربطة باسماء بعض الأثرياء المسلمين الذين قاموا ببنائها مثل رباط قراتكين في عهد نصر بن أحمد الساماني.. وعند هذا الرباط يوجد قبره وقبر ابنه..

وبجانب الرباط سوق اوقفت غلتها على الرباط وعلى المجاهدين.. وكانت ابنية المدينة من الطين..

أما القلعة فقد تهدمت في القرن العاشر الميلادي ولم يهتم الاهالي بترميمها بعد أن انتشر الاسلام في القبائل التركية المجاورة والتي كانت تغير من قبل عليها..

وكانت تدخل ضمن ولاية اسفيجاب جميع الأراضي الممتدة صوب المشرق الى وادي طلاس بما في ذلك الوادي نفسه، والممتدة غربا الى سوران (صبران) ومن مدنها فاراب وسبانكث وكدر.. وتخرج كدر نحو سبعين الف مجاهد كما يقول المقدسي وجامعها بالشهرستان ومعظم اسواقها بالربض.. ويتشكك بارتولد في كدر هذه هل هي مدينة اترار او هي فاراب المتأخرة.

ومن مدن هذه المنطقة على الشط الغربي من نهر سرداريا (سيحون) مدينة ستكند.. ومدينة وسيج التي ظهر منها ابو نصر الفارابي والتي كانت قلعتها باقية الى القرن الثاني عشر الميلادي. ويروي المسعودي ان نهر سيحون (سرداريا) في نواحي فاراب كان يفيض احيانا فيغمر مساحة واسعة تزيد على ثلاثين فرسخا.. وأن القرى كانت تصبح كالقلاع على رؤوس التلال حتى كان الأهالي يلجأون الى استعمال الزوارق للاتصال ببعضهم البعض.

ومن كدر الى شاوغر مرحلة.. وشاوغر بلدة كبيرة حصينة ذات رستاق واسع وجامعها قرب السوق ومن شاوغر الى سوران (او صبران) مرحلة.. وسوران هذه كانت احد الثغور الهامة في مواجهة القبائل التركية التي لم تكن قد أسلمت بعد ولذا كانت محكمة الدفاع ويحيط بها سور وسبعة حصون وكان الغز (بدو الترك) يأتون اليها للتجارة وعن طريق اتصالهم هذا مع التجار المسلمين دخل كثير منهم في الاسلام..

وكان جامعها داخل الشهرستان (المدينة الداخلة).

ويسجل المقدسي اسماء ثغور على الحدود مع الترك من بينها بلدة شغلجن الكبيرة الغنية الحصينة والواقعة على الحدود مع أرض الكيماك وبلدة بلاج وبلدة بروكث.. وكانت البلدتان الاخيرتان موطنا للتركمان الذين اعتنقوا الاسلام حديثا.. وكان هؤلاء الداخلون الجدد في الاسلام يشكلون عدة الجند المدافعين عن حدوده والناشرين لواءه في الأراضي الجديدة.

وكانت المراعي الخصبة الواقعة بين فاراب والشاش (جنوب غرب اسفيجاب) تقطنها القبائل التركية الحديثة العهد بالاسلام.

وأسفل سوران (أو صبران) كان نهر سيحون(سرداريا) يجتاز مفازة الترك الغزية، وعلى مسافة فرسخ من النهر نفسه بالقرب من مصبه كانت تقوم مدينة ينيكيث(أي البلدة الجديدة) ويسميها العرب (القرية الحديثة) وقد كانت مشتى لملك الغز وهي الآن أطلال جنكيت الواقعة جنوبي سيردريا على بعد ثلاثة أميال من قلعة امارة خيوة المعروفة باسم جان قلعة.

وقد وقع مصب نهر سرداريا (سيحون) في أيدي المسلمين منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وذلك على يد سلجوق بينما كانت المنطقة من جند الى فاراب في ذلك القرن من بلاد الكفار ولكن ما أن دخل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حتى تحولت هذه المنطقة أيضاً الى الاسلام بينما ظلت سغناق عاصمة القبجاق غير المسلمين الى حين ظهور المغول وهي تقع على بعد أربعة فراسخ من أترار.. وأصبحت سغناق اطلالا بالقرب من محطة بريد تومن - أريق.

وكانت بقية المدن على نهر سيحون (سرداريا) مثل جند وخير أباد ورباط طغانين قد تحولت جميعها الى الاسلام.. وكذلك كانت مدينة

أسبانيكيت التي وصفها ياقوت بقوله: أسبانيكيت مدينة من مدن اسفيجاب بما وراء النهر بينها مرحلة ينسب إليها ابو نصر زاهر بن حاتم بن رستم الاديب الاسبانيكثي المتوفي سنة ٣٦١ هـ. وأما اسفيجاب نفسها فقد وصفها ياقوت بما يلي (باختصار)..

أسفيجاب:

اسم بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان (الشرقية) ولها ولاية واسعة وقرى كالمدن كثيرة.. كانت من أعمر بلاد الله وأنزهها وأوسعها خصبا وشجرا ومياها جارية ورياضا مزهرة.. ولم يكن بخراسان ولا بما وراء النهر بلداً لاخراج عليه الا اسفيجاب لأنها كانت ثغراً عظيماً فكانت تعفى من الخراج وذلك ليصرف أهلها خراجها في ثمن السلاح وعلى المجاهدين والمرابطين في هذا الثغر.. وكذلك كانت المدن القريبة منها مثل طراز وصبران وفاراب وسانيكيث.. ثم أتت على تلك النواحي حوادث الدهر وصروف الزمان عندما خربها خوارزم شاه محمد بن تكش عندما خانه بعض أمرائها.. وجاءت الطامة الكبرى بورود التتار عليها سنة ٦١٦ هـ فأهلكوا من بقي من أهلها وحطموا ديارها وقتلوا رجالها ونساءها فلم يبق من تلك الجنان المندرة والقصور المشرفة غير حيطان مهدومة وآثار من أمم معدومة (وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين وصلاح مبين ونسك وعبادة.. والاسلام فيهم غض يحفظون حدوده ويلتزمون شروطه لم تظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاد ولكن يفعل الله بعباده ما يشاء ويحكم ما يريد).

وقد خرج من اسفيجاب طائفة من أهل العلم في كل فن منهم ابو الحسن علي بن منصور المقريء المؤدب الاسفيجابي مات بعد سنة ٣٨٠ هـ.

كما خرج منها جماعة من الفضلاء منهم:

(١) اسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفي سنة ٣٩٣ هـ:

وهو من أئمة اللغة العربية، وصاحب كتاب (الصحاح) وله - أيضاً - كتاب في العروض ومقدمة في النحو، سافر من بلدة (فاراب) صغيرا، حتى وصل (العراق) ومنها سافر الى (الحجاز) ثم عاد الى (نيسابور) بخراسان، وبها أقام، واشتهر، وظهرت علومه اللغوية وأخذ عنه جم غفير من العلماء.

كان مهتما بالطيران، وقد صنع لنفسه جناحين من خشب، وصعد الى سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه، وسأطير الساعة، فازدحم عليه أهل نيسابور ينظرون إليه فتأبط جناحيه، وسقط الى الأرض قتيلا..

وكان بذلك أول من حاول الطيران.

(٢) اسحاق الفارابي، المتوفي سنة ٣٥٠ هـ:

وهو أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم، صاحب (ديوان الأدب) في اللغة، وخال اسماعيل بن حماد الجوهري، وقد انتقل الى اليمن، وأقام بزبيد.

(٣) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، المتوفي سنة ٣٣٩ هـ:

وهو الفيلسوف، الحكيم، الفلكي، الرياضي، الطبيب، المؤرخ، المشهور، أعظم فلاسفة المسلمين، وأول من نقل كتب (أرسطو) وشرحها، وعلق عليها، وسمي بالمعلم الثاني لأن (أرسطو) كان يدعى المعلم الأول.

انتقل الى (بغداد) من (فاراب) وعاش بها، ثم انتقل الى (دمشق) وبقي بها الى حين وفاته، وكان يجيد اللغات الشرقية المعروفة في عصره، وهي: العربية، والفارسية، والتركية ولغة الهند، كما كان يجيد اللغة اليونانية.

له نحو مائة كتاب، منها:

(النصوص) وهو كتاب في اتفاق آراء (أبقراط) و(أفلاطون).

(احصاء العلوم والتعريف بأغراضها) وهو دائرة معارف علمية.

(شرح كتاب البرهان لأرسطو طاليس).

(آراء أهل المدينة الفاضلة) و(كتاب المدينة الفاضلة) و(المدينة الجاهلة) و(المدينة الفاسقة)، و(المدينة الضالة)، و(المدينة المبدّلة).

(مبادىء الموجودات).

(السياسة المدنية).

(جوامع السياسة).

(النواميس).

(المدخل الى صناعة الموسيقى) وكتاب (الموسيقى الكبير).

(الخطابة).

(ديوان الادب).

(الآداب الملوكية).

(ما ينبغي أن يتقدم الفلسفة).

(شرح كتاب المجسطي لبطليموس).

(كلام في أعضاء الحيوان).

(كلام في الملة والفقه).

(رسالة في قواد الجيوش).

(كلام في المعايش والحروب).

(شرح كتاب الخطابة لأرسطو طاليس).

(شرح كتب الجدل).

(المغالطة والقياس لارسطو طاليس أيضاً).

وله كتب في علم المنطق منها:

(التوطئة في المنطق).
(المختصر الكبير والمختصر الصغير في المنطق (أيضاً).
(كتاب المختصر الأوسط في القياس).

تعلم الفلسفة على يد (يوحنا بن جيلان) وتتلمذ على يد (عبد الله بن محمد بن سلمة المقدسي الفارابي) وسمع الحديث بدمشق من (هشام بن عمار) و(عبد الله بن أحمد بن بشير) و(عباس بن الوليد الخلال) و(أبي محمد بن عبد الرحمن الدمشقي) و(دحيم).

وقد روى عنه الحديث (أبو بكر) و(أبو زرعة) ابنا (أبي دجانة)، (وأبو بكر ابن المقري) وغيرهم.

قال عنه (ابن أبي أصيبعة) في كتابه (عيون الانباء في طبقات الاطباء):

(وكان رحمه الله فيلسوفا، واماما فاضلا، قد أتقن العلوم الحكمية وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنبا عن الدنيا، مقتنعا منها بما يقوم بأوده يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب، وعلم الامور الكلية منها، ولم يباشر اعمالها، ولا حاول جزئياتها).

وقد كان (الفارابي) - في أول أمره - ناظرا في بستان في دمشق، فقيرا - يسهر الليل، يقرأ، ويكتب، ويؤلف، على ضوء قنديل حارس البستان، ثم ظهر فضله، وعظم شأنه، واشتهرت تصانيفه، وكثر تلاميذه، واتصل بسيف الدولة، وأكرمه اكراما بالغاً، وسافر (الفارابي) قبيل وفاته بعام (أي عام ٣٣٨) الى مصر، ثم عاد الى دمشق، وتوفي بها سنة ٣٣٩، وصلى عليه سيف الدولة.

ويذكر من فضله وزهده انه لم يكن يتناول شيئا مما ينعم به عليه سيف الدولة، سوى أربعة دراهم، في اليوم، يقتات بها هو وأهله.

وكان - في أول أمره - قاضياً، ثم ترك القضاء، ليتفرغ لعلوم الفلسفة، والرياضة والفلك، وغيرها.

وكان له في علم الموسيقى باع طويل، وهو أول من اخترع القانون، قال عنه (ابن أبي أصيبعة): (ويذكر انه صنع آلة غريبة يستمع منها ألحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات). ويقال انه كانت له القدرة على العزف عليها، فيبكي سامعه، ثم يشجيه، ثم ينيمه، ويخرج (الفارابي) وسامعه نائماً.

وقد شرح (الفارابي) قصة ظهور الفلسفة (اليونانية) وكيف انتقلت الى الاسكندرية، ثم كيف أخفت الكنيسة كتب (أرسطو) وغيره من فلاسفة الاغريق، وكيف حاربتها حربا شعواء في روما، والاسكندرية، وجميع اراضي الامبراطورية الرومانية، الا شيئاً يسيراً من المنطق، استعانوا به في جدلهم، حتى ظهر الاسلام.

وكانت كتب (أرسطو) مخفية عند رجل، فنسخها منه رجلان، أحدهما من (مرو) والآخر من (حران) فأما الذي من (مرو) فتعلم منه (ابراهيم المروزي) و(يوحنا بن جيلان) وأما (الحراني فتعلم منه (قويري) وقام (قويري) بنشر كتب (أرسطو) وتعليمها، وكذلك فعل (ابراهيم المروزي و(يوحنا بن جيلان) وتعلم (أبو نصر الفارابي) من (يوحنا بن جيلان) ثم أتم كتب الفلاسفة قراءة، دون معلم، وكانت قراءته، على (يوحنا) في بغداد، أيام المقتدر.

وصار (الفارابي) أشهر من شرح كتب الفلسفة اليونانية في التاريخ، وبخاصة كتب (أرسطو) ولقب بالمعلم الثاني، لأن (أرسطو) كان يحمل لقب المعلم الأول. ولم يكتف الفارابي بذلك، بل أضاف الى مختلف العلوم اضافات جديدة، وهو أول من أوضح علم المنطق بعبارة سهلة، وأول

من وضع موسوعة علمية وافية، وأسماها (احصاء العلوم والتعريف بأغراضها).

قال عنه (ابن أبي أصيبعة): (ثم له - بعد ذلك - كتاب شريف في احصاء العلوم والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به، وتقديم النظر فيه).

(وله كتاب في اغراض فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس) يشهد له بالبراعة، في صناعة الفلسفة والتحقيق بفنون الحكمة، وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر).

ويقول (ابن أبي أصيبعة) (ولا أعلم كتابا أجدى على طالب الفلسفة منه).

وقد استفاد (ابن سينا) من كتب (الفارابي) فائدة عظيمة، وقال انه استغلق عليه فهم الالهيات من كتب الفلسفة، حتى عثر على كتاب (الفارابي) في العلم الالهي، فحل له اشكالها وأبان غامضها، وقرأ (ابن سينا) كتب (الفارابي) في الفلسفة، وعليها تتلمذ.

(وللفارابي) دعاء وابتهال أورده (ابن أبي أصيبعة) وسننقله عنه، لأنه يوضح مذهب الفارابي، وايمانه بالله، على طريقة (الفلاسفة) المسلمين، الذين خلطوا العقيدة الاسلامية ببعض (آراء أرسطو) و(أفلاطون) و(أفلوطين) التي لا تناقض العقيدة مناقضة ظاهرة، وإليك هذا الدعاء البليغ العجيب:

(اللهم إني أسألك يا واجب الوجود (وهو تعبير فلسفي شاع عند المسلمين بعد أن أدخله الفارابي) وياعلة العلل قديماً لم يزل، أن تعصمني من الزلل، وأن تجعل لي من الأمل ما ترضاه لي من عمل، اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب، وارزقني في أموري حسن

العواقب، نجح مقاصدي والمطالب، يا اله المشارق والمغارب، رب الجوار الكنس السبع التي انبجست عن الكون انبجاس الأبهر، هن الفواعل عن مشيئته، التي عمت فضائلها جميع الجوهر (وهو اعتقاد قديم بأن الكواكب السبعة هي التي خلقت عن العقل الفعال، وهي التي تدبر هذا الكون وهو اعتقاد باطل دينياً وعلمياً) أصبحت أرجو الخير منك، وامتري زحلا ونفس عطارد والمشتري (وهو عود الى القول السابق في اعتقاد هذه الأجرام السماوية، وانها فاعلة مدبرة للكون وأهله وذلك لا شك نوع من الشرك، وعبادة الكواكب التي لا يقرها الاسلام مطلقاً، وهو كلام ناتج عن فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس وأفلوطين وإن كان الفارابي يجعل فعلها عن مشيئته تعالى).

اللهم ألبسني حلل البهاء، وكرامات الأنبياء، وسعادة الاغنياء، وعلوم الحكماء، وخشوع الاتقياء، اللهم أنقذني من عالم الشقاء، والفناء، واجعلني من أخوان الصفاء، وأصحاب الوفاء، وسكان السماء مع الصديقين والشهداء، أنت الله لا اله الا أنت يا علة الأشياء، ونور الأرض والسماء، امنحني فيضاً من العقل الفعال يا ذا الجلال والأفضال. (وهذه فلسفة أفلاطون وأرسطو وأفلوطين التي تقول بأن الله خرج منه العقل الفعال، ومن العقل الفعال ظهرت الكواكب السبعة السيارة، ومن الأجرام السبعة ظهرت بقية الأجرام السماوية ومنها ظهرت الأرض والمخلوقات، حسب نظرية الفيض المتسلسلة عبر عشر مراحل التي جاء بها أفلوطين.)

هذب نفسي بانوار الحكمة، وأوزعني شكر ما أوليتني من نعمة، أرني الحق حقاً، وألهمني اتباعه، والباطل باطلاً، واحرمني اعتقاده، هذب نفسي من طينة الهيولى (يعود الفارابي لتعبيرات أرسطوطاليس) إنك أنت العلة الأولى:

يــا علــة الأشيــاء جمعـا والــذي
كــانــت بــه عن فيضــه المتفجر

رب السموات الطبـــــاق ومركز
في وسطهن من الـــــثرى والابحر

اني دعوتـــك مستجـيراً مــذنبـاً
فــاغفر خطيئـــة مــذنــب ومقصر

هـذب بفيـض منـك رب الكـل من
كــدر الطبيعـــة والعنــاصر عنصري

ويستمر (الفارابي) في دعائه العجيب البليغ، الذي يخلط فيه دعوات الرسول ﷺ مع تعبيرات الفلسفة اليونانية الالهية، مما يدل على عمق تأثره بها تأثرٍ عن فهم عميق، وادراك لأسرارها، مع خلطها بما قد يصادم العقيدة الاسلامية، مصادمة واضحة أحياناً.

ولم ينج (الفارابي) من بعض التعبيرات التي أشرنا اليها، وبخاصة في اعتقاده أن الكواكب السيارة هي المدبرة للكون، الفاعلة له، وإن كانت أنما تفعل ذلك، لأنها من فيض العقل الفعال، الذي هو من فيض الله.

ويستمر (الفارابي) في دعائه الذي يظهر فيه خشوعه، وتبتله، كما يظهر فيه سعة علمه سعة واسعة بعلوم زمانه، مع بلاغته وقوة أسلوبه:

(اللهم رب الأشخـــاص العلويـــة، والأجرام الفلكيـــة، والأرواح السماوية، غلبت على عبدك الشهوة البشرية، وحب الشهوات، والدنيا الدنية، فإجعل عصمتك مجنّي من التخليط، وتقواك حصني من التفريط، انك بكل شيء محيط، اللهم أنقذني من أسر الطبائع الأربع، وانقلني الى جنابك الأوسع وجوارك الأرفع.

« اللهم إنك قد سجنت نفسي في سجن من العناصر الأربعة، ووكلت

بافتراسها سباعاً من الشهوات اللهم جد لها بالعصمة، وتعطف عليها بالرحمة، التي هي بك أليق، وبالكرم الفائض، الذي هو منك أجدر وأخلق، وأمنن عليها بالتوبة العائدة بها الى عالمها السماوي، وعجل لها بالأوبة الى مقامها القدسي، وأطلع على ظلمائها شمساً من العقل الفعال، وأمط عنها ظلمات الجهل والضلال، واجعل ما في قواها بالقوة كامناً بالفعل، وأخرجها من ظلمات الجهل الى نور الحكمة وضياء العقل» الخ الخ...

والطبائع الأربعة هي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وحسب النظرية اليونانية الفلسفية لخلق الأشياء اتصلت البرودة بالرطوبة، فنتج عنها الماء، واتصلت الحرارة باليبوسة، فنتج عنها النار، وحصل تضاد بين الماء والنار، فظهر الهواء، بسبب تضاد الماء والنار، وتحرك الهواء على الماء، فأوجد زبداً، فجمد الزبد، فأصبح الأرض أو التراب.

وفي جسم الانسان تمثيل لهذه العناصر الأربعة، ويقابلها الأمزجة الأربعة، وهي: الصفراء وتفرز من الكبد، وهي سكن الحرارة.والسوداء، وتفرز من الطحال، وهي سكن اليبوسة. والدم، وهو سكن الرطوبة. والبلغم، وهو سكن البرودة. فإذا اعتدلت هذه العناصر الأربعة في الجسم، بحيث لا يطغى بعضها على بعض، فهي الصحة واذا زاد أحدها أو نقص فهو المرض. وعن هذه الأمزجة تبدو أمزجة الناس، فهذا سوداوي المزاج لزيادة المرة السوداء، وهذا صفراوي المزاج، لزيادة افراز الصفراء، وذلك دموي، نتيجة زيادة الدم فيه، وهذا الشخص بلغمي، بسبب زيادة افراز المادة البلغمية، وهكذا.

ونجد تأثير هذه الفلسفة اليونانية قوياً جداً، لدى جميع الكتاب

المسلمين، وبخاصة لدى الفلاسفة والأطباء منهم، وحتى أولئك الفقهاء والمحدثين، فإنهم تأثروا بهذه النظرة وبخاصة من كتب منهم في الطب النبوي، من أمثال ابن القيم، والسيوطي، والذهبي، وابن السنى، وأبي نعيم الأصبهاني، والموفق عبد اللطيف البغدادي، وغيرهم كثر.

ومما تقدم مما ذكرناه من دعاء (الفارابي) وابتهالاته الى الله سبحانه وتعالى ندرك مدى تأثير الفلسفة (اليونانية) الالهية المتمثلة في فلسفة (افلاطون) و(أرسطوطاليس) (أرسطو اختصاراً) و(أفلوطين).

ونجد نظرية الفيض الالهي في خلق الأكوان تجد صداها، لدى فلاسفة المسلمين وأطبائهم من أمثال: أبي بكر الرازي، وابن سيناء، ولا شك يعود سبب ذلك الى جهود (الفارابي) في نشر الفلسفة (اليونانية الالهية).

وعلى الرغم من أن أبا بكر الرازي (الطبيب الفيلسوف (وهو غير الفخر الرازي المفسر الأصولي الفقيه الطبيب المشهور) قد عاصر (أبا نصر الفارابي) بل هو متقدم عليه في الميلاد اذ ولد ٢٥٠ هـ (أي قبل الفارابي بعشر سنوات) وتوفي ٣١٣ هـ، أي قبل (الفارابي) بست وعشرين سنة، فإننا لا نستطيع أن نقول أن الفارابي قد تأثر بأبي بكر الرازي، الذي اهتم أيضاً بالفلسفة (اليونانية) وألف فيها الكتب.

ويبدو من تاريخ حياة هذين الطودين الشامخين أن (الرازي) كان مهتماً بالطب، وبرع فيه أكثر من اهتمامه بالفلسفة، كما أن (الفارابي) اهتم بالفلسفة أساساً، وكان اهتمامه بالطب عرضاً بسبب اهتمامه بالفلسفة، ولم يمارس الطب في حياته قط.

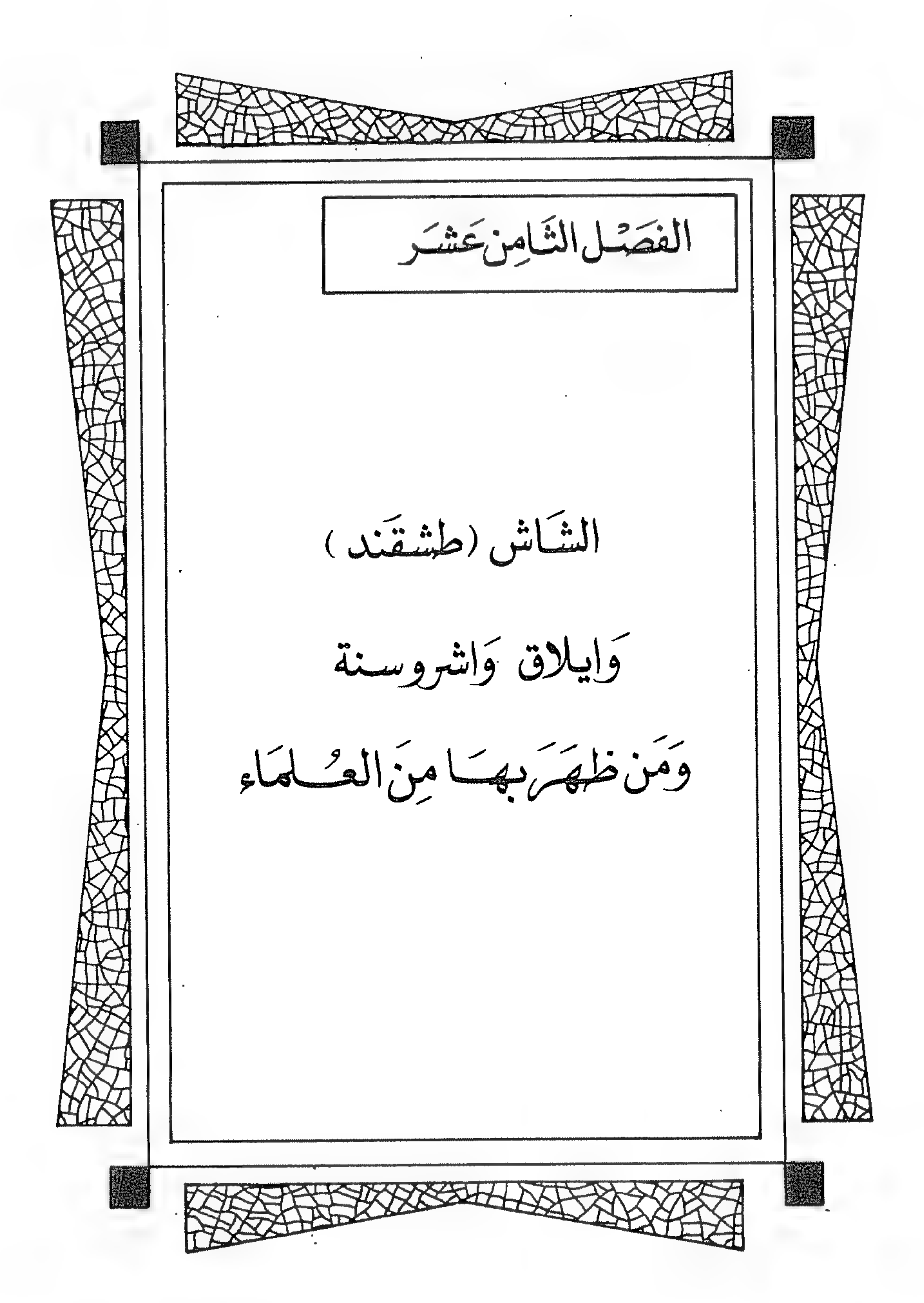
ومع هذا نجد جوانب مشتركة بينهما اذ أننا نجد في رسالة صغيرة لأبي بكر الرازي سماها (المدخل الصغير الى علم الطب) نظرية الفيض الالهي، كما وضعها (أفلوطين) وهو نفس ما يقول به (الفارابي) أيضاً،

وأن كان (الفارابي) بطبيعة الحال - أكثر توسعاً في شرح الفلسفة اليونانية الالهية، وتقديمها الى المثقف المسلم، بأسلوب سهل، بعد أن كانت عسيرة الفهم، صعبة العبارة، لا يقبل عليها الا الآحاد.

بل أن فلسفة (أفلوطين) و(أرسطو) بالذات لم تنتقل الى الثقافة الاسلامية، ومن ثم الى الثقافة الأوروبية، الا عبر ترجمات (الفارابي) وشروحه العديدة لها.

وقد رأينا كيف حرمت الكنيسة قراءة كتب الفلسفة اليونانية، ما عدا فصول محدودة من علم المنطق، ولم تستطع أوروبا أن تصل الى الفلسفة الاغريقية، الا عبر ترجمات (الفارابي) وشروحه وتعليقاته العديدة، واضافاته الغزيرة.

وهكذا نرى (الفارابي) طوداً شامخاً في مختلف العلوم العقلية الفلسفية، وتتلمذ عليه، وعلى كتبه، أجيال عديدة من مثقفي المسلمين، ومثقفي أوروبا، وبرع هذا العلم الشامخ في مختلف فروع المعرفة، وألف فيها، حتى بلغت كتبه أكثر من مائة كتاب، في الفلسفة، والسياسة، وعلوم الأحياء، والموسيقى، والرياضيات، والمنطق، والخطابة، والأدب، والتاريخ، وقيادة الجيوش، والفقة، وقد سمع الحديث من أئمة الحديث في عصره، وسمع منه، وروى عنه جماعة من المحدثين، كما يرويه عنه (ياقوت الحموي) في (معجم البلدان) وياله من طود شامخ في مختلف فروع العلم والمعرفة...



الفصل الثامن عشر

الشَاش (طشقَند)

وَايلاق وَاشروسنة

وَمَن ظهَر بهَا مِنَ العُلمَاء

يعد اقليم (الشاش) أحد اقاليم ما وراء النهر الستة، حسب التقسيم الجغرافي القديم وتقع اليوم - في جمهورية (أوزبكستان) بالاتحاد السوفيتي، وعاصمة هذا الاقليم كانت تدعى (بنكث) وتدعى - اليوم - طشقند، و(طشقند) عاصمة (أوزبكستان) وقد اهتم الروس بها منذ ان استولوا على خانية بخارى عام ١٩٢٢م، وكانت (طشقند) تتبعها، واهملوا (بخارى) (وسمرقند) لأنها اكثر استعصاء على الاذابة.

وقد وصف ياقوت الحموي في (معجم البلدان) اقليم (الشاش) ونحن ننقل وصفه - هنا - بشيء من الاختصار:

(الشاش) اقليم ما وراء النهرين (جيحون) (وسيحون)، خرج منها خلق من العلماء والرواة والفصحاء، اهلها شافعية على الرغم من انتشار المذهب الحنفي في معظم بلاد ما وراء النهر ويرجع ذلك الى أبي بكر محمد بن اسماعيل القفال الشاشي، الذي فارقها، وتفقه، ثم عاد اليها، ونشر بها مذهب الشافعي.

وصفها (الاصطخري) بقوله: فأما (الشاش) و(ايلاق) فمتصلتا العمل، لا فرق بينهما: ومقدار عرض الشاش مسيرة يومين في ثلاثة، وليس بخراسان وما وراء النهر اقليم على مقداره من المساحة أكثر منابر منها، ولا أوفر قرى وعمارة، فحد منها ينتهي الى وادي (الشاش) الذي يقع في بحيرة (خوارزم) وحد الى باب الحديد ببرية، بينها وبين (اسفيجاب) تعرف بقلاص، وهي مراع، وحد آخر الى تنكرة تعرف بقرية النصارى، وحد الى جبال منسوبة الى عمل (الشاش) الا أن العمارة متصلة الى الجبل وما فيه مفترش العمارة.

و(الشاش) في أرض سهلة ليس في هذه العمارة المتصلة جبل ولا

أرض مرتفعة، وهي أكبر ثغر في وجه الترك (المقصود التركستان الشرقية قبل اسلامها) وأبنيتهم واسعة من طين وعامة دورهم يجري فيها الماء، وهي كلها مستترة بالخضرة، من أنزه بلاد ما وراء النهر قصبتها (عاصمتها) (بنكث) (طشقند) ولها مدن كثيرة وصفها (أبو الربيع البلخي) قائلا:

(الشاش) بــالصيــف جَنــة، ومن أذى الحر جُنَّــة
لكنني يعـتريني بهـا من البرد جِنـة

وقـال (البشاري) (الشاش) كورة (اقلـيم أو مقـاطعـة) وقصبتهـا (بنكث).

واقليم الشاش مرتبط بأقليم ايلاق اوثق ارتباط حتى قال عنها ياقوت (وكورته مختلطة بكورة الشاش لا فرق بينهما). ويقول بارتولد[1] وايلاق هي وادي أنجرين والشاش هي وادي نهر باراك المعروف باسم جرجيق.. ولهذا النهر منبعان يخرج احدهما من جبال بسكام ويخرج الآخر من رستاق جدغل...

وبالقرب من نهر انجزين تقوم مدينة بناكث وبالقرب من فم نهر جرجيق تقوم مدينة نجاكث والمسافة التي تفصل بين هاتين المدينتين ثلاثة فراسخ فقط...

ويقول المقدسي ان بناكث لم يكن بها حصن وكان جامعها في السوق وقد خربها المغول في هجومهم المدمر فيما دمروا من مدن العالم الاسلامي ولكن تيمورلنك اعاد بناءها وأسماها شاهرخيه تكريما لابنه القائد المغوار (شاهرخ) ولا تزال اطلال شاهرخيه (كما يقول بارتولد) ماثلة على الضفة الشرقية لنهر سرداريا (سيحون) عند فم وادي جيشجن. وأسفل هذا الموضع تقوم أطلال مدينة بناكث القديمة.

(١) كتاب تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي.

ويصف بارتولد عاصمة اقليم الشاش وهي بنكث (أو طشقند الحالية حسب أحسن التخمينات) فيقول: كان يحيط بمدينة بنكث سوران داخلي وخارجي وللسور الخارجي سبعة أبواب وللسور الداخلي عشرة ابواب وكان للشهرستان (المدينة الداخلة) ثلاثة ابواب تدعى باب ابي العباس وباب الجنيد وباب كش.. وللقلعة (القهندز) بابان أحدهما يفتح على الشهرستان والآخر على الربض (الضاحية).. وكان طول البلد فرسخ وعرضها فرسخ.. وكانت المدينة واطرافها تزخر بالبساتين والرياض.

ويشتهر اقليم الشاش واقليم ايلاق بمعادنه الكثيرة وخاصة معدن الفضة... وكان منجم الفضة على بعد مرحلة من بنكث (طشقند الحالية).. وكانت فضة الشاش تستخدم في السكة (النقود) طوال العصر العباسي..

ويذكر ياقوت عن أسبره أنها ناحية بأقصى بلاد الشاش بما وراء النهر..وانها بلاد يخرج منها النفط والفيروز والحديد والصفر(١) والذهب والآنك(٢)..وفيها جبال الفحم الذي كان يباع الحمل والحملان منه بدرهم واحد فقط.. وكان لهذا الفحم خاصية عجيبة اذ انه بعد احتراقه يتحول الى رماد شديد البياض فيستعمل رماده في تبييض الثياب ويتعجب ياقوت من ذلك قائلا (ولا يعرف في بلدان الارض مثل هذا).

أما قصبة ايلاق فهي مدينة تونكث التي صعب على الباحثين من امثال بارتولد (تحديد موقعها) وكانت الأرض المزروعة الواقعة على نهر جرجيق يطوقها من ناحية الشمال حائط يمتد من جبال سبالك الى وادي سرداريا (سيحون) وقد بني هذا الحائط لحماية المنطقة من غارات بدو الترك وذلك قبل اسلامهم وقبل فتح السامانيين لاسفيجاب أي قبل عام

---

(١) الصفر هو النحاس.
(٢) الآنك هو الرصاص.

٢٢٦ هـ (٨٤٠ م).. وينسب ابن حوقل بناء هذا الحائط الضخم الى عبد الله بن حميد الذي تولى أمر خراسان سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦ م) بعد وفاة أبيه عامل خراسان.. ولا تزال بقايا هذا الحائط ماثلة الى حين زيارة بارتولد لها (في بداية القرن العشرين) على شكل حاجز يسميه الاهالي كمبير دوال أي الحائط العجوز (ويا لها من تسمية تدل على عمره الذي يزيد عن ١٢٠٠ عام) ويبلغ طول بقايا هذا الحائط المكتشف ٢٤ ميلا مما يدل على أن طول هذا الحائط كان كبيرا جدا[١]. وقد كان هذا الحائط يصل الى شط نهر جرجيق على بعد فرسخين فوق بنكث (طشقند).

وعلى النقيض من اشروسنة كان عدد مدن الشاش وايلاق كبيرا للغاية فيذكر الاصطخري ٢٧ مدينة بالشاش بينما يذكر المقدسي ٣٤ مدينة.. ويذكر الاصطخري أسماء أربعة عشر مدينة بايلاق بينما يعد المقدسي اسماء سبعة عشر مدينة[٢]..

وقد وصف ياقوت ايلاق بما يلي:

ايلاق: مدينة من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك (المقصود التركستان الشرقية قبل اسلامها) على عشر فراسخ من مدينة الشاش، انزه بلاد الله وأحسنها.

وهو عمل برأسه.. وكورته مختلطة بكورة الشاش لا فرق بينهما.. وقصبتها تونكث وبايلاق معدن الذهب والفضة في جبالها ويتصل هذا الجبل بحدود فرغانة وقد نسب اليها قوم منهم:

(١) **أبو الربيع طاهر بن عبد الله الايلاقي**: كان اماما تفقه على ابي بكر عبد الله بن أحمد القفال المروزي وأخذ الاصول عن ابي اسحاق الاسفرائيني، مات سنة ٤٦٥ هـ (٩٧٥ م) وله ست وتسعون سنة.

---

(١) انظر بارتولد كتاب تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي).

(٢) المصدر السابق.

(٢) ابو عبد الله محمد بن داود بن أحمد الايلاقي: الخطيب: من ايلاق، اقام بمرو مدة وأخذ عن الحسن بن مسعود الفراء ثم انتقل الى نيسابور وسكنها وأخذ علم (الخلاف) في اقوال الفقهاء عن محمد بن يحيى الجيزي.

كان ابو عبد الله فقيها صالحا سمع الحديث الكثير من الفراوي وعبد المنعم القشيري وزاهر الشحامي وطبقتهم ثم قدم مرو وأقام في المدرسة العميدية الى أن مات سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٣ م).

أما (أشروسنة) فيصفها ياقوت بما يلي:

أشروسنة (بالضم ثم السكون وضم الراء وواو ساكنة وسين مهملة مفتوحة ونون وهاء).

أشروسنة بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند بينها وبين سمرقند ١٦ فرسخا..

قال الاصطخري: أشروسنة اسم الاقليم وليس بها مكان ولا مدينة بهذا الاسم والغالب عليها الجبال تقع شرقها فرغانة وغربها سمرقند وجنوبها حدود كش والصغانيان وشومان وواشجرد وراشت.

عاصمتها بنجيكث ومن مدنها ساباط وزامين وديزك وخرقانة ينسب الى اشروسنة عدد من أهل العلم منهم ابو طلحة حكيم بن نصر بن جندبك الاشروسني.

ويقول بارتولد أن كبرى مدن أشروسنة هي (بنجيكث كما يذكرها ياقوت) وانها الآن أطلال تقع على بعد ستة عشر ميلا الى الجنوب الغربي من أوراتبة.

أما ثاني مدن أشروسنة فهي زامين التي تقع على ضفتي نهر يخرج من الجبال القريبة ولم يكن لها سور كعادة المدن القديمة، بل كانت الاسواق

على ضفتي النهر وتصل بينهما جسور صغار.. وهي لا تزال باقية باسم سرسندة كما يقول بارتولد...

واما جيزك أو ديزك فتعتبر ثالث مدن اشروسنة.. وكانت تقع في السهل في رستاق فكنان واشتهرت بأنها أحد اهم مراكز المجاهدين المعروفين بالمطوعة لأنها كانت على حدود بلاد الكفار من القبائل التركية الشرقية الذين لم يكونوا قد دخلوا في الاسلام بعد. وكان بها عدد كبير من الاربطة والخانات المخصصة لهؤلاء المجاهدين.. ومن أشهر هذه الاربطة رباط خدايسر الذي بناه الأفشين قائد المعتصم السلجوقي...

ومن اعلام (الشاش) الإمام أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال (الكبير) الشاشي: ولد ٢٩١ هـ (٩٠٤ م) بالشاش، وطلب العلم، بعد أن اشتغل فترة بصنع الأقفال، وارتحل كما يفعل طلبة العلم - في ذلك العصر - الى (خراسان) و(العراق) ثم عاد بعد أن أصبح علما في الفقه الشافعي والتفسير واللغة والحديث - سمع الحديث من أبي عروبة، وابي بكر بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري، وابي بكر الباغندي، وابي بكر بن دريد، وروى عنه الحاكم، وابو عبد الرحمن السلمي.

له عدة تصانيف: منها (أصول الفقه) (ومحاسن الشريعة) و(شرح رسالة الشافعي) وتوفي سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) «وأدب القضاة».

ومن اعلامها الامام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي القفال، الملقب بفخر الاسلام:

ولد بقرية (ميافرقين) من اعمال الشاش سنة ٤٢٩ هـ (١٠٢٧ م) ورحل - كعادة طلبة العلم الى (خراسان) و(العراق) وطهر ونبغ في (بغداد) وتولى التدريس في المدرسة النظامية أشهر جامعات العالم في ذلك الزمان، وصارت اليه رياسة الشافعية ببغداد والعراق.

له عدة كتب، منها: (حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء)

و(المعتمد) و(الشافي شرح مختصر المزني و(الطلاق). والشافي شرح كتاب الشامل لشيخه ابي نصر بن الصباغ شرحه في عشرين مجلداً.

وتوفي ببغداد سنة ٥٠٧ هـ (١١١٤ م) بعد أن نشر العلم، تدريسا، وتعليماً، وكتابة وخطابة. ودفن الى جانب شيخه ابي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه والمهذب.

ولعل القارىء يلاحظ تكرار لقب القفال في علماء الاسلام، وبخاصة علماء بلاد ما وراء النهر، و(القفال) لقب (صنعة الأقفال) ونتيجة لهذه الجامعات المفتوحة في المساجد تحول هؤلاء الصناع المهرة من صنع الأقفال الى صنع الرجال، ومن التفنن في طَرْق الحديد الى التفنن في طُرِق الحديث، والفقه، واللغة، والتفسير.

وقد مر بنا ذكر الامامين: ابي بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال، ومحمد بن أحمد بن الحسين القفال، وكلاهما من (الشاش) وسيأتي:

أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد القفال المروزي، المشهور بالقفال الصغير، تمييزا له عن القفال الكبير. وهو محمد بن علي بن اسماعيل، وقد اشتغل بصنع الأقفال، حتى بلغ عمره أربعين سنة، ثم طلب العلم، وصار فيه علما اربعين سنة اخرى، وتوفي سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٦ م) في مصر، ودفن عند قبر الإمام الشافعي، وكان علما من أعلام الشافعية في العراق، ثم في مصر.

ومن أعلام الشاش ابو الحسن علي بن الحاجب الشاشي:

وهو أحد العلماء الأعلام في الحديث والفقه، طلب العلم في خراسان والعراق والشام والحجاز، ثم عاد الى بلاده الشاش يعلم الناس، وكانت وفاته بها.

ومن اعلامها أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم الشاشي:

كان يعد فقيه الحنفية في زمانه، ولد بالشاش، ونشأ بها، ثم ارتحل لطلب العلم، وسكن مصر، وتولى بها القضاء، وله كتاب (أصول الفقه)

المشهور باسم (أصول الشاشي) وكانت وفاته بمصر سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٧ م).

ومن أعلام الشاش أحمد بن محمد بن احمد الشاشي: وهو ابن فخر الاسلام محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي المتقدم ذكره. وكان أحمد قد افتى في حياة والده وحدّث. وبلغ مكانة عالية في العلوم الشرعية وإن لم يصل الى مكانة والده توفي سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م).

ومنهم: أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي: وهو حفيد فخر الاسلام المتقدم ذكره تفقه على ابن الخل شارح كتاب «التنبيه» للشيرازي، وكانت وفاته سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م).

ومنهم: عمر بن احمد بن الحسين الشاشي: أخو الإمام فخر الاسلام المتقدم ذكره. وتتلمذ على يد الشيخ ابي اسحاق الشيرازي وكانت وفاته سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م).

ومنهم: عبد الله بن محمد ابن أحمد الشاشي: والد أحمد بن عبد الله الشاشي.. وهو أيضاً ابن فخر الاسلام الشاشي. ولد سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) وتوفي سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م). ودفن في بغداد الى جانب والده الفخر الشاشي.

ومنهم: عمر بن محمد بن موسى الشاشي: ولد سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتفقه بمرو على الإمام ابي فضل اليمني وسمع بها الحديث من علمائها وتنقل في البلاد طلباً للعلم. ومات بقباشان سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م).

ومنهم: محمد بن علي بن حامد الشاشي: شيخ الشافعية في عصره. تفقه على الإمام أبي بكر السنجي في الشاش ثم استوطن غزنه (في أفغانستان) وصنف تصانيف كثيرة وظهر بها علمه وفضله ثم استدعاه نظام الملك الى هراة (في أفغانستان أيضاً). كان مولده سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٦ م) ووفاته سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م).

ومنهم: ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الشاشي: كان فقيها عالما تفقه على الامام البغوي وحدّث عنه وكانت وفاته سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠ م).

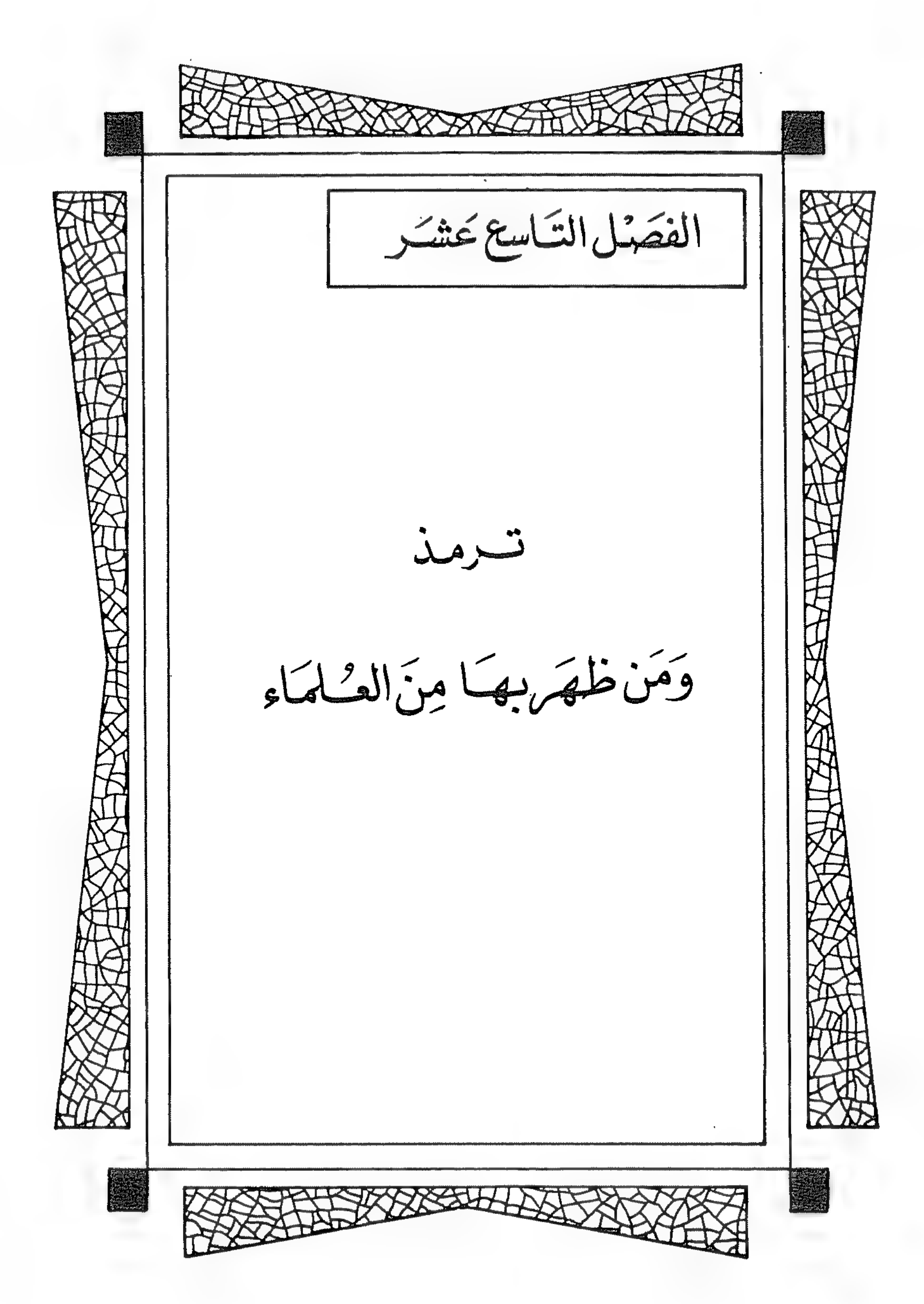
ومنهم: أبو الليث نصر بن حاتم بن بكر الشاشي: من أوائل أصحاب ابن سريج. من تلاميذه الامام أبي بكر محمد بن علي الشاشي (القفال الكبير) ومنهم الحاكم الذي قال: كتبنا عنه سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م).

ومنهم: المؤمل بن مسرور الشاشي: اشتهر بالعبادة والمجاهدة وكانت وفاته في مرو سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م).

ومنهم: القاسم بن محمد بن علي الشاشي: ابن الإمام القفال الشاشي الكبير وله كتاب التقريب.

ومنهم: عبد الجبار بن محمد بن ثابت الشاشي الخرقي: كان فقيها فاضلا عالماً بالحساب وتوفي بمرو سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م).

ومنهم: محمد بن اسماعيل بن عبيد الله بن ودعة القفال: كان حسن المعرفة بالمذهب والخلاف وعلم الكلام والجدل وكانت وفاته في دمشق سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م).



الفصل التاسع عشر

ترمذ

ومن ظهر بها من العلماء

تضبط ترمذ بكسر التاء والميم، وهو المستفيض على الألسنة، كما ذكره الحافظ الذهبي وياقوت في معجم البلدان، وبعضهم يجعلها بالفتح وبعضهم بالضم. تقع (ترمذ) على نهر جيحون الأعلى ويدعى - أيضاً - (أمودا ريا) ويشكل نهر جيحون الحدود بين جمهورية أوزبكستان وجمهورية تركمنستان وكلاهما واقع - اليوم - تحت الاستعمار الشيوعي الروسي فيما يسمى بالاتحاد السوفيتي، وترمذ - الان - مدينة صغيرة لا تذكر حتى على الخرائط واقعة في الحدود الغربية لجمهورية (أوزبكستان).

وقد كانت (ترمذ) مدينة عظيمة زاخرة بمدارسها ومعاهدها وأسواقها، وصفها ياقوت في معجم البلدان بقوله: (ترمذ مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون، من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصغانيان. (وهي ولاية عظيمة في بلاد ما وراء النهر، متصلة الأعمال بترمذ، كان أول من فتحها الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري، وذلك سنة ٤٦ هـ) ولها قهندز (القهندز لفظة فارسية تعني القلعة العتيقة وأصبحت علماً على قلاع المدن) وربض يحيط به سور، وأسواقها مفروشة بالآجر ولهم شرب يجري من الصغانيان، لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم).

وها هي اليوم - مدينة مجهولة، بعد أن دنستها اقدام المستعمرين الروس، وقد كانت البوذية سائدة في ترمذ حتى اشرق عليها نور الإسلام عندما فتحها موسى بن عبد الله بن خازم سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) واستقل بها موسى بن عبد الله عن حكم الدولة الاموية، ولكن ما لبث

عثمان بن مسعود أن أخضعها لسيادة الدولة الاموية وذلك سنة ٨٥ هـ (٧٠٤ م) عندما أرسله المفضل بن المهلب بن أبي صفرة لاستعادتها من موسى بن عبد الله بن خازم.

وكما هو معروف فإن المهلب ابن ابي صفرة وأبناءه يعتبرون من أقدر قواد الدولة الأموية وهم الذين مهدوا لها في العراقين عراق العرب وعراق العجم وفي فارس وخراسان وما وراء النهر وقمعوا كل فتنة وخاصة الخوارج الذين كثر خروجهم في دولة بني أمية.. وتعرف الجزيرة القريبة من ترمذ باسم جزيرة عثمان بن مسعود وهي تعرف الآن باسم جزيرة آرال بيغمير أي جزيرة الرسول وهي الجزيرة التي نزل بها عثمان بن مسعود في ١٥ ألف مقاتل لحصار ترمذ التي استقل بها موسى بن عبد الله عن الخلافة الأموية. وكانت ترمذ مرسىً هاماً على نهر جيحون (أموداريا) الذي ينبع من جبال بامير ويسير على الحدود بين افغانستان والاتحاد السوفيتي (جمهورية طادجكستان وأوزبكستان ثم تركمنستان) ثم يجري هذا النهر الهام بين تركمنستان وأوزبكستان حتى يصب في بحيرة خوارزم التي تعرف الآن باسم بحيرة آرال.

وقد كانت ترمذ تشتهر بصناعة السفن وصناعة الصابون.. وكانت تنافس بلخ في ذلك. وشاطرت ترمذ بلاد ما وراء النهر وخراسان تاريخها السياسي فكانت تابعة لعامل خراسان في عهد بني أمية ثم في عهد بني العباس.. ثم تبعت حكم آل سامان الذين حكموا بخارى وبلاد ما وراء النهر وافغانستان.. وان كانوا خاضعين رسمياً للخلافة العباسية، ثم تبعت بعد ذلك الدولة الخوارزمية ثم الدولة الغزنوية ثم السلاجقة ثم جاء التتار فدمروها تدميراً كما دمروا كثيراً من حواضر العالم الاسلامي.. وتحول التتار بعد ذلك الى الاسلام واستعادت ترمذ مجدها وذكرها ابن بطوطة في رحلته وقال انها مدينة جميلة كبيرة يعيش

آهلها في رغد من العيش.. (كانت رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري اي بعد التتار بقرن ونيف من الزمان) وقد ظهر بترمذ دولة علاء الملك خداوند زاده (وذلك قبيل ظهور التتار) الذين ينسبون الى الإمام السبط الحسين بن علي بن أبي طالب.. ورغم تخريب التتار لها إلا أن ترمذ سرعان ما استعادت مكانتها وكذلك بقي بيت علاء الملك حكاماً لترمذ حتى في عهد تيمورلنك.. ولا تزال قبور السادة من آل بيت النبي معروفة باسم (سلطان سادات) في قرية بالقرب من ترمذ تسمى صالح آباد.. ولم يبق من ترمذ المدينة القديمة سوى الاطلال.. ويوجد بين هذه الاطلال قبر من الرخام متقن الصنعة ينسب للولي محمد بن علي الترمذي المتوفي سنة ٢٥٥هـ وأشهر من نبغ من ترمذ الإمام الترمذي..

الإمام الترمذي: هو الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي، نسب الى بوغ وهي قرية من قرى (ترمذ) وقد توفي بها، كما نسب الى ترمذ التي ولد وعاش بها. ولد سنة ٢٠٩ هـ، وفي مولده بعض الاختلاف، وتوفي ٢٧٩ هـ، قيل أنه ولد أكمة (أي أنه ولد أعمى) والصحيح انه كف بصره في شيخوخته.

أدرك الترمذي كثيراً من أئمة شيوخ الحديث فكان من شيوخه الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، ولازم البخاري، وانتفع به انتفاعاً عظيماً، وكان ذكياً نابغاً، شديد الحفظ، متيناً في الدين، زاهداً ورعاً، وقد سمع منه البخاري حديثاً واحداً كعادة الشيوخ في اظهار فضل تلاميذهم النابهين، قال له البخاري ذات يوم: (ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي) وكفى بها شهادة من إمام الحديث للترمذي.

وعلى الرغم من اعتزاز (الترمذي) بشيخه البخاري وتوقيره اياه، توقيراً لا حد له، الا انه خالفه فيما يظن أنه الحق.

كان عصر الترمذي هو عصر الحديث حقاً، فقد ظهر اعلام المحدثين

في عصر واحد تقريباً وعاش اصحاب الامهات الست في الحديث، في وقت واحد، وكل من جاء بعدهم كان عالة عليهم. الى حد كبير.

واليك بياناً يوضح تاريخ مولد ووفاة هؤلاء الأئمة الستة، أصحاب الصحاح، والسنن المشهورة وهي المعتمدة أساساً في كتب الحديث:

١ - الإمام محمد بن أسماعيل البخاري، ولد في شوال سنة ١٩٤ هـ وتوفي في شوال سنة ٢٥٦ هـ. وهو صاحب (الجامع الصحيح) اشهر كتب الحديث وأصحها.

٢ - الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ولد سنة ٢٠٤ هـ. ومات سنة ٢٦١ هـ وهو صاحب الصحيح المشهور بأسم صحيح مسلم، وهو أحسن كتب الحديث تبويباً، وصنعة، ويأتي بعد (صحيح البخاري) في درجة الصحة.

٣ - الإمام محمد بن عيسى الترمذي، ولد سنة ٢٠٩ هـ، ومات سنة ٢٧٩ هـ، وهو صاحب (الجامع الصحيح) المشهور باسم (سنن الترمذي).

٤ - الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث، ولد سنة ٢٠٢ هـ، ومات سنة ٢٧٥ هـ، وهو صاحب (سنن أبي داود).

٥ - الإمام أحمد بن علي النسائي، ولد سنة ٢١٥ هـ، ومات سنة ٣٠٣ هـ وهو صاحب سنن النسائي.

٦ - محمد بن يزيد بن ماجه، ولد سنة ٢٠٩ هـ ومات سنة ٢٧٣، وهو صاحب سنن ابن ماجه.

ولعل القارىء الكريم قد لاحظ أن أكثر هؤلاء الأئمة قد ولد في بداية القرن الثالث الهجري وتوفي في الثلث الأخير منه، وقد تتلمذ بعضهم لبعض، واشتركوا جميعاً في الأخذ عن تسعة شيوخ هم:

١ - محمد بن بشار بندار. توفي سنة ٢٥٢ هـ.

٢ - أبو موسى محمد بن المثنى توفي ٢٥٢ هـ.

٣ - زياد بن يحيى الحساني.

٤ - عباس بن عبد العظيم العنبري توفي سنة ٢٤٦ هـ.

٥ - أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد الكندي توفي سنة ٢٥٧ هـ.

٦ - أبو حفص عمرو بن علي الفلاس توفي سنة ٢٤٩ هـ.

٧ - يعقوب بن ابراهيم الدورقي المتوفي سنة ٢٥٢ هـ.

٨ - محمد بن معمر القيسي البحراني سنة ٢٥٦ هـ.

٩ - نصر بن علي الجهضمي. المتوفي سنة ٢٥٠ هـ.

وانت ترى أن ائمة الحديث الستة نشأوا وولدوا في (خراسان) وبلاد ما وراء النهر، فالإمام (البخاري) من بخارى (وهي اليوم - في جمهورية (أوزبكستان) والامام مسلم من (نيسابور) وهي من أهم مدن (خراسان) وهي - اليوم - في ايران، و(خراسان) كما اسلفنا القول مقسمة - اليوم - بين الاتحاد السوفيتي (جمهورية تركمنستان) وأفغانستان.. (وكلاهما يرزح تحت الاحتلال الروسي الشيوعي) وايران (وهي توشك ان تقع فريسة للدب الروسي).

والإمام الترمذي من (ترمذ) في (أوزبكستان) بالاتحاد السوفيتي. والإمام ابو داود من سجستان (وسجستان) تقع جنوب (هراة) في (أفغانستان) وتبعد عنها بثمانين فرسخاً. والإمام النسائي من (نسا) بخراسان وهي الآن خرائب على بعد خمسة أميال من عشق آباد في جمهورية تركمنستان السوفيتية.

والإمام ابن ماجة من أهل (قزوين) وبحر قزوين واقع - اليوم -

في معظمه تحت براثن الاستعمار الروسي ما عدا الشاطىء الجنوبي منه، فإنه يقع في ايران.

وكم ظهر من ائمة العلماء، في كل فن، من شواطىء هذا البحر، الذي كان بحيرة اسلامية لا ينازعهم فيها منازع.

وبحر قزوين له أسماء عديدة منها بحر الخزر، وبحر الديلم، وبحر جيلان، وبحر جرجان وبحر طبرستان، وبحر شروان، وبحر باكو، وقد ذكرنا هذه الأسماء جميعاً، لأن الباحث قد يقرأ أحدها فيظنه مكاناً آخر، ويتعب في البحث، حتى يجد أن المقصود واحد، وهو بحر (قزوين).

وقد فتحت (قزوين) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فتحها الصحابي الجليل البراء بن عازب، غزاها منطقة منطقة، حتى أخضع أغلبها لحكم الاسلام، وانتقضت هذه المناطق في عهد عثمان - رضي الله عنه - ثم أعادها الصحابي الربيع بن خيثم في عهد الإمام علي - كرم الله وجهه - ووسع أراضي المسلمين فيها، وكان الإمام علي يقول: (من كره منكم ان يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه، وليخرج الى الديلم، ليقاتلهم).

وها هي (قزوين) التي كانت معقلا من معاقل الاسلام، وحصناً من حصونه المنيعة، ترزح تحت الاستعمار الروسي، دون أن نعرف أن لنا أوطاناً كثيرة لا تزال تحت نير الاستبداد الشيوعي.

وهكذا ترى، عزيزي القارىء، أن أغلب واشهر علماء الاسلام هم من بلاد ما وراء النهر (التركستان) وخراسان وجميعها - تقريباً - واقع تحت براثن الدب الروسي اليوم...

لقد كان الإمام الترمذي يطوف البلاد الاسلامية، وخرج من (ترمذ) الواقعة - اليوم - في (أوزبكستان) الى (خراسان) يتعلم، ويعلم،

ويسمع من شيوخها. ويتدارس العلم معهم وينشره في مساجدها. وينتقل من مرو الى (نيسابور) ومن (نيسابور) الى الري، ومن خراسان الى فارس، ومن فارس الى العراق، الذي كان يموج بحركة علمية واسعة، ويدخل بغداد والبصرة ويسمع من مشائخها ويحدث في مساجدها.. ثم ينتقل من العراق الى الحجاز ليتعلم ويعلم.

وهكذا كان علماء الإسلام عامة، وعلماء الحديث خاصة، مولعين بالرحلات المتتابعة، ليسمعوا من شيوخ الحديث وأينما انتقلوا فهم في دارهم دار الاسلام، ولا حواجز مصطنعة ولا حدود مفتعلة، ولا جوازات ولا قيود، وهذه هي دار الاسلام متصلة بالود عامرة بالحب، على الرغم من مشاق الطريق، ووعثاء السفر.

لقد سمع من الإمام الترمذي خلق كثير في ترمذ و(مرو) و(نيسابور) و(البصرة) و(بغداد) و(مكة) و(المدينة) وأشهر تلاميذ الإمام (الترمذي) محدث خراسان، وعلمها أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي المروزي (نسبة الى مرو عاصمة خراسان) وتقع - اليوم في جمهورية (تركمنستان) في الاتحاد السوفيتي).

وللترمذي مؤلفات كثيرة، أهمها وأشهرها (الجامع الصحيح) المشهور باسم (سنن الترمذي) الذي مدحه جهابذة العلماء، وقال عنه مؤلفه الإمام (الترمذي).

(صنفت هذا الكتاب، فعرضته على علماء الحجاز. والعراق، وخراسان، فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم).

وقال عنه الحافظ (ابو الفضل المقدسي) فيما يرويه عن شيخه (الانصاري) قال (كتاب الترمذي عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم، لأن كتابي بخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منهما، الا المتبحر العالم،

وكتاب أبو عيسى يصل الى فائدته كل أحد من الناس).

ووصف (المقدسي) كتاب (الترمذي) ادق وصف، وشرح أبوابه، وطريقته في التأليف، بإيجاز وافٍ، وننقله هنا، لأنه يوضح الكتاب ومقاصده:

وكتابه على أربعة أقسام: قسم صحيح مقطوع به. وهو ما وافق فيه البخاري ومسلماً، وقسم على شرط الثلاثة دونها (أي أبي داود والنسائي وابن ماجة) كما بيناه، وقسم للضدية، أبان علته، ولم يغفله وقسم رابع، أبان هو عنه، وقال (أي الترمذي):

(ما أخرجت في كتابي هذا الا حديثاً قد عمل به محتج، أو عمل بموجبه عامل واخرجه سواء صح طريقه أم لم يصح، وقد أزاح عن نفسه الملام، فإنه شفي في تصنيفه، وتكلم عن كل حديث بما يقتضيه).

وكان من طريقته - رحمه الله - أن يترجم الباب، الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق اليه، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر، لم يخرجوه من حديثه ولا يكون الطريق اليه كالطريق الأول، الا أن الحكم صحيح ثم يتبعه بأن يقول:(وفي الباب عن فلان وفلان، ويعد جماعة فيهم الصحابي المشهور وأكثر). وقال (القاضي ابن عربي)عن كتاب (الترمذي) ما يلي:

(وليس فيهم مثل كتاب أبي عيسى حلاوة مقطع، ونفاسة منزع، وعذوبة مشرع، وفيه أربعة عشر علماً، وذلك أقرب الى العمل وأسلم، وأسند، وصحح، وضعف، وعدد الطرق، وجرح، وعدل، وأسمى، وأكنى، ووصل، وقطع، وأوضح المعمول به، والمتروك، وبين اختلاف العلماء في الرد والقبول لآثارة وذكر اختلافهم في تأويله. وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه، وفرد في نصابه، فالقارىء له لا يزال في

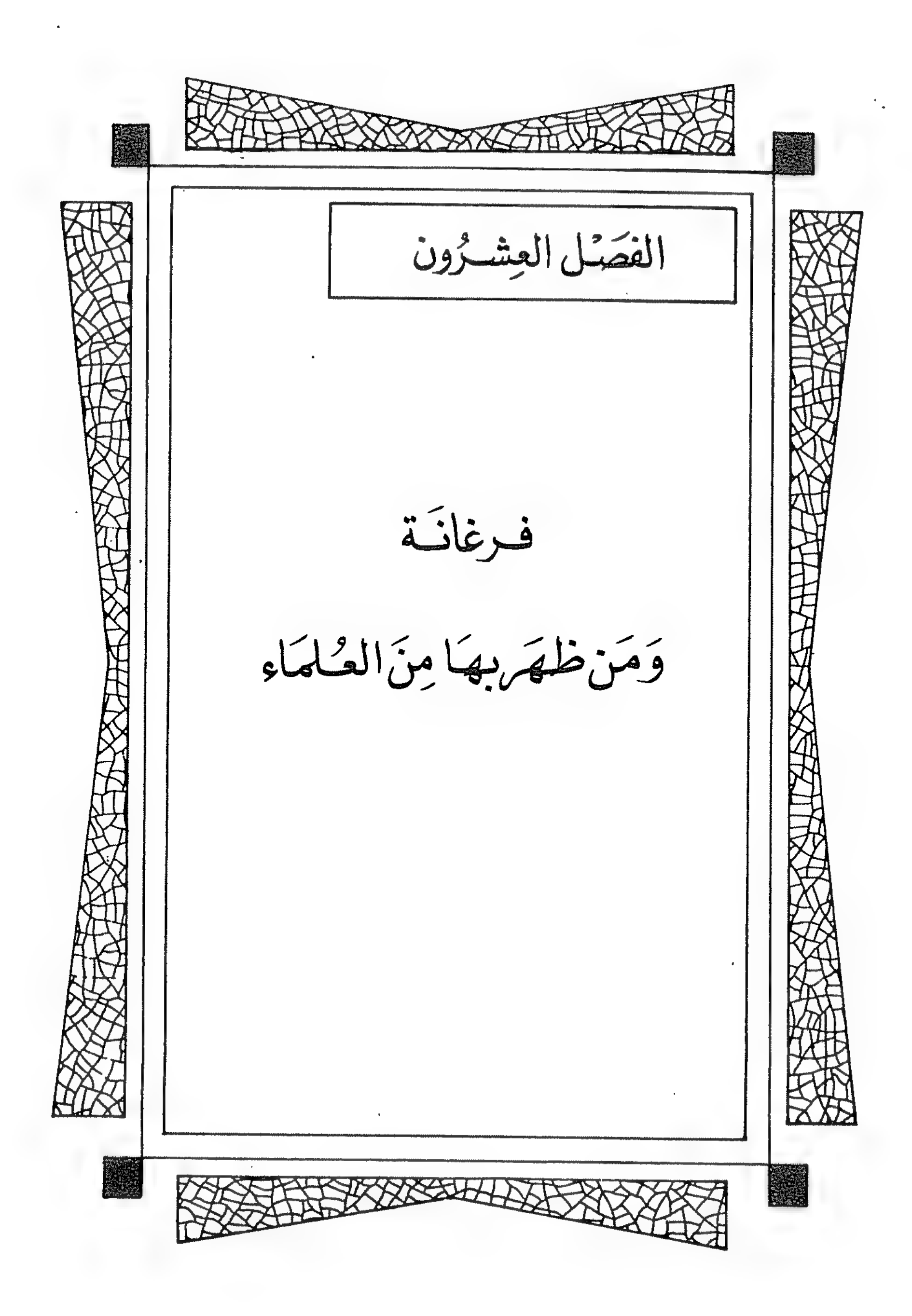
رياض مونقة وعلوم متفقة متسقة، وهذا شيء لا يعمه الا العلم الغزير والتوفيق الكثير، والفراغ والتدبير).

ولم يكتف (الترمذي) بكتابه (الجامع الصحيح) بل ألف كتباً كثيرة، في الحديث وغيره، منها كتاب (الشمائل) وكتاب (العلل) في الحديث وكتاب (الاسماء والكنى) في رجال الحديث وكتاب (الزهد) وكتاب (التاريخ).

عاش (الترمذي) حياة العلماء الأفذاذ الزهاد، من هذه الأمة الممتدة من الصين في الشرق الى المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) في الغرب - حياة مليئة بالعلم والعمل، مع ترفع وزهد عن الدنيا، وبذل لكل غال ونفيس في سبيل تحصيل العلم، أولا، ثم نشره بعد تحصيله والتمكن منه.

قال عنه (الحاكم) أحد أعلام الحديث من بعده: (مات محمد بن اسماعيل البخاري، ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي، وبقي ضريراً سنيناً).

رحم الله الإمام (الترمذي) ورضي عنه، ورضي عن جميع علماء هذه الأمة الابرار، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، ونشروا العلم في ربوع الأرض لا يبتغون مالا ولا عزاً ولا جاهاً، وعرفوا أنهم ورثة الأنبياء، فقاموا مقامهم يذبون عن شريعتهم، وينشرون رايتهم، ويرفعون اعلامهم لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يبالون بنصب أو مشقة...



الفصل العشرون

فرغانة

ومن ظهر بها من العلماء

جُغْـرَافيتُهَا وَمُـدُنهَا

تقع فرغانة - اليوم في جمهورية (قيرغيزيا) في الاتحاد السوفيتي، وقد أهملت فرغانة وأصبحت العاصمة (فرونزي) - (ويقع جزء منها في جمهورية اوزبكستان وهو خوقند وما حولها).

وكان يطلق على الاقليم بأكمله اسم (فرغانة) وكانت بلاد ما وراء النهر تقسم الى ست كور أي مقاطعات، وهي:

١ - (فرغانة) وقصبتها (أخسكيت).

٢ - (أسبيجاب) وقصبتها (أسبيجاب).

٣ - (الشاش) وقصبتها (بنكث) وهي طشقند اليوم.

٤ - (الصغد) وقصبتها (سمرقند).

٥ - (بخارى) وقصبتها (بخارى).

وتقع (طشقند) و(سمرقند) و(بخارى) اليوم، في جمهورية أوزبكستان بالاتحاد السوفيتي.

٦ - (أشروسنة) وقصبتها (بنجكث).

ويقع على نهر جيحون، اقليم (خوارزم) وعاصمته - اليوم - تدعى (خيوة).

وصف ياقوت الحموي فرغانة في (معجم البلدان) فقال عنها: (مدينة وكور واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية، من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخيرات، واسعة الرستاق يقال كان بها أربعون منبراً، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا، ومن ولايتها خجندة (خوقند) (وتقع خوقند

حاليا في شرق جمهورية اوزبكستان).

وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الاعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين، مباح ذلك كله، لا مالك له، ولا مانع يمنع الآخذ منه، وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره. قال الاصطخري (فرغانة) اسم الاقليم، وهو عريض، على سعة مدنها وقراها وقصبتها (عاصمتها) أخسكيت، وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم.

ويصف بارتولد أخسكيت فيقول (باختصار وتصرف):

أخسكيت: قصبة ولاية فرغانة تقع في الجزء الشمالي منها - على شط سيحون (سرداريا) الايمن ويذكر المقدسي وابن حوقل انها كانت مكونة مثل بقية المدن القديمة من قلعة (قهندز) ومدينة (شهرستان) وضاحية (ربض) وكانت دار الامارة والحبس بالقلعة.. أما المسجد الجامع فكان بالشهرستان بجوار القلعة (كما هو الحال في سمرقند وبخارى) وأما مصلى العيد فكان على شط نهر جيحون (سرداريا).

وكانت الاسواق في الشهرستان وفي الربض.. وكان للشهرستان خمسة أبواب وكان يسقي الشهْرستان عدد من القنوات المتصلة بالنهر تصب في حياض جميلة جوانبها من الآجر والجص مصهرجة.

وكانت المدينة تمتد لأكثر من ثلاثة فراسخ كما يقول ابن حوقل.. ويقارنها المقدسي بمدينة الرملة في فلسطين فيقول انها أكبر منها بمرة ونصف وكانت البساتين تمتد خارج المدينة الى فرسخين (الفرسخ ثلاثة أميال) وفي الجانب المقابل من النهر مروج ومزارع كثيرة تليها رمال تمتد بمقدار مرحلة.

وكان يربط اخسكيث بالأجزاء الجنوبية لفرغانة عدد من الطرق فكان هناك طريق مستقيم يربطها بخوقند مجتازا المفازة والرمال (سبعة فراسخ) وهناك طريق آخر يربطها بخوقند عبر مدينة باب وهناك طريق يربط أخسكيث بمدينة قبا يبلغ طوله عشرة فراسخ.

وتقع مدينة كاسان على بعد خمسة فراسخ شمال اخسكيث.. وكانت كاسان عاصمة لامراء فرغانة في القرن الثامن والتاسع الميلادي.

ويعد المقدسي من مدن فرغانة وقراها أربعين ذات مسجد جامع.

أما ياقوت فيصف اخسكيث بما يلي:

أخسكيث: بالفتح ثم السكون وكسر السين المهملة وياء ساكنة وكاف وثاء مثلثة وبعضهم يقول بالتاء المثناة.. اسم مدينة بما وراء النهر وهي قصبة فرغانة تقع على شط نهر الشاش (نهر سيحون او سرداريا) على أرض مستوية.. بينها وبين الجبال نحو فرسخ شمالي النهر.

ولها قهندز وربض. ومقدارها في الكبر نحو ثلاثة فراسخ (تسعة أميال) وبناؤها طين وعلى ربضها ايضا سور.. وللمدينة الداخلة (الشهرستان) أربعة أبواب.

وفي المدينة والربض مياه جارية وحياض كثيرة، وكل باب من أبواب ربضها يفضي الى بساتين ملتفة وانهار جارية لا تنقطع مقدار فرسخ (٣ أميال).. وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر.

وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب منهم:

أبو الوفاء محمد بن محمد بن القاسم الاخسكيتي: كان اماما في اللغة والتاريخ.. توفي سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٥ م) وأخوه **أحمد بن محمد بن القاسم** كان أديباً فاضلاً شاعرا.. وكان مقامهما بمرو وبها ماتا. ومن شعر أحمد يصف بلده:

من سوى تربـــــــة أرضي خلـــق الله اللئـــامـــا
أن أخسكيـــــــــث أم لم تلـــد الا الكرامـــا

ومنها نوح بن نصر بن محمد الفرغاني الاخسكيثي قدم همذان سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٤ م) وروى الحديث عن بكر بن فارس الناطقي وأحمد بن محمد الهروي.. وسمع بالعراق وخراسان والشام.

وتعتبر خجندة ولاية من ولايات فرغانة.. وهي مدينة تتبعها أرياف تدعى الرساتيق وقد كانت خجندة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وحدة ادارية مستقلة ولكنها غدت بعد ذلك من أعمال فرغانة وكان لخجندة ملك قبل الاسلام. وكانت خجندة من أكبر مدن ما وراء النهر وتخضع لنفس النظام الذي كانت تتبعه تلك المدن أي انها مكونة من القلعة (القهندز) والمدينة (الشهرستان) والضاحية (الربض).. وفي القلعة كان الحبس وفي الشهرستان يقوم المسجد الجامع.. أما دار الإمارة فكانت في الربض. (على غير المعتاد.. لأن معظم المدن القديمة كانت دار الإمارة تقوم في القلعة).

وقد اشتهرت خجندة بكرومها وبساتينها.. وكان عدد السكان من الكثرة بحيث لم تكن غلة الحقول المجاورة تفي بحاجتهم من الغذاء.. لذا فإن قمح المدينة كان يأتي من فرغانة واشروسنة. (وتقع خجندة (خوقند) حاليا في جمهورية اوزبكستان).

وكانت تشق وسط المدينة قناة تأخذ من نهر خوجة باقرغان احد فروع نهر سرداريا (سيحون). وكانت مدينة كند تعتبر من أعمال خجندة..

وكانت الرحلة من خجندة الى سمرقند تستغرق ثمانية أيام بالراحلة وتعتبر المنطقة الواقعة بينهما ومسافتها ١٤٨ ميلا ضمن ولاية أشروسنة

وكانت المنازل في هذه الطريق مجموعة من القرى والمدن التابعة لاشروسنة وهي باركث ورباط معد وزامين وساباط واركند وشاوكث.. ولم تكن عاصمة اشروسنة وهي بنجكث تقع على هذا الطريق..

وقد وصف ياقوت في معجم البلدان خجندة بما يلي (باختصار وتصرف).

خجندة: بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون (سرداريا) بينها وبين سمرقند عشرة أيام.. وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه وفي وسطها نهر جار والجبل متصل بها.

وفيها قال الشاعر:

ولم أر بلـــــدة بـــــازاء شرق
ولا غرب بـــأنزه من خجنــــــدة
هي الغراء تعجـــــب من رآهـــــا
وهي بـــالفـــارسيـــة دل مزنـــدة

وكان سلم بن زياد لما ولي خراسان ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان أنفذ جيشا الى خجندة فهزموا..

وقال الاصطخري: خجندة متاخمة لفرغانة قد جعلناها في جملة فرغانة.. وان كانت مفردة في الأعمال عنها، وهي في غربي نهر الشاش (سيحون) وطولها أكثر من عرضها وليس في عملها مدينة غير كند، وهي بساتين ودور مفترشة ولها قرى يسيره ومدينة وقهندز (قلعة) وهي مدينة نزهة فيها فواكه تفضل على فواكه سائر النواحي وفي أهلها جمال ومروءة وهي بلد يضيق عما يمونهم من الزروع فيجلب اليها من سائر النواحي من فرغانة وأشروسنة أكثر من سنة ما يقيم أودهم.. تنحدر السفن اليهم في نهر الشاش (نهر سيحون) وهو نهر يعظم من أنهار تجتمع

إليه من حدود الترك والاسلام.. وعموده نهر يخرج من بلاد الترك في حد أوزكند ثم يجتمع اليه نهر خوشاي ونهر اوشى وغير ذلك فيعظم ويمتد الى أخسكيت ثم على خجندة ثم على بنكث (طشقند) ثم على بيكند فيجري الى فاراب فاذا جاوز صبران جرى في برية تكون على جانبيه الاتراك الغزية حتى يقع في بحيرة خوارزم (بحر الارال).

وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم منهم **أبو عمران موسى بن عبد الله المؤدب الخجندي**.. كان أديباً فاضلا صاحب حكم وأمثال مدونة مروية.. وقد أخذ الحديث عن أبي النصر محمد بن الحكم البزاز السمرقندي وغيره.

وتعتبر **مرغينان** من أهم مدن فرغانة وذلك منذ عهد القراخانيين ويصفها السمعاني كما ينقله عنه ياقوت في معجمه بأنها من أشهر البلاد من نواحي فرغانة. وتليها مدينة **قبا** وهي الآن قرية (كوفا) وتفوق من حيث المياه وعدد البساتين اخسكيت العاصمة نفسها.. وكانت كبقية المدن القديمة تضم (قهندز) (قلعة) وشهرستان (مدينة) وضاحية (ربض) وكانت الاسواق ودار الإمارة والحبس بالربض.. أما المسجد الجامع فكان بالقلعة وتقع المدينة على مجرى ماء متصل بنهر سيحون (سرداريا).

ومن مدن فرغانة **انديجان** والنسبة إليها انديجاني وهي من المناطق التي فتحها المسلمون مبكراً رغم أن فرغانة لم تخضع نهائيا للحكم الاسلامي الا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

وهناك اسطورة تزعم ان بفرغانة قبر النبي أيوب ولا تزال موجودة الى اليوم باسم حضرت ايوب وحولها مياه يستشفى بها لانهم يعتقدون انها هي التي استشفى بها أيوب عليه السلام.. وتقع حضرت أيوب هذه على بعد ميل ونصف من قرية جلال أباد[1] بالقرب من مدينة انديجان

(١) انظر كتاب بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي:

وقد وصفها المقدسي، ويذكر بارتولد في كتابه التركستان نقلا عن جمال قرشي ان في منطقة اسبيد بولان بفرغانة قبور الفين وسبعمائة من الصحابة والتابعين الذين بعثهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تحت امرة محمد بن جرير فاستشهدوا جميعا في واقعة مع الكفار.. ولا يزال هذا الموضع قائما الى اليوم كما يقول بارتولد. كما نجد في منطقة فرغانة في خوقند قبر الامام عبد الله بن علي زين العابدين بن الإمام السبط الحسين بن علي المتوفي عام ١١٣ هـ (٧٣١ م).

وفي رباط سرهنك في قرية كاخ من أعمال فرغانة نجد قبر فاتح بلاد ما وراء النهر قتيبة بن مسلم الباهلي ويشير الاهالي إليه باسم مقبرة (الامام الشيخ قتيبة) في جلال كدك من أعمال انديجان.

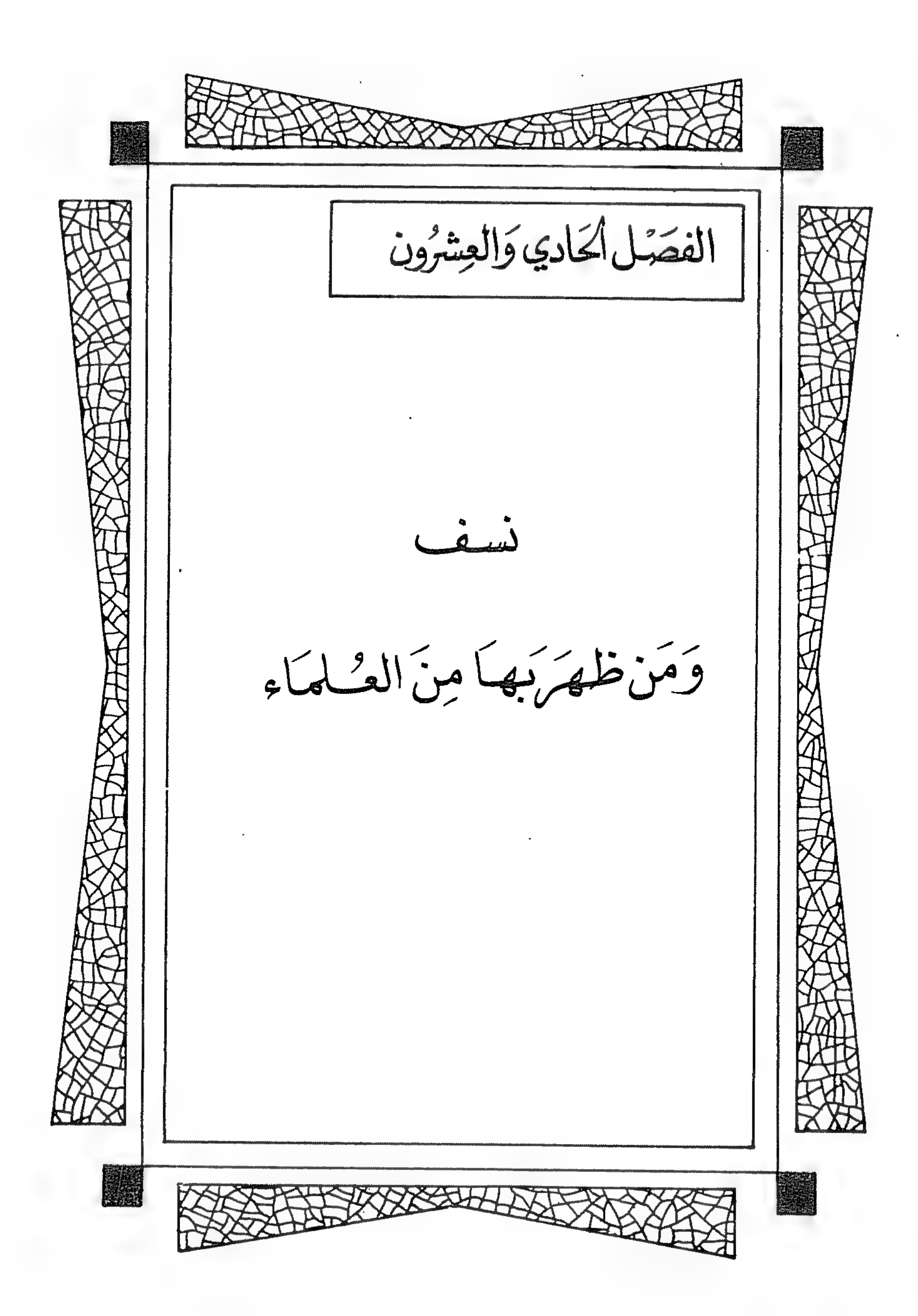
ويصف ابن حوقل الاصطخري مناجم الفحم في جبال أسبره.. وكانت تباع ثلاثة اوقار (والوقر حمل حمار) بدرهم فقط. هكذا كانت فرغانة، أما بعد أن دخلها الروس القياصرة، وذلك عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) فقد أقاموا بها مستعمراتهم، وطردوا سكانها، وبحلول عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) - كان الروس قد أقاموا ثمانين مستعمرة روسية، وفي عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) - ثار الأهالي ضد القوات الغازية، فأبادت القوات الروسية مائة وخمسين الفا من الاهالي. وشردت مئات الألوف، الذين فروا الى الجبال، حيث لاقى العديد منهم حتفهم، نتيجة المجاعة الرهيبة، التي سببتها القوات الروسية باحراقها المحاصيل، وتكررت حرب الابادة، بعد أن جاء لينين وقامت الثورة الشيوعية بأبشع مما كانت عليه أيام القياصرة وأبيد سكان المنطقة الشمالية من اقليم فرغانة (جمهورية قرغيزيا)عن بكرة أبيهم، حتى المواشي والاغنام لم تسلم من الابادة، ففي المناطق الجنوبية التي بقي فيها القرغيز (لانها اقل خصوبة من المناطق الشمالية) تناقص عدد المواشي من ٦ مليون رأس عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) الى مليوني رأس عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م)

وذلك حسب الاحصاءات الرسمية السوفيتية. ولم تترك روسيا حتى أولئك الذين تظاهروا بالشيوعية وساروا في ركابها من سكان القرغيز، بل أبعدت رئيس وزراء قيرغيزيا (يوسف عبد الرحمانوف) وأعدمت رزفيلوف وعبد الكريم صديقوف لأنها طالبا باشباع سكان قيرغيزيا من حاصلاتها الزراعية قبل ارسال المنتوجات الزراعية الى موسكو. وفرغانة (قيرغيزيا) غنية في ثرواتها الزراعية والمعدنية وأهم حاصلاتها: القطن والشوندر السكري، والحبوب، والفواكه، وأهم معادنها: الذهب، والقصدير، والتوتياء والبترول، والفحم، والأنتومني: والزئبق.

كانت (فرغانة) مسقط رأس علماء أجلاء مثل **أحمد بن كثير الفرغاني** الذي عاش في زمن الخليفة العباسي المتوكل، وقد انتقل هذا العالم المهندس من فرغانة الى بغداد حيث اشتهر في علم الهيئة، ثم طلبه حاكم مصر الى القاهرة فأنشأ بها المقياس الجديد لفيضان النيل في منيل الروضة بالقاهرة. ومن علماء (فرغانة) الذين ينسبون إليها **أبو منصور أحمد بن عبد الله الفرغاني** الذي ولد عام ٣٢٧ هـ (٩٣٨ م)، وتوفي سنة ٣٩٨ هـ (١٠٠٧ م) انتقل الى مصر، وسكن بها الى ان وافته المنية، واشتهر بمؤلفاته التاريخية، منها (سيرة كافور الأخشيدي) وسيرة العزيز سلطان مصر المنتسب الى العلويين. وتكملة لتاريخ بدأه والده اسمه (التاريخ). ومنها **علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني** الذي يعد أحد مشاهير علماء الاحناف، نسبته الى (مرغينان) وهي احدى قرى (فرغانة) ولد سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) وتوفي سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٤ م) وكان حافظاً مفسراً محققاً فقيهاً أديباً من تصانيفه (بداية المبتدي) وشرحه (الهداية في شرح البداية)و(منتقي الفروع) و(الفرائض) و(مناسك الحج) و(مختارات النوازل) وفتاويه جمعها في كتاب اسماه (التجنيس والمزيد). ومنها **حاجب بن مالك بن راكين**

الفرغاني انتقل من بلده فرغانة الى دمشق وحدث بها عن أحمد بن ابراهيم البالس وأحمد بن حمدون وعمرو بن علي وهلال بن العلاء وغيرهم.. وروى عنه سعيد بن الاعرابي ويوسف الميانجي وأبو بكر بن أبي دجانة وأبو القاسم الطبري وغيرهم وكانت وفاته بدمشق سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م).

ومنها: أبو الفتح محمد بن اسماعيل الفرغاني دخل نيسابور، وتلقى علوم الحديث ومنها حسام الدين محمد بن محمد بن عمر الاجنسكيثي نسبة الى (أخسكيث) وهي عاصمة اقليم فرغانة آنذاك وتوفي سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ م) وهو فقيه حنفي أصولي، له كتاب (المنتخب في أصول المذهب)، المشهور بالمنتخب الحسامي، الذي شرحه مجموعة من العلماء، منهم الفقيه عبد العزيز البخاري. ومنها أحمد بن محمد بن القاسم الأجنسكيثي ولد سنة ٤٦٦ هـ(١٠٧٤ م) في فرغانة وهي (أخسكيث) اشتهر بالأدب، وحسن الصنعة في الكتابة، واختاره الحكام والسلاطين، ليكون كاتبهم، له مصنفات في الأدب، منها كتابه (الزوائد) في شرح سقط الزند - للمعري وتوفي بمرو سنة ٥٣٨ هـ (١١٣٤ م).



الفصل الحادي والعشرون

نسف

ومن ظهر بها من العلماء

يقول ياقوت الحموي: (نسف) بفتح اوله وثانيه هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند، خرج منها كثير من أهل العلم في كل فن، وهي نخشب نفسها.

«قال الاصطخري: وأما (نسف) فانها مدينة، ولها قهندز (لفظ قهندز فارسي، ومعناه القلعة القديمة، واختص بقلاع المدن) وربض (ضاحية) ولها أبواب أربعة، وهي على مدرج (طريق) بخارى وبلخ، وهي في مستواه، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش وأما بينها وبين جيحون فمفازة لا جبل فيها، ولها نهر واحد يجري في وسط المدينة وهي مجمع مياه كش، فيصير منها هذا النهر، فيشرع الى القرى، ودار الامارة على شط هذا النهر بمكان يعرف برأس القنطرة.. ولنسف قرى كثيرة ونواح، ولها منبران سوى المدينة، والغالب على قراها المباخس، وليس بنسف ورساتيقها نهر جار غير هذا النهر (نهر كشكادريا) وينقطع في بعض السنة، ولها آبار تسقي بساتينهم ومباقلهم، والغالب على نسف الخصب».وقد ذكر بارتولد في كتابه التركستان نقلا عن السمعاني وياقوت والمقدسي اسماء عشرات القرى التابعة لنسف.

مما تقدم من وصف (ياقوت الحموي) يبدو أن (نسف) تقع اليوم - في (أوزبكستان) جنوب (بخارى) في الطريق الى بلخ وبلخ في أفغانستان وبينها وبين نهر جيحون (اموداريا) مفازة هي - كما تبدو - جزء من صحراء (قره قوم) التي تمتد من حدود، (أوزبكستان) الشرقية الى (تركمنستان) وقد خرب المغول نسف مثلما خربوا معظم المدن التي استولوا عليها ثم قامت باسم قرشي التي تعني القصر بلغة المغول. وذلك لان الخان كبك وهو من سلالة جغتاي ابن جنكيزخان بنى قصرا قريبا

منها فقامت حوله المدينة من جديد وعرفت منذ ذلك العهد باسم قرشي وذلك بعد ان دخل المغول في الاسلام وأصبحوا من حماته بعد ان كانوا ألد اعدائه.

وكم من مدن اسلامية اندثرت أو تغيرت أسماؤها ومعالمها في المناطق، التي ترزح تحت الاستعمار الروسي.. وقد ظهر من **(نسف)** العديد من الجهابذة العلماء.

منهم: ابو اسحاق ابراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي:

قال عنه ياقوت: كان من أجلة العلماء وأصحاب الحديث الثقات، كتب الكثير، وجمع السنة والتفسير، وحدث عن، قتيبة بن سعد وهشام ابن عامر الدمشقي وحرملة بن يحيى المصري وروى عنه كثير من العلماء ومات سنة ٢٩٤ هـ (٩٠٦ م).

ومنهم: الحسين بن خضر النسفي، أحد فقهاء الاحناف المشهورين:

تولى القضاء في بخارى ونواحيها، وبها توفي سنة ٤٢٤ هـ/١٠٣٣ م. له مؤلفات عدة، منها (الفوائد) (والفتاوى) وجميعها في الفقه.

وظهر من نسف: أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي:

المفسر، الفقيه، المشهور، صاحب المؤلفات الجليلة، والمصنفات العجيبة، مثل (مدارك التنزيل) في تفسير القرآن الكريم، و(المنار) في أصول الفقه، و(كشف الاسرار شرح المنار) والوافي في الفروع، (الكافي شرح الوافي) و(عمدة العقائد في العقائد) و(كنز الدقائق في الفقه) و(المصفى) شرح منظومة أبي حفص النسفي في الخلاف.

وتوفي الامام أبو البركات سنة ٧١٠ هـ/١٣١٠ م بعد أن ترك ثروة علمية لا يزال ينتفع بها الى يومنا هذا.

ومنهم: أبو الفضل برهان الدين محمد بن محمد النسفي، أحد أعلام

التفسير والأصول والكلام..

فقيه حنفي، ولد سنة ٦٠٠ هـ/١٢٠٣م، في (نسف) وانتقل منها في طلب العلم، وسكن (بغداد) وبها ظهر فضله وعلمه، وبها توفي سنة ٦٨٧ هـ/١٢٨٩، بعد أن ترك مجموعة من المؤلفات في التفسير والأصول وعلم الكلام، منها (الواضح) في تلخيص تفسير الفخر الرازي المسمى بالتفسير الكبير، ومنها (الفصول) في علم الجدل و(منشأ النظر) في علم الخلاف، و(المقدمة النسفية)، أيضا، في علم الخلاف، و(القوادح الجدلية) و(شرح الاسماء الحسنى) (وكتاب دفع النصوص والنقود).

ومنهم: خرج الحافظ عبد العزيز بن محمد بن عاصم النسفي النخشبي:

ونسب الى (نخشب) وهي (نسف) كما تقدم وصفه (ياقوت) بأنه أحد الأئمة في الحديث،

سمع أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عمر، وأبا القاسم علي ابن محمد الصحاف وأبا طاهر محمد بن أحمد بن عبد الرحيم الكاتب الأصبهاني، وغيرهم كثير من مشايخ الحديث في عصرهم، وتنقل في البلدان، طلبا للحديث، ولعلو السند، كما يفعل مشايخ هذا العلم لا يألون في ذلك جهدا ولا يدخرون في ذلك وسعا، والامة الاسلامية تعينهم على ذلك، ينتقلون من (نسف) أو (بخارى) الى (سمرقند) و(مرو) و(نيسابور) و(بغداد) و(دمشق) و(مكة) و(المدينة) وكأنهم في بلدهم لم يفارقوها، ففي كل مدينة يجدون أهلا وأحبابا، ويلقون بشاشة وترحابا لا يصدهم صاد، ولا تطاردهم جوازات واقامات، بل هي دار الاسلام، دار واحدة ممتدة، أينما ذهب وجد اخوة واحبابا، ووجد شيوخا وطلابا.

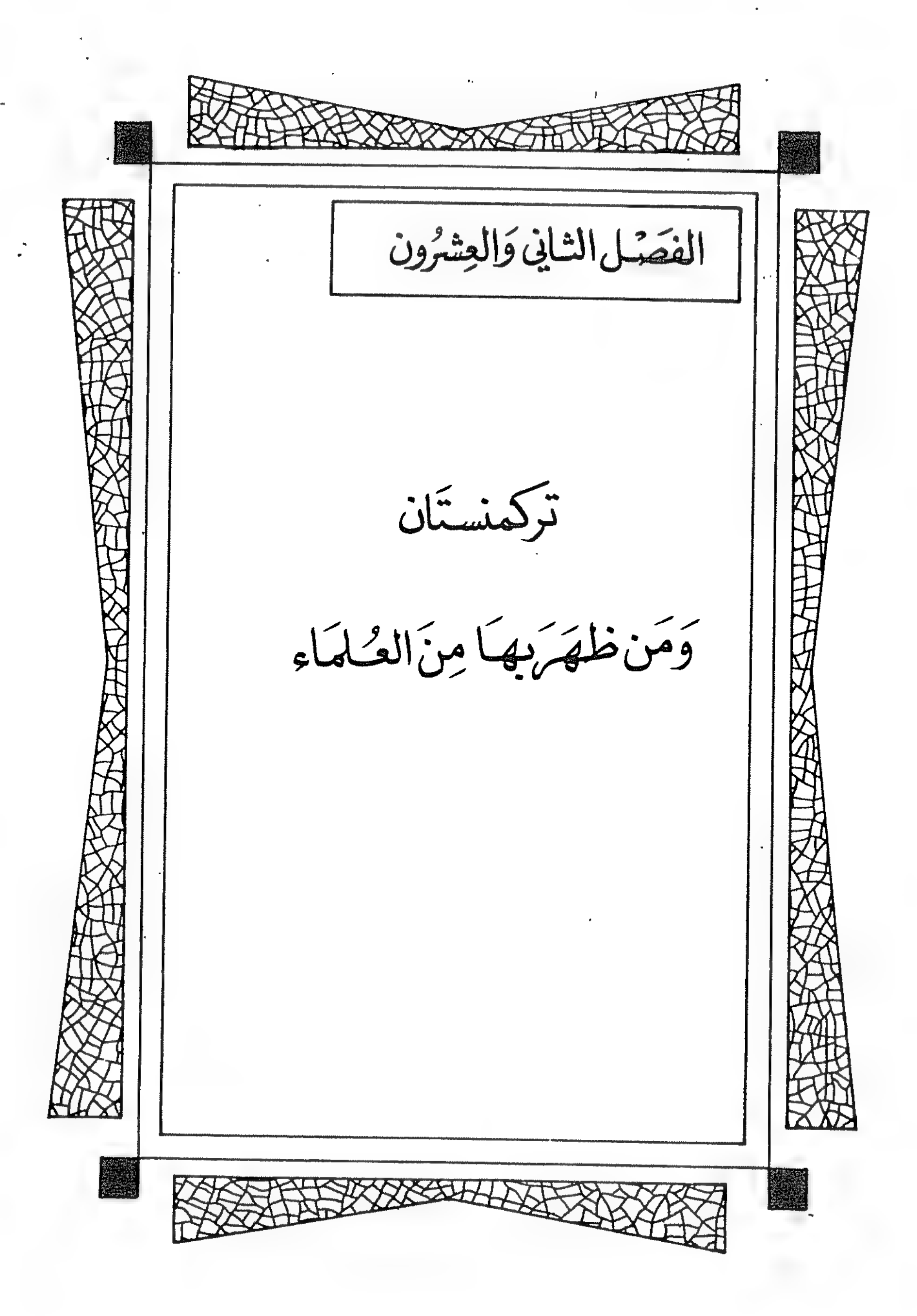
قدم الحافظ عبد العزيز بن محمد النسفي الى (دمشق) واستقر بها، وروى عنه خلق كثير، منهم: عبد العزيز الكناني، وابو بكر الخطيب،

ثم عاد الحافظ عبدالعزيز الى موطنه (نسف) (نخشب) وبها مات، ولما يبلغ الأربعين، وذلك سنة ٤٥٢ هـ.(١٠٦٠ م).

ومنهم:ابو العباس جعفر بن محمدبن المعتز المستغفري النسفي:

ولد في نسف سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١م) وبها كانت وفاته سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤١ م) خطيب نسف وامامها.. فقيه ومحدث ومؤرخ.. وأما في الخطابة فقد كان لا يبارى.. وله مصنفات كثيرة منها كتاب «الدعوات» جمع فيها الاحاديث الواردة في الدعاء وكتاب فضائل القرآن «والشمائل والدلائل ومعرفة الصحابة الاوائل» «والمسلسلات» وهي أيضا في الحديث.. وله كتاب «الزيادات» وهي زيادات اضافها على كتاب «المختلف والمؤتلف» لعبد الغني بن سعيد، وله في التاريخ عدة كتب منها «تاريخ نسف» وتاريخ كش...

ويؤخذ عليه أنه يروي أحيانا بعض الاحاديث الموضوعة من غير أن يبين حالها.



الفصل الثاني والعشرون

تركمنستان

ومن ظهر بها من العلماء

خراسان[٧]

خراسان اقليم واسع غرب فارس ويقع اليوم في دول ثلاث هي: -

١ - أفغانستان.
٢ - ايران.
٣ - جمهورية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي.

وأول حدودها الغربية هي مدينة ازادور عاصمة مقاطعة جوين وبيهق وآخر حدودها الشرقية الجنوبية مما يلي الهند طخارستان وطخاري بالقرب من بلخ وستان معناها أرض أي أرض بلخ الواقعة اليوم في افغانستان ومنها غزنة عاصمة الدولة الغزنوية وهي في افغانستان اليوم. وكذلك سجستان موطن الإمام ابي داود سليمان بن الاشعث صاحب سنن ابي داود وهي كذلك في افغانستان.. قال الامام السبكي في الطبقات.. وخراسان عمدتها مدائن أربع كانما هي قوائمها المبنية عليها وهي مرو ونيسابور وبلخ وهراة. هذه هي مدائنها العظام ولا ملام عليك لو قلت بل هي مدن الاسلام اذ هي كانت دِيار العلم على اختلاف فنونه[١].

وتشمل على أمهات من البلاد كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (منها نيسابور وهي في ايران اليوم) وهراة (في افغانستان)

---

(١) وقال الإمام النووي في التهذيب: خراسان الاقليم العظيم المعروف موطن الكثير أو الاكثر من علماء المسلمين رضي الله عنهم وقد قال رسول الله ﷺ يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنتصب بايلياء (بيت المقدس) رواه الترمذي.

ومرو (في تركمنستان) وهي كانت قصبتها وبلخ (في افغانستان) وطالقان وهما مدينتان احداهما في ايران والأخرى في طخارستان في (افغانستان) ونسا وابيورد وسرخس (في تركمنستان) وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون. وترمذ الواقعة على نهر جيحون (وهي الآن في اوزبكستان).

ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم وجميع بلاد ما وراء النهر فيها وليس الامر كذلك كما يقول ياقوت.. والسبب في ذلك أن أعمال بلاد ما وراء النهر كانت تضم لمن يتولى أعمال خراسان فارتبطت لذلك بلاد ما وراء النهر بخراسان ولذا نجد كثيرا من المؤرخين مثل البلاذري يدخلها فيها ويقسم خراسان الى أربعة اقسام..

القسم الاول: هو ايران شهر ويشمل نيسابور وقهستان والطبسان وهراة.

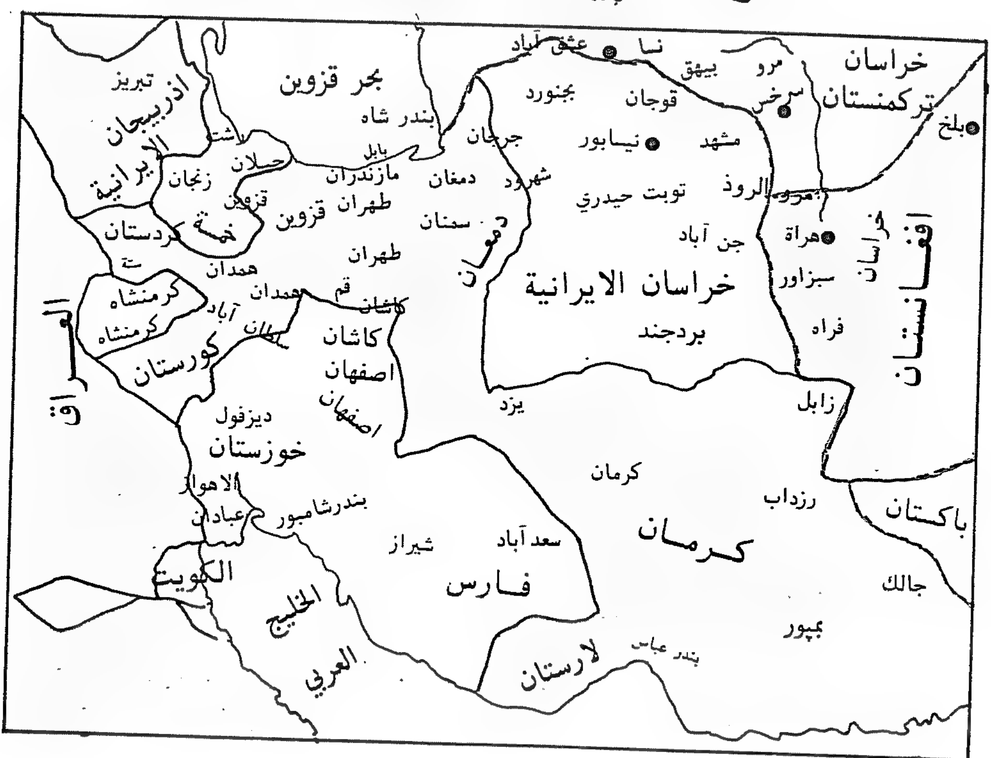
القسم الثاني: مرو الشاهجان وسرخس ونسا وابيورد ومرو الروذ والطالقان، وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون.

القسم الثالث: غربي نهر جيحون وهو الفارياب والجوزجان وطخارستان العليا والباميان وولج وبذخشان وهو المدخل الى التبت (وبذخشان اقليم غني بالذهب بين افغانستان وتركمنستان) وكابل (عاصمة افغانستان اليوم) وترمذ (في اوزبكستان) والصغانيان (في تركمنستان واوزبكستان).

والقسم الرابع: ما وراء النهر بخارى والشاش والصغد ونسف واشروسنة وفرغانة وسمرقند. وتقسيم البلاذري هذا يشمل جمهوريات تركستان الخمس الواقعة اليوم في الاتحاد السوفيتي وهي: اوزبكستان، وتركمنستان، وطادجكستان، وقيرغيزيا، وقازاقستان.

وهو توسع شديد في مفهوم خراسان وتحديد ياقوت أدق وأضبط

خراسان الإيرانيّة والأفغانيّة والسّوفيتيّة



وهو يشمل كما أسلفنا اجزاء من ايران وافغانستان وجمهورية تركمنستان.. وجمهورية تركمنستان بها مدينة عشق آباد وهي العاصمة وقد قامت على بعد خمسة اميال من نسا التي أصبحت خرائب وحوالي ثلاثة اميال من شهرستان التي خربت أيضا.. ولم تعد تذكر لا من اهلها ولا من غيرهم.. وفي تركمنستان مدينة مرو وهي عاصمة خراسان سابقا وبها مدينة آمل ومدينة بيهق ومدينة سرخس وسنتحدث عن هذه المدن ومن ظهر بها من مشاهير العلماء بعد ان نتحدث عن مرو ومن ظهر بها من العلماء.

فتح خراسان

كانت اجزاء من خراسان خاضعة لحكم كسرى فارس وكانت الحرب تدور بينهم وبين قوات كسرى فتارة يغلبونها وتارة يخضعون لها. وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد ملك فارس وهم أيضا الذين قتلوا كسرى بن قباذ.. وكان ملوكهم يسمون الهياطلة وهم على المجوسية ايضا مثل الفرس..

فلما ظهر الاسلام كانوا فيه أحسن الامم رغبة وأشدهم اليه مسارعة منًّا من الله عليهم وتفضلا لهم فأسلموا طوعا ودخلوا فيه سلما وصالحوا عليه سلما كما يقول عنهم ياقوت في (معجم البلدان).

وقد كانت بداية فتحها أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أرسل أبا موسى الأشعري رضي الله عنه عبد الله بن بديل ابن ورقاء الخزاعي الى خراسان فصالحه أهل الطبسين.

ووجه عمر رضي الله عنه الأحنف بن قيس عام ١٨ هـ الى خراسان ثم دخل هراة (في افغانستان) ومرو الشاهجان ونيسابور في مدة يسيرة

(تمت هذه الفتوحات سنة ٢٣ هـ)(١) وهرب منه يزدجرد بن شهريار آخر ملوك فارس وقتل في مرو، قيل قتله طحان اختبأ في بيته طمعا في ما عنده من ذهب وجواهر كان يخفيها. (وكان قتله سنة ٣١ هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه).

وقال ربعي بن عامر في ذلك:

ونحن وردنا من هراة مناهلا | رواء من المروين ان كنت جاهلا

---

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان آن فتح خراسان كان سنة ١٨ هـ بينما ذكر السيد أحمد زيني دجلان في كتابه الفتوحات الاسلامية أن فتح خراسان كان سنة ٢٣ هـ على الصحيح. وذكر أن عمر أذن للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس عندما رأى كثرة نقضهم للعهد بسبب وجود يزدجرد ملكهم الذي كان يهيجهم. وقد كان يزدجرد يفر من وجه المسلمين معركة بعد معركة بدءاً بالمدائن ثم نهاوند ثم جلولاء، ثم سار يزدجرد الى الري (وهي طهران اليوم) وسار من مكان الى آخر يثير الناس ضد المسلمين حتى ثار أهل فارس والفيرزان وأهل الجبال.

وكتب عمر للأحنف بن قيس بالمسير الى خراسان فسار بجيش كثيف فدخلها من الطبسين عنوة وافتتح هراه (في شمال أفغانستان) ثم سار نحو مرو الشاهجان (في تركمنستان) وأرسل الى نيسابور (في إيران) مطرف بن عبد الله بن الشخيز والي سرخس (في تركمنستان) الحارث بن حسان. فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان هرب منه يزدجرو الى مرو الروذ (وهي في شمال أفغانستان) وكتب يزدجرو الى خاقان الترك والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم. وخرج الاحنف يريد يزدجرد الى مرو الروذ فلما سمع به يزدجرد فر الى بلخ (في شمال افغانستان أيضاً) ونزل الأحنف بن قيس مرو الروذ وقدم أهل الكوفة الى بلخ وانهزم يزدجرد وعبر النهر (أي نهر جيحون ويسمى أيضاً اموداريا) وفتحت طخارستان وهي المنطقة الواسعة الخصبة المحيطة ببلخ في شمال أفغانستان.. واستخلف الاحنف بن قيس على طخارستان ربعي بن عامر.. وكتب الأحنف الى عمر بخبر الفتوح فخاف عمر على المسلمين من التوغل في أرض الكفار وكتب الى الأحنف أن لا يجاوز النهر أي نهر جيحون والذي يسمى أيضاً نهر بلخ لأنه يمر قريباً منها كما يسمى ايضاً نهر اموداريا. فلما عبر يزدجرد النهر مهزوماً لم يتبعه الاحنف. فجمع يزدجرد الجموع من الترك وأهل فرغانة والصغد ورجع الى بلخ وآخذها من المسلمين ووقعت معركة عنيفة بين مرو الروذ ومرو الشاهجان بين قوات المسلمين بقيادة الأحنف وقوات الترك الذين استنجد بهم يزدجرد.. ثم أن الترك انسحبوا بليل الى بلخ.. وعبر يزدجرد من مرو الشاهجان الى خاقان الترك في بلخ ثم عبر معه النهر الى فرغانة.. وكان قد حاول أخذ خزائن أهل فارس فأبى عليه أهلها وقالوا أن المسلمين أوفياء وأهل دين ومصالحتهم خير لنا من الفرار معك الى أرض الترك فنازعوه وأخذوا خزائنهم منه. وفر يزدجرد بصحبة ثلة من اصحابه الى خاقان الترك. وأقام يزدجرد طوال عهد عمر في بلاد الترك فلما ارتد أهل خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه قدم اليهم يزدجرد وقد كان يكاتبهم سراً ويحرضهم على الثورة والردة.. ثم أن المسلمين اعادوا فتح خراسان في زمن عثمان.. واختبأ يزدجرد عند طحان في مرو فقتله الطحان طمعاً فيما عنده من جواهر وذلك سنة ٣١ هـ.

وبلخ ونيسابور قد سقيت بنا وطوس ومرو قد أزرنا القنابلا
أنخنا عليهم كورة بعد كورة نفضّهمُ حتى احتوينا المناهلا
فلله عينا من رأى مثلنا معا غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا

ومن هذه الابيات يتضح أن المسلمين قد فتحوا في زمن عمر رضي الله عنه أغلب نواحي خراسان فهم قد فتحوا هراة وبلخ وكابل وجميعها اليوم في افغانستان وفتحوا نيسابور وطوس وتسمى اليوم مشهد وهما في ايران وفتحوا مرو عاصمة اقليم خراسان وهي اليوم في تركمنستان في الاتحاد السوفيتي.

فلما مات عمر رضي الله عنه وتولى عثمان رضي الله عنه الخلافة ثارت مناطق من خراسان على المسلمين فابتدأت نيسابور وكان فيها أخوال كسرى بنو كنازا فثاروا على المسلمين وأخرجوهم منها وتبعهم أهل مرو الشاهجان ولحقهم في ذلك أهل بلخ والتجأ المسلمون الى مرو الروذ وعليها عبد الرحمن بن سمر فكتب الى عثمان بذلك وأنشد أسيد بن المتشمس المري شعرا....

الا أبلغا عثمان عني رسالة لقد لقيت عنا خراسان بالغدر
فأذكِ هداك الله، حربا مقيمة بمروى خراسان العريضة في الدهر
ولا تفترز عنا فان عدونا لآل كنازا المدين بالجسر

فأرسل عثمانُ عبد الله بن عامر بن كريز واليه على البصرة لاعادة غزوها[1].. فانطلق هذا الشاب المغوار الذي لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين وقام باعادة فتحها واخضاعها وذلك سنة ٣٠ هـ وأقر صلح

---

(١) عبد الله بن عامر بن كريز هو ابن خال عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد فتح الله على يديه كثيراً من البلدان. وعندما اتم إعادة فتح خراسان أحرم من نيسابور بعمرة شكراً لله ثم قدم على عثمان يحمل اليه بشائر الفتح والغنائم. وقد أتى به وهو صغير الى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ هذا يشبهنا وجعل يتفل عليه ويعوذه فصار عبد الله يبتلع ريق النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ إنه لمسقي فكان كثيراً ما يظهر له الماء في الارض الجافة.

الطبسين لما وجدهم لم ينقضوا العهد وفتح بيهق وجوين ونيسابور وبلخ وهراة وفتح طخارستان ثم سار الى خوارزم فلم يقدر عليها.. وصالح أهل بلاد ما وراء النهر (المقصود نهر جيحون ويدعى ايضا أمودريا).

وأنشد أسيد بن المتشمس المري يبلغ عثمان رضي الله عنه بهذا النصر بعد أن أبلغه خبر انتقاض نواح من خراسان فقال:

الا ابلغا عثمان عني رسالة ... لقد لقيت منا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيل من كل جانب ... فولوا سراعا واستقادوا النوائحا
غداة رأوا خيل العراب مغيرة ... تقرب منهم أسدهن الكوالحا
تنادوا الينا واستجاروا بعهدنا ... وعادوا كلابا في الديار نوابحا[1]

واستتب الأمر للمسلمين حتى وقعت الفتنة الكبرى بمقتل عثمان الشهيد رضي الله عنه وانشغال الإمام علي بحرب البغاة فانتقضت أجزاء من خراسان.. فلما استتب الأمر لمعاوية بعث اليهم قيس بن الهيثم بن قيس السلمي وولاه خراسان فأخضع من نقض العهد وصالحه أهل بلخ وهراة وأرسل زياد بن ابيه الحكم بن عمرو الغفاري (الصحابي) فغزا الصغانيان وذلك سنة ٤٦ هـ في أيام معاوية بن ابي سفيان وكان بذلك أول من أخضع أجزاء من بلاد ما وراء النهر.. ثم قام عبيد الله بن زياد بن أبيه بغزو بلاد ما وراء النهر وفتح بيكند صلحاً على الف الف درهم وبيكند تبعد عن بخارى بأربعين كيلو متراً فقط ثم فتح بخارى صلحاً وذلك عام ٥٤ هـ ونكثت الخاتون ملكة بخارى ونواحيها العهد فولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان أمر خراسان فتوجه اليها سعيد وحارب جيشها اللجب وانتصر عليهم وفتح بخارى وسمرقند سنة ٥٦ م وفي معركة سمرقند استشهد قثم بن العباس ابن عم رسول الله ﷺ فأقام له أهل السمرقند مشهداً عظيماً يقال له مزار شاه زنده.

(١) نقلنا قصة فتح خراسان هذه بشيء من التصرف من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي.

واستقر الإسلام في خراسان وما وراء النهر وانتشر انتشاراً عظيماً بفضل الدعاة الى الله وظهر منهم من لا يحصى من العلماء والفضلاء والادباء.. قال عنهم ياقوت (فأما العلم فهم فرسانه وسادته واعيانه ومن اين لغيرهم مثل محمد بن اسماعيل البخاري ومثل مسلم بن الحجاج القشيري وابي عيسى الترمذي واسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وابي حامد الغزالي والجويني امام الحرمين والحاكم ابي عبد الله النيسابوري.. وغيرهم من أهل الحديث والفقة، ومثل الأزهري والجوهري وعبد الله بن المبارك وكان يعد من أجواد الزهاد والادباء والفارابي صاحب ديوان الأدب والهروي وعبد القاهر الجرجاني وأبي القاسم الزمخشري، هؤلاء أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عدهم).

وممن ينسب الى خراسان **عطاء الخراساني** روى عن ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن مسعود وكعب بن عجره ومعاذ بن جبل وعدد كبير من التابعين مثل سعيد بن المسيب ونافع مولى ابن عمر وعكرمة مولى ابن عباس وروى عنه الحديث مالك بن أنس ومعمر وشعبه وحماد وسفيان الثوري وخلق كثير من ائمة العلم.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح وفقيه أهل اليمن طاووس وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير وفقيه أهل البصرة الحسن البصري وفقيه أهل الكوفة النخعي وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب.

وهكذا استطاع الاسلام في فترة وجيزة من الزمان أن يحول ابناء هذه الأمم من أعداء للإسلام الى ابناء بررة مدافعين عنه رافعين اعلامه. ولم يأت زمن التابعين حتى كان أئمة أهل العلم من الأمم المفتوحة التي من الله عليها بدخول الاسلام.. ففجر طاقاتها وابدلها بضلال الكفر وظلمته نور الإسلام وعدله.

وظهرت في خراسان دول قوية وأولها وأهمها دولة بني العباس حيث ظهر من خراسان ابو مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية فدخلها وهو شاب حدث على حمار وخرج منها بمائة الف فارس ومقاتل حتى أزاح دولة بني أمية.. وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قد قال لدعاته.. «عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر. وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل وهم جند لهم ابدان واجسام ومناكب».

وصدقت فراسة محمد بن علي بن العباس فخرج أنصاره وأهل دعوته منها. وانساحت جيوشهم فدكت عروش بني أمية وأسست ملك بني العباس.

ومنهم ظهر البرامكة الذين وزروا للمنصور والمهدي والرشيد ثم كانت نكبتهم على يد الرشيد.. وظهرت منهم الدولة الطاهرية على يد طاهر بن الحسين أكبر قواد المأمون.. ومنهم ظهرت الدولة السامانية على يد مؤسسها أسد بن سامان وأبنائه الذين ولاهم المأمون بلاد ما وراء النهر.

وظهر من خراسان ما لا يحصى من العلماء والزهاد والعباد والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء..

وبما أن خراسان مقسمة الآن بين ثلاث دول هي إيران وافغانستان وتركمنستان في الاتحاد السوفيتي فإننا سنقصر حديثنا على بعض مشاهير

العلماء الذين ظهروا من القسم الذي تحتله روسيا اليوم والمسمى تركمنستان فإن الحديث عن علماء خراسان لا يتأتى لنا وهو خارج عن موضوعنا وهو المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ولذا فأننا سنقصر الحديث على أهم المدن الواقعة في تركمنستان ومن ظهر بها من العلماء.

مرو: وأهم هذه المدن هي مرو عاصمة اقليم خراسان بأكمله وهي التي أخرجت مئات بل الآف العلماء والمشاهير في كل فرع منه، ويكفي مرو فخراً ان تكون قد أخرجت كما يقول (ياقوت الحموي) الإمام أحمد بن حنبل وسفيان بن سعيد الثوري وعبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه وبشر الحافي.. وابو بكر عبد الرحمن بن أحمد القفال المروزي...

وبمرو قبور مجموعة من الصحابة والتابعين منهم الحكم بن عمرو الغفاري أول من غزا بلاد الصغانيان وهي بلاد ما وراء النهر.. وسليمان بن بريدة وبريدة بن الحصيب الاسلمي[1] الذي رفع للنبي ﷺ لواء عند دخوله المدينة عندما قدم اليها في الهجرة وقريط بن أبي رمثه الذي غزا خراسان مع الاحنف بن قيس واستوطن مرو ومات بها.

ومرو في الواقع ليست مدينة واحدة بل هي مدينتان: مرو الشاهجان ومرو الروذ ولفظ مرو يعني الحجارة البيض.

ومرو الشاهجان تسمى مرو العظمى لأن مرو الروذ صغيرة بالنسبة لها وهي عاصمة اقليم خراسان بأكمله.. والشاهجان لفظة فارسية تعني السلطان أو روح السلطان والمقصود أن مرو هي سلطانة المدن وروحها.. والنسبة الى مرو مروزي.. وكم من العلماء والمحدثين والفقهاء الذين تنتهي اسماؤهم بهذه النسبة المروزي. ومرو الشاهجان تقع الآن في

---

(١) الحكم بن عمرو الغفاري وبريده بن الحصيب الاسلمي هما صحابيان. وقد قال لهما رسول الله ﷺ انتما عينان لأهل المشرق وكانت وفاة الحكم سنة ٥٠ هـ ووفاة بريده سنة ٦٣ هـ وماتا بمرو. وكذلك مات بمرو سليمان وعبد الله ابنا بريده بن الحصيب الاسلمي.

جمهورية تركمنستان السوفيتية.

وفي مرو القديمة قلعة قهندز (والقهندز كل قلعة عتيقة في المدن). يحيط بها ربض واسواق ويجري فيها نهران صغيران هما الرزيق والماجان يخترقان شوارعها ومنها سقي ضياعها ومزارعها.. هكذا وصفها (ياقوت) وقال (تركتها أنا في سنة ٦١٦ هـ على أحسن ما تكون.. وبمرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعهما السور.. ولولا ما عرا من ورود التتار الى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها الى الممات لما في أهلها من الرفد ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الاصول المتقنة بها فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة منها خزانتان في الجامع يقال لها العزيزية وفيها اثني عشر الف مجلد أو ما يقاربها والأخرى الكمالية وبها خزانة شرف الملك.. وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته.. وخزانتان للسمعانيين وخزانة في المدرسة العميدية وخزانة لمجد الملك والخزانة الخاتونية في مدرسة الخاتون والخزانة الضميرية في خانكاه).

وهذه المكتبات الضخمة في متناول جميع القراء تعير من يطلبها بدون مقابل حتى قال (ياقوت)«وكانت سهلة التناول ولا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها هذا الكتاب (أي معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن».

وكان ياقوت كثيراً ما يترنم بهذه الابيات اثناء اقامته في مرو:

أقمرية الوادي التي خان الفها ... من الدهر أحداث أتت وخطوب
تعالي أطارحك البكاء فإننا ... كلانا بمرو الشاهجان غريب

وبهذه الابيات:

أخلاي أن أصبحتم في دياركم — فإني بمرو الشاهجان غريب
أموت اشتياقاً ثم أحيا تذكراً — وبين التراقي والضلوع لهيب
فما عجب موت الغريب صبابة — ولكن بقاه في الحياة عجيب

مرو الروذ: مدينة صغيرة تبعد عن مرو الشاهجان بخمسة أيام بالراحلة ولفظ مرو يعني الحجارة البيض التي يقتدح بها والروذ النهر.. والمقصود من مرو الروذ حجارة النهر البيضاء التي يقتدح بها..

وتقع مرو الروذ على نهر عظيم هو نهر مورغاب وتقع على الحدود بين تركمنستان وافغانستان (وكان يسمى نهر الروذ) وهي في أفغانستان.

خرج منها خلق كثير من العلماء والفضلاء وينسبون مروروذي أو مروذي.. بها توفي المهلب بن أبي صفرة قائد الدولة الأموية المشهورة. ومنهم أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروذي وهو من كبار فقهاء الشافعية توفي سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ م). ومنهم حسين بن محمد بن أحمد المروروذي فقيه شافعي تولى القضاء وتوفي سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م).. ومنها كريمة بنت أحمد المروذية المشهورة بست الكرام وكانت تروي صحيح البخاري من حفظها وتوفيت بمكة سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) ومنهم أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح المروروذي صاحب الإمام أحمد بن حنبل (وسنترجم لعلماء مرو الروذ بتفصيل اكبر في كتابنا عن أفغانستان).

اعلام مرو الشاهجان الإمام عبد الله بن المبارك (من اتباع التابعين). هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء المروذي مولداً ونشأة، الحافظ الثقة الثبت شيخ الإسلام المجاهد الزاهد التاجر. كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة وأمه تركية خوارزمية.

ولد في مرو سنة ١١٨ هـ - (٧٣٦ م) وأخذ عن علمائها ثم ارتحل

في طلب العلم وأصبح حجة ثقة في علم الحديث والفقه والعربية وأيام الناس (أي تاريخ الغزوات الاسلامية).

كان يحج عاماً ويغزو عاماً[1] ورغم تبحره في هذه العلوم كلها وكونه اماماً فيها الا انه كان يتكسب بالتجارة ولا يأخذ على علمه شيئاً.. بل على العكس من ذلك كان ينفق على طلبته وطلبة العلم اينما كانوا. وكان من أكثر الناس جوداً وسخاء.. ورغم نجاحه في التجارة كان يعتبر اماماً في الزهد.. اذ لم تدخل الدنيا قلبه وان دخلت جيبه.. وذلك هو الزاهد الحقيقي.. كان يأخذها من حلال وينفقها في حلال.. ولم

---

(١) لقد كان عبد الله بن المبارك علماً في العلم والزهد والجهاد وبعث بأبيات الى صديقه الزاهد العابد الفضيل بن عياض عام ١٧٩ هـ عندما كان بطوس يرغبه في الجهاد ويحثه عليه. ويوضح له أهمية الجهاد في الاسلام وأنه أفضل العبادات بعد الفرائض قال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في ... أنف إمرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

مشيراً بذلك الى قوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون».

وقد كان ابن المبارك رضي الله علماً من أعلام الجهاد وفرسانه كما كان علماً من أعلام الفقه وعلوم الحديث والعربية والتاريخ – وقد قال احد رفقائه في الجهاد وهو عبدة بن سليمان المروزي: «كنا في سرية في بلاد الروم مع عبد الله بن المبارك فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى البراز (المبارزة) فخرج اليه رجل فقتله (أي ان الرومي قتل المسلم) ثم دعا الى البراز فخرج اليه (رجل من المسلمين) فطارده ساعة فطعنه فقتله فازدحم اليه الناس. فكنت فيمن ازدحم اليه فإذا هو يلثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وانت يا أبا عمر ممن يشنع علينا». ولم يكن ابن المبارك يريد ان يعرف..

ولقد ختم عبد الله بن المبارك حياته المباركة بالجهاد فإنه قد أدركته المنية وهو عائد من جهاد الروم. وكانت وفاته بمدينة بهيت في شهر رمضان.. وهو أول من الف كتاباً في الجهاد جمع فيه الآيات والاحاديث الواردة في الجهاد وبعض اقوال الصحابة والتابعين.

تكن ثروته لنفسه بل كانت للفقراء من المسلمين ولطلبة العلم منهم خاصة.. وكانت ثروته أيضاً للجهاد في سبيل الله وللحج.

مات ابن المبارك رضي الله عنه عند عودته من غزو الروم في قرية بهيت على نهر الفرات سنة ١٨١ هـ - (٧٩٧ م) - بعد ان ترك ذكراً حسناً باقياً أبد الدهر.. ومن آثاره العظيمة كتاب (الجهاد) وهو أول من صنف فيه وكتاب (الرقائق).

قال عنه سفيان الثوري: ابن المبارك هو عالم المشرق والمغرب وقال عنه الفضيل بن عياض: ما رأت عيناي مثل ابن المبارك. وقال عنه المعتمر بن سليمان: ابن المبارك فقيه العرب والعجم... وقال عنه العباس بن مصعب المروزي جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء وقال عنه ابن معين كان كيّساً متثبتاً ثقة وكان عالماً صحيح الحديث.

الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروذي ثم البغدادي ولد سنة ١٦٤ هـ بمرو وقيل بل جيء به حملا من مرو وولد في بغداد وبها نشأ.

اشتهر من قبيلته المثنى بن حارثة الشيباني أحد مشاهير قواد الفتح الإسلامي في العراق.. انتقل جد الإمام أحمد الى خراسان وكان والياً على سرخس (احدى مدن خراسان) وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها واوذي في هذا السبيل.. وكان أبوه قائداً وتوفي والده وهو طفل صغير فنشأ يتيماً فقيراً عزيز النفس حفظ القرآن الكريم في صباه الباكر ثم اتجه الى الديوان لمزيد من الدرس قال عن نفسه:

(كنت وأنا غليم (تصغير غلام) اختلفت الى الكتاب ثم اختلفت الى الديوان وأنا ابن اربع عشر سنة...

وكان عمه يرسل الى الوالي يعلمه بأحوال بغداد ليعلم بها الخليفة

فأرسلها ذات مرة مع ابن اخيه أحمد بن حنبل في صباه فلما علم الصبي الورع بذلك رماها في الماء تأثماً من الوشاية.. وقد لفت هذا الورع والنجابة المبكرة نظر كثير من اهل العلم اليه فاحبوه واكرموه حتى قال الهيثم بن جميل (إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على اهل زمانه).

ثم اتجه الإمام أحمد بن حنبل في شرخ شبابه الى علوم الحديث فأتقنها وقال:

(أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف) ولزم هيثم بن بشير بن أبي حازم الواسطي أربع سنوات يأخذ عنه الحديث.. وسمع عبد الرحمن بن مهدي وأبا بكر بن مهدي.. وبقي ببغداد يتلقى علوم الحديث من شيوخها من سنة ١٧٩ هـ الى ١٨٦ هـ، فلما تمكن بما عندهم رحل الى البصرة ليأخذ من علمائها ثم الى الكوفة ثم الى الحجاز واليمن.

وفي رحلته الى الحجاز سنة ١٨٧التقى بالإمام الشافعي ولزمه وتتلمذ على يديه وكان الإمام أحمد لا يمل من الثناء على الشافعي والدعاء له حتى قال: الشافعي للناس كالشمس للأرض وكالعافية للابدان ورحل الى اليمن ليأخذ عن شيخها في الحديث عبد الرزاق وفي اثناء رحلته التقى بعبد الرزاق في مكة اتى اليها للحج فقال له زميله وصديقه يحي بن معين ها هو عبد الرزاق نأخذ عنه ها هنا فقال أحمد: لا أغير النية في رحلتي اليه.. وذهب الى صنعاء ليأخذ عنه وسار على هذا الاجتهاد حتى حفظ الف الف حديث وصنف كتاب المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره..وجمع فيه ثلاثين الف حديث.. وله كتب كثيرة منها كتاب (الناسخ والمنسوخ) والرد على من ادعى تناقض (القرآن) والتفسير) وكتاب في التاريخ (وفضائل الصحابة) و(المناسك) و (الزهد) و« الاشربة » « والمسائل » « وعلل الحديث »...

وكان الشافعي يقول (خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه واتقى من ابن حنبل.

وجلس أحمد للفتيا والتدريس وقد بلغ الأربعين فأقبل عليه الناس اقبالا شديداً وكان في مجلس درسه نحو خمسة الآف شخص منهم شيوخ في العلم.

وكانت مجالسه تمتاز بالوقار والسكينة وحسن الانصات واجلال العلم... وكان للفقراء تقديم على الامراء والاغنياء في مجلسه، نقل الذهبي عن المروزي قال (لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله.. كان مـائلا اليهم مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم ولم يكن بالعجول وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار. اذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل واذا خرج الى مسجده لم يتصدر يقعد حيث انتهى به المجلس).

سيرته واخلاقه: اشتهر الإمام أحمد بالزهد وعفة النفس والصبر والجلد منذ صغره حيث نشأ يتيماً فقيراً عزيز النفس.. فلما ظهر علمه وفضله أبى أن يقبل هدايا الملوك والخلفاء ورفض عطايا الاغنياء واكتفى بدخله القليل من منسج للثياب (طرزاً) كان خلفه له ابوه. وإن اصابته خصاصة حمل حبله على عاتقه يؤجر نفسه للحمل في الطريق وهو امام.

ورغم ورعه الشديد وزهده البالغ فقد سئل ذات مرة عن المسألة في الورع فقال:

(استغفر الله لا يحل لي أن أتكلم في الورع وأنا آكل من غلة بغداد.. لو كان بشربن الحارث صلح أن يجيبك).

وكان اذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء حتى تبتل ثم يأكلها بالملح...

وكان كثير القيام بالليل يسمع له دوي بالقرآن تخنقه العبرات أثناء قراءته وينشج به نشيجاً في سكون الليل وهدأته.

وكان يختم في كل سبعة أيام ختمة وفي كل سبع ليال ختمة وقد يمكث ثلاث أيام لا يطعم.

وقد ابتلي الإمام أحمد ابتلاء عظيماً أيام المأمون عندما استطاع أحمد بن أبي داود قاضي القضاة المعتزلي أن يقنع المأمون بالاعتزال وبخلق القرآن.. وجعلوا ذلك أساس الدين فمن قال بخلق القرآن فهو مؤمن ومن أبى ذلك فهو كافر.

وفرضوا ذلك على الأمة فرضاً فاستجاب العلماء خوفاً وفرقاً.. ولم يثبت إلا أحمد بن حنبل..

وقد جاء في كتاب المأمون الأمر بالقول بخلق القرآن ما يلي: (قد عظم هؤلاء الجهلة القائلون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بقولهم في القرآن الثلم في دينهم والجرح في أمانتهم وسهلوا السبيل لعدو الاسلام... ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به.. وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظاً في الدين ولا نصيباً من الإيمان واليقين).

وفي خطاب آخر للمأمون الى والي بغداد يقول فيه عن القائلين بقدم القرآن والمنكرين لخلقه انهم (شر الأمة ورؤوس الضلالة المنقوصون من التوحيد.. وأحق من يتهم في صدقه وتطرح شهادته ولا يوثق بقوله ولا عمله فإنه لا عمل الا بعد يقين ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الاسلام واخلاص التوحيد) وأمره بجمع الناس وامتحانهم في هذه العقيدة. وعزل كل من لا يوافق عليها ولا يدين بها.

ثم اشتد المأمون في فرض عقيدته على الأمة وخاصة منهم العلماء

وأمر بضرب رقبة بشر بن الوليد وابراهيم بن المهدي ان لم يرجعا عن قولهما بقدم القرآن.. فرجعا.. وجمع الوالي العلماء وقرأ عليهم كتاب المأمون فأقروا بخلق القرآن اما مواربة واما تعريضاً الا أربعة أحمد بن حنبل، وسجاده، والقواريري، ومحمد بن نوح.. فأمر بهم فشدوا في الحديد فاعترف سجاده والقواريري بعد يومين من شد وثاقهما فأطلق سراحهما..

وبقي الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح.. فتوفي محمد بن نوح وبقي الإمام أحمد إماماً للمعارضة دون منازع.

وحبس في السجن ٢٨ شهراً وحاول المعتصم الذي تولى الخلافة بعد المأمون أن يغري ابن حنبل بترك معتقده وقال والله لئن اجابني لاطلقن عنه بيدي ولاركبن اليه بجندي. وقال له (يا أحمد والله اني عليك لشفيق واني لاشفق عليك كشفقتي على هارون ابني ما تقول: فقال الإمام أحمد: اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله) وكرر عليه القول والإمام أحمد يطلب منهم دليلا من كتاب الله أو سنة رسوله فلا يجدون إلا الأمر والقوة يعتصمون بها فيضربونه بالسياط حتى ينتفخ وجهه ويدوسونه بالاقدام حتى يغشى عليه.. فلما يفيق يقول له المعتصم يا أحمد علام تقتل نفسك.. والله اني عليك لشفيق..

«ما تقول يا أحمد فيقول الإمام أحمد (أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله). فيجلدونه حتى تتقلع يداه ويسيل الدم من ظهره ووجهه ويغشى عليه مرة ثانية فلما أفاق اخذوه الى السجن.. وكرروا ذلك مرات والإمام أحمد ثابت على قوله لا يتزحزح حتى مضت ٢٨ شهراً وتولى الواثق فأخرجه من السجن وأمره بالعزلة فكان مختفياً لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق فلما ولي المتوكل رفع المحنة عن أحمد وأمر بإحضاره واكرامه.. وكان زهد أحمد وعفافه في أيام المتوكل

أعظم من صبره وجلده أيام المأمون والمعتصم.. واليك قصة عفو المتوكل كما يرويها حنبل قال: (بينما نحن جلوس بباب الدار اذ يعقوب (حاجب المتوكل) قد جاء فأستأذن على أبي عبد الله (أحمد بن حنبل) فدخل ودخل أبي وأنا.. ومع بعض غلمانه بدرة على بغل ومعه كتاب المتوكل فقرأه على ابي عبد الله (أنه صح عند امير المؤمنين براءة ساحتك وقد وجه اليك بهذا المال تستعين به) فأبى أن يقبله فقال مالي اليه حاجة. فقال يا ابا عبد الله اقبل من أمير المؤمنين ما آمرك به فإن هذا خير لك عنده فاقبل ولا ترده. فإنك أن رددته خفت أن يظن بك سوء فحينئذ قبلها. فلما خرج قال يا أبا علي قلت لبيك قال ارفع هذه الانجابة وضعها (أي البدرة تحتها) فوضعتها وخرجنا فلما كان من الليل اذا أم ولد (جارية) ابي عبد الله تدق علينا الحائط فقلت لها مالك فقالت مولاي يدعو عمه. فأعلمت ابي. فدخلنا على أبي عبد الله وذلك في جوف الليل. فقال يا عم ما أخذني النوم هذه الليلة فقال له أبي ولم، قال: لهذا المال وجعل يتوجع لأخذه وجعل ابي يسكنه ويهون عليه فلما كان السحر وجه الى عبدوس والحسن بن البزاز فحضرا وحضر جماعة فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل الستر والصلاح ببغداد والكوفة فوجه منها الى أبي سعيد الأشج وابي كريب والى من ذكر من أهل العلم والسنة ممن يعلمون أنه محتاج ففرقها كلها).

ثم أقام أحمد في عسكر المتوكل وضيافته فكان يتعفف عن طعامه وأمواله.. ورفض أن ينزل في الدار التي أنزله اياها امير المؤمنين بل اكترى لنفسه داراً.. وكانت تأتيه مائدة من المتوكل كل يوم فيها الوان من الطعام والفاكهة والثلج فما ينظر فيها أبو عبد الله ولا ذاق منها شيئاً.. وكان يكثر الصوم ويفطر على رغيف جاف ليلة.. وليلة لا يفطر الا على الماء..

ولما رجع الى داره نزع الثياب التي البسها أياه الخليفة وجعل يبكي ويقول: (سلمت من هؤلاء ستين سنة حتى اذا كان في آخر عمري بليت بهم. ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام فكيف بمن يجب على نصحه من وقت تقع عيني عليه الى أن أخرج من عنده.. يا صالح وجه بهذه الثياب الى بغداد تباع ويتصدق بثمنها.. ولا يشتر احد منكم شيئاً منها.

وقال لاولاده وابناء عمومته يلومهم على أخذ أعطيات أمير المؤمنين (لِمَ تأخذونه والثغور معطلة غير مشحونة.. والفيء غير مقسوم بين أهله). وقال له ولده ذات مرة: اليس قد أمرت ما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا اشراف نفس أن يأخذها؟ قال: قد أخذت مرة بلا اشراف نفس فكيف بالثانية والثالثة؟ فما بال نفسك ألم تشرف؟

وهكذا كان الإمام أحمد علماً في الدين ونبراساً للأمة حتى وافاه الاجل ببغداد سنة٢٤١ هـ واجتمع الناس عليه في مرض موته يزورونه حتى سدت الشوارع والازقة المؤدية الى داره.. وجاءه رسول امير المؤمنين فقال له: ان أمير المؤمنين يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك. فقال الإمام أحمد: هذا مما أكره وأمير المؤمنين أعفاني مما أكره!! فما هي الا يومين انتقل بعدها ابو عبد الله الى جنات عرضها السموات والأرض.

وارتجت بغداد بموته واجتمع في جنازته الف الف يشيعونه.. وكان يوماً مشهوداً أسلم فيه من اليهود والنصارى والمجوس نحو عشرين ألفاً...

فلله ما أعظمه حياً وميتاً وما أجلّ خدمته للاسلام في حياته وبعد وفاته... وفي يسره وعسره.. وفي أيام شدته ومحنته وفي أيام رخائه ونعمته...

ومن علماء مرو وأطبائها ابو علي الحسن بن علي بن محمد القطان المروزي: عين الزمان.. طبيب فيلسوف ومهندس وأديب ولد في مرو الشاهجان سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٣ م) ونشأ بها وتخرج على يد علمائها وأطبائها.. واصله من بخارى ولكنه مروزي الميلاد والنشأة والوفاة وقد كانت وفاته سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م).. ويبدو أن مؤلفاته قد فقدت وليس لها ذكر.

الفضيل بن عياض: هو ابو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني من ضاحية مرو وقيل ولد بسمرقند سنة ١٠٥ ونشأ بابيورد... وكان أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين ابيورد وسرخس.

كتب الحديث بالكوفة ثم تحول الى مكة المكرمة فاستوطنها الى أن توفي بها في المحرم سنة ١٨٧ هـ. سمع الحديث من جماعة من ائمة هذا العلم منهم سليمان التميمي وجعفر الصادق وعطاء بن السائب وحميد الطويل ويحيى الانصاري وسفيان الثوري . وروى عنه خلق كثير منهم ابن عيينة ويحيى القطان وعبد الله بن المبارك والامام الشافعي والحميدي والقعنبي وأجمعوا على توثيقه والاحتجاج به وصلاحه وزهده وورعه.

قال عنه اسحاق بن ابراهيم: ما رأيت أحداً أخوف على نفسه وأرجا للناس من الفضيل. وكان شديد الهيبة للحديث ويثقل عليه جدا.

قال رحمه الله: ما أدرك من أدرك ما عندنا بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدور والنصح للأمة. وقال ايضا: ترك العمل بسبب الناس رياء والعمل بسببهم شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما. وقال: من عرف الناس استراح يعني انهم لا ينفعون ولا يضرون وانما النفع والضر بيد الخالق وحده.

وسئل عن التواضع فقال: تخضع للحق وتنقاد له وتقبل الحق من كل من تسمعه.

وكان يقول: اني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي.

ومن قوله: جعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجُعلَ مفتاحه الزهد في الدنيا.. وثلاث يقسين القلب: كثرة الأكل وكثرة النوم وكثرة الكلام. وخير العمل أخفاه.. أمنعه من الشيطان وأبعده من الرياء. ولا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا خشية له.. طوبى لمن استوحش من الناس وأنس بربه وبكى على خطيئته... وأصل الزهد الرضا عن الله تعالى.

وكان يقول: من طلب أخاً بلا عيب صار بلا أخ.. ولا تؤاخ من اذا غضب منك كذب عليك.. ولو أن أهل العلم زهدوا في الدنيا لخضعت لهم رقاب الجبابرة..

وسبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران اليها سمع تاليا يتلو...

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فقال: يا رب قد آن ورجع فأواه الليل الى خرابة فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال آخرون بل نبيت حتى نصبح فإن فضيلا يقطع الطريق ونحن نخافه... فظهر عليهم وأمنهم وأعلن توبته.. وتحول من اللصوصية وقطع الطريق الى أن أصبح من كبار العارفين بالله ومن مشاهير العلماء الزهاد...

وكان لا يأكل الا من عمل يده يشتغل بالسقاية ويكتفي بأقل الكفاف حتى قال لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي لا أحاسب بها لكنت اتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة.

وكان يقول: لم يتزين للناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال.

ويقول: من جلس الى صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

عاش جزءاً من حياته قاطع طريق فاتكا وعاش بقية حياتة زاهدا ناسكاً فسبحان من جعل قلوب العباد بين أصابعه يقلبها كيف يشاء.. ورضي الله عن الفضيل بن عياض العابد العالم الزاهد الناسك...

ودخل ذات مرة على هارون الرشيد مع سفيان بن عيينة بعد ان دعاهم هارون الرشيد فسأل الفضيل بن عياض ايهم أمير المؤمنين فأشار اليه سفيان فقال له الفضيل: أنت الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك؟ لقد تقلدت أمرا عظيما.. فبكى الرشيد.. ثم اتى كل واحد في المجلس ببدرة فكل قبلها الا الفضيل فقال له الرشيد.. يا ابا علي ان لم تستحل أخذها فأعطها ذا دين أو أشبع بها جائعا أو اكس بها عاريا.. فلم يقبل فلما خرجوا قال له سفيان ابن عيينة: هلا أخذتها وصرفتها في ابواب البر فأخذ الفضيل بلحيته وقال له: أنت فقيه البلد والمنظور اليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لي.

وقال له الرشيد يوماً: ما أزهدك فقال له الفضيل: أنت أزهد مني. فقال وكيف ذلك؟ قال: اني لأزهد في الدنيا وانت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية..

وكان الفضيل يقول: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها الا في امام لأنه اذا صلح الإمام أمن العباد..

وقال: لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره..

اسحاق بن راهويه (ابو يعقوب) اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي عالم خراسان وأحد أئمة الحديث من أهل مرو مولدا ونشأة.. ولد بها سنة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) وطلب العلم في صغره واشتهر بجده وحدة ذكائه وقوة حفظه وتفرغ لعلم الحديث وطاف البلاد لجمع

الحديث. ويكفيه فخرا أن يكون من تلاميذه الامام أحمد بن حنبل والأئمة البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وسبب تسمية ابيه راهويه انه ولد في الطريق الى مكة فقال أهل مرو راهويه أي ولد في الطريق.

كان اسحاق بن راهويه اماما مقدما في الحديث قال عنه الدارمي: ساد اسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه. وقال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد.

رحل الى العراق والشام والحجاز واليمن لطلب الحديث ثم عاد الى خراسان واستوطن نيسابور وتوفي بها سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٣ م) بعد ان نشر علم الحديث وأخرج أئمته احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

ذكر الدارقطني اسحاق بن راهويه فيمن روى عن الشافعي وعده البيهقي في اصحاب الشافعي قال عنه أحمد بن حنبل: «اسحاق عندنا امام من ائمة المسلمين سمع من سفيان ابن عيينه ومن في طبقته».

بشر الحافي: هو ابو نصر بشر بن الحارث المروزي المعروف بالحافي[1].. من كبار الصالحين والعباد والزهاد وهو من ثقات رجال الحديث.. ولد بمرو سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وبها نشأ وطلب العلم ثم ارتحل الى بغداد واستقر بها الى أن توفاه الله سنة ٢٢٧ هـ (٨٤١ م) أسلم جده الأعلى على يد الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ذكر بشر ابتداء أمره وسبب توبته أنه وجد في الطريق كاغده مكتوب عليها اسم الله تعالى قد وطئتها الأقدام (كما نراه كل يوم حيث ترمى الصحف والمجلات وعليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الطرقات تطؤها الأقدام) فاغتم لذلك بشر وأخذها وطيبها بما معه

(١) كان أبوه احد كتبة الوالي في خراسان. قال المناوي (وأصله من رؤساء مرو) وعاش في ابتداء امره حياة مترفة.

من طيب فجعلها في شق حائط فرأى فيما يرى النائم كأن قائلا قال له يا بشر أبشر. طيبت إسمي لأطيّبن اسمك في الدنيا والآخرة.

واشتهر بشر بن الحارث بشدة ورعه وتقواه وكان يقول: الحلال لا يحتمل السرف والنظر الى البخيل يقسي القلب والدعاء ترك الذنوب، ولا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد.. وكيف يكون فيك خير وانت لا يأمنك صديقك.. ولا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك..

وعقوبة العالم حبه للدنيا. ولم أر أفضح للانسان من بطنه.. ولا تجالس الا من يعينك على آخرتك.. وحبك لمعرفة الناس إياك رأس حب الدنيا...

بحسبك أن قوما موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن قوما أحياء تقسو القلوب بذكرهم. وكان له شعر لطيف في الزهد ومنه هذه الأبيات:

أقسم بالله لرضخ النوى ... وشرب ماء القلب المالحة
أعز للانسان من حرصه ... ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن بالله تكن ذا غنى ... مغتبطا بالصفقة الرابحة
اليأس عز والتقى سؤدد ... ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به بَرَّةٌ ... فأنها يوما له ذابحة

وكان يقول: ما أقبح أن يطلب العالم فيقال هو بباب الأمير... ويقول: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

وكان يقول: من لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيما يحب (من الأعمال الصالحة والزهد في الدنيا).

مر بشر رحمه الله ذات مرة ببعض الناس فسمعهم يقولون عنه: هذا رجل لا ينام الليل ولا يفطر الا في كل ثلاثة ايام مرة فبكى وقال: اني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة ولا أني صمت يوما ثم لم افطر من ليلته.

وكان صديقه الامام أحمد بن حنبل يقول عنه «لم يترك بشر لأحد موضعا يقف فيه. ولما مات بشر قال عنه: ما له في هذه الأمة نظير الا عامر بن عبد قيس[1] ». وقد أخذ بشر العلم عن الامام مالك والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك وحماد بن زيد وغيرهم كثير.

وقال: العلماء موصوفون بثلاثة أوصاف: صدق اللسان وطيب المطعم وكثرة الزهد في الدنيا.

موت التقي حيـــاة لا نفــــاد لهـــا
قــد مــات قوم وهم في الـــدنــا أحيــاء

وقد اشتهر من علماء مرو (الشاهجان) **ابو بكر عبد الرحمن بن أحمد القفال المروزي المشهور بالقفال الصغير** تمييزا له عن القفال الكبير محمد بن علي بن اسماعيل الشاشي المتقدم ذكره في علماء الشاش.

اشتغل بصنع الأقفال وبرع فيها حتى بلغ عمره أربعين سنة ثم طلب العلم ونبغ فيه واشتهر وعاش للعلم أربعين سنة أخرى يدرس ويعلم ويصنف ويؤلف.. حتى صار أوحد أهل زمانه فقها وعلما..

رحل اليه الناس من كل مكان وانتشر علمه في الآفاق وهو أحد أركان مذهب الشافعي كما يقول عنه ياقوت في معجم البلدان..

رحل لطلب العلم من مرو الى العراق وتتلمذ على يد ابي العباس بن شريح شيخ الشافعية يومئذ في بغداد، وأقام عنده وأخذ عنه حتى كان شيخه يقدمه للتدريس ثم تولى رئاسة الشافعية بعد وفاة شيخه.. وانتقل في آخر حياته الى مصر وبها توفي سنة ٤١٧ هـ (١٠٢٧ م) ودفن عند ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنهم جميعاً..

---

(١) وكان بشر يقول: فُضّل عليّ احمد بن حنبل بثلاث: طلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي فقط، واتساعه في النكاح وضيقي عنه وكونه نصب اماما للعامة.

وله عدة مصنفات أشهرها شرح فروع محمد بن الحداد المصري في الفقه.

وقد نبغ من القفالين المهرة في صنع الأقفال ثلاثة تحولوا بها من صنع الأقفال الى صنع الرجال ومن حذق الصنعة في الحديد الى حذق الصنعة في الفقه والحديث وفنون المعرفة..

هؤلاء هم ابو بكر عبد الرحمن بن أحمد القفال المروزي الذي ترجمنا له آنفا.. ومحمد بن أحمد بن الحسين الشاشي القفال المولود بميافرقين وهي احدى قرى الشاش (طشقند) كان أحد أعلام الفقه الشافعي وانتهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد وتوفي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) والثالث هو أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي المشهور بالقفال الكبير...

أوحد أهل زمانه فقها وعلما وناشر لمذهب الشافعي في بلاد الشاش وما جاورها.. المتوفي سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م).

وجميعهم تقع بلادهم اليوم تحت ربقة الاستعمار الروسي فيما يسمى الاتحاد السوفيتي والشاش هي طشقند عاصمة اوزبكستان في الاتحاد السوفيتي ومرو تقع في تركمنستان في الاتحاد السوفيتي فهل يا ترى يعلم أهل مرو وطشقند أمجاد آبائهم!! وهل يا ترى يستطيعون أن يقرأوا تراثهم!! وكيف يتأتى لهم ذلك وقد منع تدريس اللغة العربية بل ومنعت الكتابة والتعليم بالحرف العربي وجعلت الكتابة كلها بالحرف الروسي.. وجعل التعليم كله يدور عن ماركس ولينين وانجلز...

ومن ينسب الى مرو عبد الله بن عثمان بن جبله الازدي بالولاء المروزي منشأ وموطنا...

ولد سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) وأخذ علم الحديث من مشايخ هذا العلم فنبغ فيه حتى صارت الرحلة اليه.. كان حافظا متقنا للحديث ثقة..

ولاه عبد الله بن طاهر بن الحسين حاكم خراسان وفارس وما وراء النهر قضاء جوزجان فاستعفى تعففا.. وقد كان كثير من سلف هذه الأمة يرفضون تولي القضاء أو الولاية وقد رفضها الامام ابو حنيفة حتى ضرب وجلد من أجل ذلك وأدخل السجن وتوفي فيه..

وسبب رفضهم انهم كانوا يعلمون تدخل الخليفة أو كبار رجال دولته في أمر القضاء وبعضهم كان يعتقد ظلم الخليفة وأخذه الفيء لنفسه وحاشيته دون المسلمين فكان يعتبر تعاونه معهم تعاونا على الظلم.. وهكذا كان الأئمة الأربعة ابو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد جميعا رافضين للولاية والقضاء وكذلك كان غيرهم من أعلام هذه الأمة الأتقياء البررة.

وكان عبد الله بن عثمان من هؤلاء العلماء الأتقياء فلما الح عليه عبد الله بن طاهر بن الحسين في تولي قضاء خراسان استعفى...

وكان عبد الله بن عثمان من الأثرياء الكرماء الذين لا يدخرون مالا في مرضاة الله وبلغ ما تصدق به في حياته الف الف درهم.. فكان مثال العالم الزاهد السخي بعلمه وبماله.. ولم يكن يكتفي بنشر العلم لوجه الله بل كان ينفق على كثير من طلبته الفقراء المعوزين.

وهكذا كان علماء هذه الأمة الأبرار ينشرون العلم لوجه الله لا يبتغون به مالا ولا جاهاً ولا منصباً بل كانوا أشد الناس نفوراً من هذه المناصب...

وكان غنيهم يجود بماله كما يجود بعلمه.. وكان فقيرهم يتمسك بعزة نفسه ولا يطرق ابواب الخلفاء والأمراء بل يمتنع عليهم ويهرب منهم ولا يقبل عطاياهم وان قبلها وزعها في الحال على الفقراء والمعوزين.

وهكذا عاش عبد الله بن عثمان المروزي مثالاً للعالم المسلم الذي يجود بعلمه وماله ولا يبتغي في ذلك مرضاة سلطان ولا تزلفا لحاكم بل كان

شديد البعد عنهم. وكانت وفاته في مرو سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) فرضي الله عنه وعن علماء هذه الأمة الأبرار..

ومن علماء مرو محمد بن أحمد المروزي المعروف بالحزقي.. (نسب الى حزق) احدى قرى مرو التي نشأ بها واشتهر بالفقه وعلم الكلام وأقام في نيسابور احدى عواصم خراسان التي اشتهرت بمئات العلماء.. وانتقل في أخريات حياته الى قريته وتوفي بها عام ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م).. له عدة مؤلفات في الفقه..

ومن ينسبون الى مرو اسماعيل بن الحسين بن محمد العلوي الحسيني المروزي.

نسابة زمانه.. ولد في مرو سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) ونشأ بها وأخذ في طلب العلم واشتهر بتبحره في علوم الانساب وكان من أعرف الناس بها.. قدم بغداد سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) وأقام بها مدة ثم عاد الى مرو.. والتقى به ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ومعجم الادباء في مرو سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) واثنى عليه كثيراً.

له مؤلفات كثيرة منها (حظيرة القدس) في ستين مجلدا. و(بستان الشرف) في عشرين مجلدا. (وغنية الطالب في نسب آل ابي طالب). والموجز في النسب.

كانت بينه وبين الامام فخر الرازي المفسر الفقيه الأصولي المعروف صداقة ومودة. وألف اسماعيل بن الحسين له كتابا وأسماه الفخري نسبة الى الفخر الرازي. وكانت وفاته سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) في مرو.

ومن علماء مرو المشهورين محمد بن نصر المروزي:

أصله من مرو ولد ببغداد ونشأ بنيسابور واستوطن سمرقند.. كان اماما في الفقه والحديث ومن اعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام وهو ما يسمى علم (الخلاف) وهو العلم الذي يدرس اختلاف

الفقهاء منذ عهد الصحابة في المسائل الفقهية. له كتب كثيرة منها (المسند) في الحديث وكتاب (ما خالف به ابو حنيفة عليا وابن مسعود) و(قيام الليل) و(قيام رمضان) و(الوتر) والقسامة في الفقه.

كان مولده ببغداد سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م) ووفاته سنة ٢٩٤ هـ (٩٠٦ م).

ومن علماء مرو الذين ينسبون اليها **أحمد بن علي بن سعيد المروزي**.. أحد حفاظ الحديث فقيه محدث... ولد بمرو ونشأ بها ثم رحل الى الشام وتولى قضاء حمص ثم قضاء دمشق وبها كانت وفاته سنة ٢٩٢ هـ (١٠٠١ م) له تصانيف ومسانيد عدة...

ومن فقهاء مرو المشهورين **الحسين بن شعيب بن محمد السنجي**:

فقيه مرو في عصره إمام في الفقه الشافعي.. له عدة مؤلفات في الفقه منها (شرح كتاب الفروع لابن حداد المصري وله كتاب (المجموع) في الفقه وشرح التلخيص لابن القاص.. وقد نقل عنه الامام الغزالي في كتاب (الوسيط)..

أخذ الفقه عن أبي بكر القفال المروزي والقاضي حسين بن محمد المروزي وابو محمد الجويني والد امام الحرمين.

ينسب الى سنج وهي احدى قرى مرو التي ولد بها ونشأ في مرو وعاش بها. الى أن وافاه الأجل عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٦ م) وقيل نيف وثلاثين وأربعمائة (ابن خلكان) بعد أن ترك ثروة علميه وذكرا طيبا بين الناس.

ومن فقهاء مرو **عبد الرحمن بن محمد بن فوران المشهور بالفوراني**.

مقدم الشافعية في مرو في عصره ولد في مرو سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) وبها نشأ واشتهر.. ألف كثيراً من الكتب في الفقه والأصول والجدل

والملل والنحل من كتبه (الابانة) في مذهب الشافعي وكتاب (تتمة الابانة). وكانت وفاته بمرو سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩ م)..

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي ولد سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) ودفن سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) مولده ووفاته بمرو. حافظ للحديث.. عالم مرو ومفتيها وزاهدها.. رحل الى مصر وأقام بها وتفقه بالفقه الشافعي ثم عاد الى مرو فكان أول من أظهر مذهب الشافعي في خراسان.

له عدة مصنفات منها (المعرفة) في مئة جزء وهو دائرة معارف (والموطأ) وهو غير موطأ الإمام مالك.

قطب الدين ابو منصور المظفر بن ابي الحسن العبادي المروزي المعروف بالأمير:

كان من أهل مرو وله اليد الطولى في الوعظ والتذكير وحسن العبارة.. مارس هذا الفن من صغره الى كبره حتى صار ممن يضرب به المثل في الوعظ.. وصار عين ذلك العصر وشهد له الكل بالفضل.. ثم قدم بغداد وأقام فيها ثلاث سنين يعقد لها فيها مجالس الوعظ وحاز من الخلق قبولاً تاماً..

وكانت وفاته بخوزستان سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ م) وحمل تابوته الى بغداد حيث دفن في الشونيزيه في حظيرة الشيخ الجنيد.

ولد سنة ٤٩١ هـ (١١٩٧ م) وسمع الحديث من أساتذته في نيسابور.. والعبادي نسبة الى سبخ عباد احدى قرى مرو.

أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني المروزي:

أصله من بلخ ولد في مرو ثم انتقل الى البصرة وبغداد.. وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م.)

كان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز.. وله التفسير المشهور. أخذ الحديث عن مجاهد بن جبير وعطاء بن ابي رباح والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وروى عنه بقية بن الوليد وعبد الرزاق الصنعاني وعلي بن الجعد وغيرهم..

وكان يعد من العلماء الأجلّاء حتى قال عنه الإمام الشافعي: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن ابي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام..

وروي أن أبا جعفر المنصور كان جالساً فسقط عليه الذباب فطيره فعاد اليه والح عليه وجعل يقع على وجهه حتى أضجره فاذا بمقاتل بن سليمان على الباب فأدخله المنصور وسأله هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟ فأجاب: ليذل الله به الجبابرة فسكت المنصور.

واختلف علماء الحديث في درجة صحة رواية مقاتل فمنهم من وثقه ومنهم شعبة بن الحجاج ومنهم من ضعفه ووهنه بل منهم من رماه بالوضع، ومنهم وكيع وأبو داود سليمان بن الأشعت قال عنه متروك الحديث وقال عنه الإمام البخاري: مقاتل بن سليمان سكتوا عنه وقال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وقال الإمام أحمد ما يعجبني أن أروي عنه شيئاً...

أبو زيد محمد بن أحمد المروزي الفاشاني الشافعي:

كان من الأئمة الاجلاء حسن المنظر مشهوراً بالزهد وحافظاً للمذهب.. وله فيه وجوه غريبة أخذ الفقه عن أبي اسحاق المروزي.. وأخذ عنه ابو بكر القفال المروزي ودخل بغداد وحدث بها وسمع منه الحافظ الدارقطني ثم خرج الى مكة فجاور بها سبع سنين... وحدث هناك بصحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفربري أشهر تلاميذ البخاري واكثرهم رواية عنه.

اشتهر بالزهد والعلم والتقى.. كان فقيراً في شبابه وكهولته وأقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسنَّ وتساقطت أسنانه فكان يقول للدنيا: لا بارك الله فيك أقبلت حين لا ناب ولا صاب. وتوفي بمرو سنة ٣٧١ هـ..(٩٨١ م).

أبو عبدالله محمد بن أحمد الخضري المروزي الشافعي:

إمام مرو ومقدم فقهاء الشافعية في عصره. صحب ابا بكر الفارسي وكان من أعيان تلامذة أبي بكر القفال الشاشي.. وأقام بمرو ناشرا فقه الشافعي.. وكان يضرب به المثل في قوة الحفظ.. وله في المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون عنه.

وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه صحح دلالة الصبي على القبلة توفي سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م)..

أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد المروزي:

الفقيه الشافعي امام عصره في الفتوى والتدريس. أخذ الفتوى عن ابن سريج وبرع فيها... ولد في مرو (الشاهجان) ونشأ بها وتتلمذ على يد شيوخها ثم رحل الى بغداد وأقام بها ولازم ابن سريج فلما مات ابن سريج انتهت اليه رياسة الشافعية في العراق.. وأقام ببغداد دهرا طويلاً يدرس ويفتي.. وأنجب من تلاميذه خلقا كثيرا وإليه ينسب درب المروزي ببغداد. ثم ارتحل في اواخر عمره الى مصر وبها كانت وفاته سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) ودفن بالقرب من تربة الامام الشافعي.. له تصانيف كثيرة في الفقه منها شرح مختصر المزني.

مما تقدم يتضح للقارىء الكريم كم ساهمت مرو في انجاب علماء الاسلام من فقهاء وأدباء ومحدثين وأطباء وفلكيين..

ومرو اليوم قابعة في زاوية من زوايا النسيان تجتر همومها وهي

واقعة تحت براثن الدب الروسي في جمهورية تركمنستان..

فهل سمع اليوم عن أحد نبغ من أهل مرو؟ بل قل هل سمع اليوم أحد بمرو ولا يكاد يعرفها من المسلمين الا القليل.

وكم من المدن والقرى الرازحة اليوم تحت الاستعمار الروسي والمنسية حتى من أهلها كانت في الماضي ذات شأو بعيد في الحضارة والعلم..

فهل سمع اليوم أحد ببغ (بغشور)؟ انها قرية مجهولة من قرى خراسان بين مرو الروذ وهراة في افغانستان.. وتقع اليوم بين جمهورية تركمنستان السوفيتية وجمهورية افغانستان التي تحتلها القوات الروسية

وقد خرج منها الامام البغوي وهو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الملقب بمحي السنة:

الفقيه المحدث المفسر المشهور صاحب التفسير المشهور (معالم التنزيل).. وله في الحديث مؤلفات عدة منها (مصابيح السنة) و(الجمع بين الصحيحين).. وله في الفقه الشافعي كتاب (التهذيب) ولد في بغا سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ م) وتوفي بمرو الروذ سنة ٥١٠ هـ (١١١٧ م).

كان بحرا في العلوم تفقه على يد الحسين بن محمد المروروذي الفقيه الشافعي ودفن عند شيخه الحسين بن محمد.

ومنهم المحدث الحافظ الثقة عبدالله بن محمد بن عبد العزيز المرزبان البغوي المولود سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م).. كان محدث العراق في زمنه.. وله عدة مؤلفات منها (معجم الصحابة) و(الجعديات) وهي في الحديث وله تفسير للقرآن الكريم.. وكانت وفاته ببغداد سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م).. بعد أن عمر طويلاً (مائة وأربع سنوات).

ومنهم شيخ الحرم علي بن عبد العزيز البغوي المحدث الثقة الحافظ..

انتقل من قريته بغشور واستقر به المقام في مكة وبها ظهر صيته
وعلا شأنه وبها كانت وفاته سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م).. وله (مسند).

وكم في خراسان من علماء وأفذاذ.. ونحن قد ركزنا الحديث فقط
على خراسان الواقعة اليوم تحت الاستعمار الروسي فيما يسمى
تركمنستان..

ولم نتحدث عن خراسان الواقعة في أفغانستان ولا عن خراسان
الواقعة في ايران لأن ذلك خارج عن مقصدنا وهو ذكر أعلام الاسلام
فيما يسمى اليوم الاتحاد السوفيتي.. ولو تحدثنا عن علماء خراسان لما
كفت المجلدات.

ومن مدن التركمنستان (خراسان السوفيتية) التي سنتحدث عنها
مدينة **نسا** وهي قرية من قرى خراسان واقعة اليوم في جمهورية
تركمنستان وقد ظهر منها مجموعة من العلماء أشهرهم الإمام النسائي
صاحب السنن الكبرى وأحد كتب الحديث الستة المعتمدة عند أهل
السنة... ومنها **ابو العباس الحسن بن سفيان الشيباني النسوي** الحافظ
المحدث الفقيه ومنها **حميد بن زنجويه الأسدي النسوي** المحدث الحافظ
الذي روى عنه الأئمة البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابو زرعة
وعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل وغيرهم.

ومن مدن خراسان السوفيتية المسماة تركمنستان **سرخس** التي ظهر
منها شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي صاحب كتاب
(المبسوط) وهو أحد مراجع الفقه الحنفي المعتمدة. ومنها ظهر
عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الزاز السرخسي الفقيه الشافعي المشهور.
ومنها شيخ خراسان في عصره أبو علي زاهر بن محمد بن عيسى السرخسي
الفقيه المحدث ومنها ابن الطيب السرخسي الفيلسوف المؤرخ الأديب
تلميذ الكندي واستاذ الخليفة المعتضد صاحب التصانيف الكثيرة

المتنوعة في الفلك وعلم الهيئة والسياسة والموسيقى والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والجبر والهندسة والأدب والشعر والأغاني والملل والنحل...

فهل يعود يا ترى مجد الاسلام ويشرق مرة أخرى على تركمنستان واوزبكستان وقرغيزيا وطادجكستان وقازاقستان (وهي المعروفة بالتركستان الغربية تمييزاً لها عن التركستان الشرقية الواقعة - تحت الاستعمار الصيني، والمعروفة اليوم باسم سينكيانج). وأذربيجان والقوقاس والقريم وقازان؟ هل يا تُرى نرى ذلك اليوم الذي يعود فيه مجد الاسلام فيضيء تلك الظلمات والغياهب التي أطبقت على هذه البلاد؟.

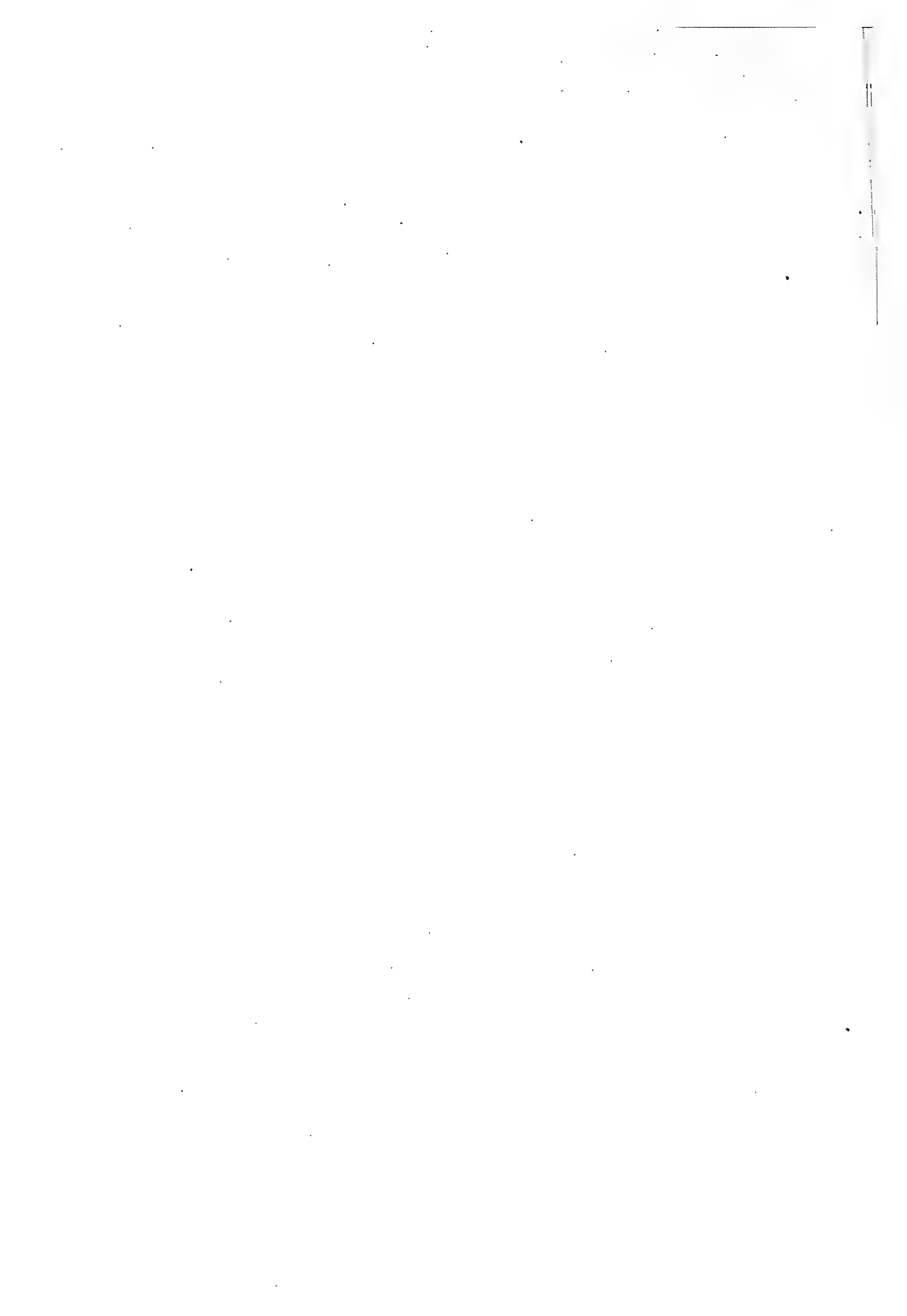
يبدو ذلك بعيدا في الوقت الحاضر ولكن بشائر العودة الى الاسلام بدأت تغزو هذه المجتمعات التي يسيطر عليها الشيوعيون سيطرة تامة...

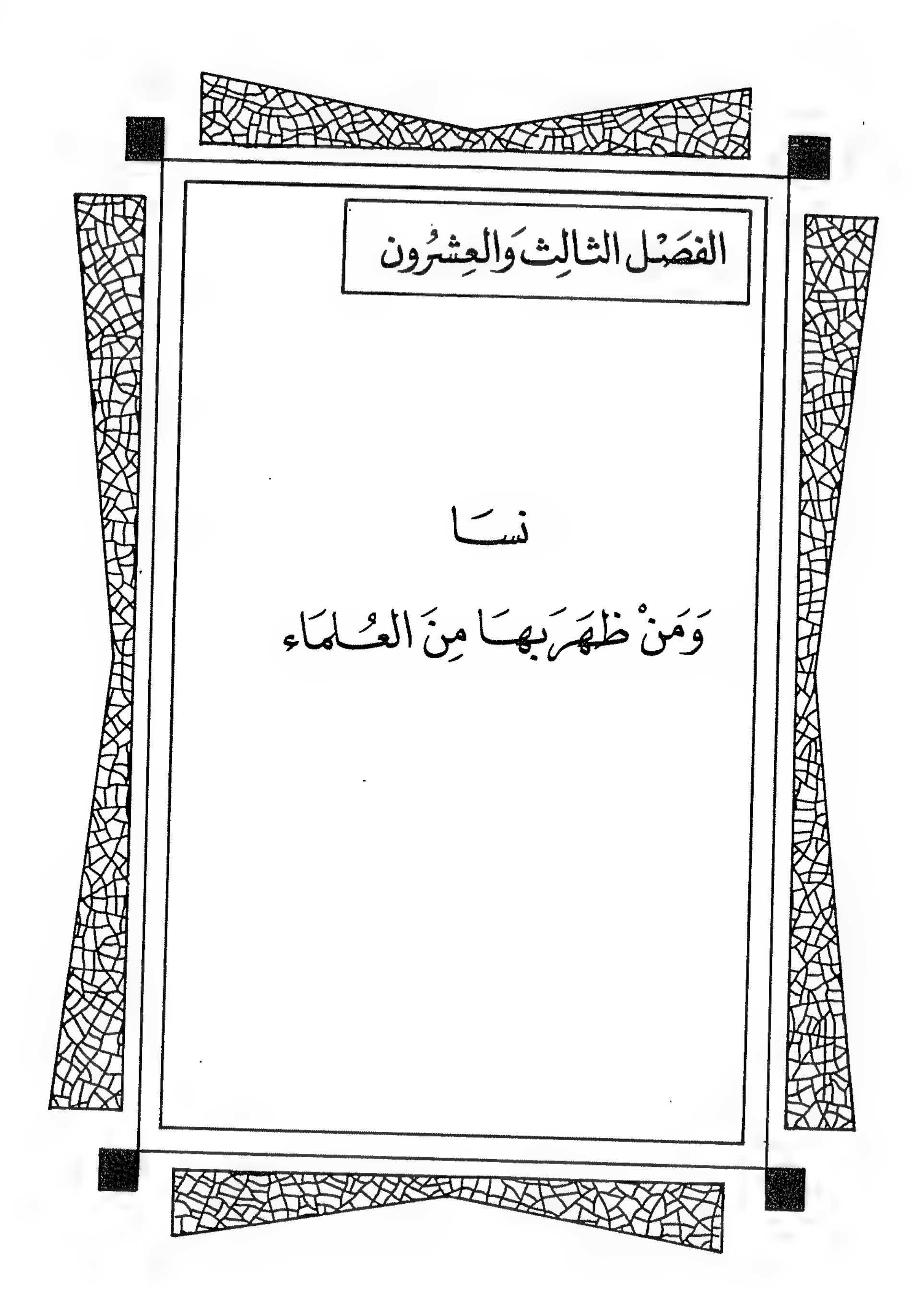
وبدأ الشباب يمارس شيئاً من العبادات الاسلامية سراً ويلتقون في اجتماعات محاطة بالكتمان لتدارس القرآن الكريم...

وأعظم هدية وأجلها في نفوس أهل تلك البلاد أن يهديهم المرء نسخة من القرآن الكريم وذلك لقلة نسخ القرآن الكريم هناك...

ولا شك أن جهداً صادقاً ينبغي أن يبذل لإعادة نور الاسلام الى تلك الاصقاع فان ظلمات الكفر والشيوعية والالحاد قد رانت عليها قرابة ثلاث أرباع القرن من الزمان... وهي مدة كافية مع البطش الشديد والتنكيل على إخفات كل صوت يدعو الى دين الله.

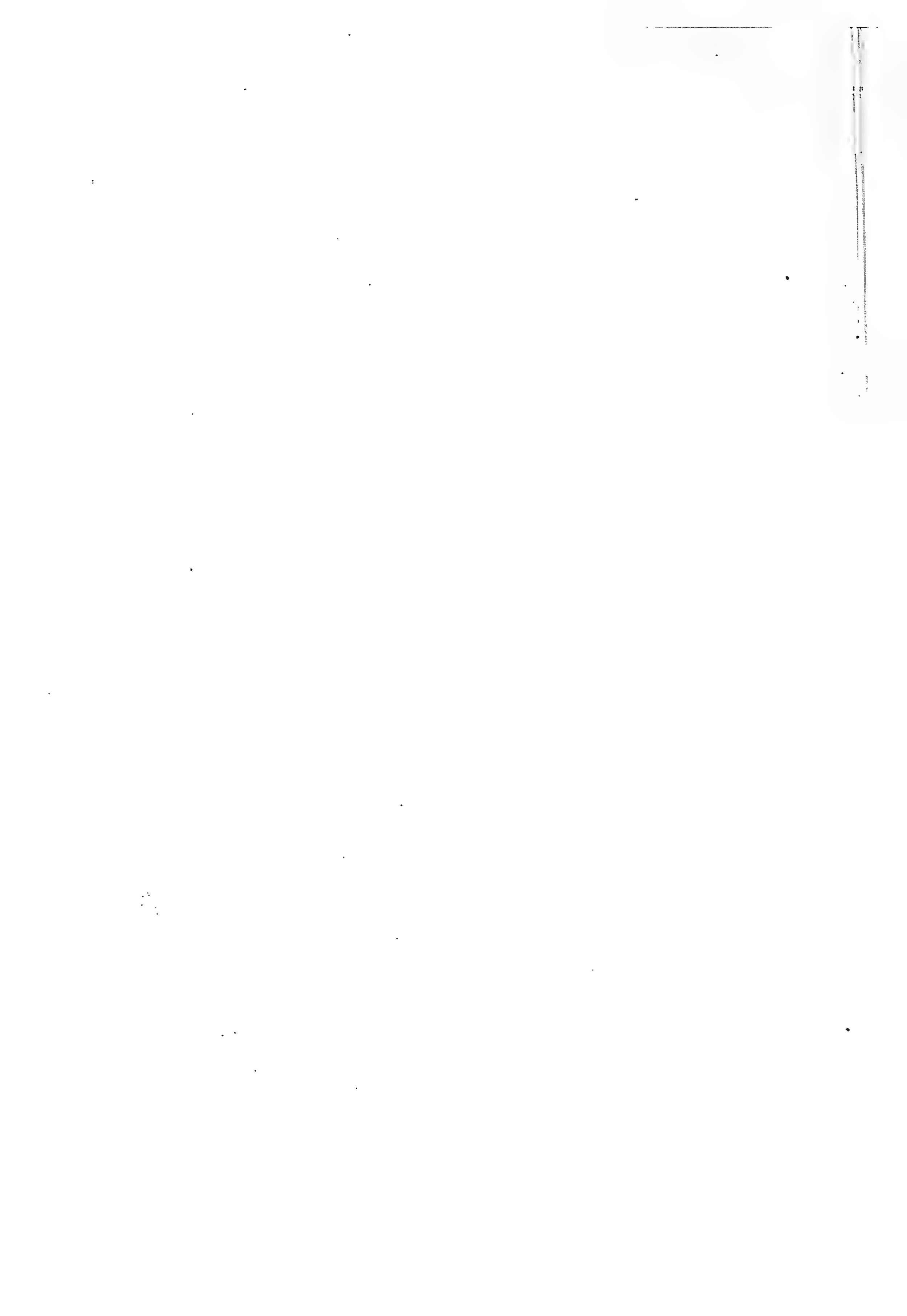
ومع هذا فاننا لا نيأس أبداً بل أن تباشير الفجر قد بدأت تمزق استار هذا الظلم والظلام... والله غالب على أمره ومتم دينه ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون...





الفَصْل الثالِث وَالعِشرُون

نسَا
وَمَنْ ظَهَرَ بِهَا مِنَ العُلَمَاء



تضبط (نسا) بفتح النون والسين، وقد سميت بهذا الإسم، كما يرويه (ياقوت) في (معجم البلدان) لأن المسلمين عندما وصلوا إليها فر من وجههم الرجال، ولم يبق فيها سوى النساء والأطفال فقالوا: هؤلاء نساء، والنساء لا يقاتلن، فننسى أمرها الآن (فسميت بذلك (نسا) والنسبة إليها (نسائي) ونسوي وقد نسب اليها أفذاذ من العلماء[1].

و(نسا) مدينة (بخراسان) كما وصفها (ياقوت) بينها وبين (سرخس) يومان (وبينها وبين (مرو) خمسة أيام تقع (اليوم) مع (مرو) في جمهورية (تركمنستان) في الاتحاد السوفيتي، وهي الان خرائب على بعد خمسة أميال من عشق آباد.

وقد ذكر (ياقوت) انها مدينة وبئة، يكثر بها خروج العرق المديني، وهو نوع من الديدان كان يكثر في المدينة، ولذا نسب إليها، ويعرف علميا باسم (دراكانكولا ميدنيسيس) كما يعرف أيضاً - بدودة غينيا، وهو يكثر في المناطق، التي تعتمد في شربها على مياه الآبار (حيث

---

(١) فتح نسا: عقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لواء لساريه بن زعيم الكناني لفتح نسا ودار بجرد سنة ٢٣ هـ فسار اليهم وحاصرهم ثم انهم استمدوا الأمداد فجاءت اليهم أكراد فارس وفرسان الفرس من كل مكان.. وكان سارية في صحراء إن اقاموا بها أحاط بهم العدو وإن مالوا الى الجبل لم يستطع العدو الا أن يأتيهم من أمامهم.. وكان عمر يخطب على المنبر في المدينة فصاح فجأة ثلاثاً يا سارية الجبل الجبل واستغرب الناس ذلك من عمر حتى تكلم قوم في عقله. فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف فقال لعمر إنك لتجعل لهم على نفسك مقالا بيناً أنت تخطب تصيح يا سارية الجبل اي شيء هذا؟ قال عمر: اني والله ما ملكت ذلك. رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك ان قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل.. فجاء رسول سارية بكتابه بعد شهر وذكر أنهم سمعوا صوت عمر يصيح يا سارية الجبل الجبل فمالوا الى الجبل وانتصر المسلمون... وهذه القصة إحدى كرامات عمر المشهورة رضي الله عنه وقد رواها كثير من ائمة الحديث بأسانيد صحيحة مثل البيهقي وابو نعيم وابن مردويه وغيرهم كما يذكر ذلك كتاب الفتوحات الاسلامية للسيد احمد زيني دحلان.

تدخل هذه الدودة في نوع من الفطر يشربه الانسان مع الماء، وتخرج الدودة المتحوصلة في المعدة، وتخترق الجدار، وتذهب الأنثى، بعد تلقيحها الى أوردة الساق والقدم، حيث تخرج عند اقتراب الانسان من الماء، وتفرز الدودة بيضها الى الماء ويقوم الأهالي - عادة بربطها بعود، ولفها عليه برفق حتى تستخرج، لأنها اذا انقطعت سببت صدمة، نتيجة افزاز السموم قد يموت بسببها المريض، وهي تعالج - الآن - بالعقاقير الطبية.

وكثيرا ما نرى هذه الدودة، وقد تكلست (أي امتلأت بالكلسيوم وهو الجير) وتظهر - عادة في الساقين، وأحياناً في الحوض، أو الصدر، أو البطن.

ولا تزال هذه الدودة منتشرة في مناطق اليمن وحضرموت، والشام، والجزيرة العربية وبخاصة في جيزان، وهي منتشرة - أيضاً - في غينيا، وفي مناطق كثيرة من العالم.

ويسميها الأهالي (العروق) وهو نفس الاسم الذي كان يستخدمه القدماء، كما ذكره (ياقوت) وأول ذكر لها، بين أيدينا، هو في التوراة (العهد القديم) حيث أصيب بها بنو اسرائيل أثناء التيه في (سيناء).

وقد ظهر من (نسا) جماعة من أعيان العلماء: منهم:

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي القاضي الحافظ:

صاحب كتاب (السنن) كان امام عصره في علم الحديث، ولد سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠ م)، في نسا ثم انتقل منها في طلب علم الحديث، حتى صار علما من أعلامه، وسكن مصر، وبها انتشر ذكره وعلا صيته، وتوافد عليه العلماء، ليأخذوا، ويستمعوا له، وانتقل من مصر الى فلسطين وسكن في الرملة بعد أن ضايقه الحساد في مصر، ومن فلسطين خرج للحج، فمات بمكة سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م)، بعد أن ترك ثروة

ضخمة من المؤلفات في علم الحديث ورجاله، وهو مدفون بين الصفا والمروة.

روى الحديث عن: قتيبة بن سعيد، واسحاق بن ابراهيم بن حبيب، واسحاق بن شاهين وابراهيم بن سعيد الجوهري، وعيسى بن حماد، وغيرهم من مشايخ هذا العلم، وسمع في دمشق من: هشام بن عمار، ودحيم، وجماعة كثيرة، وروى عنه خلق كثير، منهم أبو جعفر الطحاوي وأبو البشر الدولابي، وأبو علي الحسين بن علي الطبراني الحافظ، وغيرهم كثير.

وأشهر مؤلفات الامام النسائي (السنن الكبرى) وهو أحد الكتب الستة المعتمدة في الحديث وهي: صحيحا البخاري ومسلم، وسنن الترمذي، والنسائي وأبي داود، وابن ماجه.

وله - أيضاً - كتاب (المجتبي) ويسمى (السنن الصغرى) وهو - أيضاً - في الحديث، وله كتاب (الضعفاء والمتروكون) في رجال الحديث، وله (خصائص علي) و(مسند علي) و(خصائص فاطمة) و(مسند مالك) وغيرها كثير.

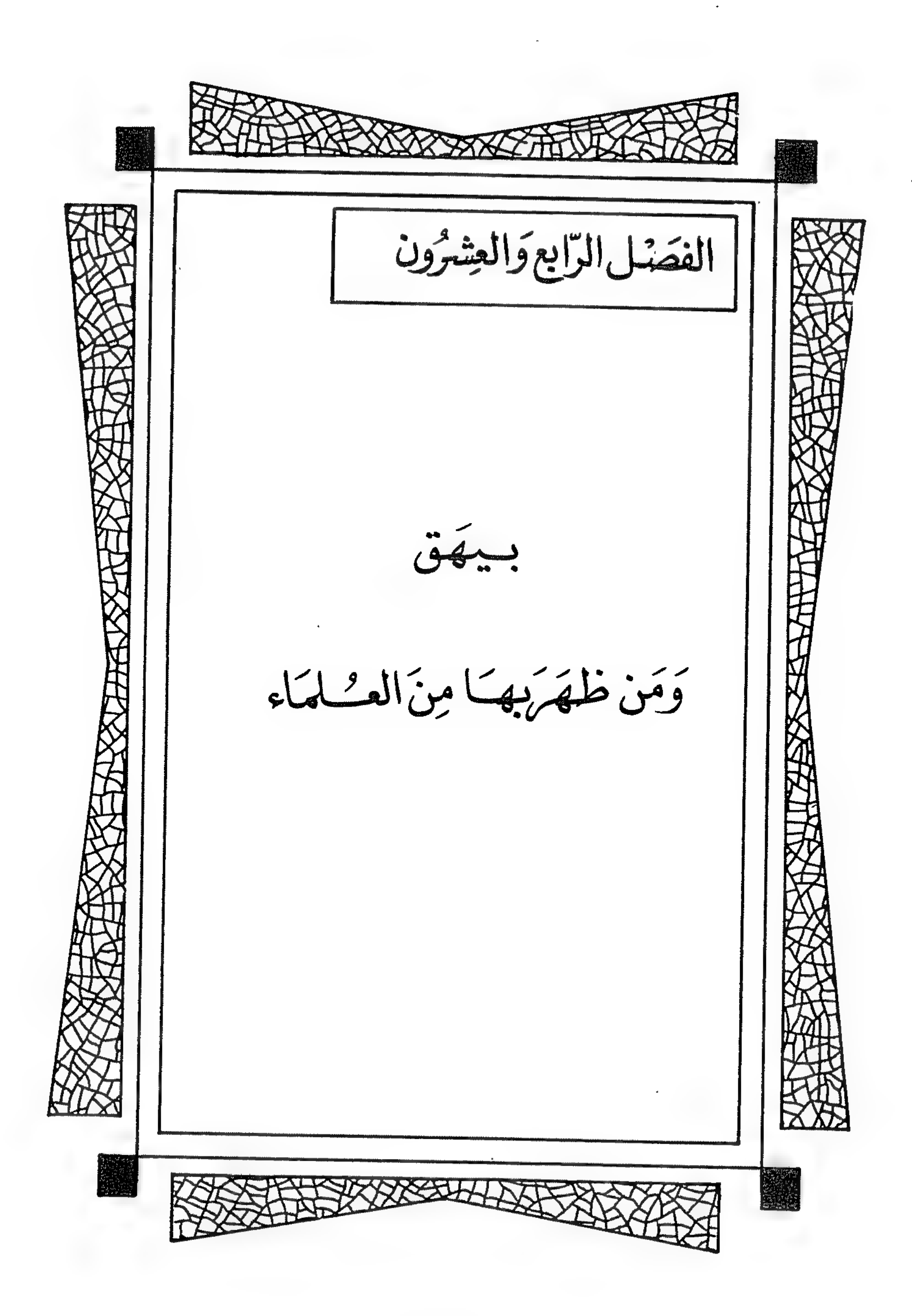
ومن ينسب الى (نسا) الحافظ ابو العباس الحسن بن سفيان الشيباني النسوي:

كان محدث (خراسان) في عصره، مقدما في الفقه والادب، وتوفي بقرية بالقرب من (نسا) تدعى (بالوز) وذلك ٣٠٣ هـ (٩١٦ م)، وهي نفس السنة التي توفي فيها الامام أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتقدم ذكره.. ومولده في نسا سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م)..

ومنهم: أبو أحمد حميد بن زنجويه الأزدي النسوي:

وهو صاحب (كتاب الترغيب) و(كتاب الأموال).

قال عنه (ياقوت): كان عالما فاضلا، سمع بدمشق هشام بن عمار، وبمصر عبد الله بن صالح وسعيد بن عفير، وبالعراق يزيد بن هارون والنضر بن شميل، وسمع من مشايخ (قيسارية بفلسطين) وحمص، وحج وسمع بمكة، وروي عنه أئمة الحديث: منهم: الامام البخاري، والإمام مسلم، وأبو داود، والنسائي، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة علم الحديث...



الفصل الرّابع والعشرون

بيهق

ومن ظهر بها من العلماء

تقع بيهق على المجرى الاسفل لنهر هاري (هاري رد) وكان يسمى نهر الروذ لأن مرو الروذ تقع عليه. الذي ينبع من جبال أفغانستان والذي يشكل الحدود الشمالية بين أفغانستان وايران ثم بعد ذلك يجري في تركمنستان مشكلا الحدود بين ايران وتركمنستان. فاذا دخل نهر هاري تركمنستان تغير اسمه الى تادزهن وهنا يجد رافداً من مشهد في ايران (وهي مدينة طوس القديمة وسميت مشهد لأن بها مشهد الإمام علي الرضا).

وتقع بيهق في الجزء الواقع في تركمنستان السوفيتية حيث تزول مياه النهر الا عند اشتداد الامطار وفيضان النهر[١].

وهي غير موجودة اليوم فقد اندثرت تلك المدينة التي وصفها (ياقوت الحموي) في معجم البلدان بقوله:

بيهق اصلها بالفارسية بيهة ومعناها (الأجود) وهي ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور تشمل على

---

(١) وقد فتحت بيهق عندما ثارت خراسان في أول عهد عثمان رضي الله عنه وقد أرسل عثمان عبد الله بن عامر بن كريز واليه على البصرة ففتح خراسان مرة أخرى وأخضعها وقد وجه عبد الله بن عامر بن كريز أحد قواده وهو الاسود بن كلثوم العدوي الى بيهق فحاصرها ووجد ثلمة في حيطانها فدخل هو وبعض جنده من الثلمة فأحاط، به العدو واستشهد الاسود وكان الاسود يدعو الله أن يحشره في السباع والطير فتركه أخوه الأدهم بن كلثوم للسباع والطير ولم يواره.. وتولى ادهم بن كلثوم قيادة الجيش وفتح الله عليه بيهق..

وفتح عبد الله بن عامر نيسابور صلحا على الف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي. وسيّر جيشا الى نسا وابيورد فأعادوا فتحها وتم فتحها صلحاً، وكذلك اعيد فتح سرخس بقيادة عبد الله بن خازم السلمي.

وأخضع عبد الله بن عامر هراة ومرو وطخارستان في مدة يسيرة وأعادها تحت الحكم الاسلامي.

٣٢١ قرية بين نيسابور وقومس وجوين بين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخا وكانت قصبتها خسروجرد ثم صارت سابزوار.. وقد أخرجت هذه الكورة من لا يحصى من الفضلاء والعلماء والفقهاء والأدباء.. ومن أشهر أئمتهم:

(١) الإمام ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي.

من أهل خسروجرد عاصمة بيهق، صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة ٣٨٤ هـ - (٩٩٤ م) وهو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الورع من أجل أصحاب أبي عبد الله الحاكم والمكثرين عنه - ثم فاقه في فنون من العلم تفرد بها.

رحل الى العراق وطوف في الافاق وألف من الكتب ما يبلغ قريبا من ألف جزء مما لم يسبق الى مثله. توفي في نيسابور سنة ٤٥٨ هـ - (١٠٦٦ م) ونقل جثمانه الى بيهق حيث دفن بها، صنف زهاء ألف مصنف ومن تصانيفه كتاب (المبسوط) وكتاب (السنن المشهور بسنن البيهقي) وكتاب (معرفة علوم الحديث) وكتاب (دلائل النبوة) وكتاب (مناقب الشافعي) وكتاب (البعث والنشور). وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشرة مجلدات. وكتاب الآداب وكتاب فضائل الصحابة وكتاب فضائل الأوقات وشعب الايمان وغيرها كثير لا يحصى. قال عنه امام الحرمين: ما من شافعي الا وللشافعي عليه منه الا البيهقي فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آراءه. وقال عنه الذهبي: لو شاء البيهقي ان يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف.

ومن نبغ من بيهق علي بن الحسين بن فطيمة البيهقي.

من أهل خسروجرد قصبة بيهق من تلاميذ الامام أبو بكر أحمد بن

حسين المتقدم ذكره وقد حرص على طلب العلم وحفظ الحديث رغم تقدم سنه فلما أصيبت يده في علة فقطعت اصابعه فكان يكتب بأصابع قدمه كتابة واضحة مقروءة. تولى القضاء في خسروجرد وبها كانت وفاته سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) - وكان مولده سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م). وممن ينسب إليها: **اسماعيل بن الحسين بن عبد الله البيهقي**.

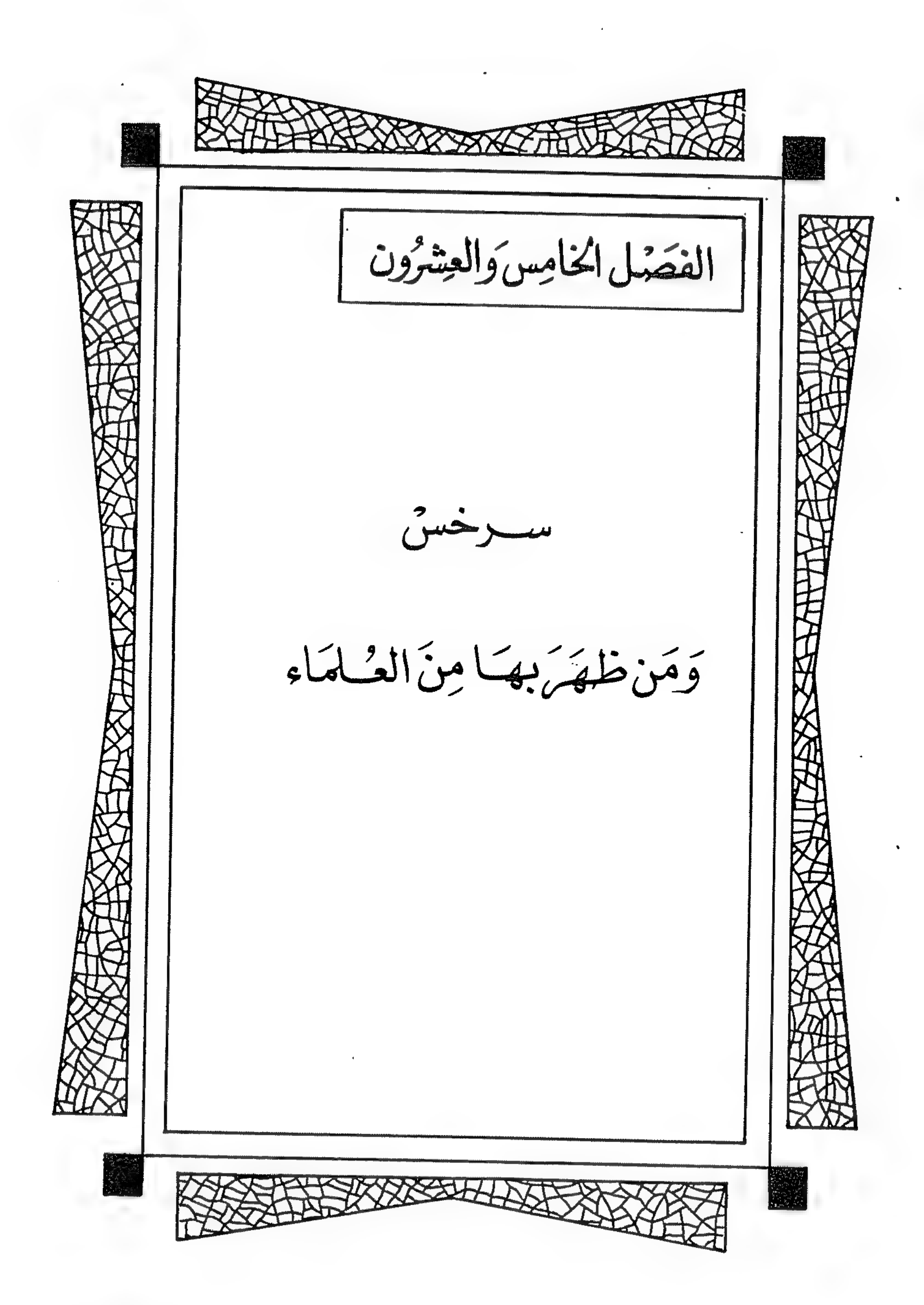
فقيه حنفي زاهد له عدة كتب في الفقه الحنفي توفي سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ م). له الشامل في فروع الحنفية والكفاية مختصر شرح القدوري.

ومن ينسب إليها: **أحمد بن علي بن محمد البيهقي (أبو جعفر)**.

لغوي عالم بالقراءات له (المحيط بلغات القرآن) و(تاج المصادر) توفي سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م).

ومنها **علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي** مؤرخ وفقيه وفلكي ورياضي وفيلسوف وباحث موسوعي صنف ٧٤ كتابا وتوفي سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م).

ومنها **محمد بن الحسين البيهقي (أبو الفضل)** كان كاتب الانشاء في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي.. جميل الاسلوب له مؤلفات في التاريخ وكانت وفاته سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م).



الفصل الخامس والعشرون

سرخس

ومن ظهر بها من العلماء

(سرخس) مدينة قديمة، من نواحي (خراسان) وهي بين نيسابور و(مرو) في وسط الطريق بينها وبين كل واحدة منهما ست مراحل، وهي تقع - الآن - في الحدود الشرقية لجمهورية (تركمنستان) في الاتحاد السوفيتي.

وصفها (ياقوت) بأنها مدينة معطشة ليس لها في الصيف الا ماء الآبار العذبة، وليس بها نهر جار، الا نهر يجري في بعض السنة، ولا يدوم ماؤه، وهو فضل مياه هراة (وهي اليوم في أفغانستان، وتكتب اليوم هرات) وهذا النهر هو نهر (هاري رد) الذي ينبع من أفغانستان ويشكل الحدود بينها وبين ايران ثم يتجه شمالا مشكلا الحدود بين ايران وتركمنستان السوفيتية (ويسمى تادزهن ويصل اليه رافد من مشهد (طوس) يسمى نهر مشهد. وينتهي عند مدينة سرخس).

والغالب، على نواحيها، المراعي، وبها زراعة قليلة.

وقد خرج منها كثير من الأئمة، ولأهلها يد باسطة في عمل المقانع، والعصائب المنقوشة المذهبة، وقد نسب إليها من لا يحصى من العلماء والفقهاء والفضلاء.

ومن انتسب إليها: **أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الزاز السرخسي**، الفقيه الشافعي، له كتاب في الفقه كبير.. أكبر من الشامل لإبن الضباغ، أجاد فيه جدا سماه (الاملاء) وقد توفي بمرو سنة ٤٩٤ هـ (١١٠٠ م).

ومنهم: **الإمام أبو علي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي**، الفقيه المحدث، شيخ عصره بخراسان، تفقه على أبي اسحاق المروزي، وقرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد والأدب على أبي بكر بن الأنباري،

وسمع الحديث من أبي لبيد محمد بن ادريس، وأقرانه، في (خراسان) وبالعراق، من أبي القاسم البغوي، وابن صاعد وغيرهما وتوفي سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٩ م) عن ست وتسعين سنة.

ومنهم: أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي، المشهور باسم (ابن الطيب السرخسي).

فيلسوف غزير العلم بالتاريخ، والسياسة، والأدب، والفنون، ولد في (سرخس) ونشأ بها، وقرأ على الفيلسوف (الكندي) علوم الفلسفة، ونبغ بها.

وصار أستاذاً للخليفة العباسي (المعتضد) وكان يحبه كثيراً، ويقربه إليه، ويستشيره وولاه الحسبة ببغداد، ووشى به الحساد لدى (المعتضد) فغضب عليه، وقتله، وله تصانيف كثيرة، منها (كتاب السياسة)، و(المدخل الى صناعة النجوم)، و(كتاب الموسيقى الكبير) و(الموسيقى الصغير) و(المدخل الى علم الموسيقى)، وله كتاب (المسالك والممالك) و(رحلة المعتضد)، وصف فيهما البلدان وأحوالها.

وقد اعتمد على الكتاب الاخير (ياقوت الحموي) في كتابه (معجم البلدان) ونقل كثيراً من أسماء البلدان وأوصافها منه.

ولإبن الطيب كتب في الرياضيات والجبر، منها: كتاب (الاثماطيقي) والجبر والمقابلة وله كتاب (فضائل بغداد وأخبارها) وكتاب (وصف مذاهب الصابئين) و(كتاب الشطرنج) و(كتاب النفس وكتاب القيان) وكتاب (الجلساء والمجالسة) في فنون الادب، وكتاب (اللهو والملاهي) في الأغاني والنوادر.

وقتل ابن الطيب سنة ٢٨٦ هـ/ (٨٩٩ م) بعد أن ترك ثروة علمية واسعة.

ومنهم: **شمس الأئمة محمد بن أحمد بن سهل السرخسي**، صاحب كتاب (المبسوط) وهو من أشهر كتب الفقه الحنفي، أملاه وهو سجين في (فرغانة) وكان طلبته يقفون تحت نافذة السجن، وهو يملي عليهم حتى أكمله، في ثلاثين جزءاً، وله أيضاً (شرح الجامع الكبير) وقد توفي سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م).

ومن العلماء المنتسبين الى سرخس: **عبد الرحمن بن محمد السرخسي**، المتوفي سنة ٤٢٩/ ١٠٤٨.

اشتهر بالفقه الحنفي، وتولى القضاء بالبصرة، ومن كتبه (تكملة التجريد) في الفقه.

ومن علماء سرخس الذين نبغوا واشتهروا **عبيد الله بن سعيد السرخسي** من حفاظ الحديث توفي سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥ م).. وهو ممن روى عنهم الامام البخاري وقد روى عنه ١٣ حديثاً كما روى عنه الإمام مسلم ٤٨ حديثاً.. ويعتبر عبيد الله من أئمة الحديث في زمانه.

ومنهم: **اسماعيل بن ابراهيم بن محمد السرخسي** أحد أعلام الفقه والأدب شافعي المذهب وقد ألف كتابا في مناقب الامام الشافعي.. وكانت وفاته سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م).

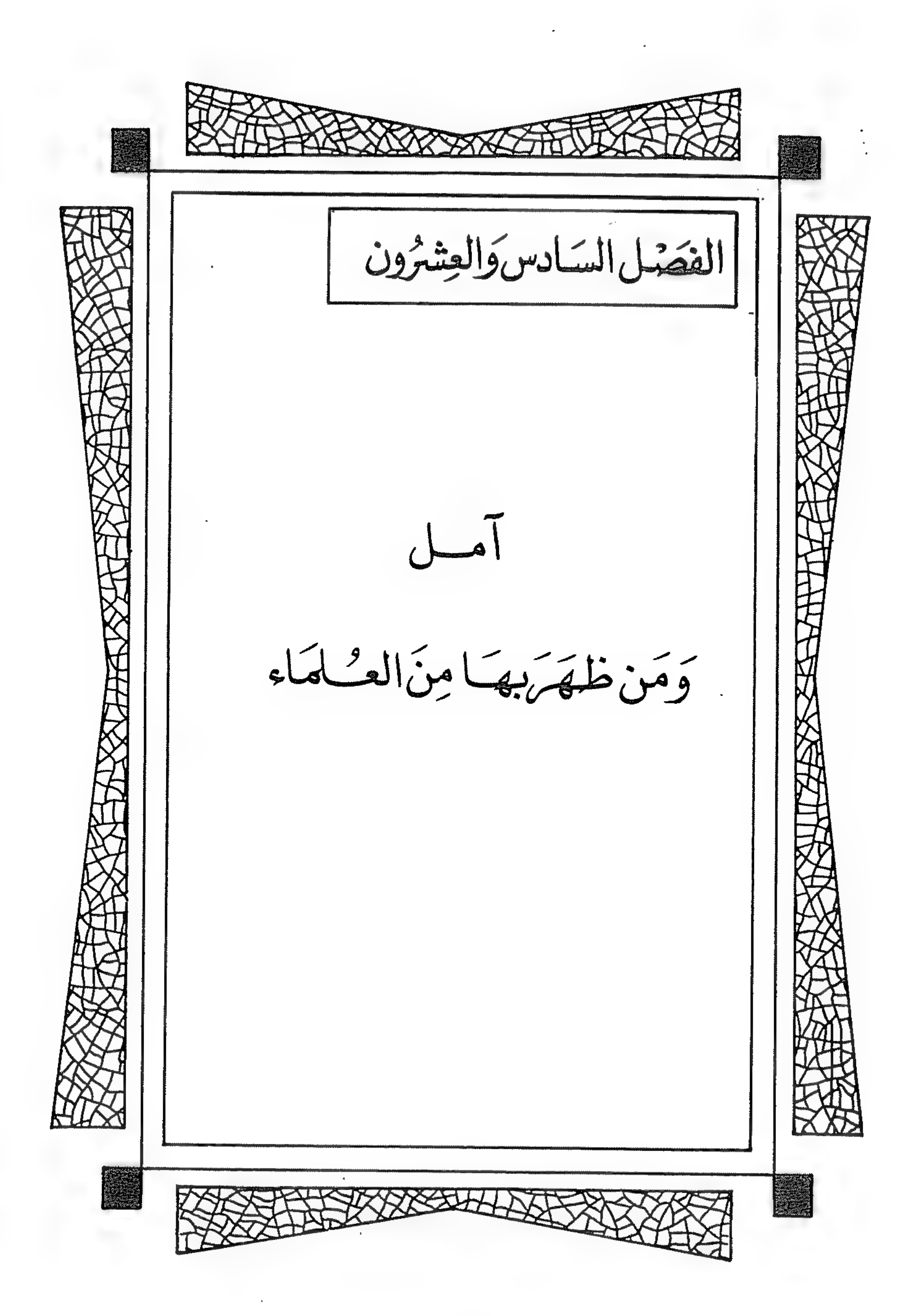
ومنهم: **محمد بن محمد رضي الدين السرخسي** أحد أعلام الفقه الحنفي وانتقل كما ينتقل العلماء في زمنه لطلب العلم وتعليمه وأقام مدة في حلب ثم انتقل الى دمشق وبها كانت وفاته ٥٤٤ هـ.. (١١٤٩ م).

ومن قرى سرخس قرية تدعى جوين وهي غير جوين الموجودة في أفغانستان اليوم..

وينسب الى جوين سرخس أبو المعالي بن عبد الله الجويني السرخسي وقد قال عنه ياقوت (امام فاضل ورع).

ومن ينسب الى سرخس من أهل الفضل **الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي وأخوه الفضل بن سهل**... وكلاهما وزر للمأمون العباسي.. واشتهرا بالفضل والأدب والكرم.. وقد تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل هذا وكانت ذات جمال وأدب وكمال... ووزع في زواجها على المدعوين الاراضي وصرر الدنانير... وقد اشتهر الحسن بن سهل بالذكاء المفرط والادب والفصاحة وحسن التوقيعات.. وأصيب بالحالة السوداوية (المناخوليا) ثم شفي منها ومولد الحسن بن سهل سنة ١٦٦ هـ (٧٨٢ م) ووفاته سنة ٢٣٦ هـ (٨٥١ م) وذلك في بلدته سرخس.

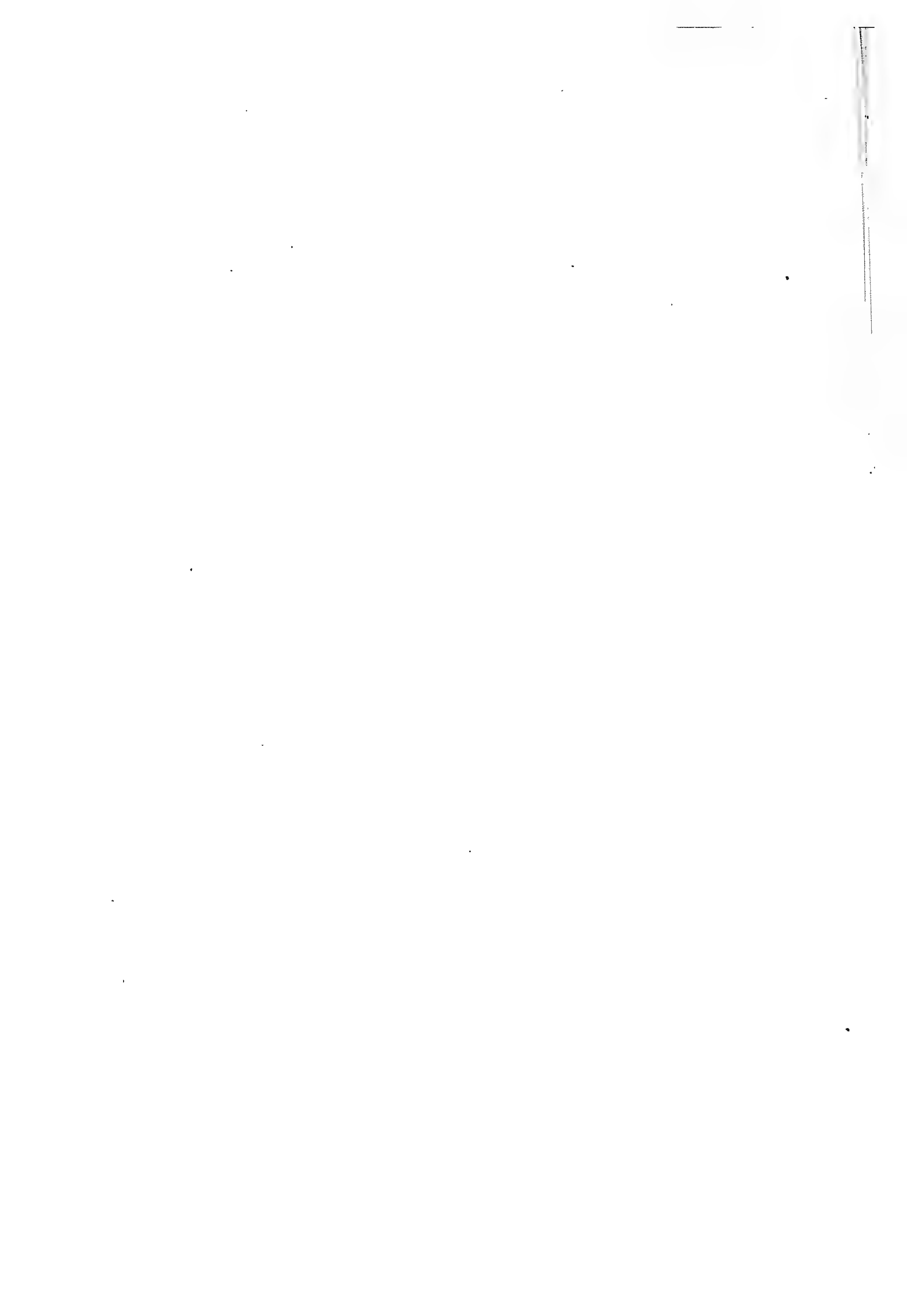
وكان الحسن وأخوه الفضل ابناء سهل من أهل بيت رياسة في المجوس وأسلما هماوأبوهما سهل في زمن الرشيد.. وبلغا أكبر المراتب لدى المأمون وقادا له الجيوش وتسنما منصب الوزارة الكبرى في عهده.



الفصل السادس والعشرون

آمل

ومن ظهر بها من العلماء



يطلق اسم آمل على مدينتين: إحدهما في طبرستان والثانية في جمهورية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي اما الأولى فهي عاصمة طبرستان جنوب شرق بحر قزوين الذي يدعى أيضاً بحر طبرستان وبحر جرجان وبحر الديلم وبحر ابسكون لمجاورته هذه الاقاليم كما يدعى بحر الخزر لأن الخزر قوم اتبع أغلبهم اليهودية وسكنوا الشواطىء الشمالية الشرقية من بحر قزوين.. وأغلب يهود الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية منهم.. ومنهم أكثر زعماء اسرائيل مثل جولدا مائير ومناحيم بيجين.

وتقوم آمل هذه على الضفة الغربية لنهر هرهاز على بعد ١٢ ميلا جنوب بحر قزوين ويقال ان آمل هذه شيدتها آمله ابنة زغيم الديلم وزوجة الملك فيروز البلخي وقد كان لها دور عظيم في التاريخ الاسلامي وأصبحت قصبة اقليم طبرستان.. ومركزا تجاريا وصناعيا هاما.. يسكنها العديد من العلماء والتجار والصناع وتنتج مزارعها الحبوب ومختلف أنواع الفاكهة.. وقد زارها ابن حوقل الذي أرسله الخليفة العباسي المقتدر الى البلغار المسلمين وذكرها في رحلته التاريخية المشهورة وقال عنها أنها مدينة كبيرة زاهرة وأنها أكبر من قزوين ويكفي آمل فخراً أنها أخرجت لنا المفسر المؤرخ المشهور الإمام ابن جرير الطبري.. وإليها ينسب أحمد بن هارون الآملي وأبو اسحاق ابراهيم بن بشار الآملي وهما من أهل الحديث.. واسماعيل بن أبي القاسم بن أحمد السني وهو من أهل الحديث.

وقد خرّبت آمل هذه على يد مسعود بن محمود الغزنوي سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ م) ثم عادت لتتبوأ مكانها مرة أخرى ليخربها تيمورلنك في أثناء اندفاعه شرقاً وشمالا لتكوين امبراطوريته الضخمة وذلك سنة ٧٧٦ هـ

(١٣٧٤ م). ورغم أن آمل قد واجهت العديد من الزلازل والفيضانات الا أنها لا تزال مدينة عامرة الا أن آمل الحديثة تبعد عن آمل القديمة التي خربت ببضعة كيلومترات. وكانت آمل وجميع طبرستان تابعة لسلطان خوارزم وتحمل اموالها إليه ويدعى له في خطبة الجمعة الى أن هرب من التتار عندما اجتاحوا خوارزم.

وسنرجىء الحديث عن آمل هذه ومن بها من علماء طبرستان لأن أغلب من ظهر منها ينسبون الى طبرستان باسم الطبري أو الطبرسي. وطبرستان هي إقليم مازندران في شمال ايران على بحر قزوين.

والآن سنتحدث عن آمل الثانية الموجودة في جمهورية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي وهي الواقعة على نهر جيحون والمشهورة باسم آمل جيحون..

تقع آمل جيحون على بعد ميل غرب نهر جيحون (أموداريا) في جمهورية تركمنستان السوفيتية وهي الآن خرائب وتقوم بالقرب من أطلالها وخرائبها مدينة (جارجوي) على بعد ثلاثة أميال من جيحون أي الجداول الاربعة لأنها تقوم على أربعة جداول من نهر جيحون تكون مخاضة هامة أعلى نهر جيحون بالقرب من البلدة.. وقد كانت آمل على طريق مرو بخارى ويقابلها في شرق جيحون مدينة فربر التي ينسب إليها الفربري راوي كتاب البخاري.

وتربط آمل الجديدة المسماة جارجوي سكة حديد تربطها بمرو وكراسنوفورسك الواقعة على بحر قزوين في الغرب.. وبخارى وسمرقند وطشقند في الشرق.. وتعبر السكة الحديدية نهر جيحون على جسر طويل يمتد الى الشمال الشرقي من البلدة.

وقد كانت آمل جيحون هذه تتبع ولاية خراسان بل هي جزء منها وكما أسلفنا القول فإن جزءاً كبيراً من خراسان يقع اليوم في جمهورية

تركمنستان التي تضم مرو العاصمة السابقة لاقليم خراسان كما تضم نسا وشهرستان وهي الآن خرائب وبالقرب من انقاضها تقوم العاصمة الجديدة عشق آباد، كما تضم سرخس، وآمل.. التي خربت وقام بدلا عنها مدينة جارجوي.

وكانت آمل مدينة تجارية زاهرة عامرة على الرغم من احاطة الصحراء بها من جميع الجهات وكانت ملتقى الطرق التي تصل خراسان بما وراء النهر (أي نهر جيحون) وخيوة (خوارزم) وقد أنزل اسماعيل الساماني هزيمة منكرة بمحمد بن بشير العلوي وجيشه بالقرب من آمل.. وقد ذكرت آمل كثيراً اثناء هجوم التتار الذين دمروها.. كما أنها دمرت مرة أخرى في عهد تيمورلنك..

وقد سكن آمل وما حولها قبائل الماردوي.. وتسمى آمل هذه آمل جيحون أو آمل الشط أو آمل زم أو آمل المفازة (لأنها محاطة بالصحراء) تمييزاً لها عن آمل طبرستان.. وتسمى أيضاً آموية وهي لفظة محلية ومنها أخذ نهر جيحون اسمه أموداريا.

وأما اسم جارجوي فيبدو أنه قد ظهر أيام تيمورلنك وأحفاده. فقد ذكر بابر في كتابه بابر نامة أن قلعة جارجو قد اضطرت للتسليم للاوزبك سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م).

وكانت جارجوي تشكل معبراً هاماً لنهر جيحون في القرون الوسطى وفي عهد الاوزبك (القرن العاشر والحادي عشر الهجري) وفي العصور الحديثة.. وكانت الجسور تقام على هذا النهر لتعبر عليها الجيوش الكبيرة كما فعل نادر شاه وهو أحد مشاهير رجالات الدولة الصفوية في ايران.

وقد خضعت مرو للسيطرة الروسية سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) وخضعت بالتالي آمل لنفوذهم، حل خط حديدي محل القوافل سنة

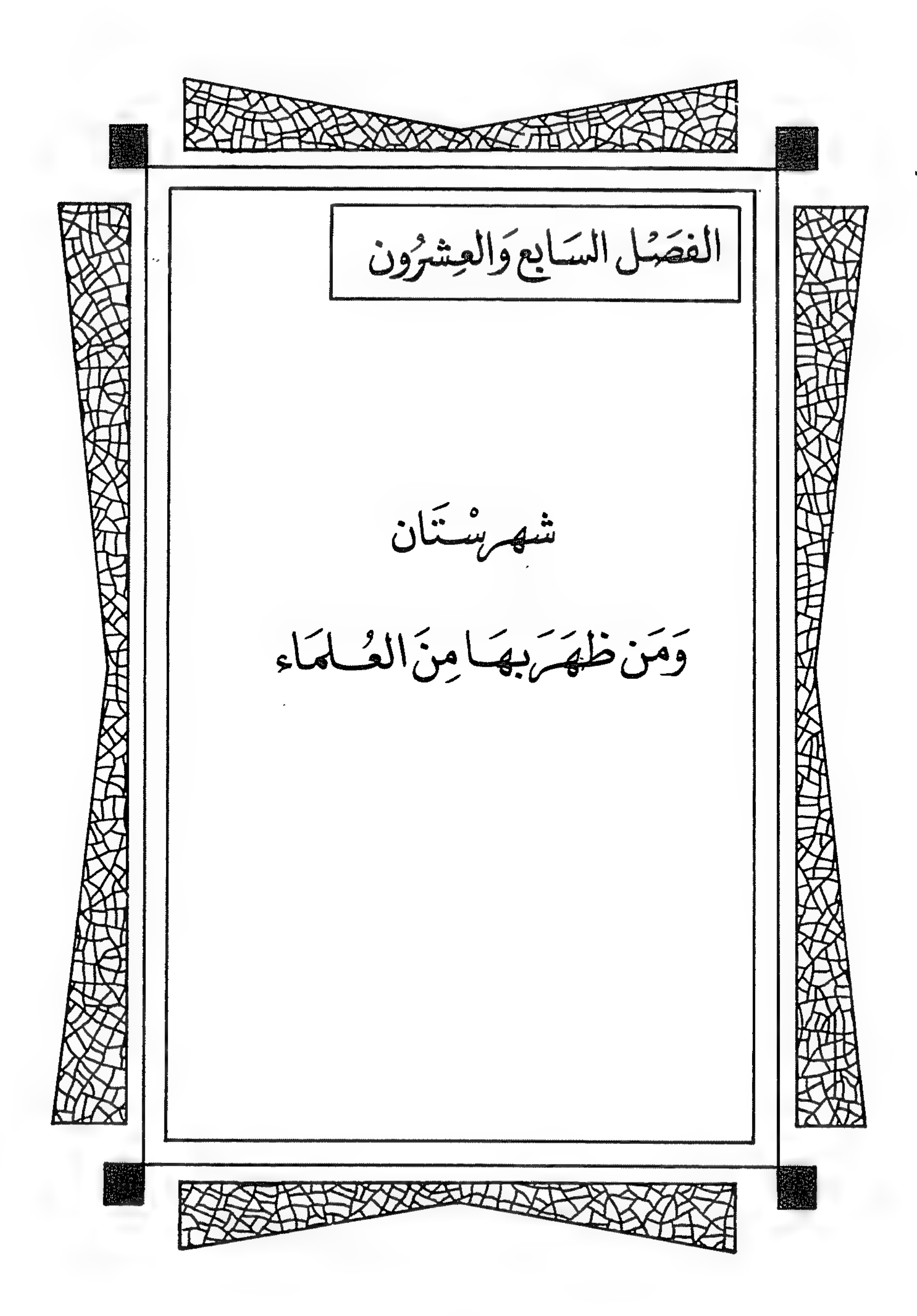
١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م).. وكانت لا تزال خاضعة لخان بخارى رغم النفوذ الروسي.. وأقيم سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) جسر للسكة الحديد على نهر جيحون عند آمل هذه (جارجوي) فازدادت أهميتها وأقام بها قائد عسكري روسي باذن من خان بخارى.. ثم اجتيحت واحتلت احتلالا كاملا بسقوط بخاري عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) ومنذ عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) أصبحت مركزاً صناعياً وادارياً هاماً في ظل النظام الروسي البلشفي وفي سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) أصبحت جارجوي ثاني مدينة في تركمنستان وعاصمة لاقليم أوبلاست.. وزاد عدد سكانها الى ما يقرب من ربع مليون نسمة أغلبهم روس صقالبة أما السكان الاصليون فقد طردوا منها.. وهكذا جعل الروس أهل البلدة التركمان أقلية في وطنهم.

وأصبحت جارجوي الجديدة مدينة روسية في مظهرها وتقاليدها وسكانها أما جارجوي القديمة فتدعى الآن كاكا نوفيتشك وهي على بعد خمسة أميال من جارجوي الحديثة..

وسكانها بضعة الآف فقط وهم من التركمان والاوزبك.. والمساحة الكلية لناحية جارجوي هي ٣٦ ألف ميل مربع تقع في تركمنستان الشرقية وتمتد بين نهر جيحون (أموداريا) وصحراء قرة قوم.. وهي منطقة زراعية خصيبة تشتهر بتربية دود القز لصناعة الحرير وفلاحة البساتين ومزارع القطن والكروم.. وتربية الماشية.

وقد أخرجت **آمل جيحون** الموجودة أطلالها في تركمنستان جماعة من أهل العلم.. وقد نبه العلماء الى أنهم من **آمل جيحون** حتى يفرقوا بينهم وبين من ينسبون الى آمل طبرستان المتقدم ذكرها.. **ومنهم عبد الله بن حماد بن ايوب بن موسى الآملي** أخذ الحديث عن جماعة من أهل الحديث منهم يحيى بن معين أحد شيوخ علم الحديث.. وروى عنه

جمع غفير منهم الهيثم بن كليب الشاشي ومحمد بن المنذر بن سعيد الهروي وكانت وفاته سنة ٢٦٩ هـ (٩٠٨ م).. ومنهم **عبد الله بن علي الآملي** من رجال علم الحديث أيضاً ومنهم **خلف بن محمد الخيام الآملي**. **وأحمد بن عبد الله الآملي**، وموسى بن الحسن الآملي، والفضل بن سهل الآملي. وأبو سعيد محمد بن أحمد بن علوية الآملي. واسحاق بن يعقوب بن اسحاق الآملي، وأبو العباس الفضل بن أحمد الآملي وجميعهم من رواة الاحاديث وحفاظها...



الفصل السابع والعشرون

شهرستان

ومن ظهر بها من العلماء

ذكر ياقوت في معجم البلدان ان اسم شهرستان قد أطلق على ثلاث مدن.. واللفظة فارسية وشهر تعني المدينة وستان تعني الناحية ومعناها ناحية المدينة.

وهذه المدن التي اشتهرت باسم شهرستان هي:

الأولى: شهرستان قصبة (عاصمة) اقليم سابور في فارس وذكر ياقوت انها مدينة عامرة آهلة طيبة كثيرة الخيرات وبها بساتين كثيرة وعيون غزيرة ومساجد محفوظة ولها أربعة أبواب والنهر دائر على المدينة كلها.. وفي طرفه المدينة القلعة التي تعرف باسم دنبلا وقد لاحظ ياقوت أن أطرافها بدأ يدب إليها الخراب.

الثانية: شهرستان في اصبهان (وهي مدينة جي).. وكلاهما الان في ايران.

أما الثالثة: فهي شهرستان الموجودة اليوم في جمهورية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي وهي من خراسان الواقعة تحت الاستعمار الروسي.. وقد دخلها الروس عام ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ومنذ ذلك الحين وهي ترزح تحت حكم القياصرة في موسكو سواء كانوا بيضا أم حمرا.

وهذه الثالثة وصفها ياقوت وقال: انها بلد بالقرب من نسا وبينهما ثلاث أميال في اقليم خراسان بين نيسابور وخوارزم..

واذا بحثت في الخرائط والكتب فلن تجد هذين الاسمين أبداً. فقد خربتا منذ دخول الروس تخريبا كاملا.. ولا يوجد من هاتين المدينتين اللتين انجبتا العديد من العلماء والفحول [مثل الإمام أحمد بن شعيب

والنسائي صاحب السنن الكبرى والحافظ أبي العباس الحسن بن سفيان الشيباني النسوي محدث خراسان في عصره وحميد بن زنجوية الاسدي النسوي صاحب كتاب الترغيب وكتاب الأموال ومحمد بن أحمد النسوي المؤرخ ومن علماء شهرستان الذين طبقت شهرتهم الافاق محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني المتكلم الفقيه الفيلسوف صاحب الكتاب المشهور الملل والنحل] لا يوجد من هاتين المدينتين سوى الخرائب والاطلال.

والى جانبها قامت مدينة عشق آباد (تكتب أحياناً أشخباذ وهي عاصمة جمهورية تركمنستان في الاتحاد السوفيتي.. ولربما لو سألت اهل المدينة عن نسا وشهرستان الواقعتان بجوارها بما عرفوها.. ذلك لأن الروس حريصون على طمس المعالم الاسلامية في تلك الجمهورية وفي جميع الجمهوريات الواقعة تحت براثينهم..

وقد وصف ياقوت شهرستان أثناء فراره من الزحف المغولي فقال: (رأيتها سنة ٦١٧ هـ وقت هربي من خوارزم من التتر الذين وردوا وخربوا البلاد فوجدتها مدينة ليس بقربها بستان ومزارعها بعيدة والرمال متصلة بها وقد شرع الخراب فيها وقد جلا أكثر أهلها من خوف التتر) ولكن شهرستان عادت الى الوجود بعد هجوم التتار القدامى ولكنها اختفت من الوجود بعد هجوم التتار المحدثين أعني الروس الذين أبادوا الأخضر واليابس وأجهزوا على الحضارة الاسلامية ومنعوا كل ذكر للاسلام وأهله.

وقد كانت شهرستان ونسا وما حواليها خاضعة لسلطان أمراء خوارزم منذ القرن الخامس الهجري الى القرن العاشر الهجري عندما ظهرت دولة الاوزبك القوية فسيطرت على هذه المنطقة طوال القرنين

العاشر والحادي عشر الهجري (السادس والسابع عشر الميلادي) وكانت تعرف باسم طاغ بيو أي جانب الجبل تميزا لها عن خوارزم التي كانت تعرف باسم صوبيو أي جانب الماء لأن خوارزم وهي كركانج أو الجرجانية كانت تقع على نهر جيحون (أموداريا).. واشتهرت هذه المنطقة في القرن الماضي (التاسع عشر الميلادي) باسم آخال تكة على اسم القبيلة التركية التي أقامت بها.

ومنذ عام ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) الى اليوم وهي خاضعة لحكم الروس.. وقد دب إليها الخراب منذ ذلك الحين.. وقامت محلها مدن جديدة مرتبطة بالنفوذ الروسي هي عشق آباد وهي عاصمة تركمنستان اليوم.. وقزيل عروت..

واختفت كثير من المدن الاسلامية الهامة بدخول الروس حتى مرو ذات المجد الباذخ والتاريخ المجيد توارت وقبعت في زاوية تجتر همومها منذ أن ابتليت بالاستعمار الروسي.

وأشهر من ظهر من علماء شهرستان هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني المتكلم الفيلسوف الفقيه. ولد هذا العالم في شهرستان سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) ودرس العلوم المنتشرة في زمنه ورحل الى نيسابور ليأخذ الفقه على يد أحمد الخوافي وأبي النصر القشيري وقرأ الأصول على أبي القاسم الانصاري وسمع الحديث على ابن الحسن علي بن أحمد بن محمد المدائني.

ودخل خوارزم واتخذ بها دارا واشتهر بها حيث كان يلقي دروسه في مدارسها وجوامعها المختلفة.. ثم انتقل الى خراسان والتقى بمحمود الخوارزمي مؤلف كتاب تاريخ خوارزم الذي أعجب به وبعلمه وقال عنه أنه أهل للإمامة لولا انتصاره لمذهب الفلاسفة وتعصبه لآرائهم ودارت بينه وبين محمود الخوارزمي هذا محاورات ومناظرات بديعة.. وأنكر عليه مذهبه الفلسفي وخروجه في ذلك على أهل السنة والجماعة

ومع ذلك ذكر فضله وعلمه وشهد له بسعة علمه وطيب معشره وحسن محاضرته ولطيف محاورته[1].

وعاد الى خوارزم مرة أخرى ثم خرج منها للحج سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م) ثم أقام في بغداد ودرس في المدرسة النظامية أشهر جامعات القرون الوسطى على الاطلاق، وله تصانيف عديدة أشهرها كتاب (الملل والنحل) وهو مطبوع مع كتاب ابن حزم (الفصل في الملل والاهواء والنحل) وله كتاب (غاية المرام في علم الكلام) (ونهاية الاقدام) وهو أيضاً في علم الكلام وله (تلخيص الاقسام لمذاهب الانام) (ودقائق الاوهام) وكتاب (الارشاد الى عقائد العباد) وكتاب (المبدأ والمعاد) وكتاب (الاقطار في علم الاصول) وكتاب (شرح سورة يوسف).

ومن كتبه يبدو تخصصه في دراسة انواع الملل والنحل التي عرفت بين بني البشر وهو واسع الاطلاع عميق الفهم لطيف العبارة.. وكانت، وفاته بشهرستان سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م).

(١) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي مادة شهرستان...



مراجع الكتاب

أولاً : المراجع العربيّة

ثانيًا : المجلّات

ثالثًا : المراجع الأجنبيّة

أولاً : المراجع العربيّة

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
١	ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان)	وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان	مكتبة النهضة المصرية
٢	ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي)	عيون الأنباء في طبقات الاطباء	دار مكتبة الحياة (بيروت)
٣	ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي)	رحلة ابن بطوطة	دار التراث (بيروت)
٤	ابن سيناء (ابو علي الحسين بن علي بن سيناء)	القانون في الطب	دار صادر (بيروت)
٥	أحمد بن زين الحبشي	شرح العينية نظم الإمام عبد الله الحداد	المطبعة العصرية حلب
٦	أحمد بن زيني دحلان	الفتوحات الإسلامية	المكتبة التجارية الكبرى
٧	أحمد طلعت	المسلمون في روسيا	
٨	أحمد شاكر	مقدمة الجامع الصحيح للإمام الترمذي	دار النشر للجامعيين
٩	د. أحمد محمود الساداتي	تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها	دار الثقافة/ القاهرة

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
١٠	البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر)	فتوح البلدان	دار الكتب العلمية (بيروت)
١١	بارتولد (فاسيلي فلادمير) ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم	التركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي	المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب /الكويت
١٢	بارتولد (فاسيلي فلادمير) ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم	محاضرات في تاريخ آسيا الوسطى	
١٣	بارتولد ومجموعة من المستشرقين	دائرة المعارف الاسلامية	كتاب الشعب القاهرة
١٤	بسام العسلي	قتيبة بن مسلم	دار النفائس
١٥	د. حسن أحمد محمود	الاسلام في آسيا الوسطى	الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٦	خير الدين الزركلي	الاعلام (الطبعة الثالثة)	بيروت (المؤلف)
١٧	عيسى ~~اليلتكين~~ آليب تكين	قضية تركستان الشرقية	مؤسسة مكة للطباعة
١٨	د. فؤاد عبد المعطى الصياد	المغول في التاريخ	دار النهضة العربية

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
١٩	عبد الرحمن حسني حنبكة الميداني	الكيد الأحمر	دار القلم (بيروت)
٢٠	د. علي المنتصر الكتاني	المسلمون في المعسكر الشيوعي	رابطة العالم الاسلامي (مكة)
٢١	لوثروب باضافات شكيب أرسلان	حاضر العالم الاسلامي	دار الفكر (بيروت)
٢٢	فامبري (أرمانيوس) ترجمة أحمد محمد الساداتي وتقديم يحيى الخشاب	تاريخ بخارى	وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
٢٣	محمد الغزالي	الاسلام في وجه الزحف الأحمر	المختار الاسلامي (القاهرة)
٢٤	محمد صفوت السقا	المسلمون في الاتحاد السوفيتي	رابطة العالم الاسلامي (مكة)

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
٢٥	محمد أسد، شهاب	كفاح تركستان ضد الاستعمار الروسي	مؤسسة دار الصادق للنشر (بيروت)
٢٦	محمد فريد بك المحامي	تاريخ الدولة العلية العثمانية.	دار الجيل (بيروت)
٢٧	محمود شاكر	تركستان	دار الارشاد (بيروت)
٢٨	محمود شاكر	المسلمون تحت السيطرة الشيوعية	منشورات المكتب الاسلامي (بيروت)
٢٩	محمود شاكر ومجموعة من المؤلفين	الجغرافية الاقليمية للعالم الاسلامي	وزارة المعارف السعودية
٣٠	محب الدين الخطيب	تعريف بالإمام البخاري كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري	
٣١	النرشخي (محمد بن جعفر)	تاريخ بخارى	دار المعارف (مصر - القاهرة)
٣٢	ياقوت الحموي	معجم البلدان	دار بيروت للطباعة والنشر

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
٣٣	د. ياسين أحمد ابراهيم درادكه	تحقيق كتاب حلية العلماء للامام ابي بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال	مؤسسة الرسالة دار الارقم – عمان
٣٤	مذكرة المجلس الاسلامي الاوربي الى مؤتمر الأمن والتعاون الاوربي بمدريد في ١١/ ١١ / ١٩٨٠ (صورة من رابطة العالم الاسلامي) مكة المكرمة	المسلمون في الاتحاد السوفيتي:	
٣٥	آثار الاسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتي	صادر عن الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان – طشقند	
٣٦	د. عادل طه	المسلمون في العالم (أضواء على مشاكلهم وتوزيعهم)	دار البحوث العلمية (الكويت)
٣٧	د. سعد مصلوح	المسلمون بين المطرقة والسندان	دار البحوث العلمية (الكويت)
٣٨	مصطفى مؤمن	قسمات العالم الاسلامي المعاصر	دار الفتح (بيروت)

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الناشر
٣٩	لويس معلوف	المنجد في اللغة والأدب والعلوم (الطبعة التاسعة عشرة)	المطبعة الكاثوليكية (بيروت)
٤٠	تقي الدين الندوي المظاهري	الامام البخاري	دار القلم (الطبعة الثانية)
٤١	أحمد السعيد سليمان	تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة	دار المعارف بمصر

ثانيًا : المجلات

المجلات	العدد
١ – مجلة الشئون السوفيتية. اصدار معهد دراسة الشئون السوفيتية (ميونيخ) الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفيتي و«الاسلام في الاتحاد السوفيتي»	١٩٦٠/٤ و٢٧ و٢٨ سنة ١٩٧٠
٢ – مجلة الاسبوع العربي (ترجمة المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي للمؤلفين بنجينسن ولومرسييه)	١١٦٥ الى ١١٩٤
٣ – جريدة المدينة من هو ابن فضلان عبد القدوس الانصاري	٥٤٨١
جريدة المدينة المسلمون في الجمهوريات السوفيتية	٥٢٩٧
جريدة المدينة المسلمون السوفيت	٥٤١٦
جريدة المدينة نظرة على المسلمين في الاتحاد السوفيتي	٥٢٤٧
جريدة المدينة الاسلام الرسمي وغير الرسمي في الاتحاد السوفيتي	٥٣٤٨
٤ – مجلة الأمة المسلمون في الاتحاد السوفيتي أحمد عناني	صفر سنة ١٤٠٢هـ(فبراير ١٩٨٢)
مجلة الأمة الامام شامل بقلم عبد الكريم مشهداني	شعبان سنة ١٤٠١هـ

المجلات	العدد
٥ – مجلة العربي نزهة الأفئدة والنفوس في معرفة احوال الروس. بقلم حسين أحمد أمين.	٢٧٧ ديسمبر عام ١٩٨١م.
٦ – المجلة العربية فتوح ارمينية بقلم اللواء محمود شيث خطاب.	
٧ – مجلة رابطة العالم الاسلامي: التركستان فتحي الجندي	شوال سنة ١٤٠١هـ.

ثالثاً: المراجع الأجنبيَّة

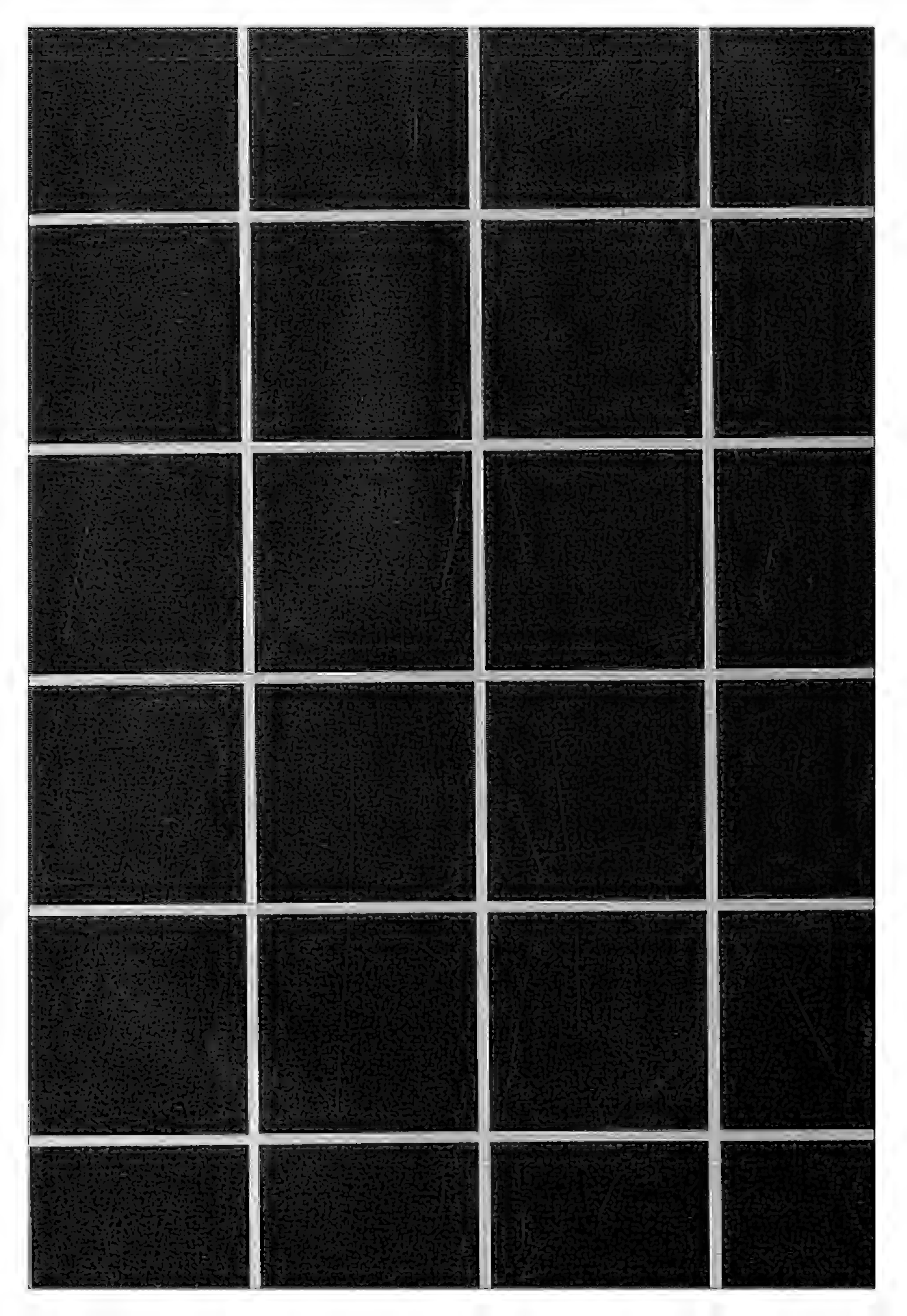
1– Arabia the Islamic World Review, Feb. 1982– «The Russia File»., December 1982 (p 14 – 15)

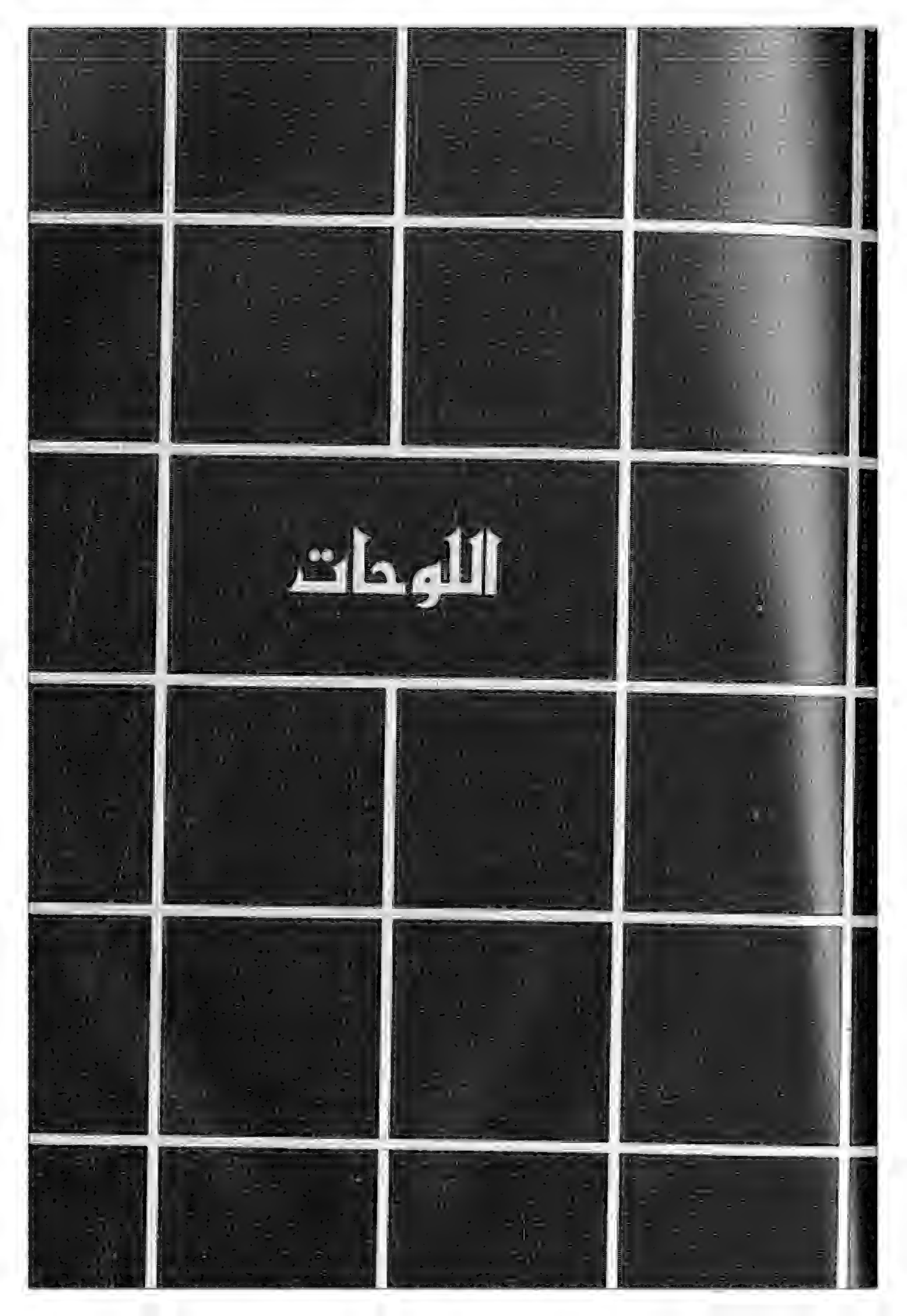
2– Ivar Spector The Souviet Union and the Moslem World (1917–1958), Published by University Washington Press, Seattle.

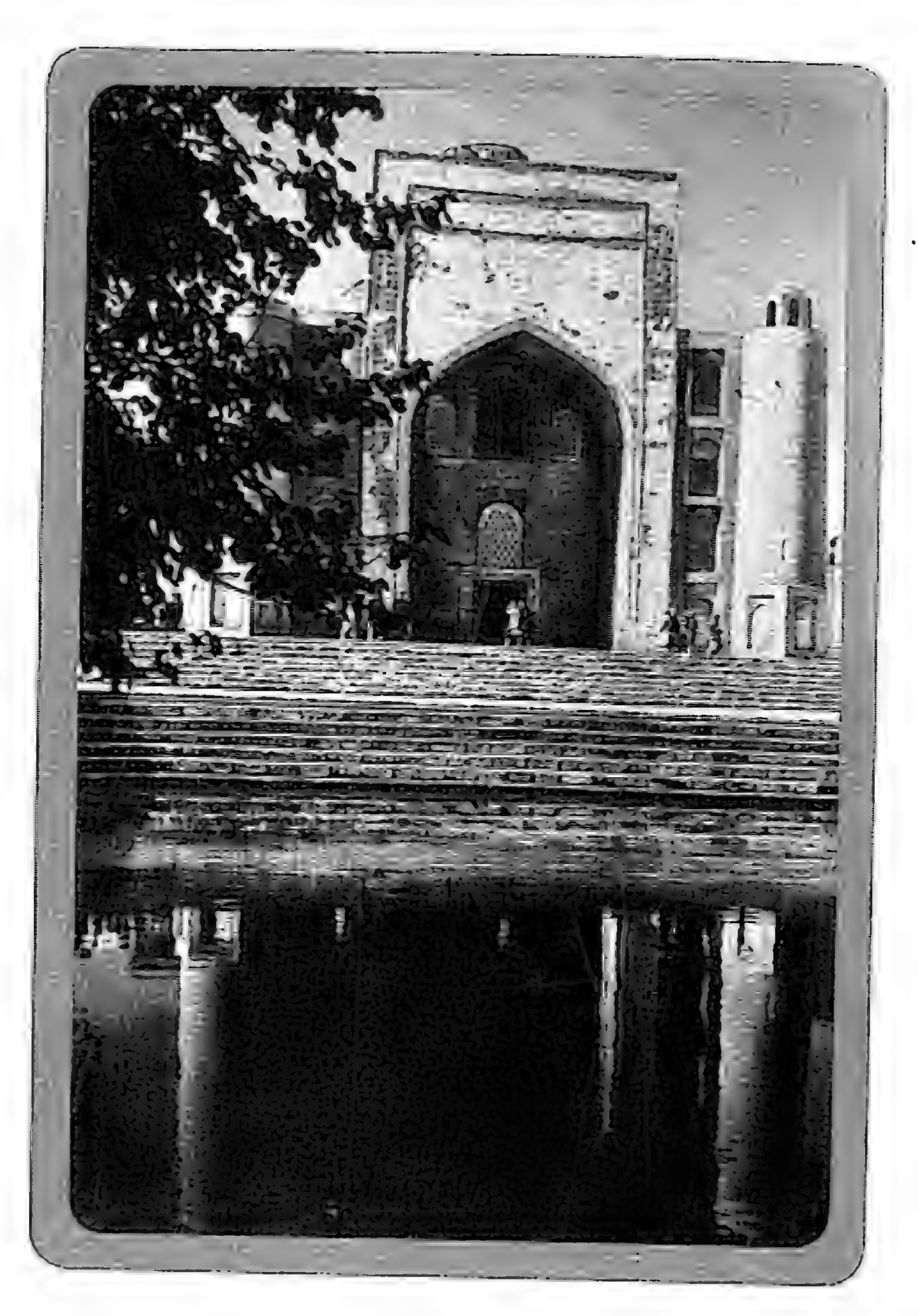
From 337 to 340.

3 – Barry Hoberman the Battle of talas.

Aramco world Magazine Vol 33, No 4. July Aug 1982.




اللوحات



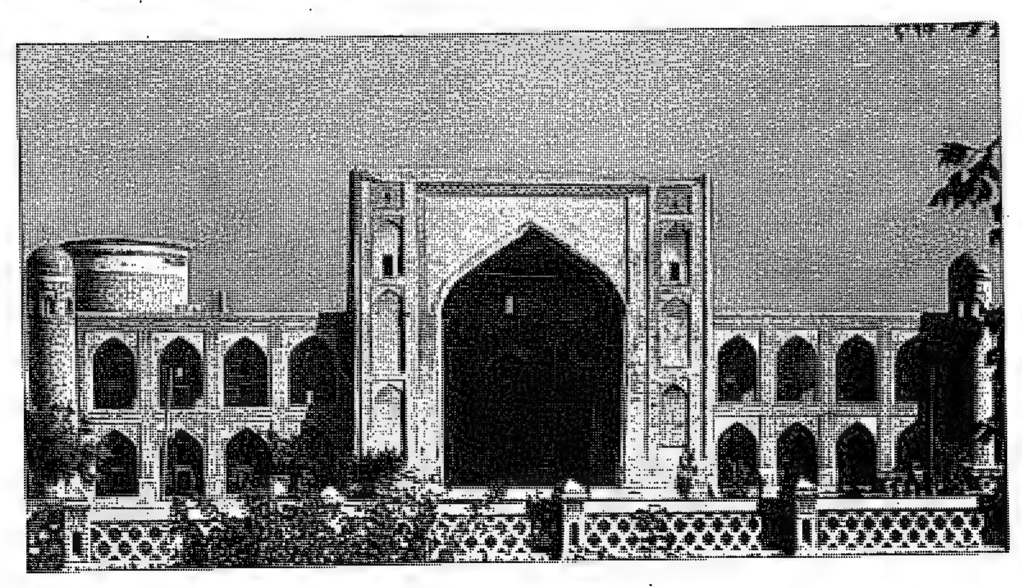
بخارى: مسجد ومدرسة ديوان بيكي الشهير والذي كان ينافس الأزهر والقيروان لقد بنيت هذه الجامعة الاسلامية سنة ١٠٣٠ هـ (١٦٢٠م) وقام الروس البلاشفة بتحويلها الى متحف وذلك منذ دخولهم بخارى سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).

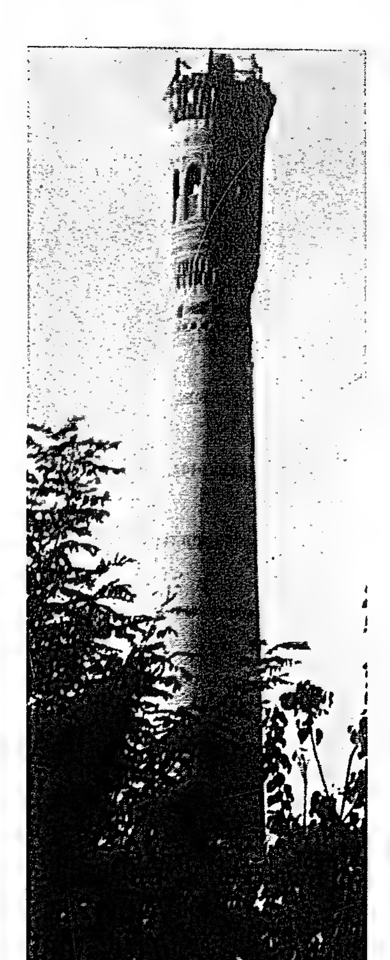


خوارزم وخيوه: منارة جامع خواجة إسلام في خيوه في خوارزم (خانية خيوه) قبل أن تهاجمها قوات لينين وتحتلها سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م). وهذا المسجد من آخر ما بني في تلك المناطق حيث تم بناؤه سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) أي قبل دخول البلاشفة الروس اليها بأربعة عشر عاماً فقط. ومن هذه المنارة تتضح المحافظة على الطراز القديم في البناء وان لم تبلغ روعته ودقته..

ومنذ أن دخل البلاشفة لم يبن أي مسجد جديد بل على العكس من ذلك حطم الروس البلاشفة في التركستان وحدها اكثر من ستة آلاف مسجد وأكثر من سبعة آلاف مدرسة اسلامية.

سمرقند: مدرسة طلاكاري من الواجهة الامامية. لقد انشئت هذه المدرسة في القرن السابع عشر الميلادي أي ما يعتبر عصر انحطاط نسبي فكيف ترى كان الحال ايام الازدهار والرقي.. أما الآن فقد تحولت هذه المدرسة مثلما تحول الآلاف غيرها الى متاحف ونوادي وصالات للشيوعيين يلعبون فيها ويمرحون..

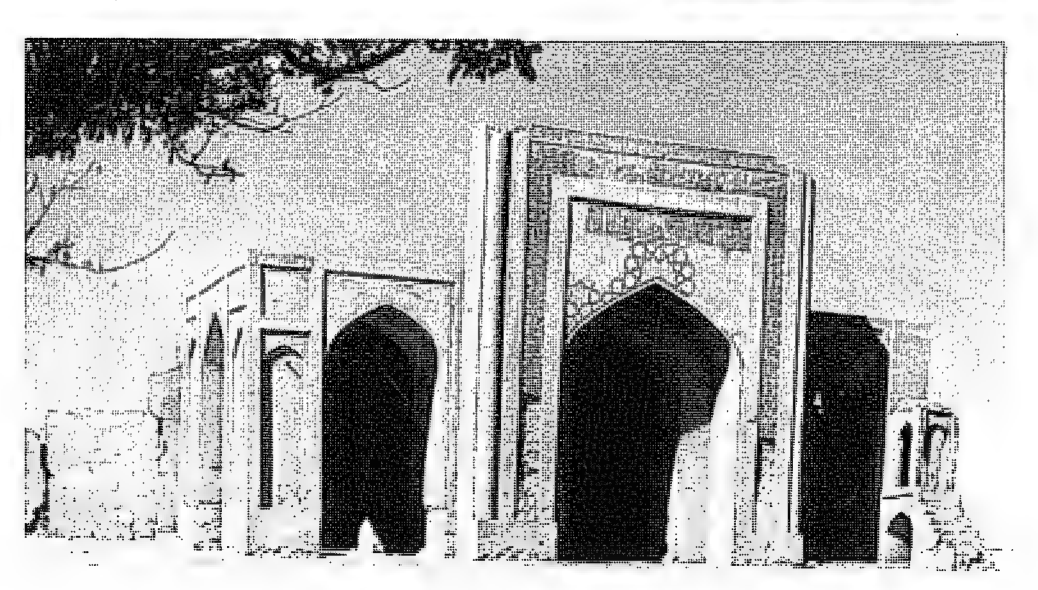




منارة مسجد بيكند في جمهورية اوزبكستان بني هذا المسجد سنة ٥٩٣ - ٥٩٤هـ (١١٩٦ - ١١٩٧م).

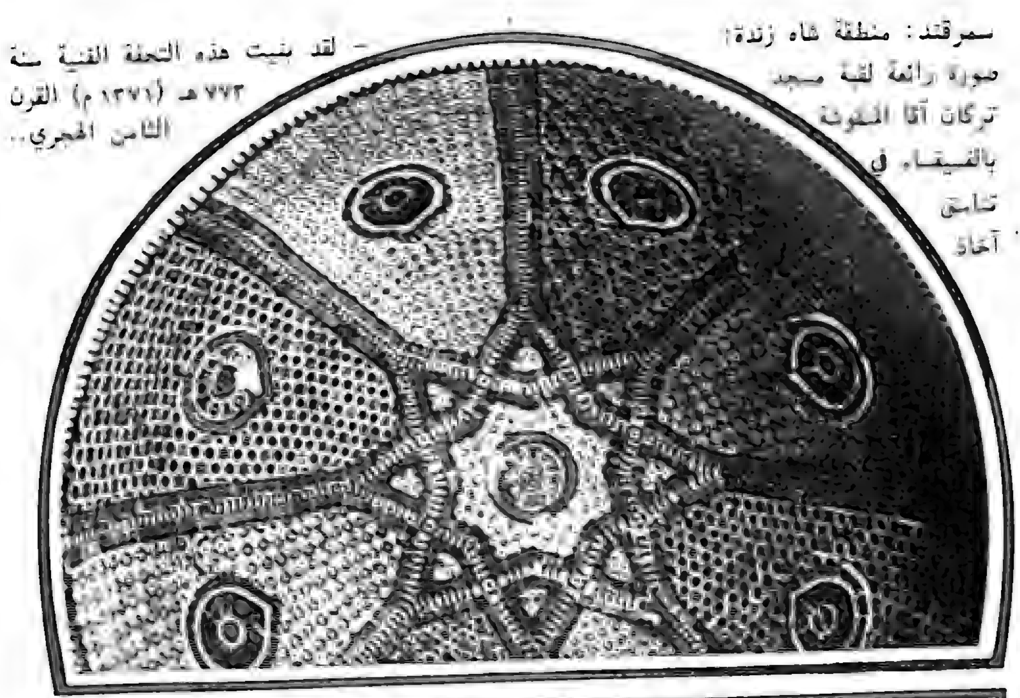
تظهر روعة الفن المعماري في هذه المنارة التي تنافس اجمل المنائر في العالم الاسلامي جمالا وهندسة ونقوشا وزخرفة. وللأسف لم يعد يسمع الآذان من هذه المنارة منذ أن دخلتها قوات لينين..

بخارى: لقد قام الروس عند دخولهم بخارى بتحطيم هذا المسجد الأثري الهام الذي شيد في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) والمعروف باسم غازكاه.



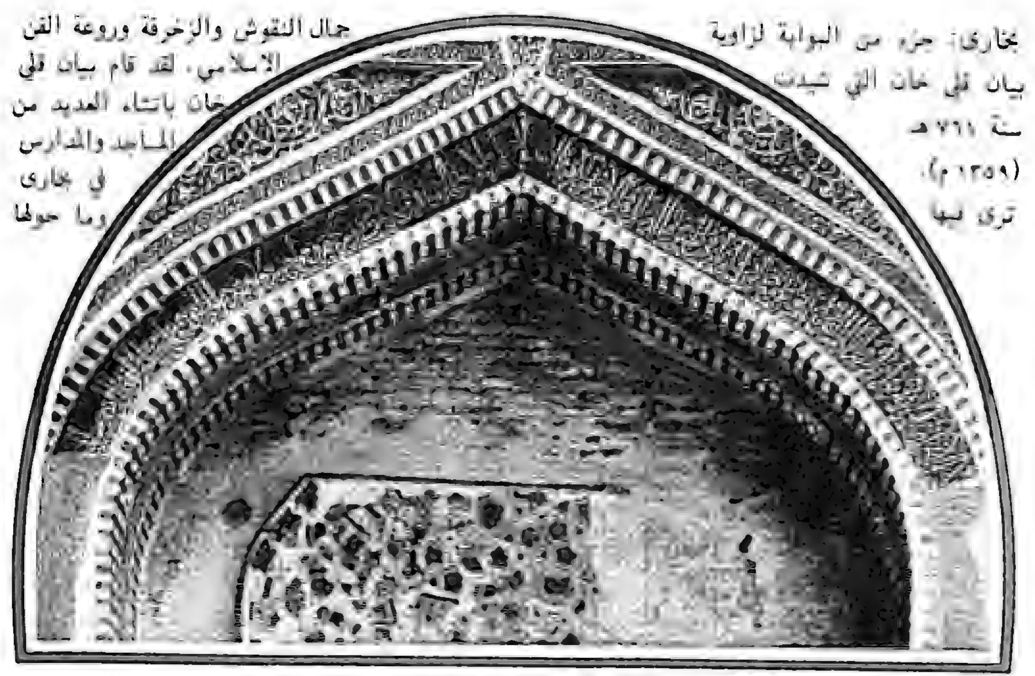
سمرقند: منطقة شاه زندة: صورة رائعة لقبة مسجد تركان آقا الملونة بالفسيفساء في تناسق أخاذ

– لقد بنيت هذه التحفة الفنية سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧١ م) القرن الثامن الهجري..

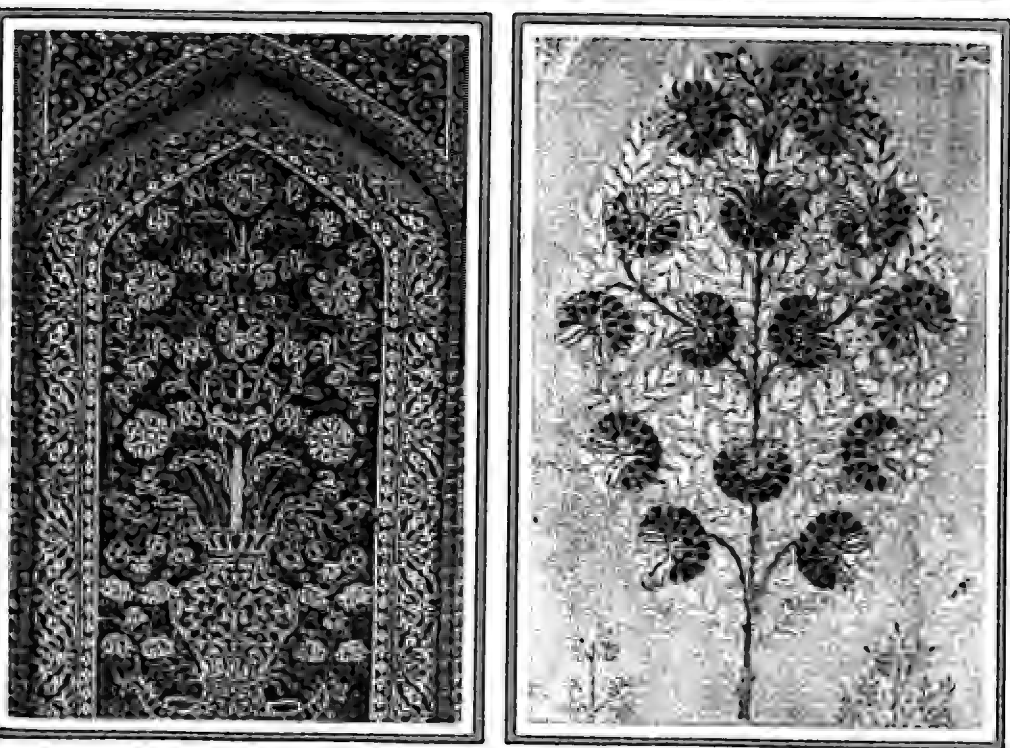




سمرقند: مسجد صيفي في سمرقند أقامه الخواجة عبدي في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) تبدو فيه رشاقة البناء وروعته وتناسق الأعمدة الرخامية مع نقوش المحراب الدقيقة.

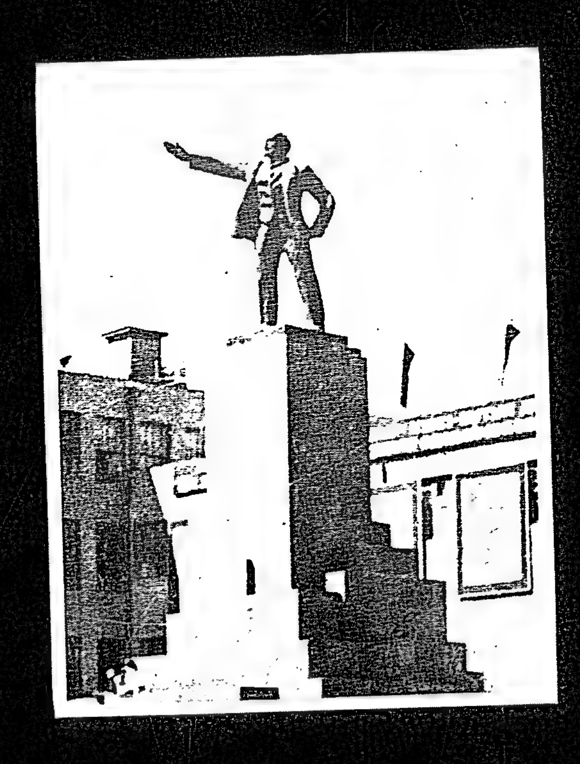


بخارى: جزء من البوابة لزاوية بيان قلي خان التي شيدت سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩م). ترى فيها جمال النقوش والزخرفة وروعة الفن الإسلامي. لقد قام بيان قلي خان بإنشاء العديد من المساجد والمدارس في بخارى وما حولها

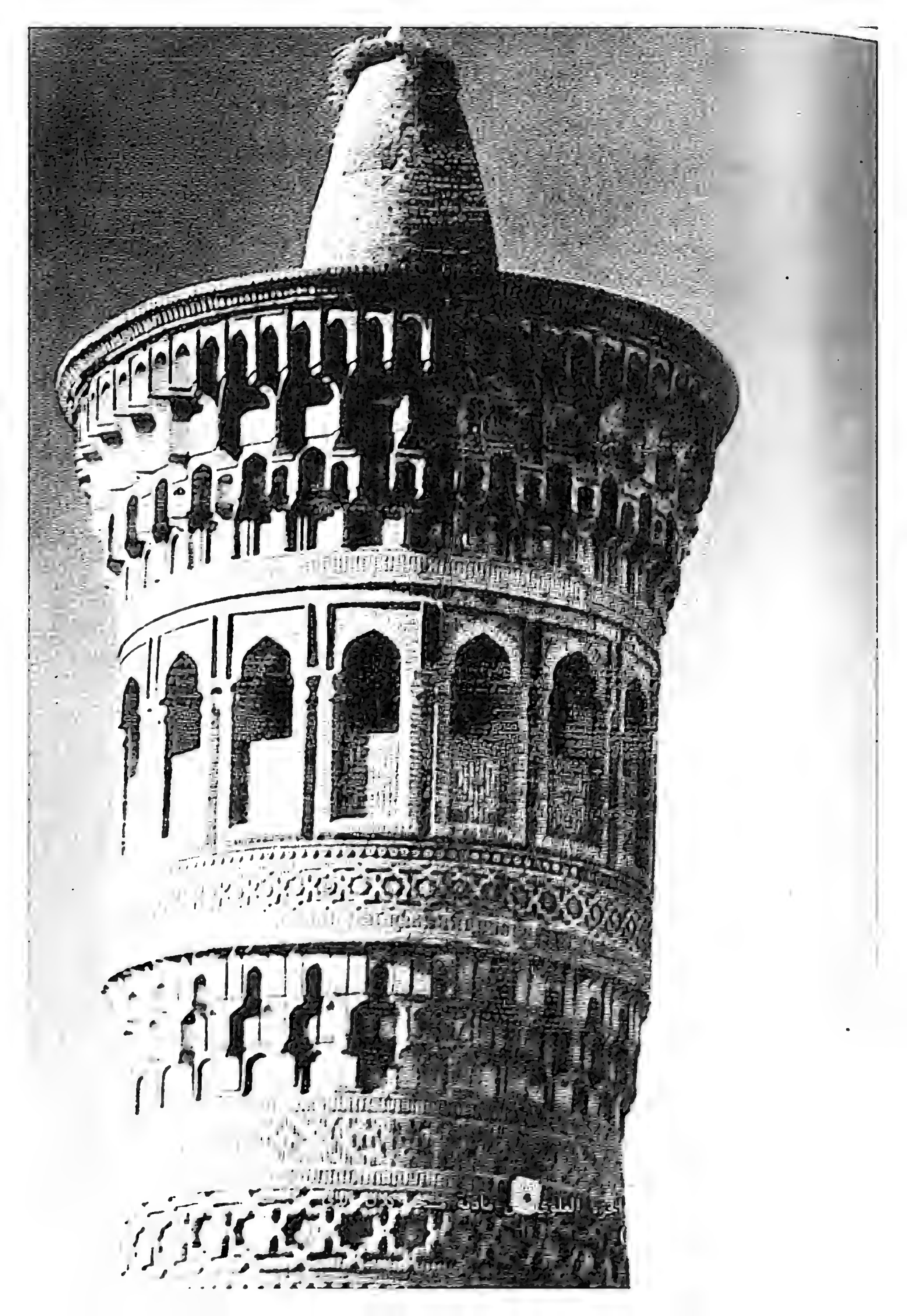


بخارى: زخرفة احدى الحجرات وقاعات الدرس في مدرسة عبدالعزيز خان..

بخارى: مدرسة عبد العزيز خان ١٠٦٣هـ (١٦٥٢م) تكسيه الواجهة.

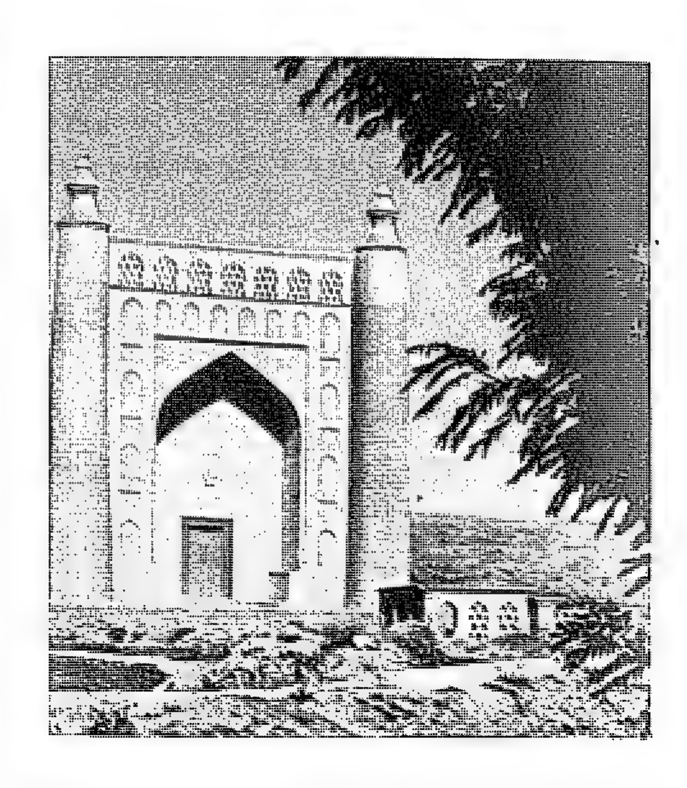


طشقند: ها هي طشقند اليوم يرتفع في اكبر ميادينها تمثال لينين.. ويا لها من مأساة مهولة تهدد كثيراً من أوطان الإسلام حيث تهدم المساجد والمدارس الإسلامية وتحول الى متاحف وصالات ويمنع تدريس الدين ويفرض الالحاد فرضاً.. ويجبر المسلمون على الانحناء لهذا الصنم اذا مروا امامه.. أي ذل وهوان أصاب المسلمين حتى يفرض عليهم أن ينحنوا لهذا الصنم الذي أصبح يعبد من دون الله..

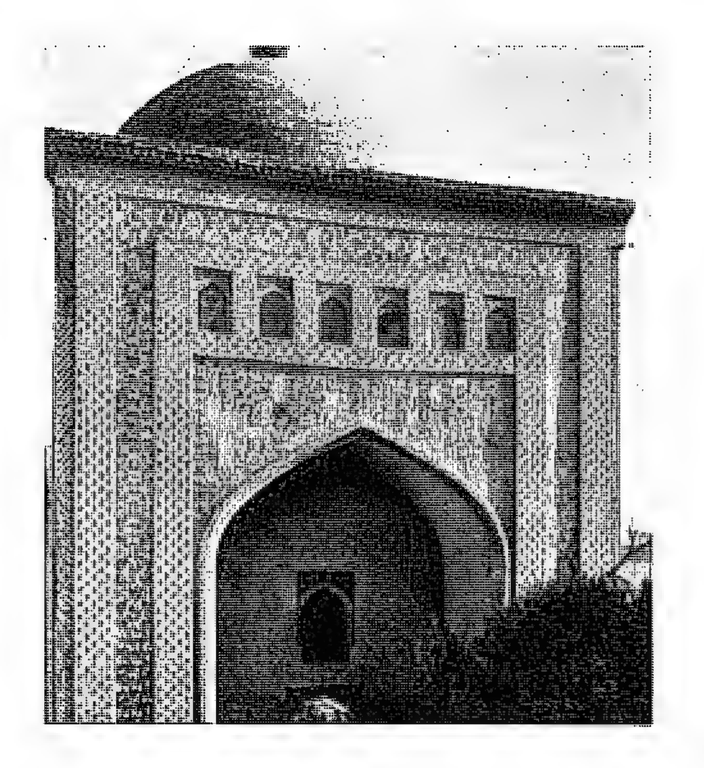




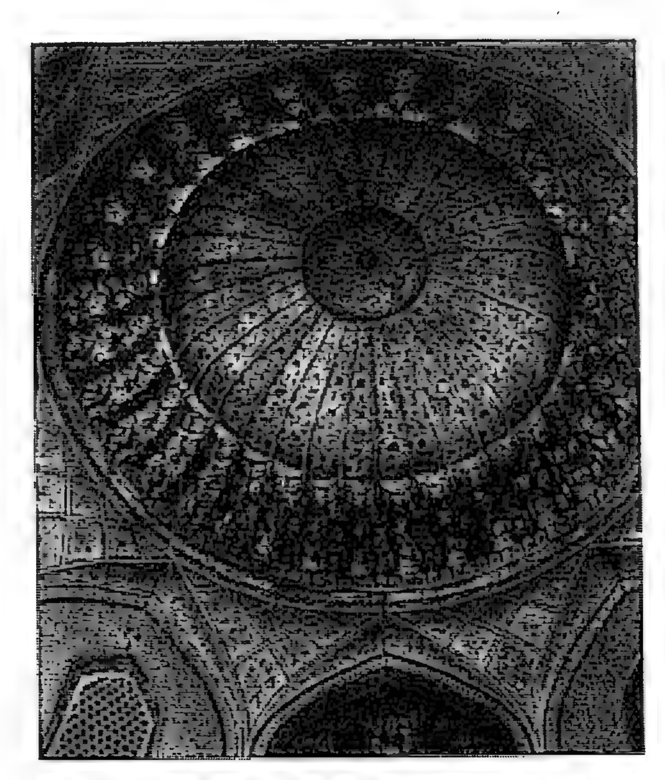
سمرقند: ها هنا يرقد تيمورلنك الذي اخضع موسكو وبولندا للحكم الاسلامي.. والذي حكم أعظم وأضخم امبراطورية في عهده.. ورغم ما اشتهر به تيمورلنك من شدة البطش باعدائه الا أنه كان حفيا بالعلوم والصناعات كثير القراءة للقرآن الكريم ولا يصلي الا في جماعة.. وقد اشتهرت امبراطورية المغول (وهم ليسوا من المغول) في الهند من ابنائه وأحفاده الذين ظهر منهم اورنك زيب الملك الصالح. والملك أكبر. لقد كانت سمرقند في عهد تيمورلنك عاصمة الدنيا وبهجتها وبلغت أرفع مكانة. (القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي).



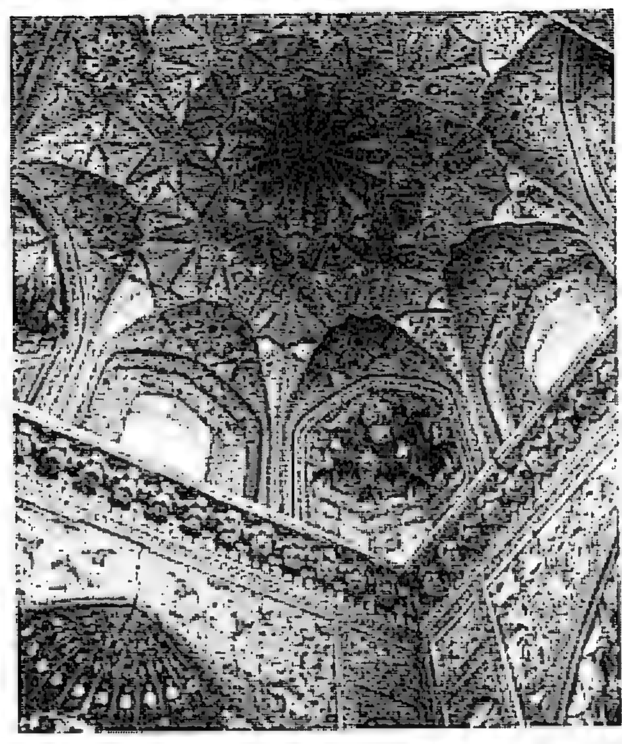
مدينة نمنكان (التركستان): زاوية مولوي صاحب الطريقة المولويــة المشهورة ترى أمــام الزاوية قناة فرهاد..



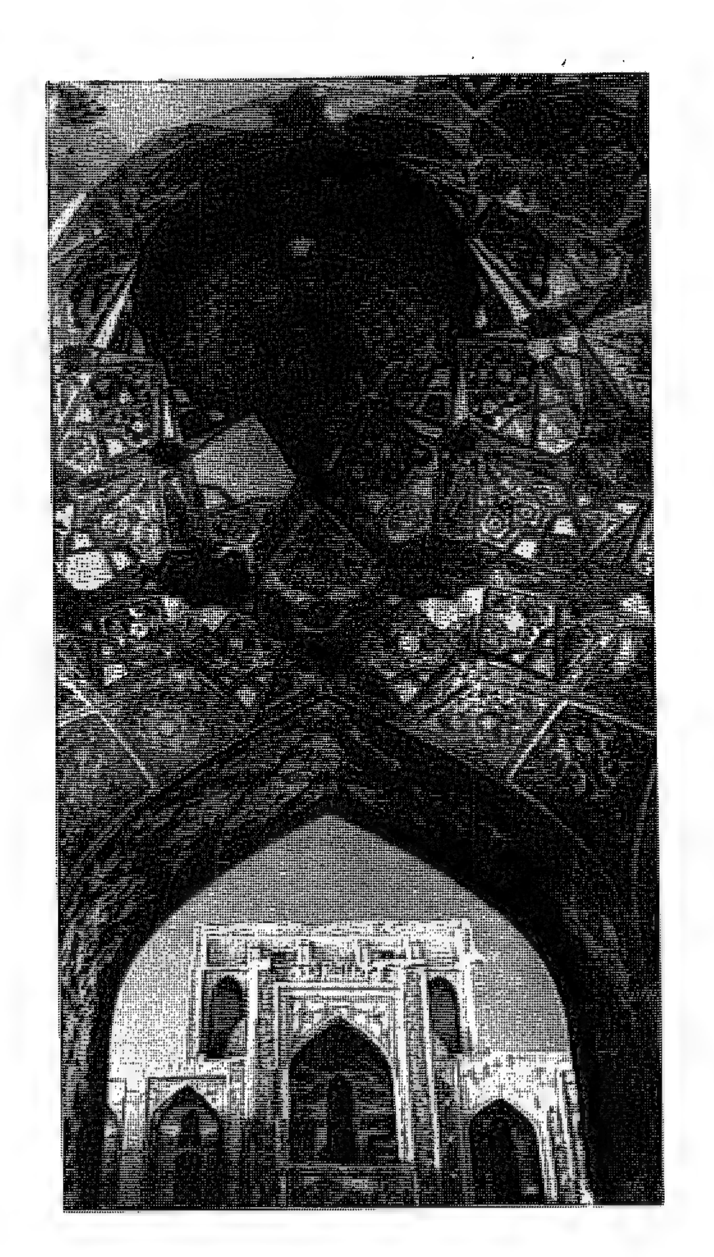
خيوه: لقد ورثت خانية خيوه بعض امجاد خوارزم وهــا هي مــدرسة بهلوان محمود التي أقيمت في بداية القرن الثــالــث عشر الهجري (التــاسع عشر الميــلادي) تقوم شاهــداً عــلى ذلــك ١٢٢٥ - ١٢٥٠ هـ (١٨١٠ - ١٨٣٤ م). واستمرت هــذه المــدرسة الإسلاميــة تؤدي دورها العظيم حتى أغلقتها الــلطات الروسية الشيوعية بعد أن دخلتها عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م).



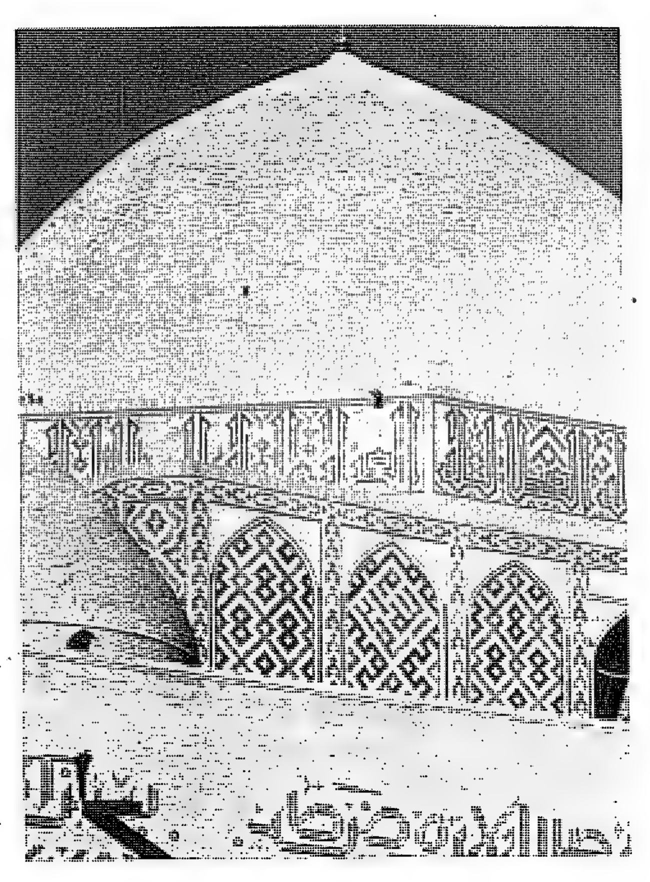
بخارى: صورة من الداخل لقبة مسجد خواجة زين الدين شيد هذا المسجد في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). وتبدو في الصورة روعة النقوش ودقة الزخرفة وتناسق الالوان وتناسق شكل القبة مع الأقواس بدرجة تبهر الناظرين..



بخارى: قبة المسجد الشتوي لمدرسة عبد العزيز خان ١٠٦٣ هـ (١٦٥٢ م).



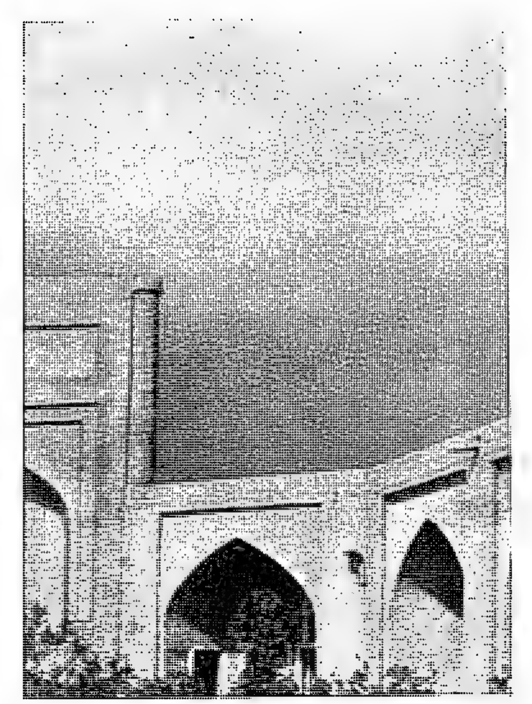
بخارى: زخرفة قبة المسجد الصيفي لمدرسة عبد العزيز خان وتظهر الصورة ايضا واجهة المدرسة من خلال بوابة المسجد لقد آثر السلطان عبدالعزيزبن نظر خان الاشتراخاني حياة العزلة وذهب الى المدينة المنورة حيث مات ودفن في بقيعها.



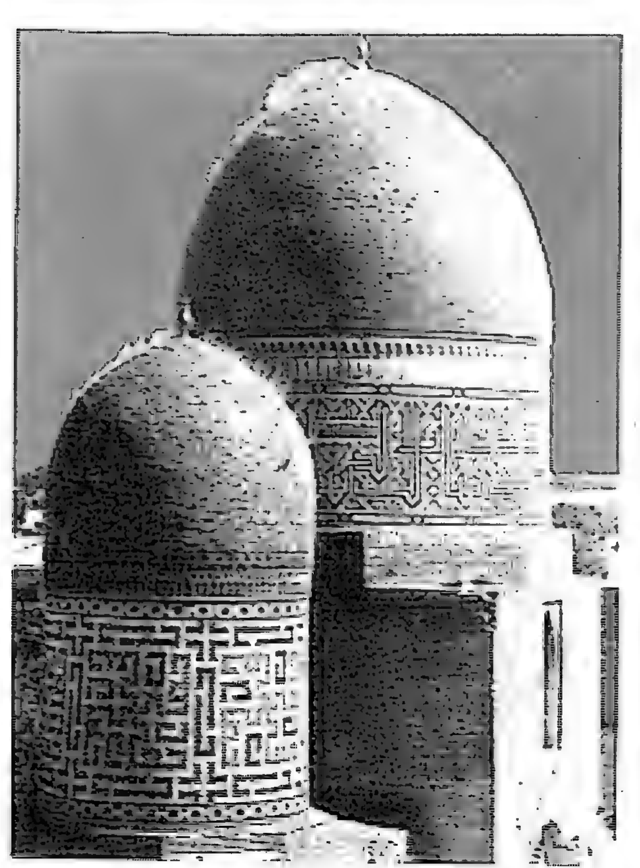
مدينة يسي أو التركستان

مسجد الامام الداعية الى الله أحمد اليسوي المتوفي سنة ٥٦٢هـ (١١٦٦م). الذي اسلم على يديه الآلاف من المغول والذي امتد تأثير تلاميذه الى ملايين المغول في جميع أرجاء آسيا الوسطى وتتاريا هذا المسجد لا يزال باقيا منذ ذلك العهد رغم الحوادث المدمرة المريعة التي أصابت الكثير الكثير من الآثار الاسلامية..

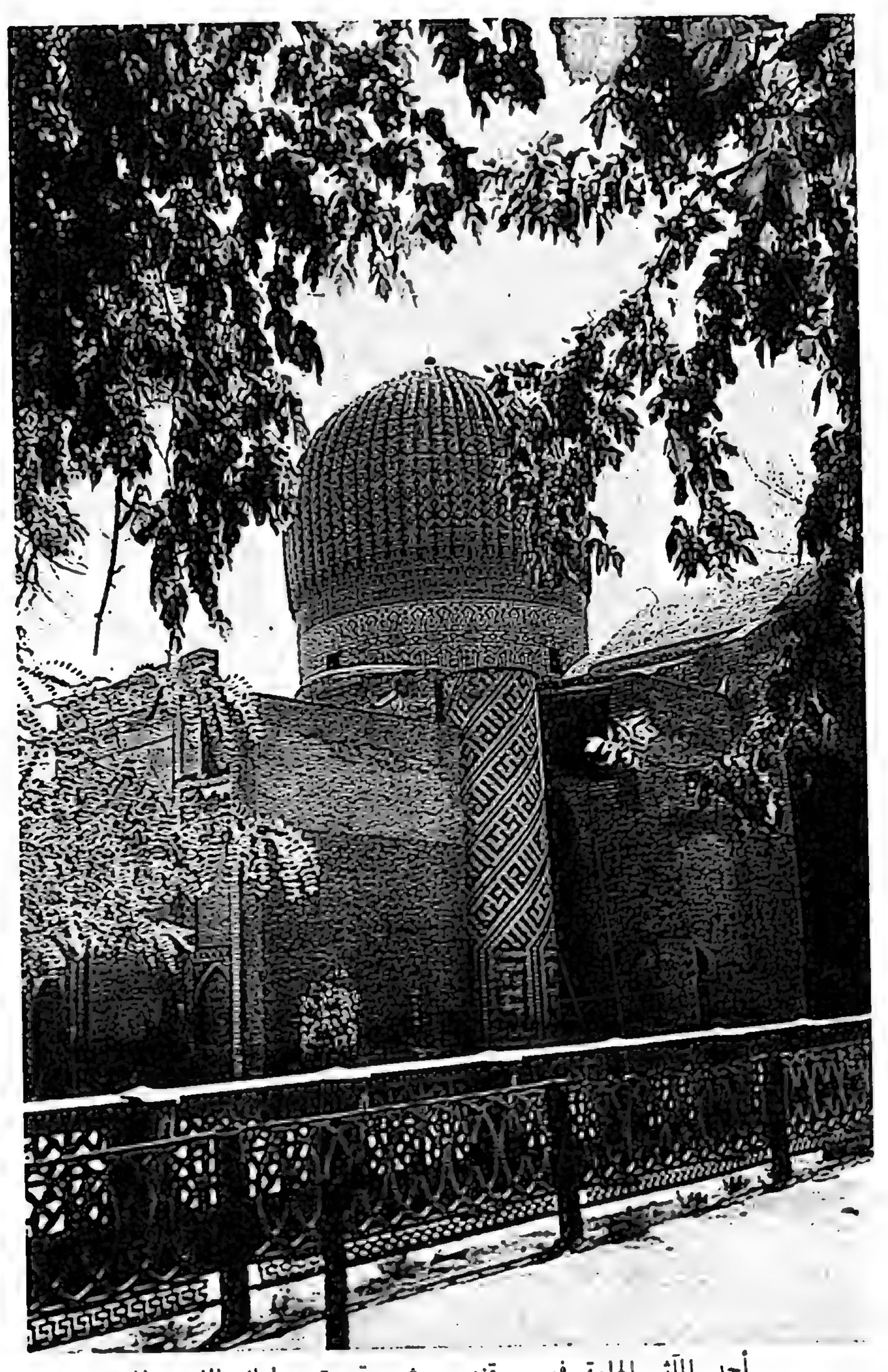
يقع هذا المسجد في مدينة تركستان (يسي) وهي تقع في منطقة تشيمقند في كازاخستان.



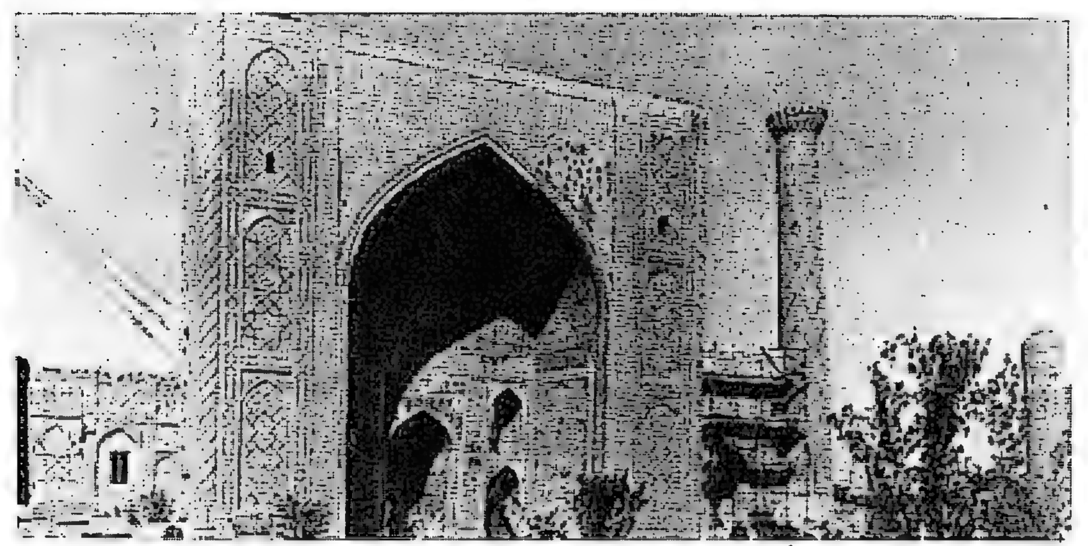
طشقند: هذه صورة لواجهة مدرسة براق خان في طشقند التي شيدت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) فيما يعتبر بداية عصور الانحطاط فكيف يا ترى كانت عصور النهضة والرقي. أن طشقند (الشاش) التي أخرجت مئات العلماء أصبحت الآن مدينة نصف سكانها من الروس والاوكرانيين المتعمرين وطشقند هي عاصمة جمهورية اوزبكستان..



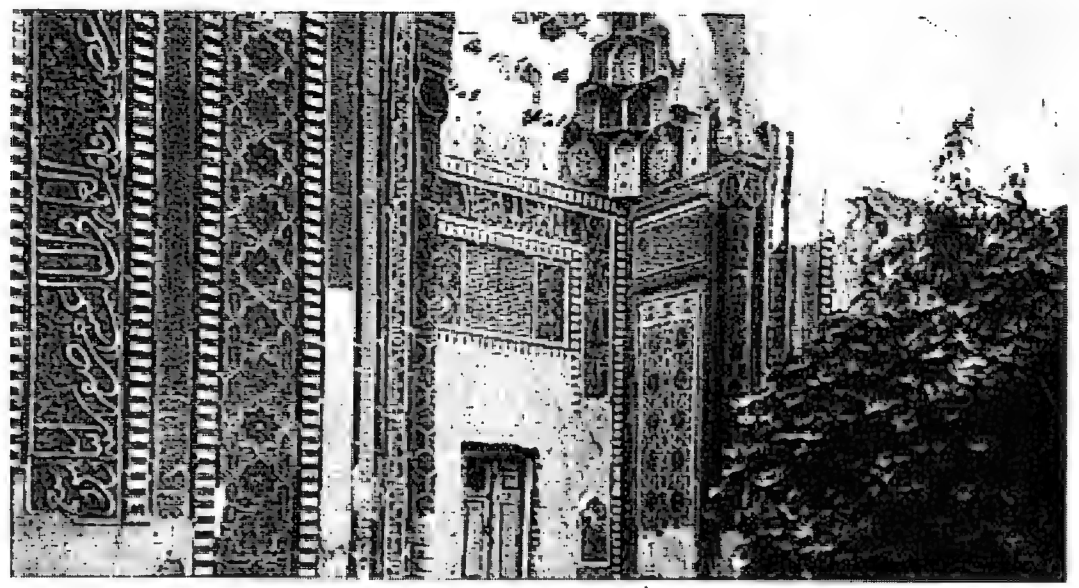
سمرقند: منطقة شاه زندة الغنية بالآثار الاسلامية ومئات المساجد والمدارس ومدافن الامراء والعلماء ويكفيها ان فيها استشهد قثم بن العباس رضي الله عنه اثناء فتحها سنة ٥٦ هـ (٦٧٥ م). ها هنا يرقد العلامة الشهير قاضي زاده الرومي. الذي نبغ في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي).



أحد المآثر الهامة في سمرقند حيث يرقد تيمورلنك الذي ملك الدنيا، في عاصمته سمرقند.



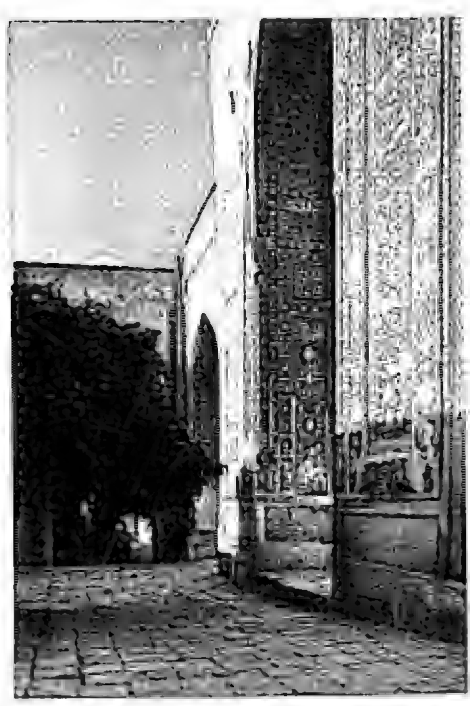
سمرقند: مدرسة أولوغ بك ٨٢٣هـ (١٤٢٠م) منظر من الواجهة الامامية. لقد اشتهر اولوغ بك التيموري بحبه للعلم والعلماء وتشييده للكثير من المدارس العلمية وانشائه لمرصد سمرقند.. الذي اجتمع فيه كثير من علماء الفلك في ذلك العصر وحددوا فيه خطوط الطول والعرض للكرة الأرضية كما وضعوا كثيرا من الخرائط الدقيقة للعالم القديم.. ولكثير من النجوم والكرات السماوية. لقد كان هذا الأمير التيموري محبا للعلماء مشاركا لهم في أبحاثهم ودروسهم حتى لقد اشتهر بأنه قضى معظم حياته معهم..



سمرقند: منطقة شاه زندة التي قبر فيها قثم بن العباس رضي الله عنه والتي أصبحت مجموعة فنية أثرية من المساجد والمدارس والخانقاة والأخرجة..

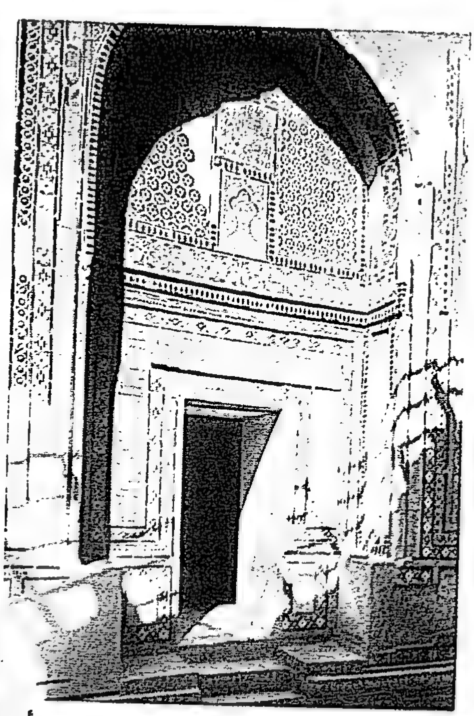
أين مجد هذه المنارة الرائعة في جرقورغان في جمهورية اوزبكستان السوفيتية لقد قام الروس بتحطيم المسجد الرائع الذي لم يبق منه الا هذه المنارة تشكو الى الله ما حاق بأهل التركستان من طغيان الروس البلاشفة.

لقد بنيت هذه المنارة ومجدها سنة ٥٠٢ - ٥٠٣هـ (١١٠٨ - ١١٠٩م)..



سمرقند: منطقة شاه زندة.. مخرج من باحة علوية الى درب علوي أي روعة في بناء هذه الباحات والدروب..

بخارى: لقد حول الشيوعيون عند هجومهم على بخارى سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) مسجد كلان ومدرسته الى متحف وبقيت منارة هذا المسجد شاهدة على مقدار ما بلغه أهل بخارى من حضارة لقد بني هذا المسجد سنة ٥٢٢هـ (١١٢٧م) ولا تزال منارته تطل على بخارى حتى بعد ان توقف منها الأذان...

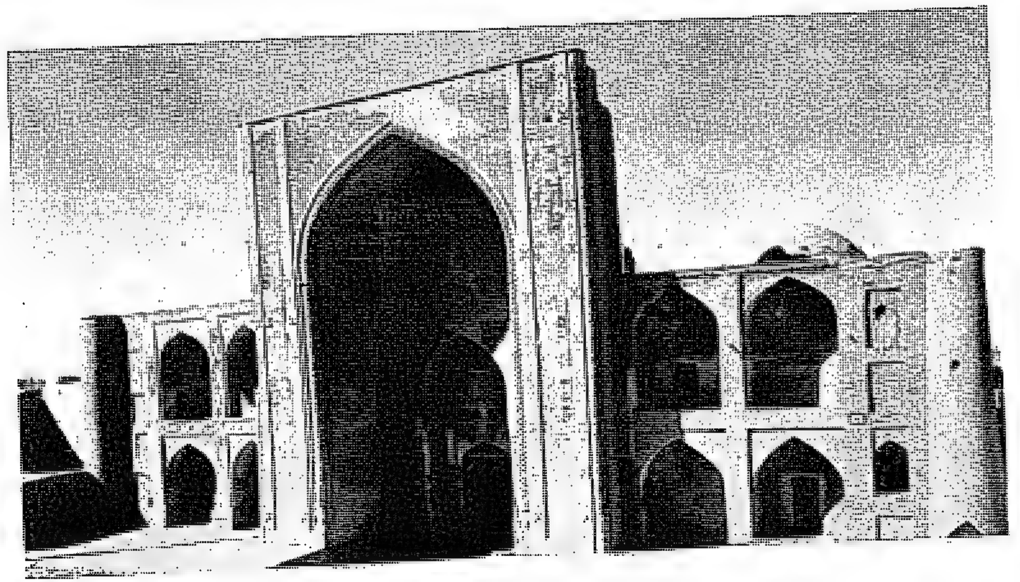


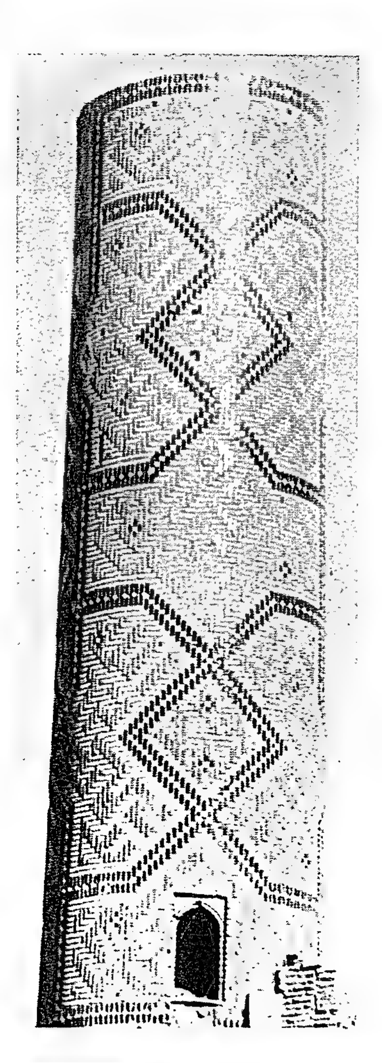
سمرقند: منطقة شاه زندة. مسجد أمير زادة الذي بناه سنة ٧٨٨هـ (الثامن الهجري) (١٣٨٦م) توضح الصورة جزءاً من البوابة الرئيسية المنقوشة بالفسيفساء..

سمرقند: مسجد بي بي خانم ٨٠٢ - ٨٠٧هـ (١٣٩٩ - ١٤٠٤م) المئذنة (المنارة) الشمالية لمسجد بي بي خانم توضح دقة النقوش وروعتها وتناسقها وتناغم ألوانها.

هكذا كان الأمراء والأميرات يتسابقون الى فعل الخيرات واقامة المساجد والمدارس التي تبقى لهم على مدى الايام..

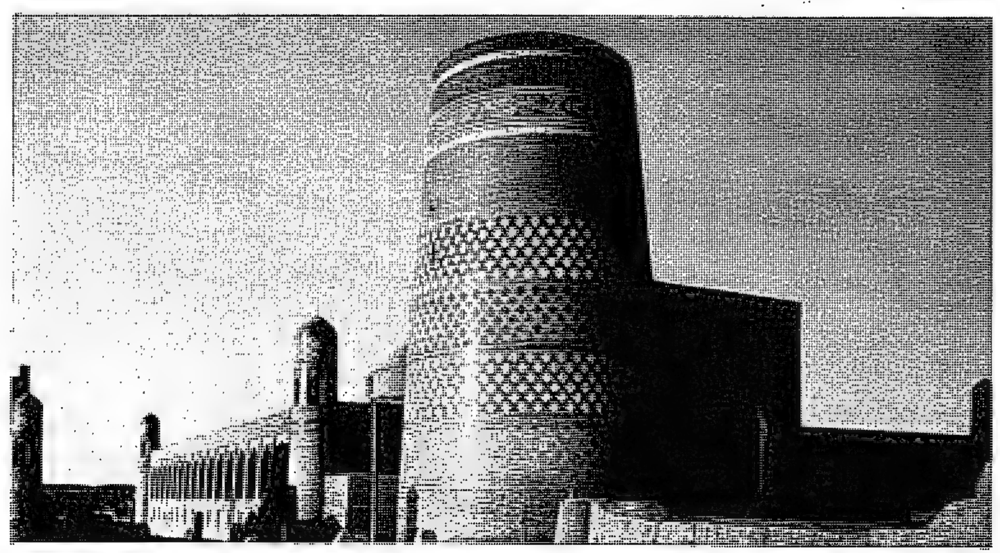
بخارى: مدرسة اولوغ بك منظر البوابة والواجهة الأمامية لقد كان اولوغ بك التيموري (من نسل تيمورلنك) أحد الحكام المحبين للعلوم والمؤسسين للكثير من المدارس.. وهو الذي أسس مرصد سمرقند الشهير وقضى هذا الأمير غالب حياته مجتمعا بالعلماء ومشاركاً لهم في دروسهم وعلومهم.. وقد حكم هذا الأمير مناطق التركستان في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي).



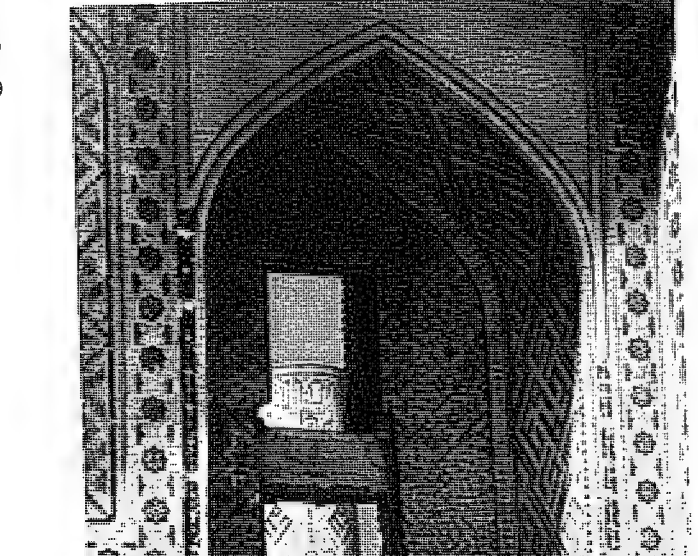


سمرقند: منارة مسجد بي بي خانم وهي تختلف في هندستها وزخرفتها عن المنارة الشمالية في الصورة السابقة لقد تهدم هذا المسجد الرائع ولم تبق منه الا المآذن التي لا يرتفع منها صوت الأذان من بعد ان احتلتها القوات البلشفية.

خيوه: مدرسة أمين خان التي شيدها سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٢ م). لقد قام البلاشفة بأغلاقها كما أغلقوا او حولوا أكثر من سبعة الآف مدرسة اسلامية في التركستان.

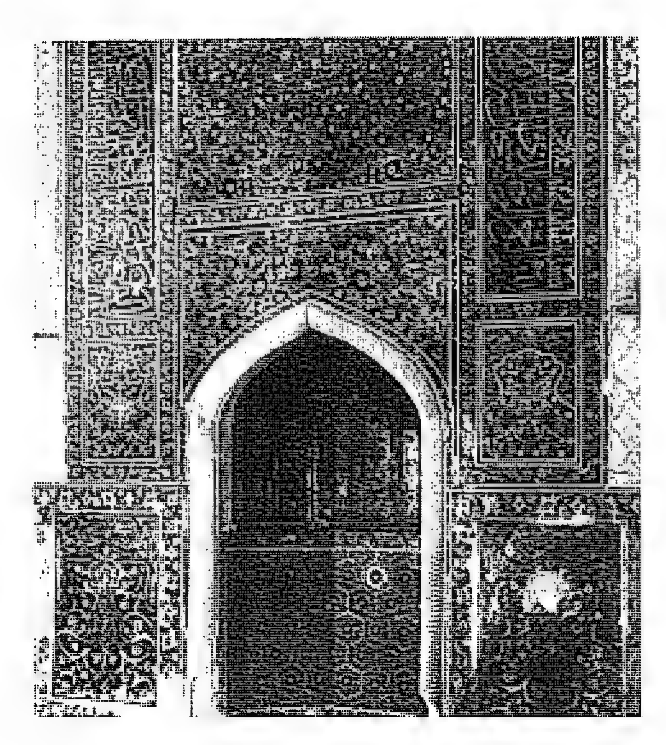


سمرقند: مدرسة اولوغ بـ
صورة للمنارة الشمالية للمـ
والمدرسة..

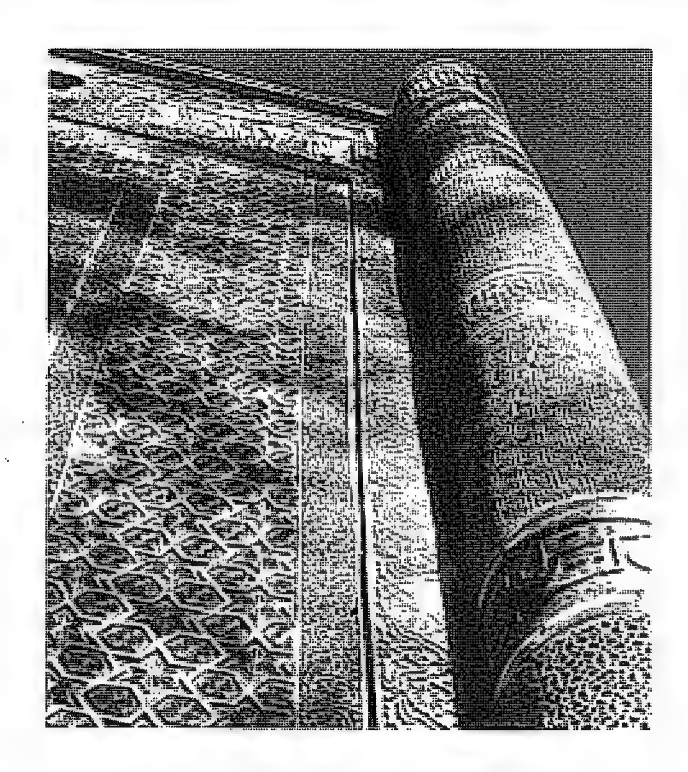




سمرقند: صورة أخرى لجزء من بوابة هذه المدرسة العظيمة والتحفة الفنية النادرة التي أنشائها أولوغ بك سنة ٨٢٣هـ (١٤٢٠م). وقد اقام مثلها في بخارى وهكذا كان الأغنياء والامراء يتنافون ويارعون الى اقامة المدارس والمساجد ويقفون لها الأموال العظيمة ابتغاء وجه الله.. لقد حول الروس البلاشفة هذه المدارس والمساجد جميعا الى متاحف وصالات وأماكن لتعلم الالحاد والشيوعية..



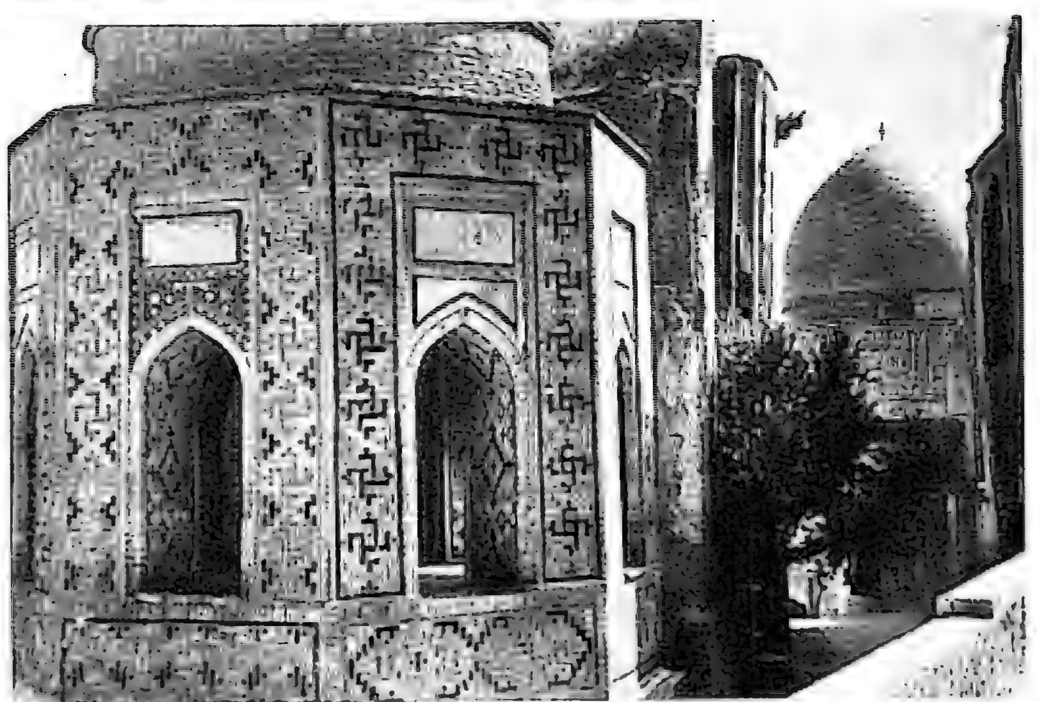
بخاري: محراب مسجد بلند في بخارى من القرن السادس عشر الميلادي ترى فيه دقة النقوش وروعتها. لقد حول الروس البلاشفة هذا المسجد الى متحف مثلما فعلوا بأكثر من ستة آلاف مسجد في التركستان (٦٦٨٢ مسجد).



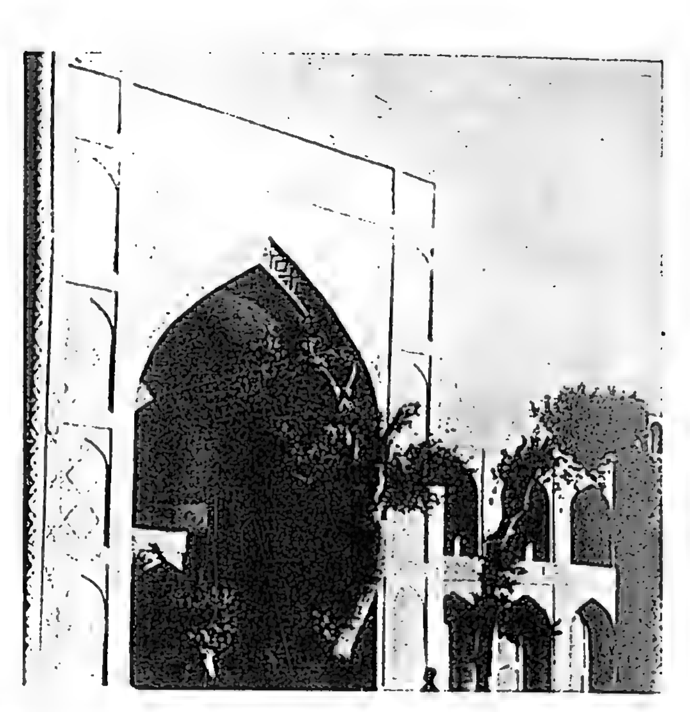
مدينة نمنكان (التركستان): زاوية خواجة أمين. جزء من النقوش على البوابة القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي).



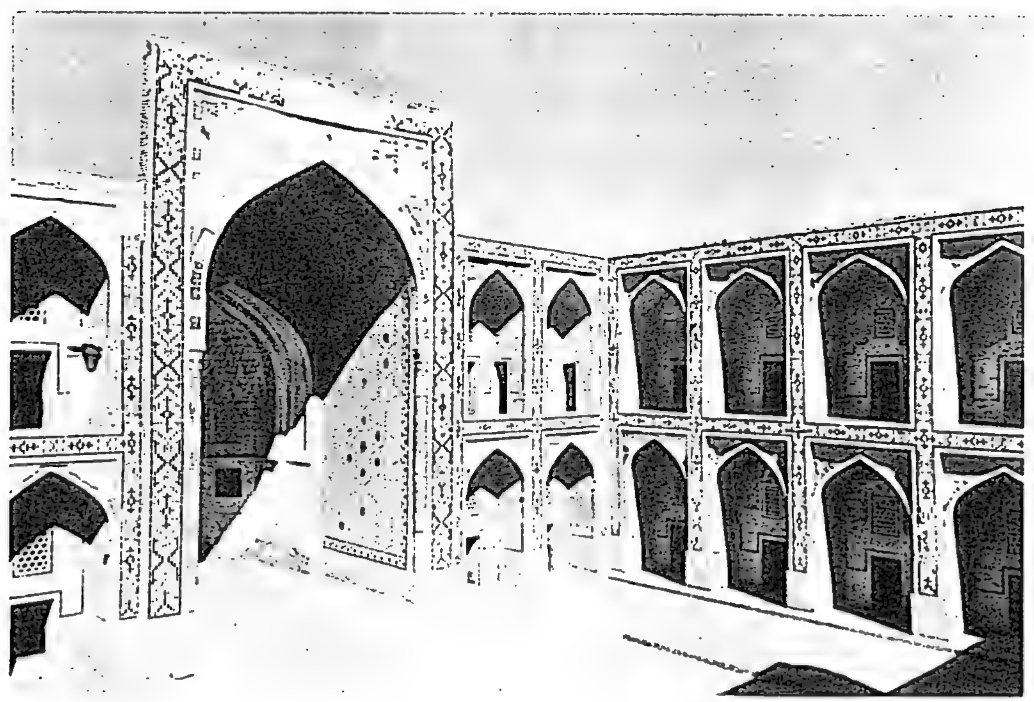
سمرقند: منطقة شاه زندة ضريح قثم بن العباس رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ الذي استشهد في فتح سمرقند سنة ٥٦ هـ (٦٧٥م) وقد اشتهرت المنطقة التي قتل وقبر بها باسم مزار شاه زندة أي مزار السلطان الحي ذلك لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وكان قثم احد ثلاثة أو أربعة أشبهوا رسول الله ﷺ وهم الحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر الطيار بن أبي طالب وابنه عبد الله وقثم ابن العباس..



سمرقند: منطقة شاه زندة (أي السلطان الحي) حيث يوجد فيها ضريح قثم بن العباس رضي الله عنه الذي استشهد في فتحها سنة ٥٦ هـ (٦٧٥م).. وأصبحت هذه المنطقة خارج سمرقند.



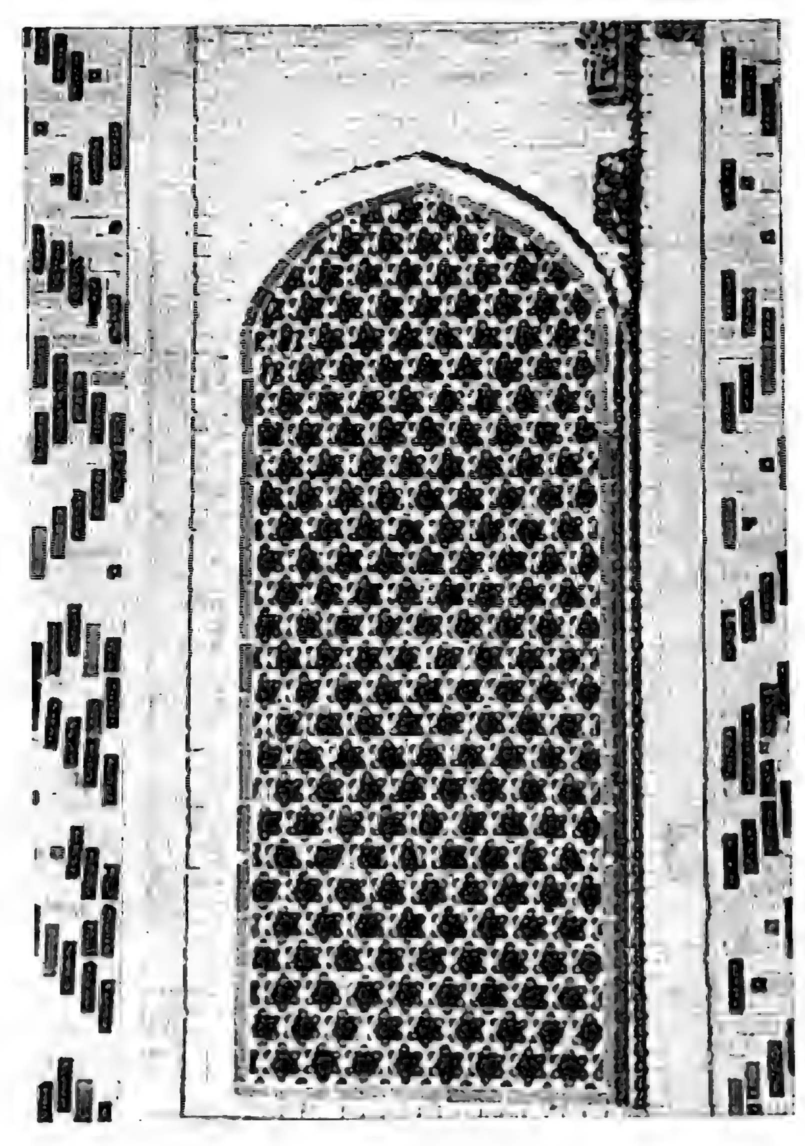
بخارى: مدرسة مادر عبد الله خان التي انشئتها سنة ٩٧٤ - ٩٧٥هـ (١٥٦٦ - ١٥٦٧م). وقد قام ابنها عبد الله خان بانشاء العديد من المدارس في بخاري وتسمى قوشي مدرسة. ومعناها مدرستان مدرسته ومدرسة أمه وهما متقابلتان في نفس الشارع وقد انتشرت هذه الطريقة في عهد الدولة الاوزبكية حيث تقع هذه البنايات الضخمة متقابلة في شارع واحد أو ساحة واحدة..



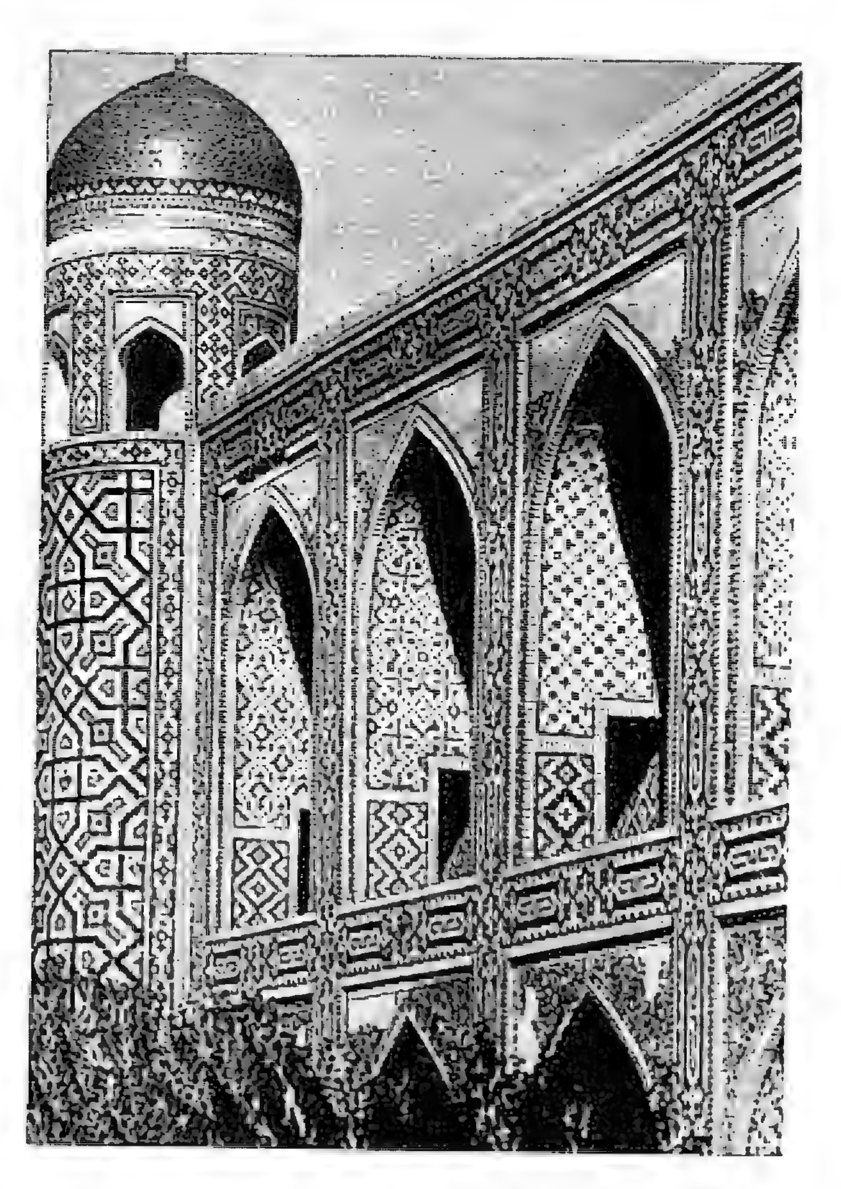
بخارى: مدرسة اولوغ بك. صورة للصحن الداخلي لهذه المدرسة العظيمة التي أقامها اولوغ بك سنة ٨١٩هـ (١٤١٧م) والتي بذل في سبيلها وسبيل مدرسته الشهيرة في سمرقند كل غال ونفيس.. لقد قام الروس البلاشفة باقفال هذه المدارس والمساجد وتحويلها الى متاحف وصالات ونوادي. كما قاموا بتحطيم بعضها. وقد بلغ عدد المدارس الاسلامية التي أقفلت او حطمت بواسطة الشيوعيين البلاشفة أكثر من سبعة آلاف مدرسة في التركستان وحدها. أما في الاتحاد السوفياتي باكمله فقد حطم الروس أو اقفلوا أكثر من ١٥,٠٠٠ مدرسة إسلامية.

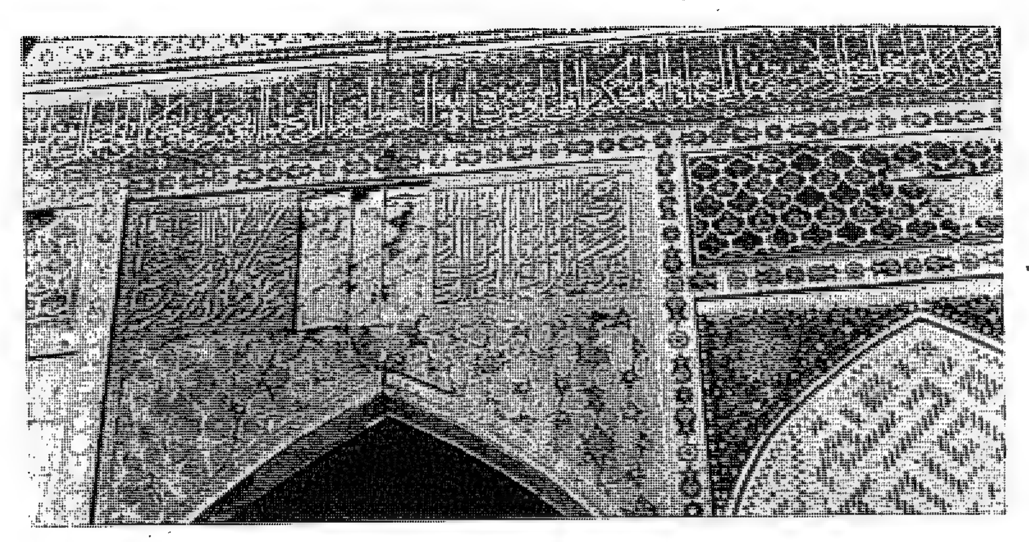
يسي: جزء من شباك من حائط مسجد سيدي أحمد اليسوي صاحب الطريقة المشهورة في التركستان والذي كان لتلاميذه دور كبير في اسلام قبائل المغول. يعتبر مركز الطريقة الياوية في قازاختان ولها انصار ومريدون في جميع انحاء التركستان وخاصة في قرغيزيا..

ولقد كان لهم دور عظيم في محاربة الروس القياصرة كما كان لهم دور كبير في محاربة الشيوعية وقوات لينين وخاصة جماعة (الايشان) التي يتهم مريدوها بالتعصب الديني والنشاط المناهض للسوفيت منذ عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠م) كما يقول بنجيسن ولومرسييه في كتابها (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي).



سمرقند: مدرسة طلاكاري التي أنشئت في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) توضح مدى الاهتمام بالمدارس الاسلامية حتى في عصور الانحطاط النسبي. استغرق تشييد هذه الجامعة الاسلامية ١٥ سنة من ١٠٥٦ الى ١٠٧١هـ (من ١٦٤٦ الى ١٦٦٠م). وللأسف أغلق الروس البلاشفة هذه المدرسة كما اغلقوا أكثر من سبعة الاف مدرسة مماثلة في جميع انحاء التركستان وحولوها الى متاحف أو الى مدارس لتعليم الشيوعية..

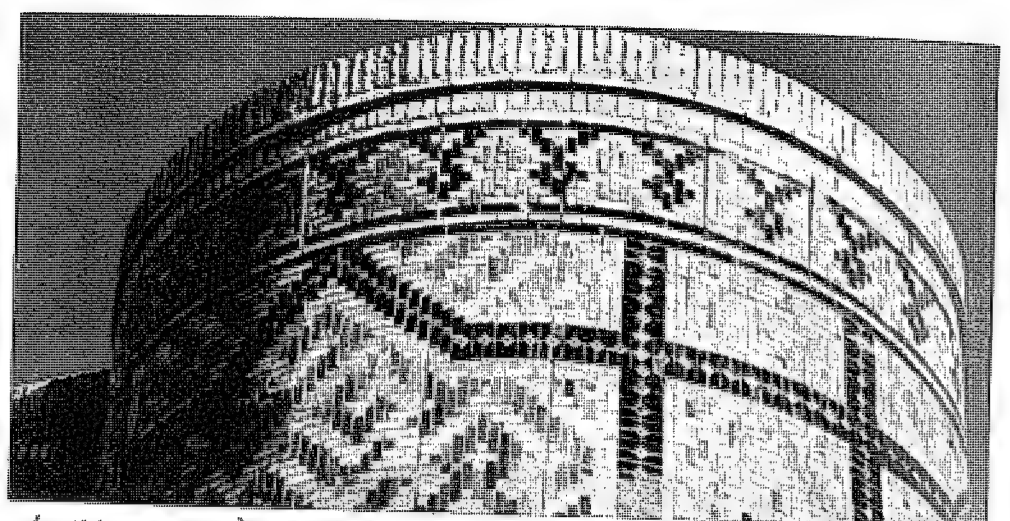




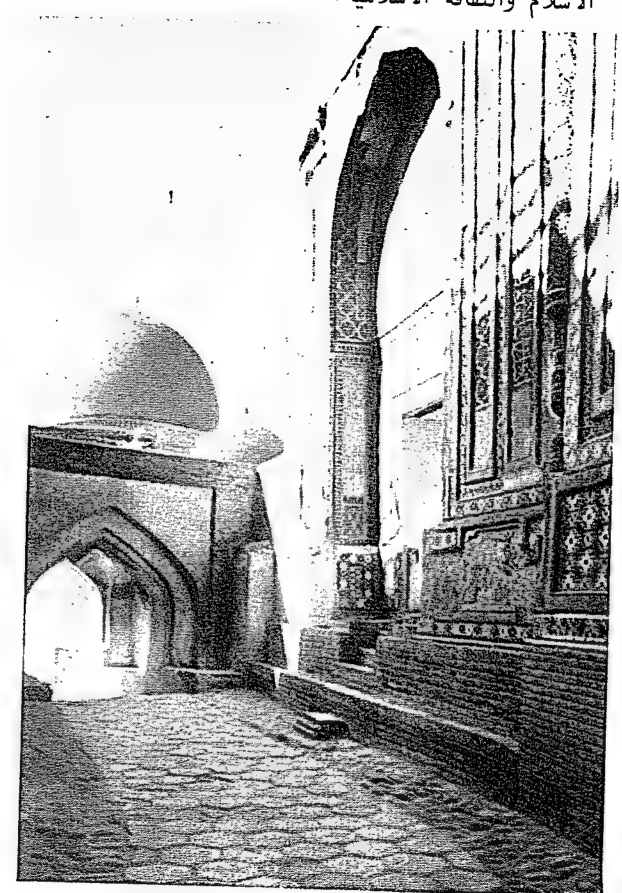
سمرقند: مسجد بي بي خانم الذي بني سنة ٨٠٢ - ٨٠٧هـ (١٣٩٩ - ١٤٠٤م) الصورة تظهر جزء من المدخل الرئيسي الى المسجد وتوضح مدى تقدم الفن المعماري الاسلامي في سمرقند في ذلك الوقت..



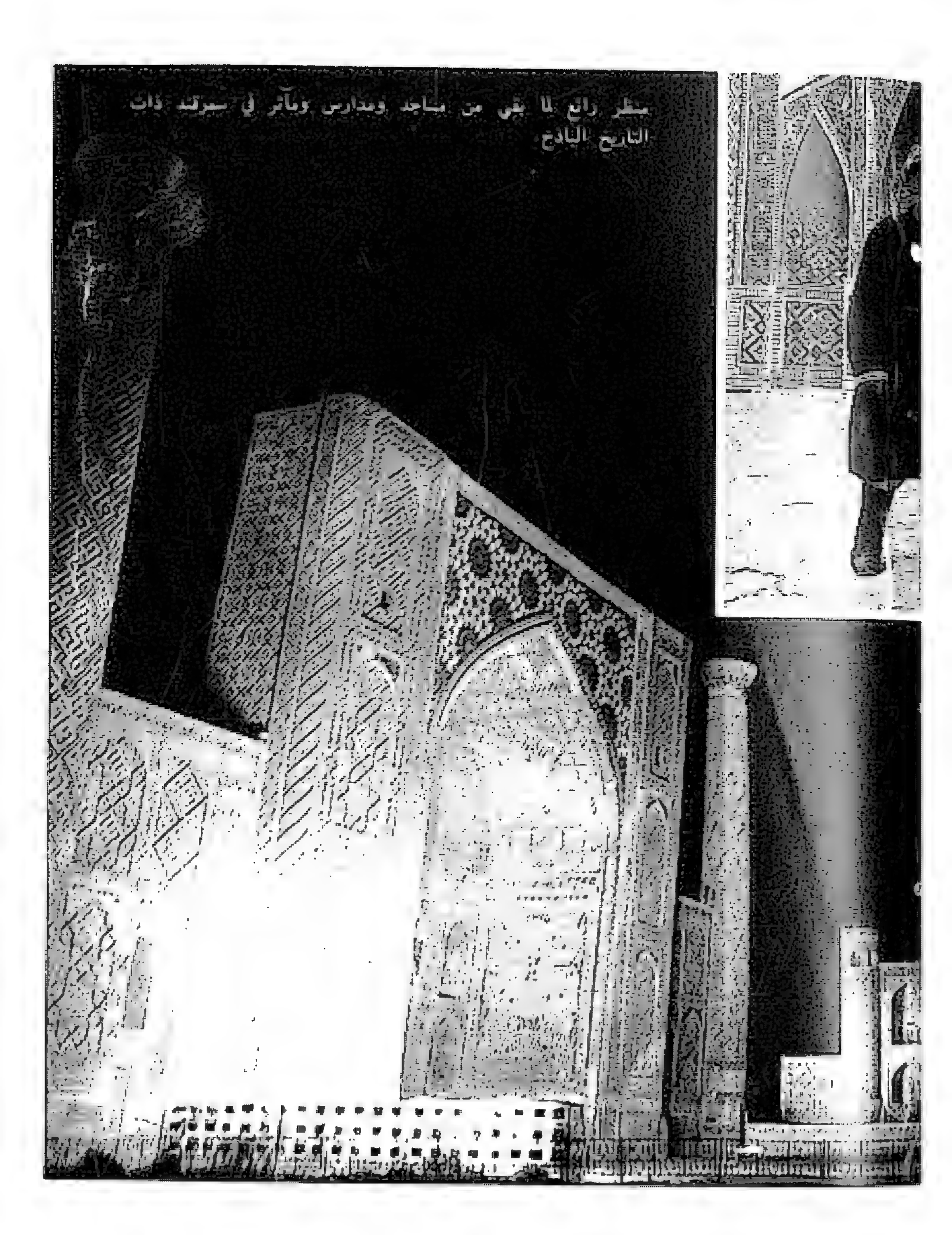
أي ظلم وحيف دفع هذا الشيخ الذي أنجبته أرض (البخارى وابن سينا وابو بكر القفال الشاشي وابو الليث السمرقندي) الى أن يصرخ هذه الصرخة في وجه المحتل الروسي الذي أباد مئات الالوف من إخوانه ومواطنيه واحبائه وشرد منهم الملايين منذ أن دخلت قوات لينين أرض بخارى سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م).



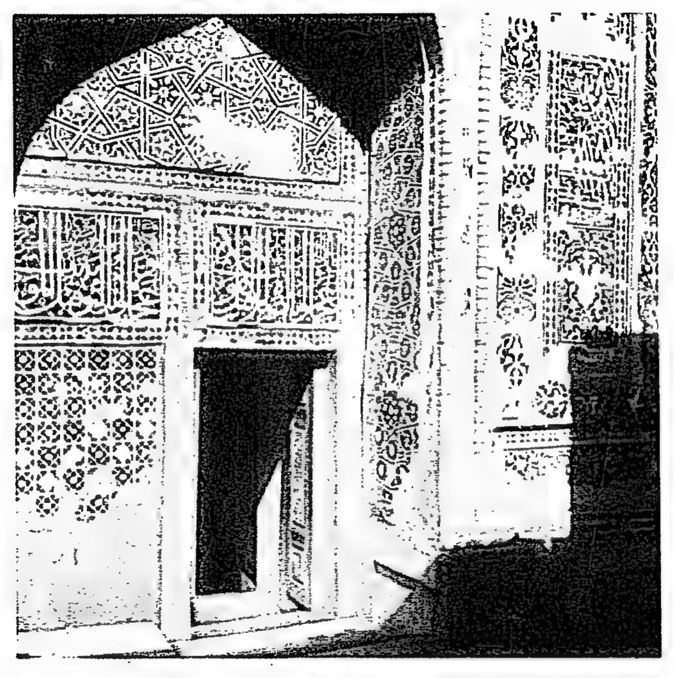
سمرقند: برج مدرسة شير علي التي أسسها في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ١٠٢٩ - ١٠٤٦ هـ (١٦١٩ - ١٦٣٦ م) في عهد الاشتراخانيين.. لقد قام الشيوعيون الروس باقفال هذه المدرسة كما اقفلوا سبعة الاف مدرسة أخرى في جميع أرجاء التركستان ليحاربوا الاسلام والثقافة الاسلامية.



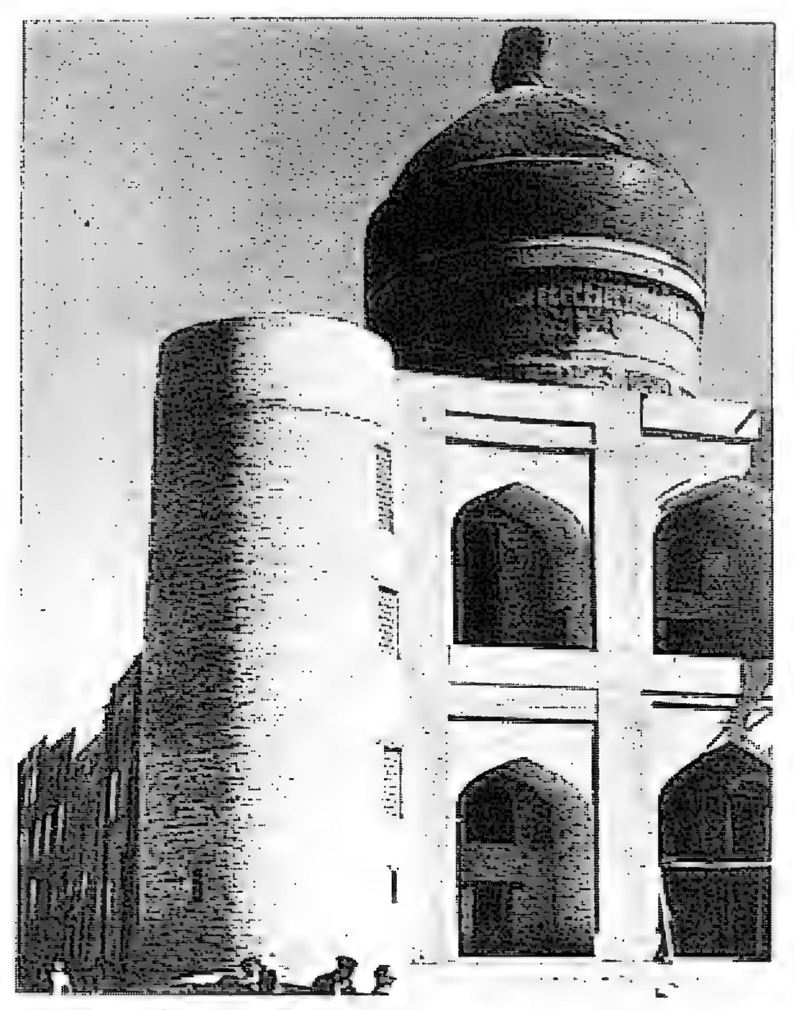
سمرقند: منطقة شاه زندة التي حرص الملوك والامراء على اقامة المدارس والمساجد فيها كما حرصوا على أن يدفنوا فيها. هذه مدرسة ومسجد أمير زادة والتي تعود الى القرن الثامن الهجري ٧٨٨ هـ (القرن الرابع عشر الميلادي (١٣٨٦ م).


منظر رائع لما بقي من مساجد ومدارس ومآثر في سمرقند ذات التاريخ الباذخ

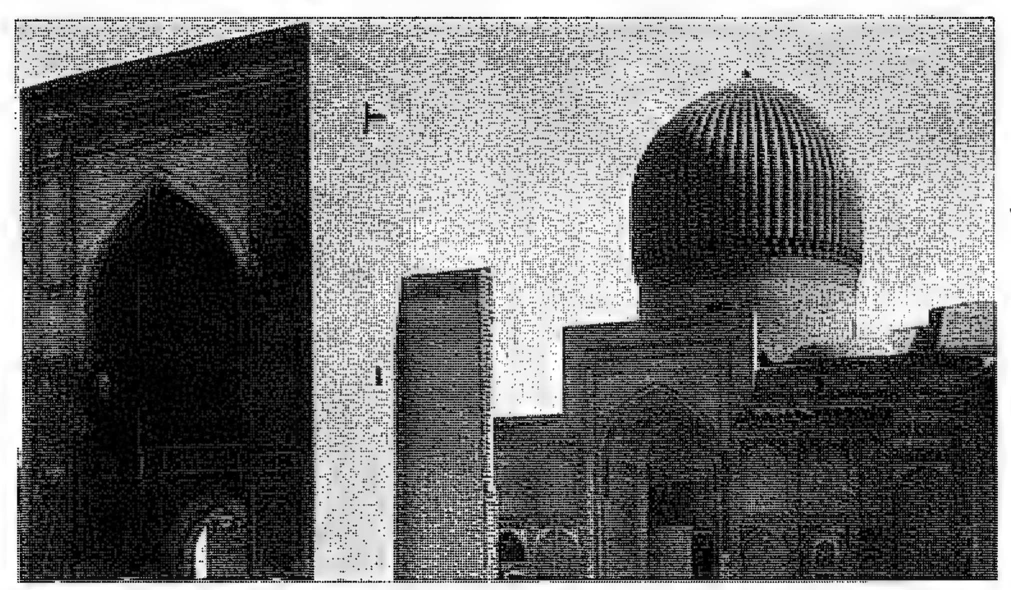
سمرقند: صورة أخرى لباحة داخلية لمدرسة طلاكاري.



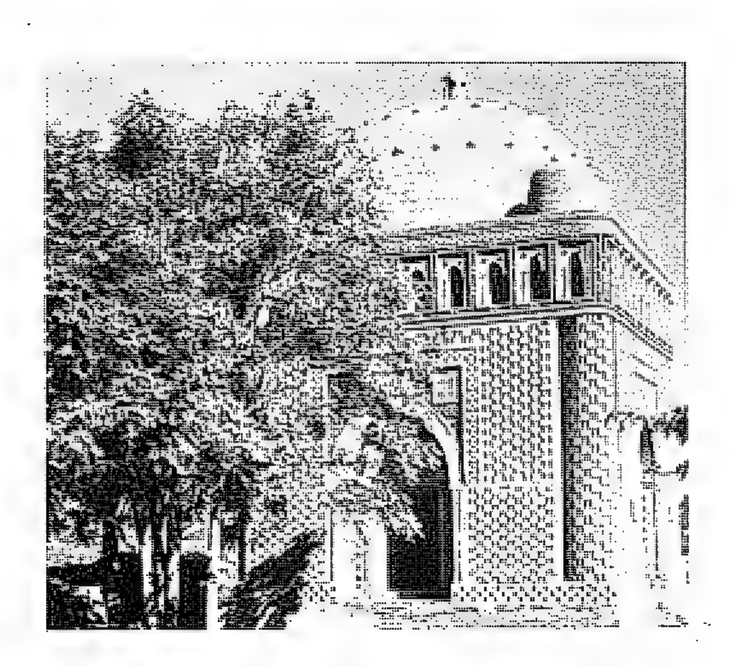
سمرقند: منطقة شاه زندة
مسجد تومان أقا الذي شيده
في بداية القرن التاسع الهجري
(الخامس عشر الميلادي) المنظر
يوضح الباحة العلوية
للمسجد.. لقد منع الروس
الصلاة في جميع هذه الماجد
المنتشرة في سمرقند وخاصة في
منطقة شاه زندة كما حولوا
جميع المدارس العظيمة
الموجودة هناك الى متاحف.



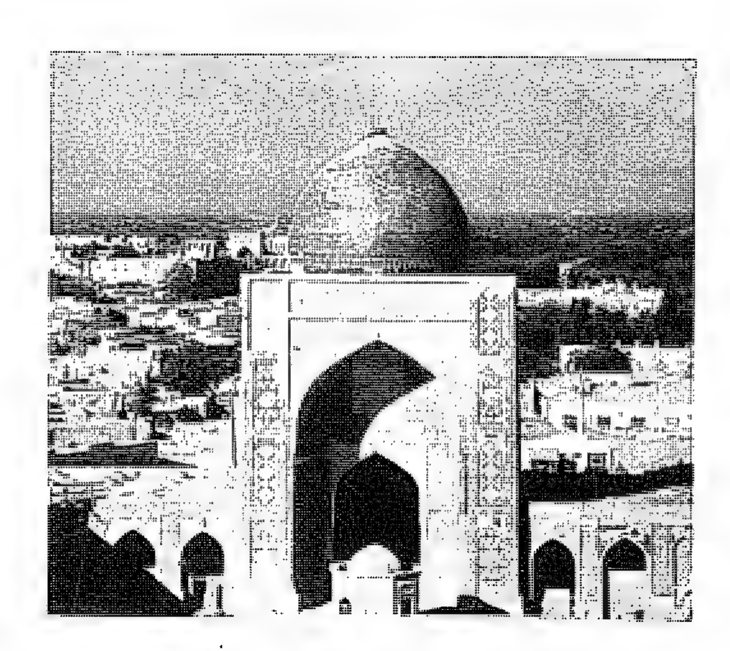
بخارى: أشهر ما بقي من مدارس بخارى العظيمة مدرسة مير عرب (أمير العرب) التي أسسها الشيخ عبد الله اليمني سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م) بمحاذاة مسجد كلان في الجانب الآخر من الساحة الصغيرة.. وفي هذه المدرسة أكثر من مائة قاعة للدرس.. ولها مزايا هندسية كثيرة منها القبة التي تحدث في النفس تأثيراً فنياً رائعاً.. وقد بقي منها جزء من القوشية والكتابات من الطوب الملون والفسيفساء على جدران وأقواس هذه البناية كما بقيت على قبتها الشمالية تكسية زرقاء تضاهي زرقة السماء.. وقد كان الشيخ عبد الله اليمني الملقب بمير عرب يتمتع بنفوذ كبير في بخارى وبذل الاموال العظيمة في تشييد هذه المدرسة كما وقف عليها ضياعا وأموالا هائلة لتؤدي دورها في نشر العلم على مدى القرون حيث بقيت هذه المدرسة الى اليوم مركزاً للدراسات الاسلامية وهي احدى مدرستين اسلاميتين سمح بها الروس البلاشفة لتدريس العلوم الاسلامية بعد ان حطموا أكثر من سبعة الاف مدرسة والمدرسة الثانية في طشقند وهي مدرسة الامام البخاري.



سمرقند: مسجد تيمورلنك أحد القادة والحكام العظام في التاريخ.
لقد حكم تيمورلنك موسكو ووارسو وخضعت له جميع الأراضي المعروفة اليوم باسم الاتحاد السوفيتي البالغة مساحتها اكثر من ٢٢ مليون كم مربع. كما حضعت له ايران وأفغانستان والهند باكملها (باكستان وبنجلادش والهند) والعراق والشام.. وغرب الصين.
لقد عاش تيمورلنك ٦٩ عاما (٧٦٥ - ٨٠٧هـ) (١٣٣٦ - ١٤٠٥م) ارتفع خلالها من ضابط بسيط الى أحد أشهر حكام الدنيا..

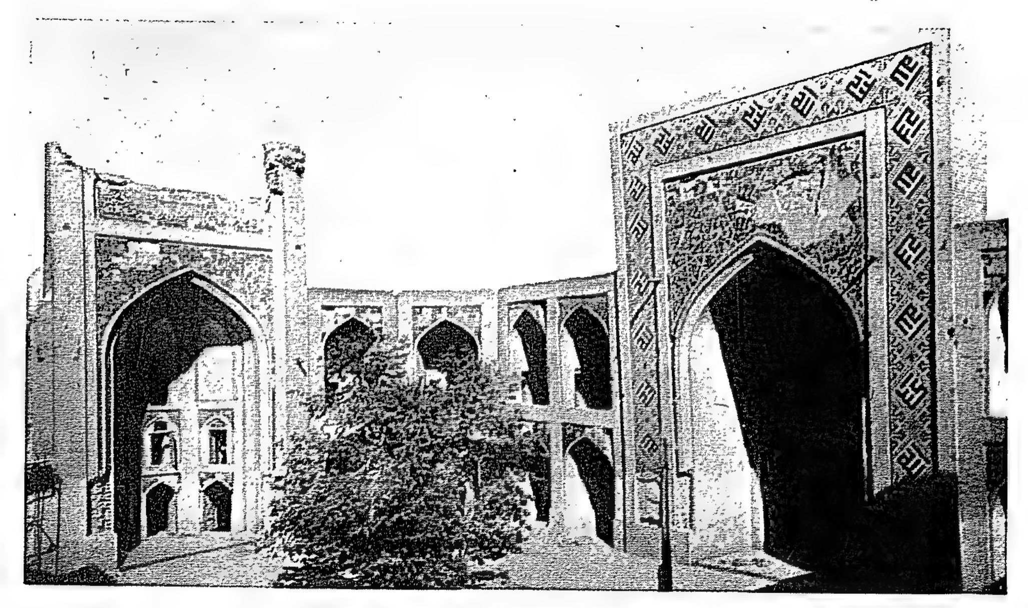


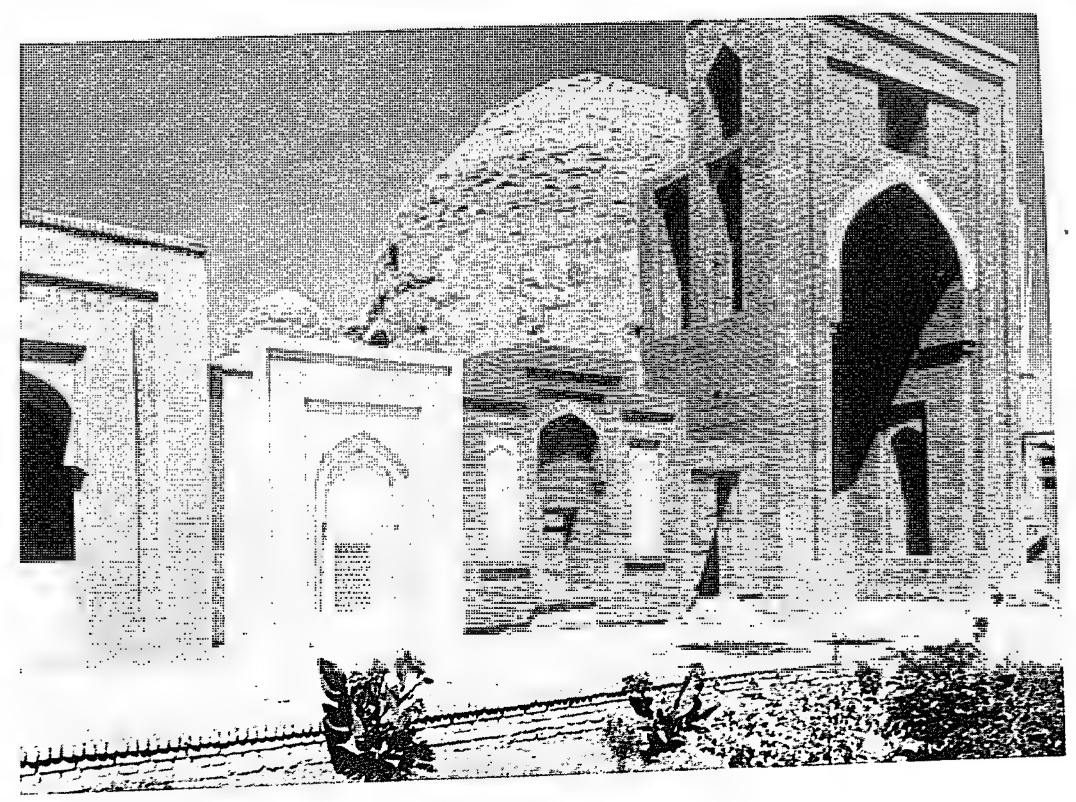
بخارى: زاوية اسماعيل الساماني أعظم ملوك بني سامان الذين جعلوا بخارى «مثابة العلوم كلها».



بخارى: صورة لبخارى وفى مقدمتها بقايا مسجد كلان وبوابته الرئيسية بعد أن تحول الى متحف في عهد البلاشفة.

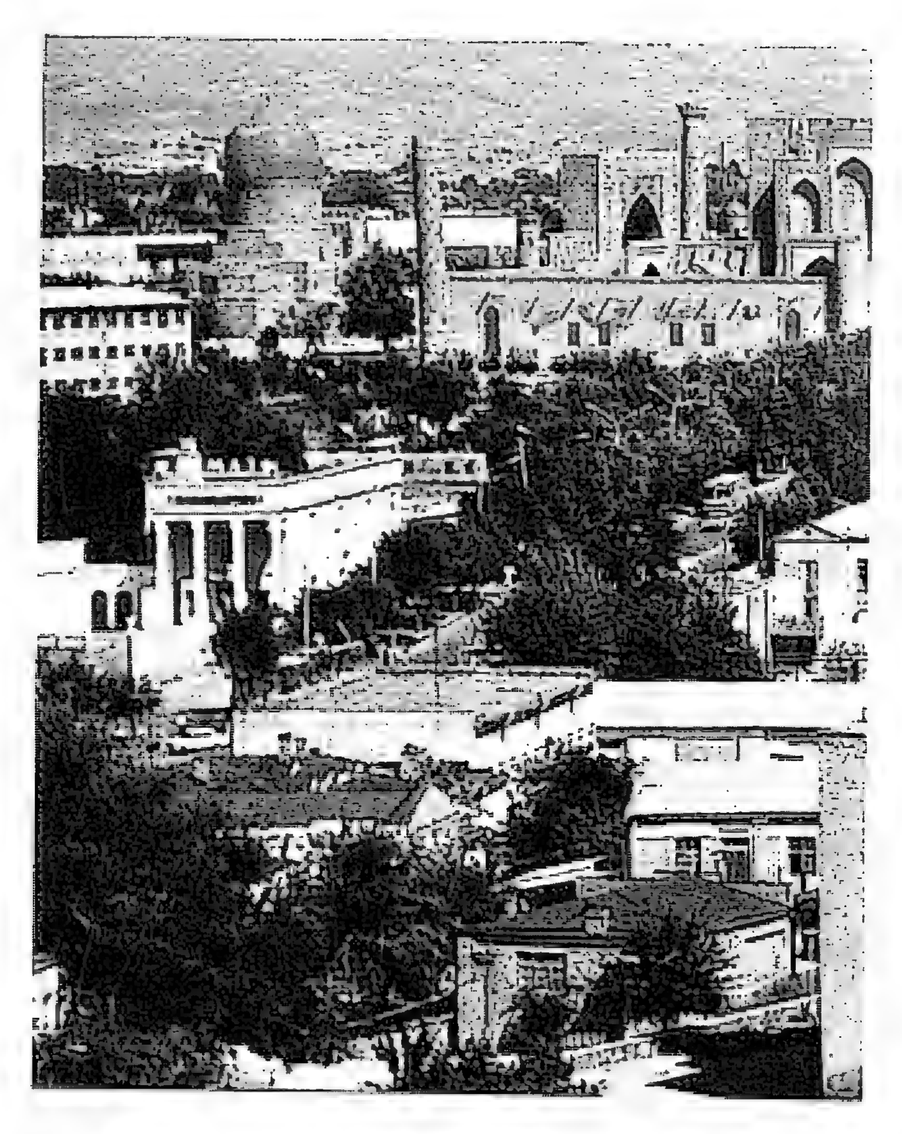
بخارى: مدرسة عبدالله خان التي شيدت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ٩٩٧ - ٩٩٩هـ (١٥٨٨ - ١٥٩٠م) في العهد الشيباني.
توضح مدى اهتمام الامراء والأثرياء بإقامة المساجد والمدارس.. لقد بلغ عدد المدارس الاسلامية الشبيهة بهذه المدرسة التي حولها الروس الى متاحف ونوادي وصالات في التركستان وحدها ٧٠٥٢ مدرسة.. وتبدو فيهذه المدارس روعة الفن الاسلامي.. وكم زخرت هذه المدارس بالعلماء والفطاحل وكم أخرجت من جهابذة في كل فن.



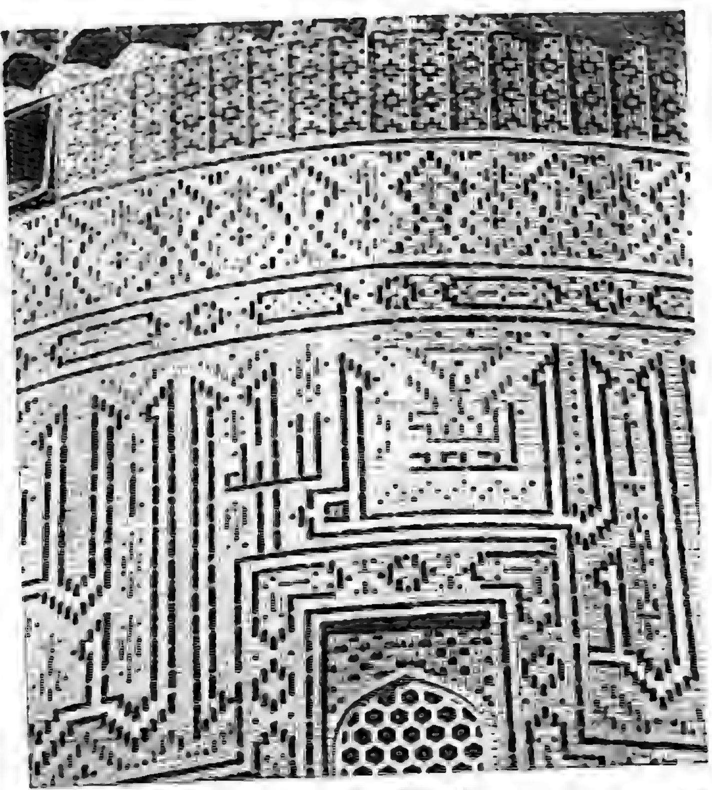


ترمذ: احدى مدن جمهورية اوزبكستان التي اندثرت بعد أن دخلها الروس.. وقد كانت ترمذ كما وصفها (ياقوت الحموي) مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون (أموداريا) وأول من فتحها الصحابي الحكم بن عمرو الغفاوي سنة ٤٦ هـ (٦٦٤ م) في عهد معاوية بن ابي سفيان.. وأشهر من ظهر من ترمذ الإمام محمد بن عيسى الترمذي صاحب (الجامع الصحيح) المشهور بسنن الترمذي..

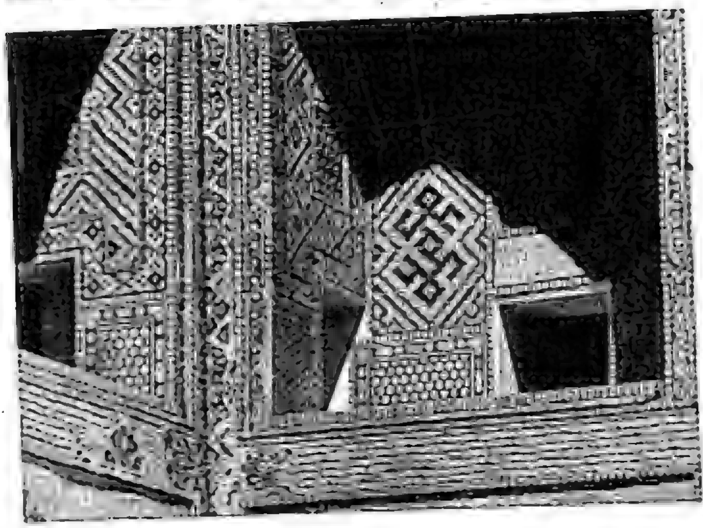
وهذه الصورة لمسجد الحكيم الترمذي. وهو غير الإمام ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.. وقد اشتهر محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي بعلمه وولايته وقد توفي محمد بن علي هذا سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) وهذه الاطلال هي بقايا لمدينة ترمذ القديمة والتي بها قبور مجموعة كبيرة من آل بيت النبي معروفة هناك بأسم (سلطان سادات) كما بها مجموعة من المساجد والمدارس الاثرية التي حطمها الروس عند دخولهم ترمذ.. ولم يبق منها الا بعض الآثار البسيطة.



سمرقند ذات المجد الباذخ والتاريخ المجيد التي فتحها المسلمون في عهد معاوية سنة ٥٦ هـ/ ٦٧٥م بقيادة سعيد ابن الخليفة الراشد عثمان بن عفان. وكان في جيشه قثم بن العباس (ابن عم النبي ﷺ والذي كان أحد ثلاثة يشبهونه ﷺ وهم الحسن بن علي بن أبي طالب وجعفر الطيار بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين). وقد استشهد قثم رضي الله عنه في فتحها فأقام له أهلها بعد دخولهم في الاسلام مزاراً اسموه شاه زندة أي السلطان الحي ذلك لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.. وفي هذا الموقع قامت عشرات المدارس الاسلامية العظيمة.. وكان الملوك والعظماء يتنافسون في العناية بها ويوقفون عليها الاوقاف العظيمة.. كما كان كثير من العلماء والصالحين والمشهورين يقبرون في تلك الناحية بالقرب من قبر ابن عم رسول الله ﷺ.



سمرقند: صورة لتوضيح النقوش الرائعة والكتابة على جزء من القبة التى يرقد تحتها تيمورلنك.



سمرقند: مدرسة شير دار (بنيت في السنوات ١٠٢٩-١٠٤٦ هـ)(١٦١٩-١٦٣٦ م) جزء من واجهة الصحن.

المفتي خيال الدينوف

رئيس المجلس الاسلامي للقسم الاوروبي من الاتحاد السوفييتي وسيبيريا.



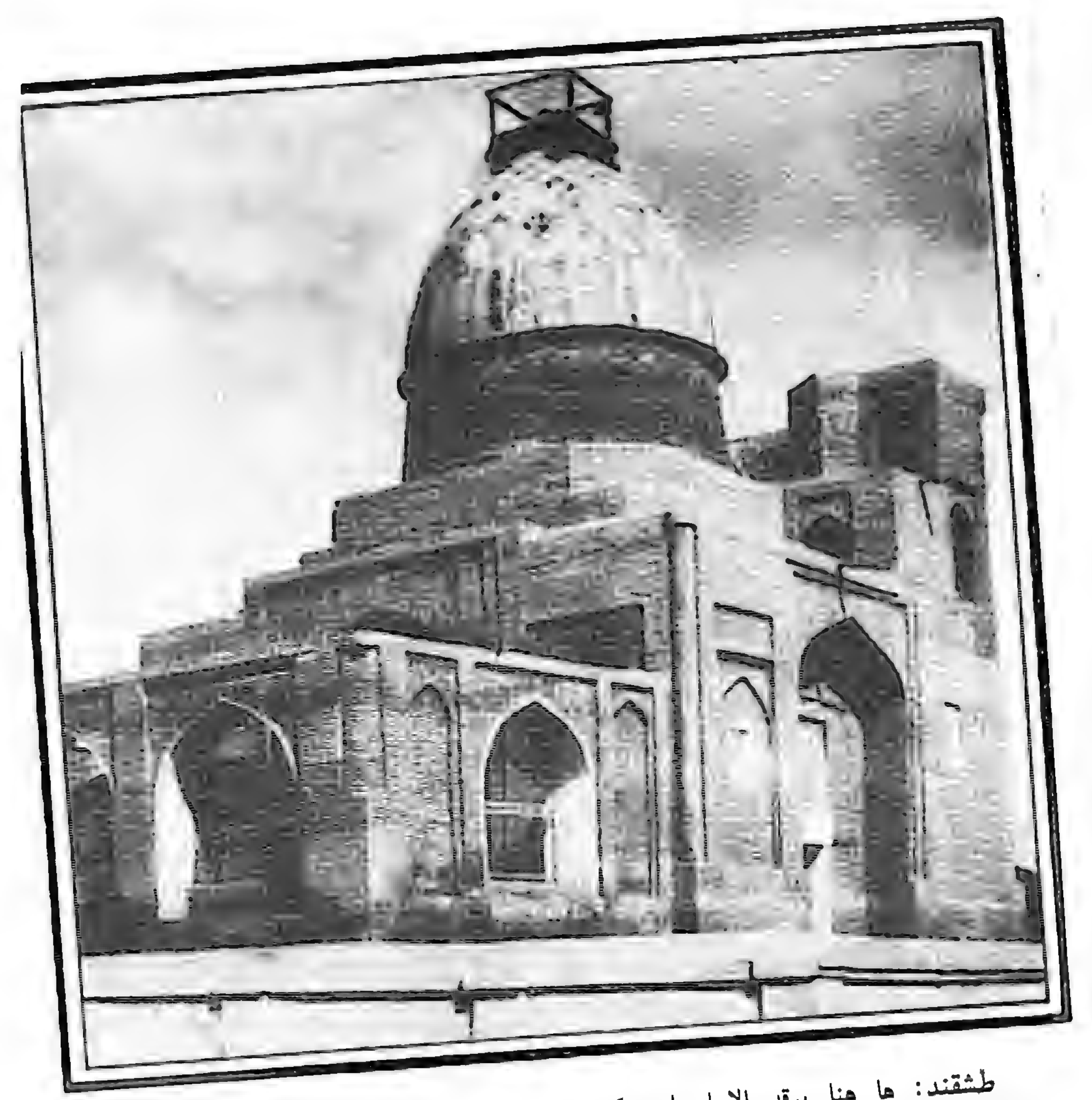
صورة المفتي الحاج شاكر بن غيث الاسلام خيال الدينوف في مكتبه بمدينة أوفا عندما كان رئيساً للإدارة الدينية لمسلمي القسم الاوربي من الاتحاد السوفيتي سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م).



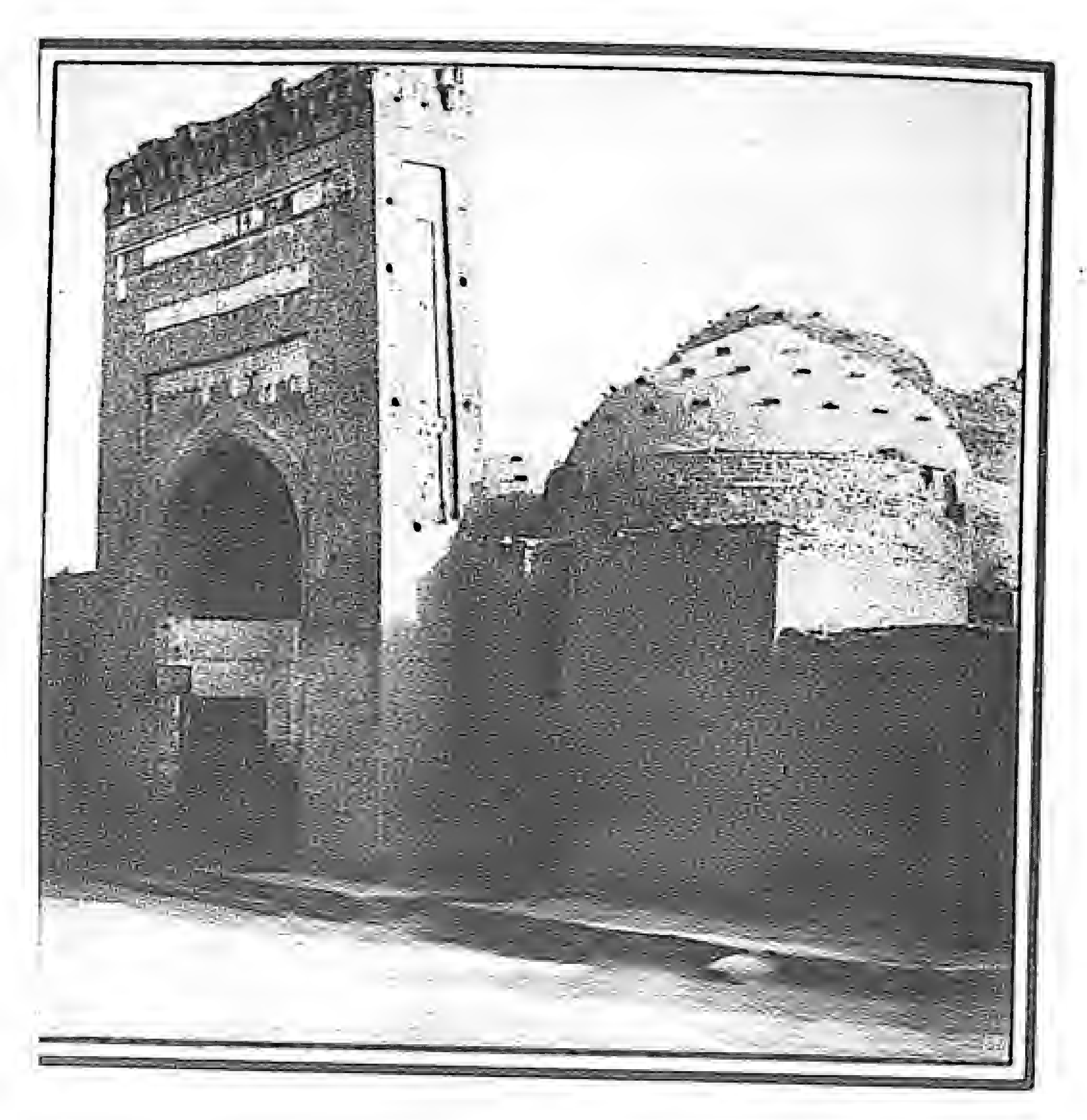
جامع موسكو الذي لا يفتح إلا عند زيارة أحد رؤساء الدول العربية والاسلامية لموسكو.



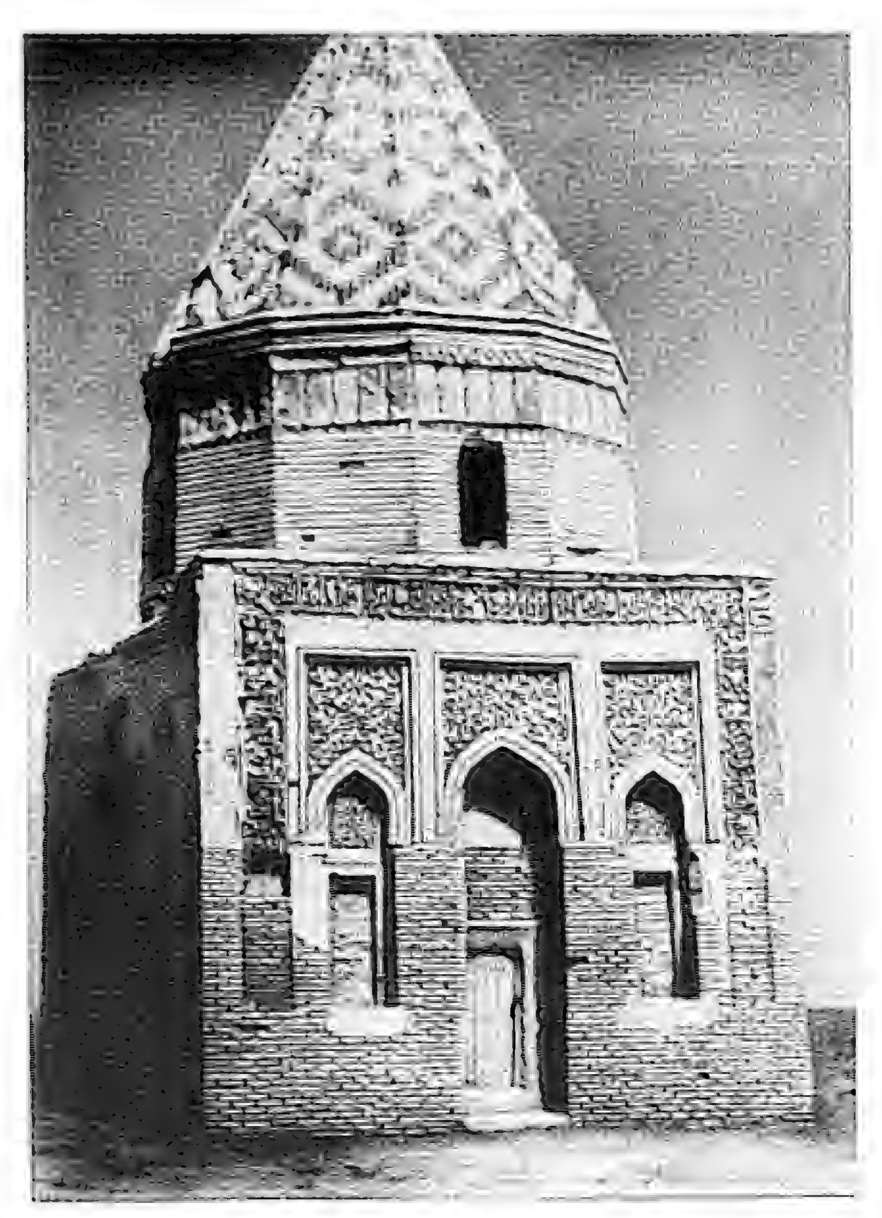
جمهورية أذربيجان السوفيتية
باكو: مسجد ازدربك في باكو التي احتلتها قوات لينين عام ١٩٢٠م بعد ان اعترف لينين بجمهورية أذربيجان المستقلة ثم نكث عهده ووافقه في ذلك سراً الحلفاء امريكا وبريطانيا وفرنسا.. وكان الشيوعيون قد أقاموا مذبحة مارس ١٩١٨م التي قتل فيها ١٨,٠٠٠ من المسلمين ثم استطاعت القوات الاسلامية بمساعدة الغازي انور باشا ان تنزل الهزيمة بالشيوعيين وقامت دولة اذربيجان الاسلامية واعترفت بها جميع الدول بما فيها حكومة لينين ولكن الغدر الشيوعي نقض هذا الاعتراف وأعادوا احتلالها عام ١٩٢٠م. وبعد ان استتب الأمر للروس البلاشفة حولوا مساجدها ومعاهدها الاسلامية الى متاحف ومدارس لنشر الشيوعية والالحاد.. وقد حول هذا المسجد الذي ترى صورته الى متحف..



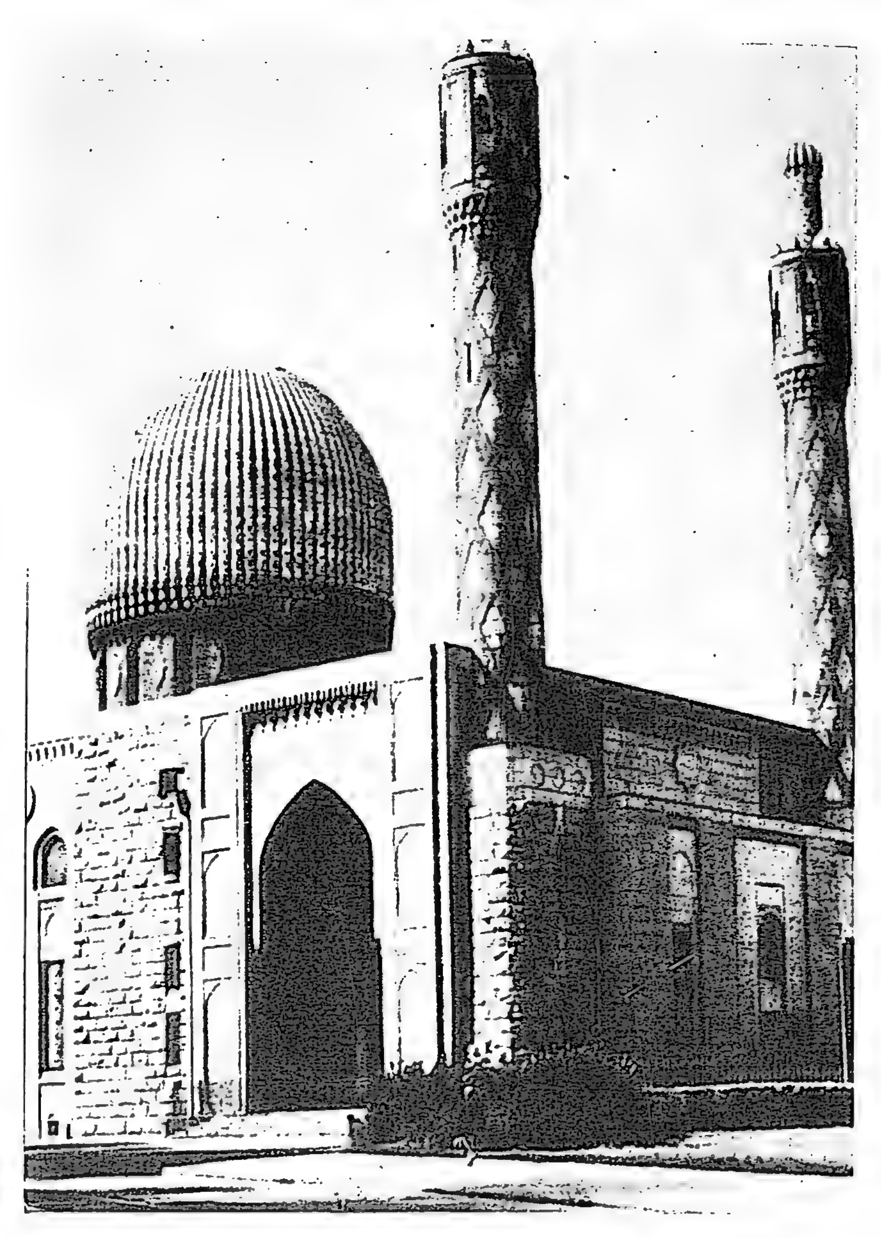
طشقند: ها هنا يرقد الإمام ابي بكر محمدبن علي القفال (الكبير) الشاشي الذي أصبح علماً من أعلام الإسلام بعد أن تبحر في علوم الفقة والحديث والتفسير واللغة. واليه كانت الرحلة في زمنه. ولد في طشقند (الشاش) واشتغل بصنع الاقفال مدة من الزمن ثم طلب العلم كبيراً فنبغ فيه.. وارتحل الى خراسان والعراق وسمع من ائمة العلم مثل ابن جرير الطبري وابي بكر بن خزيمة وعاد الى وطنه ونشر بها فقه الشافعي.. وتتلمذ عليه الإمام الحاكم وغيره ولد سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م) وتوفي سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م).



اوركنج (الجرجانية) خوارزم
زاوية الامام نجم الدين الكبراوي الخيوي الذي عاش في القرن السادس - السابع الهجري (٥٤٠ هـ الى ٦٠٦ هـ) (١١٤٥ - ١٢١١ م) وله تأثير كبير على قبائل التركمان والمغول - وقد كان للطريقة الكبروية دور كبير في اسلام كثير من المغول والتركمان كما كان للطريقة الياساوية ذلك الدور العظيم. وقد قام مريدو هذه الطريقة بمحاربة القياصرة مثلما فعل مريدو الطريقة النقشبندية في القوقاس.. ثم قاموا بعد ذلك بدور بارز في محاربة قوات لينين ولا يزالون يواجهون الحملات العنيفة الموجهة ضد الاسلام.. ولهم دور كبير في الدعوة الى الله وخاصة في مناطق تركمنستان وخوارزم..



زاوية الإمام الفخر الرازي في خوارزم في الجرجانية، (أو اوركانج وتدعى ايضاً كركانج) عاصمة الدولة الخوارزمية.. وقد كان الفخر الرازي صديقاً للسلطان علاء الدين خوارزمشاه الذي اجتذب العلماء والادباء من كثير من الاقطار الاسلامية واكرمهم وجعلهم زينة عاصمته. (القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي). ولد الفخر الرازي ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) في الري (طهران) وذاع صيته فاجتذبه علاء الدين خوارزمشاه. ولقد كان الفخر الرازي عبقري زمانه وألف في التفسير والفقه والحديث والتاريخ والطب والفلسفة والهندسة والفلك واشهر كتبه التفسير الكبير وكانت وفاته في خوارزم سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م.

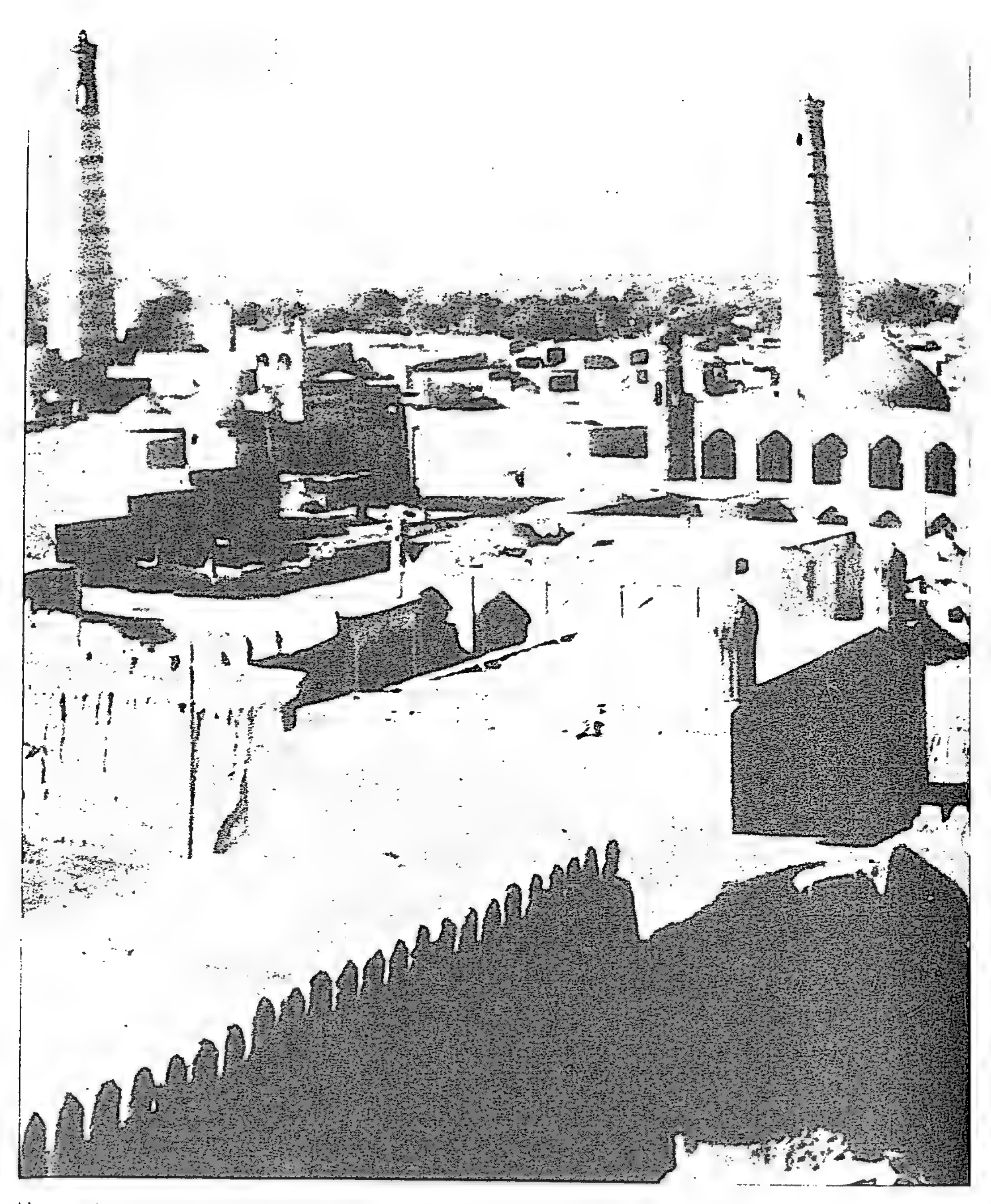


مدينة لينتجراد - مسجد لينتجراد.

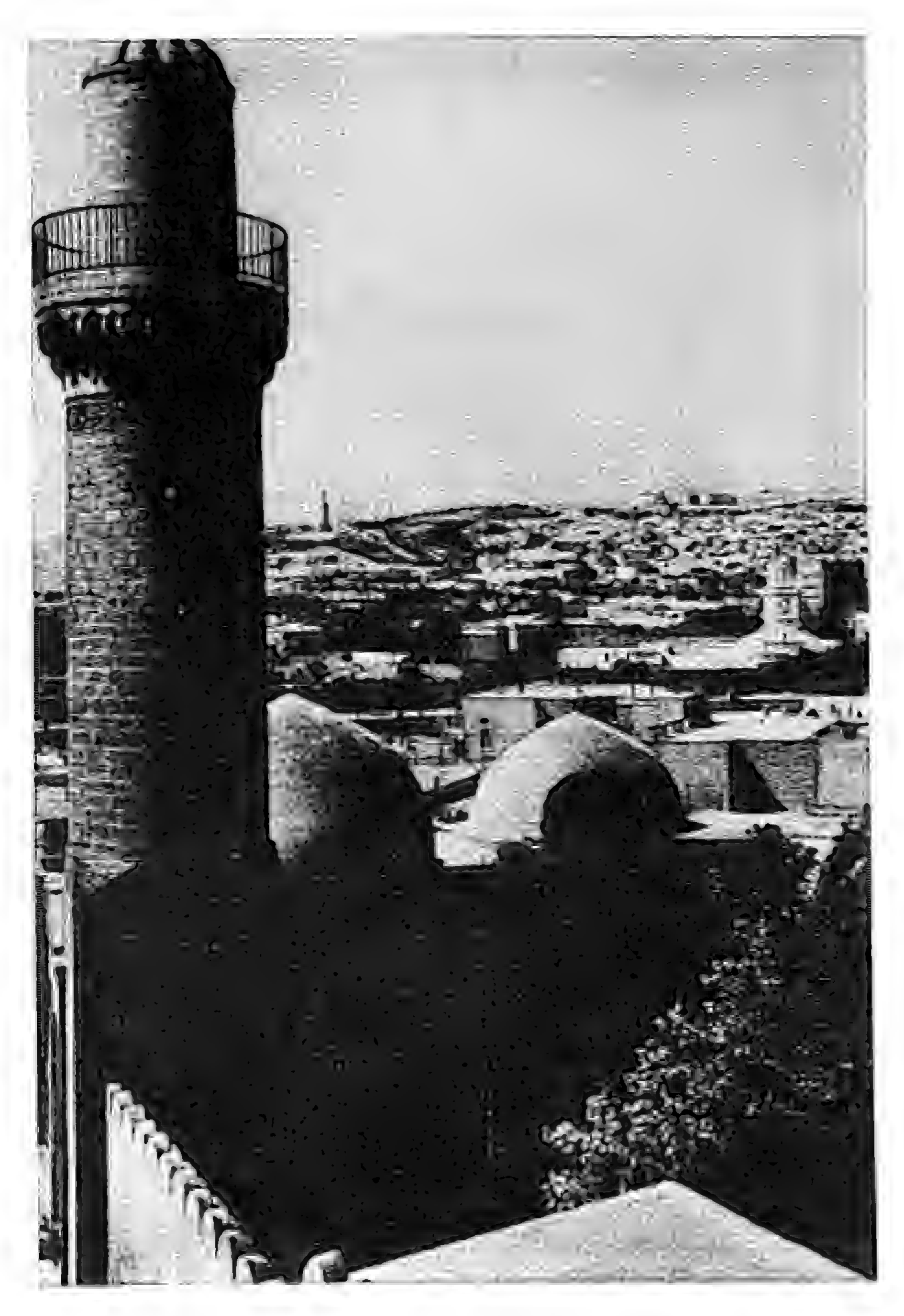
نعم هكذا يقول الكتاب الضخم الذي اصدرته الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان في مدينة طشقند ١٩٦٢ م والذي قدم له المفتي ضياء الدين بابا خانوف.. ومدينة لينتجراد هي نفسها التي كانت تدعى بتروجراد وسان بطرسبرج وهي عاصمة الامارة الروسية قبل موسكو. وتعتبر ثاني مدن روسيا وتقع على نهر نيفا.. ويبلغ سكانها قرابة مليونين.. وقد دخل اليها المسلمون منذ وقت مبكر. وهذا المسجد الجميل شاهد على ذلك.



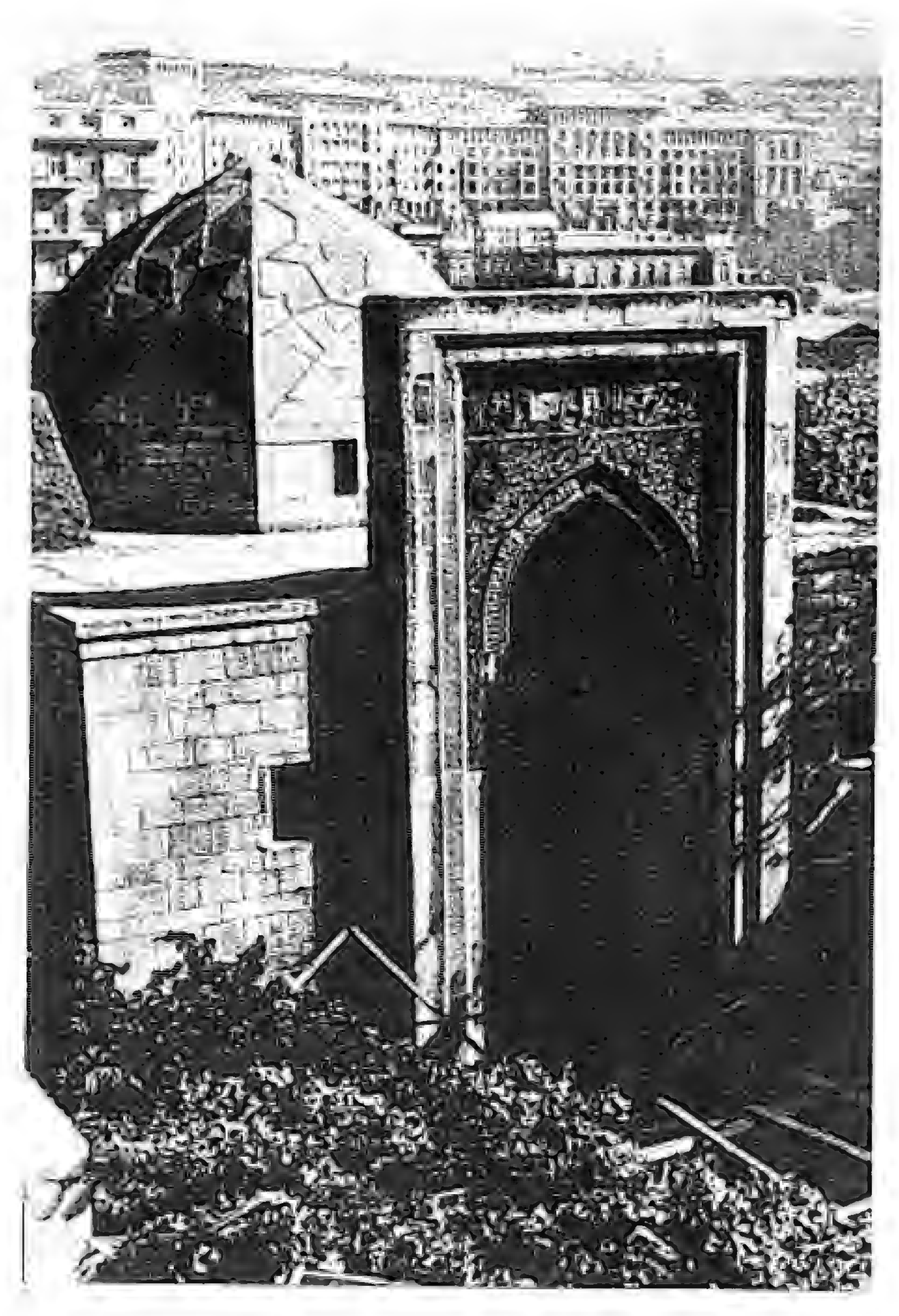
خيوه: مـأذنـة مسجـد الجمعـة من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميـلادي) لقـد حطم الروس البلاشفة هذا المسجد ولم تبق منه الا المنارة.



• خيوه: منظر عام للمدينة تبدو فيه مدرسة بهلوان محمود وبقايا المساجد والمدارس التي حولها البلاشفة الروس الى متاحف وصالات ونوادي منذ أن دخلوها سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وترى في الصورة من الجهة اليمنى مدرسة أمين خان التي أقامها سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٢ م)..



باكو: مسجد قصر الشيروان شاهين الذي شيد سنة ٨٤٥ - ٨٤٦هـ
١٤٤١م - ١٤٤٢م والذي حوله الروس البلاشفة الى متحف..



باكو: مجموعة قصر الشيروان شاهين.. وواجهة المسجد والقبة ومن خلفه
تبدو مدينة باكو الحديثة التي امتلأت بتماثيل لينين..



سمرقند: مدرسة شيردار صحن المدرسة شيدت هذه المدرسة (١٠٢٩ - ١٠٤٦هـ) (١٦١٩ - ١٦٣٦م).



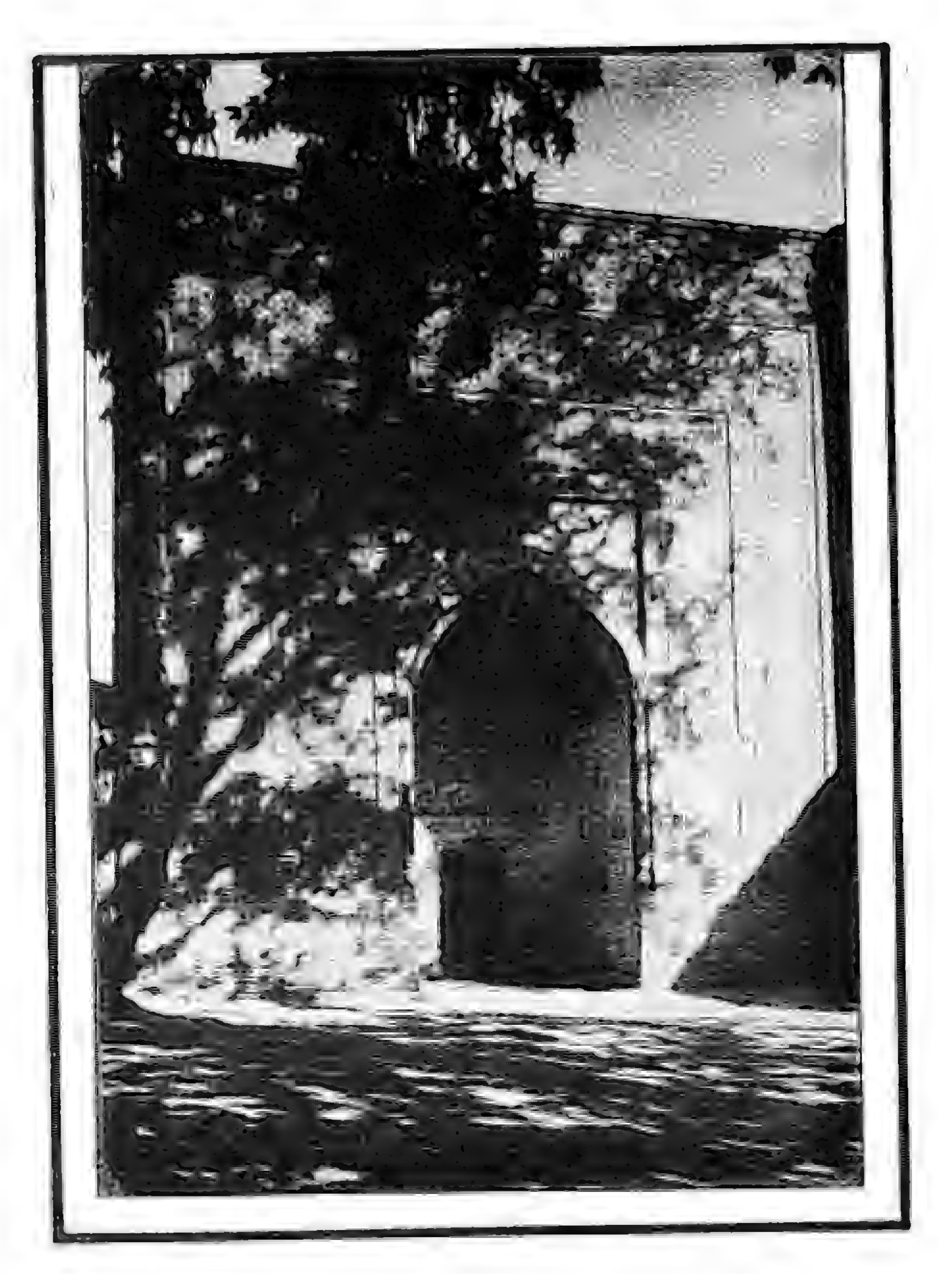
قرية قاراباغلار في نخجوان التابعة لجمهورية اذربيجان ترى مقدار الدمار الذي حل بمسجدها الجامع والمدرسة بعد ان دكته قوات لينين..



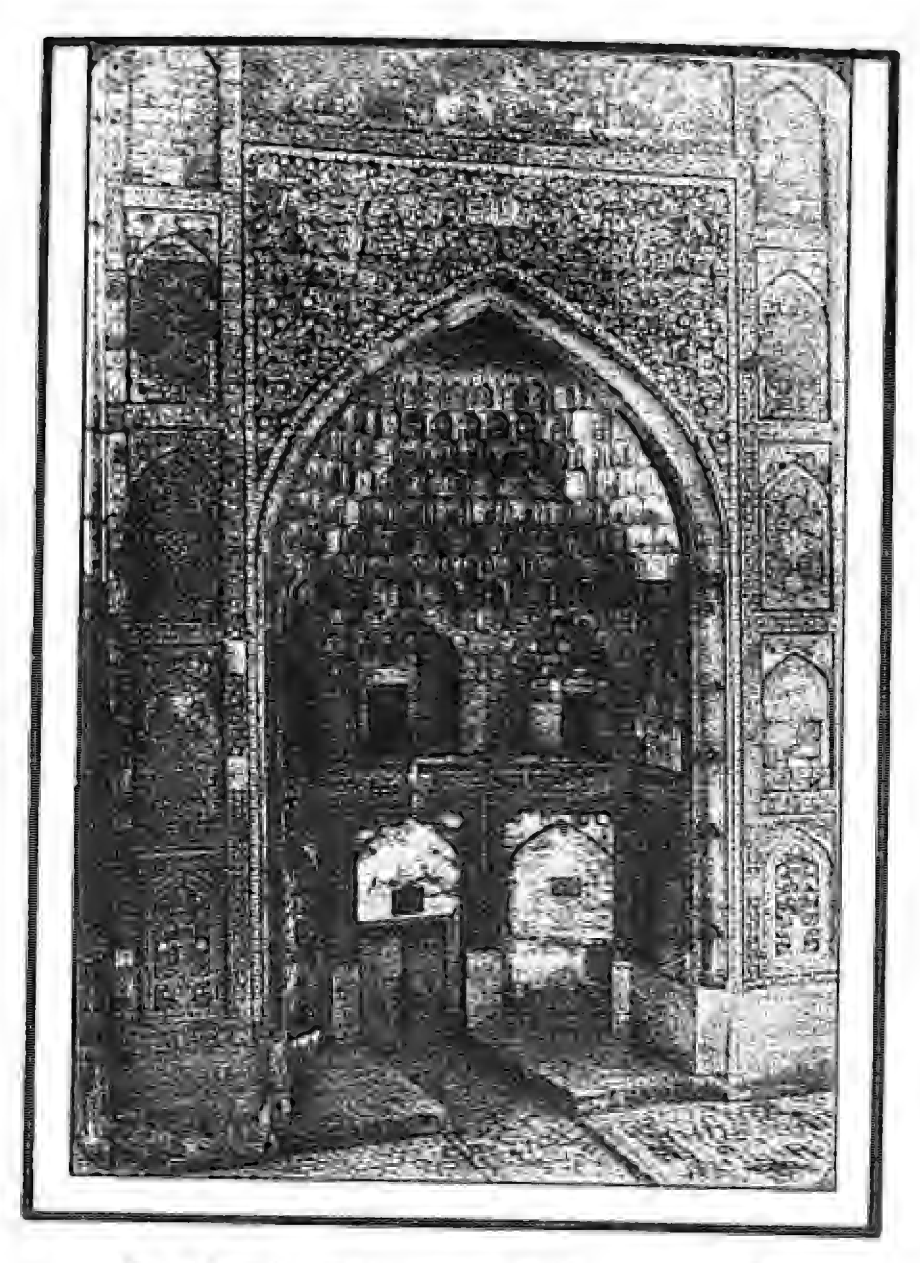
خيوه: مدرسة الله قلى خان من الباحة الداخلية. لقد بنيت هذه المدرسة أو الجامعة الإسلامية سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥م) ولكن البلاشفة الروس اغلقوا هذه المدرسة الاسلامية كما اغلقوا ٧ الآف مدرسة اسلامية في جميع اراضي التركستان وذلك منذ أن دخلتها قوات لينين عام ١٩٢٤..



مسجد قرية خرتنك إحدى قرى سمرقند.. وفي هذا المكان دفن الامام محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح أشهر كتب الحديث وأصحها. ويقول تقي الدين النووي المظاهري في كتابه عن الإمام البخاري أنها تدعى اليوم خاجا أباد وهي على بعد فرسخين تقريبا من سمرقند.



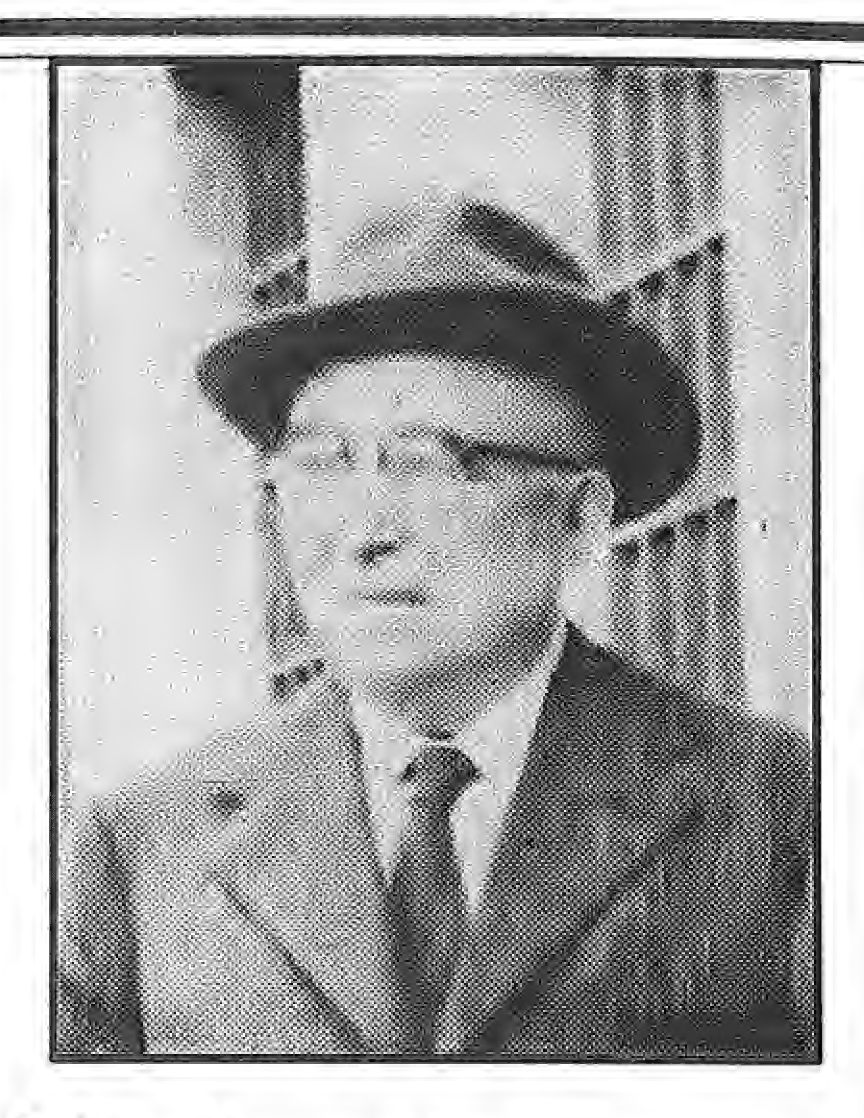
مدينة غنكان (التركستان): زاوية خواجه امين قبري القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)



بخارى: مدرسة عبد العزيز خان ١٠٦٣هـ (١٦٥٢م) بوابة الواجهة.



طشقند (الشاش): تمثال لينين في اكبر ميادين طشقند التي أخرجت الامام محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي احد أئمة الفقه الشافعي الكبار...

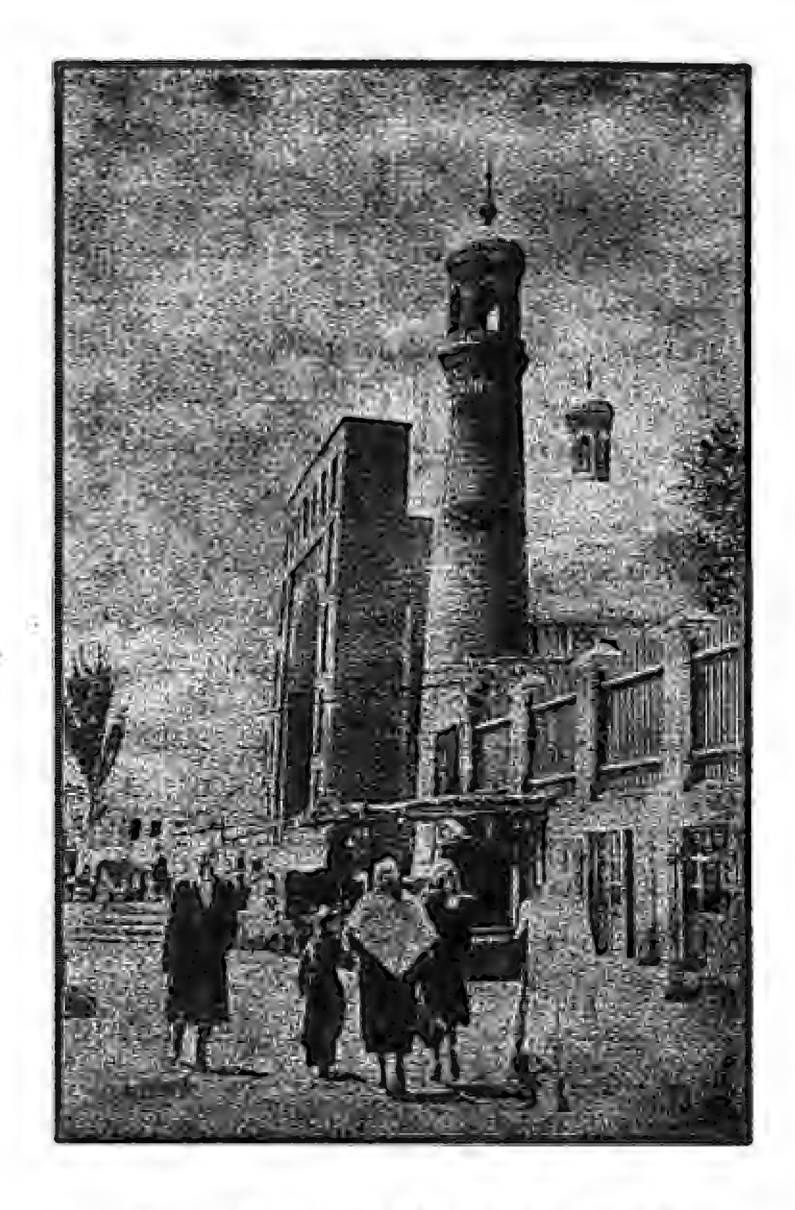


زكي فيلدي طوقان الذي ترأس أول دولة إسلامية مستقلة في بشكيريا وتعاون أول الأمر مع قوات كولشكاك ضد لينين فوجد ان كولشاك يريد ان يعيد الهيمنة القيصرية على بلاده فانضم الى لينين مصدقا وعوده باستقلال المسلمين ولكن ما لبث ان نكث بجميع عهوده ومواثيقه فاحتل بشكيريا بقواته الحمراء بعد ان قضى بمساعدة المسلمين على قوات روسيا البيضاء.. وفر زكي طوقان كما فر الغازي انور باشا الى بخارى حيث انضم الى ثورة الباسماشية التي استمرت من عام ١٩١٨ الى ١٩٣٦م.. والتي كبدت القوات الروسية الشيوعية خسائر فادحة.. مما أدى الى الانتقام الرهيب من جميع سكان التركستان بحيث ابادت القوات الروسية مباشرة وبواسطة المجاعات المدبرة اكثر من ثلاثة مليون تركستاني كما فر الملايين منهم في مختلف انحاء الأرض.. ومنهم زكي فيلدي طوقان الذي فر الى تركيا..

ثلاثة من الأئمة المجاهدين من شيوخ الطريقة النقشبندية الصوفية الذين دوخوا الاستعمار الروسي القيصري ثم البلشفي.



الصورة السفلى: للشيخ ناظم شيخ الطريقة النقشبندية الحالي في القوقاس والى هذه الطريقة يرجع المجاهدون الذين وقفوا ضد الغزو الروسي القيصري ثم البلشفي.. وهم الذين يقومون حاليا بنشر الاسلام وتجذيره في الخفاء ومقاومة التعليم والدعاية الشيوعية المفروضة على المسلمين في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي.. كما انهم يقومون بتعليم القرآن وتحفيظه لأتباعهم سرأ.. ويعلمونهم الذكر القلبي والذكر الجماعي والمحافظة على الصلوات. وقد اشتهرت الطريقة النقشبندية بالتزامها بالشرع حيث اشتهر قولهم «لا توجد طريقة خارج الشريعة».



مسجد جامع في روسيا أصبح الآن مكتب من مكاتب الحكومة في السوق

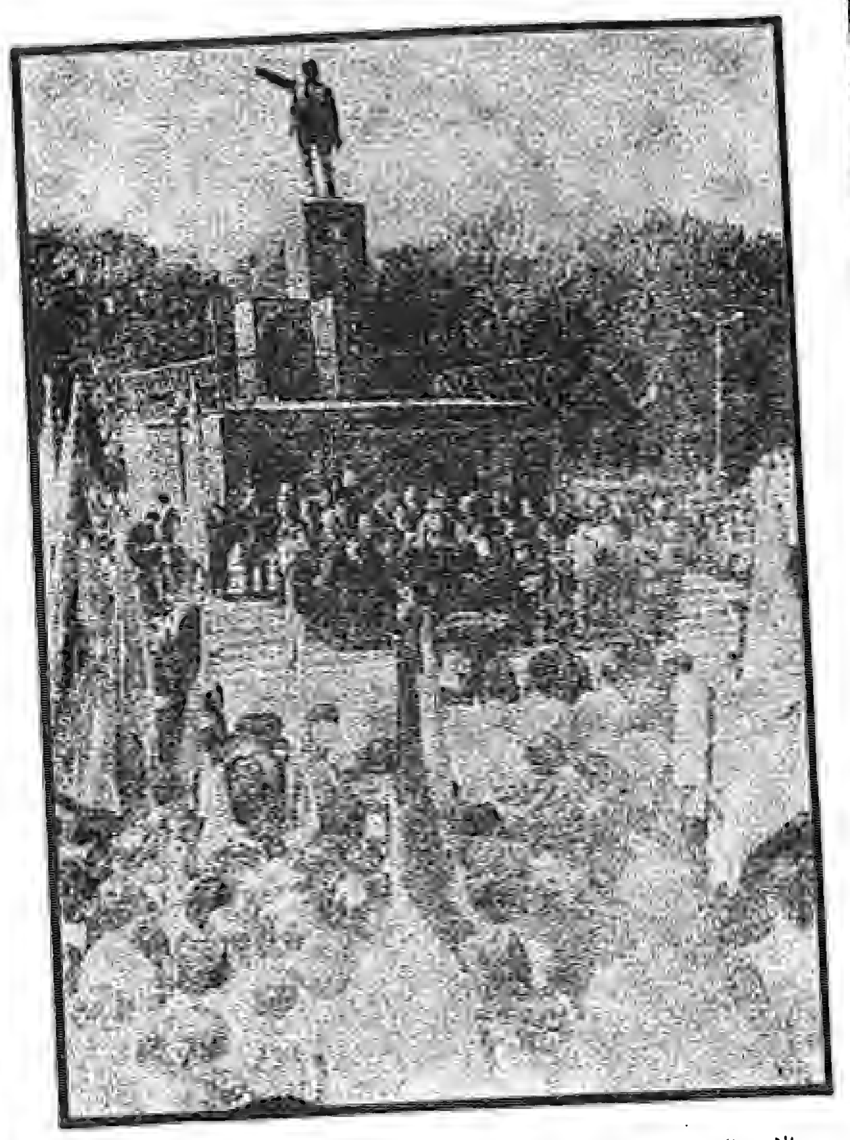


مدرسة إسلامية استولت عليها الصين الشيوعية
وألصقت على جدرانها مناشير ضد الإسلام

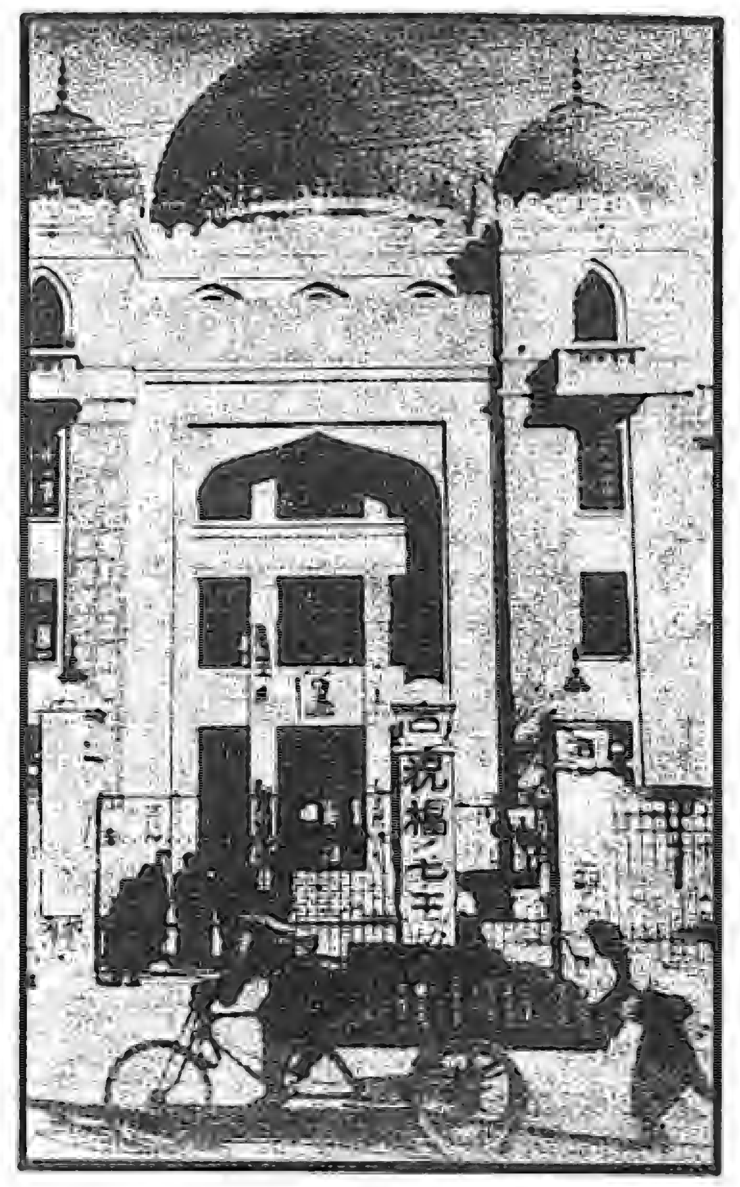


«حكومة بيكين تجبر الشعوب الإسلامية على قراءة كتب ماوتسي تونغ والإقتداء بتعاليمه وكان هذا الشيخ المسلم يمسك بكتاب ماو أمام جمع من المسلمين ويسخر بمحتوياته وبالشيوعية»

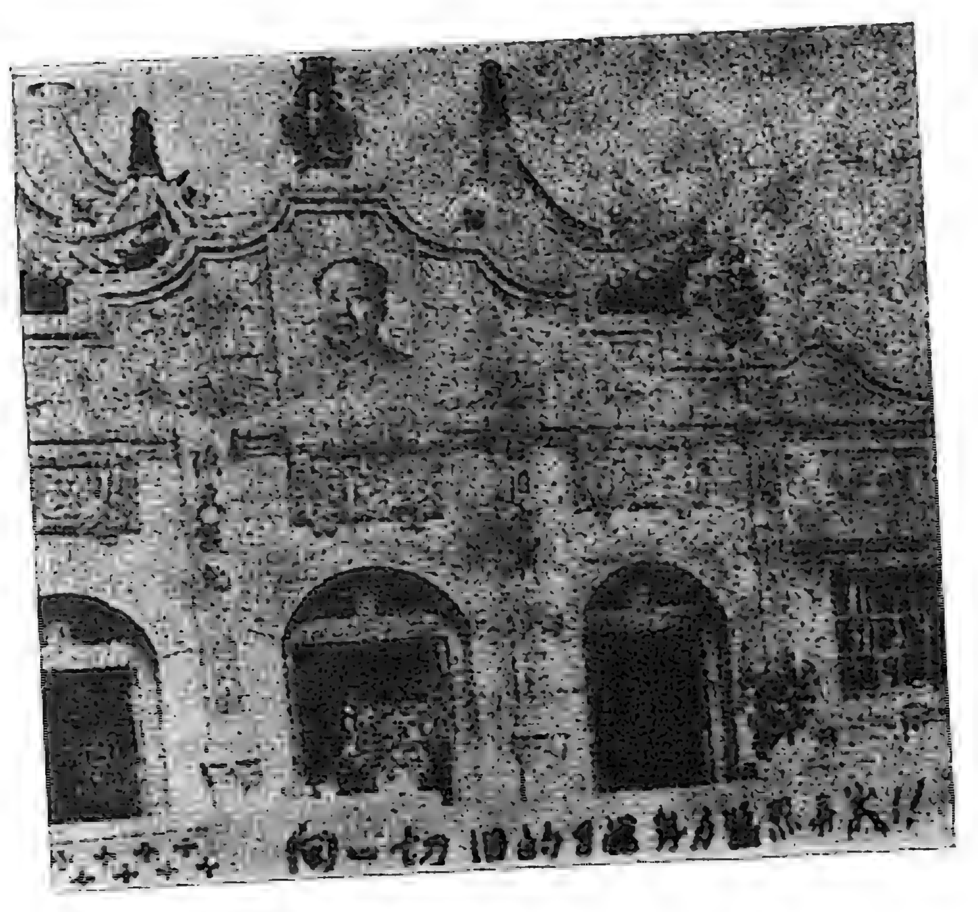
(صورة ممنوعة من الصين الشيوعية)



الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال لينين الذي نصب على مسجد إسلامي في التركستان الشرقية بعد الإستيلاء عليها.



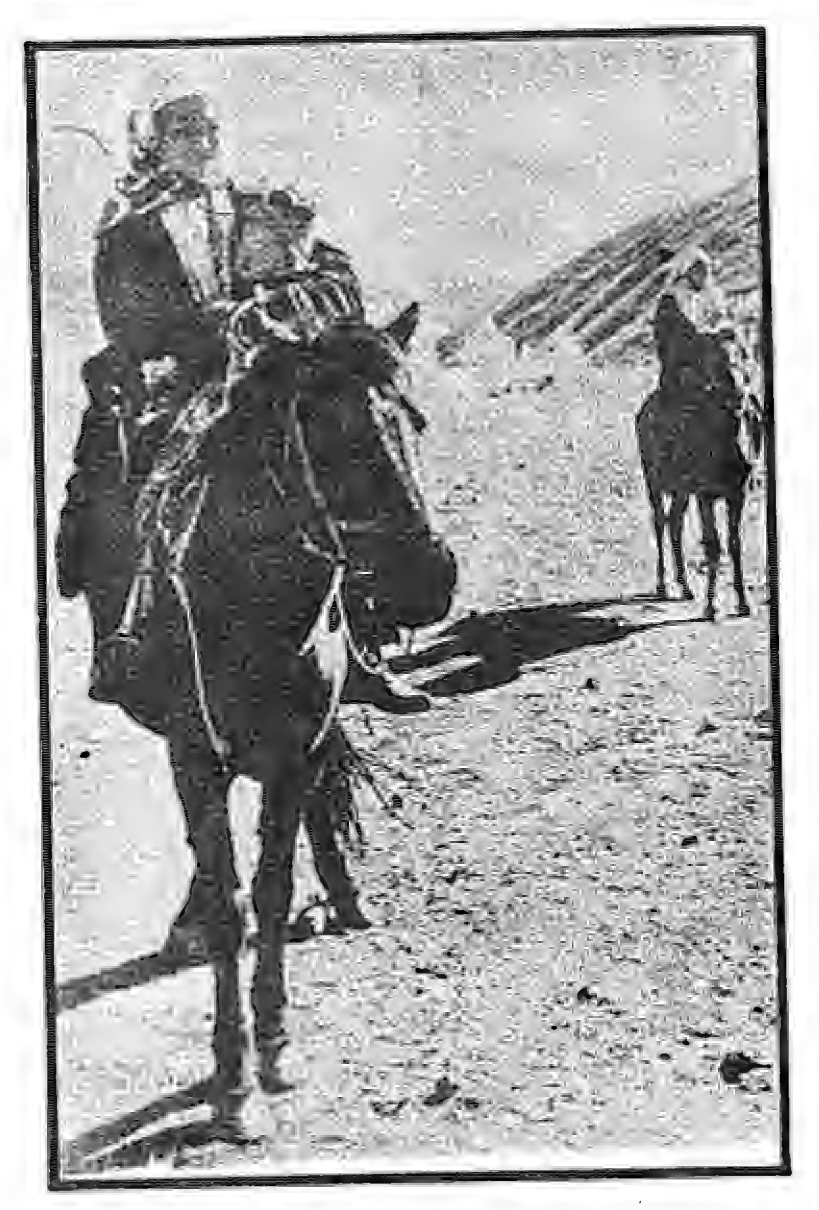
مسجد في تركستان الشرقية حيث حولته السلطات الشيوعية الصينية الى معهد لتدريس الشيوعية وعلقت على واجهته صورة ماوتسي تونغ.



المعهد الاسلامي الذي استولت عليه الشيوعية الصينية
ورفعت عليه صورة ماوتسي تونغ.



صحن مسجد في تركستان الشرقية علق عليه رسم ماوتسي تونغ وفرض على المسلمين أن يستمعوا إلى تعاليمه بالإكراه في الصين الشعبية.



عائلة تركستانية تخترق الحدود الصحراوية للإلتجاء إلى الدول المجاورة، بينما المرأة تحتضن إبنها.



فهرسُ الأعلام

فهرس الأمكِنة والمواضِع

فهرس الأعلام

- ت -

- ح -

- خ -

- غ -

- ك -

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس الأمكنة والمواضع

- ب -

- ح -

- خ -

- ز -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

- هـ -

فهرس الكتاب

المـوضـوع الصفحة

الجزء الثاني: مناطق ومدن التركستان التاريخية

Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No: 7
Daire: 4 Zeytinburnu - İST.


تنفيذ
مركز الصف الالكتروني
براج وخطيب
تصميم - اخراج - طباعة
بيروت ص.ب ٤١٥٤ - ١١
تلفون ٨٠٤٦٠٧ - ٨٠٤٧٠٦ - ٨٠٤٧٠٦



للنشر والتوزيع والطباعة
تليفون: الادارة: ٦٣١٠٠٣٢ (٠٢) المكتبة: ٦٤٢٦٦١٠ (٠٢)
برقياً: مشكاتنا - تلكس SHORCO SJ ٤٠١٢٠٩
ص.ب. ٤١٤٦ - جدة - المملكة العربية السعودية